كتاب
الأزمنة والأمكنة

تأليف
الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

ضبطه وخرج آياته
خليل المنصور

١-٢

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

الازمنه و الامکنه

کاتب:

احمد بن محمد مرزوقی اصفهانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار الکتب العلميهٔ

رقمی الناشر:

مرکز القائميهٔ باصفهان للتحريات الکمبيوتريهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الازمنه و الامکنه ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
المجلد ۱ ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
مقدمه ----- ۱۵
[مقدمه المصنف] ----- ۱۷
ذکر أبواب الأزمنه و الأمکنه، و فصولها ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
الباب الأول [فی تعظیم شأن القرآن و فصل بیانه بالنّظم العجیب و التّألیف الرّصیف] ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
فصل فی بیان النسی ء ----- ۸۲
فصل فی تأویل أخبار مرویه عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و الصّحابه و بیان ما یحمد و یذم من معتقدات العرب فی الأنواء و البوارح ----- ۸۴
فصل آخر [فی بیان معنی الرؤیه لله تعالی الوارده فی القرآن] ----- ۹۱
فصل آخر فی جواب مسائل للمشبهه من الکتاب و السّنه مما تستدل به المشبهه ----- ۹۲
فصل آخر و هو بیان قوله تعالی: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سوره الأنعام، الآیه: ۱۲۴] ----- ۹۶
فصل فی تبیین المحکم و المتشابه ----- ۹۷
فصل الاستدلال بالشّاهد علی الغائب ----- ۱۰۲
فصل فی أسماء اللّه و صفاته و أحکامه (و بیان الأصوات کیف تکون حروفا، و الحروف کیف تصیر کلاما) ----- ۱۰۴
فصل آخر [فی أنّ اللغه لا یجوز أن یکون فیها غلط] ----- ۱۰۷
الباب الثانی فی ذکر أسماء و معان للزّمان و المکان ----- ۱۱۷
اشاره ----- ۱۱۷
فصل [فی أن أسماء الزّمان و المکان إنما تسمّی ظروفا إذا کانت محتویه لما هی ظروف لها] ----- ۱۱۷
فصل فی ماهیه الزّمان ----- ۱۱۹

فصل [فی بیان أنواع الضّلال] ---------- ۱۲۴
فصل آخر يزداد النّاظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له ---------- ۱۲۷
الباب الثالث و يشتمل على بيان اللّيل و النّهار ---------- ۱۲۹
اشاره ---------- ۱۲۹
الفصل الأوّل [فی بيان معنى الليل و النهار] ---------- ۱۲۹
فصل آخر [فی بيان قوله اللّيله لليلتک التی أنت فيها، و البارحه لليله يومک الذی أنت فيه] ---------- ۱۳۱
فصل آخر [فی بيان معنى البكره و العشی] ---------- ۱۳۳
الباب الرّابع فی ذكر ابتداء الزّمان و أقسامه ---------- ۱۳۶
الباب الخامس فی قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها ---------- ۱۴۲
الباب السّادس فی ذكر الأنواء، و اختلاف العرب فيها ---------- ۱۴۹
اشاره ---------- ۱۴۹
فصل فی ذكر أسماء المنازل و صفاتها ---------- ۱۵۳
فصل فی بيان الاختلاف الواقع بين العرب فی أوقات الأنواء و الكلام فی الضّيقه ---------- ۱۶۵
فصل و اعلم أنّ ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان ---------- ۱۶۷
الباب السّابع فی تحديد سنيّ العرب و الفرس و الرّوم و أوقات فصول السّنه ---------- ۱۶۹
الباب الثّامن فی تقدير أوقات التّهجّد التی ذكرها اللّه تعالى فی كتابه عن نبيّه و الصّحابه ---------- ۱۷۳
الباب التّاسع فی ذكر البوارح و الأمطار مقتسمه على الفصول و البروج و فی ذكر المراقبه ---------- ۱۷۹
اشاره ---------- ۱۷۹
فصل فی المراقبه و المطالعه ---------- ۱۸۳
الباب العاشر فی ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاه الوسطى ---------- ۱۸۴
اشاره ---------- ۱۸۴
[فصل فی] بيان الصلاه الوسطى: ---------- ۱۸۸
فصل [فی ذكر العرب اسما تعلّق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصّفات و الأفعال] ---------- ۱۸۹
الباب الحادی عشر فی ذكر- سحر- و غدوه- و بكره- و ما أشبهها ---------- ۱۹۱
اشاره ---------- ۱۹۱
فصل فی المحدود من الزّمان و غير المحدود ---------- ۱۹۴

الباب الثّانی عشر فی لفظ أمس- و غد- و الحول- و السّنه- و العام- و ما يتلو تلوه ----- ٢٠١
اشاره ----- ٢٠١
فصل [فی تعريف العام و السنه] ----- ٢٠٥
الباب الثّالث عشر فيما جاء مثنّى من أسماء الزّمان و اللّيل و النّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها ----- ٢١٠
اشاره ----- ٢١٠
فصل فی ترتيب الأوقات و تنزيلها ----- ٢١٤
فصل فی قوله تعالى: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ١٦] ----- ٢١٧
الباب الرّابع عشر فی أسماء الأيّام على اختلاف اللّغات و مناسبات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها ----- ٢٢٠
الباب الخامس عشر فی أسماء الشّهور على اختلاف اللّغات، و ذكر اشتقاقاتها ----- ٢٢٦
اشاره ----- ٢٢٦
فصل [فی بيان] معنى الشّهر ----- ٢٢٦
أسماء الشهور العربيه غير الأسماء المشهوره: ----- ٢٣٤
فصل اعلم أنّ سرار الشّهر ----- ٢٣٥
الباب السّادس عشر فی أسماء الدّهر و أقطاعه ----- ٢٣٨
اشاره ----- ٢٣٨
فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزنم الجذع ----- ٢٣٨
فصل فيما يجرى من التأكيدات فی أوقات الدّهر ----- ٢٤٤
الباب السّابع عشر فی أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل- و طوائفهما ----- ٢٤٦
اشاره ----- ٢٤٦
فصل [فی بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها] ----- ٢٤٦
فصل [فی أن عادا سمّت الشّهور بأسماء] ----- ٢٥١
فصل [مستخرج من كتاب سيبويه فی الأماكن و الأوقات] ----- ٢٥٢
الباب الثّامن عشر فی اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها ----- ٢٥٥
و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السّبعه و هو فصلان: ----- ٢٥٥
فصل [فی بيان معنى] العواء ----- ٢٥٥
فصل فی بيان الكواكب السبعه ----- ٢٦١

الباب التّاسع عشر فی أقطاع اللّیل- و طوائفه- و ما یتّصل به و یجری مجراه ----- ۲۶۴

الباب العشرون فی أقطاع النّهار و طوائفه- و ما یتّصل به و یجری مجراه ----- ۲۷۳

المجلد ۲ ----- ۲۸۶

اشاره ----- ۲۸۶

الباب الحادی و العشرون فی أسماء السّماء و الکواکب، و الفلک، و البروج ----- ۵۴۰

اشاره ----- ۵۴۰

فصل [فی بیان معنی السماء] ----- ۵۴۰

فصل [فی بیان معنی الفلک] ----- ۵۴۳

فصل فی بیان أمر المجرّه و شرح بعض أحوالها ----- ۵۴۵

الباب الثّانی و العشرون فی برد الأزمنه و وصف الأیام و اللّیالی به ----- ۵۴۸

اشاره ----- ۵۴۸

فصل فیما وضع علی ألسنه البهائم ----- ۵۵۵

الباب الثّالث و العشرون فی حرّ الأزمنه و وصف اللّیالی و الأیام به ----- ۵۵۸

الباب الرّابع و العشرون فی شدّه الأیام و رخائها و خصبها و جدبها و ما یتّصل بها ----- ۵۶۶

الباب الخامس و العشرون فی أسماء الشّمس و صفاتها و ما یتعلق بها ----- ۵۷۹

الباب السّادس و العشرون فی أسماء القمر و صفاته، و ما یتّصل بها من أحواله ----- ۵۹۲

فصل [فی بیان معنی الهلال] ----- ۵۹۲

فصل فی أسماء لیال من أوّل الشّهر ----- ۶۰۱

الباب السّابع و العشرون فی ذکر أسماء الهلال من أوّل الشّهر إلی آخره و ما ورد عنهم فیها من الأسجاع و غیرها ----- ۶۰۳

الباب الثّامن و العشرون فی ذکر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فی اللّیل و النّهار ----- ۶۰۹

الباب التّاسع و العشرون فی ذکر الرّیاح الأربع، و تحدید مهابّها، و ما عدل عنها ----- ۶۱۹

اشاره ----- ۶۱۹

الفصل الأول [فی بیان أنواع الریاح] ----- ۶۱۹

فصل فی تبیین ما ذکر من کلام الأوائل فی ذلک ----- ۶۳۰

الباب الثّلاثون فی أسماء المطر و صفاته و أجناسه ----- ۶۳۲

اشاره ----- ۶۳۲

فصل [فی بیان أوّل المطر الوسمی و أنواؤه] ----- ۶۳۲

الفصل الثّانی فی علّه ما ذکرنا من کلام الأوائل ----- ۶۳۸

الباب الحادی و الثلاثون فی السّحاب و أسمائه و تحلّیه بالمطر ----- ۶۴۰

اشاره ----- ۶۴۰

فصل [فی ذکر ما عدّد من نعمه علی خلقه فیما نصبه من الأدله علی وحدانیته فی خلق السّماوات و الأرض] ----- ۶۴۰

فصل فی کلام الأوائل، یتبیّن منه حال الأندیه و الأمطار و العیون و الأنهار و غیرها ----- ۶۴۸

الباب الثّانی و الثلاثون فی الرّعد و البرق و الصّواعق، و أسمائها و أحوالها ----- ۶۵۰

اشاره ----- ۶۵۰

فصل [فی بیان کیفیه تسبیح الرعد بحمده] ----- ۶۵۰

فصل فی الرّعد و البرق و السّحاب من کلام الأوائل ----- ۶۵۴

الباب الثالث و الثّلاثون فی قوس قزح، و فی الدّائره حول القمر، و فی البرد ----- ۶۵۶

اشاره ----- ۶۵۶

فصل [فی بیان معنی قوس قزح] ----- ۶۵۶

فصل من کلام الأوائل فی البرد و الطّلّ و الدّمق ----- ۶۵۸

فصل فی أسباب الطل ----- ۶۵۹

الباب الرّابع و الثلاثون فی ذکر المیاه، و النّبات ممّا یحسن وقوعه فی هذا الباب ----- ۶۶۰

اشاره ----- ۶۶۰

فصل [فی بیان معنی قوله وقع الغیث بمکان] ----- ۶۶۰

الباب الخامس و الثّلاثون فی ذکر المراتع المخصبه و المجدبه و المحاضر و المبادی ----- ۶۶۹

اشاره ----- ۶۶۹

فصل [فی أن الأوطان و المراتع تختلف فی هذا الباب اختلافا شدیدا] ----- ۶۶۹

فصل فی ذکر ما کانت العرب تفعله وقت إمساک القطر فی الجاهلیه الجهلاء ----- ۶۷۳

الباب السّادس و الثّلاثون فی ذکر أحوال البادین و الحاضرین، و بیان تنقّلهم و تصرّف الزّمان بهم ----- ۶۷۴

الباب السّابع و الثّلاثون فی ذکر الرّوّاد و حکایاتهم ----- ۶۸۳

اشاره ----- ۶۸۳

فصل [فی بیان معنی قوله ماء مدرع و غیرها] ----- ۶۸۳

فصل فی ذکر مواقعهم و مسارحهم ----- ۶۸۷

الباب الثامن و الثلاثون فی ذکر الوراد و من جری مجراهم من الوفود ----- ۶۹۲

اشاره ----- ۶۹۲

[فصل فی] تفسیر الألفاظ الغریبه ----- ۶۹۹

الباب التّاسع و الثلاثون فی التسیر، و النّعاس، و المیح، و الاستقاء و ورود المیاه ----- ۷۰۱

الباب الأربعون فی أسواق العرب ----- ۷۰۹

اشاره ----- ۷۰۹

دومه الجندل ----- ۷۰۹

المشقر ----- ۷۱۰

صحار ----- ۷۱۰

دبا ----- ۷۱۱

الشّحر ----- ۷۱۱

عدن ----- ۷۱۱

صنعاء ----- ۷۱۱

ثم رابیه حضرموت و عکاظ ----- ۷۱۲

ذو المجاز و نطاه خیبر و حجر الیمامه ----- ۷۱۲

الباب الحادی و الأربعون فی ذکر مواقیت الضّراب و النّتاج، و أحوال الفحول فی الإلقاح و الغرور ----- ۷۱۶

الباب الثّانی و الأربعون فیما روی من أسجاع العرب عند تجدّد الأنواء- و الفصول- و تفسیرها ----- ۷۲۳

اشاره ----- ۷۲۳

فصل [فی أن العرب أحفظ الأمم لما أدّت إلیه تجاربهم من أحوال الزّمان و تعاقب الشهور و الأیام و اختلاف الفصول و الأعوام] ----- ۷۲۳

فصل [فی أن الفصل اسم قد جری فی کلام العرب و جاءت به أشعارهم] ----- ۷۳۰

الباب الثالث و الأربعون فی ذکر العیافه و القیافه و الکهانه ----- ۷۳۱

اشاره ----- ۷۳۱

فصل [فی حکایه قصه ترتبط بالعیافه] ----- ۷۳۱

فصل [فی حکایه قصه ترتبط بالقیافه] ----- ۷۳۱

فصل فی القیافه و العیافه ----- ۷۴۴

الباب الرابع و الأربعون فی ذکر ما أبهم من الأوقات حتی لا یتبیّن للسّامع حاله و ما شرح منها ----- ۷۵۰
الباب الخامس و الأربعون فی الاهتداء بالنّجوم، و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فی أمّهم ----- ۷۵۶
الباب السادس و الأربعون فی صفه ظلام اللّیل و استحکامه و امتزاجه ----- ۷۶۸
الباب السّابع و الأربعون فی صفه طول اللّیل و النّهار، و قصرهما و تشبیه النّجوم بها ----- ۷۷۸
الباب الثامن و الأربعون فی ذکر السّراب، و لوامع البروق، و متخیّلات المناظر و وصف السّحاب ----- ۷۹۱
الباب التّاسع و الأربعون فی تذکّر طبّ الزّمان- و التهلّف علیه- و الحنین إلی الآلّاف- و الأوطان ----- ۸۰۳
الباب الخمسون فی ذکر أنواع الظّل و أسمائه و نعوته ----- ۸۱۹
الباب الحادی و الخمسون فی ذکر التّاریخ و ابتدائه و السّبب الموجب له، و ما کانت العرب علیه لدی الحاجه إلیه فی ضبط آماد الحوادث و المواليد ----- ۸۲۷
اشاره ----- ۸۲۷
فصل [فی أن تاریخ کل شی ء فی اللغه غایته و وقته الذی انتهی إلیه] ----- ۸۲۷
فصل فی حکّام العرب فی الجاهلیّه ----- ۸۳۳
فصل فی أوقات التواریخ ----- ۸۳۵
الباب الثّانی و الخمسون فیما هو متعالم عند العرب، و من داناهم، و أدرکوها بالتفقّد و طول الدّربه و لم یدخل فی أسجاعهم ----- ۸۴۳
اشاره ----- ۸۴۳
تشرین الأوّل ----- ۸۴۶
تشرین الآخر ----- ۸۴۶
کانون الأوّل ----- ۸۴۷
کانون الآخر ----- ۸۴۷
شباط ----- ۸۴۸
آذار ----- ۸۴۸
نیسان ----- ۸۴۹
أیّار ----- ۸۴۹
حزیران ----- ۸۵۰
تموز ----- ۸۵۰
آب ----- ۸۵۰
أیلول ----- ۸۵۱

الباب الثالث و الخمسون فی انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها، و امتزاجها و الاستكمال و الامتحان ----- ۸۵۳

الباب الرّابع و الخمسون فی اشتداد الزّمان بعوارض الجدب و امتداده بلواحق الخصب ----- ۸۵۸

الباب الخامس و الخمسون فی حدّ ما یشتمل علی ذكر ما فی إعرابه نظر من حدیث الزّمان ----- ۸۷۰

الباب السّادس و الخمسون فی ذكر الكواكب الیمانیه و الشّامیه و تمیز بعضها عن بعض ----- ۸۸۵

الباب السّابع و الخمسون فی ذكر الفجر- و الشّفق- و الزّوال و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبیین القبله ----- ۸۹۰

اشاره ----- ۸۹۰

فصل فی صرف القبله من بیت المقدس إلی الكعبه ----- ۸۹۳

الباب الثّامن و الخمسون فی معرفه أیام العرب فی الجاهلیه و ما كانوا یحترفونه و یتعایشون منه ----- ۸۹۵

الباب التّاسع و الخمسون فی ذكر أفعال الرّیاح لواقحها- و حوائلها- و ما جاء من خواصها فی هبوبها و صنوفها ----- ۹۰۵

الباب السّتّون فی ذكر الأوقات المحموده للنّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما یتطیّر منه أو یستدفع الشّر به ----- ۹۱۲

الباب الحادی و السّتون فی ذكر الاستدلال بالبرق، و الحمره فی الأفق، و غیرهما علی الغیث ----- ۹۲۶

الباب الثّانی و الستون فی الكواكب الخنّس و فی هلال شهر رمضان ----- ۹۳۲

الباب الثالث و السّتون فی ذكر مشاهیر الكواكب التی تسمّی الثّابته و هذه التّسمیه علی الأغلب من أمرها ----- ۹۳۵

اشاره ----- ۹۳۵

تقریظ وجد آخر الأصل ----- ۹۵۰

فهرس كتاب الأزمنه و الأمكنه ----- ۹۵۲

تعریف مركز ----- ۹۶۴

الازمنه و الامكنه

اشاره

سرشناسه : مرزوقی اصفهانی، احمد بن محمد، - ق ۴۲۱

عنوان و نام پدیدآور : ...الازمنه و الامکنه/ تالیف ابی علی احمد بن محمد بن الحسن المرزوقی الاصفهانی؛ ضبطه و خرج آیاته خلیل المنصور

مشخصات نشر : بیروت : دارالکتب العلمیه ، ۱۹۹۶م. = ۱۴۱۷ق. = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۵۶۶

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیرنویس

موضوع : فضا و زمان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴

موضوع : زبان -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع : هستی شناسی (فلسفه اسلامی)

شناسه افزوده : منصور، خلیل

رده بندی کنگره : BD۶۳۲/م ۴ الف ۴ ۱۳۷۵

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۱-۲۳۱۳۴

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

مقدمه

نضع بين يـدى قرائنا الكرام كتاب الأزمنه و الأمكنه فهو كتاب جامع شامل الموضوعات لها من الأهميه شأن كبير فى معرفه علوم زاد الاهتمـام بها فى الماضـى كثيرا و ما يزال الاهتمام بها فى العصـر الحاضـر يأخـذ مجالا واسـعا لكونها تبحث فى الطبيعه و فى حركه الكواكب و تسـمياتها و قوانينها و هى قاعده انطلاق أساسـيه فى العصـر الحاضر للتعرف على الفضاء و على معرفه جوانب منه ما زالت غامضه و تشغل الكثير من العلماء فى العصر الحاضر و يعتبر الكشف عنها أو البحث فيها يخدم الإنسانيه فهى مترابطه إلى حد بعيد مع بعضـها فالعلوم جميعا تكمل بعضـها البعض فإثبات صـحه تجربه علميه أحيانا و للتأكد من نجاحها يتطلب إجراء اختبارات لها فى الفضاء لهذا فإن أجدادنا العرب فى الماضى اهتموا كثيرا بالعلوم التى كان لها علاقه مباشره بحياتهم فى حلّهم و ترحـالهم و من أهم هـذه العلوم علم الفلـك الـذى كـان له دور كبير و مرتبطـا ارتباطـا وثيقا بهم لمعرفه أحوال الجو و للاهتـداء بالنجوم و الكواكب فى السـير و لمعرفه الزمن و أقسامه، و أدركوا مدى الارتباط بين الزمان و المكان و أهميه هذا الترابط الوثيق بينهما لدرجه أنه لا يمكن لأحدهما أن يكون بدون الآخر.

و قد قسّم الكتاب إلى أبواب و فصول اشـتملت على مضـمون الكتاب حسب تسلسل الحروف الأبجديه و قد بدأها فى ذكر الآى المنهيه من القرآن على نعم اللّه تعـالى على خلقه فى آناء الليل و النهار و فى ذكر أسـماء الزمان و المكان و متى تسـمى ظروفا و معنى قول النحويين الزمـان ظرف الأفعال. المهم أن العناوين تجسـدت فيها روح النصوص و لم تنفصل عن بعضـها البعض فكلها أعطت للكتاب أهميه خاصه فى جعله وحده متكامله مثل أسـماء الشـمس و أسماء القمر و ختمها فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و غيرها المتحركه.

أما المؤلف فقد كان له باع طويل فى رفد العلم بمؤلفاته الفريده فى فنون العلوم فقد

ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ج ۱۷/ ۴۷۵ فقال إمام النحو أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى و ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ۵/ ۳۴، ۳۵ كما ذكره صاحب كتاب انباه الرواه و غيره و قد عاش أبو على و عمر طويلا فقد قارب التسعين عاما و توفى فى ذى الحجه سنه إحدى و عشرين و أربع مائه و كان له أكبر الأثر فى إتحاف المكتبه العربيه بمؤلفاته العلميه و الأدبيه.

[مقدمه المصنف]

(الجزء الأول) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمـد للّه الـذی لا تحصـی آلاؤه بتحدیـد، و لا تعد نعماؤه بتعدید، خالق الظّلم و الأنوار بعجائب صنعته، و مالك المدد و الأقدار بغرائب حکمته، فله فی کلّ ما أنشأ و ابتدع، و فی جمیع ما أوجب و اخترع، عند تناسخ الأـزمنه فی أهالیهـا و تعاقب الملل و الـدّول بین مترفیها، آماد و رتب و آیات و عبر لا یجمع جملها إلّا إدراکه و علمه، و لا ینوّع تفاصیلها إلّا إحصاؤه و حفظه، و إن کان کثیر منها یحصـله العیان و یصوّره الأذهان من الأفلاك و بروجها، و منازل النّیرین فیها و اسـتمرار مسیرها فی حدی الاسـتقامه و الرّجعه و البطء، و السّرعه، و تکویر اللّیل علی النّهار، و تکویر النّهار علی اللّیل و تبدّل رطوبتهـا و بردهـا و حرهـا و یبسـها و لینهـا، و تغیّر أدوار النّجوم فی طلوعهـا و أفولهـا، قـال اللّه تعـالی: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْکُنَّسِ وَ اللَّیْلِ إِذا عَسْعَسَ وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ [سوره التکویر: الآیات ۱۵- ۱۸] و فی الاختفـاء عن بعض الأمصـار و ظهورها و تسـاوی الجمیع فی الـدّلاله علی حکم الآثار، و له الخلق و الأمر، و إلیه المرجع و المسـتقر، تبارك اللّه أحسن الخالقین و صـلاته علی من اختاره للنّذاره، و تبلیغ الرّساله، فصدع بأمره و أدّی حقّ نعمته فی خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعین.

أما بعد: فإنّ الإنسان و إن کان ذا لدد و خصام، و جدال فیما یهوی و جذاب بتیقن الحوادث بوجه الثّبت، و یتسبّب إلی الازدیاد، بحب التّوسع فیری جلائـل الأقـدار کأنّها تواریه أو تلاعبه، و یحسب غوائل الأخطار کأنّها تساوفه أو تسابقه، ترشـح بما رشـح له عناصـره عنـد الاختبار، و تجلیه لما هیئ له مکاسـره لـدی الاعتبار، فهم فیما یتردّدون فیه طلعه خباءه، و عن صـفایا غنائمهم غفله نـومه لاـ یردون مسـتنکرا، و لاـ یجـدون عنـد الزّلـه مستمسکا، نجـدهم علی تفـاوت مـن أجسـامهم، و أقـدارهم، و مناشـئهم، و مـدارجهم، و أسـماحهم، و إیابهم، و مآخـذهم فی اسـتقراء مآربهم، و فی أداتهم، و لغاتهم، و صورهم و هیآتهم و اقتراحاتهم و شهـواتهم و أقواتهم، و مطاعمهم و حرفهم و مکاسـبهم، و تبـاین ألسـنتهم و ألوانهم، و علی تنـافس بینهم شدیـد، و تحاسـد فی خلال أحوالهم عجیب، و تضاغن یلوح من مستکن سرائرهم، و تباغض یبوح به تدانی جوارهم.

قد جبلوا على ما إليه سيقوا، و خلقوا لما عليه أدبروا، متوافقين فى الانجذاب إلى مدى من حب الوطن و السّكن، و الصّبر على مرارى الزّمن، و الاستظهار فى تخليد الذّكر باتّخاذ المصانع المؤبّده، و المبانى المشيّده، كالخورنق، و الحضر، و الأبق الفرد، و غمدان، و المشقر، و الهرمين، و منف، و هو مسكن فرعون و تدمر و الشّعراء ذكروها فى ذلك قوله:

اشرب هنيئا عليك التّاج مرتفعافى رأس غمدان دار أمنك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فما ذا بعد أبوالا

و قول الآخر: شعرا:

ما ذا أؤمّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد إياد

أهل الخورنق و السّدير و بارق و القصر ذى الشّرفات من سنداد

أرض تخيّرها الطّيب مقيلهاكعب بن مامه و ابن أمّ داود

و قول الآخر شعرا:

و أخو الحضر إذ بناه و إذدجله نحيى إليه و الخابور

شاده مرمرا و جلّله كلسافللطّير فى ذراه و كور

و قول النابغه:

و خيّس الجنّ إنّى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصّفائح و العمد

و كإيوان كسرى أنوشيروان، و هى من الأبنيه القديمه و التّهالك فى مناصب القرون الخاليه، و الأرزاء بمناصبهم و طلب التقدّم عليهم فيما حمدوا فيه و إن كان كلّ منهم يذمّ زمانه و يحمد زمان غيره حتى روى قول لبيد شعرا:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب

و من قول عائشه رضى اللّه عنها فيه ما روى:

و سار متى قصروا عنه ذمّواو إن ما هم استأنسوا فيه ملّوا

لا جرم أنهم ابترموا مما اختبر لهم فيجمعوا أيديهم عليه مؤثرين لقبوله، و مقتنعين بحصوله كمن اطّلع على ما أبدله فى القسم

فاغتنمه، و أوذن بما أعدله عند السّوم فاختصبه، فترى ذكر الزّمان فى المكان فى جميع ما يندرجون فيه شقيق أرواحهم و مشرع الرّوح لأفئدتهم و مستمد لذّاتهم، و مشتكى أحزانهم، به يكشف البلوى و يستنزل المطر، فليسوا

بشى ء من حظوظهم أقنع منهم باجتماع الوطن و المطر، و استطلاع المستنجد من العين و الأثر، لذلك قال شاعرهم:

و كنت فيه كممطور ببلدته فسر إن جمع الأوطان و المطرا

و قد قيل: ليس الناس بشى ء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم، فلولا ما منّ اللّه تعالى به على طوائف الأمم و عصائب الزّمر من الألطاف فى تحبيب ما حب و تأنيس من أنس، و المنع من الاستيثار و الاقتدار، و الاجتهاد بنهمه الاقتار، لما رضيت المهج الكريمه بمجاوره البلاد و الدّيار، و لا سكنت القلاع، فى قلل الجبال و التّلاع، و لا عمرت المهارى و الأرانب فى مساكن الأسود و الضّباع، و لا نبت حبال الألفه.

و نقطع نظام ما له فسبحان من جعل الاختلاف سببا للائتلاف، و بدل التنافر فصيّره داعيا إلى التّوافق، و للّه الحمد على ما أمضى و قدر، و نسأله التّوفيق فيما أتى و غبر، و قل عن اشتمام الأبنيه الرّفعه إلى غايه ما فى نفوسهم، بل يدّعون منه شياحين يلزمهم اسم التمام و الفراغ ليس للكلام نهايه، و لا- لاختلافهم غايه، لأنّ عددهم كثير، و النّظر فيهم قديم و طبائعهم مختلفه، و قواهم متفاوته و ألسنتهم مرسله، و خواطرهم مطلقه، و لو كان الفاسد يشعر فساده، و المنقوص يجد مسّ نقصه لكان الفاسد صالحا و النّاقص وافرا.

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من باع دارا أو عقارا، فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف».

و ذكر أحمد بن أبى طاهر أنه سمع آذرباد المؤبد يقول: إنّه وجد فى حكم الفرس تربه الصّبى تغرس فى القلب حرمه كما تغرس الولاده فى الكبد رقه، و مما قيل فى الوطن:

عجبت لعطار أتانا يسومنابدسكره القيوم دهن البنفسج

فويحك يا عطار هلّا أتيتنابضغث حزار أو بخوصه عرفج

و قالوا: خلق اللّه آدم من تراب فهمته فى التّراب، و خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فهمتها فى الرّجال، و مما يعرف به موقع الوطن و الزّمن من ذوى البصائر السليمه و العقائد الصّحيحه قول جرير:

سقى اللّه البشام و كلّ أرض من الغورين أنبتت البشاما

فيا نعمى الزّمان به عليناو يا نعمى المقام به المقاما

فجمعهما فى قول، و أنشدنى أبو أحمد العسكرى، قال أنشد الصّولى:

سقى اللّه دار الغاضريّه منزلاترفّ عليه الرّوض خضر الرّفارف

و أيامنا و الغاضريّون خضرو عيشى بهم يهتز لدن المعاطف

و رأينا اللّه تعالى قسم مصالح خلقه و لذائذهم بين المقام و الظّعن فجعل أكثر مجارى الأرزاق مع الحركه و الاضطراب، و اغتنام الأرباب بعد التقادى فى البلاد لذلك قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقرّت بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و قال آخر:

سررت بجعفر و القرب منه كما سرّ المسافر بالإياب

و قد شهد أصحاب المعانى لابن الرومى، فقالوا: لم يبن أحد العله فى الحنين إلى الوطن إبانته حين قال:

و حبّب أوطان الرّجال إليهم مآرب قضّاها الشّباب هنالكا

و قد قال الأسدى أيضا شعرا:

أحبّ بلاد اللّه ما بين منعج إلىّ و رضوى أن نصوب سحابها

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و أوّل أرض مسّ جلدى ترابها

و أخذه ابن ميّاده فقال:

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و قطّعن عنّى حين أدركنى عقلى

و قال بعض أصحاب المعانى: العلّه التى من أجلها تساوت الطّباع المختلفه فى الحنين إلى الألّاف، و حب ما مضى من الزّمان هى أنّ الذّوات فينا و منا لما كانت لا تحصل إلّا فى مكان و زمان صارت لتضمّنها لهما و لكونهما ناشئه حياتها و فاتحه شبيهتها، و طالعه نمائها، تشوقهما و تستنشئ على البعد أرواحهما حتى كأنّهما منها.

و فسّر بعضهم قول ابن الرومى، فقال: يريد بالمآرب المقضيّه للشبّاب ما أقامه الصبىّ من روادف الهوى، و قد ظفر بالمرتاد، أو كان على استقبال من العمر و قوه من الركن، و استعلام من الأمل، و استخبار من الأجل، و تماسك من الجوارح و تساعد من الأعضاء الحوامل، و رخاء من البال و أمن من عوارض الآفات.

و الذى شرحه هذا المفسر الزائد فيه على مذهبهم كالواصل إليه لاجتماعهما فى غواشى العشق و الصّبر تحت بيان الحب رجاء الفوز بالمراد، و أظنّ جميعه فى قول امرئ القيس:

و هل ينعمن إلا خليّ مخلّدقليل الهموم ما يبيت بأوجال

و هـذا فی قضايـا الأوقات كما اقتصّ الجاحظ من تعصّيبه لمصره، فقال: من فضله البصره ما خصّت به من أرض الصّيدقه إنه لا يسوغ تغيّرهـا و لا يتهيّأ تبـديلها، و من المـد و الجزر المبخر خصوصا لأهلها المجمول نوما بين قاطنها و مسافرها، و مصعدها، و منحدرها على مقابلات من الأوقات و مقـادير من السّاعات، و على منـازل القمر فی زيـاده النّور و امتلائه، و نقصان ضوئه و استسراره، فلا يعرف مصر جاهلی، و لا إسلامی أفضل من البصره، و لا أرض جرى عليها الآثار أشرف من أرض الصّدقه، و لا شجره أفضل من النّخله و لا بلد أقرب برا من البصره، فهی واسطه أبجر، و خضراء من بداو، و ريعاء من فلاه، و قانص وحش من صائد سمک، و ملاحا من جمال من البصره.

فهی وسطه الأرض و فرضه البحر و مضبض الأقطار، و قلب الدّنيا فساحله بعض المتقضيه للغيث، و بلاده بأن قال: الكرمه أفضل الأشجار، و العنب سيّد الثمار، ناعمه الورق كأنّها سرقه ناضره الخضره بديعه الشكل، سلسه الأفنان، رقيقه الجلد عند المذاق يسرح فی البـدن نورها، و فی القلب سرورها، مع ذكاء العرق و صحّه الجوهر إن عرشت على عمد الخشب، و طبقات القصب تضاعف علتها، و تكامل حسنها و دخلها و رأفه جهارتها و أنق ينعها، و إن بسطت أغصانها على الدّار التی هی فيها أظلّت و إن مدّت على الجدران و قيدت إلى حدود الجيران سامحت قائدها و قلّ اعتياضها تغنی عن الشارات و الفساطيط، و تكفّ صيد الحر فی حماره القيظ، و احتدام الشمس أوان الحاجه إلى الرّوح و تردّ عواصف الرّياح و قواصفها، بكثافه ورقها، و ضفاقه ظلّها فی كلام يتّصل بين الفريقين و لا ينقضی.

و ليس من همتی و لا سدمی إنما أردت التّنبيه على أنّ كلّ ذی أرب همّته فی نظريه بلدته طبعا لا تكلفا و كل ذی سبب نهمته فی تزكيه ممكنه عمدا لا سهوا، ثم حسن الشّی ء و قبحه و فضله و نقصه لما عليه فی نفسه لا لجوى راصد أو ألف جاذب. و الحديث شجون، و الفخر بالشی ء فنون، لكنّ اللّه تعالى لمّا ذكر الدّيار فخبر عن موقعها من عباده حتّى سوّى بين قتل نفسهم و الخروج من ديارهم فی قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء: ۶۶] و فی موضع آخر: وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا [سوره البقره: ۲۴] جعل لهم فی الأرض بيتا نسبه إلى نفسه بإزاء البيت المعمور لملائكته، و صيّره حرما و أمنا، و مثابه للناس، و مطافا يلوذ به الخائف و لو كان من الوحش.

كما يأوى إليه الهارب من الأنس عظيما شأنه منيعا جاره لا يغشى أهله غضاضه الامتهان، و لا سأمه الابتذال، فهم على مر الأيام و كله و حمس فی أديانهم متمنعه، و قد كان من الفيل و الحبشه ما أرّخ به الزّمن كما أرّخت الحوادث و النّحل، و كما قيدت أيام النّبوات

بما يكشفها من أنباء الفترات و أحوال الأنبياء و المعجزات، و ذكر اللّه تعالى النعمه على قريش، فانبأ عن رحله الشّتاء و الصّيف بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام لسكان مكّه فقال:

رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ [سوره البقره: ١٢٦]، و قد كان قال:

رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سوره إبراهيم: ٣٧] فاستجاب اللّه دعوته فهم يصيفون (الطائف)، و يشتون (جدّه) و أنواع الخير منهم بمرصد و فعل مثل ذلک فى الزّمان فعظّم ليله القدر و جعلها خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ بما ضمّنها من تنزّل الملائكه بقضاياه إلى رأس الحول، و لأنّها ليله السّلامه و الأمن من كل داء و بلاء إلى مطلع الفجر.

فالحمد للّه الذى بنوره اهتدينا و بفضله غنينا، حين أدب الأخلاف بما درج عليه الأسلاف، و قرن العباده باعتبار ما أمضى عليه القرون الماضيه فى الدّهور الخاليه فإنهم و إن مضوا سلفا فقد السّبيل عليهم، و النّاس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، و قد أكثرت، و ظهر الفرض فيما أبدأت، و أعدت، و التّرفيه عن المطبه أعون فى إملاء قطع الدود أنّ من نكص عن المنهاج تاه فى الفجاج، فإنّما هذا الكلام وصله إلى كتاب فى الأزمنه و الأمكنه، و ما يتعلّق بهما من أسماء اللّيل و النّهار و البوارح(١)، و الأمطار، و المزالف، و المآلف، و ما أخذ أخذها مما تعداده يطول و ينطق به الحدود بعد هذا.

و الفصول فقد قدّمت ذكرها، و قد غبرت مده من الزّمان، و هذا الكتاب منّى ببال أ تصفّح ورقه بأيدى فكرى، و أتصوّر مضمونه فى مطارح فهمى، فينيلنى إذا صادفته جموحا، و يولينى إذا صافحته ازورارا، و شسوعا، كأنه يطلب لنفسه حظا زائدا على ما أوتيه، و سهما عاليا لما أجيله فأعطيه إلى أن تبوأ من علو الوكد، و الاهتمام فى أعلى الرّبى، و من مرتقى التّوفر فى الاعتناء فى أسنى الذرى.

فحينئذ أطلع اللّه على ضميرى نور الأستاذ النفيس أبى على إسماعيل بن أحمد أدام اللّه رفعته، و برهان سلفه قرنا بعد قرن، و كابرا عن كابر من كمال النبل، و جماع الفضل و الجمال الظّاهر، و الكرم الغامر، و النّهوض بأعباء الرّئاسه، و الاستظهار فى أنحاء السّياسه، و تدبير المسالك و المهالك، و المدائن و الممالك، و الميل إلى ذوى الأخطار، و أعلام الآداب.

فهم يكرعون من جداهم فى أعذب المشارع، و أكرم الموارد.

هذا إلى ما حباه اللّه فى خاص و عام قصده من محبيات القلوب، و مزيات القبول. فإنّ العزيز الشريف و النّبت الرّفيع إذا أشر بالدّونه المعطف، و سهوله الملتقى، و المختبر ترجما عن الكمال، و وفرا ابهه الجلال. و هذا الثناء منّى ليس على طريقه المادحين فأتجوّز، و لا

١- البارح: الريح الحاره فى الصيف- قاموس.

قصدى فيه قصد المجتدير فأتسّمح، بل إملاء طول الصّحبه بلسان الخبره، فعليه فيه حكم الحق و المعلوم مع تواطؤ الأخبار عنه و شهاده الإثار له، و توارد الوسائل فأقبل بتغاير أبوابه، و انثال علىّ و تسابق أجزائه، و فصوله تنساق إلىّ كأنه كان من رباط الشّد فى عقال فأنشط، و من حفاظ المنع فى وثاق فأهمل، و بيد اللّه تعالى أمره تسهيل المراد و تعجيل الفراغ بحوله و منه.

و اعلم أنّ رؤساء الأمم أربعه بالاتفاق: العرب، و فارس، و الهند، و الروم و هم على طبقاتهم فى الذكاء و الكيس، و الدّهاء، و الكيد، و الجمال، و العناد و تملك الممالك و البلاد، و السّياسه و الإياله، و استنباط العلوم و إثاره الحكم فى جوامع الأمور و معلوم شأنهم معروف أمرهم، و ما فى على طبقاتهم فى الغباوه و العظاظه و سوء الفهم و الدّرايه و القسوه، و الغذامه، و النّوك، و الجهاله مراعون لما رهنوا به و قيضوا له، و قد صاروا إلى وجوه المعاش، و فنون الممارسات، و الإغراب فى أسرار الصناعات، و الإبداع فى أنواع التّركيبات، انفتح لهم من أبواب المعرفه، و حسن التّوفيق فى الإصابه، ما لم ينفتح لهم فى سواه و ذلك ما لا يدرك غوره من غرائب حكمه اللّه تعالى فيما دبر، و امضى و إن كان للعرب خاصه طبع عجيب فى الأخبار، و الاستخبار، و المباحثه، و الاستكشاف، و سرعه إدراك ما يسفر عن الأواخر عند النّظر فى الأوائل، فحصل لهم بذلك أخلاق عادت مفاخر، و أفعال صارت مناقب، مع ثبات فيما يعز، و جلد، و بيان و لدد، و افتنان فى الخطب و الشّعر و الرّجز على اختلاف أنواعها و تصاريف أساليبها، و على كثره الأمثال الحكيمه، و طرائف الآداب الكريمه.

ثم لهم الفراسه الصّحيحه، و الكهانه العجيبه، و صدق الفأل الحسن، و الحسّ المصيب مع العلم بأثر القدم فى الصّخر الأصم، و القاع العفراء، و قيافه الأثر مع قيافه البشر، ليست لغير العرب لأنّهم يرون المتفاوتين فى الطّول و القصر، و المختلفين فى الألوان و النّعم فيعلمون أنّ هذا الأسود ابن هذا الأبيض، و هذا القصير ابن أخ هذا الطّويل، مع الرّعايه لأنسابهم و أيّامهم، و محاسن أسلافهم و مساوئ أكفائهم، للتّعاير بالقبيح و التّفاخر بالجميل، و ليجعلوه مبعثه على اصطناع الخير، و مزجره عن ادخار الشّر، و لهم تبين أحوال النّجوم سعدها و نحسها، و الأنواء و مقتضياتها و الأمطار و مواقيتها، و بوارح الرّياح فى إبّانها و حينها، و الزّجر المغنى عن التّنجيم و حسن الاهتداء فى المسالك المهلكه، و المرامى غير المسلوكه.

و هم على كلّ حال من عيشهم يخافون مأثور الحديث و يتجرّعون من غوارب البحار، و يحبّون المادحين و تقريظهم، و يؤثرون على أنفسهم الخيل، و على عيالهم الضّيفان أصحاب حياء و أنفه، وجود، و فروسيه، و فخر، و همه لا تطل دماؤهم و لا يعجز طوائلهم، و لا

ينسيهم طول الأيام دفائن أحقادهم، يراعون الذّمم، و يوفون بالمواثيق، و يوجبون الجوار باعلاق الدّلو بالدلو و شد الطّنب بالطّنب حتى قال زهير:

و جار سار معتمدا علیناأجابته المخافه و الرّجاء

فجاور مکرما حتّی إذا مادعاه الصّیف و انصرم الشّتاء

ضممنا ما له فغدا علیناجمیعا نقصه و له النّماء

ثم لم یرضوا لأنفسهم بالاسم الواحد، و الکنیه الواحده، و النّعت الشّریف و الذّکر الرّفیع و المنصب المفخم، و الفخر المقدّم حتی تنقلوا فی أسامی و کنی کما اکتنی حمزه بن عبد المطّلب بأبی یعلی- و أبی عماره، و عبد العزی بن عبد المطلب بأبی لهب- و أبی عتبه، و صخر بن حرب بأبی سفیان- و أبی حنظله، و حسان بن ثابت بأبی الولید و أبی الحسام، و عثمان بن عفان بأبی عبد اللّه و أبی عمرو، أو أبی لیلی و عبد اللّه بن الزّبیر بأبی بکر، و أبی خبیب و أبی عبد الرّحمن.

و الذین أسماؤهم کنی کثیر فی العرب یسمّی بعضهم بعضا بسمات تفید التّفخیم و التّعظیم کقولهم: ملاعب الأسنه، و سم الفرسان و زید الخیل، و محکم الأقران و أشباه ذلک. فهذه الخصال تختصّ بهم إلی کثیر ممّا إن شغلنا الکلام به خرجنا عن الغرض المنصوب و للّه تعالی فی خلقه أن یفعل ما شاء، و یصطفی بفضله من شاء، و هو الحکیم العلیم، و لو لا اهتزازی لتقدیم ما یتعلق به همّه برّ أشاد النّفیس، و سرعه إجابتی إذا أهاب لما رهبته، و لیحصل لی به الفأل الحسن و الذّکر المؤبّد، و الالتذاذ بالدّخول فی جمله أهل الفضل و الاستنان بسننهم فی إذاعه ما تکسیهم الأیام و یفیدهم الاجتهاد لبقیت فی حجر الفن بما أورده لما أری فی أهل الزّمان من اطراح العلم، و احتقار أهل الفضل، و لا أزید علی هذا مخافه الخروج إلی ما یعد سرفا، بل أنشد قول الأول شعرا:

إذا مجلس الأنصار حفّ من أهله و حلّت مغانیه غفار و أسلم

فما النّاس بالناس الذین عهدتهم و لا الدّهر بالدّهر الذی کنت أعلم

و اعلم أنّ قرب الشی ء فی الوهم لیس بموجب حصوله، و لا بعده فیه یقتضی بطوله، و هذا الکتاب لیس اختیاری لعلمه لغلبته، و لا اشتغالی به عن شبهه لکنّی حصنته تحصین الحزم، و صنته صون العرض المکرم، فهو مذخوره المتلهف، و عقد المعتال المحتکم، ثمره عند الینع لا یخلف، و ماؤه علی المیح لا یکدر.

و قد قیل لحاضنک علیک حق اللّبن، و لتربتک حبّ الوطن، و لنسلک حرمه السّکن، و لطربک خلع الرّسن، کما أنّ لما تخلد به ذکرک من نثر أو نظم علیک شرف التّحلیه، و حسن

النّعت و التّسميه، و جمع الفوائد الزّكيه، و هجر الهوى و العصبيّه، و بيد اللّه تبليغ المراد و توطير المرتاد.

و اعلم أنّ مدار الأدب على الطّلب، و عمدته البحث، و مصرفه الرّغبه، و الحث و أزمه الجميع بيد القريحه فإذا سلمت القريحه من عوارض الآفات و تملست من شوائب الأقذار، و العاهات، و ترقّت فى مدارجها من دلائل الرّسوم إلى حقائق الحدود أقبلت تصنع فى نيل المطلوب صنعه من طبّ لمن حبّ، و إنى و إن أنشأت هذا الكتاب فما فى نفسى ادعاء الفضل على الأسلاف؛ و كيف أستجيز ذلك و من ذكرتهم ننفق، و بشهاداتهم نتوثّق، و بين المسلم و المنازع ما بينهما من برزخ التّضاد، و لكن لمن ضمّ النّشر، و سوّى فى البناء النّضد و تأنق فى الإثاره، ثم بلغ و تناهى إلى الغايه، فسدّد حقه من العمل. نسأل اللّه تعالى حسن التّوفيق فيما نأتى و نذر، و عليه المعوّل فى إيزاعنا شكر نعمته، و إعانتنا على ما تعرب من رحمته، و نعم المولى و نعم النصير.

هذا و بيان ما يختلف من أحوالها و يتّفق من أسمائها، و صفاتها، و أطرافها، و إقطاعها، و متعلقات الكواكب منها فى صعودها و هبوطها و طلوعها و غروبها، و جميع ما يأخذ أخذها، أو يعدّ معها، أو لا ينفكّ فى الوقوع و الاستمرار منها، أو متسبّب بضرب من ضروب التّشابه، أو قسم من أقسام التّشارك إلى الدّخول فى أثنائها موشّحه بما يصححها من أشعارهم و أمثالهم، و أسجاعهم و مقامات وقوفهم و منافراتهم جادّين و هازلين، و من كلام روّادهم و ورّادهم و كتّابهم فى ظعنهم و إقامتهم و تتبعهم مساقط الغيث و بوارح الرّيح، و عند ما يقيمون من الجدب، و الخصب و السلم و الحرب، و قرى الضّيف فى الشّتاء و الصّيف، و أعيادهم، و حجهم، و نسكهم، و وجوه معايشهم و مكاسبهم، و آدابهم.

و قد صدرته بجميع آى من كتاب اللّه تعالى بعض حقائقه لتردد المعانى إذا شافهت الالتباس، بين الوجوب و الجواز و الامتناع فيتّسع أمد القول و يمتد نفسه بحسب الحاجه و على قدر العنايه، و من أنكر فى طلب الحق واجبا، أو رد جائرا، أو جحد ممتنعا فقد صافح الخذلان. كما أنّ من قصر و كده على ما لا يرد من دينه فائتا و لا يعمر ثابتا، فقد جانب حسن التّوفيق. و على اللّه فى الأحوال كلها المعوّل و التّكلان.

و بعد الفراغ من ذلك أتبعته بالكلام فى حقيقه الزّمان و المكان، و الرّد على من تكلّم بغير الحق فهما بعد تتبع لما أصله شديد، و بحث عنه بليغ، و ردّ للسّابق من دعاويهم على اللّاحق(١) على الوارد إذ كانا عندى كالأصل فى إلحاد أكثر الملحدين من الأوائل

١- خرم فى الأصل ١٢.

و المتأخّرين، و إذ كنت قد شيّدت من قبل فصول ما ذكرت، و وصوله بلمع من الكلام فى المحكم و المتشابه و الاستدلال بالشّاهد على الغائب، و بيان أسماء اللّه تعالى و صفاته، و ما يجوز إطلاقه عليه أو يمتنع لأنّ أطراف هذه الأبواب متعلقه بموارد الآى التى تكلّفت الكلام فيها و مصادرها، و مستقيه من العيون التى تحوم أطيارها حوله، و فى جوانبها و لأنّ الاشتغال به هو الغرض المرمى فى تأليف حل هذا الكتاب و ترتيبه، و تنسيقه هذا إلى غير ذلك مما خلا منه مؤلفات اللّغويين و النّحويين و الباحثين عن طرائق العرب، و ما يراعونه من معتقداتهم فى الأنواء و غيرها، و إيمان من آمن منهم بالكواكب حتى عبدوها لما ألفوه من استمرار العادات بهم و اطرادها على حد سالم من التبدّل و التحوّل.

ثم شرعت فى الكتاب و تبويب معاطفه و تنويع أساليبه و مدارجه، و أستعين اللّه تعالى على بلوغ ما يزلف عنده، و يستحقّ به مزيد الإحسان و أصحاب التوفيق الكامل منه، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

ذکر أبواب الأزمنه و الأمکنه، و فصولها

اشاره

هی ثلاثه و ستّون بابا، و نیّف و تسعون فصلا:

أ: فی ذکر الآی المنهیه من القرآن علی نعم اللّه تعالی علی خلقه فی آناء اللّیل و النّهار، و بیان النّسی ء، و فی ذکر أخبار مرویه، و فی ذکر الأنواء، و ذکر معتقدات العرب فیها و فیما یجری مجراه، و ذکر فصل فی جواب مسائل للمشهد من الکتاب و السّنه، و فی بیان المحکم و المتشابه و غیرهما، و بیان أسماء اللّه تعالی و صفاته، و هو یحوی تسعه و عشرین فصلا.

ب: فی ذکر أسماء الزّمان و المکان، و متی تسمی ظروفا، و معنی قول النّحویین الزّمان ظرف الأفعال، و الرّد علی من قال فهما بغیر الحق من الأوائل و الأواخر، و یحتوی علی فصول أربعه.

ج: هو یشتمل علی بیان اللّیل و النّهار، و علی فصول من الإعراب تتعلق بظروف الأزمنه و الأمکنه، و فصوله ثلاثه.

د: ذکر ابتداء الزّمان، و أقسامه، و التّنبیه علی مبادئ السّنه فی جمیع المذاهب، و ما یشاکل من تقسیمها علی البروج.

ه: فی قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فیها.

و: فی ذکر الأنواء و اختلاف العرب فیها، و منازل القمر مقسّمه الفصول علی السّنه، و أعداد کواکبها، و تصویر مأخذها ضاره، و نافعه، و فصوله أربعه.

ز: فی تحدید سنیّ العرب، و الفرس، و الرّوم، و أوقات فصول السّنه.

ح: فی تقدیر أوقات التّهجد التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه عن نبیّه و الصّحابه، و تبیین ما یتصل بها من ذکر حلول الشّمس فی البروج الاثنی عشر.

ط: فی ذکر البوارح، و الأمطار مقسمه علی الفصول، و البروج، و فی ذکر المراقبه، و هو فصلان.

ى: فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيّام المعلومات و الأيام المعدودات، و الصلوات الوسطى، و هو فصلان.

يا: فى ذكر سحر، و غدوه، و بكره، و ما أشبهها و الحين و القرن و الآن و أيان، و أوان، و الحقبه، و الكلام فى إذ، و إذا، و هما للزّمان و إبان، و أفان، و هو فصلان.

يب: فى لفظه أمس، و غد، و الحول، و السّنه، و العام، و ما يتلو تلوه، و لفظه حيث، و ما يتّصل به، و الغايات كقبل و بعد، و ذكر أول و حينئذ، و قط، و إذ، و إذا المكانيه، و منذ، و مذ، و من، و على و هو فصلان.

يج: فيما جاء مثّنى من أسماء الزّمان، و اللّيل، و النهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها، و هو أربعه فصول.

يد: فى أسماء الأيام على اختلاف اللّغات و قياسات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها.

يه: فى أسماء الشّهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقاتها، و ما يتّصل بذلك من تثنيتها و جمعها، و هو فصلان.

يو: فى أسماء الدّهر و اقطاعه، و ما يتّصل بذلك، و هو فصلان.

يز: فى اقطاع الدّهر، و أطراف اللّيل و النّهار، و طوائفهما و ما يتّصل بذلك من ذكر الحوادث فيها، و هو ثلاثه فصول.

يح: فى اشتقاق أسماء المنازل، و البروج، و صورها، و ما يأخذ مأخذها، و هو فصلان.

يط: فى اقطاع اللّيل، و طوائفه، و ما يتّصل بذلك و يجرى مجراه.

ك: فى اقطاع النّهار، و طوائفه، و ما يتّصل بذلك و يجرى مجراه.

كا: فى أسماء السّماء و الكواكب، و الفلك و البروج، و هو ثلاثه فصول.

كب: فى برد الأزمنه، و وصف الأيّام و اللّيالى به.

كج: فى حرّ الأزمنه، و وصف الأيّام، و اللّيالى به.

كد: فى شدّه الأيّام و رخائها و خصبها و جدبها، و ما يتّصل بذلك.

كه: فى أسماء الشّمس و صفاتها، و ما يتعلّق بها.

كو: فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتصل بها من أحواله، و هو فصلان.

كز: فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره، و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع، و غيرها.

كح: فى أسماء الأوقات، و الأفعال الواقعه فى اللّيل و النّهار، و أسماء الأفعال المختصه بأوقات فى الفصول و الأزمان.

كط: فى ذكر الرّياح الأربع، و تحديدها بها، و ما عدل عنها، و هو فصلان.

ل: فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه، و هو فصلان.

لا: فى السّحاب، و أسمائه و تحليه بالمطر، و هو فصلان.

لب: فى الرّعد و البرق، و الصّواعق و أسمائها و أحوالها، و هو فصلان.

لج: فى قوس قزح و فى الدائره حول القمر، و فى البرد من قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً [سوره النور، الآيه: ۴۳]، و هو ثلاثه فصول.

لد: فى ذكر المياه و النبات ممّا يحسن وقوعه فى هذا الباب، و هو ثلاثه فصول.

له: فى ذكر المراتع الخصبه و المجدبه، و المحاضر، و المبادى، و هو فصلان.

لو: فى ذكر أحوال البادين و الحاضرين، و بيان تنقّلهم و تصرّف الزّمان بهم.

لز: فى ذكر الرّواد و حكاياتهم، و هو فصلان.

لح: فى ذكر الورّاد و من جرى مجراهم من الوفود.

لط: فى السّبر و النّعاس، و الميح، و الاستقاء، و ورود المياه.

م: فى ذكر أسواق العرب.

ما: فى ذكر مواقيت الضّراب و النّتاج.

مب: فيما روى من أسجاع العرب عند تجدّد الأنواء و الفصول، و تفسيرها، و هو فصلان.

مج: فى ذكر الصّيام، و القيافه، و الكهانه، و هو ثلاثه فصول.

مد: فى ذكر ما لهم من الأوقات حتى لا يبين للسّامع و ما شرح منه.

مه: فى الاهتداء بالنّجوم و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فى أمهم.

مو: فى صفه ظلام اللّيل و استحكامه، و امتزاجه.

مز: فى صفه طول اللّيل و النّهار و قصرهما، و تشبيه النّجوم فيهما.

مح: فى ذكر السراب، و لوامع البروق، و متخيّلات المناظر، و وصف السّحاب.

مط: فى تذكر طيب الزّمان، و التّلهف عليه و الحنين إلى الألّاف، و الأوطان.

ن: فی ذکر أنواع الظلّ و أسمائه و نعوته.

نا: فی ذکر التّاریخ و ابتدائه، و السّبب الموجب له و ما کانت العرب علیه لدی الحاجه إلیه فی ضبط آماد الحوادث و الموالید، و هو فصلان.

نب: فیما هو متمم لما عند العرب و من داناهم و أدرکوه بالتفقد و طول الدّربه، و لم یدخل فی أسجاعهم.

نج: فی انقلاب طبائع الأزمنه، و ثباتها، و امتزاجها، و الاستکمال و الامتحاق، و أزمان مقاطع النّجوم فی الفلک، و معرفه ساعات اللّیل من رؤیه الهلال، و مواقیت الزّوال علی طریق الإجمال.

ند: فی اشتداد الزّمان بعوارض الجدب، و امتداده بلواحق الخصب.

نه: و یشتمل من حدّها علی ذکر ما فی إعرابه نظر من حدیث الزّمان.

نو: فی ذکر الکواکب الیمانیه، و الشّمامیه، و تمییز بعضها عن بعض، و ذکر ما یجری مجراها من تفسیر الألقاب.

نز: فی ذکر الفجر، و الشّفق، و الزّوال، و معرفه الاستدلال بالکواکب و تبین القبله.

نح: فی معرفه أیّام العرب فی الجاهلیه، و ما کانوا یحرفونه و یتعایشون منه، و ذکر ما انتقلوا إلیه فی الإسلام علی اختلاف طبقاتهم.

نط: فی ذکر أفعال الرّیاح لواقحها، و حوائلها، و ما جاء من خواصها فی هبوبها و صنوفها.

س: فی ذکر الأیام المحموده للنّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذکر ما یتطیّر منه، أو یستدفع الشّربه.

سا: فی ذکر الاستدلال بالبرق، و الحمره فی الأفق و غیرهما علی الغیث.

سب: فی الکواکب الخنّس، و فی هلال شهر رمضان.

سج: فی ذکر مشاهیر الکواکب التی تسمّی الثابته، و هذه التّسمیه علی الأغلب من أمرها إذ کانت حرکه مسیرها خافیه غیر محسوسه.

الباب الأول [فی تعظیم شأن القرآن و فصل بیانه بالنّظم العجیب و التّألیف الرّصیف]

اشاره

اعلم أنّ اللّه تعالی عظّم شأن القرآن، و فصل بیانه بالنّظم العجیب و التّألیف الرّصیف علی سائر الکلام، و إن وافقه فی مبانیه، و معانیه ثم أودعه من صنوف الحکم، و فنون الآداب و العذر، و جوامع الأحکام و السیر، و طرائف الأمثال و العبر، ما لا یقف علی کنهه ذوو القرائح الصّافیه، و لا فی بعد فوائده أو لو المعارف الوافیه، و إن تلاحقت آلاتهم، و توافقت أسباب التّفهم و الافهام فیهم، فتری المشتغل به المتأمّل له، و قد صرف فکره إلیه، و قصر ذکره علیه، قد یجد نفسه أحیانا فیه بصوره من لم یکن سمعه، أو کان بعد السّماع نسیه استغرابا لمراسمه، و استجلاء لمعالمه، و ذلک أنه تعالی لما أنزله لیفتتح بتنزیله التّحدی به إلی الأبد، و یختتم بترتیله و آدابه البذاره إلی انقضاء السّند، علی ألسن الرّسل، جعله من التّنبیهات الجلیّه و الخفیّه، و الدّلالات الظّاهره و الباطنه ما قد استوی فی إدراک الکثیر منها العالم بالمقلد، و المتدبّر، و المهمل.

و إن کان فی أثنائه أغلاق لا تنفتح الأشیاء بعد شی ء بأفهام ثاقبه، و فی أزمان متباینه، لیتّصل أمد الإعجاز به إلی الأجل المضروب لسقوط التّکلیف، و لتجدّد فی کل أوان بعوائده و فوائده ما یهیج له بواعث الأفکار، و نتائج الاعتبار، فیتبیّن ثناؤه الرّاسخ المتثبت، و النّاظر المتدبّر عن قصور الزّائغ المتطرّف و تقصیر الملول الطّرف. لذلک اختلفت الفرق، و استحدثت المذاهب و الطّرق، فکلّ یطلب برهانه علی صحه ما یراه منه، و إن ضلّ عن سواء السّبیل من ضلّ لسوء نظره و فساد تأنّیه، و عدو له عن منهاج الصّحابه و التّابعین و صالحی الأسلاف، فلما کان أمر القرآن الحکیم علی ما وصفت، و کان اللّه تعالی فیما شرع من دینه و حدّ علیه من عبادته، و دعا إلیه من تبیّن صنعه و تنبّه ما أقامه من أدلّته. قال: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ [سوره العنکبوت، الآیه: ۴۴] مبیّنا أنه اخترعها بما یشتمل علیه حقا لا باطلا و حتما لا عبثا لتوفّر علی طوائف خلقه منافعها، و مثبتها من یصدق بالرّسل، و یمیز جوامع الکلم علی بعد غورها فی قضایا التّحصیل و تراجع الأفهام، و الأوهام عن تقصی مأخذها بأوائل التّکلیف.

ثم كرّر ذكرها فى مواضع كثيره فى جملتها ما يقتضى الكشف عن نظومها و تصاريفها لما يكشفها من الغموض، و كان مبنى التأليف الذى هو مبنى على كتب لا يتم من دون الكلام عليها بترتيبه، بأن جعلتها مقدّمه ثم تجاوزت إلى ما سواها و اللّه المعين على تسهيل المراد منه بمنه.

فمن ذلك قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ یَوْمَ یَقُولُ [سوره الأنعام، الآیه: ۷۳] الآيه، وصف اللّه تعالى نفسه فيما بسط من كلامه هنا بفصول أربعه، كلّ فصل منها عند التأمّل جمله مكتفيه بنفسها عن غيرها، و داله على كثير من صفاته التى استبدّ بها.

فالفصل الأول قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِ، و المعنى فى قوله: بالحق، أنّ الحكمه البالغه أوجبت ذلك، ففطرها ليدلّ على نفسه بها و يظهر من آثاره العجيبه فيها ما تحقّق إلهيته و تثبت قدمه، و ربوبيته و يظهر أنّ ما سواه مدبر مخلوق و مسخّر مقهور، و أنه الحق تمّ له ما أحدثه، و أنشأه لا بباطل، و وجبت له العباده من خليقته بقول فصل لا بهزل، فحجّته بيّنه و آياته محكمه، لا تخفى على النّاظر، و لا تلتبس على المتأمّل المباحث إذ كانت الأبصار لا تدركه، و الحواس لا تلحقه، فعرّف عباده قدرته، و ألزمهم بما غمرهم من منافعه و نعمه عبادته، فلا مانع لما منح، و لا واهب لما ارتجع، أو حرم تسليما لأمره و رضى بحكمه.

و الفصل الثانى قوله: وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ قَوْلُهُ الْحَقُ [سوره الأنعام، الآیه: ۷۳] قوله: و يوم نصب على الظّرف، و العامل فيه ما يدل عليه قوله الحق، و لا يجوز أن يكون العامل قوله: يقول لأنه قد أضيف اليوم إليه، و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف. و قوله:

فيكون معطوف على يقول، و ما بعد القول، و هو جمله تكون حكايه فى كلامهم، و كن فى موضع المفعول ليقول، و قد أبان اللّه هذا المعنى فى قوله: إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْ ءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ [سوره النّحل، الآیه: ۴] لأنّ معنى الحكايه ظاهر فيه و مفهوم منه، و إذا كان الأمر على هذا فقوله: كن، حكايه، و المعنى فيه إيجاب خروج الشّى ء المراد من العدم إلى الوجود. و قوله: فيكون بيان حسن المطاوعه من المراد و تكوّنه، و ليس ذلك على أنّه مخاطبه المعدوم، و لكنّ اللّه تعالى أراد أن يبين على عاده الآمرين إذا أمروا كيف يقرّب مراده إذا أراد أمرا، فأخرج اللّفظ على وجه يفهم منه ذلك، إذ كان لا لفظ فى تصوير الاستعجال، و تقريب المراد أحضر من لفظه كن فاعلمه. و تلخيص الآيه و إذا كان يوم البعث و النّشر و السّوق إلى الحشر يوجب وقوع المكون بقولنا: كن، فيقع بحسب الإراده لا تأخير فيه و لا تدافع، لأن حكمنا فيه المحقوق الذى لا يبدّل، و لأنّ الملك فيه للملك الذى لا يغالب و لا

يمانع، فقوله فى الفصل الأول: بالحق- أى بما وجب فى الحكمه و حسن فيها. و قوله فى الفصل الثّانى قوله الحق- أى المحقوق الذى لا يحول و لا يغيّر إذ كان البدء لا يجوز عليه، و أوائل الأمور فى علمه كأواخرها.

و الفصل الثالث قوله: وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۳] يريد به أنه فى ذلك الوقت متفرّد بتدبير الفرق و الأمم و تنزيلهم منازلهم من الطّاعه و المعصيه، كما أبدأهم فكما كان تعالى الأوّل لقدمه يكون الآخر لبقائه، لا مشارك له، و لا مؤازر، و أبين منه قوله فى موضع آخر: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ [سوره غافر، الآيه: ۱۶] و هذا حال المعاد، و المعنى إذا أردنا سوقهم بعد الإماته للنّشر لم يخف علينا شى ء من أحوالهم لأنّا نملكهم، فأمرنا حتم لا تخيّر وفور لا تأخير، و الإحصاء يجمعهم، و الإدراك يعمهم. و قوله: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۳] لم يشر به إلى وقت محدود الطّرفين و لكن على عاده العرب فى ذكر الزّمان الممتد الطويل باليوم، فهو كما يقال: فعل كذا فى يوم فلان، و على عهد فلان.

الفصل الرابع: قوله: عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۳] يريد أنّه لا يخفى عليه ما فيه لأنّه العالم لنفسه فلا يغرب عنه أمر، و الغائب عنده كالحاضر و البعيد كالقريب و هو حكيم فيما يقضيه عليم فيما يقضيه. لا يذهب عليه شى ء من أحوال عباده، و من مواعيده فيحشرهم جميعا، و يوفّيهم مستحقّهم موفورا.

و منه قوله تعالى: وَ آيَهٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ [سوره يس، الآيه: ۳۷] إلى يسبحون، قوله: نسلخ منه النّهار أى نخرجه منه إخراجا لا يبقى معه شى ء من ضوء النّهار، أ لا ترى قوله فى موضع آخر: آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۵]، و فى هذا دلاله بيّنه على ما تذهب إليه العرب من أنّ اللّيل قبل النّهار لأنّ السّلخ و الكشف بمعنى واحد يبين ذلك أنّه يقال: كشطت الإهاب، و الجلد عن الشّى ء، و سلخته أى كشفته، و السّلاخ الإهاب نفسه، و سلخت المرأه درعها نزعته، و سلخت الشّهر: صرت فى آخر يوم منه، و سلاخ الحيّه جلدها، و إذا كان ذلك، و كان اللّه تعالى قال: اللّيل نسلخ منه النهار، و المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ فيجب أن يكون اللّيل قبل النّهار، كما أنّ المغطّى قبل الغطاء قوله: فإذا هم مظلمون- أى داخلون فى الظّلام يقال: أظلم اللّيل إذا تغطى بسواده، و أظلمنا دخلنا فى ظلمات، و هذا كما يقول: أجنبنا و اشملنا- أى دخلنا فى الجنوب و الشّمال، و أنجدنا، و أتهمنا أى أتيناهم، ثم قال: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها [سوره- يس، الآيه: ۳۸] و هذا يحتمل وجوها من التّأويل.

أ- أن يكون المراد جريها لاستقرار يحصل له إذا أراد اللّه وقوفها للأجل المضروب

لانقضاء وقت عادتها فی الطلوع و الأفول.

ب- أن یکون المراد بالمستقر وقوفها عنده تعالی یوم القیامه، و الشّاهد لهذا قوله فی آیه أخری: کَلَّا لا وَزَرَ، إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ [سوره القیامه، الآیه: ۱۰، ۱۱] فهو کقوله فی غیر موضع: ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ، وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* [سوره الحدید، الآیه: ۵]، وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ* [سوره البقره، الآیه: ۲۴۵].

ج- أن یکون المعنی أنها لا تزال جاریه أبدا ما دامت الدّنیا تظهر و تغیب بحساب مقدر کأنها تطلب المستقر الذی علمها صانعها فلا قرار لها؛ و یشهد لهذا الوجه قراءه من قرأ و الشّمس تجری لا مستقر لها، و ذلک ظاهر بیّن یوضحه قوله تعالی بعقبه: ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ* [سوره یس، الآیه: ۳۸]، أی تقدیر من لا یغالب فی سلطانه و لا یجاذب علی حکمته، قوله: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ [سوره یس، الآیه: ۳۹]، الآیه. برفع القمر علی، و آیه لهم اللّیل و إن شئت علی الابتداء، و ینصب علی، و قدّرناه و العرجون) عود لعذق الذی تسمّی الکباسه ترکبه الشّماریخ مثله الأثکول و العثکول من العذق، فإذا جفّ و قدم دقّ و صغر و حینئذ یشبهه الهلال فی أول الشهر و آخره.

و قال أبو إسحاق الزّجاج: وزنه فعلول لأنّه من الانعراج، و قال غیره: هو فعلول لأنه کالفثلول، و معنی الآیه و قدّرنا القمر فی منازله الثمانیه و العشرین، و فی مأخذه من ضوء الشّمس، فکان فی أوّل مطلعه دقیقا ضئیلا، فلا یزال نوره یزید حتی تکامل عند انتصاف الشّهر بدرا، و امتلائه من المقابله نورا، ثم أخذ فی النقصان بمخالفته لمحاذاه، و تجاوزه لها حتی عاد إلی مثل حاله الأولی من الدّقه و الضؤله و ذلک کلّه فی منازله الثمانیه و العشرین لأنه ربّما استتر لیله، و ربما استتر لیلتین فمشابهه الهلال للعرجون فی المستهل و المنسلخ صحیحه.

فأما قوله: حتی عاد فکأنه جعل تصوّره فی الآخر بصورته الأولی فی الدّقه مراجعه، و معاوده. و القدیم یراد به المتقادم کما قال فی قصه یعقوب علیه السلام: إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ [سوره یوسف، الآیه: ۹۵]. و قال الفرّاء القدیم یقال لما أتی علیه حول. و قیل أیضا:

معنی عاد صار، و یشهد لذلک قول الشّاعر:

أطعت العرس فی الشّهوات حتّی تعود لها عسیفا عبد عبد

و لم یکن عسیفا قط، و قال امرؤ القیس:

و ماء کلون البول قد عاد آجناقلیل به الأقوات ذی کلأ مخل

أی صار، و قال الغنوی:

فإن تكن الأيام أحسن مرهاإلىّ فقد عادت لهنّ ذنوب

قوله: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآيه: ۴۰]، يعنى ينبغى لها.

أى: لو كانت تطلب إدراك القمر لما حصلت لها بغيتها، و لا ساعدتها طلبتها يقال: بغيت الشى ء، فانبغى لى. أى طلبته، فأطلبنى، و إذا لم ينبغ لها لو طلبت، فيجب أن لا يحصل الفعل منها البتّه، لأنّ الإدراك معناه اللّحوق و سببه الذى هو البغاء ممنوع منه، فكيف يحصل للسّبب؟ و أيضا فإنّ سرعه سير القمر و زيادته على سير الشّمس ظاهر فهو أبدا سابق لها بسرعته، و تلك متأخره لبطئها، و قوله: وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ [سوره يس، الآيه: ۴۰] محمول على وجهين.

الأول: أن يكون المعنى بالسّبق أوّل إقباله و آخر إدبار النّهار.

و الثانى: أن يكون المعنى آخر إدبار النّهار و أول إقبال الصّبح، و سبق اللّيل النّهار بإقباله أن يقبل أول اللّيل قبل آخر إدبار النّهار و هذا ما لا يكون.

و أما سبقه إيّاه بإدباره، فإن سبق آخر إدبار اللّيل أوّل إقبال الصّبح قبل كونه، و هذا أيضا لا يكون، و لا يجوز كونه لأنهما ضدّان يتنافيان و يتعاقبان فلذلك لم يجر سبق اللّيل النّهار فى شى ء من أحواله.

و قيل معنى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ أى ليس لها أن تطلع ليلا، و لا القمر له أن يطلع نهارا لأنّ لكلّ منهما شأنا قدّر له و وقتا أفرد به، فلا يقع بينهما زاجر فيدخل أحدهما فى حد الآخر قوله: وَ كُلٌّ فِی فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سوره يس، الآيه: ۴۰] أى كلّ واحد منهما له فلك يدور فيه فلا يملك انصرافا عنه؛ و لا تأخّرا إلى غيره، و لفظ الفلك يقتضى الاستداره أى و كلّ له مكان من مسبحه مستدير يسبح فيه أى يسير بانبساط، و منه السّباحه، و قال تعالى لنبيّه: إِنَّ لَكَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۷] و لا يمنع أن يكون يشير بقوله: فى فلك إلى الذى هو فلك الأفلاك، و إذا جعل على هذا فهو أبهر فى الآيات، و أدلّ على اقتدار صانعه و إنّما قال: يسبحون لأنّه لمّا نسب إليها على المجاز و السعه أفعال العقلاء المميّزين جعل الاخبار عنها على ذلك الحد، و مثله: رَأَيْتُهُمْ لِی ساجِدِينَ [سوره يوسف، الآيه: ۴] و هذا كثير.

و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] الآيه نبه بهذه الآيه، و بقوله إنّ عدّه الشهور الآيه على نعمه على خلقه فيما إن شاء حالا بعد حال لهم، و ابتدعه و ما عرف مصالحه وقتا بعد وقت، فيما قدّر لهم فكر و ذكر و نصب للحاضره و الباديه من الأعلام و الأدله بالمنازل و الأهلّه، و مطالع النّجوم السّياره و غير السّياره حتى جعلت

مواقيت و آجالا، و مواعيد، و آمادا، فعرفوا حلالها و حرامها و مسالمها و معاديها و ذا العاهه منها مما لا عاهه معها؛ و تبيّنوا بطول التّجارب أضرّها أنواء، و أعودها أمطارا، و أعزّها فقدانا، و أهونها أخلاقا، فأخذوا لكلّ أمر أهبته، و لكلّ وقت عدّته، إلى كثير من المنافع و المضار التى تتعلق باختلاف الأهواء و تفاوت الفصول و الأوقات؛ و من تدبّر قوله: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲]. ثم فكّر فى تميز أحدهما عن الآخر باختلاف حالهما فى النّور، و الظّلمه، و الظّهور و الغيبه، و لما ذا صارا يتناوبان فى أخذ كلّ واحد منهما من صاحبه، و يتعاقبان فى إصلاح ما به مصالح عباده و بلاده؟ و كيف يكون نموّ القمر من استهلاله إلى استكماله و نقصه، و انمحاقه من ليالى شهره و أيامه؟ و أنّى يكون اجتماع الشّمس و للقمر، و افتراقهما، و تساويهما، و تباينهما، ظهر من حكمه اللّه تعالى له إذا تدبّره، و ردّ آخره على أوّله، و ولى كلّ فصل منه ما هو أولى به.

ثم سلك مدارجها، و تتبع بالنّظر معالمها و مناهجها أدّاه الحال إلى أن يصير من الرّاسخين فى العلم به تعالى و بمواقع نعمه، و آثار ربوبيته، أ لا ترى أنّه لو جعل اللّيل سرمدا، أو جعل النّهار أبدا لانقطع نظام التّعايش، و انسدت أبواب النّمو و التزايد، و تأدّى انقلاب التّدبر إلى ما شرحه بتعذر فسبحانه من حكيم رءوف بعباده رحيم.

و قد سئل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن نقصان القمر و زيادته، فأنزل اللّه تعالى أنّ ذلك لمواقيت حجكم، و عمرتكم، و حل ديونكم و انقضاء عده نسائكم، و قوله تعالى:

آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهارِ إضافتهما على وجه التّبيين و الشّى ء، قد يضاف إلى الشى ء لأدنى علاقه بينهما، قال تعالى: فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ [سوره العنكبوت، الآيه: ۵]. و لما كان هو المؤجل، و قال فى موضع آخر: فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ* [سوره الأعراف، الآيه: ۳۴] لما كان الأجل لهم، فكذلك قوله: آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهارِ يعنى الآيه التى يختصّ بهما هذا فى إضافه الغير إلى الغير.

فأما إضافه البعض إلى الكل فقولك: خاتم حديد، و ثوب خز، فلا يمنع دخوله فيما نحن فيه، و يكون المعنى أنّ الآيه الممحوه كانت بعض اللّيل، كما أنّ الخاتم، يكون بعض الحديد، كأنّ اللّيل ازداد بالمحو آيتها سوادا، و يقال؛ دمنه ممحوه إذا درست آثارها و آياتها، و يقال: محوت الشى ء، أمحوه، و أمحاه و فى لغه على محيته، و حكى بعضهم: محا الشى ء و محاه غيره، و كتاب ماح، و ممحو و محوه، اسم لريح الشّمال لأنها تمحو السّحاب، و المحوه المطره التى تمحو الجدب و من كلامهم تركت الأرض محوه إذا جيدت كلها.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون عنى بآيه النّهار الشّمس، و بآيه اللّيل القمر، و عنى بالمحو ما فى ضوء القمر من النّقصان، و حكى عن السّلف أنّ المراد بالمحو الطّخاء الذى

فى القمر قوله: وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] هو على طريق النّسبه أى ذات إبصار، و فى موضع آخر: وَ النَّهارَ مُبْصِراً* [سوره يونس، الآيه: ۶۷] أى مضيئا و كما يقال هو ناصب أى ذو نصب، و يجوز أن يكون لما كان الإبصار فيها جعله لها، كما يقال رجل مخبت إذا صار أصحابه خبتا، و نهاره صائم، و ليله قائم.

و قال أبو عبيد يريد قد أضاء للنّاس أبصارهم، و يجوز أن يكون كقولهم: أصرم النّخل أى أذن بالصّرام، و أحمق الرّجل إذا أتى بأولاد حمق و قوله: لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] مثل قوله فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً* [سوره يونس، الآيه: ۶۷] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] و فى آخر: وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النبأ، الآيه: ۱۱] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ۷۳] و هذه الآى، و إن تشابهت فى معانيها، فقد اختلفت تفاصيل نظومها، فقوله: جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً أى يغشى كلّ شى ء من الحيوان و غيره فيصير ذا دعه و سكون و انقطاع عما يعالجه فى النّهار لابتغاء الفضل فيه، وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً أى وقت معاش، و المعاش، و المعيش ما أعان على الحياه به ممّا الحياه به، و ليس الحياه، قال أميه:

ما أرى من معيشى فى حياتى غير نفسى

و قد قال أبو العباس محمد بن يزيد: ثم يرى تفسيرهما جمله ثقه بأنّ السّامع يرد كلّا إلى ماله يريد مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ، ثم قال: لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا و السّكون فى اللّيل، و الابتغاء فى النّهار، و مثله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۲] و إنّما هو من أحدهما، فإن قال قائل: ما تصنع على هذا بقول سيبويه:

لا يقول لقيته فى شهرى ربيع إذا كان اللقاء فى آخره قال: و كذلك لا يجوز أن يقول لقيته فى يومين، و اللقاء فى أحدهما. قلت: هذا الذى قال صحيح لأنّ ذكرك الشّهر الذى لم يكن فيه اللّقاء، فصل و لكن لو و صفت الشّهرين بما يكون فى واحد منهما فجمعت الصّفه فيهما كان جيدا، و ذلك قولك فى الشتاء يكون المطر و يقعد فى الشّمس أى هذا و هذا، و كذلك فى شهرى ربيع تأكل الرّطب و التمر أى هذا فى أحدهما، و هذا فى أحدهما كما يقول: لو لقيت زيدا و عمرا لوجدت عندهما نحوا أو خطّا، إن كان النّحو عند أحدهما، و الخط عند الآخر فليس هذا بمنزله الأوّل لأنّ اللقاء فى أحد الشّهرين و الآخر لا معنى لذكره البتّه.

قال أبو العبّاس: و من ذلك قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۱۹] بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۰] ثم خبر بفضائلهما فقال:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۲] و إنما خرج من الملح لا من العذب و لكنه ذكرهما ذكرا واحدا فخبر بما يتضمّنانه. و كذلك قوله: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ۷۳]، فالسّكون فى اللّيل و الاكتساب فى النّهار، و لكن كما جمعهما فى الذّكر ابتداء جمعهما فى الخبر انتهاء، افتنانا فى النظم و تبحرا فى السّبك و ثقه بأنّ اللّبس عنه بعيد كيف رتب و فى قوله تعالى:

لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ* [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] إشاره إلى التّواريخ و ضبط مبالغ الدّيون و المعاملات و آمادها و مواقيتها، و ما فيه معاشهم و رياشهم و عليه تبتنى منافعهم و مصالحهم، و قد دخل تحت ما ذكرنا ما أشار تعالى إليه بقوله: وَ كُلَّ شَيْ ءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] و إن كانت هدايته أبلغ، و مجامع بيانه من اللّبس أبعد، فأما قوله تعالى من الآيه الأخرى التى أوردتها مستشهدا بها جعل اللّيل لباسا أى للتّودع و السّكون يقال فى فلان ملبس أى مستمتع.

قال امرؤ القيس شعرا:

ألا إنّ بعد العدم للمرء فنيهو بعد المشيب طول عمر و ملبسا

و قال ابن أحمر:

لبست أبى حتّى تملّيت عمره و ملّيت أعمامى و ملّيت خاليا

و يجوز أن يريد باللّباس السّتر لأنّ الليل عطاء كل شى ء و ستره كما قدّمنا، و الأحسن الأول يدل على ذلك قوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ، هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۷] و جعل العله فيما أحل منهنّ لهم من الرّفث إليهنّ كون الجميع لباسا أى مستمتعا و قوله: وَ النَّوْمَ سُباتاً أى راحه و أمنا و يقال: رجل مسبوت إذا استرخى و نام و سبت فلان العمل بالفتح إذا ترك العمل و استراح و انسبتت البسره، إذا لانت و قوله: وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] مثل قوله: إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزمّل، الآيه: ۷] أى ذهابا و تصرّفا فى طلب الرّزق، و لمّا كان النّشور فى النّهار جعله على المجاز نفسه، كقولك: فلان أكل و شرب على تقدير هو ذو أكل فحذف المضاف، أو لغلبه الفعل عليه، جعله كأنه الفعل على هذين الوجهين يحمل قوله شعرا:

ترتع ما رتعت حتّى إذا ادّكرت فإنّما هى إقبال و إدبار

و هو يصف وحشيه. قال بعض أصحاب المعانى النّشور فى الحقيقه الحياه بعد الموت بدلاله قوله شعرا:

حتى يقول النّاس مما رأوايا عجبا للميت النّاشر

و هو فی هـذا الموضع الانتباه من النوم و الاضـطراب من الـدّعه، و کما سـمّی اللّه تعالی نوم الإنسان وفاه بقوله تعالی: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها [سوره الزمر، الآیه: ۴۲] کذلک وفّق بین إبقاء من الموت فی التّسمیه بالنّشور.

و منه قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ [سوره الفرقان، الآیه: ۴۵] الآیه قوله أ لم تر لفظ استفهام و حقیقه البعث علی النّظر و المعنی انظر حتی تتعجب إلی ما مـدّه اللّه من الظّل و إنّما قلنا هـذا لأنّ المـد مـدرک متبیّن و تبیّن کیفیته یبعـد فی الوهم فکیف فی الإدراک فلا یعلمه إلا اللّه و هذا علی عادتهم فی التّفاهم بینهم یقولون: أ رأیت کذا، و المراد أخبرنی و أ رأیتک و أ لم ترک کـذا و هل رأیت کـذا، و لم تر إلی کـذا، و أ لم تر کیف کذا؟ و الفصل فی أکثره أن تعق المخاطب علی ما تجب منه من المـدعو إلیه، و قـد استعمل هـل رأیت معـدولا به من حیث المعنی علی ظـاهره أیضـا؟ و ذلـک کقول القائـل: متی إذا جنّ الظلام، و اختلط جاءوا بمـذق؟ هل رأیت الـذئب قط؟ و یسـمّی مثل هـذا التّصویر لأنّ المعنی جاءوا بمذق أورق فصوّروا الورقه بلون الـذئب، فأمـا قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ [سوره البقره، الآیه: ۲۵۸] فمعناه أ رأیت کالذی حاجّه بین ذلـک ما عطف علیه من بعـد لأنه تعالی قال: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ [سوره البقره، الآیه: ۲۵۹] لأنّ المعنی علی ذلک، و الکلام جار علی التعجب، و لفظه إلی تأتی إذا حملت أ رأیت علی النظر.

فأما قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ [سوره الفیل، الآیه: ۱] فالمعنی أ لم تعلم و لا یحتاج إلی ذکر إلی.

و المراد بالظّل عنـد بعضـهم الذی یکون بعد طلوع الفجر فی انبساط و قبل طلوع الشّـمس و ظهورها علی الأرض، و قد قال أهل اللغه فی الفرق بین الظّل و الفی ء إنّ الظّل یکون بالغـداه و العشیّ، و الفی ء، لا یکون إلا بالعشـی لأنه اسم للـذی فاء من جانب إلی جانب. و منه قولهم فی ء المسـلمین للغنائم و الخراج الرّاجعه إلیهم. و قد جاء ما یفید فائدته فی صـفه الظّل فی مواضع، منها أکلها دائم و ظلّها. و منها قوله: و ظلّ ممدود، فجعل ما فی الجنه ظلالا فیئا، و کان رؤبه یقول: الظل ما لم تنسـخه الشّـمس، و هو أول و الفی ء مـا نسـخته الشّـمس، و هو آخر، و قـالوا: الظل بالغـداه و العشـی، و الفی ء بالعشـی، و قیل أیضا: الظل یکون لیلا و نهـارا، و الفی ء لاـ یکون إلّا بالنّهار، و ما نسـخته الشـمس ففی ء و کان فی أول النهار فلم تنسـخه الشّـمس، و قیل الظّل للّیل فی کلام العرب قال:

و کم هجرت و ما أطلقت عنهاو کم ربحت و ظلّ اللّیل دان

فجعل للّیل ظلا و قول الآخر و تفیئوا الفردوس ذات الظّلال، اتّساع أیضا لأنه جعل للأفیاء ظلالا فأما قوله شعرا:

فلا الظّل من برد الضّحى نستطيعه و لا الفى ء من برد العشى نذوق

فقد فصل بينهما قوله: وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] سئل عنه متى كان متحركا فقيل: معنى السكون هاهنا الدوام و الثبات، أ لا ترى أنك تقول للماء الساكن الواقف ماء دائم و راكد و يمكن أن يقال: إنّ السّاكن هاهنا من السّكنى لا من السكون أى لو شاء لجعله ثابتا لا يزول كما أنّ سكنى الرجل الدّار يكون إذا قام و ثبت.

و قوله: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] يراد به أنّه لو لا الشّمس لما عرف الظل، فاللّه تعالى يقبضه و يبسطه فى اللّيل و النّهار، و على هذا يكون الدّليل بمعنى.

الدّال.

و قال بعضهم المعنى دللنا الشّمس على الظّل حتى ذهبت به و نسخته أى أتبعناها إياه قال: و يدلّك على ذلك قوله: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۶] أى شيئا بعد شى ء فعلى طريقته يكون دليلا فعيلا فى معنى مفعول لا فى معنى الدّال، و روى عن الحسن أنه كان يقول: يا بن آدم أما ظلّك فسجد للّه، و أما أنت فتكفر بالله.

و قال بعضهم: و قد أحسن ما قال: الظلّ من آيات اللّه العظام الدّاله بإلزامه الإنسان منه ما لا يستطيع انفكاكا عنه، فدلّ بذلك على لزوم القمر له و لسائر الخلق قال اللّه تعالى:

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] فظلال الأشياء تمتد عند طلوع الشّمس من المشرق طولا ثم على حسب ارتفاع الشّمس فى كبد السّماء تقصر حتى ترجع إلى القليل الذى لا تكاد تحس، و حتى يصير عند انتصاف النّهار فى بعض الزّمان بمنزله النّعل للابسها، ثم يزيد فى المغرب شيئا شيئا حتى تطول طولا مفرطا، قبيل غروب الشّمس و إلى غروبها. ثم يدوم اللّيل كلّه، ثم يعود فى النّهار إلى حاله الأولى، فالشّمس دليل عليه لو لا الشّمس ما عرف الظّل، فاللّه بقدرته القاهره يقبضه و يبسطه فى اللّيل و النّهار. و إنّما قال: قَبْضاً يَسِيراً لأنّ الظّل بعد غروب الشّمس لا يذهب كلّه دفعه واحده، و لا يقبل الظلام كلّه جمله واحده، و إنّما يقبض اللّه تعالى ذلك الظّل قبضا خفيا و شيئا بعد شى ء، و يعقب كل جزء منه بقبضه بجزء من سواد اللّيل حتى يذهب كلّه، فدلّ اللّه على لطفه فى معاقبته بين الظّل و الشّمس و اللّيل، و من كلامهم وردته و الظّل عقال و طباق و حذاء. و قال:

و لو احقت أخفافها طبقاو الظّلّ لم يفضل و لم يكر

أى لم ينقص، و يقولون: لم يزل الظّل طاردا أو مطرودا، و محولا، و ناسخا، و منسوخا، و سارقا، و مسروقا، و كلّ الذى ذكرت عند التّحصيل بيان و تفصيل لما أجمل فيما قدّمته، و سيجى ء من صفات الظّل و أسمائه فى بابه ما تزداد به أنسا بما ذكرناه.

و أما قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] الآيه فقوله: من شى ء من دخلت للتّبيين كدخولها مع المعرفه فى قوله: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ [سوره الحج، الآيه: ۳۰] و المعنى من شى ء له ظلّ كالشّخوص، و من هذه قد تجى ء مع النّكره فتلزم و لا تحذف تقول: من ضربك من رجل و امرأه فاضربه. هذا فى الجزاء كقوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ و إنّما كرهوا حذف من لأنهم خافوا أن يلتبس الكلام بالحال إذا قلت إلى ما خلق اللّه شيئا، و معنى الحال هاهنا بعيد فألزموه من ليعلم به أنه تفسير و تبيين لما قد وقع غير مؤقت يكشف هذا أنّك لو قلت: للّه درّه من رجل، جاز أن يقول: للّه دره رجلا، و من رجال فإنك قد أمنت الالتباس بالحال إذا لم يكن ذلك موضعه.

فأما قولك: للّه درك قائما، فإنّما جاز سقوط (من) لأنّ الذى قبله مؤقت فلم يبال التباسه بالحال، قوله تعالى: يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] معناه ما قدّمته فى بيان قوله تعالى: كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] و كشفه أن جميع ما خلقه عزّ و جلّ ظلّه يدور معه و يمتدّ لا ينفك منه حتى لو رام انسلاله من دونه لما قدر عليه يصحبه مقبلا و مدبرا، و كيف مال زائدا عليه و ناقصا منه ليذكره عجزه، و يصوّر له أنه على تصرفه المتين فى لزام أضعف قرين و ذلك تفيؤه أى ترجعه يمنه و يسره و متنعلا من تحت، و معتليا من فوق على حسب اختلاف الأحوال، فيكون للأشخاص فى ء عن اليمين و الشمائل إذا كانت الشّمس على يمين الشخص، كان الفى ء عن شماله، و إذا كانت على شماله كان الفى ء عن يمينه، و قيل: أول النّهار عن يمين القبله، و فى آخره عن شمال القبله، و معنى قوله: سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] انها بآثار الصّنعه فيها خاضعه للّه تعالى، و ذكر السّجود قد جاء فى هذا المعنى فى غير هذا الموضع قال: (غلب سواجد لم يدخل بها الحصر)، و قال آخر:

بجمع تضلّ البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجّدا للحوافر

و المراد الاستسلام بالتسخير و الانقياد.

فأما قوله تعالى: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ [سوره الكهف، الآيه: ۱۷] بعد أن قال: فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً [سوره الكهف، الآيه: ۱۱] فمعنى ضربنا على آذانهم أى أمتناهم، و منعناهم الإدراك، و يقال فى الجارحه: إذا أبطلتها ضربت عليها، و فى الممنوع عن التصرف فى شى ء ضربت على يده، و معنى تزاور، و تزور تنحرف عنهم، أى تطلع على كهفهم ذات اليمين و لا تصيبهم، و العرب تقول: قرضته ذات اليمين، و قرضته ذات الشمال، و قرضته قبلا و قرضته دبرا، و حذوته ذات اليمين و ذات الشمال، أى كنت بحذائه من كلّ ناحيه، و أصل القرض القطع- أى تعدل عنهم و تتركهم.

و قيل: إنّ باب الكهف كان بإزاء بنات نعش فلذلك لم يكن الشّمس تطلع عليه و إنما جعل اللّه تعالى ذلك آيه فيهم، و هو أنّ الشّمس لا تقربهم فى مطلعها و لا عند غروبها. و قال اللّه تعالى: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۶] و قد بيّن اللّه المراد بما ذكرنا فى آيه أخرى فقال تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [سوره الرعد، الآيه: ۱۵] يريد الانقياد فى الطاعه من الملائكه و المؤمنين فى السّماوات و الأرضين، و أنه يستسلم من فى الأرض من الكافرين كرها و خوفا من القتل، و ظلالهم بالغدوّ، و الآصال يؤدّى ما أودع من آيات الحكم و غرائب الأثر فسبحانه من معبود حقّت له العباده من كلّ وجه، و على كل حال فلا يتوجه إلا إليه و إن قصد بها غيره، و لا تليق إلا به دون من سواه و الدّاخر: الصّاغر، و يقال: تفيّأت الشّجره بظلها إذا تميلت. فأما قوله شعرا:

تتبع أفياء الظّلال عشيّهعلى طرق كأنّهن سبوب

فإنما أضاف الأفياء إلى الظّلال لأنه ليس كلّ ظل فيئا، و كل فى ء ظل، و تحقيق الكلام تتبع ما كان فيئا من الظلال، و مثله فى الاتساع قول الآخر:

لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبيهو فاز باللّحم للقوم المراجيل

لأن المنصوبه هى الأخبيه، و يقال: أظلّ القوم عليهم أى أوقعوا عليهم ظلالهم، و إنما قال: و هم داخرون، لأن المنسوب إليها من أفعال العقلاء، فأعيرت عبارتهم، و قد مضى مثل هذا.

و منه قوله تعالى: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۷] إلى تظهرون.

اعلم أنّ قولك: سبحان مصدر كقولك: كفران، و غفران إلا أنّ فعله لم يستعمل، و لو استعمل لكان سبح مثل كفر و غفر، و معناه التّبعيد من أن يكون له ولدا، و يجوز الكذب عليه و التّنزيه له، و البراءه من السّوء و كل ما ينفى عنه إلا أنه التزم موضعا و لم يجر مجرى سائر المصادر فى التّصرف و الاستعمال. و ذلك أنّه لا يأتى إلا منصوبا مضافا و غير مضاف، لكنّه إذا لم يضف ترك صرفه فقيل: سبحان من زيد، قال الأعشى شعرا:

أقول لمّا جاءنى فخرفسبحان من علقمه الفاخر

فلم يصرفه لأنّه معرفه فى آخره ألف و نون زائدتان فهو كعثمان، و سفيان كأنّه أجرى مجرى الإعلام فى هذا، و هم يحملون المعانى على الذّوات فى تخصيصها بأشياء كالأعلام لها، و على ذلك أسماء الأفعال، فأمّا قولهم: سبّح تسبيحا، فهو فعل بنى على سبحان، و معنى سبّح اللّه، أى قال: سبحان اللّه فهو عروض قولهم: بسمل إذا قال بسم اللّه، و قد

أطلق سبّح فی وجوه سوی هذا.

منها الصلاه النّافله یشهد لهذا قوله تعالی: فَلَوْ لا أَنَّهُ کانَ مِنَ الْمُسَبِّحِینَ [سوره الصافّات، الآیه: ۱۴۳] أی من المصلّین، و هو مستفیض أنّ السّبحه هی النافله، و کان ابن عمر یصلی سبحته فی موضعه الذی یصلی فیه المکتوبه.

و منها الاستثناء کقوله تعالی: قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآیه: ۲۸] أی لو لا تستثنون. و قیل: هی لغه لبعض أهل الیمن و لیس للکلام وجه غیره لأنّه تعالی قد قال: قبل ذلک: إِنَّا بَلَوْناهُمْ کَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّهِ إِذْ أَقْسَمُوا لَیَصْرِمُنَّها مُصْبِحِینَ، وَ لا یَسْتَثْنُونَ [سوره القلم، الآیه: ۱۷- ۱۸] ثم قال: قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآیه: ۲۸] فأذکرهم ترکهم الاستثناء، و المراد من اللّه تعالی أن یعرفنا عبادته و یعلمنا حمده و ما یستحق به إذا أقمناه و کأنه قال: سبّحوا اللّه فی هذه الأوقات و تذکّروا فی کلّ طرف منها ما یجدد عندکم من أنعامه، ثم قابلوا علیه بمقدار وسعکم من الحمد و التّسبیح. قوله: حین تمسون و حین تصبحون- أی إذا أفضیتم إلی الصّباح و المساء و حق النّظم أن یکون حین تمسون و حین تصبحون و عشیا و حین تظهرون، لکنه اعترض بقوله تعالی: لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره الروم، الآیه: ۱۸] و مثل هذا الاعتراض إلا أنه أبین الفعل و الفاعل قوله شعرا:

و قد أدرکتنی و الحوادث جمّهأسنّه قوم لا ضعاف و لا نکل عزل

و فی القرآن: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ [سوره الواقعه، الآیه: ۷۵- ۷۶- ۷۷]، ففصل بین الیمین و جوابها کما تری، و حسن ذلک لأن المعترض یؤکّد المعترض فی الأوّل، و الحمد إذا اقترن بالتّنزیه و التّسبیح صار الأداء أوفر بهما و أبلغ، و الصّبح، و الصّباح، و الإصباح کالمسی ء، و المساء، و الإمساء، و هذا مما حمل فیه النّقیض علی النّقیض، و علی هذا المصبح و الممسی، و جاء فالق الإصباح، و یعنی به الصّبح و صبّحت القوم أتیتهم صباحا، أو ناولتهم الصّبوح، و یقولون: یا صباحاه إذا استغاثوا، و المصباح السّراج، و اصطبحت بالزّیت، و الصّباح قرط المصباح الذی فی القندیل و العشی آخر النهار، فإذا قلت عشیّه: فهی لیوم واحد، و العشی السّحاب لأنه یغشی البحر بالظّلام الذی یتلخّص به الآیه أن یعلم أنّ المساء منه ابتداء الظّلمه کما یکون من الصّبح ابتداء النّور، و الظّهیره نصف النّهار، و فلان یرد الماء ظاهره إذا ورد کلّ یوم نصف النّهار یقول، فعلموا اللّه تعالی بما یدلّ علیه آیاته فی الصّباح و المساء، و الغدو، و الرّواح فإنّ فی معنی کلّ لمحه من هذه الأوقات بما یحویه من غرائب صنع اللّه فی تبدیل الابدال، و تحویل الأحوال و إیلاج اللّیل فی النهار و النّهار فی اللّیل إیجاب شکره علینا معشر عبیده مؤتنف،

و إلزام حمده ببقاء الزّمان متّصل قوله تعالى: وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره الروم، الآيه: ۱۸] يريد به فى أهل السّماوات و الأرض، فهو على حذف المضاف كقوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ و المراد أهلها، و المعنى أنه محمود فى كلّ مكان و بكلّ لسان.

و ذكر بعض المفسرين أنّ قوله: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۷] الآيه دالّه على أوقات الصلاه، و هذا سائغ و إن كانت الفوائد فيما ذكرناه أعمّ و قد قال اللّه تعالى فى موضع آخر: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] الآيه، منبها على أوقات الصلاه مجملا، و تاركا تفصيلها و بيانها للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و الدّلوك مختلف فيه فمنهم من يجعله الزّوال و منهم من يجعله الغروب، و هذا كما اختلفوا فى الآيه الأخرى و هى:

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [سوره البقره، الآيه: ۲۳۸]، فمنهم من قال: أراد بالوسطى العصر، و منهم من قال: أراد بها الفجر و يجوز أن يكون المفروض بقوله: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] أربع صلوات فى النّهار صلاتان: الظهر و العصر، و فى اللّيل صلاتان: المغرب و العشاء الآخره.

و قوله تعالى: كانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] أى يشهده الملائكه، و يجوز أن يكون المراد حقه أن يشهد، و الغسق الظّلمه. فأما اختصاص السّماوات و الأرض بالذّكر من بين الأشياء كلّها فلشمولها لكل مخلوق، و مثله قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ۳] و المعنى و هو الذى يحق له العباده، و إذا كان كذلك فكلّ مذكور معلوم داخل فيهما، و يكون قوله: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ۳] خبرا ثانيا أى هو إله فى الأرض كما هو إله فى السّماء لا يخفى عليه خافيه.

و يحتمل أن يكون المراد و هو اللّه فى السّماوات أى هو معبود فيها، و قد تم الكلام و يكون قوله: وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ۳] على أنه خبر ثان، و المراد أنه معبود فى جميع ذلك عالم بالسر و الجهر. و قيل فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ [سوره الزخرف، الآيه: ۸۴] أنّ الخلق يؤلهون إليه- أى يفزعون فى الشدائد إليه مستعينين به(۱) و أهل الأرض متساوون فى حاجتهم إلى رحمته و جميل تفضله. فأما قوله: فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ [سوره الزخرف، الآيه: ۸۴] فإله مشترك غير مخصوص و جاز فيه الجمع كما جاء: اجشاء الآلهه إلها واحدا.

و كما قال: اجشاء لنا إلها كما لهم آلهه و هو يعمل عمل الفعل، أ لا ترى أنّ قوله:

۱- كذا فى الأصل، و الظاهر، و أهل السّماء، و أهل الأرض ۱۲ الحسن النعمانى.

وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلٰهٌ الظّرف فیه متعلق بما فی الإله من معنی الفعل و فی تقدیره و إعرابه عده وجوه: منها أن یقال: إنّ العائد إلی الـذی محـذوف کأنّه قال: و هو الذی هو فی السّـماء إله و فی الأرض إله، و ساغ حذف العائد بطول، و هی قوله فی السّـماء إله و فی الأرض إله، و هـذا کما حکی عنهم ما أنا بالـذی قائل لک شـیئا، و قـد قال الخلیل: إنی أستحسـنه إذا طال الکلام فهذا وجه، و یجوز أن یقال: إنه مرتفع بالابتداء و خبره فی السّماء و فی الأرض و العائد إلی الذی هو الذی یعود إلی إله لأنّ الذی هو فی المعنی و الحمـل علی المعنی مـذهب أبی عثمان، و قال مع ذلک لو لا کثرته لرددته، و مثله قول القائل: أنت الـذی فعلت، و قوله:

(أنا الذی سـمتنی أمی حیدره) و القیاس فعال، و سمته و قوله: وَ هُوَ اللّٰهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ [سوره الأنعام، الآیه: ۳] الظّرف لا۔ یتعلق بالا۔سم أعنی لفظه اللّه علی حـد مـا یتعلق بـإله إلا۔ علی حـد ما ذکره لک، و هو أنّ الاسم لما عرف منه معنی التّدبیر للأشیاء و إبقائها بحفظ صورها فی نحو: أنّ اللّه یمسک السّماوات و الأرض أن تزولا، و نحو:

و یمسـک السّـماء أن تقع علی الأ۔رض إلا۔ بـإذنه، و نحو: أمن جعل الأرض قرارا، و جعل خلالها أنهارا، صار إذ ذکر کأنه ذکر المـدبّر و الحافـظ فیجوز أن یتعلّق الظّرف بهـذا الـذی هو الاسم العالم بعـد أن صار مخصوصا و فی حکم أسـماء الأعلام التی لا معنی فعل فیها، فهذا بمعنی الاسم، و ما کان یدل علیه من قبل من معنی الفعل.

و علی هـذا تقول: هو حـاتم جوادا، و هو أبو حنیفه فقیهـا، و هو زهیر شـاعرا، فتعلق الحـال مما دخل فی هـذه الأسـماء من معنی الفعل لاشتهارها بهذه المعانی، فلا تری أنک لا تقول: هو زید جوادا ما لم یعرف بذلک و علی هذا تقول: هو حاتم کلّ الجواد، و هو أبو حنیفه کل الفقیه.

و منه قوله تعـالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللّٰهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ* [سوره یونس، الآیه: ۳] الآـیه، لما کان اللّه تعالی خالق الأشـیاء و مبتـدعها، و مدبّر الأفلاک و مسـخّرها، و کانت الأبصار لا تدرکه، و الأقطار لا تحده، و أراد مع ذلک أن یعرف نفسه إلی من یتعبّده من خلقه لتسـکن نفوسهم إلی مصطنعهم فیعتصموا به و یتمسکوا بدعائه أحالهم علی مراده من ذلک بآثاره و آیـاته فی أرضه و سـمائه، إذ کـان الطریـق إلی معرفه الشـی ء إمـا أن یکـون بمـا یـؤدی إلیه رواتب الحس، و هی الأجسـام و الأعراض، أو بما یبرهن علیه دلائل الصّـنع، و هو ما یکشف عند الاسـتدلال، فأعلم المشرکین فیما أنزله أنّ الذی یجب تعظیمه و یحق ربوبیته هو خالق السّـماوات و الأرض فی سـته أیام، فتوصّـلوا إلی معرفه ما نصـبه من أدلّته، فسیشـهد لکم من جلائل قوّته و عزّته ما یزیـد فی البیان علی ما یصل إلیه الواحد منکم بحاسّـته و یصوّر لکم النّظر بما مهل فی أوائل عقولکم ما تمیّز الشّک من الیقین لکم و تخلّص الصفو من الکدر

فی معتقدکم، فالآله تامه، و العلّه منزاحه، و ما کلف بما کلفتم إلّا بحکمه بینه، و طریقه فی فنون الصّواب ثابته، و إنما خلقهما فی سته أیام لیعرف عباده أن الرفق فی الأمور، و ترک التّعجیل هو المرضی المختار فی التّدبیر لأنّه تعالی لو شاء أن یخلقهما فی أدنی اللّمحات، و أوحی(۱) الأوقات لما مسّه فیما یأتیه إعیاء و لا لغوب، و لا أعجزه کلال و لا فتور.

و إنّما أراد أن یحدثه حالا بعد حال لتدرک ثمرات عبرهم شیئا بعد شی ء، و لیتأدّب أولو البصائر بآیاته، و حمله قرنا بعد قرن، یبیّن هذا أنه تعالی نهی نبیّه علیه السلام فیما یتلقّاه من وحیه، و لا تعجل بالقرآن من قبل أن یقضی إلیک وحیه وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً [سوره طه، الآیه: ۱۱۴] و قال أیضا: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلًا فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ [سوره الإنسان، الآیه: ۲۳- ۲۴]، ثم جعل فیما نزّله مجملا و مطلقا و لو شاء لجعل الکلّ مفسرا، و نعی علی الکفار لما قالوا: لو لا نزل علیه القرآن جمله واحده. و قال: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا [سوره الفرقان، الآیه: ۳۲] و هذا أحسن.

و قال بعض مشایخ أهل النّظر: لو أراد اللّه تعالی أن یخلقها و یخلق أضعافا کثیره معها لفعله، و هو علیها قادر لکنه جعلها فی سته أیام لیعتبر بذلک ملائکته الذین کانوا یشاهدونه، و هو یحدث شیئا بعد شی ء فی هذه الأیام الستّه عبره مجدده، و یستدل بکل ما یحدث دلاله مستأنفه و لیکون ذلک زیاده فی بصائرهم، و الحجه التی یقیمها علیهم، فقیل له فی ذلک: إن کان ذلک حکمه فیجب أن یطرد فی جمیع ما خلقه و لیس الأمر علی هذا علی أنّ ذلک لیس بسائغ لأنّ الملائکه لا یستغنون عن مکان یحویهم و إذا کان لا مکان فی العالم إلّا السّماء و الأرض فلیس یعقل کون الملائکه قبل کونهما.

و یمکن أن یقال: فی هذا و اللّه أعلم أنه تعالی أعلمنا أنه أحدث شیئا بعد شی ء حتی وجدت عن آخرها فی ستّه أیام، و بیّن لنا بذکر الأیّام السّته ما أراد أن یعلّمنا إیاه من الحساب الذی لا سبیل لنا إلی معرفه شی ء من أمور الدّنیا و الدّین إلا به، کما قال: وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ [سوره یونس، الآیه: ۵] الآیه. فأصل جمیع الأعداد التّامه سته، و منها: یتفرع سائر الأعداد بالغا ذلک ما بلغ إذ کان ما عداها من الأعداد ناقصا، أو زائدا.

أ لا تری أنّ لهذا النّصف و هو ثلاثه و الثّلث، و هو اثنان، و السّدس، و هو واحد، و إذا حسبت جمیعها کانت سته، و عند من یعتنی بهذا الشأن أن نظیر السته من العشرات ثمانیه و عشرون، و کذلک لها فی کل من المائتین و الألوف نظیر واحد، فالسّته أول الأعداد التامه

۱- أی أسرع الأوقات ۱۲ قاموس.

كما أنّ التسعه منتهى الأنواع كلها الآحاد و العشرات و المئات و الألوف لاشتمالها على الفرد، و هو واحد و الزّوج و هو اثنان و الزّوج و الفرد، و هو ثلاثه و الزّوجين، و هو أربعه، و قد انتهى أنّ ما يجى ء من بعد يكون مكررا، و إذا حسبت الجميع كان تسعه، فكأنه سبحانه من حكيم أراد أن يكون انتهاء خلقه للعالم بأسره إلى عدد تام فيما يحصى كما أنّه فى نفسه تام لا بخس فيه و لا شطط فيما يروى و يتلى.

و نظير هذه الآيه قوله تعالى فى موضع آخر: و إن كان فيه زياده بيان، و سنحكم القول فى جميعه لأنّ ما فيه من زياده بيان نقيضه إن شاء اللّه تعالى.

و قوله تعالى: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ [سوره فصّلت، الآيه: ۹] إلى فِی أَرْبَعَهِ أَیَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِینَ [سوره فصلت، الآيه: ۱۰] يريد ما أضيف إليه لو لا ذلك لما كان لقوله سواء للسائلين معنى فكأنه قال فى تمام أربعه أيام سواء لمن يسأل عن ذلك، ثم قال: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۱] إلى فِی یَوْمَیْنِ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۲].

و اعترض بعض الملاحده فقال: هذا باطل إنكم وفقتم بين التفصيل فى هذه الآيه و بين الإجمال فى الآيه المتقدّمه، بأن تقولوا: قوله فى أربعه أيام، يريد مع اليومين الذين خلق الأرض فيهما، فما قولكم فى قوله: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ الآيه. فدلّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السّماء.

و قال فى موضع آخر: أَمِ السَّماءُ بَناها إلى وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها [سوره النازعات، الآيه: ۲۷، ۳۰] فدلت هذه الآيه على أنه خلق السّماء قبل الأرض.

و الجواب أنه إنما كان يحد الطّاعن متعلقا لو قال: و الأرض بعد ذلك خلقها، أو أنشأها و إنّما قال: دحاها، فابتدأ الخلق فى يومين، ثم خلق السّماوات و كانت دخانا فى يومين، ثم دحا بعد ذلك الأرض أى بسطها و مدها و أرساها بالجبال و أنبت فيها الأقوات فى يومين فتلك سته أيام و ليس أحد أنه تعالى لها فى سته أيام إلا كتكوينه إياها فى غير مده و لا زمان لكن الحكمه التى دللها عليها أوجبت تقسيمها و الإتيان بها على ما ترى.

و قال فى موضع آخر: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ* [سوره يونس، الآيه: ۳] و كان عرشه على الماء، و هذا أبلغ فى الأعجوبه أن يكون العرش هذا البناء العظيم على الماء و إنما يراعى فى أسباب الأبنيه و وضع قواعدها أن يكون على أحكم الأشياء فهو مثل ابتداع أعيانها و إقامتها بلا عهد و لا علاقه. و قوله: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۱] أى قصد خلق السّماء كما خلق الأرض سواء، و عمد إليها بعقب خلقها من غير

حائل بينهما و ذلک تکوينه لهما جميعا كما أراد. و هذا كما يقال: فعلنا كذا، ثم استوينا على طريقنا، أو استمررنا فيها سائرين و لم يشغلنا عن الامتداد شاغل. قال زهير فى مصداق ذلک:

ثم استمرّوا و قالوا إنّ موعدكم ماء بشرقى سلمى فيد أو رکک

و يروى ثم استووا، و تنادوا، و قد كان اللّه تعالى قبل تسويته إياها على ما هى عليه خلقها دخانا، فكون بعد ذلک من الدّخان سماء و شمسا و قمرا و كواكب و منازل و بروجا و قوله: اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآيه: ۳] يريد الاستيلاء، و الملک يدل عليه قول بعيث:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

يعنى بشر بن مروان لما ولى العراق، و العرش يحتمل أن يكنى به عن الملک و إن كان الأصل فيه ما يتخذه الملوک من الأسرّه، و لهذا قيل لقوّام أمر الرّجل العرش، و إذا اضطرب قيل ثلّ عرشه، و يحتمل أن يراد به السّماوات و الأرض لأنّ كلها سقف عند العرب، و يقال:

عرشت الشى ء، و سمكت، و سقفت، و سطحته بمعنى، و يكون مجى ء ثمّ على هذا النّسق خبرا على خبر لا لترتيب وقت على وقت و مثل هذا قول الشاعر:

قل لمن ساد ثمّ ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلک جدّه

و ذكر بعض شيوخ أهل النظر أنّ ثم إنما هو لأمر حادث، و استيلاء اللّه على العرش ليس بأمر حادث بل لم يزل مالكا لكل شى ء، و مستوليا على كل شى ء فيقول: إنّ ثم لرفع العرش إلى فوق السّماوات و هو مكانه الذى هو فيه فهو مستول عليه و مالک له فثمّ للرفع لا للاستيلاء، و الرّفع محدث، قال و يشبه هذا قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ [سوره يونس، الآيه: ۳۱] لأنّ حتّى يكون لأمر حادث و علم اللّه ليس بحادث. و إنّما المعنى يجاهد المجاهدون و نحن نعلم ذلک و إنّما قال هذا لأنه لم يعرف ما ذكرناه من الوجه الثّانى فى ثم، و معنى يغشى اللّيل النّهار أى يغطى ضياءه و نوره، فهو كقوله: يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ* [سوره لقمان، الآيه: ۲۹] قوله: يطلبه حثيثا أى يطلب اللّيل النّهار، و الحثيث السّريع، و ذلک كما قال: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآيه: ۴۰] جعل التّعاقب كالطّلب و قد مرّ القول فى ذلک مستقصى.

قوله تعالى: مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ* [سوره النحل، الآيه: ۱۲] أى بإرادته و انتصب القمر و ما بعده بالفعل، و هو خلق، و مسخّرات انتصبت على الحال أى سخّرت بالسير، و الطّلوع و الغروب. قوله تعالى: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [سوره الأعراف، الآيه: ۵۴] المراد بالخلق

المخلوق و للأمر فی اللغه وجوه تجی ء و معناه الإراده و الحال و مصدر أمرت، و تختص هنا بالإراده علی ذلک قوله تعالی: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ [سوره الروم، الآیه: ۵۴].

و المعنی الأمر کله له لا شریک معه فی شی ء و لا معین، و لا وزیر، و لا ظهیر. و إنّ إرادته هی النافذه لا ترتد و لا تبوء، و لا تتوقّف، و لا تکبو، بل یحصل المراد علی الوجه الذی یریده بلا تعب و لا نصب.

قوله تعالی: فَتَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ [سوره غافر، الآیه: ۶۴] تمجید و تجلیل، و هذا تعلیم من اللّه کیف یمجد کما أنّ قوله تعالی: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ [سوره الفاتحه، الآیه: ۲]، تعلیم کیف یحمد، و العالمین الخلائق. و قال بعضهم: هو من العلامه لأنه بآثار الصّنعه فیه یدل علی الصّانع فهو کالعلامه له فی الأشیاء، و قیل هو من العلم کأنه علم الصانع جری مجری قولهم الخاتم و الطّابع لأنه یختم بهما الشی ء و یطبع، ثم اختیر له جمع السلامه لغلبه العقلاء النّاطقین. و قوله تعالی من الآیه الأخری: ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ [سوره فصّلت، الآیه: ۹] بعد قوله: لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ تبکیت للمخاطبین و إزراء بهم. و إنّ أمثال کیدهم لا یعبأ بها و لا تأثیر لها مع خالق أصناف الأشیاء کلّها علی اختلاف فطرها. و تلخیص الکلام أ تکفرون بمن هذه آثاره، و تجحدون نعمه علیکم، مع ادعاء شرکاء له ذلک رب الأرباب و خالق الأرض و السّماوات، و هو لنا و لکم بمرصاد.

و معنی قوله تعالی: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً [سوره فصّلت، الآیه: ۱۱] بیان التکوین، و قوله تعالی: قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ [سوره فصّلت، الآیه: ۱۱] بیان حسن الطاعه، و سرعه التکوّن لکنه لمّا جعل العباره مبنیه علی الابتداء و الجواب بالألفاظ المستعاره و الأمثال المضروبه لتمکن فی نفوسهم و تعشش فی صدورهم جریا علی عادتهم فی أفانین الکلام، و أسالیب التّصاریف فی الاستفهام و الأفهام، و إخراجهم ما لا نطق له البتّه فی صوره النّاطق حتی صارت أجوبه أسند لهم إذا واجهوها، و إن کانت من عندهم کأنها من مخاطب، إذ کان اعتبارهم یغنی عن الجواب و المجیب، حتّی قال بعضهم: إذا وقفت علی المزارع المرفوضه و الدّیار الدّارسه المتروکه فقل: أین من شقق أنهارک و غرس أشجارک، و جنی ثمارک؟ أین من بنی دورک و أسّس ربوعک و عرّش سقوفک؟ فإنها إن لم تجبک جوارا أجابتک اعتبارا. فعلی هذا الذی رتّبنا الکلام صار ظاهر بناء الأمر بالإتیان طوعا أو کرها إیجابا لحصول الفعل حتی لا معدل عنه إذا کان وقوع الفعل من الفاعلین لا یقع إلّا علی أحد هذین الوجهین، و هذا کاف لمن تدبّر.

فأمّا الطّوع و الکره و الطائع و المکره و استعمال النّاس لهما فیما یثقل أو یخف و یهون أو یشتد فظاهر، و قد قال اللّه تعالی فی قصه ابنی آدم: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ [سوره

المائده، الآیه: ۳] أی سهّلته علیه و دمثته. و أما التأنیث فی قال لها و قالتا فللفظ السّماء و الأرض و کونهما فی لغتهم مؤنثین، و أما جمع السّلامه فی طائعین فلما أجری علیهما من خطاب الممیزین، و قد مضی مثله. و روی فی التّفسیر أنّ ابتداء خلق الأرض کان فی یوم الأحد، و استقام خلقها فی الاثنین، و بارک فیها و جعل فیها رواسی فی تتمه أربعه أیام مستویات تامّات للسائلین عنها ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ [سوره فصّلت، الآیه: ۱۱] أی عمد فقضاهن سبع سماوات فی یومین أی أحکمهما و فرغ منهما قال الهذلی:

و علیهما مسرودتان قضاهماداود أو صنع السّوابغ تبّع

و قیل: اللّام فی للسائلین تعلق بقوله تعالی: وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها [سوره فصّلت، الآیه: ۱۰] و المعنی قدر الأقوات لکلّ محتاج إلیها سائل لها، و الأول أحسن فی النّظم و أجود، و یجوز أن یکون المراد بقوله تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ أی قصد لبنائها من غیر فصل و لا زمان کما یقال لمن کان فی عمل و أرید منه إتمامه و ترک الانقطاع عنه استقم ما أنت علیه و معنی: جَعَلَ فِیها رَواسِیَ [سوره فصّلت، الآیه: ۱۰] أی جبالا ثوابت تمسکها، و هذا کما قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً [سوره النبأ، الآیه: ۶، ۷] و قوله: سَواءً المنتصب علی المصدر أی استوت سواء، و استواء، و یجوز الرفع علی معنی و هی سواء أی مستویات. و یجوز الخفض علی أن یکون صفه لقوله فی: أَرْبَعَهِ أَیَّامٍ سَواءً [سوره فصّلت، الآیه: ۱۰] و المعنی مستویات.

و قوله تعالی: وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سوره فصّلت، الآیه: ۱۱] المراد بالوحی الإراده و التکوین، و المعنی أخرج کل واحده من السّماوات علی اختلافها علی ما أراد کونها علیه و قدّرها من مراده قال تعالی: وَ کانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً [سوره الأحزاب، الآیه: ۳۸] و کما جعل السّماوات سبعا شدادا کذلک خلق الأرض سبعا طباقا بدلاله قوله تعالی: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ [سوره الطلاق، الآیه: ۱۲] و قوله: وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ حِفْظاً [سوره فصلت، الآیه: ۱۲] یرید جعلنا الکواکب زینه للسماء و حفظناها من مسترقه السّمع، فالمصابیح یستضاء بها فی الأرض لیلا و نهارا، و قال: وَ حِفْظاً لأنها باللّیل رجوم للشیاطین، و انتصب بفعل مقدّر کأنه. قال: زیّنت بمصابیح، و حفظت بها حفظا، ثم ختم القصّه بأن قال: ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ [سوره فصلت، الآیه: ۱۲] نبه علی حکمته فیما فعل و قدرته و أنه العالم بعواقب الأشیاء حتی تقع وفق إرادته.

و منه قوله تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً [سوره الفرقان، الآیه: ۶۱] إلی شُکُوراً أراد بالبروج الحمل، و الثّور إلی الحوت، فالفلک مقسوم بها، و کل برج منها ثلاثون قسما، و یسمی الدّرج و إنما قسّم الفلک بهذه القسمه لیکون لکلّ شهر برج منها لأنّ

القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره، فجعلت السّنه اثنى عشر شهرا، و هى التى تسمّى الشهور القمريه، و جعل الفلك اثنى عشر برجا لأنّ الشّمس تدور فى هذا الفلك دورا طبيعيا فمتى انتقلت من نقطه واحده بعينها عادت إلى تلك النقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و قريب من ربع يوم و يستعد فيها فصول السّنه التى هى الرّبيع و الصّيف و الخريف و الشّتاء. و لهذه العله سميّت هذه الأيام سنه الشّمس.

فلمّا كانت العرب تراعى القمر و منازله، و هى ثمانيه و عشرون منزلا فى قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه فى الأحوال و الشّهور مراعاه عجيبه. و لهم فى ذلک من صدق التأمّل و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم حتى تستدل منها على الخصب و الجدب، و يعتمد منها على ما تبنى أمورهم عليه فى الظن و الإقامه ذكّرهم اللّه تعالى بنعمته عليهم فيها، و على جميع الخلق و دعاهم إلى إقامه الشّكر عليها ليستحقّوا المزيد، فقال تعالى فى موضع آخر: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً [سوره نوح، الآيه: ١۵] و قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً [سوره يونس، الآيه: ۵] فقوله: تَبارَكَ تعليم منه أى قولوا تبارک، و المعنى دام ذكره و ثبت بركته عليكم و يمنا و استدامه الخير و نفعا.

و أصل البروج فى اللّغه الحصون، فاستعيرت على التّشبيه و قوله تعالى: جَعَلَ فِيها سِراجاً [سوره الفرقان، الآيه: ۶١] أى الشّمس و قد كرر ذكر الأنوار و الظّلم فى عده مواضع؛ و لم يجعل لفظه السّراج من بينها إلّا للشّمس، و ذلک لشى ء حسن و هو أنّ الضّياء و النّور و المصباح و ما أشبهها من أسماء ما يستضاء به لا يقتضى شى ء منها أن يكون فى الموصوف به اتقاد و حمى إلّا الشّمس، فتبّه تعالى على ذلک فيه بأنّ سماه سراجا، و لا تسمى سراجا حتى يكون محرقا، و كشف اللّه تعالى عن المراد بقوله فى موضع آخر: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً [سوره النبأ، الآيه: ١٣]. و الوهج ضوء الجمر و اتّقاده، فلهذا خصّ الشّمس بأن و صفت بالسّراج و هذا بيّن. قوله: جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۶٢] أى مختلفه يجى ء هذا خلف هذا، و هذا خلف هذا، و يجوز أن يريد به أنها تجى ء و بعضها يخلف بعضا لأنها لا تستقرأ إلا بهذا بل تتابع و تختلف فى قصورها و يكون شاهد هذا الوجه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ [سوره آل عمران، الآيه: ١٩٠]. و انتصاب خلفه يجوز أن يكون على الحال، و قوله: لِمَنْ أَرادَ مفعولا ثانيا لجعل، و المعنى صير اللّيل و النّهار على اختلافهما لمن أراد تذكرا، أو تشكرا، و اللّام فى لمن تعلق بجعلنا، و يجوز أن ينتصب خلفه على أنه مفعول ثان لجعل، و اللّام فى لمن تعلق بها حينئذ أى صيّر خلفه لهم و من أجلهم و الوجه فى تفسير خلفه حينئذ أن يكون من الخلافه لا من الاختلاف فاعلمه،

و قوله تعالى: لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ روى عن الحسن فيه أنه قال: من فاته(۱) عمله من التّذكّر و التّشكر كان له فى اللّيل مستعتب و من فاته باللّيل كان له فى النّهار مستعتب.

و تلخيص الآيه من أراد الاستدلال على اللّه، فتفكر فى آلائه التى لا تضبط و تذكر أنعمه التى لا تحصى كانت أوقات اللّيل و النّهار ميسره له مهيأه، فليأت منها كيف شاء، و الشّكر كل ما كان طاعه و ثناء على اللّه، و يكون بالفعل و القول جميعا قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سوره سبأ، الآيه: ۱۳] قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ* [سوره القمر، الآيه: ۱۷] و من تأمّل هذا التّوسيع من اللّه عليه حتى لا وقت من أوقاته إلّا و له أن ينقطع فيه إلى اللّه من غير تضيق و لا مدافعه على أنّ اللّه تعالى شكور كريم يقبل الإنابه كيف اتفقت، فنعمته عند إنعام من شكره مثل نعمته حين يبتدئ من صنيعه، فسبحانه من منعم فى كلّ حال.

و منه قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [سوره المرسلات، الآيه: ۲۹] إلى لِلْمُكَذِّبِينَ قوله تعالى: انْطَلِقُوا لم يرد به الأمر بالانطلاق و إنما هو مقدمه يأس من المأمور و بعث على الأخذ فى غيره على هذا قوله تعالى: وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [سوره ص، الآيه: ۶] و هذا فى المعنى كقولهم: طفق يفعل كذا، و أقبل يأمر بكذا، و قم بنا نفعل و إن لم يكن، ثم اقبال و قيام و يقولون: ذهب يقول فى نفسه و إن لم يكن منه ذهاب لأنّ المراد ما كان مهيأ لذلك و فى صورته و على هذا قولهم: تعال نفعل كذا و هلم نأخذ فى كذا قوله تعالى: إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ الذى كذّبوا به فى الدّنيا هو البعث و النّشور و ملائكه اللّه و كتبه و رسله و شى ء من ذلك لم يوجهوا إليه إنّما المراد صيروا إلى ما كنتم تحذرونه و تخوفون له فلا تعبئون به و لا تنزجرون لمكانه و هذا تبكيت و تقريع.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ [سوره المرسلات، الآيه: ۳۰] ذكر أهل التّفسير أنه يخرج لسان من النّار فتحيط بهم كالسّرادق، ثم تنشعب منه ثلاث شعب من الدّخان فيظللهم حتى يفرغ من حسابهم و يساقون إلى النّار و لا يمنع أنّ يكون المراد انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون من شدائد عقابه و أليم سخطه. و يكون انطلقوا الثّانى شرحا للأوّل، و كالتّفسير له و المراد انطلقوا من العذاب إلى ما يلزمكم لزوم الظّل و لا روح فيه و لا راحه من الحركه، كما كنتم ألفيتموه فى الدّنيا عند الحرب من لفح الهاجره و لهب الحرور إلى الظّلال الثابته بل يرمى بشرر يتطاير، و كأنّها فى عظمها جمالات صفر، و الجمالات جمع جماله، و زيدت التاء توكيد التأنيث الجمع. و هذا كما يقال: بحر و بحاره و ذكر و ذكاره، و قد قرأ ابن

۱- كذا فى الأصل، و الظاهر من فاته باليوم- الحسن النعمانى.

مسعود جماله، و قرئ جمالات و هو أكثر فى القراءه و أقوى و لا تمنع فى قراءه ابن مسعود أنّها الطائفه منها، و يراد بالجمالات الطّوائف، و هذا كما يقال: جمال، و جمالان، قال: عند التفرق فى الهيجاء جمالان، و يكون جمالات، و جمال كحبال، و حبالات، و بيوت، و بيوتات للطّوائف، و قد قيل: رجال و رجاله كرجالات فى كلامهم يريدون ما فسرت و بينت لأنّ رجال نهايه الجمع و رجاله إذا جعلتها للطّائفه فهى دونه، و معنى صفر سود قال: هى صفر ألوانها كالزّغب.

و قد قيل: جعلها صفرا لأنّ لون النّار إلى الصّفره قوله تعالى: بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ [سوره المرسلات، الآيه: ۳۲] قيل فيه: واحد القصور و التّشبيه بها لعظمها، و قيل: القصر بسكون الصاد جمع قصره، و هى الغليظ من الشّجر و قرئ كالقصر بفتح الصاد و هى أعناق الإبل.

فأما تكرير التّشبيه و جعلها أولا كالقصر و فى الثانى كالجمالات فكأنه أراد بالقصر الجنس فتحصل الموافقه لأنّ الجنس كالجمع فى الدلاله على الكثره؛ أو أراد تشبيه الشّرره الواحده بالقصر، فإذا توالت شررا كثيرا فهى كالجمالات، فعلى هذا حصل التّشبيه للواحد و للجمع و اللّه أعلم.

و قوله تعالى: لا ظَلِيلٍ فهو كقولهم: داهيه دهياء، و نهار أنهر، و ليل أليل، و ليله ليلاء يتبعون الشى ء بصفه مبنيه منه. و المراد المبالغه و التأكيد. و قال: ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ [سوره المراسلات، الآيه: ۳۰] لأنها محيطه بأهلها من جميع الجوانب إلّا القفاء لأنها لا تقفى نفسها و على هذا كل ذى ظل إذا تأملته و يشهد للإحاطه قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [سوره الزمر، الآيه: ۱۶]. و قال تعالى: يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [سوره العنكبوت، الآيه: ۵۵]، و قال بعض أصحاب المعانى: فى (ثلاث شعب) المراد أنه غير ظليل، و أنه لا يغنى من اللّهب و أنّها ترمى بالشّرر كالقصر، و تحصيل هذا ذى ثلاث صفات.

و منه قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۵] إلى الْعالَمِينَ قوله: فَلا أُقْسِمُ يجوز أن يكون قوله: فَلا نفيا لشى ء قد تقدّم، و تكون الفاء عاطفه عليه و ابتداء اليمين من قوله: أُقْسِمُ و يجوز أن تكون لا دخلت مؤكّده نافيه كما جاء فى قوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ [سوره الحديد، الآيه: ۲۹]، و المعنى لأن يعلم، و قال بعضهم: لا دخلت لنفى الأقسام، و قال لأنّ الإيمان يتكلّفها المتكلم تأكيدا للإخبار، و إزاله لما يعترض فيها من التّجوز و التّسمح؛ و إذا كان الأمر على هذا فقوله: فَلا أُقْسِمُ يجوز أن يراد به أنّ المحلوف له فى الظّهور و خلوصه من الشّك أبين و أوضح من أن

يتكلّف إثباته بالإيمان. و على هذا يكون قوله: و إنّه لقسم يراد به أنّ الحلف بمواقع النّجوم عظيم ممّن أقسم بها، و قوله: لَوْ تَعْلَمُونَ بعث على الفكر فى المحلوف فيه و بما يتضمّنه مما يعظم موقعه فى الصّدور عند تأمّل الأحوال المبهجه للاستدلال؛ و قيل: أراد بالنّجوم الأنواء و ما يتعلق بها من حاجات النّفوس و من المآرب و الهموم على اختلاف المعتقدات فيها. و قيل: بل المراد بها فرق القرآن لأنّ اللّه تعالى أنزله نجوما لما عرفه من مصالح المكلّفين و المدعوّين إلى الدّين، و يكون الشّاهد لهذا الوجه قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۷]، و يكون الطّريق فيمن جعلها الأنواء التّنبيه على وجوه النّعم فى الأنداء و الغيوث، و ما به قوام الخلق فى متصرفاته. قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ جواب اليمين عند من أثبته يمينا و فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۸] يجوز أن يريد به اللّوح المحفوظ لأنه أودع التّنزيل اللّوح، ثم فرّق منه نجوما و يشهد لهذا قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا [سوره الزخرف، الآيه: ۴] و ذكر الأم كما قيل فى المجرّه أم النّجوم، و كما قيل مكه أمّ القرى، و معنى كريم أنّه خلص من جميع الأدناس، و طهّر من الشّوائب، يشهد لهذا قوله تعالى فى صفه المؤمنين: وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً [سوره الفرقان، الآيه: ۷۲].

و هذا كما يقال: فى صفه الشى ء العظيم الخطير هو مكرم على أى يجلّ موقعه، و المراد بقوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۹] الملائكه إذا جعلت الكتاب اللّوح المحفوظ، و المعنى لا يصل إليه و لا يقرّبه غيرهم و ذلك على حسب ما يصرفون فيه عند تنزيله، و إن جعلت الكتاب المكنون ما حكم اللّه به من قضاياه و تعبّد به عباده من أصناف العبادات، و شاهد هذا قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [سوره الحجر، الآيه: ۹] و إنّ حفظ الشى ء و صيانته و كنه واحد، و الشّاهد فى أنّ الكتاب المكنون هو الحكم المفروض. قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء، الآيه: ۶۶]، و قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۳]، فحينئذ يكون معنى لا يمسّه لا يطلبه كما قال:

مسسنا من الإباء شيئا و كلّناإلى حسب فى قومه غير واضح

و قد حكى أنّ اللمس و الالتماس و المس متفقات، و الحجه فى أنّ اللمس مثل الالتماس قوله تعالى: وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ [سوره الجن، الآيه: ۸]. و قول الشاعر:

ألام على تبكّيه و ألمسه فلا أجده

فقوله: لا أجده يشهد بأنّ المراد بالمس الطّلب لا غير، و قد أحكمت القول فى هذا:

فى (شرح الحماسه)، و قال بعض النّظار: قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۹]، لفظه لفظ الخبر، و المراد به النهى، و المعنى لا يتناولن المصاحف إلّا

المطهّرون، فليس يجوز للجنب و الحائض مسّ المصاحف، تعظيما لها و إجلالا. قوله تعالى: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ [سوره الواقعه، الآيه: ۸۰] تصديق للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جميع ما دعا إليه من الإيمان بالله تعالى أو فى إبطاله دعاويهم و شهاداتهم فى القرآن و سائر العبادات، و ارتفع تَنْزِيلٌ على أنّه صفه لقوله: لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

و منه قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ [سوره الإسراء، الآيه: ۴۲]، كما يقولون إلى حَلِيماً غَفُوراً ذكر اللّه تعالى فيما وعظ من قبل قوله: وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ [سوره الإسراء، الآيه: ۳۹] ثم أتبعه بقوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا [سوره الإسراء، الآيه: ۴۱]، و الإنذار بالتّبكيت الشّديد و الوعيد الممض إلزاما للحجّه، و إظهارا للعناد منهم، و أنه هداهم فلم يهتدوا، و ذكّرهم فلم يعبئوا إعجابا برأيهم، و ذهابا عند التّدبّر، و النّظر ليومهم و غدهم و دنياهم و آخرتهم، ثم أخذ عزّ و جلّ يحاجهم على لسان نبيّهم فقال: قل لهؤلاء الذين ضلّوا عن الرّشاد، و عموا عن الصّواب، إنّ اللّه تعالى لو شركه فى ملكه غيره كما تدّعون لفسدت الأحوال، و تقطّعت الوصل و الأسباب. و لعلا بعضهم على بعض و كان يطلب كلّ الاقتسار، و تسليم الأمر له، كما قال هو: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [سوره الأنبياء، الآيه: ۲۲]. و كان لا ينفع الاستثناء فيما بينهم و ترك الخلاف و إظهار الرّضاء، لأنّ الاستبداد، أو طلبه و إن لم يظهر فعلا من واحد منهم فلا مهرب من تجويزه عليهم؛ و جوازه لن يحصل إلّا عن تقدير استضعاف، و من قدر فيه ضعف فإنه لا يكون إلها و هذا بيّن. قوله تعالى: إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا [سوره الإسراء، الآيه: ۴۲]، أى لطلبوا إلى أخصّهم بالملك، و أولاهم بالأمر منازعته و مجاذبته و مساواته و مسامته؛ قوله:

ذِي الْعَرْشِ يجوز أن يريد به ذا السلطان و العزّ، و يجوز أن يريد به ذا السّرير الذى حمله فى السّماء و الملائكه يطوفون حوله. كما أنّ البيت المعمور فى السّماء الرابعه. و قال بعضهم: أى العرش، و أنشد قول الشّماخ: (فأدمج دمج ذى شطن بعيد). قال: يريد أدمج شطن، فزاد ذى، فكذلك قوله: إلى ذى العرش، يريد إلى العرش، و المعنى لطلبوا إلى الاستيلاء على العرش، و الاستواء عليه طريقا، قال و مثله لفظ حى أنشد أبو زيد:

يا قرّ إنّ أباك حيّ خويلدقد كنت خائفه على الإحماق

يريد أنّ أباك خويلد، فزاد قوله: حى، و قوله تعالى: عَمَّا يَقُولُونَ الظّالمون بمعنى علا، و المعنى جلّ، و ارتفع عما يقول المشركون أكده بقوله: عُلُوًّا، و وصف العلو بالكبر مبالغه فى التّبعيد. قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سوره الإسراء، الآيه: ۴۴]. يريد ما من شى ء إلّا و بما فيه من أثر الصّنعه يدلّ على قدره اللّه تعالى و يشهد.

بـإلهيته، و يـدعو إلى عبـادته و ينفى عنه مشـابهه لخلقه، و جميع مـا لا يليق بحكمته. و معنى يسبّح بحمـده أى ينزهه، إما إعرابا باللّسان، أو دلاله بواضـح البرهان، و فائـده قوله: يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى فيما يظهر من حكمته فى خلق ما خلق. و الأنعام على من أنعم حمـدا له إذا لم يكن إعـداد الشّـكر فى مقـابله النّعم أكثر من إضافه النّعم إلى المنعم، فإذا كان الحمـد توليه النعمه ربّها و إشاده ذكره و نسبتها إليه، فآثار النعم حامده شاكره لمسديها. أ لا ترى إلى قول القائل: (و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب). فنسبه الثناء إلى الحقـائب كنسـبه التّسبيـح بالحمـد للّه إلى الـدّال عليه و المقيم له. و هـذا حسن بالغ. قوله تعالى: وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [سوره الإسراء، الآيه: ٢٢] أى تجحـدونه، أو تعرضون عنه فعل من لا يفهم و هذا كقوله تعالى يصـفهم: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها [سوره الأـعراف، الآيه: ١٧٩]، ثم قـال: أُولئِـكَ كَالْأَنْعـامِ بَـلْ هُمْ أَضَلُ [سوره الأعراف، الآيه: ١٧٩]. قوله تعـالى: إِنَّهُ كـانَ حَلِيماً غَفُوراً [سوره الإسـراء، الآيه: ۴۴]، يريـد هو حليم حين لم يعـاجلهم فيمـا ادّعوه بـالعقوبه و لكن تركهم إمهالا و رفقا، و هو غفور لمن أناب و إن ارتكب كلّ منكر قبيح رحمه منه لعباده و حسن تفضّل.

و منه قوله تعـالى: لَهُ مُلْـكُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ [سوره الحديـد، الآـيه: ٢] إلى عَلِيـمٌ، أثبت اللّه لنفسه أنه القـادر الغـالب، فهو يملـك و جميع ما تـدركه الأبصار و الأوهام من أصـناف العالم جليلها و دقيقها، خيرها و شـرّها، يتصـرّف فيها كما شاء؛ و اختار تصرّف الملاك، فهو ملك مالك يبدئ، و يعيد، و يحيى و يميت، و قد أقرّت له الصعاب.

و تـذلّلت له الرّقـاب. لاـ يمتنع عليه مراد و إن عزّ و شقّ. و لا يوجـد عنه ذهاب فيما ثقل أو خفّ. إليه آماد الأعمار، و الأرزاق، و مصـارف البقـاء و الفناء فهو القادر الحكيم، و العالم الغنى، لا يخفى عليه معلوم و إن دقّ، و لا يعزب عن الظّهور له مطلوب و إن رقّ، الأول فى الوجود لقـدمه لا عن ابتـداء مـده، و الآخر بعد فناء كل شـى ء خلقه فى الدّنيا لبقائه لا إلى غايه، لم يزل و لا يزال على مـا هـو عليـه مـن ديمـوميته، و حكمته، و صـواب فعله و قـدرته، يحيى الأـموات إذا شـاء، و يميت الأحيـاء إذا شـاء، و يفنى المخلوقات إذا شاء، و يعيـدها إذا شاء. الظّاهر بما له من آياته التى لا تخفى، و عبره التى لا تفنى، و الباطن لأنه لا تدركه الأبصار و لا تحصله الحواس، و هذا وجه فى الآيه. و قيل: أراد بالظّاهر أنّه غالب على كل شى ء، بما دلّ به على نفسه، من أصناف صنعه كمـا قـال تعالى: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَـدُوِّهِمْ فَأَصْـبَحُوا ظاهِرِينَ [سوره الصف، الآيه: ١۴]، أى عـالين غالبين، و يقال: ظهرت على الجلى الواضـح الـذى هو كـالجمر. و قيـل فى البـاطن التى هى فى خفائهـا كالسّـر فهو بما تجلّى منها ظاهر، و بما خفى منها باطن، و هذه آيه لها جوانب تقتضى الكلام عليها و أنا إن شاء اللّه أبلغ الغايه بمقدار فهمى.

اعلم أنّ اللّه تعـالى قال فى موضع من كتابه: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۶، ۲۷] مـا قال على الموت لأنّ الموت إنّما نعـدم به الحياه، و اللّه تعالى قال: كلّ من عليها، و لم يقل حياه من عليها، و قال بعـده: وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ، و الميت جيفه تبقى، و إذا كان كـذلك فلا فضـيله فى البقاء مع الشـركه فيه، و إذا سـقطت الفضـيله فلا تمدّح لرب العالمين، و قال تعالى فى موضع آخر: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سوره العنكبوت، الآيه: ۸۸]. و ذكر فى صفات نفسه هو الأـول، و الآـخر، و الظّاهر، و البـاطن. و كلّ هـذه الآى دالّه على أنّه تعالى يصـير منفردا بالوجود، كما كان منفردا به من قبل أن يخلق الخلق و أنه تعـالى يفنى كـل ما خلقه إفناء لا يبقى له أثر و لا رسم حتى يصـير بالفناء فى حكم ما لم يخلق و لم يوجـد، و قال تعالى: هُوَ الَّذِى يَبْـدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـدُهُ [سوره الروم، الآيه: ۲۷] و فى آخر: كَما بَـدَأَكُمْ تَعُودُونَ إِنَّهُ هُوَ يُبْـدِئُ وَ يُعِيدُ [سوره الأعراف، الآيه: ۲۹]، و المعاد هو وجود على صـفه لا زياده عليها، و هو أن يتقدّم الوجود للشـى ء فيبطل، ثم يعاد إلى الذى كان عليه من الوجود، و إذا كان السمع قد أثبت معادا، و حقيقه المعاد ما ذكرناه من أنّ ما سمّيناه فى الأول إحداثا و محدثا سمّيناه، و قد بطل و استجد الجاده فى الثانى معادا، و مستجدا فقد وضح معنى قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ و الآى التى معها.

فإن قيل الذى يعرفه أهل اللغه من معنى الفناء هو نفاد المركب قليلا قليلا كنفاد الزّاد و الاضمحلال و الهزال هو تحلّل الأجزاء؛ و الاسـتحاله هو تغيّر مزاج الشـى ء. قلت: الفناء بطلان الشى ء دفعه واحده، و هو ضد الإنشاء و الاختراع فإذا تجاوزت هذا الموضع فاسـتعماله على ضرب من التّشبيه به فقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۶]، يريد أنّ جميع ما خلقه قبل الوقت الموعود للثّواب و العقـاب يبطله بمعنى يخزعه، إذا حصـل فنى به الأجسـام، و الأـعراض كلّهـا. فناء الضّـد بالضّـد، و ليس ذلك المعنى بمقدور للعباد. و البقاء لا يجوز عليه، فإذا أفناهم بعزته الغالبه بذلك المعنى أعادهم بقدرته الواسعه كما كانوا قبل الفناء، و لاـ يصـح مـا أجمع عليه المسـلمون من أمر المعـاد و الفنـاء إلّـا على ما ذكرناه، و هو اللغه و الشّـرع، و النّاظر فيما ذكرناه بيّن له معرفه الفناء مثل ما بين له من معرفه المعاد.

و حكمه وضـع اللّغه لأـنّ الـذى ينقطـع وجوده بـالموت كـالحى منّـا ظـاهر التميز عمـا لاـ ينقطع وجوده بالفنـاء، و مـا أشـبهه من الأعراض. و إذا كان كذلك فإنّا نثبته بالسّـمع كما ثبت جواز كونه و خلق اللّه له بالعقل و لكلّ معرفه حقيقه إلى اللّه تعالى، كما قـال: وَ يَسْـئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [سوره الإسـراء، الآيه: ۸۵]. و يكون من جمله مـا اسـتأثر بعلمه، و إذا أعادهم حشرهم النّظر فى أعمالهم فى مواقف مختلفه، كما قال تعالى: إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ [سوره الغاشيه، الآيه: ۲۵، ۲۶]. و كما قال تعالى: فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ [سوره إبراهيم، الآيه: ۴۷]، و كما قال تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ

مِيقاتاً [سوره النبأ، الآيه: ۱۷] إلى سَراباً فإن سأل سائل عن معنى قوله: فَكانَتْ أَبْواباً [سوره النبأ، الآيه: ۱۹]. و عن وجه التشبيه بالسّراب قلت: معنى قوله: أبوابا يريد كانت ذات أبواب مفتّحه، و ليس المعنى صارت كلّها أبوابا، كما أنّ قوله: كانت فراخا بيوضها صارت كلّها فراخا، لأنها إذا صارت كلّها أبوابا عادت فضاء، و خرجت من أن تكون أبوابا.

و أما التّشبيه بالسّراب، فالمراد به بيان إلماعها، و تخلخلها فى نفسها، و السّراب هو الذى يتخيّل للنّاظر نصف النّهار كأنه ماء يطرد، و يقال: سرب الماء يسرب، إذا سال، و المراد ما يتداخل النّفس من تغير المعهود، و قد أخرج اللّه تعالى صفه القيامه فى معارض مختلفه لاختلاف أحوال المسوفين، و كرر ذكرها، و حذّر منها، و نبّه من أمرها على كثير مما يكون فيها ليبين فظاعتها فقال تعالى: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [سوره المرسلات، الآيه: ۸] إلى لِيَوْمِ الْفَصْلِ، و قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ [سوره الحجر، الآيه: ۴۸] الآيه، فتبديل الأرضين و السّماوات و إطفاء الضّوء و تفريج السّماء و تحليل عقدها حتى تصير أبوابا و طمس نجومها؛ و انتشار كواكبها، و نسف جبالها كلّ ذلك، أو أكثرها مما تؤكد حال الفناء، و إزاله معاقد الأرض و السّماء. و قد درج تعالى فى هذه الصفات لأنه تعالى ردّدها متفننه فى أوقاتها بين أوائلها، و وسائطها، و أواخرها فمن ذلك قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَهُ [سوره النازعات، الآيه: ۶] إلى بِالسَّاهِرَهِ. و قال تعالى: ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُ أى الوعد به صدق، أو يراد به أنه يوم حق لا باطل معه إذا قام الأوّلون و الآخرون، و يجتمع متفرّق الأسباب، و متمزّق الأجلاد، و يعود غائب الأرواح، و يحشر الأفواج. و قد قال تعالى: فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّهُ الْكُبْرى [سوره النازعات، الآيه: ۳۴] و الطّامه هى العاليه على ما قبلها.

و قال تعالى: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ [سوره الانفطار، الآيه: ۱] إلى وَ أَخَّرَتْ، و قال تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱] إلى وَ تَخَلَّتْ و إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [سوره التكوير، الآيه: ۱] و إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، و إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها [سوره الزلزله، الآيه: ۱]، و قال تعالى: يَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَهِ أَيَّانَ مُرْساها [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۷] إلى آخر السوره. و هذا السؤال، و الجواب مثل سؤالهم عن الرّوح فقوله: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّکَ مُنْتَهاها [سوره النازعات، الآيه: ۴۴] مثل قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی و قال تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ [سوره البروج، الآيه: ۱۲] و الإبداء إبداعه الخلق كلّه لا من شی ء و الإعاده ما وعد به من الإحياء بعد الإماته، و البعث، و الحشر، و إعداد الثّواب و العقاب.

و حكى عن الأصمعى أنه قال: إذا قال الرجل: أول امرأه أتزوّجها فهى طالق لم يعلم هذا من قوله حتى يحدث بعدها أخرى، فإن ماتت لم تكن أول لكنه لا تشركها أخرى.

قال أبو العباس المبرّد: و هـذا خطأ لأنّ قوله: أول هو موقع لما بعـده و ذلک أن تأتی بعـده بما شئت، و لا یکون آخر إلّا لشی ء قبله غیره، و إنّما هو مأخوذ من آخره. و قیل: لما کان لا أول له. قال المبرد: و لا یجوز هـذا إلّا فی صـفه القدیم تعالی، فهو الأوّل و الآخر و الظّاهر و الباطن. و قال الفقهاء: إذا قال الرجل: أوّل عبـد أملکه فهو حر، فملک عبدین جمیعا معا لم یعتق واحد منهما، و إن ملک بعـد ذلک عبـدا آخر لم یعتق أیضا لأنه لیس بأول، و لو قال: أوّل عبـد أملکه فهو حر، فملک عبدا و نصف عبد عتق العبـد و لم یعتق النّصف لأنّ هـذا أول عبـد ملکه، و النّصف لا یسـمّی عبـدا واحدا، و لو قال آخر: امرأه أتزوّجها من النّساء فهی طـالق، فتزوّج امرأه، ثم تزوّج أخری، ثم طلّق الأولی، ثم تزوّجها، ثم مات فإنّ الطّلاق یقع علی الثانیه التی تزوّجها و ما یقع علی التی تزوّجها أول مره و لیست بآخر، و التزوج بها ثانیا لا یخرجها من کونها أول امرأه.

أ لا- تری أنه لو نظر إلی امرأتین، فقـال: آخر امرأه أتزوّجهـا منکمـا فهی طـالق، فتزوّج إحـداهما، ثم تزوّج الأخری طلقت الثانیه حین یتزوجهـا لأنهـا آخر امرأه تزوّجهـا منهما و لو تزوّج الأولی بعـد الثانیه لم تطلق، و کان المبرد إنما قال: لا یجوز هـذا إلّا فی صفه القدیم لمکان الآخر لأنه لم یزل و لا یزال، أولا و آخرا، و الواحد منّا لیس کذلک فاعلمه.

و منه قوله تعالی: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی [سوره طه، الآیه: ۱۴] و فی موضع آخر أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] إلی مَقاماً مَحْمُوداً، و قوله تعالی:

وَ أَقِمِ الصَّلاهَ یریـد أدمها و اثبت علیها فلان لا یقوم لکـذا، و هـذا یقوم علی بکذا، فله تصـرّف فی الأمر واسع. قوله تعالی: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی یحتمل وجهین: أحدهما أقم الصّلاه لتذکرنی بها أی الصّلاه ذکری لقوله تعالی: إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ لَذِکْرُ اللَّهِ أَکْبَرُ [سوره العنکبوت، الآیه: ۴۵] و قوله تعالی: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی أی إذا ذکرتنی، فأقم الصّلاه کأنه یرجع النّسیان کالذّکر فی الوجه الأول تسبیح اللّه و تمجیده بصـفاته الکریمه، و فی الوجه الثانی الرّجوع إلیه بعد ذهول یسـبق و نسیان یلحق، و اللّام من قوله:

لذکری أی عند ذکری، و کذلک قوله تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ أی عنده و لام الإضافه یدخل فی الکلام لوجوه.

أ- التملیـک: کقوله تعـالی: وَ لِلَّهِ مـا فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ* [سوره النجم، الآیه: ۳۱] و کقوله تعالی: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ [سوره الجن، الآیه: ۱۸].

ب- أن یکون الشی ء سببا لغیره، و علّه له مثل قوله تعالی: إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ [سوره الإنسان، الآیه: ۹].

ج- أن یکون دخوله لمعنی الإراده کقولک: قمت لأضرب زیدا أی قمت إراده

لضربه، و لکی أضربه أی قمت من أجل هذه الإراده، و قد یحذف اللام من هذا و أشباهه.

د- أن یکون بمعنی فی کقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآیه: ۲] أی فی أول الحشر.

ه- أن یکون لمرور الوقت علی الشی ء کقول النابغه شعرا:

توهّمت آیات لها فعرفتهالستّه أعوام، و ذا العام سابع

أی عرفتها و قد أتت علیها سته أعوام، أو توهّمتها لذلک، و یقال أتی للصّبی سنتان علیه و کم سنه أتت لک؟

و- أن یکون لمعنی بعد کقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «صوموا لرؤیته»، و قوله تعالی: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآیه: ۱] و العده هاهنا ظرف للطّلاق و بمنزله وقت له لا عله و لا سبب، کما لم یکن الحشر عله لإخراج الذین کفروا إنما کان عله إخراجهم کفرهم، و الدلیل علی ما قلنا أنه قال: لأول الحشر جعل له أولا.

ز- أنه یدخل لما ذکرناه أولا، و هو قوله تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی و أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ أی لاصفرارها عند غروبها دلکت فهی دالک و قال ابن عباس: لدلوک الشّمس لزوالها الظهر، و العصر و أنشد:

شادخه(۱) الغرّه غراء الضّحکک

تبلج الزّهراء فی جنح الدّلک

فجعل الدّلک غیبوبه الشّمس، و قال أبو حاتم: روی عن أبی عمرو أنّ دلوکها زوالها فعلی هذا یجوز أن یکون المفروض بالآیه أربع صلوات الظّهر- و العصر، و المغرب، و العشاء- باللّیل. و یجوز أن یکون إلی غسق فی موضع مع، فیدل علی فرض صلاتین من اللّیل و النّهار، و ثالثه یدل علیها: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸].

ثم سائر الصّلوات یدلّ علیها بغیر هذه من الآیات و قوله: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] یرید، و أقم قرآن الفجر، و المعنی أقم الصلاه بالقراءه، و هذا یدل علی أن الصلاه لا تکون إلا بقراءه، فالضمیر فی به یرجع إلی القرآن، و معنی کانَ مَشْهُوداً أی حقّه أن یشهد أی یخرج له إلی المساجد، و یقام مع الجماعه فیشاهد و قیل أراد تشهده الملائکه، و قوله تعالی: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ [سوره الإسراء، الآیه: ۱۷] معنی تهجد اسهر یرید استیقظ، و معنی به أی بالقرآن و یقال هجّد أیضا بمعنی نام.

۱- انتشرت الفرّط من النّاصیه إلی الأنف.

قال:

هجدنا، فقد طال السّری و قدرنا أنّ خنا الدّهر غفل

یرید یومنا و مثل هجد، و تهجّد قولهم حنث و تحنّث لأنّ معنی حنث لم یبر فی الیمین، و معنی تحنث ألقی الحنث عن نفسه.

و هذا الأمر اختص به النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تفضیلا له علی جمیع الخلق.

و معنی نافله لک عطاء لک و تکرمه لذلک أتبعه بقوله تعالی: عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآیه: ۷۹] أی افعل ذلک رجاء أن تثاب هذا الثواب العظیم.

و قیل فی المقام المحمود إنّ المراد به الشفاعه للمذنبین، و الذی علیه الناس أنّ الدّلوک مغیب الشّمس، و یذهب العرب لذلک إلی أنّ قول القائل:

هذا مقام قدمی رباح غدوه حتی دلکت براح

یدل علی صحه قولهم و أصله أنّ السّاقی یکتری علی أن یسقی إلی غیبوبه الشّمس، و هو فی آخر النّهار یتبصّر هل غابت الشّمس. قوله: براح أی یضع کفه فوق عینه و یتبصر، قال: و یسلم للحدیث ما جاء أنّ ابن عباس قال: إنّ غسق اللّیل ظلمته الأولی للعشاء و المغرب، فإذا زادت قلیلا، فهی السّدفه، و قوله: (نافله لک) لیست لأحد نافله إلّا للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم لأنه لیس من أحد إلا یخاف ذنوبه غیره فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فعمله نافله.

و منه قوله تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ طَرَفَیِ النَّهارِ [سوره هود، الآیه: ۱۱۴] إلی الْمُحْسِنِینَ، و قوله تعالی: قُمِ اللَّیْلَ إِلَّا قَلِیلًا [سوره المزمل، الآیه: ۲] الآیه طرفا النهار النهار الفجر و العصر و کما ثنی الطرف هنا جمع فی قوله تعالی: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ* [سوره الحجر، الآیه: ۳۹] إلی وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّکَ تَرْضی [سوره طه، الآیه: ۱۳۰] لذلک اختلف النّاس فبعضهم جعله من أوقات الصلوات المفروضه، و القائل بهذا یکون عنده الفجر من النّهار محتجا بأنه ابتداء الصوم لقوله تعالی: وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّیامَ إِلَی اللَّیْلِ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۷] و الذین یخالفونه یجعلونه من اللّیل، و یدعون أنّ ابتداء النّهار طلوع الشمس و انتهاءه غروبها، و إذا زالت الشّمس انتصف النّهار فأما قوله تعالی: وَ أَطْرافَ النَّهارِ [سوره الحجر، الآیه: ۳۹] فیجوز أن یجعل النهار للجنس حتی یصیر له أطرافا، و یجوز أن یجعل الجمیع مستعارا للتثنیه لأنّ أرباب اللغه قد توسعوا فی ذلک أ لا تری قوله: یا ناحه و دخیلا، ثم قال: طرفا فتلک لهما تنمی، و کقوله تعالی: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما [سوره التحریم، الآیه: ۴] و لیس

بمستنکر أن تسمی الساعات أطرافا، کما قیل أصیلاله و عشیّات فی آخر الأصیل، و العشیه.

قال أبو العباس ثعلب أطراف النّهار قیل یعنی صلاه الفجر، و الظهر، و العصر، و هو وجه أن جعل الظهر، و العصر من طرف النّهار الآخر، ثم یضم الفجر إلیهما فیکون أطرافا، و قال أبو العباس المبرد: معناه أطراف ساعات النّهار أی من اللّیل سبّحه و أطعه فی أطراف ساعات النّهار (الآناء) الساعات واحدها أنی، و یکون من آنیت- أی أخّرت و من قول الشّاعر:

و أنیت العشاء إلی سهیل أو الشّعری فطال بی الإناء

و قال العجّاج: طال الإناء، و انتظر النّاس الغیر من أمرهم علی یدیک، و التور طال الإناء و زایل الحق الأشر. و فی القرآن: غَیْرَ ناظِرِینَ إِناهُ فأما قوله تعالی: وَ زُلَفاً مِنَ اللَّیْلِ [سوره هود، الآیه: ۱۱۴]، فالزّلف السّاعات و من أبیات الکتاب:

طیّ اللّیالی زلفا فزلفاسماوه الهلال حتّی احقوقفا

و الزّلفه واحده الزّلف، و یقال لفلان عندی زلفه، و زلفی، و هی القربه، و فی القرآن:

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ* [سوره الشعراء، الآیه: ۹۰] أی قرّبت، و سمیت المزدلفه لاقتراب النّاس إلی منی بعد الإفاضه من عرفات، و انتصب سماوه علی المفعول من طی اللّیالی، و المعنی أنّ اللّیالی طوت شخص الهلال، و نقصته شیئا شیئا حتی ضمر و دقّ.

قوله تعالی: إِنَّ الْحَسَناتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئاتِ [سوره هود، الآیه: ۱۱۴] یجوز أن یرید أنّ الحسنات من أفعال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و المؤمنین یبطلن سیئات الکفّار و المجرمین، و هذا بشاره من اللّه للمؤمنین بأنه سیعلی کعبهم، و ینفذ کلمتهم کما قال: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَی الْباطِلِ فَیَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ [سوره الأنبیاء، الآیه: ۱۸] و یجوز أن یکون مثل قوله تعالی: إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ [سوره النساء، الآیه: ۳۰] و یکون هذا مثل قوله تعالی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ* [سوره التوبه، الآیه: ۳۳]، و قوله تعالی: ذلِکَ ذِکْری لِلذَّاکِرِینَ [سوره هود، الآیه: ۱۱۴] أی أخبرناک بما أخبرنا من ضمان النّصره، و قمع الباطل، و إعلاء کلمه الحق لکی تتذکر به فیزداد حرصا علی الإدخار و الإصلاح و لأنک إذا أقررت به و التزمته فتذکرته تیسّر لک المطلوب و قد قال تعالی: إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ [سوره ق، الآیه: ۳۷] یرید أنّ المأمور بهذا، أو الموعوظ إذا قبله حصل لک بذلک ذکر فی الذّاکرین، و هذا ترغیب لأنّ ما یبقی به الذّکر لیس کما یلغی و ینسی. قال:

فقال له هل تذکرنّ مخبرایدل علی غنم و یقصر معملا

أی هل تعتد بهذا الخبر فتذكره به، فأما قوله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [سوره المزمل، الآیه: ۲] أی من النّصف، أو زد عليه، فانتصاب اللّيل إلّا قليلا أی قبله بقليل أو بعده بقليل لأنّ بيان أو انقص منه، أو زد عليه ذلک، و المعنى قم نصف اللّيل، أو انقص من نصفه حتى يرجع إلى الثلث، أو زد على نصفه حتى يبلغ الثلثين، و فی هذه الأشياء منها أنّه جعل نصف اللّيل قليلا منه سواء جعلته بيانا للقليل المستثنى، أو جعلته بيانا للباقی الواجب لأنّ الكلام يقوم على الوجهين جميعا و منها أنّ قوله: أو انقص منه قليلاـ بمعنى إلّا قليلا فی التّحصيل و لكنّه ذكر مع الزّياده، و كان كالمكرّر، و كثير من أهل النّظر يذهبون إلى أنّ القله تقع على ما دون الثلث لقوله عليه السّلام لسعد فی الوصيّه:

«و الثلث كثير» و منها أنّ هذا التّنويع يدل على أنّه تعالى لم يفرضها عليه لكنّه على سبيل التّرغيب لأنّ الفرائض التی يفرضها اللّه على عباده ليس يجعل الأمر فيها إليهم فينقصوا ما شاءوا، و يزيدوا فيها ما شاءوا، و قد قيل: إنّ اللّه تعالى كان فرض على رسوله و على المؤمنين قيام اللّيل، ثم نسخه إذ كان شقّ عليهم فقال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ [سوره المزمل، الآیه: ۲۰] أی يعلم مواقيتها و يعلم أنكم لن تحصوه أی لن تطيقوا معرفه حقائق ذاک و القيام فيه، فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن، قالوا: و هذا فی صدر الإسلام، ثم نسخ بالمكتوبات الخمس.

و قوله تعالى: أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ يجوز أن يكون من دنا الشّی ء إذا سفل، فنزل كما قال: ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى أی نزل، و منه قوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ [سوره الأحزاب، الآیه: ۵۹] أی يرسلن، و قال بعضهم: معنى أدنى أدون، لكنّه قلب فقدّم اللّام و قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [سوره المزمل، الآیه: ۵] يجوز أن يكون المعنى قولاـ يثقل العمل به، و يجوز أن يريد به قولاـ له وزن، و خطر بين الكلام إذا ميّز أی ليس بالسّفّساف الدّون، و معنى يلقى ينزل فيتلقنه. و منه قولهم: ألقيت على فلان مسأله كذا، فأعييته. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ [سوره السجده، الآیه: ۲۳] فبعضهم يجعله من هذا أی لاـ تلک فی شک من نزول هذا الكتاب قبلک، و كان شيخنا أبو على ينكر أن يكون القيت من لقيت، و يقول: إن لقى يتعدّى إلى مفعول واحد يقول: لقيت زيدا فلو كان ألقيت من لقيت لوجب أن يتعدّى إلى مفعولين. كما أنه إذا دخل على ما لا يتعدى إلى المفعول عداه إلى واحد يقول: خرج زيد و أخرجته و ذهب زيد، و أذهبته.

و تقول فی المتعدى: قرأ كذا و أقرأته أنا كذا، و سمع زيد شرا، و أسمعته أنا خيرا. و إذا كان كذلک، و وجدنا لقى يتعدّى إلى مفعول واحد، و ألقيت مثله يتعدّى إلى مفعول واحد

و علمنـا أنهمـا من أصـلين فـاعلمه. قوله تعالى: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ [سوره المزمل، الآيه: ۶] يريـد السّاعه منشأ الحـدوث و يقال فلان ناشئ و نشأت السّحابه من قبل البحر، و يجوز أن يكون ناشئه يراد بها الحدث لا الفاعل فيكون كاللاغيه فى قوله تعالى: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً [سوره الغاشيه، الآيه: ۱۱] أى لغوا و كالكـاذبه فى قوله تعالى: لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ [سوره الواقعه، الآيه: ۲] أى كذب و مثـل ذلـك قم قائمـا أى قم قياما. قوله تعـالى: هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۶] أى أبلغ فى القيـام و أبين فى القراءه لما فى اللّيل من السكون و القرار، و يجوز أن يريد أنها أشد على الإنسان و أشقّ لأنّ اللّيل للتودّع و الرّاحه.

و قرئ و طاء بالواو و المد و المعنى أشدّ مواطاه للقلب إذا نقله السّمع.

و منه قوله تعـالى: فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ [سوره الانشـقاق، الآيه: ۱۶] إلى لا يَسْجُدُونَ أول السوره إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ و الانشـقاق و الانفطـار، و الانفتـاح يتقـارب فى المعنى و ذلـك من أهوال القيـامه، و مـا يتغيّر فيهـا من الأمور، و يتبـدّل. و قيل: المراد انشقّت بالغمـام كقوله تعالى فى موضع آخر: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ [سوره الفرقان، الآيه: ۲۵]. و جواب إذا محـذوف لما يدل عليه ما عرف من أهوال القيامه و شدائدها و تخمر فى النفوس و تقرّر.

و المراد إذا انشـقت السّـماء كـان من أشـراط القيامه فيكم ما عرفتموه، و تكرر عليكم وصـفه، و قيل جوابه فى قوله تعالى: إِنَّكَ كـادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [سوره الانشـقاق، الآيه: ۶] و قيـل جـواب إذا مضــمر مقــدم، و المراد اذكر إذا حـدثت هـذه الحوادث. و قيل جوابه أذنت، و الواو زائده. و النّحويون على اختلافهم يردّون هذا و كأنّ قائله شبهه بقوله تعالى: حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها [سوره الزمر، الآيه: ۷۱] لأنّ المعنى عنـده فتحت و الأجود عندى أن يكون جواب إذا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كـادِحٌ إِلى رَبِّكَ [سوره الانشـقاق، الآيه: ۶] أى فى ذلـك الـوقت يكون ذلـك حالـك، و معنى أذنت لربّهـا أطـاعت، و استمعت، و أجابت، و حقّت أى وجب ذلك عليها، و كانت محقوقه بالانشقاق.

و قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [سوره الانشـقاق، الآيه: ۳] كأنّه بسط مجموعها و أخرج مضـمونها و موعدها حتى تخلّت. قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ [سوره الانشـقاق، الآيه: ۶] عموم دخلت الكـافه تحته، و قوله تعالى: إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [سوره الانشقاق، الآيه: ۶] يشـير إلى ما قاساه مده حياته و اكتسـبه فى متصـرّفاته و نيل فيه من سعاده و شقوه و حياه و إماته، و ما تزوّده من دنياه و أعدّه لأخراه، أى تسـعى سـعيا قد أتعبك و تلاقى له كل ما قدّمته من عملك و تصير من حميته إلى ما تستحقّه بفعلك. قال:

و ما الدّهر إلّا تارتان فمنهماأموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و قوله: فَمُلاقِيهِ من قولك: لاقيت من كذا جهدا و أذى، و قاسيت من كذا

مکروها. و الضّمير فى ملاقيه إن شئت جعلته للكدح و الأجود أن تجعله للرّب، و المعنى تلاقى جزاءک منه فيكون على حذف المضاف. و الشفق الحمره تبقى من الشّمس فى المغرب إلى وقت العشاء. و قال بعضهم: هو البياض الذى إذا ذهب صلّيت العشاء الآخره لأنّ الحمره تذهب عند الظّلام.

قال الفرّاء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشّفق و كأن أحمر.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۷] أى جمع و أدرک من مقتضياته، و هوله و يجوز أن يكون وسق بمعنى، طرد يريد و ما جاء به و احتمله، و الوسيقه الطّريده.

و قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۸] يريد استتبّ، و استوسق لثلاث عشره و أربع عشره، و يجوز أن يريد باتّساقه استمراره فى سيره و تناهيه فى ازدياد ضيائه:

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۹] كما قيل سادوک كابرا، عن كابر، و المعنى كبيرا عن كبير أى يتردّدون بعد أحوال مختلفه، و يخرجون من بعضها إلى بعض من نشر و حشر و فناء و إعاده؛ و (الطّبق) الشّده قال: (قد طرقت ببكرها أم طبق).

و قال:

فلو رآنى أبو حسّان و انحسرت عنىّ الأمور إلى أمر له طبق

يقال: رغب، و رهب أنت بينهما حب الحياه، و هول الموت و الشّفق و فائده القسم تأكيد الوعيد على المخاطبين بهذا الكلام، و هو قوله تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۹] و قرئ لتركبنّ جعل الخطاب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المراد لتركبنّ طبقا من طباق السّماء.

و قوله تعالى: فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۲۰] لفظه استفهام معناه الإنكار، و التبكيت يقول: ما الذى منعهم من الإيمان، و قد وضحت الدلائل و السّبل، و تكرّرت الآيات و النّذر، و ضاقت المعذره و حقّت الكلمه. قوله تعالى: وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۲۱] اكبارا و إعظاما و إيمانا، و إيقانا و هو من المعجزات الباهره و الإلزامات المسكته. و هل ذهابهم عن تدبّره و اشتغالهم إلّا عناد فبشّرهم بعذاب أليم. أصل البشاره من البشره استبشر بشى ء انبسط جلده، و نضر وجهه، و هذا و أمثاله إذا استعملت فى غيره كقوله: تحيه بينهم ضرب وجيع. أى يقيمون بدل التّحيه عند اللّقاء ذلک، فأما قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآيه: ۱] فإنما معناه سينشق القمر، و من أثبت ذلک دليلا لا ختص به عبد اللّه بن مسعود، و إنّ سائر النّاس لم يروه لأنّ اللّه حال بينهم و بين رؤيته بغمامه، أو غير ذلک. و يجوز أن يكون غير عبد اللّه بن مسعود قد رأى ذلک، فاقتصر فى نقله على رؤيه عبد اللّه، و على ما نطق به القرآن من ذكر،

و كـان الجاحـظ ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضـا: لو انشق حتى صـار بعضه فى جبـل أبى قبيس لوجب أن يختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله فلو انشقّ لكان وقت انشقاقه لا يسير.

و منه قوله تعالى: الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً [سوره الملك، الآيه: ۳] إلى وَ هُوَ حَسِيرٌ أوّل السوره تَبارَكَ الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملـك، الآيه: ۱] و ليس تفاعـل هـذا كتفاعـل الـذى يفيـد التكلّف للشـى ء عن غير موجب له نحو تخـازر، و تعـارج، و تساموا، و تجاهلوا لكنّه بمعنى فعل و أصل البركه البقاء و الزّياده، و كذلك لفظه تعالى فى صفه اللّه، فهى بمعنى علا و مثله لعلا و تكبّر بمعنى كبر و علا، و هـذا كما يقال: علا قرنه، و اسـتعلاه و قال زهير: و كان أمرين كلّ أمرهما يعلو. و مثله قرّ و اسـتقر، و هزأ، و اسـتهزأ، و يشـهد لما قلنا قول امرئ القيس: تجبر بعد الأكل فهو نميص. و إنّما يصف نبتا قد رعى ثم عاد منه شى ء فتجبر بمعنى جبر من قوله: قد جبر الدّين الإله فجبر.

و قـد كشف عن المراد بقوله: فهو نميص أى لقصوه كـأنّه ينمص بالنّماص، و هو المنقاش، و متى جعلت تجبر صار كالجباره، و هى النّخله التى فاتت اليد طولا و أوقع آخر الكلام أوّله لأنّ المنموص لا يتجبّر و لا يطول. و على هذا قوله تعلّى الندى فى متنه و تحـدّرا يريد علا و حدر، و أنشد أبو عبيده: تخاطأت النّبل أحشاءه معناه أخطأت، فهذا شاهد تبارك و تعالى، و مثل هذا أجاب، و استجاب و قوله تعالى: بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآيه: ۱] أى يملك الملك الذى يمكّن عباده منه، و يصرفهم فيه، فالبقاء له و القـدره و التمكّن، و القمر بأمره و حكمه، و إضافه الفعل إلى اليد ضـرب من التّوسع يقال: و فى يدى و ملكى و فى قبضـى، و هو قبضـى. قال تعالى: وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ [سوره الزمر، الآيه: ۶۷] أى يحكم فيها حكما لا قصور فيه عن المراد، و لا تجاوز إلى أكثر من المرتاد، ففعله وفق إرادته و وفق قصده و إرادته، فخلق الحياه لمن يريد اسـتبقاءه ليعبده، و الموت إلى غير ما هو عليه إخبارا منه لطاعه المطيع منهم، فيثيبه و معصـيه العاصى منهم فيعاقبه، و هو العزيز فلا يفوته الهارب، القدير فلا يعجزه المغـالب. قوله تعـالى: خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقـاً أى بعضـها فوق بعض و على حـده، فيطابقه، و يشابهه، و لا يخالفه فيباينه و قال الشاعر شعرا:

إذا نزل الظلّ القصير بنحره فكان طباق الخف أو قل زائدا

و يقال: طابق فلان فلانا على كذا إذا وافقه عليه. و يقال: النّاس طبقات أى بعضـهم فوق بعض. و منه قولهم: طابق البعير إذا وضع خفىّ رجليه فى موضع خفّى يـديه. و قـد قال تعالى: وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ [سوره فصـلت، الآيه: ۱۲] فقوله الدّنيا يدل على أن

بین السّماوات تقاربا، و تباعدا، و أن التی هی فوق هذه لیست بالدّنیا منه، قوله تعالی: ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ [سوره الملک، الآیه: ۳] و قرئ من تفوت أی بنی ما خلقه علی حکمه فلا یفوت بعضه بعضا و لکنه یتعادل، و فی هذا المعنی قالوا: وجه مقسم إذا کان الحسن مقسوما فیه فأعطی کل جزء نصیبه منه حتی لا استبداد فیه، و قالوا: ما أحسن قسمه وجهه و هذا بخلاف ما ذکرناه فی تفسیر المتفاوت لأنّ المتفاوت ما یزید علی الاعتدال، أو یخرج عن القدر الملائم بالانتقاص، و ذلک ضد التقدیر و قوله تعالی: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ [سوره الملک، الآیه: ۳] المراد به أیّها الإنسان قد أعطیت من الآلات، و رتّب فی عقلک و تحصیلک من البیّنات ما تدرک به حینا، أو تقدیرا تراکیب الأشیاء و سلامتها مما یشینها إذ دخولها فیما یجتذب وجوه الفساد إلیها، فتأمّل ما صنعه اللّه و اخترعه فی هذا الخلق العظیم و اقتف آثاره فیها، و ردّد طرفک و عقلک فی ظواهرها و بواطنها و مفرداتها؛ و مرکباتها و تأمّل بعد تقصّی و سمک و استفراغ جهدک، ورد المجمل علی المفصّل و المشاع علی المقسوم، هل تجد فیه خللا، أو هل تتبیّن فیه عیبا؟ و قوله تعالی: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً [سوره الملک، الآیه: ۴] بعث علی الکشف و البحث و تأکید فی المبالغه فیهما و إنّما قال هذا لما یعتقده العرب من أنّ النظره الأولی حمقاء فینبغی أن لا یکتفی بها فی المزاولات، و التتبع فی المستکشفات حتی أنّ بعضهم قال فی صفه امرأه شعرا:

لها النظره الأولی علیهم و بسطهو إن کرّت الأبصار کان لها العقب

یقول لهذه المرأه، علی من یستقری محاسنها النّظره الأولی، فإن لم یقنعهم ذلک، فأخذوا یستنبطون فی المعاوده، و یحیلون الطّرف فی العین و الأثر کان لها البسطه أیضا، فإن أبوا إلّا أن یکرروا الأبصار، و ردّدوا النّظر حالا بعد حال کان لها العقب، و هو ما یسلم علی التّعاقب من أواخر البحث فقوله تعالی: کَرَّتَیْنِ تأکید علی ما ذکرناه، و حکی لی عن بعض أهل النظر أنه قال: إنّ اللّه تعالی أمر بکر البصر ثلاث مرات لأنه قال: ارجع البصر، ثم ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ، و هذا الذی ذکره و عوّل علیه من ذکر الکرّتین لا یحصل له المراد، بل یفسد علیه ما اعتمده لأنّه قال تعالی: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ [سوره الملک، الآیه: ۳] و هذا لا یقتضی إلّا مره واحده، و قال من بعد: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ [سوره الملک، الآیه: ۴]، و لو اقتصر الکلام علی فارجع البصر، و لم یأت بذکر المرّتین لکان للسامع أن یتجاوز إلی ما فوقها من الکرّات لأنّ ثم لا یقتضی الحصر، و لا یوجب الوقوف.

فلما قال: کرّتین علم أنه أکّد به ما ذکر من الرّجعتین علی أنّ قوله تعالی: فَارْجِعِ الْبَصَرَ لیس قبله فعل مذکور فیکون الرّجوع عن ذلک الفعل لأنه قال تعالی: ما تَری فِی

خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ [سوره الملک، الآيه: ۳] فكـان المراد انظر، فارجع، ثم ارجع أى لا ترض بالنظره الأولى و لكن راجع بعـدها، ثم راجع، و إذا كـان التكرار هو الرّجوع إلى الأول، و الأول هنا النّظر المضـمر فقوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ كرّر أوّل إلى النظر المسـتدل عليه، و قـوله: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ، و إذا كـان الأـمر على هـذا لم تحصـل ثلاـث كرّات فلذا اتّبع الكلام بقوله كرّتين و هذا جيد بالغ، و قوله تعالى: هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ أى من شقوق و صدوع.

و قوله تعالى: يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً [سوره الملک، الآيه: ۴] المعنى إنـك إن أدمت النّظر، و اتبعت البصـر تطلب العيب فى حكمه اللّه و الفطور فى صـنعه رجعت من مطلوبـك خاسـر الصـفقه، صاغر الرجعه، خائب الطلبه بعيـدا من البغيه، و الخاسـئ من قولـك خسـأت الكلب إذا طردته و بعـدته خسـأ و لاـ تقـل انخسأ، و الحسـير الكال المعى. و يقال: إبل حسـرى لأنّ حسـيرا فعيل بمعنى مفعول، فهو كجريح، و جرحى.

و منه قوله تعالى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ [سوره الرحمن، الآيه: ۳۷] الآيه، و قوله:

وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا [سوره الفرقـان، الآيه: ۲۵] خضـراء ملسـاء متّصـله الجوانب و الأكناف مرتبه الوسائط، و الأطراف محفوظه من مسترقه السّمع بما أعدّ لها من الارصاد.

و تلخيص هذا يبين إذا ضمّ إلى قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ و إلى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمـامِ وَ الْمَلائِكَةُ [سوره البقره، الآيه: ۲۱۰] لأنّ المعنى يأتيهم أمر اللّه، و السّـماء كالورده، و قـد انفطرت بالغمام أى تنشق بهـا، و الملاـئكه تنزل منهـا فى الغمـام فكأنهـا تنشق، و هم فى تكـاثفهم، و تراكمهم بما معهم كظل من الغمام و هـذا كما يقال: رعف الباب بفلان- أى جاه من قبله، و سال الوادى ببنى فلان إذا خرجوا منه، و كقول الشاعر:

و سالت بأعناق المطىّ الأباطح

و كما قال:

ألا صرمت حبائلنا الجنوب ففرّقنا و مال بنا قضيب

قضـيب: واد باليمـامه، و المعنى أنجـدنا لمـا افترقنا، و انهمت هـذه المرأه و يقال: نزل بقارعه الوادى- أى أعلاه، و قوله: مال بها، كقوله: سـالت الأباطـح بأعنـاق المطى قوله تعالى: فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۳۷] يريـد تحوّلها عما كانت، و الورد الأحمر و ليس بمشبع قال:

فهو ورد اللّون فی ازبئرارو کمیت اللّون ما لم یزبئر

و قـال الفراشـیه: تلوّن السّـماء تلون الورده من الخیل لأنّها تکون فی الرّبیع إلی الصـفره، فإذا اشـتدّ البرد کانت ورده حمراء، فإذا کانت بعد ذلک کانت ورده إلی الغبره قال عبد بنی الحسحاس شعرا:

فلو کنت وردا أحمرا لعشقتنی و لکنّ ربّی شاننی بسوادیا

و قیل فی الـدّهان: إنها جلود حمر، و قیل: هی جمع دهن- أی تمور کالـدّهن صافیه، و الشاهد لهذا قوله تعالی: یَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً [سوره الطور، الآیه: ۹] أی تتمیع.

و قال تعالی: یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ [سوره المعارج، الآیه: ۸] و هو الصفّر المذاب، و کان التّشبیه وقع بالذّوب، فیکون المور و الذّوب علی طریقه واحده، و قوله تعالی: یَوْمَ یَرَوْنَ الْمَلائِکَهَ لا بُشْری یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ [سوره الفرقان، الآیه: ۲۲]، و قوله تعالی فی سوره الرّحمن: عنـد ذکر وعید الکفار، و الإنذار من یوم الحشـر، و المعاد و ما یجری مجراه من الاقتصاص، و الأمر بالعدل و الإنصاف: فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ* [سوره الرحمن، الآیه: ۱۳]. سأل سائل: أی شـی ء فی هذا من الآلاء حتی ذکره اللّه ممتنا به فی جمله ما عدّده من صنوف النّعم، و وجوه القسم فی الأولی و الآخره.

و الجواب إن اللّه تعالی منعم فی کل حال و مذکّر بما یزید المتعبد استبصارا فی الأمر الأولی و نفورا، و زهدا فی الدّنیا، و واعظ بما یکون السّامع له أقرب إلی الطّاعه فیما یعمله من الاسـتطاعه، و إذا کان الأمر علی هـذا فنعمه علی خلقه فی الإنـذار و الإعذار مثل نعمه فی التّبشـیر و التّحـذیر إذ کان الصّارف عن الشر بلطفه مثل الباعث علی الخیر بفضـله، و قـد توعّد اللّه جاحدی نعمه و المهملین لآیاته و نـذره بالخسف و الرّجف و الخزی الثّابت، و البعث المفاجئ، و المسـخ المرصد و الرّیح العاصف و الزّلازل، و الصّواعق بعـد أن أمضـی بهـا أو بأکثرها الحکم علی من حقت علیه الکلمه فمن سعد و وعظ بغیره فأجاب حین دعی، و أدرک لما بصر و نفعته المهله و الإملاء، و استسعد بالإعاده، و الإبداء و نبهه ضرب الأمثال و المبالغه فی الإبلاغ.

ثم عرف حال أولئک المسـتمرین فی الضّلاله و الذّاهبین عن طریق الهدایه و مصائر أحوالهم، فإنه إذا راجع نفسه دری عظم نعم اللّه علیه فیما وفقه، أو یسرّ أخـذه به من العدول عن سـلوک مناهجهم، و أوجب علی نفسه شـکرین (الأول) لاهتدائه، (و الثّانی) لما زاده اللّه من الاسـتضاءه بنور الهـدی و قربه من التقوی.، أ لا تری قوله تعالی: حاکیا عن أهل الجنه و قـد اسـتقروا فی منازلهم منها: الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِی هَـدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ [سوره الأعراف، الآیه: ۴۳] قوله تعالی: وَ قُضِیَ الْأَمْرُ [سوره البقره، الآیه: ۲۱۰] نصف

عقبى حالهم وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [سوره يونس، الآيه: ۱۰] و قال تعالى بين أحوالهم قبل ذلك: فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ [سوره مريم، الآيه: ۶۷] إلى وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۷۲] فعلى هذا الذى بنينا الكلام عليه قدر اللّه نعمه على الجن و الإنس فى دنياهم، و أخراهم، ثم قال: يا أيها تكذبون و كل ما تتصرفون فيه من حياه و ممات و نعمه و نقمه و تيسير و تعسير، و تقريب و تبعيد آثار إحسانى فيها ناطقه و أعلام آلائى فيها سنه واضحه و هذا بمن اللّه ظاهر.

و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] إلى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] الخلق هو الاحداث على تقدير من غير احتذاء مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلّا فى صفه اللّه تعالى لأنه لا أحد جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء أمثال إلّا اللّه و إنما جمع السّماوات، و وحّد الأرض لأنّ الأرضين لتشاكلها تشبه الجنس، و الواحد كالرّجل، و الماء الذى لا يجوز جمعه إلّا أن يراد الاختلاف، و ليس يجرى السّماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دبّر فى كل سماء أمرها بالتّدبير الذى هو حقّها قوله تعالى: وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] يجوز أن يكون من الخلاف كالسّواد و البياض لأنّ أحدهما لا يسدّ مسد الآخر فى الأحوال.

و يجوز أن يكون من الخلف لأنّ كل واحد منهما يخلف صاحبه على طريق المعاقبه و النّهار فى اللغه يفيد الاتساع أيضا، و يقال: انهرت العنق إذ أوسعته، و ذكر اللّه تعالى هذه الآيات مجموعه معظما شأنها ليصرف بكريم عطفه و حسن نظره أوهام المخاطبين بها إليها، و إلى النظر فى تراكيبها و ابتداع خلقها مدرجا إلى الاستدلال بها على خالق لا يشبه الأشياء و لا يشبه من جهه أنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم الذى ليس بجسم و لا عرض، إذ جميع ذلك محدث و لا بدّ له من محدث لاستحاله التسلسل، فتقديم السماوات و الأرضين فى الذّكر لأنها المعظم فى المشاهدات و الأصل و ما عداها تبع لها، و لتكون الحواس إلى تمييزها أسرع، و الأذهان إلى تبحثها أميل، و النّفوس فى الكشف عن سرائرها أرغب، و العقول عنها أفهم، و اختلاف اللّيل و النّهار يدلّ على عالم مدبر لأنه متقن فى الصنع محكم فى التدبّر قريب التحوّل بعيد التأخر، فهو أبلغ أداء و أبين مأخذا، و أفصح برهانا، وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] لأنه فعل منعم عالم بما يكون قبل أن يكون هيأ اللّه لمنافع الناس و من جرى مجراهم لكى يفكروا، مع كثره بلواهم بها، و مع تعذر فعل مثلها عليهم منها و ليعلموا بمواقع حاجاتهم و تيسر مرافقهم بها أنّ اللّه لهو الحكيم الرءوف المحدث لهم، و المنشئ و المصرف و المسخر.

فأما الماء المنزل من السّماء، فيدل على الرازق المنعم المبدع لما شاء لا يعجزه شى ء

مروم، و لا يتكأده مطلوب، لا يخطئ تدبيره، و لا يقصر عن الحاجه تقديره آخر مراده وفق أوله لائق بآخره.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فتمثيل للحشر و البعث، و تنبيه على أنه تعالى تتجدد منحه حالا بعد حال، و وقتا بعد وقت ليكون للعائشين بها أهنأ، و فى إظهار القدره عليها أحكم، و يجوز أن يقال: و صفت الأرض بالحياه لينشأ النبات عنها كنشوء النتاج عن الحيوان فقيل: إذا كانت عامره حيّه، و إذا كانت هامده ميته، و يجوز أن يقال: و صفت بذلك لأنّها تخرج ما تحيى به النّفوس من الثمار و الزّروع. قوله: وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] يريد من جهه السّماء و من نحو السّماء، و فى موضع آخر: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۸] يجوز أن يكون بدلا من الماء، أو تبيينا له و تفسيرا، أو يكون كالفطور و أمثاله فلا يدل على الكثره، و إذا جاز ذلك فيه فليس لأحد من الفقهاء أن يتعلق بظاهر الآيه فيقول: إنّ طهورا فعول، و هو صفه للماء فيجب أن يدل على الكثره و المبالغه فى الحكم الذى يجب فى فعول إذا كان صفه لأنّ فعولا قد يكون كالفطور فلا يدل على الكثره، و لأنه قد يجوز أن لا يكون صفه للماء بل يكون بدلا و تفسيرا، و يسقط التعلّق بظاهر الآيه.

و أما قوله تعالى: وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] فيستدلّ به على الاقتدار على ما لا يتأتى للعباد إن ميسرها لأوان فقرهم إليها إن شاء جعلها السّبب فى إهلاكهم بها، فهو مذكّر واعظ و مبشّر قادر، و معنى تصرفها تحوّلها من حال إلى حال و من جهه إلى جهه، و كذلك صرف الدّهر تقلبه، و قال الحسن: الصّرف النافله، و العدل الفريضه.

قوله تعالى: وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] أصل البث التفريق، ثم توسع فيه فقيل بث فيه الشّراب و السّم، و يريد بالفلك السّفن إذا أصعدوا فى البحر للتجارات و ما يجرى مجراها، و يقع على الواحد، و الجمع قال تعالى: فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآيه: ۱۱۹] و إذا أنث فلأنه أريد به الجمع، و أصله الدّوران، و منه تفلّكت الجاريه إذا استدار ثديها، و إنّما استوى الواحد، و الجمع فيه لأنّ فعلا و فعلا يشتركان كثيرا كمثل قولهم: العرب العرب، و العجم، و العجم، و البخل، و البخل، فمن قال: فى أسد أسد، قال: فى فلك فلك، فجمعه على فعل، و مثل هذا قولهم: هجان لأن فعيلا و فعالا يشتركان فى الجمع، كقولك: قضيب و قضب، و كتاب و كتب، فمن قال: كريم و كرام، و طويل، و طوال يلزمه أن يقول: هجين، و هجان.
فإن قال قائل: لم جمعت اللّيل و لم يجمع النهار؟ قلت: النّهار بمنزله المصدر، فهو كقولك: الضّياء و الظّلام، فوقع على القليل

و الكثير، و اللّيله مخرجها مخرج الواحد من اللّيل على أنه قد جمع فى الشذوذ على نهر قال:

لو لا الثّريد إن هلكنا بالضّمرثريد ليل و ثريد بالنّهر

و أصل التّسـخير: التّـذليل، و المراد إنّ اللّه يمسـكه، و تسـكين الأجسام الثقال بغير دعامه و لا علاقه فعل من لا شبيه له و لا نظير، فهو القـادر الـذى لا يعجزه مراد قوله تعالى: لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] يريـد أنّ هذه البراهين على التّوحيد، و بطلان التّشبيه يستدل بها العقلاء، فيصلون إلى العلم بما يلزمهم، ثم العمل بها ففيه مدح المفسرين المتأملين، و ذمّ لمن سلك غير طريقهم، فأهملوا مع المهملين.

و منه قوله تعالى فى سوره النّمل: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ [سوره النّمل، الآيه: ۵۹] إلى قوله:

بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۶].

اعلم أنّ هـذه الآى تشـتمل على فوائـد كثيره و مسائل جمه عجيبه. فمنها بيان الفائده فى قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، و كيف جعل قرآنـا متلوا؟ و الظـاهر أنه من كلاـم جبرائيـل مخاطبا للنبىّ صـلى اللّه عليه و سـلم عنـد أداء المنزل إليه، و منها: كيف مورد قوله: الْحَمْـدُ لِلَّهِ وَ سَـلامٌ عَلى عِبـادِهِ [سوره النّمل، الآيه: ۵۹] و القصـد إلى تبكيـت المعانـدين و إنـذارهم و جمـع الحجّه عليهم و قل إنكارهم بدلاله قوله: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْـرِكُونَ [سوره النمل، الآيه: ۵۹] إلى غير ذلك مما سـنبيّنه شيئا بعد شى ء إن شاء اللّه تعالى، فنقول و بالله التوفيق.

أمـا لفظه قـل: فحيث ما جاء فى التّنزيل مبتـدأ كان، أو متوسـطا، فهو أماره كونه من كلام اللّه خطابا للنّبى صـلى اللّه عليه و سـلم تبصـيرا عند افتتاح القول، و تهذيبا، أو إسقاطا للسؤال، يوجهه المعاندون نحوه امتحانا، فكان النّبى صلى اللّه عليه و سلم ينتظر فى مثـل هـذه الأـحوال مـا يلقنـه مـن وحى فيـدفع بـه مضـرّتهم، أو يبطـل بـه حجّتهم، أو يتوصّـل به إلى تعجيزهم و رد كيـدهم فى نحورهم، أو يسـتظهر به داعيا عند طلب السّـلامه عليهم ظهر الابتداء المعقب بقل و اللّه يمده بما يعلو به أمره، و يشتد به أزره فلا يجى ء لفظه قل فى القرآن إلّا و هو تلقين للنّبى صـلى اللّه عليه و سلم و كموعد ينتظر إنجازه على هذا قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُـلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى [سوره الإسـراء، الآـيه: ۸۵] و قوله تعـالى: مـا كُنْتُ بِـدْعاً مِنَ الرُّسُـلِ [سوره الأحقاف، الآيه: ۹]، و كقوله تعالى: قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ [سوره ص، الآيه: ۶۵] و قُـلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ [سوره الكافرون، الآيه: ۱] و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سوره الإخلاص، الآيه: ۱] و قُلْ أَعُوذُ* [سوره الفلق، الآيه: ۱] و ما أشبهها.

و أما قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ فإن القوم لما تقرر الكلام عليهم و استمرارهم فى لزوم الجحد و مباينتهم لنهج الحق جعل اللّه ابتداء الكلام خطبه على عاده العرب فى مقاماتهم و عند تصرّفهم فى منافراتهم لأنهم يبدءون فى مقارضاتهم بحمد اللّه، و الثّناء عليه و الصّلاه على رسوله يأخذون فى مآربهم و يستقرّون فى وجه القول مدارجهم لتكون طرق البيان بها أوسع، و براهين الموجبات فيها أثبت فقوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أى ابتدأ بالثناء على اللّه فيما آتاك من فضله و اختصك به من كرامته، ثم اتبعه بالتّسليم على إخوانك من الأنبياء الذين اصطفاهم اللّه كما اصطفاك، و حمّلهم من أعباء الرساله مثل ما حمّلك، ثم سل هؤلاء الذين ينازعونك الأمر، و يرادونك فيما تدعو إليه القول، و قل اللّه خير أم ما تجعلونه شركاءه.

و مثل هذا من الكلام يستعمل مع من حقت عليه الشّماته و لزمت الحجه و تبرأت منه المعذره فيقرع لسوء اختياره به و يرى بعد ما بين أمريه فيه، ثم أخذ تعالى فى إحصاء نعم اللّه التى تفرد بإنشائها يقرّرهم على ما يضطرون إلى تسليمها و نقص يد المنازعه فيها من خلق السّماء و الأرض و إنزال الغيث الذى تنبت به الحدائق، و يحيى به الموات، و يعيش منه الناس و الأنعام كما قال تعالى فى موضع آخر: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ [سوره الزمر، الآيه: ۲۱] الآيه. يقول: انظر كيف أنزل الغيث، و كيف أحيى به الأرض؟ ثم جعله فيها ينابيع إلى أن أخرج به المرعى فجعله غثاء أحوى.

و وجه التّقرير بهذا تأنيسهم بما كانوا لا ينكرونه لأنهم كانوا معترفين بأنّ ما يدعونه من الشّركاء لم ينبتوا شجرها، فكيف ما عداها، و أنّ مثل الشّركاء فى العجز عنها مثلهم فى أنفسهم لا تباين و لا تمايز لتساوى أحوالهم و تقارب آماد قواهم، فقال ذات بهجه، و لم يقل ذوات لأنه لمّا كانت الجموع مؤنثه اكتفى بالتأنيث عن الجمع و مثله القرون الأولى، و الأسماء الحسنى قوله تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره النمل، الآيه: ۶۰] أم فيه لتحوّل الكلام، عن حال إلى أخرى فهى أم المنقطعه لا المعادله، و فى قوله تعالى: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ هى المعادله و المفسره بأى، و فى كلّ منهما تبكيت شديد و تعنيف بليغ و إن اختلف طريقاهما لأنّ قوله تعالى: أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ [سوره النمل، الآيه: ۶۰] ممتزج بوعيد و تعجيب. و قوله تعالى: آللَّهُ خَيْرٌ [سوره النمل، الآيه: ۵۹] ممتزج بتسخير و لو قيل إلها بإضمار فعل جاز. و مثله:

أ عبدا حلّ فى شعبى غريباأ لؤما لا أبا لك و اغترابا

و قوله تعالى: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۰] حكم بأنّ الكلمه حقّت عليهم لعبادتهم أ لا ترى أنه تابع بين البراهين السّاطعه و الإلزامات الدّامغه، فأخذ يسألهم عن

الأرض و مصيرها قرارا للخلق و ما فى خلالها من الأنهار، و ما ثبت بها من الجبال، و عن البحرين و الحاجز بينهما، و عن إجابه المضطر، و إغاثه الملهوف من يقيمها فيقول: من أنشأها و جعلها كذلك تكرّر التفريع، و مثل هذا من القول مع المصر الجاحد أبلغ من كل وعيد، و أوعظ من كلّ نكير. قوله تعالى: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۲] يجرى مجرى الالتفات فى كلام البلغاء لأنه تعالى بعد تعداد آلائه عليهم و على جميع الخلق معهم، و بعد إظهار الآيات البيّنه و ذهابهم عن المناهج المستقيمه و أنّهم لا يرجون بالنّذر و لا يرعون للعبر.

قال: بلغت المقال فى نكوصهم إليهم و يقبح فيما يؤثرونه من صوابهم لديهم: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ، و هو لا يثبت بالقليل شيئا و إنما هو نفى خالص فكأنه قال: لا تذكرون شيئا، و يجوز أن يكون انتصاب قليلا على الظّرف و على أن يكون صفه لمصدر محذوف قوله تعالى: أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره النمل، الآيه: ۶۳] يريد من يسيّركم و يرشدكم إلى القصد و السّمت فى تلك الحال، وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سوره النمل، الآيه: ۶۳] أى أمام الغيث ناشره، أو مبشره، فقد قرئ نشرا بالنّون، و بشرا بالباء، و معنى النّشر ضد الطى أى تفتح الأرض، و تعرج أطباقها للمطر و النّبات كما قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ [سوره الحجر، الآيه: ۲۲]، و ختم الكلام بإعاده التّبكيت لأنّ هذه المسائل لا أجوبه لها تعالى اللّه عما يشركون، ثم قال تعالى: أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره النمل، الآيه: ۶۴] جعل الخطاب فى هذا الفصل، و فى فصلين قبله و هما: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ [سوره النمل، الآيه: ۶۲] و أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بلفظ المستقبل بعد أن ساق فى أول الفصول الكلام على بناء الماضى فقال: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره النمل، الآيه: ۶۰] و أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً [سوره النمل، الآيه: ۶۱] لأنّ بعض أفعاله تعدم و حصل محصل المستكمل المفروغ منه، و فعل ما يساء فى خلقه حالا بعد حال، فهو كالمتّصل الدائم لذلك خالف الآخر الأول، و قال بعد المسائل التى رتّبها معجزاتها: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ [سوره النمل، الآيه: ۶۴] على مقالتكم، و استأنف تعليم النّبى صلى اللّه عليه و سلم بما يورده عليهم فى إنكارهم البعث و استعجالهم من النّشور بعد الموت لما قالوا: أَ إِذا كُنَّا تُراباً [سوره النمل، الآيه: ۶۷] وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۷] لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ [سوره النمل، الآيه: ۶۸] فقال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [سوره النمل، الآيه: ۶۵] فما غاب عنكم كيف تحكمون عليه بالبطلان و الامتناع، و قد استوى المخلوقون فى استبهام أمر الساعه عليهم فلا يشعرون متى يبعثون أ لا تسمع قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۷] و إذا

كـان القيامه من الغيب الـذى اسـتأثر اللّه بعلمه لما تعلق بخفائه من مصالـح المكلفين، فالمتكلم فيه أمّن الكفار واقف من مطلوبه موقف الخزى و الخيبه، و الرّاجع من مرتاد القيامه يفوت السّلامه.

قوله تعـالى: بـل أدرك علمهم فى الآ ـخره اسـتهزاء بهم جعـل علمهم كـالثّمر المنتظر ينعه و تكامله، فإذا تم بلوغه قيل أدرك، و قرئ بـل إدارك علمهم، و المعنى تـدارك، و هو أبلغ فى المعنى لأ ـنّ تفاعـل بناء لما يحصل شيئا بعـد شـى ء على هـذا قولهم: تـداعى البنـاء و تلا ـحق القوم و مـا أشـبهه، ثم قـال مرزيا بهم و مبطلا لظاهر ما أعطاهم: بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ [سوره النمل، الآیه: ۶۶] فانظر كيف ارتجع منهم ما بذله و على أى ترتيب رتّبه لأنه قال: بل أدرك علمهم بلسان التّهكم و الهزء، ثم حطّهم عن تلك الرّتبه فقال: بل هم فى شك منها فضـعف علمهم و إدراكهم بالشّـبهه العارضه لهم إذ كان الشّك لا يحصل إلا ـ لعـارض شـبهه، ثم قـال: يجهلهم و يردّهم إلى أسوأ منـازل الباحث، فقال: بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ، و قال بعض أصـحاب المعانى: بلغنى عن ابن عبّاس أنه قرأ: بلى إدارك يسـتفهم، و يشـدّد الـدال، و هو وجه جيـد لأنه أشـبهه بالاسـتهزاء بأهل الجحد كقولك للرّجل بكذبه و العمى المذكور بإنما هو من الرّى دون البصر، و هذا بيّن و الحمد للّه.

و منه قوله تعـالى: اللَّهُ نُورُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآیه: ۳۵] إلى وَ اللَّهُ بِکُـلِّ شَـیْ ءٍ عَلِیمٌ [سوره النور، الآیه: ۳۵] أراد بقوله تعـالى: اللَّهُ نُورُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ أنّ الآيات الباهره الـداله عليه و على أنه لا نظير له و لا شبيه، و أنّ العباده لا تحق إلا له مبينه مضـيقه لعذر من شـبه بخلقه ظاهره ظهور المصباح لذى وصفه فى المشكاه التى بين أمرها إذا كان اللّه تعالى خالق الظلم و الأنوار، ثم جعل المصباح فى زجاجه صافيه تشرق إشراق الكوكب المضى ء الوقّاد، و قد استصبح ذلك السّراج بزيت من شجره زيتون قد بورك فيها ثابته على خط اسـتواء لا شـرقيه، فيكون خطها منها العشيات فقط بل تستوفى قسطها مما ينمّيها و يربّيها كل وقت حتى إنّ عصـيرها إذا اعتصـر يقرب من أن يشرق و إن لم تمسه نار، ثم قال: نُورٌ عَلی نُورٍ [سوره النور، الآیه: ۳۵] يعنى نور المصـباح، و نور الزّجاجه، و نور الزّيت يـدل على أنّ أسـبابه متعاونه فى الإضاءه فكلّ موادها نور مفرد لو اكتفى به فى الإشـراق لأ ـغنى عن غيره، فيقول: إنّ هـذه الأ ـنوار المجتمعه المترادفه مثـل لآيـات اللّه فى وضوحهـا، و الـدّلاله على وحـدانيته، فلا ـ شـبهه تعرض لناظر و لا مريه يتسلط على خاطر فكلّ من ضل عمّا دعى إليه فإنما أتى من قبل نفسه و سوء تأنّيه، أو من هو يجذبها إلى الضّـ لال فيرديه. فـإن قيـل: هل تعرف فى نظوم كلامهم مثل هـذا التركيب، و التّلفيق؟ أو هل تعرف فى الأمثال المضـروبه لتأكيد القصص و الأخبار ما أسس هذا التأسيس؟

قلت: هم يقولون مثل هذا إذا قصدوا التّنبيه على تناهى الشـى ء و بلوغه أقصى مأخذه حتى يستغرق أكثر أوصافه على ذلك قول الأعشى، و هو يهول أمره و يعظمه فيما قاساه فى الغزل حتى بلى فيه بما لا مزيد على شأنه فقال:

علقتها عرضا و علقت رجلاغيرى و علق أخرى غيرها الرّجل

و علقته فتاه ما يخاف لهامن قومها ميت يهذى بها و هل

و علقتنى فتاه ما تلا يمنى فاجتمع الحبّ حبا كلّه تبل

فكلّنا هائم يهذى بصاحبه فآب و دان مخبول و مختبل

فهـذا من الباب الـذى نحن فيه، و قـد فعل اللّه مثل ذلك فيما ضـربه من المثل للكفر و الضّـلال فقال تعالى: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ الآيه، فكما ضرب للهدى المثل بالنّور على ذلك الحدّ من التأكيد ضرب للكفر مثله و على حده.

فأما قوله: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ [سوره النور، الآيه: ۳۵] فإنه يحتمل وجهين:

(أحـدهما) أن يكون مثـل قوله تعالى: أَ فَمَنْ شَـرَحَ اللَّهُ صَـدْرَهُ لِلْإِسْـلامِ [سوره الزمر، الآيه: ۲۲] و قوّى بصـيرته و نوّر منهـاجه و قصـده، و يجوز أن يريد بالنّور الذى يهديه له ما يفعل اللّه بالمؤمنين من إرشادهم إلى طريق الجنه، كما قال فى صـفتهم: نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ [سوره التحريم، الآيه: ۸]، و مثل قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، قوله تعالى فى صفه النبى صلى اللّه عليه و سلم: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً* [سوره الفتح، الآيه: ۸] الآيه، و هذا واضح بيّن.

قوله تعالى: وَ أَنَّا لَمَسْـنَا السَّماءَ إلى شِـهاباً رَصَـداً [سوره الجن، الآيه: ۸] يقـال لمس و التمس بمعنى طلب و حمـل عليهما المس أيضـا، فـالحجه فى الأـول قوله الاـم على تبكيه فلاـ أجـده يكشف ذلـك قوله: فلا أجـده، و فعل، و افتعل يتصاحبان كثيرا، و أما المس و خروجه إلى معنى اللمس فقد استشهد له بقوله:

مسسنا من الآباء شيئا و كلّناإلى حسب فى قومه غير واضع

فقيـل المعنى طلبنـا فى نسب آبائنـا هـل فيه مـا يقتضـى مـا أنكرنـاه من أخلاـقهم لأـنّ المس بالجـارحه لاـ يتأتى فى الأنساب، و الأحساب، ثم حمل قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۹]، و قيل معناه لا يطلب النّظر فى أدله اللّه المنصوبه فى كتـابه العزيز للاقتباس من آدابه و حكمه، و الاعتبار بأمثاله، و حججه إلا المطهرون من دنس الشـرك و دغل الكفر، و يكون على هذا التأويل الكلام خبرا.

و قيل فيه أيضا: إنّ المس هو التّناول باليد، و يكون على هذا اللّفظ لفظ الخبر، و المعنى معنى النّهى كأنه نهى الحائض و الجنب، و من جرى مجراهما من تناول المصاحف تنزيها لها، و تعظيما لشأنها، و الوجهان قريبان، فأما الآيه فهى إخبار عن الجن المسترقه للسّمع و أنهم كانوا قبل الإسلام يقعدون من السّماء مقاعد تقرب الاستماع إلى الملائكه و تسهله فى السّماء الدّنيا، فكانوا يلتقطون من تجاورهم و تذاكرهم بما يوحى إليهم امتحانا لهم ما يلقونه على ألسن الكهنه حتى يتصوروا للنّاس بصوره من يعلم الغيب، فيؤمنوا بهم و ذلك من الإضلال، و فساد الأدله ما لا خفاء فيه، فقالوا: قد كان هذا فلما بعث النبى صلى اللّه عليه و سلم منعنا من ذلك بما أرصد لنا من ثواقب النّجوم.

و قد اعتقد قوم أنّ انقضاض الكواكب ظهر فى الإسلام لأنها جعلت رجوما للشياطين فيه، و قد جاء فى الشعر القديم تشبيه المسرع من الخيل و غيرها بمنقضّ الكواكب، فالأقرب فى هذا أنه كثر فى الإسلام، و من قبل كان يتفق نادرا، أو يكون جعلها رجوما إسلاميا و فيما تقدم من الزّمان لم يكن لذلك من الشأن فإنه تعالى قال: وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ [سوره الملك، الآيه: ۵] و قوله تعالى لا يبدل و لا يدخل التسمح بل هو الوحى المحقق و الخبر المصدق.

فإن قيل: من أين لك أنّ الملائكه كان يرد عليهم الوحى فيتدارسونه بينهم و يجاذبونه حتى توصّلت الشّياطين منه إلى الاستماع. قلت: يدل على مثل ذلك قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها [سوره البقره، الآيه: ۳۰] الآيه، فتبيّن أنّه قدّم إلى الملائكه خبر ما أراده من آدم عليه السّلام و ما كان من ذريته فى الأرض امتحانا لهم. قوله تعالى: فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً [سوره الجن، الآيه: ۸] يعنى الملائكه فدعاهم حرسا لما كان منهم من منع الشّياطين من السّمع. و الحرس جمع حارس، و مثله غائب، و غيب. و الشهب جمع شهاب، و هو النّار و لو لا فعل اللّه تعالى ذلك لكان الوحى إلى النّبى يتخلّله الفساد، بما يكون من الجن فله الحمد و الشكر على نعمه فى كل حال و سيجى ء من الكلام من بعد فيه ما تزداد به هذه الجمله انشراحا إن شاء اللّه تعالى.

و منه قوله تعالى: إِنَّ عِدَّهَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] الآيه، نبّه اللّه تعالى على عدد الشّهور العربيه، و هى التى تسمّى شهور القمر. و ميزان السنه اثنا عشر شهرا لأنّ القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره، أ لا ترى قوله تعالى: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً، وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ [سوره يونس، الآيه: ۵] و كذلك فعلت الفرس بقسمه أيام السنه باثنى عشر قسما، و جعلوا أيام كل شهر ثلاثين يوما، و زادوا فى آخر (ماه ابان) خمسه أيام سموها اللّواحق، و المسرقه،

و سمّوها الكبيسه و إنما زادوا ذلك لتتم سنه الشّمس.

و كـذلك زادت الرّوم فى أيـام شـهورهم و نقصت، و كبست ليكون أيام سـنتهم موافقه لأيام سـنه الشّـمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و سـتون يومـا و ربع يوم، و ذكر بعضـهم أنّ العرب كـانت تعمـل الكـبيسه أيضـا لئلاـ تتغير أحوال فصول سـنتهم، و كـان شتاؤهم أبـدا فى جمادى الأولى، و جمادى الآخره، و يجمـد الماء فى هـذين الشّـهرين و لـذلك سـموهما بهـذا الاسم، و يكون صيفهم فى شـهر رمضان، و شوال، و سـموا رمضان بهـذا الاسم لشـدّه الحر فيه، و وجدوا أيام السّـنه القمريه ثلاث مائه و أربعه و خمسـين يوما، و تنقص عن أيام السّـنه الشّمسـيه نحو أحد عشر يوما، و أحبوا أن تكون فصول سنتهم على حال واحده لا تتغيّر، و كانوا يكبسون فى كل ثلاث سنين شهرا، و يجعلون سنتهم ثلاثه عشر شهرا و يسمّونها النّسى إلى أن بعث محمد صلى اللّه عليه و سلم، و أنزل اللّه تعالى هذه الآيه: إِنَّمَا النَّسِـی ءُ [سوره التوبه، الآيه: ٣٧] الآيه فلم يكبس بعد ذلك، فصار شهر رمضان يتقدم فى كلّ سـنه نحو أحد عشـر يوما، و يدور على جميع فصول السنّه فى نحو ثلاثين سنه، و لا يلزم نظاما واحدا، و هذا الذى حكاه هذا الإنسان يبطله ما ذكره اللّه تعالى، و رواته نقله الأخبار، و سأبيّنه من بعد.

فقوله تعالى: إِنَّ عِدَّهَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِی كِتابِ اللَّهِ [سوره التوبه، الآيه: ٣۶] فالكتاب هاهنا هو الحكم و الإيجاب أ لاـ ترى قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ* [سوره البقره، الآيه: ٢١۶] و كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَهَ [سوره الأنعـام، الآيه: ١٢]، و المعنى إنّ الواجب عند اللّه أنّ عدد الشـهور على منازل القمر و أنّ أعياد المسلمين و حجّهم و صلواتهم فى أعيادهم و غير ذلك تـدور و أنه أجراها على هـذا المنهاج: يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ، [سوره التوبه، الآيه: ٣۶] ثم قال تعالى: مِنْها أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ يريد من الأشـهر، أى جعـل لهـا حرمه كمـا جعـل البلـد الحرام، و البيت الحرام ذلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ [سوره التوبه، الآيه: ٣۶] يريد دين الإسـلام قوله تعالى: فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَـكُمْ [سوره التوبه، الآيه: ٣۶] أى لا تـدعوا مقاتله عدوكم إذا قاتلوكم فى هذه الأشـهر، فتكونوا معينين على أنفسـكم و ظـالمين لهـا بكشف هـذا قوله تعـالى: يَسْـئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتـالٍ فِيهِ [سوره البقره، الآـيه: ٢١٧]، و المعنى عن قتـال فى الشـهر قُـلْ قِتـالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ٢١٧] و قـد تم جواب السؤال لكن اللّه تعـالى زاد فى الكلام ما انشرحت به القصه و أتى من وراء القصه، فقال: وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ [سوره البقره، الآيه: ٢١٧]، فقاتلوهم فإنكم معذورون، و معنى قوله تعالى:

كَافَّهً جميعا، و محيطين بهم و مجتمعين. و انتصابه على الحال، و مثل كافه قولهم: قاموا معا لا يـدخلها الألف و اللام، و كـذلك قاموا جميعا، و قال الزّجاج: اشتقت من كفه الشى ء

و هی حرفه و كأنها مأخوذه من كف لأنّ الشی ء إذا انتهی إلی ذلک كفّ عن الزّیاده و لا یثنّی و لا یجمع لأنّها مصدر فی الأصل كالعاقبه، و قم قائما، و كقولهم: العامّه و الخاصه.

و من هذا قولهم: لقبته كفه كفه، و المعنی كفه ككفه، أو كفه إلی كفه، قوله تعالی:

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ [سوره التوبه، الآیه: ۳۶] ضمان منه یقال لنصره المؤمنین قوله تعالی: إِنَّمَا النَّسِی ءُ زِیادَهٌ فِی الْكُفْرِ [سوره التوبه، الآیه: ۳۷] النّساء، التأخیر، و قال: نسأ اللّه فی أجله، و منه النّسی ء فی تأخیر الدّین یقول: فالذی یفعله الكافرون فی تقدیم الأشهر الحرم علی أوقاتها التی جعلها اللّه لها و تأخیرها زیاده فی كفر الكافرین، و استمرار فی ضلالهم و ذهاب عن الواجب علیهم و إنّما كانوا یفعلون ذلک فیحلّون الشهر من هذه الشّهور فی بعض الأعوام و یحرّمونه فی العام الآخر لیوافقوا بالتّحلیل تحریم اللّه تعالی فیحلّوا الحرام و یحرّموا الحلال.

قوله تعالی: زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ [سوره التوبه، الآیه: ۳۷] أی استحسنوا من ذلک ما هو سیئ و أتی بلفظ الخبر، عن المفعول و لا فاعل، ثم و مثله قولهم: أعجب بنفسه، و عنی بكذا و هذا كان من عادتهم كما كانوا یفعلونه فی البحیره و السائبه، و الوصیله، و الحامی حتی أبطلها اللّه تعالی بما أنزل فیه: (و البحیره) كانت النّاقه إذا انتجت خمسه أبطن، و كان آخرها ذكرا شقّوا أذنها، و امتنعوا من ركوبها و نحرها، و لا تمنع عن ماء و كلاء و لا یركبها المعی إذا لقیها.

و السّائبه: كان الرّجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو برء من علّه یقول: ناقتی سائبه، أو عبدی سائبه فلا یستعان بعد ذلک به و لا یحادث عما یریده.

و الوصیله: هی الغنم إذا وضعت أنثی كانت لهم و إن وضعت ذكرا جعل لآلهتهم، و إن ولدت ذكرا، و أنثی قالوا؛ وصلت أخاها فلم یذبحوا الذّكر لآلهتهم.

و الحامی: كانوا إذا نتجت من صلب الفحل عشره أبطن قالوا: حمی ظهره فلا یحملون علیه و لا یمنعون من ماء و مرعی.

فصل فی بیان النسی ء

فیما قاله النّاس نقله الأخبار و المفسرون ذكروا أنه كان قوم من بنی كنانه یقال لهم بنو فقیم یتولّون ذلک إذا اضطروا إلیه عند اتفاق حرب عظیمه و داعیه خطب قویه یری فی الواجب علیهم الاشتغال فی المحرّم به، فكان فی ذی الحجه إذا اجتمعت العرب لموسمهم یقوم مناد فینادی: الآن استنسانا، و استفرضنا إلا أن المحرم صفر، و أنّ صفر هو المحرم

الأكبر، فكانوا يحلّون فى المحرم ما كان فيه من قتال و سفك دم و استباحه حريم، و يحرمون فى صفر ما كان مباحا عندهم و فى مذهبهم ليواطئوا العده، و يبلغوا فيما رأوه من الإراده، و المواطاه: الموافقه.

و حكى ثعلب أنّ الكنانى كان يقال له: نعيم بن ثعلبه، و كان رئيس الموسم فى الجاهليه فيقوم إذا أرادوا الصّدر عن منى فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أخاب، و لا يرد لى قضاء فيقولون: صدقت انسينا شهرا، و يريدون أخّر عنّا حرمه المحرم، و اجعلها فى صفر فيفعله، و لهذا ذكره أبو عبيده معمر بن المثنى أنّ الأشهر الحرم كانت فى الجاهليه عشرون.

من ذى الحجه، ثم المحرم، ثم صفر، و شهر ربيع الأول، و عشر من شهر ربيع الآخر، و فى الإسلام هى ذو القعده، و ذو الحجه، و المحرم، و رجب ثلاثه متناسقه، و واحد منفرد، و كانت العرب تعظم رجبا، و تسميه منضل الأسنّه، و منضل الآل لأنّهم كانوا ينزعون الأسنّه من الحراب و الرّماح توطينا للنّفوس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبهم و يسمّونه أيضا شهر اللّه الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعى القبائل و لا قعقعه السلاح.

قالوا: فلما قام الدّين لمحمد صلى اللّه عليه و سلم أنزل اللّه فى النسى ء ما أنزل و لتأكيد الأمر فيه ذكره صلى اللّه عليه و سلم فى خطبه الوداع فقال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات و الأرض السّنه اثنا عشر شهرا منها أربعه حرم ثلاثه متواليه ذو القعده، و ذو الحجه، و المحرم، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان». ثم انتسب الناس بعد فراغه مما أراد تأكيدا للقول فيه فقال: فى أى يوم يخطب؟ و من أى شهر هو؟ حتى أجابوه فأشهد اللّه على ما فعل فقال: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

فهذا الأمر النسى ء، و معنى قوله عليه السلام: قد استدار كهيئته هو أنهم كانوا يحلون المحرم و يحرمون صفرا كما ذكرنا.

ثم كانوا يحتاجون فى سنه أخرى إلى تأخير صفر إلى الشّهر الذى بعده كحاجتهم فى المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع، ثم يمكثون بذلك دعه، ثم يحتاجون إلى مثله، ثم كذلك، و كان يتدافع شهرا شهرا حتى دار التّحريم على شهور السّنه كلّها. و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه اللّه به و ذلك بعد دهر متطاول، فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم أراد رجعه الأشهر إلى مواضعها و بطل النسى ء.

و روى عن مجاهد أنه قال: كانت العرب فى الجاهليه يحجّون عامين فى ذى القعده، و عامين فى ذى الحجّه، فلمّا كانت السّنه التى حج فيها أبو بكر رضى اللّه عنه كان الحج فى السنه الثانيه من ذى القعده، و هى حجه قراءه براءه قرأها على كرّم اللّه وجهه على النّاس، ثم

حج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فلما کانت السّنه التی حجّ فیها النبیّ صلی اللّه علیه و سلم عاد الحج إلی ذی الحجه، فذلک قوله: «إنّ الزّمان قد استدار کهیئته یوم خلق اللّه السّماوات و الأرض».

ثم قال لما فرغ من خطبته: «أیّ یوم هـذا»؟ قالوا: یوم حرام، قال: «أی شـهر هـذا» قالوا: شـهر حرام. قال: «أی بلـد هـذا؟» قالوا: بلد حرام، فقال: «ألا إنّ دماءکم و أموالکم و أعراضـکم علیکم حرام کحرمه یومکم هـذا فی شـهرکم هـذا فی بلدکم هذا اللهم هل بلّغت».

و مراد النبیّ صـلی اللّه علیه و سـلم أنه قـد ثبت الحـج فی ذی الحجه علی ما کان علیه فی أیام إبراهیم علیه السّـلام، فهـذا أیضـا طریقه، و الأول أشبه و أشهر و جمیع هذا، أو أکثره حکاه أبو عبید القاسم بن سلام أیضا. و قیل: إنما قیل رجب مضر لأنّها کانت تعظّمه، و تحرّمه، و لم یکن یستحلّه العرب إلّا حیّان خثعم و طی ء فإنهما کانا یستحلان الشهور، فکان الذین ینسئون الشّهور أیام الموسم یقولون حرمنا علیکم القتال فی هذه الشهور إلّا دماء المحلّین.

فصل فی تأویل أخبار مرویه عن رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم و الصّـحابه و بیان ما یحمد و یذم من معتقدات العرب فی الأنواء و البوارح

و هذا الفصل لائق بما قدّمناه من التّنزیل، فلذلک جعلناه من تمامه. روی عن رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم أنّه قال: «ثلاث من أمر الجـاهلیه الطعن فی الأنسـاب، و النّیـاحه، و الاستسـقاء بالأـنواء». فالاستسـقاء بها منکر، کما قال صـلی اللّه علیه و سـلم إلّا أنّ العرب مختلفون فیما یراعونه من قسـمه الأزمان و الفصول و الحکم علی الأحداث الواقعه فی الأحوال و الشّهور، و لهم فی ذلک من صـدق التأمل، و اسـتمرار الإصابه ما لیس لسائر الأمم، یـدل علی ذلک أنّ کل ما حکموا به قدیما عند طلوع هذا المنازل من تحت شـعاع الشّمس بالغدوات فی ناحیه المشرق و سقوط نظائرها فی المغرب من أحوال فصول السّنه، و أوقات الحر، و البرد، و مجی ء الأمطار و الرّیاح فإنّها تجری علی ما حکمت به إلی أن لا یتغیر و لا یتبـدل إلّا علی طریق الشذوذ، و علی وجه لا یحصـل به الاعتداد و علی ذلک فهم مختلفون.

فمنهم من اعتقـد أن تلک الحوادث من أفعال الکواکـب، و أنها هی المدبره لها و الآتیه بها حتی صارت کالعلل فیها و الأسـباب؛ و أنّ للأزمنه تأثیرا فی أهلها کما أنّ للأمکنه تأثیرا فی أهلها و لـذلک أخذ قرن عن قرن النّاس بزمانهم أشـبه منهم بآبائهم، قالوا: فتصاریف الأزمان تؤثّر فی الخلق و الأخلاق و الصّور و الألوان و المتاجر، و المکاسب و الهمم و المآرب و الـدّواعی و الطّبائع و اللّسن؛ و البلاغات و الحکم و الآداب، فـذمّ اللّه تعالی طرائقهم و نعی علیهم عقائـدهم، و قال حاکیا عنهم: ما هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلَّا الدَّهْرُ [سوره الجاثیه، الآیه: ۲۴] الآیه، و هذا تجهیل من اللّه تعالی لهم، و ذکر بعضهم أنّ

الـذی یـدلّ علی أنّ شـأنهم کان تعظیم الرّجال و الاستسـلام للمنشإ و الـذّهاب مع العصبیّه و الهوی ما نجـد من اعتقاد أکثر أهل البصـره و سوادهم لتقـدیم عثمان، و اعتقاد أهل الکوفه لتعظیم علی، و من اعتقاد أکثر الشامیین لدین بنی أمیه و حب بنی مروان حتی غلـط قوم فزعموا أنّ هـذا لاـ یکون إلّـا من قبل الطالع، أو من قبل التّربه، کما تجـد لأهل کل ماء و هواء نوعا من المنظره و الرّأی و الطّبیعه و اللّون و اللّغه، و النّشوء و البلده و لو کان ذلک کما ظنّوا لما حسن الأمر و النّهی و لا کان لإرسال الرّسل معنی، و لما جاز الثّواب و العقاب بلی لاستماله النّاس بالتّرغیب و التّرهیب و الاصطناع و التّقریب؛ و الذّهاب مع المألوف شأن عجیب.

و ذکر بعض المفسـرین و هو عبـد اللّه بن عبـاس فی قوله تعـالی: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ أَنَّکُمْ تُکَذِّبُونَ [سوره الواقعه، الآیه: ۸۲] أنه القـول بالأـنواء و قرأ علی، و تجعلـون شـکرکم أنکم تکـذبون، فأمـا قوله تعـالی: إِنْ هُمْ إِلَّا یَظُنُّونَ [سوره البقره، الآـیه: ۷۸] فإنّ للالف و العاده سـلطانا علی النّفوس و القلوب قویا و أخذا بالبصائر، و العیون عزیزا. و کانوا إذا اسـتهجنوا مسـتکرما، و اسـتقبحوا مستحسنا، و عدلوا عن مألوف إلی متروک، و عن معمول إلی مرفوض و تنقلت بهم الأحوال و تبدّلت لهم الأبدال طلبوا المعاذیر و العلل، و صـرفوا الفکر فی الأسباب و الدّواعی من جوانب الالف و العاده لا من نواحی النّظر و التّدبر لطلب الإصابه، فرضوا بأن یعملـوا الظّنون، و الأوهـام، و تحمّلوا تلـک الأفاعیـل علی الأسـماء فضـلا عن الـذّوات ثقه بمـا یشاهـدون و اغـترارا بـآرائهم فیما یحکمون لـذلک قال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «لا تسـبوا الدّهر فإنّ اللّه هو الدّهر» لأنه رآهم یقولون لذلک الاعتقاد الفاسد: أباد بنی فلان الدّهر، و أفناهم اللیالی کقول بعضهم شعرا:

یا دهر قد أکثرت فجعتنا إذابسراتنا و وقرت فی العظم

و سهلتنا ما لست تعقبنا به یا دهر ما أنصفت فی حکم

و کقول الآخر:

و إنّ أمیر المؤمنین و فعله لکالدّهر لا عار بما فعل الدّهر

و معنی قوله صلی اللّه علیه و سلم لا تسبّوا الدّهر أی لا تسبّوا الذی یفعل هذه الأشیاء فإنّکم إذا سببتم فاعلها فإنّما یقع السّب علی اللّه تعـالی. و منهم من اعتقـد أنّ تلـک الحوادث من فعله تعـالی لکنّه أجری العاده بأن یفعلها عنـد طلوع تلک النّجوم، أو أفولها لأـنّهم مختلفون فی ذلـک أیضا کأنهم یعـدّون تلک التّغیرات أوقاتا لها، و أمارات و سـمّوها الأنواء باتّفاق منهم لأنّ النوء یکون السّـقوط و الطّلوع، و هـذا قریب فی الـدّین و العقل لا إنکار فیه، و علی هذا یحمل قول عمر للعبّاس حین استسـقی: یا عمّ رسول اللّه کم بقی من نوء الثّریا. فإنّ العلماء بها یزعمون أنها تعرض فی الأفق سبعا لأنّ هذا أمر عیان علی مجار قائمه و مسیر مرکب، و قد جعل اللّه

تعالى فى علم هذا و ما أشبه مما ضمّنه هذا الفلك عبرا كثيره، و آيه مبصره، و دلاله صادقه عم بجليله أكثر هذا الخلق، و خصّ بلطيفه خصائص منهم مدحهم حين تبينوه و أقاموا الشّكر عليه فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً أى مضيئه: لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] الآيه، و قرأ بعضهم مبصره فيكون مثل قول عنتره: و الكفر مخبثه لنفس المنعم.

و إذا وضعت مفعله فى معنى فاعل كفت من الجمع و التأنيث يقولون: الولد مجبنه، و هذا العشب ملينه مسمنه فاعلمه.

و قال فى آيه أخرى: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره الأنعام، الآيه: ۹۷] الآيه، و قد علمنا أنّ خلقا كثيرا هلكوا بتفويض التّدبير إلى النّجوم و لإفراطهم فى الأنواء قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «ما أنعمت على عبادى من نعمه إلا أصبحت طائفه منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا فأمّا من آمن بى و حمدنى على سقياى فذلك الذى آمن بى و كفر بالكواكب».

و روى عنه أيضا من وجه آخر: «لو أن اللّه عز و جل حبس المطر عن النّاس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفه بها كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح» و مما يدل على ذلك قول الشاعر شعرا:

يا سحم من نتج الذّراعين أنأقت مسائله حتّى بلغن المناجيا

المناجاه المكان المرتفع لا يبلغه السّيل.

و قال آخر شعرا:

و أخلف نوء المرزم الأرض قرّهلها شبم فيه شفيف و جالد

و قال آخر:

تربّع من جنبى قنا فعوارض نتاج الثّريا نوؤها غير مخدج(۱)

و لو كان مرادهم بقوله: مطرنا بنوءه كذا: أى مطرنا فى نوئه على التّشبيه بقول النّاس:

مطرنا فى غرّه الشّهر لم يكن مكروها، و كذلك مذهبهم فى تأمّل الغيث أن لو كان على نحو توقّع النّاس أياما للأوقات المعروفه بالمطر لم يكن به بأس، لأنّ النّاس جميعا يعلمون أنّ للحر و البرد و المطر و الرّيح من السّنه وقتا جرت العاده بتقدير اللّه تعالى أن يكون فيه أكثر ما

۱- غير ناقص.

یکون، و إن کـان اللّه تعـالی یـأتی به إذا شـاء لو لا ذلک ما عرفوا وقت حرث و لا بـذر و لا رکوب بحر و لا بر، و لا انتظر حین لمجی ء شـی ء و لا ـ لانصـراف شـی ء، و لکـانوا و من یعـاملهم کـذلک فی أجهـل الجهل فمما هو ظاهر فی زوال المکروه عنه قولهم: إذا طلعت الشّـعری سـفرا و لم یروا مطرا فلا تعدون أمره و لا أمرا، لأنّهم وجدوا ذلک مستمرا فی العاده و منه قول الشّاعر شعرا:

إذا ما قارن القمر الثّریالخامسه فقد ذهب الشّتاء

لأنّ مقارنه الثّریا فی اللیله الخامسه من مهلّه لا یکون أبدا إلّا فی قبل الدجفاء و کقول الآخر شعرا:

إذا کبد النّجم السّماء بشقوهعلی حین هرّ(۱) الکلب و الثّلج خاسف

لأنه موافاته کبـد السّـماء فی أوّل اللّیل یکون فی صـباره الشّـتاء و مما یکون علی العکس من هـذا فی موافقه المکروه قول الآخر شعرا:

هنأناهم حتّی أعان علیهم عوافی السّماک ذی السّجال السّواجم

قال أبو حنیفه الدینوری: هذا الشّعر لجاهلی و اتبع أثره بعض الإسلامیین فقال:

هنأناهم حتّی أعان علیهم من الدّلو أو عوّا السّماک سجالها

قـال و هنوء القـوم أن یکفّهم مئونه و قـد یجی ء من کلامهم مـا یغمض، فیرد بالتّأویـل إلی کـل واحـد من النّاس، و للقـائلین بالأحکام فی النّجوم مضاهاه للقوم فی إثباتهم السّعد و النحس بمقتضیات الکواکب إلا من عصمه اللّه تعالی و للّه الأمر و الحکم یفعل ما یشاء، و یحکم ما یرید لا رادّ لأمره، و لا مناص من قضائه.

و قد روی عنه صلی اللّه علیه و سلم: «من تعلّم بابا من النّجوم تعلّم بابا من السّحر و من زاد استزاد».

کما روی عنه صـلی اللّه علیه و سلم فی بعض خطبه أنه قال: «ما بال أقوام یقولون إنّ کسوف هذه الشّمس، و خسوف هذا القمر و زوال هـذه النّجوم عن مطالعهـا لموت رجـال قـد کـذبوا». الزّوال، و الزّولان بمعنی و هـذا یمکن حمله علی قوله: إنّ من البیان لسـحرا، فیکون الکلام مدحا لهذا العلم، و للمشـتغلین به إذا تبرءوا من الحول و القوه و مما یدخلهم فی الإشـراک بالله و التّسـلیم إلی الکواکب.

و قال ابن عباس لعکرمه مولاه اخرج فانظر کم مضـی من اللّیل؟ فقال: إنی لا أبصـر النّجوم فقال له ابن عبّاس: نحن نتحـدی بک فتیان العرب و أنت لا تعرف النّجوم، و قال:

١- هرّ الكلب: صات دون نباح.

وددت أنی أعرف هفت، و دوازده یرید النّجوم السّبعه السّیّاره، و البروج الاثنی عشر، و قال معاویه لدغفل بن حنظله العلّامه و قد ضمه إلی یزید علّمه العربیه و الأنساب و النّجوم: أ تری هؤلاء حضّوا علی الضّلاله، و رغبوا فی السّفاهه، فتأمّل ما ذکرته فإنه واضح.

فإن قیل: إذا کان القول فی قضایا النّجوم علی ما ذکرته فما وجه قول إبراهیم علیه السلام مخاطبا لقومه و هم یعبدون الأصنام لیقربهم إلی اللّه زلفی: فَما ظَنُّکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ فَقالَ إِنِّی سَقِیمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِینَ [سوره الصافات، الآیه: ۸۷- ۹۰] قلت: قد تکلم النّاس فی هذا فقال بعضهم النّجوم جمع نجم، و هو ما نجم من کلامهم لما سألوه أن یخرج معهم إلی عیدهم، و نظر نظره معناه تفکّر لیدبّر حجّه فقال: إنی سقیم یرید سقیم من کفرهم و إیمانهم بغیره، و هذا کما یقال أنا مریض القلب من کذا و إنما تخلف عنهم لما أضمر من کید أصنامهم لأنّ حجته علیهم فی تعطیل عیدهم فلمّا غابت عیونهم جعلها جذاذا.

و سئل ابن الأعرابی عن معنی قوله تعالی: سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ [سوره الأنبیاء، الآیه: ۶۰] معنی یذکرهم یعیبهم و أنشد:

لا تذکری فرسی و ما أطعمته فیکون جلدک مثل جلد الأجرب

قال أبو إسحاق الزّجاج: قال ذلک لقومه، و قد رأی نجما فقال: إنی سقیم یوهمهم أنّ به الطّاعون، فتولّوا عنه مدبرین فرارا من أن یعذبهم الطّاعون، و إنّما قال: إنی سقیم لأنّ کل أحد و إن کان معافی لا بدّ له من أن یسقم و یموت. قال تعالی: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [سوره الزمر، الآیه: ۳] أی أنک ستموت فیما تستقبل فکذلک إنی سقیم أی سأسقم لا محاله.

و روی فی الحدیث لم یکذب إبراهیم علیه السّلام قط إلا فی ثلاث و إنّ هذه الثلاث وقعت فیها معارضه. و ذلک قوله: بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا علی معنی إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ [سوره الأنبیاء، الآیه: ۶۳] فقد فعله کبیرهم، و قوله فی ساره: هی أختی فی الإسلام. و قوله: إِنِّی سَقِیمٌ [سوره الصافات، الآیه: ۸۹] علی ما فسرناه، و قال أبو مسلم: عطف بالفاء هذا الکلام علی ما تقدم من أمره فی مخاطبه قومه بقوله: ما ذا تعبدون، قال: و نظره فی النّجوم هو الذی أخبر اللّه تعالی به عنه إذ یقول اللّه: وَ کَذلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ [سوره الأنعام، الآیه: ۷۰] إلی وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ [سوره الأنعام، الآیه: ۷۹] فکانت نظرته تلک للتبیین.

فلما أراه اللّه الآیات فی نفسه، و فی الآفاق کما قال اللّه تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ الآیه، قال لقومه: أَ إِفْکاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِیدُونَ [سوره الصافات، الآیه: ۸۶] و ذلک حین قال: إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره

الأنعام، الآیه: ۷۹] الآیه، و کان قوله: إِنِّی سَقِیمٌ قبل التّبین، و أراد بالسّقیم أنه لیس علی یقین و لا شفاء من العلم و یقول الرّجل إذا سأل عن شی ء فصدّق عنه و بین له: شفانی فلان فلما کان العلم و الیقین شفاء صلح تسمیه الحال التی قبل کنه البیان سقما.

و قد قال اللّه تعالی فی قوم لم یکونوا علی إیمان محض: فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ* [سوره البقره، الآیه: ۱۰]، و هذه الحال التی انتسب فیها إبراهیم علیه السّلام إلی السّقم هی الحال التی فیها البلوغ، و وقوع التّکلیف من اللّه عزّ و جلّ و لزوم أمره و نهیه، و الفاء فی قوله تعالی:

فَتَوَلَّوْا فاء عطف أیضا ینعطف بها ما هی معه من الکلام علی قوله: أَ إِفْکاً آلِهَهً دُونَ اللَّهِ تُرِیدُونَ فَما ظَنُّکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ، فلما دعاهم إلی اللّه تعالی، و أنکر علیهم عباده ما یعبدون دون اللّه تولوا عنه مدبرین.

و زعم قوم لا یعقلون أنّ إبراهیم علیه السّلام کذب ثلاث کذبات هی واحده منها، و حاش للرّسول الذی اتّخذه اللّه خلیلا أن یکذب، أو یأتی بالقبائح، و الذی توجبه التلاوه و شهاده بعض القرآن لبعض، و یحسن فی أوصاف أنبیاء اللّه و صفوته من عباده هو ما ذکرناه، و تلخیص ما فی هذه القصّه منذ ابتداء ذکر إبراهیم إلی حیث انتهینا أنّ اللّه تعالی أثنی علی إبراهیم بأنّه وافق نوحا فی الإیمان و الإخلاص حتی توفّاه اللّه علی ذلک سلیم القلب لئلا یشرک به شیئا و أنه نظر فیما خلق اللّه من النّجوم فاستدلّ علی خالقها بها و تبیّن له بالتأمل لها أنّ إلها و آلهه واحد لیس کمثله شی ء و هو رب العالمین، و خالق الخلق أجمعین و دعا قومه إلی مثل ما أراد اللّه، و هداه له وزری علیهم، و عاب اختیارهم فی عباده الأصنام لا تسمع و لا تبصر و لا تغنی عنهم و لا عن أنفسها شیئا، فتولّی القوم عنه مدبرین عند ذکره ربّه کما قال تعالی فی الکافرین من قوم النبی صلی اللّه علیه و سلم: وَ إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلی أَدْبارِهِمْ نُفُوراً [سوره الإسراء، الآیه: ۴۶] و قال تعالی: فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَهِ مُعْرِضِینَ [سوره المدثر، الآیه: ۴۹] الآیه. و قال تعالی: وَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ [سوره الزمر، الآیه: ۴۵] الآیه. و قال بعض أهل النّظر إنه علیه السّلام رآهم یعتمدون فیما یعن لهم و یحدث و فیما یستأنفون من مبادئ الأمور، و مفاتحها علی النّظر فی النّجوم و أحکامها، فاقتدی بهم تأنیسا لهم و أخذا بعادتهم لیسکنوا إلیه بعض السّکون و إن لم یرکنوا کلّ الرّکون.

قوله: إِنِّی سَقِیمٌ، و إن قاله متأوّلا، ففیه استبناء، و رجاء رفق منهم إمّا لعله، و إما للتّربص به حتی یأمنوا شرّه، و یشهد لهذا قوله: فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِینَ [سوره الصافات، الآیه: ۹۰] و هذا حسن قریب.

و قال بعضهم: قوله تعالی: فَنَظَرَ نَظْرَهً فِی النُّجُومِ [سوره الصافات، الآیه: ۸۸] یعنی به ما ینجم من نبات الأرض کأنه کان یقلب الأدویه متخیرا منها ما یقرب الشّفاء عنده، و قیل

أيضا أراد نظر فيما كان ينزل عليه من نجوم الوحى كيف يتوصّل إلى ما يهم به فى آلهتهم، و بما ذا ابتدئ و من أين مخلصه إذا أقدم و يكون قوله: إِنِّی سَقِيمٌ اختداعا منه لهم و إيذانا منه بأنه مشغول بنفسه تارک لما كان لا يؤمن من مكايد، و هذا نهايه ما يقال. فأما قوله تعالى: فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ [سوره الصافات، الآيه: ۹۳] يريد مال عليها بالضّرب، كما تقول: التقى الفريقان فراغ أحدهما: أى عزل عن الحرب يقال دار فلان رائغه عن الطّريق أى عدله، و قوله: باليمين قيل: بيده اليمنى، و قيل: هى يمين كان حلف بها، و هى قوله تعالى: تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ [سوره الأنبياء، الآيه: ۵۷] و قيل بالقدره كما قال:

إذا ما رايه رفعت لمجدتلقاها عرابه باليمين

و قيل: راغ معناه أقبل مستخفيا كروغان الثّعلب، و كذلک قوله: فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ أى لم يرد أن يشعروا به.

فصل آخر [فى بيان معنى الرؤيه للّه تعالى الوارده فى القرآن]

و ذكر أبو على الفارسى فيما سمعته منه أنّ قول النّبى صلى اللّه عليه و سلم: «ترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا تضامون فى رؤيته» [سوره الذاريات، الآيه: ۲۶] أنّ هذا ليس من الرؤيه التى هى إدراک البصر بل هى بمعنى العلم و ساغ حذف المفعول الثانى الذى تقضيه تلک لأنّ الكلام قد طال ما هو بمعنى المفعول الثانى لو أظهر، أ لا ترى أنّ قوله: كما ترون القمر ليله البدر تأكيد، و تشديد للتّيقن، و تبعيد من اعتراض الشّبه على العلم به تعالى، و إذا كان بمنزله ما بمنزله المفعول الثانى إذا جرى ذكره فى الصّلات نحو: علمت أنّ زيدا منطلق، و أحسب النّاس أن يتركوا فلمّا سدّ ما جرى فى الصّلتين مسد المفعولين، و من قال: إنه يضمر فى الموصولين مفعولا ثانيا كان قياس قوله: أن يضمر هنا مفعولا ثانيا كأنّه ترونه متيقنا، و نحو ذلک و أن يقال: إنّ ما ذكر سدّ مسد المفعول الثّانى أقيس.

أ لا ترى أنّ ما جرى فى صله أن بعد لو فى قولک: إنک لو جئتنى قد سدّ مسدّ المفعول الذى يقع بعد لو حتى لم يظهر ذلک الفعل معه، و اختزل فكذلک المفعول مع الموصولين فى هذا الباب، و مثل هذا قوله: أ عنده علم الغيب فهو يرى لأنّ القول فى يرى أنها التى تتعدى إلى مفعولين لأنّ علم الغيب لا يوجب الحسن حتى إذا علمه أحسّ شيئا، و إنما المعنى عنده علم الغيب مثل ما يشهده لأنّ من حصل له علم الغيب يعلم ما يغيب كما يعلم ما يشاهد.

فإن قلت: فكيف حذف المفعولين جميعا؟ قيل: المعنى أ عنده علم الغيب، فهو يرى الغيب مثل المشاهد و المبتدأ و الخبر قبل دخول رأيت عليه كان الغيب فيهما مثل المشاهده، ثم حذفا للدّلاله عليهما و قد قال الأعشى:

فأنبئت قيسا و لم أبله كما زعموا خير أهل اليمن

و قال الكميت: (ترى حبّهم عارا على و تحسب)، فالدّلاله من الفحوى و المعنى فى الآيه على المفعولين المحذوفين كالدلاله عليهما فى البيتين لجرى ذكرهما فيهما و إنما ذكرنا ما قاله لغرابته.

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السّنه مما تستدل به المشبهه

أنهم قالوا قال اللّه تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [سوره غافر، الآيه: ۷] و قال: وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ [سوره الزمر، الآيه: ۷۵] ثم قال: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سوره طه، الآيه: ۵] و قال: ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآيه: ۳] كما قال: وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ [سوره يونس، الآيه: ۱۰۰] و لا فصل بين الكلامين و قال أيضا: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره البقره، الآيه: ۲۵۵] و الكرسى و العرش بمعنى و مما جاء فى الخبر قول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حيث حكم فى بنى قريظه: «لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبع سماوات» (و عنه) حين قال: «فأقوم على يمين العرش» و لا يكون يمين إلا لما له يسار، قالوا فقول اللّه: وَ مَنْ حَوْلَهُ و حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ فيه دلاله على أنّ العرش مطاف يطاف به، و دوار يدار عليه و هذه المواضع و أشباهها عمدهم.

و الجواب عنها أنّ للعرش مواضع عده فى كلام العرب منها الملك و العز و قوام أمر الرّجل و ملاكه و يشهد له قولهم ثل عرش فلان إذا أزيل و حطّت رتبته و منها سرير الملك و يشهد له قوله تعالى: وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ [سوره النمل، الآيه: ۲۳] و قوله: أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [سوره النمل، الآيه: ۴۲] و يجمع على العرشه و الاعراش. و منها سقف البيت و ما يستظل به و العرش كذلك، و منه قيل عرش المكرم فهو عرش و قالوا عرش السّماك لكواكب أربعه تشبّها به لأنه على صوره النّعش. و منها طى البير بالخشب بعد ما يطوى موضع الماء منها بالحجاره، و يقولون عرّشوا بيركم و إذا ثبتت هذه الوجوه حقيقه و تشبّها فى لفظه العرش، فالواجب حملها حيث جاءت على الأليق بالمعنى مع قرائنه و الأقرب فى الاستعمال و الأشبه فى قضيه السّمع و العقل و هذا الذى ذكرناه هو الميزان عند طلب الرّجحان حيث حصل الاشتراك فى الألفاظ و غيرها.

فأما الخبر المروى و هو: «لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبع سماوات» فقوله من فوق ظرف لقوله حكم اللّه و متعلق به فهو كما يقال حكم اللّه العالى المكان الرّفيع المحل

و القـدر و أنت تصف الحكم و لا- يجوز أن يكون متعلقا بلفظه اللّه لأنه تعالى لا تحويه الأماكن و لا تحيط به الأقطار و الجوانب و المعنى بحكم يشبه حكم اللّه الذى محلّه و مكانه من الإصابه و الغلبه و العلو فوق سبع سـماوات و قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ [سوره غافر، الآيه: ۷] و منهم من يطوف به و كلّهم يسبح للّه بالحمد له و الاعتراف بنعمه و الإيمان بجميع ما تعبـد اللّه به خلقه و يستغفرون لمن فى الأـرض إلى الشـفاعه التى قـال اللّه تعالى ما حالهم وَ لا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضـى و قوله تعـالى: وَ يَحْمِـلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِـذٍ ثَمانِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ۱۷] يَوْمَئِـذٍ تُعْرَضُونَ لا- تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ۱۸] يريـد أن جميع من خلق اللّه من البشـر فى ذلـك اليوم يعرضون بأعمـالهم و أقوالهم، و كـلّ مـا أعلنوه و أسـرّوه أيـام حياتهم فيحاسـبون عليه، و ذلك كما يسـتعرض السـلطان جنده بأسلحتهم و دوابهم و آلاتهم، فأما العدد المذكور فهو مما استأثر اللّه به و مثله ممـا رأى اللّه تعالى إيهام الأمر فيه و الكف عن بيانه كثير، و ذلك لتعلّق المصـلحه بأن يكون حازما و سائر ما سألوا عنه إذا أجملناه.

فإنّا نقول فى جوابهم الشامل لمقالهم المسـقط لكلامهم لمّا أن كان أسـفل الأشـياء الثّرى و كان أعلى الأشـياء السّماء السّابعه ثم الكرسـى ثم العرش فكان اللّه تعالى قـد جعل للأعلى فى القلوب من التّعظيم و القـدر و الشّرف ما لم يجعل للأسـفل، كما عظّم بعض الشّهور و بعض الأيام و بعض اللّيالى و بعض السّاعات، و بعض البقاع و بعض المحال، و كان قد جعل للعرش ما لم يجعل للكرسـى و جعل للكرسى ما لم يجعل للسّـماء السّابعه ذكر العرش و الكرسـى و السّماء بما لم يذكر به شيئا من سائر خلقه فذكر مره العرش و الكرسى و السماء فى جمله الخلق، و أنّه عال على جميعها بالسلطان و القدره و القوّه حيث قال تعالى:

أَنَّ اللَّهَ عَلى كُـلِّ شَـيْ ءٍ قَـدِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۰۶] و حيث قـال تعـالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَـيْ ءٍ مُقْتَـدِراً [سوره الكهف، الآيه: ۴۵] و قـد يقول الرّجل فلان شديد الإشـراف على عمّاله و ليس يذهب إلى اشـراف بدنه و رأسه، قد خبّر اللّه أنه على كلّ شى ء قـدير و مقتدر و حافظ و ظاهر، و قد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَـيْ ءٍ عَلِيمٌ [سوره الحديد، الآيه: ۳] و العرش شـى ء هو عال عليه بالقـدره، و الظّاهر عليه بالسّـلطان و إنّما خصّه بالذكر إذ كان مخصوصا عندنا بالنّباهه و أنّه فوق جميع الخلق فذكر مره فى الجمله و مره بالإبانه قال تعالى: وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سوره البقره، الآيه: ۲۵۵] فخبّر أنه عـال عليه و حافظ له و مانع له من الزّوال و قوله كُرْسِـيُّهُ كقوله بيته و لو كان متى ذكر أنّ له كرسـيا و عرشا فقد أوجب الجلوس عليهما كان متى ذكر بيته فقد أوجب أنّه ينزله و يسكنه و ليس بين بيته و عرشه و كرسيه و سمائه فرق، و لو كنّا إذا قلنا: سماؤه فقد جعلناه فيها كنّا إذا قلنا أرضه فقد جعلناه فيها قال تعالى: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ

وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [سوره البقره، الآيه: ۹۸] فأدخلهما فی جمله الملائکه ثم أبانهما إذ کانا بائنين من سائر الملائکه، و کذلک سبيل القول فی العرش و الکرسی و السّماء و الأرض و الحوت، و الثّری، لأنّ الکرسی إذا کان مثل السّماوات و الأرض و العرش أعظم منه فمتی ذکر أنّه عال علی العرش و ظاهر عليه فقد خبّر أنّه علی کل شی ء قدير، و قد يکون العلوّ بالقدره و الاعتلاء، فمره يذکر العرش، و مره يذکر الکرسی دون العرش، و مره يذکر السّماء دون الکرسی و مره يقول: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ [سوره الأنعام، الآيه: ۳] بعد أن قال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ و ترک ذکر الأرض فلو کان إذا ذکر السّماء دون الأرض کان ذلک دليلا علی أنه ليس فی الأرض کان فی ذکره أنه علی العرش، دليل علی أنه ليس فی السّماء و قد قال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ [سوره الملک، الآيه: ۱۷] و مره يذکر معاظم الأمور، و جلائل الخلق، و کبار الأجسام و أعالی الأجرام، و مره کلّ شخص کيف کان و حيث ما کان کقوله تعالی: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ [سوره المجادله، الآيه: ۷] الآيه. و قد قال أيضا علی هذا المعنی: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و قال: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ [سوره الواقعه، الآيه: ۸۵].

فإن زعم القوم أنّه إنما ذهب إلی معنی القدره و العلم لأنّ قربه منهم کقربه من العرش قلنا: فقد صرتم إلی المجازات و ترکتم قطع الشّهاده علی ما عليه ظاهر الکلام، فکيف نعيتم ذلک علينا، حين زعمنا أنّ تأويل قوله: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سوره طه، الآيه: ۵] ليس علی کون الملک علی سريره بل هو علی معنی العلو و القدره و الحفظ و الإحاطه و الظهور بالسلطان و القوّه و هذا بين و الحمد للّه.

فإن قالوا: ما تأويل استوی؟ و ما فائده علی؟ قلنا: قد زعم أصحاب التفسير عن ابن عباس و هو صاحب التّأويل و النّاس عليه عيال، أنّ تأويل قوله: استوی استولی، و قد قال تعالی لنوح: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [سوره المؤمنون، الآيه: ۲۸] و لم يرد اللّه تعالی أنّهم کانوا مائلين فاعتدلوا، و إنما معناه فإذا صرتم فی السّفينه فقل: کذا و کذا، و قد يقول الرّجل: قلت کذا و کذا ثمّ استويت علی ظهر الدّابه بعد أن لم أکن عليها فقلت کذا و قال تعالی: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً [سوره يوسف، الآيه: ۲۲] و إنما يريد: فلما انتهی و بلغ جعلناه حکيما، و کما يقال للغلام المقدود: هذا غلام مستو فإن قالوا: قد عرفنا هذه الوجوه و لکن ما معنی قوله تعالی: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ [سوره فصلت، الآيه: ۱۱] قلنا معناه: ثم عمد إلی السّماء فخلقها کما قال ابن مقبل شعرا:

أقول و قد قطعن بنا شروری عوامد و استوين من الضّجوع

أی خرجن، و قال الآخر:

استوت العیر إلی مروان مسیر شهر قبله شهران

و لفظه علی تختلف مواقعها، فمنها قوله تعالی: إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ [سوره الغاشیه، الآیه: ۲۵] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ [سوره الغاشیه، الآیه: ۲۶] و قوله تعالی: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [سوره القیامه، الآیه: ۱۷] فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ [سوره القیامه، الآیه: ۱۸- ۱۹] و قوله تعالی: وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْها جائِرٌ و المراد فی الجمیع اللّزوم و الوجوب و منها قول الفرزدق شعرا:

و لو أنی ملکت یدی و نفسی لکان علیّ للقدر الخیار

و إنّما قال هذا حین ندم علی تطلیق امرأته نوّار و أوّله:

ندمت ندامه الکسعیّ لمّاغدت منّی مطلّقه نوار

و المعنی لو ملکت أمری فکان علیّ أن أختار للقدر، و لم یکن علی القدر أن یختار لی، و منها قوله تعالی: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [سوره المؤمنون، الآیه: ۲۸] و قوله تعالی: وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ [سوره هود، الآیه: ۷] و هذا کما أنّ السّماوات بعضها علی بعض، و یجوز أن یکون علیه علی جهه الالتزاق. و منها قوله تعالی:

وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ [سوره البقره، الآیه: ۲۳۳] و هذا من قولهم: علی فلان نذر، و علیه حتم و علیه یمین. و منها قوله:

سلام اللّه یا مطر علیهاو لیس علیک یا مطر السّلام

و منها قول الآخر شعرا:

و لا الحیّ علی الحدثان قومی علی الحدثان ما تبنی السّقوف

یقول: لا ألوم قومی أن یحنوا علیّ و أن یحدثوا الأحداث. فعلیّ احتمال ذلک بنی بیت السّؤدد. و منها قوله تعالی: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها [سوره البقره، الآیه: ۲۵۹] فمعنی مر علی قریه مر بجنباتها، و لم یرد أنّه مر فوقها، و قوله: هی خاویه علی عروشها: یرید و هی خالیه علی عروشها أی هی علی ما بها من السّقوف خالیه کما یقال: زید علی کثره محاسنه متواضع. و قال بعضهم: أراد بقیت حیطانها لا سقوف لها و ما قلناه أشبه. و قال أبو عبیده، هی الخیام و بیوت الأعراب، و منها قولهم: علیک الجاده و الطریق الأعظم فی الإغراء بها و فی القرآن: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [سوره المائده، الآیه: ۱۰۵] هذا ما حضر من مواضع علی.

فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۲۴]

و بيان قول القائل: اللّه أعلم بنفسه من خلقه و الفصل بينهما.

أما قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۲۴] فلا يجوز أن يكون انتصاب حيث على حد انتصابه إذا كان ظرفا لأنّ علمه تعالى فى جميع الأماكن على حدّ واحد لا يدخله التّزايد و التّناقص، و إذا لم يستقم حمل أفعل على زياده علم فى مكان فيجب أن يحمل على انتصابه انتصاب المفعول به، و يكون العامل فيه فعلا مضمرا يدلّ عليه قوله: (أعلم) و يحصل الاكتفاء بقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ ثم أعلم يدل على يعلم مضمر أو التّقدير اللّه أعلم العالمين يعلم حيث يجعل رسالاته فيختار لأدائها من يصطفيه و مثل هذا قول الشّماخ شعرا:

و جلاهما عن ذى الأراكه عامرأخو الحضر يرمى حيث تكوى النّواجر

فقوله: حيث مفعول لأنه هو المرمى إذ لم يجز أن يكون المعنى يرمى شيئا فى ذلك المكان و هذا مثل قول الآخر:

أكروا حمى للحقيقه منهم و اضرب منّا بالسيوف القوانسا

انتصب القوانس بفعل مضمر دلّ عليه قوله و اضرب منا.

و أما قول القائل: اللّه أعلم بنفسه من خلقه حتى قيل: لم يزل معلوما لنفسه فاعلم أنّ هذا الكلام له منصرفات بعضها يجوز و يحسن فى وصفه تعالى، و بعضها يمتنع، فإن أردت بقولك نفسه صفه لأنه به حسن، و جاز و يكون هذا كقوله فى صفه قدرته و تدبيره و عظمته و إرادته و كرمه و رحمته: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۹] و كذلك إن أردت أنّ علم العبد قد يعترض فيه الشّك و يتسلّط عليه النّسيان و يعتريه الآفات كالغشى و النّوم و الموت فتعطله و علم اللّه يدوم و يثبت على حد واحد كان صوابا و قائما و صحيحا (و إن أردت أنّ علمه بذاته متكامل فهو يسعها و علم خلقه بها متناقص فيعزّ عن الإحاطه بها كان غير لائق به و ممتنعا من تجويزه فيه، و كذلك إن أجريت مجرى قول القائل إنّ جبرائيل أعلم بالله من الإنسان، تريد أنّ علمه أعلق به و ألزم له كما يزداد حبّا على حبّ، و يكون تعين أثبت من تعين امتنع أيضا و ذكر النّفس ليس يثبت به شى ء غير الذات و كذلك الوجه فى قوله تعالى: وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۷] و ليس ذلك على ما ينسب إلى المحدثين من الأعضاء و كذلك العين إذا قلت عين الشى ء و يصح أن يقال:

اللّه أعلم بنفسه من خلقه و يراد أنه أذكر لوجوه القدره و صنوف ما تدل عليه الحكمه و العظمه

و لجميع صفاته العلى و أسمائه الحسنى فلا أمد لعلمه، و لا نهايه و لا مدد و لا غايه. و شاهد هذا قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ [سوره لقمان، الآیه: ٢٧] الآيه، و هذا لأنّ العبد لا يكون ذاكرا من وجوه القدره و الحكمه كلّها إلّا ما علم منها و اللّه تعالى ذاكر لها كلّها، و يكون هذا كما يقال فلان أعلم بالله من فلان، و يراد أنه قد عرف أنّ الدّنيا محدثه من وجوه عده، و أنّ الآخر لا يعرف ذلك إلا من وجه واحد، و قد ظهر بما بيّناه الفصل بين ما يسأل عنه فى الموضعين جميعا.

فصل فى تبيين المحكم و المتشابه

من قوله تعالى: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ و الحكمه فى إنزاله مقسما بين الوجهين المذكورين و الكلام فى المعارف و المعجز.

اعلم أنّ اللّه تعالى لمّا ابتلى العقلاء بتكاليف الدّين بعد إزاحه العلل و تسهيل السّبل و بعث الرّسل رتّب فى مراسمه مراتب، و جعل لكلّ مرتبه قدرا من الجزاء و المثوبه ترغيبا فى الاستكثار من طاعته، و حضّا على التّنافس فى أشرف المنازل لديه و من أجل تلك المراسم ما ندب إليه من تدبّر كتابه الحكيم الجامع للأوامر و النّواهى و أصول الحلال و الحرام، و المندوب إليه و المباح، و قصص الأمم السّالفه، و أخبار الأنبياء معهم، و المواعظ و الأمثال، و الحكم و الآيات و النّذر و المثلات، و العبر و الامتنان بأنواع النّعم، و الإخبار بالشى ء، قبل كونه و التّنبيه على مغيبات الأمور و سرائر القلوب من دونه، هذا و قد أنزله علما لنبيّه يتحدى زمان الفصاحه، و أوان التّبلغ بالبلاغه جعل بعضه جليا واضحا و بعضه خفيّا متشابها، ليعمل من تسمو نفسه إلى أعلى الدرجات فكره، فيمتاز فى العاجل بما يستنبطه و يثيره من جليل العلم و دقيقه عن غيره ممن لم يسع سعيه، و إن جاهد فى ربه و يجتاز فى الأجل عند اللّه من الزّلفه و جزيل المثوبه ما يقرب من غايات الأنبياء و ذوى العزم و النّصيحه فلولا حكمه اللّه فيما ذكرته لبطل التّفاضل فيما هو أشرف و تدانت الأقدار فيما هو أفخم.

أ لا ترى أنّ الصّبر فى أعمال القلب و أعمال الفكر و كد الرّوح لنتائج النّظر ليس كالصّبر فى إتعاب الجوارح و إنصاب الآراب و المفاصل، لذلك قال تعالى: وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا [سوره العنكبوت، الآیه: ۶٩] فأما ما روى من أن لكل آيه ظهرا و بطنا و مطلعا فالمعنى لكلّها لفظ و معنى، و مأتى أى طريق يؤتى منه فيتبيّن علمه من ذلك الطّريق و قيل أيضا فيه: الظّهر للإخبار عن مخالفه الأمم و هلاكها و البطن يكون تحذيرا أى لا تفعلوا فعلهم فتهلكوا هلاكهم.

و حکی عن النّظام أنه قال القرآن کلّه أو بعضه جاء علی کلام العامّه فی أمثالهم إیاک أعنی فاسمعی یا جاره. و قد ظهر وجه الحکمه بما بیّناه فی تنزیله بعض الکتاب محکما و بعضه متشابها فأمّا التّنبیه علی کلّ نوع منهما فإنّا نقول و بالله التّوفیق:

اعلم أنّ المحکم من الآی هو الذی لا یحتمل إلا معنی واحدا فیوافق ظاهره باطنه إذا تأوّل کأنّه أحکم أمره و منع متدبّره من تسلیط الشّبهه علیه کما منع هو فی نفسه من أن یتورده الاحتمال، و أصل الأحکام المنع. و منه حکمه الدابه فإن قیل: إنّ اللّه تعالی قد وصف آیات القرآن کلّها بمثل هذه الصفه لأنه قال تعالی: الر کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ [سوره هود، الآیه: ۱] و إذا کان کذلک فالمتشابه محکم أیضا و یؤدّی ظاهر الآیتین إلی تناقض قلت: إنّ قوله: أُحْکِمَتْ آیاتُهُ معناه أتقنت و أتی بها علی حدّ من الوثاقه فی النّظم و الإصابه فی المواضع لا یتخلّلها اختلال، و هذا کما یقال للبناء الوثیق محکم. و قد قال اللّه تعالی فی موضع آخر: الر تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ [سوره یونس، الآیه: ۱] فجعل الکتاب حکیما بما تضمّنه من الحکمه و إذا وضح ذلک فقد سلم ما قلناه و لم یحصل بحمد اللّه تناقض، و یشهد لما تأوّلنا علیه المحکم أنّه جعل فی مقابله المتشابه.

و جوّز بعض المتأوّلین أن یکون معنی أحکمت آیاته أجملت من حیث جاء بعده، ثم فصّلت إذ کان الإجمال و التّفصیل یتعاقبان، و هذا الذی قاله لا یعرف فی اللغه، و المتشابه هو الذی دخل فی شبه غیره فیعتوره تأویلات أو أکثر، و من شرطه أن یرد إلی المحکم فیقضی به علیه، لهذا قال تعالی فی صفه ثمر الجنه: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً [سوره البقره، الآیه: ۲۵] فقیل المعنی یشبه بعضه بعضا فی الجوده و الحسن. و قال المفسرون: یشبه بعضه بعضا فی الصّوره و مختلف الطعوم و قد وصف تعالی الکتاب کلّه بالمتشابه کما وصفه بالحکیم، و کما وصف آیه بالإحکام فقال: کتابا متشابها و المعنی یصدّق بعضه بعضا فلا یختلف و لا یتناقض. و قل علیّ لابن عباس حین وجّه به إلی الشّراه(۱) قبل القتال لا تناظروهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، و لکن ناظروهم بالسّنه فإنّهم لا یکذبون علیها فقوله:

حمّال أی: یحمل علیه کل تأویل، و هذا یترجم عن معنی المتشابه و مثال المحکم نحو قوله تعالی: ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ [سوره النحل، الآیه: ۱۴۵] و کقوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ [سوره النحل، الآیه: ۹۰].

فأمّا وجوه المتشابه فمختلفه، (منها) اتّفاق اللّفظین مع تنافی المعنیین فی ظاهر آیتین کقوله تعالی: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَیْرُ اللَّهِ [سوره فاطر، الآیه: ۳] فهذا محکم لفظه استفهام

۱- قال فی القاموس: الشراه الخوارج، و الجبل و الطّریق و جبل بنجد لطیّ.

و معنـاه نفى، و المراد لاـ منشـئ إلاـ اللّه. ثم قـال تعالى فى موضع آخر: فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [سوره المؤمنون، الآيه: ۱۴] فقلنـا الخلق فى كلامهم يكون الإنشاء و يكون التّقـدير يقال: خلقت الأديم إذا قـدّرته قال: و لأنت تعزى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يعزى، و الآيه النّافيه تقضى على المثبته بأنّ الخلق يكون فيه التّقدير لا غير لأنّ الذى يخلص للّه تعالى من معنى الخلق فلاـ يشـارك فيه هو الإنشاء و مثله قوله تعالى: وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ [سوره محمـد، الآيه: ۱۱] مع قوله تعـالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاـهُمُ الْحَقِ [سوره يونس، الآيه: ۳۰] لأـنّ المولى فى اللغه يقع على السـيّد و العبـد و المعتق و الولى و النّاصـر و ابن العم، فمعنى لا مولى لهم: لا ناصـر، و لا ولى و معنى مولاهم الحق الإله و السّـيد الـذى لا شك فيه يوم يكون الحكم و الأمر له و هـذا بيّن. (و منها): التّنافى بين المعنيين فى ظاهر آيتين و إن لم يكن عن اتفاق لفظين مثل قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمـالَهُمْ [سوره الزلزله، الآيه: ۶] مع قوله تعـالى: وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنـاهُمْ جَمْعاً [سوره الكهف، الآيه: ۹۹] و هاتـان حالتان إحـداهما حـاله الورود و هى عنـد البعث و النّشور، و الأخرى حاله الصّـدور و الانسياق إلى المعـد من الثّواب و العقاب، و هـذا معنى ليروا أعمـالهم فـالمحكمه التى يرد إليهـا يصـدر النـاس أشـتاتا قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۴] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحـاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنـا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۵- ۱۶] و هـذا واضح و مثله قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنـا فَهُمْ يُوزَعُونَ [سوره النمل، الآيه: ۸۳] أى يـدفعون و يستعجلون مع قوله تعالى: وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً [سوره مريـم، الآيه: ۹۵] و معنى فردا لاـ عـدد معه و لا عضـد و لا عـدّه و لا ذخيره و المحكمه التى ترد إليه هـذه قوله تعالى: وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً [سوره مريم، الآيه: ۸۰] و إذا كان كذلك انتفى التّشابه.

و منها اسـتغلاق الآيه فى نفسـها و بعـدها باشـتباهها عن وضوح المراد منها و من جعل وجه التّشابه هذا و ما يجرى مجراه اسـتدل بقـوله تعـالى: وَ مـا يَعْلَمُ تَـأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [سوره آل عمران، الآـيه: ۷] و جعـل وجه الأحكـام ظهور المعنى و تسـاوى السّـامعين فى إدراك فهمه و لذلك مثل كثير من أهل العلم المحكمات بالآى الثّلاث التى فى آخر الأنعام و هى قوله تعالى:

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۵۱] إلى ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [سوره الأنعـام، الآيه: ۱۵۳]، و المتشابهـات بقوله تعـالى: الم*، و الر*، و كهيعص، و طه و مـا أشـبهها. و منها ألا يعلم السّـبب الـذى نزلت الآيه فيه على كنهه و حقه لاختلاف قديم يحصل فيه بين الرّواه، و ادّعاء بعضهم النّسخ فيه و لغرابه القصّه و قلّه البلوى بمثلها و الصّواب عندى فى مثل هذا أن يؤثر ما يكون لفظه الكتاب أشهد له و أدعى إليه،

و مثاله قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ [سوره المائده، الآيه: ۱۰۶] إلى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا [سوره التغابن، الآيه: ۱۶].

و منها أن يروى فى تفسير الآيه عن طرق كثيره و عن رجال ثقات عند نقّاد الآثار و رواتها، أخبار يختلف فى أنفسها و لا يتّفق و لا يستجاز مخبرها أو يستبعد، ثم تجد إذا عرضتها على ظاهر الكتاب لا تلائمه من أكثر جوانبها و لا توافقه و ذلك مثل قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۹] إلى فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۹۰] و مثل قوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۲] إلى أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۳] و الوجه فى الآيتين و أشباههما عندى أن يراعى لفظ الكتاب بعد الإيمان به و يبدل المجهود فى انتزاع ما يتفق فيه أكثر الرّواه من جهه الأخبار المرويه و ما هو أشبه بالقصه، و أقرب فى التدين، ثم يفسر تفسيرا قصد لا يخرج فيه عن قصه الرّوايه و اللفظ و لا يترك الاستسلام بينهما للجواز و الانقياد للاستبشار لما عرف من مصالحنا فيما يمنعنا علمه أو يقنعنا عليه أ لا ترى قوله تعالى فيما استأثر بعلمه: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآيه: ۸۵] و قوله: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [سوره الأعراف، الآيه: ۸] بعد قوله تعالى: لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ [سوره المدثر، الآيه: ۲۹] عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ [سوره المدثر، الآيه: ۳۰] و مثل هذا الاستبشار ما فعل اللّه من الصّرفه بيعقوب و بنيه حين انطوى عليهم خبر يوسف و كان بينه و بينهم من المسافه ما كان بينهم. و يشبهه الصّرفه التى ذكرناها ما يفعل اللّه من سلب الانبساط من الكفّار فيكون ذلك سببا للتسلّى فيما يبتلون به من العقاب و ذلك قوله تعالى: وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ [سوره الزخرف، الآيه: ۳۹].

و منها الالتباس حال التاريخ أو ما يجرى مجراه فى آيتين تتعارضان أو آيه و خبر فتختلف فى النّاسخه منهما و القاضيه على الأخرى و ذلك كما روى عن مجاهد فى قوله تعالى: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآيه: ۴۹] و هو أمر بالحكم فنسخت ما قبلها و هو: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ [سوره المائده، الآيه: ۴۲] و هو تخيّر. و روى السدّى عن عكرمه فى قوله تعالى: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ [سوره المائده، الآيه: ۴۲] قال نسختها: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآيه: ۴۹] و هذا قول أهل العراق و يرون النّظر فى أحكامهم إذا اختصموا إلى قضاه المسلمين و الأئمه، و لما روى من رجم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم اليهوديه و اليهود، و أمّا أهل الحجاز فلا يرون إقامه الحدود عليهم يذهبون

إلى أنهم قد صولحوا على شركهم و هو من أعظم الحدود التى يأبون و يتأولون فى رجم النبى صلى اللّه عليه و سلم اليهوديين على أنّ ذلک كان قبل أن يؤخذ منهم الجزيه و المقاره على شركهم و فى هذا القدر بلاغ للمتأمّل.

فأمّا الكلام فى المعرفه بالله تعالى و وجوبها و بيان فساد قول القائلين بالإلهام فإنا نذكر طرفا منه و نقول: اختلف النّاس فى ذلک فزعم قوم أنّ المعرفه لا يجب على العاقل القادر و أنّها تحدث بإلهام اللّه تعالى و كل من لم يلهمه اللّه المعرفه به فلا حجه عليه و لا يجب عليه و قالوا: إنّ الذين قتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يكونوا كفارا و إنّما قتلوا على سبيل المحنه، كما يقتل التّائب و الطّفل و لا يجب عليهم عقاب لأنّ اللّه تعالى لا يجوز أن يغضب و على من لم يرد إغضابه.

و قال الجاحظ: إنّ المعرفه غير واجبه و لكنّها تحدث بالطبع عند النّظر، و قال: إنّ الذين قتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كانوا عارفين بالله معاندين و احتج بقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ [سوره النمل، الآيه: ۱۴] و قال لا يأخذ اللّه الإنسان بما لم يعلم و لا بما أخطأ فيه أ لا تراه يقول تعالى: لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ [سوره البقره، الآيه: ۲۲۵] و استدلّوا على صحه مذهبهم بأن قالوا إن الاعتقاد لا يعلم أنه حسن أو قبيح حتى يعلم أنّه علم أو ليس بعلم فإذا علم أنّه علم فقد علم المعلوم لأنّ العلم بالعلم علما هو علم بالمعلوم فإذا علم المعلوم فقد استغنى عن اكتساب العلم به و إن كان لا يعلم أنه علم فإذا لا يجب على هذا الإنسان فعل ما لا يأمن أن يكون قبحا.

و قال أكثر أهل العلم إن المعرفه واجبه و هى من فعل الإنسان و إنّ أول المعرفه يقع متولدا عن النظر و لا يجوز أن يقع مباشرا ثم ما بعد ذلک لا يجوز أن يقع مباشرا و أنّ كلّ من أكمل اللّه عقله و عرّفه حسن الحسن و قبح القبيح فلا بدّ من أن يوجب عليه المعرفه به، و أن يكلفه فعل الحسن و ترک القبيح و بعضهم يضيف إلى هذه الجمله و قد جعل شهوته فيما قبحه فى عقله و نفور نفسه عما حسنه فى عقله.

و يستدل على وجوب معرفه اللّه فإنه لا يخلو من أن يكون قد كلّفنا اللّه لحسنها و قبح الذّهاب عنها أو لم يكلّفنا و تركنا مهملين، فإن كان قد كلّفنا فهو الذى يزيد، و إن كان تركنا سدى فإنّ الإهمال لا يجوز عليه. و يقال أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم، و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن نعرف المنعم لنشكره.

و اعلم أنّ المعجز هو ما لا يقدر عليه فى صفته أو فى جنسه، فأمّا لا يقدر عليه فى جنسه فهو مثل إحياء الموتى و أمّا ما لا يقدر عليه فى صفته فهو فلق البحر. لأنّا نقدر على تفريق

الأجسام المؤتلفه، و لكن على تلك الصّفه و تلك الحاله لا نقدر عليه، فأمّا الخبر عن الغيوب فليس بمعجز و لا وقوع المخبر على ما أخبر به معجز إذ يجوز على الخبر عن الغيب أن يكون صدقا أو كذبا و إذ قد ثبت أن يخبر الإنسان عن الشى ء أنه يكون فيكون و ليس يعلم فى حال الخبر أنّ المخبر به يقع على ما أخبر به عنه و لا يعلم أنه معجز و إنّما العلم بأنّ الشى ء يكون قبل أن يكون يعجز بلى من سمع النبى صلى اللّه عليه و سلم يذكر أنه سيكون كذا و كذا و يخبر عن الغيب ثم يبقى إلى الحاله يكون فيها ما ذكره فحينئذ يكون ذلك دلاله و حجه عليه، فأمّا من لم يبق إلى تلك الحاله فهو ليس تقوم عليه الحجّه فى وقت الإخبار و لا يصح الاستدلال بذلك بل يجب أن يدلّه اللّه بدليل آخر.

فإن قال قائل: كيف يصحّ أن يكون انقضاض الكواكب رجما للشيّاطين و لا يخلو من أن يكون الذى يرمى به الشّيطان ليحرقه كوكب فيجب أن يفارق مكانه و ينقص من عدد الكواكب و قد علمنا منذ عهدت الدنيا لم تنقص و لم تزد أو يكون الذى يرمى به شعاعا يحدث من احتكاك الكواكب و اصطكاك بعضها ببعض فيفصل ذلك الشّعاع من الكواكب و يتّصل بالجنّى حتى يحرقه، إذ لو لم يتّصل به لم يحترق و هذا أيضا لا يجوز لأنّ الكواكب لا تحتك. قيل له: إنّ كل ما ذكرت غير ممتنع قد يجوز أن يكون هناك كواكب لا تلحقها العين لصغرها كما قال قوم فى المجره إنها كلّها كواكب و لا تبين، فيجوز أن يحتك بخاران عظيمان فيحدث الشّعاع و يحترق الجنّى، و كلّ ذلك ليس بمستنكر و على هذا جاء فى القرآن.

و أما انشقاق القمر فإنّ الجاحظ كان ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا لو انشقّ حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن نختلف التّقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله، فلو انشقّ القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير، فأمّا قوله تعالى:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآيه: ۱] فإنّما معناه سينشقّ و نحن نثبته و نقول:

يكون ذلك دليلا خصّ به عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه و أنّ سائر النّاس لم يرده لأنّ اللّه حال بينهم و بين رؤيته بغمامه أو غيرها و يجوز أن يكون غير عبد اللّه رآه، فاقتصر فى نقله على روايه عبد اللّه و على ما نطق به القرآن من ذكره.

فصل الاستدلال بالشّاهد على الغائب

لأنّه الأصل فى معرفه التّوحيد، و حدوث الأجسام و صدق الرّسل. قال اللّه تعالى:

الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [سوره البقره، الآيه: ۱- ۳] قيل معناه يؤمنون بما غاب عنهم من أمر الآخره و قيل: يؤمنون بما غاب من

البعث و النّشور، و أخبرهم به النبى. و قيل: المراد يؤمنون بالله و رسوله و ما أنزل إليه، يظهر الغيب لا كالمنافقين الـذين يقولون للمؤمنين إنـا معكم، و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم، إنّما نحن مستهزءون، و مثله قوله تعالى: ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ [سوره يوسف، الآيه: ۵۲] و قوله تعالى: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ* [سوره الأنبياء، الآيه: ۴۹].

و اعلم أن من لا يفعل ذلك لم يجز له أن يعرف شيئا إلا من جهه المشاهده أو ببداهه العقل، أو بخبر ممن شاهده و لو كان كذلك لسقط الاستدلال و النظر، و لما جاز أن يعرف اللّه و لا حدوث الأجسام، و لا صدق الرّسل فيما أتت به من عند اللّه، لأنه يجوز أن يعرف اللّه بالمشاهده و لا ببداهه العقل لأنّه لا يشاهد، و لأنه لو عرف ببداهه العقل لاستوى العقلاء فى معرفته، فوجب بهذا أن لا يعرف اللّه إلّا بدلاله المشاهده، و كذلك حدوث الأجسام، و لسنا نريد باستشهاد الشاهد أن يستدلّ به على ما لم نشاهده إلا بأن نشاهد نظيره، و مثله أ لا ترى أنّا لو شاهدنا فى هذا البلد إنسانا لم نعرف بذلك أن فى غير هذا البلد إنسانا آخر من غير أن نشاهده، و لكن هو أنا إذا وجدنا الجسم فى الشّاهد إنّما كان متحركا لوجود حركته، ثم وجدنا حركته لا توجد إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا دلنا ذلك على أن كلّ جسم متحرّك فيما لم نشاهده لم يكن متحركا إلا لوجود حركته، و لا توجد حركته إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا؛ لأنّه لو جاز أن يكون متحركا فى الغائب مع عدم حركته لجاز فى الشاهد مثله، و كذلك إذا وجد الجسم فى الشاهد إنّما كان جسما لأنّه طويل عريض عميق و متى عدم طوله أو عرضه أو عمقه لم يكن جسما لزمه أن يعلم بدلاله الشّاهد أنّ الجسم الغائب إنمّا كان جسما لمثل ذلك.

و كذلك إذا وجد الجسم فى الشّاهد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد لأن وجوده فى أحد المكانين ينافى وجوده فى المكان الآخر كان علينا أن نجرى القضيه فى الغائب على حده. و كذلك القول فى امتناع اجتماع الضّدين، و الحركه و السّكون و السّواد و البياض، و الاجتماع و الافتراق بحسب أن يراعى حالها فى الشّاهد فيحمل الغائب عليها و إذا كان الأمر كذلك وجب أيضا أن يكون إذا وجدنا الفعل فى الشّاهد لا يوجد إلّا من فاعل، و لا يحصل موجود إلا بفعله له، ثم وجدنا فعلا لم نشاهد له فاعلا أن نعلم بدلاله الشّاهد أنّ له فاعلا و إن كنّا لم نشاهده، و لا يجب إذا لم نجد إلا أجناسا من الأشياء أن لا يثبت فى الغائب خلافا لما شاهدنا، لأنّ الأعمى الذى لم يشاهد الألوان قط لا يجوز له أن يثبت شيئا إلّا من جنس ما شاهده بسائر جوارحه، إذ قد ثبت الألوان التى هى خلاف جميع ما شاهده، و إن كان هو لم يشاهد و كذلك الحياه و القدره و العلم لا يشاهد و لا شوهد نظائرها و لا يجب مع ذلك أن لا نثبتها مع وضوح الأدلّه عليها فلم يجب علينا لمن أراد منّا نفى القديم إذ كنا لم

نشاهد له مثلا و لا نظيرا أن ننفيه من أجل ذلك إذ كان يجوز أن نثبت بالأدلّه ما لا نظير له كما مثّلناه.

و إنّما يجب تكذيب من وصف الغائب لصفه الشّاهد ثم أزال عنه المعنى الذى استحقّ الشّاهد به تلك الصفه، فأمّا متى أثبت فى الغائب شيئا مثبتا من غير أن يكون بصفه المشاهد الذى وجبت له هذه الصّفه لعلّه، و قال مع ذلك: إنه غير مثبت لما شوهد لم يجز أن نبطل قوله بما شاهدنا، إذ كان يجوز أن يكون ما ادّعاه خلافا لما شاهدناه، كما لم يكن للأعمى إنكار الألوان إذا أخبرناه بها من حيث كانت مخالفه لما شاهده بسائر جوارحه، و لم يكن لأحد أن ينكر الحياه و القدره لأنهما خلاف ما شاهده، و لكن يجب أن يطالب بالدّلاله على صحّه الدّعوى، فإذا ثبتت ثبت مدلولهما، و إلا سقطت الدعوى، و هذا أصل القول فى استشهاد الشّاهد على الغائب فاعلمه.

فصل فى أسماء اللّه و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفا، و الحروف كيف تصير كلاما)

اعلم أنّ الأصوات جنس من الأعراض تحته أنواع تعلم، فإذا توالى حدوثها منقطعه بمخارج الفم و ما يجرى مجراها سمّيت حروفا، لذلك قيل: الكلام (مهمل) و (مستعمل).

(فالمستعمل) ما تناولته المواضعه أو ما يجرى مجراها من توقيف حكيم، فجعل عباره عن الأعيان أنفسها و عنها بأحوالها. (و المهمل) ما خالف ذلك، و إنما قلنا هذا لأنّ جنس الصّوت لا يقتضى كونه حرفا و لا كلاما متى لم تطرأ المواضعه عليها، و ما جرى مجراها، و المواضعه لا تصح إلا مع القصد إليها لذلك قيل: ما ينقسم إليه الكلام من الخبر و الأمر و النّهى و الاستخبار لا يكاد يحصل مفيد إلا بإراده غير القصد إلى المواضعه، لهذا متى ورد الكلام من سفيه لم يفد السّامع شيئا، كما يفيده إذا ورد من الحكيم على المخاطب العارف بالمواضعات لمّا تعذرت معرفه قصده و صار الصّدق و الكذب يستوى حالاتهما و تقام صور أنواع الكلام بعضها مقام الآخر حتى يوجب ذلك التّوقف عن قبول الأخبار و ترك القطع على ما يسمع منها إلا مع البينه.

و اعلم أن الحاجه إلى المواضعه بالأصوات هى البيان عن المراد لما كان الكلام المستعمل تنبها عليه، فلذلك يستغنى الحكيم فيما عرف مراده عن الخطاب إلا عند كونه لطفا فى فعل المراد و متى أمكنه بالإشاره و الإيماء بيان غرضه عدل عن الخطاب إلا أن يكون لطفا كما ذكرناه. و لما كان الأمر على ذلك اختلفت العبارات لاختلاف المراد و احتيج إلى التبين بعد ذلك، إذ كان الكلام بنفسه لا يدل على ما وضع له و لا بالمواضعه أو التوقيف.

فإن قيل: فما الفرق بين (المهمل) و (المستعمل)؟ حينئذ قلت: الفرق بينهما أنّ الحكيم متى تكلّم بكلام مستعمل صحّ أن يعرف السّامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، و متى تكلم بكلام مهمل لم يجز أن يعلم مراده و إن قارنه ما قارنه و كان وجوده و عدمه بمنزله، و لو كان الكلام دليلا يجوز الاستطراق منه إلى ما وضع له قبلها، لأن الدلاله لا تحتاج فى كونها دلاله يجوز الاستطراق منها إلى مدلولها إلى المواضعه و إنما يحتاج فى تسميتها دلاله إلى المواضعه لأنهم يسمونها دلاله إذا أراد فاعلها عند فعلها الاستطراق منها إليه و لذلك لا يجوز أن يسمّى فعل اللص دلاله عليه، و كذلك فعل البهيمه، و إن جاز الاستطراق منها إليه، و لهذا جاز أن يعرف اللّه بدلائله من لا يعرف شيئا من المواضعات.

و اعلم أنّ الكلام لمّا وضع للإبانه عن مراد المخاطب للمخاطب، لأنّ الغرض فيه إعلامه حدوث الشى ء إذ إعلامه أنّه يريد منه إحداثه أو إعلامه أنه يكره منه إحداثه، و الحدوث لا يكون إلا للذّوات و لم يكن بدّ من إعلامه العبارات عن ذوات الأشياء ليجوز منه أن يفرق الحدوث بها على وجه المراد انقسم الكلام أربعه أقسام:

الأول: عباره عن الأعيان أنفسها و هى الأسماء.

الثّانى: عباره عن حدوث الشى ء و هو الخبر عنه.

الثالث: عباره عن إراده إحداثه و هى الأمر به.

الرّابع: عباره عن كراهيه إحداثه و هى النّهى عنه.

و الأسماء على ضربين:

الضّرب الأول: اسم وضع لتعريف المسمّى به و ليكون علما له دون غيره فيقوم مقام الإشاره إليه عند غيبته، أو لاشتمالها عليه، و يسمّى هذا الضّرب لقبا و لا يفيد فى المسمّى به شيئا و لذلک لا يدخله الحقيقه و المجاز إذ كان لا يتعلّق بفعله و لا بحاله و لا بشى ء، مما يحلّه أو يحلّ بعضه، و لا يوجب الاشتراک فيها اشتراكا فى غيرها كما لا يوجب الاشتراک فى غيرها اشتراكا فيها و قال بعضهم هذا القبيل ثلاثه أقسام:

القسم الأول: وضع تعريفا لآحاد الأشخاص كزيد و عمرو.

القسم الثانى: وضع تعريفا لآحاد أجمل الأشخاص و ليقوم مقام تعداد ذكر جميعها كقولک: إنسان و أسد و حمار و طائر، و لذلک لا يتعلق بشى ء من أوصافها و لا بما يحلّها، و يوجب الاشتراک فيها اشتراكا فى الصوره دون غيرها و تسميه أهل اللّغه الجسم جسما من هذا لأنه وجب له هيئته و تركيبه و لذلک لم يجز إجراءه على اللّه تعالى.

القسم الثالث: وضع تعريفا لآحاد جمل الأجناس المختلفه المشترکه فی باب التّعلق بغيرها على وجه واحد، ليقوم مقام ذكر جميع الأجناس الـدّاخله تحتها، و هـذا كاللّون و الكون و الاعتقاد و السّهو و ما يجرى مجراها، و هـذا النّوع يسـمّى جنس الفعل و يلزم الاشتراک فيها اشتراکا فی نوعيتها.

الضرب الثّانی: على وجهين:

الـوجه الأول: اسم على المسمّى به تعريفـا لجنسه و للتميز بينه و بين مـا خـالفه و إن شـاركه فی التّسميه غيره من طريق القيـاس لاشتراكهما فی الفائده، و رسم بأنه اسم جنس لمّا كانت المسمّيات به أعدادا كثيره مماثله و هذا كالسّواد و البياض و الحمره و الخضره و الحلاوه و ما جرى مجراها، يوجب مماثله الموصوفين بها فلـذلک استحال اشتراک المختلفين بالـذّوات فی اشـتقاق الوصف بها.

النوع الثانی: اسم جرى على المسـمّى ليفيـد فيه ما يفارق به غيره مما لم يشارکه فيه من غير أن يكون افتراقهم فی الوصف موجبا لمخالفتهم كما لم يوجب اشتراكهم فی ذلک مما يليهم فی اللفظ بل فی المعنى أوجب ذلک لكونه جواهر و رسم بأنه صفه، و إذا قصـد به الإكرام فی التعلق قيل: إنّها مـدح كما إذا قصد بها الاستخفاف قيل إنها ذم، إذ كانت لا تخلو من الحسن أو القبح و هی على وجوه:

الوجه الأول: صـفه تفيـد فی الموصوف معنى حالا فيه و ذلک كقولک: متحرّک و ساكن، و أسود و أبيض، و حلو و حامض، و رسـمت هـذه الصّفات بصـفات المعـانی لأنها علل فی إجراء الوصف على محالها من طريق الاشـتقاق، فلـذلک أخـذ الاسم من لفظها، و الاشتراک فی هذه الصفه يوجب الاشتراک فيما أفادته، و يقتضى مماثله الموصوفين فی المعنى لكونها جوهرا.

الوجه الثانی: صـفه تفيد كون الموصوف فاعلا لمقدوره و الاسم يجرى عليه مشـتقا من لفظ اسم فعله، و هذا كقولک: ضارب و شاتم و متكلم، و رسـمت هـذه الصّفات لصـفات الفعل و لا يوجب الاشتراک فی هذه الصّفه تماثل الموصوفين لا بالمعنى و لا باللّفظ كما أوجب فی الأولى.

الوجه الثالث: صـفه تفيـد الإضافه و النّسبه و ذلک كقولک: هاشـمیّ و بصـریّ و دار زيد، و غلام عمرو، فباتّصال الياء المشدّده بالاسم صار صفه بعد أن كان علما أو غير صفه.

الوجه الرّابع: صـفه تفيد وجود الموصوف بها يجرى عليه هذه الصفه و يرجع إلى غيره و هذا كوصف الاعتقاد بأنه علم أو جهل، أو تقليد أو ظن. و وصف العلم بأنه غم أو سرور.

و وصف السّهو بأنه نسيان، و كوصف الكون بأنه حركه أو سكون، أو مجاوره أو مفارقه، و كوصف الحروف بأنّها كلام و الكلام بأنه خبر أو أمر أو نهى. و وصف الإراده بأنّها عزم أو قصد أو خلق و كذلك جميع ما يجرى. و الاشتراك فى هذه الصّفات يوجب اشتراك الموصوفين بها فيما أفادته دون غيرها مما يجرى مجرى تماثل ذواتها و اختلافها.

الوجه الخامس: صفه تفيد كون الموصوف بها على حال من الأحوال و هذا كوصف الشّى ء بأنه معدوم أو موجود، أو حى، أو قادر أو عاجز أو معتقد، أو عالم أو جاهل، أو ساه أو مريد، أو كاره أو سميع أو بصير. و على الأحوال التى إذا كان عليها إدراك المدركات يسمّى به الشّى ء لتهيأ ذكره و الإخبار عنه و هو قولهم شى ء و نفس و عين و ذات. و كذلك الأسماء المضمره و المبهمه نحو هو و أنت، و ذلك و هذا و الهاء فى ضربته و الياء فى ضربنى.

و فرّقوا فى بعضها بين المذكّر و المؤنّث و الواحد و الجمع. و هذه الصّفات و الأسماء التى نوّعناها و أشرنا إليها مقتسمه بين الحقيقه و المجاز، و سنبيّن كيفيه وضعها و استمرارها أو انقطاعها فى البابين إن شاء اللّه تعالى.

فصل آخر [فى أنّ اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط]

اعلم أنّ اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط و ذلك أنه إن كان اللّه تعالى واضعها على ما يذهب إليه أكثر العلماء، و على ما أخبر به عند قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [سوره البقره، الآيه: ٣١] فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكيم الذى بيّنها لعباده لا يجوز عليه الغلط و إن كان يجوز أن يكون قد ذهب عنهم بعض ما بينه لآدم عليه السلام و أحدثوا أبدالا منه، أو زادوا عليه على حسب الدّواعى و الحاجه، و لو كانوا فعلوا ذلك لما جاز أن يعلم أحد تغيّرهم لذلك إلا بخبر من اللّه ينزله على نبى من أنبيائه لأن اللّغات لا تعرف إلا من جهه السّمع و لا تعرف بدلاله العقل، و لو كانوا غيّروها بأسرها لما أنزل اللّه القرآن بها على لسان محمد صلى اللّه عليه و سلم، و إن كان ابتداء اللّغه من كلام العباد و تواضعهم على ما يقوله بعضهم فلا يجوز أن يقع فيها أيضا غلط لأنّهم إنما سمّوا الأشياء بأسماء جعلوها علامات لها لتعرف بها و ليكون التّباين و التّمايز منها، و إذا كان أصل كلامهم و لغتهم جروا فيه على ما بيّنا فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكمه تلحقه و لا تفارقه فى الحالتين جميعا، و إذا ثبت ما بيّناه من أمر اللغه و وجدنا انقسامها إلى الحقيقه و المجاز و الحقيقه ما وضع من الأسماء للمسمّيات على طريق اللّزوم لها، و الاطراد فيها لأنّها يحق لها عند التعبير عنها و أمثلتها ما قدّمناه، و المجاز ما أجرى على الشّى ء و ليس له فى أصل الوضع، تجوزا على طريق الاستعاره، و تفاصحا منهم و افتنانا و يكون قاصرا عن الأصل و زائدا عليه و مماثلا له، و كيف اتّفق يكون

مستفاده أبلغ من مستفاد الحقيقه و لذلک عدل إليه نظرنا فوجدنا طريق استحقاق الموصوفين من وجوه أربعه:

الوجه الأوّل: طريق الاختصاص و الاستبداد و هو المرسوم لصفات النّفس ليفيد فی الموصوف أنه مستبد بها، و مستغن بكونه عليها عن غيره و أنه مختص بها من غير أن يجعل نفسه كالعلّه الموجبه للعلل، و لا قائمه مقامها و هذا كوصف المحدث بأنه موجود و حی و قادر و عالم و سميع و بصير و ما جری مجراها، و لذلک رسمت بصفات التّوحيد لمّا توحّد اللّه بطريق استحقاقها فلم يشاركه فيها غيره مع جواز وصفهم بها لاستحقاقهم لها من غير هذا الوجه.

الوجه الثانی: طريق المعانی الموجبه لها و هو المرسوم بصفات العلل ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحقّ لها بالعلّه الموجبه له عند تعلّقها به دون غيره و هذا كوصف المحدث بأنه عالم و قادر وحی و سميع و بصير و وصف كل موصوف بأنه مريد و كاره، و كقولهم مشته و نافر النّفس و ما شاكل ذلک.

الوجه الثالث: من طريق القادرين و هو المرسوم بصفات الفعل ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحقّ لها بكون القادر قادرا عند فعله و إيجاده إيّاه دون غيره، و هذا كوصف المحدث بأنه موجود لما كان معدوما و مقدور القادر عليه و ليس فی الأحوال ما يتعلق بالقادر غير المعدوم الموجود.

الوجه الرّابع: من طريق استحاله ضدّها علی الموصوف بها و رسمت بالصّفات اللّازمه ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحق لها علی طريق اللّزوم له من غير أن يكون محتاجا فی ذلک إلی غير ما يوجبها له، كالعلّه و ما يجری مجراها و من غير أن يكون مختصا به كصفات النّفس و هذا كوصف الشّی ء بأنّه معدوم، و معنی المعدوم أنه لاـ يجوز أن يحصل له من أحكامه التی تخصه و صفاته الجائزه عليه شی ء، كما أنّ الموجود هو الذی يكون علی حاله يلزمه جميع أحكامه به و الموجبه له، فلذلک قلنا إنّه لا يكون معدوما بفاعل و لا بمعنی و لا بنفسه لمّا لم يكن له واسطه بين الوجود و العدم، فلذلک لزمه العدم عند استحاله الوجود عليه، فأمّا الأوصاف التی تتعلق بالأعيان ممّا لا يكون عباره عن أحوالها بل هی إخبار عنها و عن غيرها لاختصاصها بها فی باب الحلول أو التّعلق أو ما يجری مجراهما فليس لها عله و لا ما يجری مجراها و لا يجوز أن يكون شی ء من ذلک بالفاعل.

و اعلم أنّ أعمّ الأشياء قولنا شی ء لأنّه يتعلّق بالمسمّی لكونه معلوما فقط و مستحيل أن يكون ذات غير معلومه أو ذات علی حال غير معلومه عليها أو غير جائز أن يكونا معلومين، فإن كان العلم لا يحصل بالحال التی عليها لأن العلم بالذّات هو الّذی منه يصل إلی العلم

بالحال، و لـذلک کان الـذّات لا یخلو من الوجود و العـدم معا إذ لو لم یکن الـذّات معلومه فی العدم للقدیم تعالی لم یصح منه القصد إلی اختراعها و إیجادها و لیس قولنا شـی ء مثل قولنا موجود، بدلاله أنّک تقول هذا شی ء زید، فتضیفه و یمتنع أن یقال: هذا موجود زید، و کان یجوز أن یحدّ القدیم بأنه الشـی ء لم یزل و المحدث بأنّه الشی ء عن أول کما یقال هو الموجود لم یزل و الموجود عن أوّل، و إذا کان قولنا معلوم غیر متعلق بفائده فیه و إنمّا تتعلّق فائدته بغیره فالواجب أن لا یکون قولنا شـی ء مفیدا من هذا الوجه.

و یمکن أن یقال: إنه یفیـد الـذّات فکلّ ذات یسـمّی شیئا و کلّ شـی ء یسـمّی بـذات، و یمکن أن یقال أیضا إنه یفیـد المعلوم، فصلا بینه و بین ما یسمّی محالا کاجتماع الضّدین لأنّ مثل ذلک لا یصحّ علمه، قال و لیس یخرج الذّات من أن یکون علی حال مع کونه علیهـا یجوز أن یسـتحقّ غیرهـا و لاـ یجوز، فـإن کـان یجوز عبّر عنهـا بأنهـا موجوده، و إن کـان لاـ یجوز عبّر عنها بأنها معـدومه، فلـذلک یسـمّی المعدوم بالشّـی ء کما یسـمّی الموجود به لما کانا معلومین فی الحالین جمیعا لذلک قلنا: المراد بقولنا موجود إفـاده حال من أحواله أیضا و حاله له أخری و هی العـدم. و فائـده قولنا معلوم أنّ عالما علمه لـذلک جاز أن یقال معلوم زیـد للشّـی ء الـذی هو مجهول عمرو، و الحال واحده و یسـتحیل أن یقال للشـی ء إنه موجود زید أو معدوم عمرو علی الأحوال کلها.

و اعلم أنّ اللّه تعـالی لمـا أوجب فی حکمته عنـد تکلیف المکلّفین مـداواه دائهم بالرّحمه لهم و العطف علیهم و الحلم عنهم، و طلب صـلاحهم من حیث لاـ یـدرون و یؤلفهم من جانب لا یشـعرون رسم لهم فی تعبّـدهم الرّجوع إلیه فی مهماتهم و سوغ لهم دعاءه فی رفع مأربهم فقال: وَ لِلّٰهِ الْأَسْـماءُ الْحُسْـنی فَادْعُوهُ بِها [سوره الأعراف، الآیه: ۱۸۰] وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۶] الآیه ثم أنزل فی محکم کتابه من أسـمائه ما بصّرنا و هدانا و من صفاته ما قوّی إیماننا و إرشادنا، لو لا ذلـک و التأسّـی بـالنّبی صـلی اللّه علیه و سـلم فی أفعـاله و قبول أقواله التی بهـا إبطال الضّـلال، و إذا کان کـذلک فإنّ ما أثبتته التّلاوه یضاف إلیه ما دوّنته الرّوایه عن الصّـحابه و التّابعین و ما عـدا ذلک مما لهـج به ألسـنه فصـحاء الأمه و الصّالحین من أهل اللغه.

فقـد روی فی التّفسـیر أنّ قوله تعـالی: وَ لِلّٰهِ الْأَسْـماءُ الْحُسْـنی [سوره الأعراف، الآیه: ۱۸۰] أنه تسـعه و تسـعون اسما من أحصاها دخـل الجنه، و جـاء فی الحـدیث أنّ: «اسم اللّه الأعظم اللّه» و روی أبو هریره عن رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم قال: «للّه مائه اسم غیر واحـد من أحصاهـا دخـل الجنه» فیجب أن ینظر فیه فیما سـبکه التّحصـیل، و کما ذکرنا و ینقی من درن الغباوه و یتلقّی بالقبول فیما یجوز إطلاقه علی القدیم تعالی، و الباقی یتوقّف فیه و الوصف و الصّفه

جميعا لا يكونان إلا كلاما و قولا فهو كالوعد و العده. و سمعت شيخنا أبا على الفارسى يقول: أسماء اللّه تعالى كلّها صفات فى الأصل إلّا قولنا اللّه و السّلام لأنّ السّلام مصدر، و لفظ اللّه بما أحدث من صفه و لزوم الألف و اللّام له، يعدّ من الصفات فصار متبوعا لا تابعا كالألقاب يريد يتبعه الصفات و يقدم به، و معناه الذى تحق له العباده، فإذا قلنا لم يزل إلها الذى حقّت له العباده من خلقه إذ أوجدهم. و قولنا إله نكره و يجمع على الآلهه قال تعالى:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً [سوره القصص، الآيه: ۵] و اشتقّ منه تألّه الرّجل إذا تنسّک، قال:

سبّحن و استرجعن من تألّه لله درّ الغانيات المبدره

و روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم: «أن عيسى عليه السّلام قال له رجل: ما اللّه؟ قال: اللّه إله الآلهه». و روى عن ابن عباس أنه ذو الألوهيه و العبوديه على خلقه أجمعين. و روى فى قوله تعالى: وَ يَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۲۷] أنّ معناه و عبادتک، فالأصل إله حذفت الهمزه منه و جعل الألف و اللّام عوضا منه لازما و أدغم فى اللّام التى هى عين الفعل، فصار الاسم بالتّعويض و الإدغام مختصا بالقديم حتى كأنّه ليس من الإله فى شى ء، قال سيبويه: و مثله أناس و النّاس يريد فى حذف الهمزه لا فى التّعويض بدلاله قوله:

إنّ المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا

فجمع بين الألف و اللّام و الهمزه، و لو كان عوضا لما جاز الجمع بينهما، و قد قيل فى قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۵] إنّ الاسم الذى لا سمّى له فيه هو قول القائل: اللّه بهذه البنيه الصفيه، و قولهم فى صفات الفعل: يا غياث المستغيثين، و يا رجاء المرتجين، و يا دليل المتحيّرين، موضوع موضع الاسم و كلّ ذلک مجاز و توسّع، و كذلک قولنا: قديم إنما وجب له هذا لتقدمه لا إلى أول، فهو صفه لذاته و ليس ثبت بهذا معنى يسمّى قدما. و قوله تعالى: كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآيه: ۳۹] و فى آخر:

هذا إِفْکٌ قَدِيمٌ [سوره الأحقاف، الآيه: ۱۱] يراد به تقدّم له و إن كان القصد إلى المبالغه.

فإن قيل: فهل يوجب إجراء لفظ القديم على اللّه تعالى و على الواحد منّا كما ذكرت تشبّها به؟ قلت: لا و ذلک لأنّ اللّه تعالى قدم و تقدّم لنفسه و المحدث يقدم بأن الفاعل فعله فى الأوقات المتقدّمه، و إذا كان كذلک فقد اختلف موجب الصّفتين فلم يجب منهما تشبيه، و على هذا قولنا: عالم فى القديم و المحدث و قادر و سميع و بصير وحى و قدير و عزيز و ملک و مالک و مليک، على أنّه لو ساعدت العباره لكان تفرد ما يستحق للذات بعباره تلزمه، و يخالف بها غيره و كانت الحيطه فى ذلک، لكنهم استطالوا ذلک و كان يكتفى بعلم الذات من لا يعلم حالها المختصه بها، فاقتصدوا فى العباره كما اقتصدوا فى الأخبار فى بابى التذكير

و التأنيث، فأجروا ما لا يصح وصفه بالتّذكير الحقيقى و لا التأنيث الحقيقى مجرى غيره فى العباره.

و كذلك فى الاخبار عن اللّه تعالى و إضمار أسمائه فى الاتصال و الانفصال إذ قلت هو و أنت و إياك و رأيته و رأيتك و مثل ذلك اقتصادهم فى صفات ما غاب عنّا من أمور الآخره و أهوال القيامه و طى السّماوات و تبديل الأرض غير الأرض إلى غير ذلك مما أخفيت حقائقه عنّا فاقتصروا فى بيانها على عبارات لا تستوفيها، و على كنهها لا يؤديها، و هى ما نستعمله إذ عبّرنا عمّا نشاهده.

فأمّا الفصل بين السّامع و السّميع حتّى قيل: لم يزل اللّه سميعا و امتنع لم يزل اللّه سامعا فهو أنّ السّميع لا يقتضى مسموعا فيعدى إليه و السّامع لا بدّ له من مسموع، و المسموع لا يكون مسموعا حتى يكون موجودا و ذلك يدافع قوله: لم يزل و هذا كما يقول: هو عالم و عليم فى كل حال ثم تمنع من أن يقول: لم يزل اللّه عالما بأنه خلق زيدا إذ كان ذلك يوجب وجود زيد فى الأزل، و على ما ذكر من الاقتصاد و الاقتصار تركوا العباره عن أشياء و إن أدركها الفهم لقلّه البلوى بها و ذلك تركهم وضع فى الصناعات المستجدّه ما أحدث من الأسماء و وضع فى الشّرع أو نقل ما وضع و نقل.

و أما الأسماء المشتقه من الأعراض التى ليست مهيات كقولهم: فاعل و محدث و عادل و جابر و صادق و كاذب و مريد و كاره فإنها لا توجب تشبها و ذلك أن الإنسان قد يكون فاعلا لفعل لا يحلى به، و الفعل لا يختلف به هيئته عند أحد ممن يدركه، (أ لا ترى) أنّ هيئته لا تختلف لما يفعل فى غيره من الحركات و التأليف و الافتراق و العدل و الجور و لا الإراده و الكراهه و لا الأمر و النّهى فلم يجب أن تكون تسميتنا بهذه الأسماء للمسمّى بها إذا استحقها تشبها له، لأن التّشبه فى الشاهد لا يعقل إلا من وجهين اثنين، أحدهما: اشتباه بالهيئه كالأسود و الأسود و الطويل، أو يشبهان بأنفسهما و أن يكونا من جنس واحد نحو البياض و البياض، و التقدم و التقدم، و التأخّر و التأخّر، و ما جرى هذا المجرى من الأجناس المتفقه بأنفسها، فلما كانت تسميتنا بالفاعل لا توجب جنسيته و لا هيئته لم يوجب تشبها و هذا كقولهم آمر و ناه و قائل و معلوم و مذكور، فأما رحيم و رحمن فهما من الرّحمه و بناءان للمبالغه و حقيقه الرحمه النعمه إذا صادفت الحاجه.

و ذكر بعضهم أنّ الرّحمن هو الاسم الذى لاسم القديم سبحانه فيه و ليس كذلك لأنهم قالوا لمسيلمه رحمن، و قالوا أيضا فيه رحمن اليمامه، و ذكر بعضهم أنه لمّا سمعوا النبى صلى اللّه عليه و سلم يذكر الرّحمن قالت قريش: أ تدرون ما الرّحمن؟ هو الذى كان باليمامه، و إذا كان كذلك فما بقى إلا أن يكون لفظه اللّه هى التى لا سمّى فيها، فإن قيل: فقد نرى الفاعل هيئته يخالف

هيئه من ليس بفاعل و القائل منا له هيئته السّاكت، قيل له: لم تخالف هيئته هيئه السّاكت بالقول و إنما خالفت هيئاتهما بالسكون الذى فى شفتى السّاكت و بالحركات التى فى لسان المتحرك، لا بالكلام، فإذا كان اللّه يفعل الكلام و الأمر و النهى من غير أن تحل فيه حركه صحّ أنه لا تكون تسميتنا إياه آمرا و ناهيا أو متكلما تشبيها.

و على هذا قولنا: العالم و الحى و القادر و السميع و البصير لأن شيئا من ذلك لا يوجب تجنيسا و لا تركيبا و لا هيئه، فإن قال: أ ليس العالم فى الشاهد يحل العلم فيه أو فى بعضه، و كذلك الحى فلم زعمتم أن الحيزين لا يشتبهان لحلول الحياه فيهما؟ قلت: إن الحياه ليست بهيئه لهما فيشتبهان بها عند حلولها فيهما، و لو كانا مشتبهين بسائر هيئاتهما، فإن قال: فيلزمكم أن لا يكون من وصف اللّه تعالى بأنه يحله العلم و الحياه مشتبها بخلقه، قيل:

ليس هو بهذا القول مشبها، و لكن بتجويزه حلول الأعراض فيه يكون مشبها لأن ذلك يرجع إلى الهيئه.

و اعلم أنّ الصفه قد تجرى على الموصوف من وجهين فى أحدهما: يجب له عن اختصاص و استبداد فيكون للذّات و يقترن بما لم يزل و فى الثانى: يقصر غايته فنقف دون موقف الأول، و ذلك كقولنا: بصير و مبصر لأنهما للذات، إلّا أنّ مبصرا يتعدى إلى مبصر موجود، و لذلك لم يجز أن يقال لم يزل مبصرا، كما قيل: لم يزل بصيرا و على هذا قولك رأى يتصرف على وجهين.

فإن أريد أنه عالم قلت لم يزل اللّه رائيا و إن أريد أنه مبصر للمبصرات امتنع منه؛ لأنّ المرئى المدرك لا يكون إلا موجودا، و على هذا قولك الصّمد إن جعلته بمعنى السّيد قلت لم يزل اللّه صمدا، و إن قلت هو من الصّمد إليه من العباد و القصد امتنع أن يقال لم يزل صمدا.

و مثله كريم يراد به العز فيقال: لم يزل كريما و هو أكرم علىّ، و يراد به الإفضال فيكون من صفات الفعل، و مثله حكيم يكون بمعنى عالم فيقال لم يزل حكيما و إن أريد به أنه يحكم الفعل لحق بصفات الفعل، و الصفات المستحقه من طريق اللغه الحقيقيه و المجازيه فإنها تجرى عليه تعالى متى لم يمنع مانع من جهه العقول و الشّرع، فإن التبس الحال يختار الأكرم فالأكرم و الأبعد من التشبيه فالأبعد، و ذلك لمجانبتنا لأنّ نصفه بأنه يعقل أو يحس أو يفقه و يستبصر و يتيقن أو يفطن أو يفهم أو يشعر لما تتضمنه هذه الألفاظ من الأحوال التى حصولها لا يليق بالله تعالى.

فإن قيل: هو شاهد و شاهد كل نجوى و قريب مجيب و مطّلع على الضّمائر قلت:

أجرينا عليه هذه الألفاظ مجازا و توسعا و لأنها بكثره دورانها فى ألسنه السّلف الصالح، و الإشاره بها إلى ما لا يخيل و لا يلتبس من القصود السّليمه انتفى عنها ما يلابس غيرها من

کل موهم، و لمثل هذا أجری قوی فی صفه مجری القادر و امتنع فی شدید و متین و ما أشبهه من أن یجری مجراه، فأما قوله تعالی: اللَّهُ یَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [سوره البقره، الآیه: ۱۵] و سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [سوره التوبه، الآیه: ۷۹] و ما جری مجراه فمثله فی البلاغه یسمی المجانسه و المطابقه و هو ضرب من المجاز سمّی الثّانی فیه بالأول لیعلم أنه جزاؤه و قد أجری إلی مثله، و المعنی یجازیهم جزاء الاستهزاء و السّخریه و نحو قوله تعالی: وَ جَزاءُ سَیِّئَهٍ سَیِّئَهٌ مِثْلُها [سوره الشوری، الآیه: ۴۰] و الثانی لا یکون سیئه.

فإن قیل: فهل یجری التهاتف و التّهکم مجری السخریه فتجیزه علیه اتساعا؟ قلت: لا یجوز ذلک؛ لأن المجاز لا یقاس، أ لا تری أنّ أرباب اللغه مجمعون علی أنه لا یجوز سل الجبل، و إن جاء سل القریه، و مثل هذا قوله تعالی: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآیه: ۳۵] و امتناعنا من بعد من أن تقول اللّه سراج السماوات، أو شمسها أو قمرها إذ کانت المجازاه لها انتهاء تجاوزها إلی ما ورائها محظور، هذا مع توافق الصفات، فکیف إذا اختلفت؟ و یقارب هذا قولهم فی اللّه لطیف و رحیم، و المراد به الإنعام، ثم امتنعوا فیه من رفیق و مشفق لرجوعهما إلی رقه القلب و استیلاء الخوف، فأما الغضب و السخط و الإراده و الکراهه و الحب و البغض و الرضاء و الطالب و المدرک و المهلک فمن صفات الفعل، و اللّه یحدثها لا فی مکان إذ کان جمیعها لا یوجب تصویرا و لا تهیئه و لا ترکیبا، و إنما تفید عقابا للمکلفین أو إثابه أو إیجابا لإیقاع الفعل، أو نفیا له و إذا کانت کذلک انتفت عن المحال علی أنه لو أحدثها فی المحال لعادت المحال الموصوفه بها.

فإن قیل: فهل یجوز أن تقع منّا إراده لا فی محل؟ قلت: لا و ذلک أنّ أفعالنا تقع مباشره، أو متولده عن مباشره، فلا بدّ لها من محل و أفعال اللّه تعالی بخلافها. فإن قیل:

هل یجوز أن یوصف اللّه بأنه راع، و أنه خفیر، و حارس کما وصف بأنه رقیب و حافظ؟

قلت: قد جاء رعاک اللّه و حرسک و حاطک فی دعاء المسلمین و معانیها صحیحه، لکن بناء اسم الفاعل منها فی صفاته لم یجی ء و هم یستغنون بالشی ء عن شبهه فی اللغه، فیذهب عن الاستعمال و مع ذلک فوصفه یجب أن یکون کریما، و لفظه الحارس و الرّاعی و الحائط لیس مما یستکرم فیقرن بیا للاختصاص، فیقال یا حارس أو یا راعی، أو یا حائط و مما ینفر منه فیترک قول القائل فی اللّه یا معلم و إن کان قد جاء الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ [سوره الرحمن، الآیه: ۱- ۲] لاشتهاره فی صفات المحترفین به، علی أنّ الفرق بین ما یجعل إخبارا و بین ما یجعل خطابا و یصدر بحرف النّداء ظاهر. و إذا کان کذلک فلفظ الخطاب بیا کالمترجم عن تواضع و فاقه فیجب أن یختار معه من الصّفات ما یؤکّد الحال و یحرّر السؤال و یشبه ما نحن فیه أنّهم قالوا فی صفاته علّام الغیوب.

ثم امتنعوا من علامه و إن كانت تاء التأنيث زائده فى المبالغه لما يحصل فى اللّفظ من علامه التأنيث و لا تنحط رتبته عن رتبه التّذكير. و لأنهم جعلوا اللّفظ مؤنثا لاقتران علامه التأنيث فقالوا للبيضتين الاثنيان، و وصف بعضهم المنجنيق و هو مؤنث فى اللّغه فقال و كل أنثى حملت أحجارا، فأمّا الخفير فمعناه لا يصح على اللّه لأنه من السّتر و منه خفرت المرأه.

و قول القائل ثابت فى صفه اللّه قليل الاستعمال و معناه صحيح فيه و هو الكائن الذى ليس بمنتف، و قولهم: وتر، و فرد و فذ جميعه جائز عليه لأنّ معناه معنى التّوحيد، إلا الفذ، لأن معناه القلّه. و قولهم إبراهيم خليل اللّه فمعناه الاختصاص، و لا يقال اللّه خليل إبراهيم، لأنّه يخص اللّه بشى ء و لا يقاس الصّديق و لا الوامق و لا العاشق على الخليل، و لا على المحب، و لا يوصف اللّه بالكامل، و لا الوافر لأنّ معناه الذى تمّت أبعاضه و توفّرت خصاله و لا يوصف اللّه بالفرح، لأن الفرح إنما يجوز على من يجوز عليه الغم على أنه مع ذلك متناوله مذموم و ليس كالسّرور. يدل على ذلك قوله تعالى: إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ [سوره هود، الآيه: ۱۰] و مما يقلّ استعماله وصفه بالسّار و البار، و إن كان معناهما صحيحا إذا كان تعالى يسر أولياءه و يبرّهم سمعه و طوله.

فإن قيل: أ فيجوز أن يقال فى اللّه تعالى: إنه يمكنه أن يفعل، و يستطيع أن يفعل و يطيق أن يفعل؟ قلت: كلّ ذلك جائز إلا قولك: يطيق أن يفعل، لأن الطّاقه استفراغ الجهد فيما يقصده الإنسان و قوله تعالى: ذِي الطَّوْلِ [سوره غافر، الآيه: ۳] حسن جائز لأن معنى ذو الطّول و له الطّول واحد فاعلمه.

و اعلم أنّ قول القائل: ما زال زيد يفعل كذا من العبارات الدّاخله على المبتدأ و الخبر يفيد الزّمان دون الحدث، و إذا كان كذلك فزيد هو الذى كان مبتدأ و هو المخبر عنه، و الخبر ما بعده، و لا يستقل بنفسه كما أنّ المبتدأ لا يستقلّ بنفسه و ما زال مثل كان و أصبح و أمسى فى أنه أفاد الزّمان، إلا أنه بدخول حرف النفى عليه عاد إلى الإثبات، لأن نفى النّفى إثبات، و ممّا صدّر بحرف النفى من إخوانه ما برح و ما فتئ، و ما انفك، و قال سيبويه: تقول زايلته مزايله و زيالا و التزايل تباين الشى ء، و زيلت بينهم فرقت.

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: ما زال زيد يقطع الكلام به، و المراد ثبت زيد. قلت:

إن أخرجته من جمله العبارات الدّاخله على المبتدأ و الخبر و جعلته فعلا تاما يستغنى بفاعله، و يفارق ما لا يتم إلا بخبره، لم يمتنع ذلك فيه، و حينئذ يصير مثل كان الذى يفسر يحدث و جاء فى القرآن: وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ [سوره البقره، الآيه: ۲۸۰] و على هذا قوله تعالى:

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ [سوره يوسف، الآيه: ۸۰] لأن تقديره لن أبرح من الأرض لأن برح لا يتعدى مثل زال، و الأرض مخصوص لا يكون ظرفا، و هذا غير المستعمل فى قولهم لم يزل

اللّه واحدا سميعا بصيرا، و مثله أصبح الذى يمثل باستيقظ، و أمسى الممثل بنام.

و قد فسّر سيبويه ما برح بما زال، و لم يجعله من البراح إيذانا بالفرق بين ما جعل عباره و بين غيره، و قال تعالى: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى [سوره طه، الآيه: ۹۱] و فى موضع آخر: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآيه: ۶۰] و المعنى لا أزال أسير حتى أبلغ، و لو جعل من البراح لدافع قوله حتى أبلغ، لأنّ الثّابت فى موضعه لا يكون متبلغا، و مما يشرح هذا الذى قلناه امتناعهم من قول القائل: ما زال زيد إلا كذا حتى ردّوا على ذى الرّمه قوله:

حراجيح(۱) ما تنفكّ إلا مناخه

على الخف أو ترمى بها بلدا قفرا

و قالوا الاستثناء ممتنع هنا و إنّما هو حراجيح ما ينفك مناخه أى لا يزال شخوصا مجهوده، و حمل إلا على الكثره و الجنس، و منهم من قال: ما تنفكّ من قولهم فككته فانفكّ كأنه يخرجه من أن يكون مما يدخل على المبتدأ و الخبر، و يجعله مستقلا بفاعله مثل كان التامه، و يكون المعنى لا ينخل قواه إلا فى هذه الحاله و على هذا ما فتئ و فى القرآن:

تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ [سوره يوسف، الآيه: ۸۵] أى لا تفتؤ و لا تزال.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يوصف اللّه تعالى بأنه ذخر و سند؟ قلت: هذا لا يكون إلا مجازا و ما لا يجب من جهه الحقيقه لا يجوز عندنا وصف القديم به إلّا إذا كثر فى كلام أهل الدين و أخبار أرباب اللغه فيصير تبعا فيه لهم، و ذلك أنّ الذّخر ما يذخره الإنسان و يحرزه لنفسه و ليوم حاجته، و يكون فى الوقت كالمستغنى عنه فيقال: أذخر هذا لطوارق الزّمان و نوائب الدهر و الأيام و على هذه الطريقه لا يجوز ذلك على اللّه لأنّ الحاجه إليه دائمه فهذا فى الذّخر و كذلك السند فى الحقيقه هو ما أسند الإنسان إليه ظهره و اللّه متعال عن هذه الصفه. فإن قيل: فهل يجوز أن يوصف اللّه بأنه نجى و ولى؟ قلت: النجىّ فعيل و يراد به الذى يناجى، و وصف به الجمع فى قوله تعالى: خَلَصُوا نَجِيًّا [سوره يوسف، الآيه: ۸۰] و إن كان على لفظ الواحد كما جاء فعول فى قوله تعالى: عَدُوٌّ لِي* [سوره طه، الآيه: ۳۹] و إذا كان كذلك فليس هو كالنكير و النّذير لأنهما مصدران، و لكنّه بمنزله العلى و الولى و نحوه مما يكون، و الوالى و الولى بمعنى واحد، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا [سوره البقره، الآيه: ۲۵۷] و قال تعالى: ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ [سوره الرّعد، الآيه: ۱۱]، و كذلك النجىّ و مثله الصّديق و الخليط فى أنه بلفظ الواحد و وصف به الجمع، و قوله: إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه. فأنجيه كقولهم كثيب و أكثبه و رغيف و أرغفه شبه الصفه بالاسم فكسرت تكسيره

۱- الحرجوح: الناقه السمينه- قاموس.

و قوله تعالى: وَ إِذْ هُمْ نَجْوى [سوره الإسراء، الآيه: ۴۷] وصف بالمصدر كما وصف بالعدل و الرضى، و إذا كان الكلام بيانا عن المعانى فعلى المتكلم أن يبيّن المعانى التى يخبر عنها بكلامه و إلا كان بمنزله من يلغز و يعمّى كلامه لئلا يفهم، و فاعل هذا مختار عابث فأما قولنا: وكيل علينا أى متول لأمورنا و قائم، بحفظنا و نصرتنا، و لا يجوز أن يقال: وكيل لنا لأنّ الوكيل لنا هو النائب عنّا و خليفتنا فيما يليه لنا فأما قولنا: توكلنا على اللّه، فليس من الوكاله فى شى ء و إنما معنى يتوكل يلتجئ و يعتمد و إذا كان كذلك فإنّا نقول: اللّه وكيل علينا، و لا نقول: متوكّل علينا.

فإن قيل: كيف جاز مجى ء تفعل و تفاعل فى صفاته و ممّا من أبنيه التكلّف و التّكلف لا تجيزه على اللّه. قلت: قوله المتكبر و الكبير المتعالى فى صفاته كالكبير و العالى و المبانى كما يتفرد بالمعانى أو يكثر مجيئها لها فإنها قد تتداخل و تتشارك حتى لا تمايز و لا تباين، و إذا كان كذلك فقول القائل تعلى و تعالى و علا بمعنى واحد قال: (تعلّى الذى فى متنه و تحدّرا) بمعنى علا و حدر و قال شعرا:

و مستعجب مما يرى من إناتناو لو زينه الحرب لم يترمرم

بمعنى عجب. و قال أوس:

و قد أكلت أظفاره الصّخر كلّماتعايا عليه طول مرقى توصّلا

بمعنى أعيا، و هذا كثير ظاهر فاعلمه. و منه قوله تعالى: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۶۷] بمعنى آذن. و اعلم و قد انتهى هذا الباب و كمل بما ضمّ إليه من أخبار الرّسول صلى اللّه عليه و سلم و غيرها، جامعا إلى الوفاء بما وعدته و مجيئه على المثال الذى خططته، أنى لم آل جهدا فى اختيار ما كانت الحاجه إلى بيانها أمس، و النّفس إلى تبينها أتوق، حتى بلغ حدا يمكن الاستعانه به، مع أدنى تأمّل على فتح كثير مما يستغلق من نظرائه، و كلّ ذلك بعون اللّه و حسن توفيقه، و أنا الآن مشتغل بالباب الثّانى و الكلام فى حقيقه الزّمان و المكان، و الرّد على من تكلّم بغير الحق فيهما و اللّه بحوله و قوّته يعين على بلوغ ما نعرب منه و هو حسبنا و نعم الوكيل.

الباب الثانی فی ذکر أسماء و معان للزّمان و المکان

اشاره

و متی تسمّی ظروفا، و معنی قول النّحویین الزّمان ظرف للأفعال، و الرّد علی من قال فی بیانهما بغیر الحق من الأوائل و الأواخر. و هذا الباب یشتمل علی ما ذکر ماهیه الزّمان و المکان و حکایه أقوال الأوائل فیهما، محقّهم و مبطلهم و إبطال الفاسد منها و ما یتعلق بذلک و فصوله أربعه:

فصل [فی أن أسماء الزّمان و المکان إنما تسمّی ظروفا إذا کانت محتویه لما هی ظروف لها]

اعلم أن أسماء الزّمان و المکان إنما تسمّی ظروفا إذا کانت محتویه لما هی ظروف لها فإن لم تکن محتویه فلیست بظروف، بل هی أسماء تبیّن ما وقعت علیه من غیره کسائر الأسماء، کقولک: مکانکم طیب، و خلفک واسع، و أمامک الصحراء، و یوم الجمعه مبارک، و شهر رمضان شهر طاعه و إنابه، فإنما هذا کقولک: عبد اللّه کریم، و زید مبارک، و موضع کونها ظروفا أن تقول: سرت یوم الجمعه و ضربت زیدا یوم السبت، فالیوم مفعول فیه.

و سنذکر قطعه واسعه من الأزمنه تأتیا بأسمائها إلی أن نتمکن من شرح جملها و تفاصیلها، و نأتی علی حقها و حقیقتها و یندس فی أثنائها الکثیر من مبهمات الأمکنه لأنها هی التی تکون ظروفا دون محدوداتها، و اتّسع باب الأزمان، لأنّ الأحداث انقسمت بانقسامها فهی تتضمنها دون الجثث و الأشخاص، و لذلک قال سیبویه: المکان أشبه بالأناسی فلها صور تثبت علیها و حدود تنتهی إلیها و تتباین بها.

فمن أسماء الزّمان: الیوم و اللّیله و البارحه الأولی و أمس و أول من أمس، و أول من أول من أمس، و إذ مضافه إلی جمله کالفعل و الفاعل و الابتداء و الخبر و قط و عصر و زمان و دهر و وقت فی الزّمان و المکان، و أسبوع و شهر و عام و سنه فیما مضی و حقب، و غد و أبد فی المستقبل، و إذ مضافه إلی فعل و فاعل، و ذات مره، و ذات المرار، و لا یستعملان إلا ظرفا، و ذات العویم و إبّان و إفان و قبل و بعد، و لا یرفعان، و بعیدات بین، و کذلک، و لیس قبل و بعد و لا بعید من أسماء الزّمان، و لا بعیدات بین، و لا من أسماء ساعاته.

و كذلك ذات مرّه لأن قبل و بعد يفيدان التقدّم و التأخر، و بعيدات جمع بعد مصغرا، و لذلك ضعفن، و ذو صباح، و ذو مساء و حرى دهر و ابنا سمير و الملوان و الجديدان و الأجدان، و مل ء من الدّهر، و المرّه، كقولك: ضربه و ما كان اسما فى الدهر للظمإ و الرّعى و غير ذلك مما يعتاد كالوجبه و الغب و الرفه و الثّلث و الرّبع و الخمس و السّدس ما كان ممرا فى اليوم، و اللّيله نحو سحر و بكر و غدوه و هو علم، و بكره و هو مجهول على عدد، و غداه و ضحوه و ضحى و الضحاء ممدود، و نصف النهار و سواء النهار و الهجير و الهاجره و الظّهير و الظّهيره و دلوك الشمس، و غسق الليل، و العصر و قصر العشى و الأصيل، و استعمالهم إيّاه مصغرا تقريبا للوقت، نحو أصيل و أصيلال و أصيلان، و كذلك المغرب فى قولك مغيربان و مغيربانات و العتمه و الغداه و مقصر و ظلام و وهن و هدا و هداه و هدو و صباح و مساء و صباح مساء مبنيين، و سير عليه ذا صباح و شطر الليل و يومئذ و هذا مما حذف منه و صار التّنوين بدلا من المحذوف فيه و حينئذ و ساعتئذ و يوم و حين مضافه إلى متمكن و إلى غيره، و السدف و السدفه و أى حين، و مذ و منذ و متى و أيان، و دخول كم على متى للعدد، و دخول حتّى و إلى للمنتهى على أسماء الزمن و قولك ربّما للتقليل، و ربما بما فى ذلك من اللغات، و قد التى بمعنى ربما، و الساعات و ألقاب أيام الأسبوع و تسميه العرب لها و ذلك قولهم للأحد أول و للاثنين أهون، و للثلاثاء جبار للأربعاء دبار، و للخميس المونس و للجمعه العروبه، و للسبت شيار و قولهم الوهن و الموهن، و تسميتهم سير اللّيل لا تعريس فيه إلا ساد، و سير النهار لا تعريج فيه التّأويب.

و قولهم: لا أكلمك السّمر و القمر، و اختلاف الأزمنه كالصّيف و الخريف و الرّبيع و الشّتاء و ما ينسب إليها من نتاج أو عشب، و تسميتهم بالحر شهرى ناجر، و الشّهرين الموصوفين بالبرد شهرى قماح و قماح، و ما نفع من المصادحينا نحو: مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، و وقعه فلان، و التواريخ، و تقديمهم اللّيله على اليوم، و قولهم بعد فنك من اللّيل، و هزيع و الأناء و ما واحدها، و أيام الأسبوع و الفصل بينها و الأوان و الآن.

و صفات الزّمان: كقولهم حول كريت و قميط و مجرم و فعله قليلا و كثيرا و طويلا و قصيرا، و قولهم النسى ء فى الأزمنه و النسيئه(١) فى الدّين و اليمين و الشّمال و أعلى و أسفل و خلف و قدّام و أيام العجوز، و هذه تجرى مجرى المقدمات و سيأتى التّفسير عليها منوعه.

١- التأخير فى دفع الثمن.

فصل فی ماهیه الزّمان

ذکر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلک، و قال أفلاطون: هو صوره العالم متحرکه بعد صوره الفلک. و قال آخر: هو مسیر الشّمس فی البروج حکی جمیع ذلک النّوبختی، و وجوه هذه الأقوال تتناسب. و حکی أبو القاسم عن أبی الهذیل أنّ للزمان مدی ما بین الأفعال، و أنّ اللّیل و النّهار هما الأوقات لا غیره. و زعم قوم أنه شی ء غیر اللّیل و النّهار، و غیر دوران الفلک، و لیس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا یجوز أن یخلق اللّه شیئا إلّا فی وقت، و لا یفنی الوقت فیقع أفعال لا فی أوقات، لأنه لو فنی الوقت لم یصح تقدم بعضها علی بعض، و لا تأخّر بعضها عن بعض، و لم یبین ذلک فیها و هذا محال.

و قال بعض المتکلّمین: الزّمان تقدیر الحوادث بعضها ببعض، و یجب أن یکون الوقت و الموقت جمیعا حادثین، لأن معتبرهما بالحدوث لا غیر، و لذلک لم یصح التّوقیت بالقدیم تعالی ثم مثل، فقال: أ لا تری أنک تقول: غرد الدیک وقت طلوع الفجر، و تقول: طلع الفجر وقت تغرید الدّیک، فیصیر کلّ واحد من طلوع الفجر و تغرید الدّیک وقتا للآخر و مبینا به للمخاطب حدوثه و هذا علی حسب معرفته بأحدهما و جهله بالآخر، لأنّ ذلک فی التوقیت لا بدّ منه. و قال المحصّل من النّحویین الزمان ظرف الأفعال و إنما قیل ذلک لأن شیئا من أفعالنا لا یقع إلا فی مکان و إلا فی زمان و هما المیقات.

قال الخلیل: الوقت مقدار من الزّمان و کلّ شی ء قدرت له حینا فهو موقت، و کذلک ما قدرت له غایه فهو موقت، قال تعالی: إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* [سوره الحجر، الآیه: ۳۸] و المیقات مصیر الوقت قال تعالی: فَتَمَّ مِیقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِینَ لَیْلَهً [سوره الأعراف، الآیه: ۱۴۲] و الآخره میقات الخلق و مواضع الإحرام مواقیت الحج و فی التّنزیل: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۹] و الإهلال میقات الشّهر و فی القرآن: وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ [سوره المرسلات، الآیه: ۱۱- ۱۲] و إنما هی وقّتت و یقال: وقت موقوت و موقت. و الزّمان قد یعلم باسمه. و قد یبین بصفاته، فالأول کالسّبت و الأحد و رمضان و شوّال، و الثّانی کقولک الخمیس الأدنی، و الجمعه الآتیه، و قد یبین بقرینه تضاف إلیه کقولک: عام الفیل، و وقت ولایه فلان. و قد یقصد المتکلم بیان قدر الوقت أو صورته أو اتصاله أو انقطاعه بما یکون نکره کقولک فعلته لیلا و ثابرت علیه حولا، و أقمت عنده شهرا.

و فی الاتصال و الانقطاع یقولون: فعلته لیلا و نهارا أو غدوا و عشیا و زرته ذات مره و بعیدات بین. فأما قول من قال: هو الفلک بعینه فقد أخطأ، لأنّ الأفلاک کبیره فی الحال و لیست الأزمنه کبیره فی الحال، لأنّ الزّمان ماض و مستقبل و حاضر، و الفلک لیس کذلک،

و هـذا ظـاهر، و ذلـک قول من قـال: حرکـات الفلـک هی الزّمـان لأـن أجزاء الزّمـان إذا توهّمت کـانت زمانـا، و أجزاء الحرکه المستدیره إذا توهّمت لم تکن حرکه مستدیره، و لأنّ الحرکه فی المتحرّک و فی المکان الذی یتحرّک إلیه المتحرّک، و الزّمان لیس هو فی المتحرّک و لا فی المکان الذی یتحرک إلیه المتحرّک، بل هو فی کل مکان ثم قد یکون حرکه أسـرع من حرکه، أ لاـ تری أنّ حرکه الفلـک الأـعلی أسـرع من حرکه زحل و البطء و السّرعه لا یکونان فی الزّمان لأنّ الحرکه السّریعه هی التی تکون فی زمان یسیر و البطیئه هی التی تکون فی زمان کثیر.

و حکی حنین بن اسحاق عن الاسکندر أنه قال فی حد الزمان: إنه مده بعدها حرکه الفلک بالمتقدّم و المتأخر. قال و العدد علی ضربین: عـدد یعـدّ غیره و هو ما فی النفس، و عـدد یعـدّ بغیره، و الزّمان مما یعـد بغیره و هو الحرکه لأنّه علی حسـبها و هیئتها و کثرتهـا و ثباتهـا، و إنمـا صار عـددا من أجل الأول و الآخر الموجودین فی الحرکه، و العـدد فیه أوّل و آخر فإذا توهّمنا الحرکه توهّمنـا الزّمـان، و إذا توهّمنـا الزّمان توهّمنا الحرکه، و إنّما صار عـدد حرکه الفلک دون غیرها لأنه لا حرکه أسـرع منها، و إنما یعد الشـی ء و یذرع و یکال بما هو أصغر منه. قال: و الزّمان عدد و إن کان واحدا لأنه بالتّوهم کثیر فیکون أزمنه بالقوه و الوهم لا بالوجود و العمل.

و هـذا یقارب ما حکاه أبو القاسم عن أبی الهذیل فی حدّ الزمان، لأن قوله: مدی ما بین الأفعال، و إن اللّیل و النّهار هما الأوقات إذا حصـل یرجع إلی معنی قوله مـده بعـدها حرکه الفلـک بالمتقـدّم و المتأخّر، و إن کان لفظ أبی الهـذیل أجزل و أغرب، أ لا تری أنّ الاسـکندر قال: و البرهان علی أن الزّمان لیس بذی کون و لا ابتداء و لا انتهاء و الفرقه التی زعمت أن الزّمان شـی ء غیر اللّیـل و النّهـار، و غیر دوران الفلـک، و لیس بجسم و لا عرض إلی آخر الفصل، فإنّا سـنتکلم به علی الملاحـده و الخارجین من التّوحید إلی وراء التشبیه إن شاء اللّه تعالی.

اعلم أن العبـاره عن الوقت قـد حصـلت من القـدیم تعـالی و لا فلک یـدور و لا شـمس فی البروج تسـیر، و عبر أیضا عن أوقات القیامه فمره قال تعالی: فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ [سوره المعارج، الآیه: ۴] و مرّه قال تعالی: فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآیه: ۵] و قال تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ* [سوره الحدیـد، الآیه: ۴] و قـال تعـالی فی صـفه أهـل الجنّه: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیها بُکْرَهً وَ عَشِیًّا [سوره مریم، الآیه: ۶۲] و لاـ بکره ثم و لا عشـیه، فجمیع ذلک أجری لأوقـات مؤقته لمعـانی قـدّرها اللّه تعـالی علی أحوال رتّبهـا و مراتب صورهـا فمنها ما هو أطول، و منها ما هو أقصـر، علی حسب آماد الأمور المقدوره فیها، فمثّل کلّا بما تقرّر به النفوس غایته و أمده و مقداره و موقعه ممّا

كنّا نعرفه و نـألفه و نشاهـده و نتصـرّف فيه، و إذا كان الأمر على ما ذكرنا و حصل من الحكيم التّوقيت على ما بيّنا ظهر كثير من عاداتهم فيه و أنهم تخيّروا ما كان فى الاستعمال أبين و فى العرف أمتن، و على المراد أدل، و فى التّمثيل أنبّه و أجل.

و اعلم أنّ الحادث متى حصل فقد حصل فى وقت، و المراد أنه يصحّ أن يقال فيه: إنه سابق لما تأخر عنه، و إنّ وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدّمه و إنّ وقته بعد وقته أو مصاحب لما حدث معه، و إنّ وقته هذا هو المراد فقط، و لسـنا نريد أنه حدث معه شى ء سمّى زمانا له، أو سـبقه أو احتاج فى الوجود إليه، فلو تصورنا أوّل الحوادث و قد اخترعه اللّه مقدّما على المحدثات كلّها لصـلح أن يقال فيه: إنه سابق لها و إنه أول لها، و هـذا توقيت، و لو تصوّرنا أنه بقى مفردا بعـد حـدوثه لم يتبع بغيره لكان يصـح تقـدير هذا القول فيه و توهّمه، إذ كان اللّه تعالى قادرا على الإتيان بأمثاله و أغياره معه و قبله و بعده.

و هذا معنى قول النّحوى: الفعل ينقسم بانقسام الزّمان ماض و مسـتقبل و حاضـر، و إذا كان الأمر على هذا فقد سقط مئونه القول فى أنّ الوقت حـادث لا ـ فى وقت، و أنه لو احتاج الوقت إلى وقت لأدّى إلى إثبات حوادث لا نهايه لها. و أما من قال: إنّ الزّمان تقدير الحوادث بعضـها ببعض و تمثيله بأن القائل يقول: غرد الديک وقت طلوع الفجر، و طلع الفجر وقت تغريد الديک فإنّ كل واحـد من التّغريـد صـار وقتا للآخر، فإنّه جاء إلى فعلين وقعا فى وقت واحـد، فعرف الوقت مره بالإضافه إلى هـذا، و جعل ذلک الآـخر موقتـا به، و مره بالإضـافه إلى ذلک، و جعل هـذا مؤقتا به، و لم يتعرّض للزّمان و كشف حـده و ضـبطه و هـذا كما يقال: حججت عام حج زيد و حج زيد عام حججت.

و من الظاهر أن العام غير الحجين و أنهما إنما وقعا فيه، و هذا بيّن على أن ما أتى به و اشتغل بتمثيله هو من قبيل ما يكون زمانا و هو مـا يصـلح أن يكون واقعـا فى جواب متى و لم يسـتوفه أيضـا، و ترک ما يخرج فى جواب كم رأسا، و ذلک كقولهم: يصوم زيد النّهار و يقوم اللّيل، و ما فعلته قط، و لا أفعله أبدا، و أقمت بالبلد شهرا و هجرت زيدا يوما إلى كثير مما ستراه فى أبواب هذا الكتاب و فصوله.

و اعلم أنّ الزمان و إن كان حقيقه ما ذكرنا، فإنّ الأمم على اختلافها أولعوا فى التّوقيت بذى اللّيالى و الأيام، و الشّهور و الأعوام، لما يتعلّق به من وجوه المعاملات و الآجال المضـروبه فى التجارات، و من تقرير العـدات، و إدراک الزّراعات، و آماد العمارات، و من فعل أهل الوبر فى المحاضر و المزالف و المناجع و المجامع، و إقامه الأسواق، و توجيه المعاش، و من اشتغال أرباب النّحل بمـا افترض عليه عنـدهم من تقرّب و عبـاده، و دعوا إلى الأخـذ به فى دينهم من فرض و نـافله، و أمروا بالتوجه إليه من سـمت و قبله، و لما أجرى اللّه

تعالی العاده به فیه من حـدوث حر و برد، و جزر و مـد، و تبدّل خصب و جدب، و رخاء عیش و بؤس، و من ظهور نبات و أوان لقـاح، أو ولاد و صـبوب أمطار و هبوب أرواح لـذلک قال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «تعلّموا من النّجوم ما تعرفون به ساعات اللّیل و النّهار، و هدایه الطّرق و السّـبل» فقدّر أکثر الناس أنّ الزّمان لا یکون غیرها و لا یعدوها إلی ما سواها، و لهذا الّذی تبینته، أو أشرت إلیه ذکر أبو الهذیل بعد تحدید الزّمان اللّیل و النّهار هما الأوقات لا غیر.

و اعلم أنّ الـذین زعموا أن الزّمـان شـی ء غیر اللّیل و النّهار، و غیر دوران الفلک و لیس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا یجوز أن یخلق اللّه شـیئا إلّـا فی وقت و لاـ یفنی الوقت، فیقع أفعال لا فی أوقات لأنه لو فنی الوقت لم یصـح تقـدّم بعضـها علی بعض و لا تأخّر بعضها عن بعض، و لم یتبیّن ذلک فیها، و هذا محال قولهم داخل فی أقوال الذین یقولون: إن الزّمان و المکان المطلقین، و یعرب عنهمـا عنـد التّحقیق بالـدّهر و الخلاـء جوهران قائمـان بأنفسـهما، و الکلاـم علیهم یجی ء بعـد تنویع فرقهم و بیـان طرقهم فنقول: بالله الحول و القوه من زعم أنّ الأزلی أکثر من واحد أربع فرق:

الأولی: الذین یقولون هما اثنان الفاعل و الماده فقط و یعنی بالماده الهیولی.

الثانیه: الذین یدّعون أنّ الأزلی ثلاثه الفاعل و المادّه و الخلاء.

الثّالثه: الذین یدّعون أنه الفاعل و الماده و الخلاء و المدّه.

الرّابعه: الفرقه التی زعیمهم محمد بن زکریا، المتطبب لأنه زاد علیهم النّفس الناطقه، فبلغ عدد الأزلی خمسه بهذیانه.

و شـرح مـذهبهم أنه لم یزل خمسه أشـیاء، اثنان منها حیّان فاعلان و هما: الباری و النفس، و واحد منفعل غیر حی و هو الهیولی الـذی منه کوّنت جمیع الأجسام الموجوده، و اثنان لا حیّان و لا فاعلان و لا منفعلان و هما الخلاء و الماده، إلی خرافات لا تطیق الیـد بیانها بالخط، و لا اللّسان تحصـیلها باللّفظ، و لا القلب تمثیلها بالوهم، فمما یزعمه أن الباری تام الحکمه لا یلحقه سـهو و لا غفله، و تفیض منه الحیـاه کفیض النّور عن قرصه الشّـمس، و هو العقل التام المحض، و النفس تفیض منه الحیاه کفیض النور، و هی مترجّحه بین الجهل و العقل کالرّجل یسـهو تاره، و یصـحو أخری، و ذلک لأنها إذا نظرت نحو الباری الذی هو عقل محض غفلت و أفقت، و إذا نظرت نحو الهیولی التی هی جهـل محض غفلت و سـهت، و أقول متعجبا لو لا الکری لم یحلم و هـذا کما قـال غیری، أ لیس من العجـائب هـذیانه فی القـدماء الخمسه، و ما یعتقـده من وجود العالم لحـدوث العلّه و ما یـدّعیه من وجود الجوهرین الأزلیین أعنی الخلاء و المدّه لا فعل لهما و لا انفعال، فلولا خذلان اللّه إیاه، و إلا

فما ذا يعمل بجوهر لا فاعل و لا منفعل؟! و لم يضع الأرواح المقدّسه قباله الأرواح الفاسده، و لم يحدث العله من غير نقص و لا آفه و لم يذكر شيئا ليس فيه جدوى و لا ثمره و هذا الفصل إذا أعطى مستحقّه من التّأمل ظهر منه ما يسقط به سخيف كلامهم، و إن لم يكن مورده مورد الحجاج عليهم.

أ لا ترى أنّ من لم يثبت القديم تعالى فيما لم يزل واحدا لا ثانى له، و عالما بالأشياء قبل كونها و بعده، و قادرا على كل ما يصح أن يكون مقدورا، وحيا لا آفه به، و غنيا لا حاجه به إلى غيره فى شى ء من إرادته، و حكيما لا يبدو له فى كل ما يأتيه و يفعله، فنتقل إلى ما هو أعلى منه، بل لا يفعل إلا ما هو حسن و واجب فى الحكمه و الصّواب، فقد جعله قاصرا ناقصا، تعالى اللّه و جلّ عن صفات المخلوقين، و هذا كما أنّ من الواجب أن يعلم أنّ القديم لو لم يبدع العالم أصلا لاستحال أن يتوقّف على وجوده، أو يتوصل إلى إثباته، لأن ذاته لم تكن ظاهره للعيان، و لا مستدركا بالحواس، و أنّ الشى ء قد يصح إثباته من طريق أفعاله كما يصح إثباته من جهه ذاته، و الأسباب و إن كانت متقدمه لمسبباتها بالوجود فلا يمتنع أن يكون فى العقول أسبق إلى الوضوح.

و إذا كان كذلك فالعالم بثبات هذا العالم المحسوس موصول إليه من طريق الإدراك و المشاهده، و العلم بصانعه من طريق النّظر و المباحثه، و قد تكلّم الناس فى المعرفه بالله تعالى و اختلفوا فزعم قوم أن المعرفه لا تجب على القادر العاقل و أنها تحدث بإلهام اللّه، فكل من لم يلهمه اللّه المعرفه فلا حجه عليه، و لا يجب عليه عقاب، لأن عذر من ترك الشى ء لأنه لم يعلم كعذر من ترك الشى ء لأنه لا يقدر عليه، و الذى يدل على أن المعرفه لا تكون ضروره لأنا يمكننا التشكك فيه. أ لا ترى أنه كلما اعتقدنا الشى ء بدليل فاعترضت شبهه فى أصل الدّليل يخرج من العلم بذلك الشى ء حتى تثبت حجّه بمحل تلك الشّبهه، و لو كانت بالضّروره لم يكن التّشكك، و كان العقلاء كلّهم شرعا واحدا فى العلم، كما صاروا شرعا واحدا فى أخبار البلدان المتواتره عليهم، فبان بذلك أنها ليست بضروره، و أكثر الناس على أنها واجبه و هى من فعل الإنسان، و إنما يقع أوّلها متولّدا عن النّظر.

قال البغداديون مستدلين: لا يخلو من أن يكون قد كلّفنا اللّه معرفته أو لا يكون كلّفنا و تركنا مهملين، و تركنا سدى، و إهمالنا لا يجوز عليه و يقال لهم فى ذلك: إنّ الإهمال هو تضييع ما يلزم حفظه، و ترك مراعاه ما يجب مراعاته، أ لا ترون أنّ من لم يحفظ مال غيره لا يقال أهمله، لما كان لا يلزمه حفظه فثبتوا أولا أن المعرفه بالله واجبه، ثم ادّعوا الإهمال إذا لم يكلفناها. و قالوا أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن يعرف المنعم لشكره.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن نعلم القديم تعالى من طريق الخبر؟ قلت: لا، لأنّ الخبر على قسمين: فمنه ما يضطر السّامع إلى العلم بالمخبر به كالخبر عن البلدان و الأمصار، و قد علمنا أنه لا يجوز أن نعلم اللّه من هذه الجهه، لأنا وجدنا العقلاء يشكون من أنّ لهم صانعا مع إخبار المخبرين به، و لو كان يعلم من طريق الخبر لكان لا فرق بين خبر من زعم أنّ الصّانع واحد و بين من قال اثنان أو ثلاثه، على أنّ الخبر إنّما يضطر إذا كان المخبر يخبر عن مشاهده، لأنه لا يجوز أن يكون حال المخبر يعلم ضروره و من الخبر ما يعلم من طريق الاستدلال، كخبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لا يجوز أن يعلم اللّه من هذه الجهه، لأنّ القائل بهذا القول أحد رجلين، إمّا أن يقول لا يعلم اللّه إلا من جهه الخبر، فيلزمه أن يكون النبى لا يعرف اللّه إلّا بنبى آخر و ذلك يوجب التّسلسل إلى ما لا نهايه، و إمّا أن يقول: إنه يعلم من جهه النبى و من جهه أخرى أيضا، و هذا فاسد لأنه ليس فى النبىّ أكثر من إظهار المعجزات و المعجزات لا تدل على حكمه فاعلها، فكيف يكون خبر النبى طريقا إلى العلم بالله و إذ قد ذكرنا وجوب معرفه اللّه تعالى و الطريق إليه هاهنا، و ممّا تقدّم فإنّنا ننكر الكلام على الملحده و المتحيرين.

فصل [فى بيان أنواع الضّلال]

اعلم أنّ أنواع الضّلال ثلاثه: المعانده و الحيره و الجهاله.

فالمعانده على الإطلاق ينبغى أن لا يحصل لأحد منّا علم حقيقى و لا معرفه تفضى إلى يقين، و إنما هى ظنون و خواطر لا تسكن النّفس إليها، و تسميتنا لها و لأمثالها بالعلوم توسع و مجاز. و الوجه فى مدافعتهم أن يقال لهم: أ تقولون ما ذكرتم عن خلوص علم، أو تسلط ظن؟ فإن ادّعوا العلم فقد ناقضوا، و إلّا حصلوا على عناد، و قد ذكر أبو عثمان الجاحظ فى الكفار الذين قتلهم النبى صلى اللّه عليه و سلم أنّهم كانوا عارفين بالله معاندين.

و اعترض عليه فقيل: إنّ العناد يجوز على العدد اليسير، فأمّا الجماعه الكثيره فلا يصح عليها ذلك، و نحن نعلم من أنفسنا و قد كنا على مذاهب فتركناها لفسادها أنّا لم نكن فى حال اعتقادنا معاندين و لا كاذبين لأنفسنا، و إنّما تركنا الاستدلال، فكذلك أولئك الكفار قد علموا فيما أظهره النبى صلى اللّه عليه و سلم أنها معجزات، لكنهم تركوا الاستدلال بها على ثبوته و صدقه.

و المتحيرون هم الذين يزعمون أنّ العلم بالمحسوسات قد يصح، و لكن ما عداها مما يحال فيه على العقل نحن شاكون فيه و متوقفون، و الكلام عليهم طريقه أن تقلب عليهم نفس ما أوردوه فيقال: تدفعون مقتضيات العقول بالمشاهدات أو بحجج العقول و لا فلاح لهم أى الطّريقين سلكوا.

و الجاهلون الملاحده و الخارجون من نور التّوحيد و الاستقامه إلى ظلمه الشّرك فرق، و الضّلاله فى عددهم فى ازدياد و وفور، و إفسادهم وجوه و فنون و قد فسّرت فقيل: ربما كانت من الحضانه و التربيه و قله الخواطر و غباوه الخليط و جهد المجاوره، و ربّما كان من تعظيم الأسلاف، أو من وجه الآلاف، أو من غباوه الدّاعيه و نسل صاحب المقاله، و كونه صاحب سن و سمت و إخبات و طول صمت، و للّه تعالى الحجّه البالغه عليهم، و على طوائف المبتدعه من أهل الضّلاه على اختلاف أهوائهم، و سيعلم الجافى على نفسه كيف ينقلب و قد فاته الأمر. ذكر بعضهم حاكيا عن قوم من الأوائل، أنّ الدّهر و الخلاء قائمان فى فطر العقول بلا استدلال، و ذاك أنه ليس من عاقل إلا و هو يجد و يتصور فى عقله وجود شى ء للأجسام بمنزله الوعاء و القراب، و وجود شى ء يعلم التقدم و التأخّر، و أنّ وقتنا ليس هو وقتنا الذى مضى، و لا الذى يكون من بعد بل هو شى ء بينهما، و أن هذا الشى ء هو ذو بعد و امتداد.

و قال: قد توهم قوم أنّ الخلاء هو المكان، و أنّ الدّهر هو الزّمان، و ليس الأمر كذلك بإطلاق، بل الخلاء هو البعد الذى خلا منه الجسم، و يمكن أن يكون فيه الجسم، و أمّا المكان فالسّطح المشترك بين الحاوى و المحوى، و أما الزّمان فهو ما قدرته الحركه من الزّمان الذى هو المده غير المقدره، فصرفوا معنى الزّمان و المكان المضافين إلى المطلقين، و ظنوا أنهما هما و البون بينهما بعيد جدا، لأنّ المكان المضاف هو مكان هذا المتمكّن و إن لم يكن متمكنا لم يكن مكانا، و الزّمان المقدّر بالحركه يبطل أيضا ببطلان المتحرك و يوجد بوجوده، إذ هو مقدر حركته، فأمّا المكان بإطلاق فهو المكان الذى يكون فيه الجسم و إن لم يكن، و الزّمان المطلق هو المده قدّرت أو لم تقدّر، و ليس الحركه فاعله المده بل مقدرته، و لا المتمكّن فاعل المكان بل الحال فيه، قال: فقد بان أنهما ليسا عرضين بل جوهرين لأنّ الخلاء ليس قائما بالجسم لأنه لو كان قائما به لبطل ببطلانه، كما يبطل التّربيع ببطلان المربّع.

فإن قال قائل: إنّ المكان يبطل ببطلان المتمكن قيل له: أما المضاف فإنّه كذلك لأنّه إنما كان مكان هذا المتمكّن، فأمّا المطلق فلا، أ لا ترى أنا لو توهّمنا الفلك معدوما لم يمكنا أن نتوهم المكان الذى هو فيه معدوما بعدمه، و كذلك لو أنّ مقدرا قدّر مده سبت كان، و لم يقدر مده يوم آخر، لم يكن فى ترك التقدير بطلان مده ذلك اليوم الذى لم يقدر، بل التّقدير نفسه، فكذلك ليس فى بطلان الفلك أو فى سكونه ما يبطل الزّمان الحقيقى الذى هو المده و الدّهر، فقد ينبغى أنهما جوهران لا عرضان، إذ كانا ليسا بمحتاجين إلى مكان و لا إلى حامل فليسا إذا بجسم و لا عرض، فبقى أن يكونا جوهرين.

و زاد على هذا الوجه الذى حكيناه بعضهم فقال: طبيعه الزّمان من تأكيد الوجود فى

ذاتها و قوّه الثّبات فى جوهرها، بحيث لا يجوز عدمها رأسا و لم تكن قط معدومه أصلا، فلا بدء لها، و لا انتهاء، بل هى قاره أزليه.

أ لا ترى أنّ المتوهّم لعدم الزّمان لم يخلص له وهمه إلا إذا ثبت مده لا زمان منها، و المده هى الزّمان نفسه، فكيف يوهم عدم ما تأكّد لزوم جوهره؟ و يفنى العقل الصّحيح تصور عدمه و تلاشيه؟ أو كيف يسوغ إلحاق عدمه بالممكنات؟! و وجوده من الواجبات الأزليات؟ فهذا ما حكى عن الأوائل. و ابن زكريا المتطبّب يحوم فى هذيانه عند حجاجه حول ما ذكرناه عنهم و لم يبين بيانهم و لا بلغ غايتهم، فلذلك جعل تابعا لهم و إذ قد أتينا على مآلهم بأتم استقصاد، فإنّا نشتغل بالكلام عليهم، و إن كان فيما قدّمناه قد صورنا خطأهم تصويرا يغنى عن مقايستهم و محاجّتهم.

ذكر بعض المنطقيين أنّ الزمان فى الحقيقه معدوم الذّات، و احتج بأنّ الوجود للشى ء إمّا أن يكون بعامه أجزائه كالخط و السّطح أو بجزء من أجزائه كالعدد و القول، و ليس يخفى علينا أنّ الزّمان ليس يوجد بعامه أجزائه إذ الماضى منه قد تلاشى و اضمحلّ، و الغابر منه لم يتمّ حصوله بعد و ليس يصح أيضا أن يكون وجوده بجزء من أجزائه إذ الآن فى الحقيقه هو حدّ الزّمانين و ليس بجزء من الزّمان، و كيف يجوز أن يعد جزءا و لسنا نشك أنّ حقيقه الجزء هو أن يكون مقدارا له نسبه إلى كلّه، كأن يكون جزءا من مائه جزء، أو أقل أو أكثر، فأما أن يتوهّم جزء على الإطلاق غير مناسب لكلّه فممتنع محال و ليس الآن فى ذاته بذى قدر مناسب لما يفوض من الزّمان الآتى و الماضى، و لو وجد له قدر ما لصلح أن يجعل قدره عيارا يمسح به الكلّ حسب جواز ذلك على كافه ما يعد جزءا من الشّى ء و إذا لم يكن الآن فى جوهره ذا مقدار أصلا، و الجزء من الشى ء لا يجوز أن يعرى من المقدار، فليس الآن بجزء من الزّمان، و إذا كان الأمر على ذلك فالزّمان إذا ليس يصح وجوده لا بعامه أجزائه و لا ببعض أجزائه، و إن شيئا يكون طباعه بحيث لا يوجد بأجزائه كلّها و لا ببعض منها فمن المحال أن يلحق بجمله الموجودات، و إذا كان ذات الزّمان غير موجود أصلا فليس بجائز أن نعده فى الكميات، فإنّ ما لا وجود له لا آنيه له، و الذى لا آنيه له لا يوصف بوقوعه تحت شى ء من المقولات.

و قولهم فى الزّمان هو المده التى تفهم قبل و بعد أجلها، فإن كان المراد أنّ قول القائل: قبل و بعد يفيد أنّ تقدّم المذكور و تأخره من غير أن ثبت بهما جوهران ليسا بجسم، و لا يفنيان و لا يجوز أن يخلق اللّه شيئا من دونهما فهو صحيح، و يكون سبيلهما سبيل لفظ مع إفادتهما معنى الصّحبه إذا قلت زيد مع عمرو، و كما تقول للأعيان أحوال ثم لا تصفها بأكثر من تميز بعضها عن بعض بها، و إن أريد بقبل و بعد غير ذلك فقد تقدّم القول فى بطلانه

و بطلان ما قالوه فى الخلاء و المكان، على أنا نقول معيدين عليهم إن أردتم أنّ المكان يكون المتمكّن و إن لم يوجد الجسم لم يوجد المكان لأنه قائم بالجسم، و ليس بشى ء ذى وجود فى نفسه فهو صحيح، و إن أردتم للمكان جوهرا يبقى إذا ارتفع المتمكن، و أنّ الذى بطل بارتفاعه هو النّسبه إليه و الإضافه، و يبقى المكان المطلق مكانا كما كان و هو الخلاء الفارغ و ليس فيه جسم فهذا إحاله على شى ء لا الإدراک يثبته و لا الوهم يتصوّره. فإن قالوا: المكان حينئذ يكون مكان ما يمكن أن يكون فيه كالزّق الخالى من الشّراب، فإنّه مكان الشّراب الذى يمكن أن يكون فيه.

قلنا: صور فى وهمنا من الخلاء مثل ما نتصوّره إذا توهّمنا الزّق و الشّراب و ذلک مما لا يقدرون عليه، لأنّ كلامهم فارغ لا يفضى إلى معنى محصل، و أيضا فإنّ الأجسام لا يخلو من أن تكون ثقيله فترسب، أو خفيفه فتطفو، و الخلاء عندهم ليس بثقيل و لا خفيف، فيلزمهم أن يكون النقطه هى الخلاء لأنّها ليست بثقيله و لا خفيفه، و يلزمهم على قولهم بأن المتحرک لا يتحرک إلا فى الخلاء أن يتحرک أبدا و لا يستقر إذا لم يوجد شى ء يضاده أو يسكن دائما فلا يتحرّک إذ لا سبب هناک يوجب تحركه، أو إذا تحرّک فى الخلاء أن يتحرک إلى جميع الجهات و لا يختص بجهه دون جهه لأنّ الخلاء كذلک. فإن قالوا: إن الذى تسميه خلاء هو الهواء، أسقط قولهم بأن الهواء يقبل اللّون و يؤدى الصّوت و الخلاء ليس كذلک و هذا بيّن.

و أعجب من هذا أن البارى مخترع لجميع ما خلقه و أنه لا يعجزه مطلوب و لا ينكاده معلوم، ثم أقاموا معه فى الأزل الهيولى و هو الماده، و رتّبوا معه الصوره ليكون جميع ذلک كالنّجار و الخشب و النّجاره و اللّه تعالى يقول: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [سوره فصلت، الآيه: ۹] إلى قوله: ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۲] و لم يقل ذلک إلا و أهل العلم إذا فكّروا فيه أدركوا منه الآيه البيّنه و الحجّه الواضحه، و بيّنوا أنه ليس فى العالم شى ء إلا و هو منتقص غير كامل، و ذلک هو الدّليل على أنه مقهور لا يستغنى به، و لا بدّ له من قاهر لا يشبهه و لا يوصف بصفاته على حدّها، لأن ذلک آيه الخلق و آيه الخلق لا تكون فى الخالق.

فصل آخر يزداد النّاظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له

اعلم أنّ الاستدلال بالشّاهد على الغائب هو الأصل فى المعرفه بالتّوحيد و حدوث الأجسام لا يعرف ببداهه العقل و لا بالمشاهده لأنّه لو عرف ذلک لاستوى العقلاء فى معرفته كما استووا فيما شاهدوه، و إنما يتهيأ أن يعرف بما علم من تعاقب الأعراض المتضادّه عليها، و إنّما لا تنفک منها على حدوثها إلا بمشاهده الأجسام و إذا ثبت حدوث الأجسام فلا

بدّ لها من محدث لا يشبهها، و إذا ثبت ذلک صح أنّ الفاعل للأجسام لا تحلّه الحوادث و أنه سابق لها غير مشبه لها و الحوادث غير مشبهه له.

ثم دلّ خلقه للأجسام أنه قادر حیّ كما دلّت أفعال الأجسام فی الشّاهد أنّها حیّه قادره عالمه و أنّها لو لم تكن كذلک لم تكن فاعله فلما لم يدلّنا على أن الأجسام حيه قادره إلا أفعالها، إذ كانت حياتها و قدرتها لا تشاهد، دلّتنا أفعال اللّه تعالى أيضا على أنه حی قادر، و وجب أن يكون عالما لوجود أفعال محكمه، إذ كانت أفعال الأجسام فی الشّاهد إذ كانت محكمه دلّت على أنّها عالمه و لا يدل على علمها غير أفعالها، إذ كان العلم لا يدرک و لا يشاهد.

و لما دلنا جواز الموت على الأجسام نفی الشّاهد و العجز و الجهل دلّنا ذلک على أنهم إنما كانوا أحياء قادرين بحياه و قدره، و عالمين بعلم، و هذه الأشياء هی غيرهم فلهذا جاز زوالها عنهم و حدوث أضدادها بدلا منها فيهم. و لما كان القديم تعالى لا يجوز شی ء من ذلک عليه وجب بدلاله الشّاهد أنه حیّ بنفسه عالم و لما كان الجسم فی الشّاهد بالتأليف يصير جسما، و نعلمه جسما لم يجز أن يكون جسما فصحّ بهذا أن التّوحيد لا يعرف إلا بدلاله الشّاهد، و كذلک طريق صدق الرّسل لأنه لا يعرف بالمشاهده و لا ببداهه العقل، و لو عرف بذلک لاستوى النّاس جميعا فيه، و إذا كان كذلک فإنّما يعرف بالآيات المعجزات، و لا يعرف ذلک إلا باعتبار أمر الشّاهد و حمل الغائب عليه فاعلمه.

و استدلّ أبو القاسم البلخی على أنّ القديم واحد بأن قال: قد ثبت أنّ المحدثات لا بدّ لها من محدث، فمن هذا الطّريق قد بان أنّ هاهنا صانعا لا بدّ منه و لا أقل من واحد فلذلک نعلمه يقينا و أنّه واحد، و أمّا ما عداه مشكوک فيه فلا يتخطاه إلّا بدليل و هذا قريب صحيح.

انتهى الباب و اللّه محمود على ما سهّله و وفقنا له من تحقيق ما أردنا تحقيقه من شرح فضائحهم و إثاره مقابحهم، و الرّد عليهم فی أصول دعاويهم و فروعها و مسئول إيزاعنا شكر نعمته وصله سعينا بمرضاته.

الباب الثالث و يشتمل على بيان اللّيل و النّهار

اشاره

على فصول من الأعراب يتعلّق بهما و هى ظروف

الفصل الأوّل [فى بيان معنى الليل و النهار]

قـال الأصـمعى أتيته ليلاـ و قعلته نهـارا. قـال تعالى: وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ [سوره الصافات، الآيه: ۱۳۷] فقوله: باللّيل خلاف الإصباح. و اعلم أنّ قوله:

وَ بِاللَّيْلِ موضـعه نصب على الحـال كـأنه قـال: تمرّون عليهم مصـبحين و مظلمين أى داخلين فى الظّلاـم، فأوقع اللّيل على الجزء الـذى فيه الظّلاـم من اللّيـل، و إن كـان فى الحقيقه للجنس. و اليوم بـإزاء اللّيله يقـال: جئتـك اليوم و أجيئک اللّيله و يقال: أتيته ظلاما أى ليلا و مع الظّلام. و قال يعقوب: الظّلام أول اللّيل و إن كان مقمرا. و حكى بعضـهم أتيته ظلاما أى عند غيبوبه الشّمس إلى صـلاه المغرب و هو دخول اللّيـل، و هـذا يؤيـد ما حكاه يعقوب و كأنه جعله الوقت الـذى من شأنه أن يظلم، و يقولون: عم ظلامـا، كمـا يقولون: عم صباحا و يقـال: نهـار أنهر و ليـل أليل و ليله ليلاء و قال الفرزدق: و اللّيل مختلط الغياطل أليل. و أنشـد المفضل:

مروان مروان أخو اليوم اليمى

قال سيبويه: أراد اليوم فقلب و قدّم الميم و قيل: بل حذف العين تخفيفا و أطلق الميم إطلاقا.

و قال شـيخنا أبو على الفارسى: وقت قراءتى عليه هذا الموضع من الكتاب و فى حاشيه نسختى: أخى اليوم اليوم، فاستغربه و قال: يريـد أنه بطل يبارز أقرانه و يقول لهم: اليوم اليوم أو هو صاحب هـذا اللّفظ فى ذلک الوقت و فى هذا الوجه قلب أيضا و قولهم: يوم فى أبنيه الأسماء غريب نادر، لأن فاءه ياء و عينه واو و مثله فى المبانى يوح اسم للشّمس و باب اليون بالشام.

و قد ذكره ابن الرّقيات فى قصيده يمدح بها عبد العزيز بن مروان أعنى ابن ليلى عبد

العزيز. بباب اليون تغدو جفانه ردما. و قال هميان بن قحافه: فصدقت تحسب ليلا لأيلا.

فقال لأيل و إنما يصفون بما يشتق من لفظ الموصوف بيانا للمبالغه و تنبها عليها على ذلك قولهم ظلّ ظليل، و داهيه دهياء و ما أشبهها. و يقال استأجرته مياومه و ملايله إذا قدر أجرته يوما يوما و ليله ليله.

و حكى أبو عبيده أنّ العرب لا تقول إلا مشاهره، فأما معاويه و مياومه و ما أشبههما فليست من كلام العرب، و إنما هى قياس على المسموع منهم، و يقال: يوم و أيام، و الأصل أيوام لكن الواو و الياء إذا اجتمعا فأيّهما سبق الآخر بالسّكون يقلب الواو ياء و يدغم الأوّل فى الثانى، إلا أن يمنع مانع على ذلك قولهم سيّد و ميّت لأنّهما فيعل من ساد و مات، و الأصل سيود و ميوت هذا فيما السّابق فيه ياء و مما السّابق فيه واو قالوا كويته كيا، و لويته ليا لأن الأصل كوى و لوى و كذلك قولهم أمنيه و ازبيه و قولى إلا أن يمنع مانع احتراز من مثل قولهم: ديوان لأن أصله دووان، ففرّوا من التّضعيف و أبدلوا من إحدى الواوين ياء. فلو طلبوا الإدغام للواو لعادوا من التضعيف مثل ما فروا منه، و مثله سوير و بويع و مثله لوى و رويه إذا خفف همزتاهما، لأنّ الواو فى جميعها لا يلزم، فلم يعتدوا بها واوا.

أ لا ترى أنّها سوير، و بويع منقلبه عن الألف فى سائر و بائع. و فى رويه و نوى مبدلتان من همزه و تلك الهمزه ثابته فى النّيه، و إذا كان كذلك فحكم الواو فيها حكم الألف و الهمزه، فأما ضيون و حيوه فشاذتان عن الاستعمال و متبهتان على أصل بالباب المرفوض على عادتهم فى أمثالها و النّهار و اللّيل لا يجمعان إلا أن يذهب إلى بياض كلّ يوم، و سواد كلّ ليله، فتصورت بينها خلافا لأنّك حينئذ تجمع للاختلاف الدّاخل فى الجنس فيقال: أليال و أليل و أنهر و نهر و على هذا قول الشاعر شعرا:

لو لا الثريدان هلكنا بالضّمرثريد(۱) ليل و ثريد بالنّهر

و الذى يكشف لك أنّ اللّيل و النّهار لا يجمعان أنّ سيبويه قال: لا يجوز أن يقول القائل: إذا كان الليل فاتنى و لا أن يقول: إذا كان النّهار فاتنى لأنهما لا يكونان ظرفين إلا أن يعنى بهما كلّ اللّيل و النّهار. و إذا كانا كذلك فسبيلهما سبيل الدهر فكما لا تقول: إذا كان الدّهر فاتنى كذلك يمتنع فى اللّيل و النّهار و يقال: رجل ليلى و رجل نهارى إذا نسبت، و نهرى أيضا و هذا كما بنوا للنّسبه فاعل و فعال مثل تاجر و لابن و بزّاز و ثمّار و أنشده:

لست بليلى و لكنى نهرمتى أتى الصّبح فإنى منتشر

۱- أثرد الخبز: فتّته ثم بلّه بالمرق.

لا أدلج(۱) اللّيـل و لكن أبتكر و يقـال: ليله و ليـال فكأنها جمعت على ليلات و إن لم يسـتعمل و مثله أهال في جمع أهل و إنما هو في تقـدير أهلي، و على هـذا قـالوا في التّصـغير ليله و القياس في جمع ليله ليلاء ليال ليل و الأصل لول لأنه فعل مثل حمراء و حمر، لكنّهم حـاموا على اليـاء لئلاـ يلتبس بنـات اليـاء ببنـات الواو، و مثله قولهم بيض و عين في جمع بيضـاء و عيناء و ما أنشـده الكسائي من قول الكميت:

و لدنك و البدر ابن عائشه التي أضاء ابنها مستحلكات اللّيايل

فإنه أراد اللّيالي، فقلب، و قدم الياء فلما و ليت الألف همزت كما قيل: صحايف و مثله فيما قلبوه ترقوه و ترائق و الأصل تراقي.

و اعلم أنّهم يتوسّـعون في ذكرهم اليوم، و اللّيله أ لا تراهم يقولون: فلان اليوم يعـد من الرؤساء و كان في الدّهر الأول على كذا، و اليوم هو خلافه، و إنما يعنون الزّمان و كما قال تعالى: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآيه: ۵] يعني القيامه، و ليس ما أشار إليه من صوره ما نعدّه في شي ء و قال الشّاعر:

يومان يوم مقامات و أنديهو يوم سير إلى الأعداء تأويب

فقسم دهره يومين، و يقـال: الناس أغراض اللّيالي و يراد الأحـداث و مثله من الـذي يسـلم على الليالي و الأيام فأما قوله تعالى: وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً [سوره الأنفال، الآيه: ۱۶] فـاليوم يعم أجزاء اللّيـل و النّهـار، و الزّجر به حاصل في كل جزء من أجزاء الزّمان و على هذا قوله:

يا حبذا العرصات يوما في ليال مقمرات

يريـد وقتا و زمانا في ليال و كـذلك قوله تعالى: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ [سوره آل عمران، الآيه: ۱۴۰] أي نجعل الدّول في الأزمان فتحول و تنقل بين الناس على حسب اسـتحقاقهم أو سـببا لامتحانهم. و قد سمّت العرب وقعاتها أياما فيقولون لنا: يوم كذا و يوم كذا، و ساغ ذلك لوقوعها فيها.

فصل آخر [في بيان قوله اللّيله لليلتك التي أنت فيها، و البارحه لليله يومك الذي أنت فيه]

يقال: اللّيله لليلتك التي أنت فيها، و البارحه لليله يومك الذي أنت فيه، و قد مضت

۱- أدلج: سار اللّيل كلّه أو في آخره.

و هى من برحت أى انقضت، و منه ما برحت أفعل كذا، و أصله البراح، من المكان و قال الفراء: برحت بالفتح مضت و يقال: برح الخفاء أى زال و منه البارحه و قال قطرب: لا- يقال بارحه الأولى لأنّ الشى ء لا يضاف إلى نفسه، و لا إلى نعته و الجمع البوارح.

و ذكر بعض شيوخنا أنّ قوله: لا أبرح بمعنى لا أنال و لا يجوز أن يكون أصله من البراح من المكان بدلاله قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآيه: ۶۰] أ لا ترى أنّه محال أن يبلغ مجمع البحرين و هو لم يبرح من مكانه قال: و إذا لم يستعمل أبرح إلا على أحد هذين الوجهين و بطل أحدهما ثبت الآخر، و يمكن أن يقال فى جوابه معنى لا أبرح حتى أبلغ أى لا أتجاوز هذا الطريق و لا أعدل عن سلوكه و سمته حتى أبلغ هذا المكان، فخذف الطريق و هذا كما يقال: لم أبرح بلد كذا حتّى فعلت كذا و إن كان ينقل فى البلد لأنّ المعنى لم أتغيب و يشهد لهذا أنه لا يستعمل ما برح فى اللّه تعالى لأنّه لا يقال: لم يبرح اللّه قادرا فلو كان لم يبرح بمعنى لم يزل حتى لا فرق بينهما لما امتنع مما دخله، و إذ قد امتنع فلأنه لا يجى ء إلا و أصله البراح من المكان ذكر أو لم يذكر و ذلك لا يجوز على القديم تعالى.

و اعلم أنّ هذه الكلمه فى اللغه مدارها الأكثر على التّجاوز، من ذلك قال الأعشى:

أبرحت ربا و أبرحت جارا أى جاوزت ما عليه أمثالك فى الخلال المرضيه، و البارحه الأولى التى قبل البارحه، و جمع البارحه البوارح، و لم يتجاوزوا ذلك. و أمّا الفائده فما يستقبل بعد ليلتك التى أنت فيها و كأنها مأخوذه من الاستقبال و يقال: قبلت الوادى أقبله إذا استقبلته و يقال: آتيك القابله و المقبله كما يقال: عام قابل و مقبل و أنشد:

أقبلتها الخلّ من حوران مجتهداإنى لأزرى عليها و هى تنطلق

و يقال فعلته ليلا و نهارا أى ضياء و ظلاما، غير مخصوص بوقت معلوم، و فعلته يوما و ليله يريد أنّ من جمله الزّمان ما تنحصر بهذا القدر و ربما جعل بعض أجزاء الليله ليلا و جعل اللّيل لليله واحده قال:

و ودّ الليل زيد إليه ليل و لم يخلق له أبد النّهار

و لم يرد الجنس لأنّ الجنس يستوعب الأوقات، فلا يزاد للأمثله و كذلك قوله: إنى إذا ما اللّيل كان ليلتين، أراد كل واحد من الشّاعرين ليله واحده و أنها فى طولها كانت أوقاتها و ساعاتها لتطاولها و امتدادها و مقاساه ما يعانى منها كليلتين. و غرض الشاعر أن يصف طول ليلته أى كأنها فى طولها مضاعفه متزايده، و إذا جعل اللّيل جنسا فسد المعنى أيضا؛ لأن اللّيل المستوعب لأجزاء جنس اللّيل إذا قيل فيه كان ليلتين و حصر بما يقع فيه التّنبيه من

أجزائه عاد نقصانا لا تضعيفا و قوله تعالى: وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا [سوره الإنسان، الآيه: ۲۶] المراد به أجزاء ليله طويله من اللّيل لأنه لو أريد الجنس لما صحّ فيه ذكر الطّول و للزم التّسبيح ليله طويله دون ليله قصيره، و إذا أريد الجزء من اللّيل فى كلّ ليله فهو أمر بالتّسبيح جزءا طويلا و أجزاء طوالا.

و قال بعضهم فى قوله تعالى: وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ [سوره إبراهيم، الآيه: ۵] أى بنعمه، و الكوفيون رووا اللّيل ليلك، و اليوم يومك، و يراد به الوقت وقتك، و يقال: الليل ليلك و اليوم يومك، فيجعلون الأولى ظرفا للثانيه، و جعلوا الثّانى جزءا منه لأنّ الظرف وعاء مستوعب، فيجب أن يكون أوسع من ذى الظرف ليوعبه و يشتمل عليه كما يحوى الوعاء ما ضمنه، و أما قوله تعالى: فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلًا [سوره الدخان، الآيه: ۲۳] و قد علمنا أن السّرى لا يكون إلا ليلا، فالمراد فى جوف اللّيل، و لو قال: فأسر بعبادى، و لم يقل ليلا لكان مطلقا فى أول اللّيل و آخره و ما بينهما، أ لا ترى أنك تقول: جاءنى فلان البارحه بليل، فيكون المعنى فى استحكام اللّيل، و قد يجى ء ما لا يحتاج فيه إلى تأكيد، تقول: أدلجت فيكون المعنى سرت فى أول الليل، و لو قال: أدلجت فى أوّل اللّيل لساغ فيكون تأكيدا كتكرير الاسم أو الفعل قال زهير شعرا:

بكرن بكورا و استحرن بسحرهفهن لوادى الرّسّ كاليد للفم

فقوله بسحره بكور على وجهين: أحدهما أن يكون الإدلاج لآخر اللّيل و بكرن للسّحر و غيره، فإذا قال بسحره فقد بين أىّ الوقت من آخر الليل، و يكون توكيدا محضا قال تعالى:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ* [سوره هود، الآيه: ۸۱] على هذا و العرب يقول: أتيتك بقطع من اللّيل، و بعد وهن من اللّيل إذا دخلت فى استحكامه، فأمّا قول ضمره شعرا:

بكرت تلومك بعد وهن فى النّدى سهل عليك ملامتى و عتابى

فقال: بكرت ثم قال بعد وهن، و الوهن لا يكون إلا ليلا فالمعنى أول ذلك الوقت و قولهم: بكر عليه إذا لم يسمّ الوقت فإنّما يعنى جاء فى أوله ليلا كان أو نهارا، و بها سميّت الباكوره من الثمر و إن لم تذكر وقتا، و قلت أتانا بكره فإنّما تأويل ذلك أوّل النّهار لا غير، هذا المستعمل بلا شرط، و ما تقدم فإن تذكر ما يدل عليه و كذلك اليوم إذا كان مطلقا إنما تعنى به النّهار دون اللّيل و الألف و اللام يدل على يومك، إلا أن تصله بغيره فتقول: رأيته اليوم الذى مضى.

فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى]

قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۲] يريد على ما

اعتادوا فی الدّنیا و البکره ما اتصل بما قبله من اللیل، و العشی ما یتصل به اللّیل و لا لیل فی الجنه و لکن علی ما ألفوا فی الدّنیا و تعودوه من الأوقات و مثله قوله تعالی: کُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِیراً [سوره الإسراء، الآیه: ۹۷] و لا خبو لنار المعاد و لکن عند ما علم من خبو نـار الـدنیا و انقضاء تصرّمها یجـدد لأولئک العـذاب، فأما قولهـم المبکر فهو ما جاء فی أوّل الوقت و لیس هو من بکور الغـداه. و منه قوله علیه السـلام: «بکروا بصـلاه المغرب» و التبکیر أول أوقـات الصّـلاه. و منه قوله علیه السـلام: «من بکّر و ابتکر» فبکر یکون لأول ساعات النّهار و یکون لأول وقت من الزّوال و ابتکر لا یکون لأوّل ساعات النهار.

قال أبو العباس ثعلب: یجوز فی قوله: ابتکر أسـرع إلی الخطبه حتی یکون أول دان و سامع، کما تقول ابتکرت الخطبه و القصیده أی اقتضبتها و ارتجلتها ابتداء لم أرد فیه و قول الفرزدق: إبکار کرم تقطف فالمراد حملت أول حملها و أنشدنی شیخنا أبو علی، قال أنشدنی أبو بکر السّراج لعنتره العبسی:

إن کنت أزمعت الفراق فإنمازمت جمالکم بلیل مظلم

قـال یقول: إنّـک ابنه ملـک فلاـ یرحل بک إلّا لیلا فلـذلک خفی. قال: و یجوز أن یکون المعنی إن کنت أظهرت رحلتک الآن فإنما وقع العزم علیه لیلا، کما قال الحارث بن جلزه شعرا:

أجمعوا أمرهم بلیل فلمّاأصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

کان المراد أمرهم فی الارتحال دبر بلیل و لم یکن فلته. و قول الشاعر عمرو ابن کلثوم شعرا:

و أیام لنا غرّ طوال عصینا الملک فیها أن ندینا

أراد الأوقات لأنّ معصـیتهم للملک کانت فی اللّیل و النّهار، فإن قلت: کیف تکون اللّیالی غرا إلا ما یـذکر من لیالی الشّـهر یقال ثلاث غرر و ذلک لبیاضها بدوام القمر فیها؟

قیل: لم یرد بالغر بیاض الوقت و وضوحه بضـیاء شمس أو قمر إنما أراد إسفاره و إشراقه و اشتهاره فی مواطن الشّرف و المجد و السّنا و الافتخار، و حمید البلاء، و حسن الآثار و لقاح الغرّه و امتناع الجانب علی من یأتیهم و کذلک قول القائل شعرا:

و أیامنا مشهوره فی عدوّنالها غرر معلومه و حجول

و یجوز أن یریـد فی الأوّل بالغر أیضا بیاض المقادیم کغرّه الفرس، فأما قولهم: أیامنا طابت ببلد کذا و المراد لیالیها، فهو من هذا و لـذلک قیـل: لو أن إنسانا قال: عبـدی حر لوجه اللّه یوم یقـدم علینا فلان أنه یعتق و إن قـدم لیلا، و علی هـذا قوله تعالی: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ

دِينَكُمْ [سوره المائده، الآيه: ۳] قيل: أراد يوما بعينه و قيل: أراد زمنا و وقتا قال الدّريدى:

و العرب تقول: كيف أصبحت من نصف اللّيل الآخر إلى نصف النهار؟ و كيف أمسيت من الزّوال إلى نصف الليل؟ و يقولون: فى يومك كان اللّيله كذا إلى الزّوال، فإذا أزالت الشّمس قالوا كان البارحه. و حدّث الجمحى قال: تقول العرب: صبّحتك الأنعمه بطيبات الأطعمه.

و حدّث أبو العباس المبرّد قال: أنشدنى المازنى عن أبى زيد:

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّايثبت الودّ فى وداد الكريم

قال: المعنى و كيف أمسيت قال: و يقول العرب فى مثله: ضربت زيدا عمرا لا يريدون بدل الغلط و لكن يريدون الواو. قال: و لو طال الكلام لكان أحسن مثل ضربت زيدا و أحسنت فى ذاك عمر، أو معنى البيت أن كلّ واحده من هاتين اللفظتين و التّحيّتين تغرس الود للمحيى بهما فى قلب المحىّ، و مما استعمل من هذا الباب ظرفا و لم يستعمل اسما قولهم: إنه ليسار عليه صباح مساء معناه: صباحا و مساء و هذا عكس قولهم اللّيل إذا أرادوا به ليل ليله، لأنّ اللّيل أوقع فيه اسم الجنس على الواحد منه، و هذا أوقع فيه الواحد موقع الجنس و الكثره.

الباب الرّابع فی ذکر ابتداء الزّمان و أقسامه

و التّنبیه علی مبادئ السّنه فی المذاهب کلّها و ما یشاکل ذلک من تقسیمها علی البروج یقال: إن اللّه تعالی خلق الخلق کلّه و الشّمس برأس الحمل و الزّمان معتدل و اللّیل و النّهار مستویان، فأوّل الأزمنه فصل الصیف، و هو الذی یدعوه النّاس الربیع و منه ابتداء سنه الفرس فکلما حلّت الشّمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنه عندهم، قال ابن قتیبه:

و لذلک قال أبو نواس شعرا:

أما تری الشّمس حلّت الحملاو قام وزن الزّمان فاعتدلا

و غنّت الطیر بعد عجمتهاو استوفت الخمر حولها کملا

لأن مراده استوفت الخمر حول الشّمس کملا فالهاء فی قوله: حولها کنایه عن الشّمس قد مضی ذکرها، قال ثعلب: حولها تقلبها من حال إلی حال.

و قال المبرد: من ابتداء إبراق الکرم إلی استحکام العنب سته أشهر، و من استحکام العنب إلی استحکام الخمر سته أشهر، و ذلک عند حلول الشّمس برأس الحمل فلذلک حول. و قال بعضهم: حول الخمر سته أشهر و الضّمیر لها فهذا ما فی هذا و قد قال أبو نواس فی قصیده أخری أوّلها شعرا:

أعطتک ریحانها العفارو حان من لیلک السّفار

ثم قال:

تحیّرت و النّجوم وقف لم یتمکّن لها المدار

و فی هذا البیت معنی لطیف ملیح و ذلک أن أصحاب النّجوم و الحساب یقولون: إنّ اللّه تعالی حین خلق النّجوم و جعلها واقعه فی برج، ثم سیّرها من هناک، فیرید أنّ هذه الخمره

تخيرت فى وقت خلق اللّه تعالى الأفلاك، و الرّوم تجعل ابتداء سنتها من الخريف، و هو زمان الاعتدال و الاستواء أيضا، فكلّما حلّت الشّمس برأس الميزان فقد مضت سنه للعالم عندهم، و العرب تجعل السّنه نصفين شتاء و صيفا و تبدأ بالشّتاء فتقدمه على الصّيف كأنّها تعمد على أنّ مبادئ الأقوات فيه و أوائل النّماء فى العالم منه، ثم أوّل الصّيف داخل عليه واصل و ما بعده مزلق منه و فيه يستقبل الأمور و يفتح لأنواع الخلق التدبير و يزدوج الأسباب و تلقح السّحاب و يحيى الأرض بعد موتها و ينشر النّبات غب اندفانها و إلى هذا أشار أبو تمام فى قوله:

لو لم تكن غرس الشّتاء بكفّه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و يشهد لذلك تقديم اللّه تعالى الشّتاء على الصّيف حين ذكر رحلتى قريش للتّجاره و امتنّ عليهم بما مكن لهم فى النّفوس من الإجلال و المهابه لكونهم قطان الحرم و أرباب الأشهر الحرم، حتى أمنوا الزّمان، و كانت العرب من غلب سلب فقال: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ [سوره قريش، الآيه: ١- ٢].

فابتداء الشّتاء و هو النّصف الأول من السنّه من حين ابتداء النّهار فى الزياده، و ذلك لحلول الشّمس برأس الجدى و فى برجه إلى انتهائه فى الطّول و ذلك لحلول الشّمس فى برج السّرطان، و ابتداء الصّيف و هو النّصف الثّانى من السّنه من حين ابتداء النّهار فى النّقصان، و ذلك لحلول الشّمس فى برج السرطان إلى حين انتهائه فى القصر، و ذلك لحلول الشّمس فى برج الجدى و يقسمون الشّتاء نصفين.

و الصّيف أيضا نصفين، و منتصف كل واحد منهما استواء اللّيل و النّهار و الاستواء الذى يكون فى نصف الشّتاء يسمّى الاستواء الرّبيعى و هو لحلول الشّمس فى برج الحمل، لأنّ الشتاء كله ربيع عندهم من أجل النّدى، و لذلك تسميه الرّبيعين الأول ربيع الماء و الثّانى ربيع النّبات، و الاستواء الذى يكون فى نصف الصّيف يسمّى الاستواء الخريفى، و ذلك لحلول الشّمس فى الميزان فهذه أرباع السّنه و فصولها الشّتاء و الرّبيع و الصّيف و الخريف، و لكلّ فصل من فصول السنه ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر لأنها ثلاثه أشهر.

فبروج الشّتاء الجدى و الدلو و الحوت، و بروج الربيع الحمل و الثّور و الجوزاء، و بروج الصّيف: السرطان و الأسد و السّنبله. و بروج الخريف: الميزان، و العقرب و القوس. و أوائل بروج هذه الفصول تسمّى منقلبه و هى الجدى و الحمل و السرطان و الميزان، لأنّ فى أوائل هذه الفصول ينقلب الزّمان من طبيعه إلى طبيعه. و أوساطها و هى الدّلو و الثّور- و الأسد- و العقرب- تسمى ثابته لأن فى أوساط الفصول تثبت طبائع الزّمان على حدّها و أواخرها و هى

الحوت- و الجوزاء- و السّنبله- و القوس- تسمّى ذوات جسدين لامتزاج طبيعه كل فصل بطبيعه الفصل الذى يليه. و ذكر بعضهم أنّ أهل الحجاز يجعل للسنّه سته فصول و سميا و شتاء و ربيعا فهذه أزمنه الشتاء و صيفا و حميما و خريفا فهذه أزمنه الصّيف.

و اعلم أنهم يبدءون من الأوقات باللّيل كما يبتدئون من الزّمان بالشّتاء و لذلك صار التاريخ به من دون النّهار، و إنّما كان عندهم كذلك لأن الظّلمه الأول و الضّياء داخل فيه و كل معتبرهم بمسير القمر فمستهلّه جنح العشاء و طلوعه تحت البيات. فلولا أنّ نوره و نور الشّمس يجلوان الهواء لكان الظّلام راكدا فهو أقدم ميلادا و أسبق أوانا، و ألذّ استمتاعا، و أوثر مهادا و أغزر مطرا، و أروى سحابا، و أندى ظلالا، و أهول جنانا، و أطيب نسيما، و أفضل أعمالا. و لذلك قدمه اللّه تعالى فى رتبه الذّكر و رتبه الوصف فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النّبأ، الآيه: ١٠- ١١] فرتبه الذّكر ظاهره من التّلاوه كما ترى، و رتبه الوصف أن السّكن و اللّباس مقدمان على السّبح و المعاش فى متصرفات الأنام.

ثم بعد ذلك هما أخو الهدو و القرار اللّذين منهما يبتدئ النّشاء و النّماء. و قال تعالى عند الأقسام بالزمان: وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى [سوره الليل، الآيتان: ١- ٢] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] فلا موضع أجرى ذكرهما إلا و اللّيل مقدّم، ثم فضل تبتيل المجتهد و ترتيل القارئ، و ابتهال المستغفر فيه على ما يكون منها فى غيره فقال تعالى: وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ [سوره آل عمران، الآيه: ١٧] و فى موضع آخر: وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [سوره الذاريات، الآيه: ١٨] إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۶] كلّ ذلك لأنه الأول المقدم، و الأصل الموصل، و الأوان الممهد للرّاحه و الوقت الموجه للرّفاهيه، و كذلك قالوا عند المدح: ما أمره عليه بغمه و لا ليله عليه بسرمد. و قال النابغه:

فإنّك كاللّيل الذى هو مدركى و إن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

فقال: كاللّيل و لم يقل كالصّبح و إن كان المغر من كل لا يطاق و قال بعضهم: إنما قال كاللّيل لأنه كان عليه غضبان. و قد قيل اللّيل أخفى للويل و أخذ الفرزدق قول النّابغه هذا شعرا:

و لو حملتنى الريح ثم طلبتنى لكنت كشى ء أدركته مقادره

جعل الرّيح بإزاء اللّيل و اللّيل أعم، و المستحسن قول النبى صلى اللّه عليه و سلم: «نصرت بالرّعب و جعل رزقى تحت ظل رمحى، و ليدخلن هذا الدّين على ما دخل عليه اللّيل» يعنى الإسلام،

و كما نـدب المتعبـد إلى التقرب فيه إليه. و قال اللّه تعالى للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۹] أنبأ عن نفسه تعالى بمثله فيما يبرمه، و يقضـيه، فقال تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [سوره الدخان، الآيه: ۴] يعنى فى ليله القدر التى هى خير من ألف شهر.

ثم قال الناس: هذا أمر دبّر بليل، و ثبت الرأى، و هذا رأى مبيت و ليس القصد تفضـيل اللّيل على النّهار، و إنما المراد التّنبيه على سبقه و على إصابه العرب فى تقديمه، و قد تكلّمنا فى تصـحيح طريقه العرب فيما قدّمناه من الآى التى شـرحناها عند قوله تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ [سوره يس، الآيه: ۳۷] و ما يقتضـيه لفظه السّلخ بكلام بين، و ذكر أبو حنيفه الدّينورى عن غير واحد من علماء الرّوايه أن العرب تبدأ فتقسم السّنه نصـفين شـتاء و صيفا، و تقدم الشّتاء على الصّيف و تجعله أول القسمين و هذا ضد صنيع الجمهور من أهل القرار و علماء الحساب، لأنهم يقدّمون الصّيف على الشّتاء.

و قـد كان بين أهل العلم اختلاف قديما فى أنه أى أرباع السّنه أولى بالتّقديم حتى رأوا أنّ ربع الربيع الذى أوله حلول الشّـمس برأس برج الحمل أولى بالتّقـديم فأطبقوا على تقـديمه باتفاق، و لـذلك أجمعوا فى عـد البروج على الابتـداء ببرج الحمل. و فى عـد المنـازل على الابتـداء بالشّـرطين، حتى لاـ تجـد فى ذلك مخالفا. هـذا صـنيعهم فى الأزمنه، فأما إذا صـرت إلى سـنى الأمم وجـدتهم فيها مختلفين. فمنهم من يفتتـح السّـنه فى ربع الشّـتاء، و منهم من يفتتحها فى ربع الخريف، و منهم من يفتتحها فى ربع الرّبيع كلّ ذلك قد فعلوا.

و ممن افتتحها فى الخريف أهل الشّام من السّـريانيين، أ لا ترى أوّل سنتهم تشرين الأول و أنه صدر الخريف و ابتداء الوسمى، و لعل العرب أيضا كانت قد ابتدأت السّـنه فى بدء الأمر على مثل ذلك، فجعلوا مفتتحها فى أول الوسـمى كما أنه يقدمه فى قسمه الأزمان و الأنواء. فثبتوا على أمرهم الأول فى تقديم الوسـمى، و انتقل مدخل السّـنه عن موضعه الأول ثمانين عدد أيام سنه القمر و سنه الشّمس من التّفاوت و الفصول إنما تتفضّل بمسير الشّمس لا بمسير القمر.

و إنّما توهّمت هذا من صـنيع العرب من أجل أنّ كثيرا من علماء الرّواه يزعمون أنّ شـهرى ربيع إنما سـمّيا للربيع، و أن جماديين إنما سـميتا للشّتاء و وجود الماء. و أن شعبان إنمّا سمى شعبان لاشتعاب الظّعن إياهم عن المرابع للمحاضر و أنّ شهر رمضان إنمّا سمّى رمضان لشده الحر و الرّمض و أنّ صـفر أنسب إلى الزّمان الذى يسـمّى الصّيـفرى، و هذا الذى ذكروا أمر قريب لا يبعد فى الوهم، لأنّا على هـذا الترتيب نجد أزمان السّـنه عندهم، و مما يقوى هذا القول ما حكى عن الغنوى الأعرابى و عن غيره فإنه قال: جمادى عند العرب

الشّتاء كلّه قال: و يقال للحر كلّه شهر ناجر، كما يقال للشّتاء كله جمادى، و كان ينشد بيت لبيد فى الجزء شعرا:

حتى إذا سلخا جمادى ستهجزءا فطال صيامه و صيامها

بخفض سته على إضافه جمادى إليها و قال أراد سته أشهر الشّتاء، و هى أشهر النّدى و الجزء، و كذلك كان ينشده أبو عمر و الشّيبانى خفضا و يقول: أراد جمادى سته أشهر فعرف بجمادى. قال أبو حنيفه، و يشهد للغنوى كثره ذكر العرب جمادى إما ببرد الزّمان و إما بكثره الأنداء و الأمطار، و هذا كلّه من أوصاف الشّتاء و لو كان قصدهم إلى ذكر الشّهر لما تطاول لسرعه انتقال الشّهر.

أ لا ترى أنّه يكون مره فى صباره الشّتاء و مره فى حماره القيظ و إنما حاله فى ذلك كحال سائر الشّهور، و أنت لا تجد جمادى موصوفه بالحر كما تجدها موصوفه بالبرد. قال الشاعر شعرا:

فى ليله من جمادى ذات أنديهلا يبصر الكلب من ظلمائها الطّنبا

قال أبو حنيفه: و زعم بعضهم أنهم إنّما قدّموا الشّتاء على الصّيف لأنه ذكر. و أنّ الصّيف أنثى، و لم يذكروا علّه تذكير الشّتاء، و تأنيث الصّيف، و لا أظنه إلّا لقسوه الشّتاء و شدّته و لين الصّيف و هونه، أ لا ترى أنّ من عادتهم أن يذكروا كلّ صعب من الأمور قاس شديد، حتى قالوا: داهيه مذكار، و إن كانت أنثى فصعّبوها بأن تكون تنتج ذكورا و حتى قالوا أرض مذكار إذا كانت ذات مخاوف و أفزاع، و قالوا: يوم باسل ذكر فى شره و شدته حتى قال الشّاعر شعرا:

فإنّك قد بعثت عليك نحساشقيت به كواكبه ذكور

فجعلها مع نحوستها ذكورا ليكون شرّها أفظع و أصعب و (الصّيف) و إن تلظّى قيظه و حمى صلاه فهو هيّن عندهم إلى جنب الشّتاء، و الشّتاء يبرح بالقوم و لذلك قالت بنت الحسن و قد سئلت عنهما: أيّهما أشدّ فقالت: و ما جعل البئيس من الأديه تقول من يقيس البؤس و الضر إلى أذى فقط أى الشّتاء أشد: (و البئيس و البؤس) واحد قال الفرزدق فى نعت امرأه بيضاء من أهل المدينه (لم تذق بئيسا و لم تتبع حموله مجحد) و لذلك لا تجدهم يشتكون الضّر و سوء الحال و الهزال فى الصّيف و لا يعدون أن يصفوا أواره و صخده و عطشه و إذا صاروا إلى الشّتاء عجّوا من وطئه و نوّهوا باسم من آسى فيه، و احتمل الكلّ و أطعم المصرور.

قال الشّيخ الذى قاله أبو حنيفه فى تعليل تذكير الشّتاء حسن و أقرب منه أن يقال لما

كان إدراك الثمار فى الربيعين و وضع الأحمال من الملاقيح و نتائج الخير فى أصناف المعاش من الزرع و الضّرع فى الصيف، و إن كانت مبادئها فى أوائل الشّتاء ثم تمت حالا بعد حال فكانت تنتظر فى آجالها وقتا بعد وقت انتظار ما فى بطون الحاملات، فجعلوا الشّتاء ذكرا و الصّيف أنثى. و هذا شرح ما رماه الشّاعر فى قوله:

لو لا الذى غرس الشّتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و ذكر أنّ منهم من يجعل الشّتاء نصفين الشّتاء أوّله و الرّبيع آخره، و كذلك يجعل الصّيف نصفين الصّيف أوّله و القيظ آخره.

و ذكر ابن كناسه أبو يحيى أن العرب تسمّى الشّتاء الرّبيع الأوّل و الصّيف الرّبيع الآخر و أن أحدا منهم لم يذكر الخريف فى الأزمنه لأنّ الخريف عند العرب اسم لأمطار آخر القيظ، و هذا إذا تؤمل أسفر عن أنهم يجعلون الرّبيع اسما للنّدى و الجزء، لكنّهم فصلوه بالشّتاء لشدّه برده ثم اشتهر الرّبيع اسما لما لان من طرفى الوقت.

حكى ابن الأعرابى عن الغنوى أنه قال: يلقى الرّاعى صاحبه فيقول: أين تربّعت العام إذا سقطت الصرفه(۱)؟ و سقوطه عند انصرام نصف السّنه الشّتويه. و قال الفراء ربعيه القوم ميرتهم فى أول الشّتاء، و أبين من جميع ما ذكرنا أنّهم يسمّون الفرع المؤخر فرع الرّبيع و هو من الشّتاء. و قال النّابغه و قد جعل الحرب كالميره:

و كانت لهم ربيعه يحذرونهاإذا خضخضت ماء السّماء القنابل

۱- الصرفه فى القاموس منزله للقمر نجم واحد نير يتلو الدبره سمى لانصراف البرد و بطلوعها، محمد شريف الدين عفا عنه.

الباب الخامس فی قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فیها

اعلم أنّ الشّمس تدور فی الفلک دورا طبیعیا، و هی لازمه له و علیها طریقها و القمر- و الکواکب الخمسه، و هی: عطارد- و الزّهره، و المریخ، و المشتری، و زحل. ربما کانت علی هذا الفلک، و ربما مالت إلی الشّمال، و الجنوب، و یسمّی هذا المیل عرض الکواکب، و یسمّی هذا الفلک فلک البروج، و هی اثنا عشر: (الحمل)، و (الثور)، و (الجوزاء)، و (السرطان) و (الأسد)، و (السّنبله)، و (المیزان)، و (العقرب)، و (القوس)، و (الجدی)، و (الدلو)، و (الحوت)، و إنما انقسم هذا الانقسام لأنّ الشّمس متی انتقلت فی دورانها من نقطه بعینها عادت إلی تلک النّقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستّین یوما و ربع یوم.

و فی دورها تستوفی فصول السّنه التی هی الرّبیع، و الصیف، و الخریف، و الشّتاء.

و لهذه العلّه سمیّت هذه الأیام سنه الشّمس، و القمر یجتمع مع الشّمس فی مده هذه الأیام اثنتی عشره مره فجعلت الشّمس اثنتی عشر شهرا و سمیت الشّهور القمریه، کما جعل الفلک اثنی عشر برجا لیکون لکل شهر برج.

و أسماء شهور العرب: المحرم، و صفر، و الرّبیع الأول، و الرّبیع الآخر، و جمادی الأولی، و جمادی الأخری، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شوّال، و ذو القعده، و ذو الحجّه.

قال الشّیخ: اختلف الناس فی أعداد أیام سنیهم، و هم متفقون فی عدّه الشّهور و اعتماد العرب فیها خاصه علی الأهلّه، فکل اثنی عشر هلالا عندهم سنه، فتکون عدد أیامها ثلاث مائه و أربعه و خمسین یوما.

قال أبو الحسن المعروف بالصّوفی: بین أصحاب الحساب من الرّوم، و الهند خلاف یسیر فی مقدار هذا الکسر، فکان الأوائل من أهل الروم متفقین فی القدیم علی ربع یوم فقط، ثم استدرکوا فیه شیئا حقیرا.

و قال أبو حنيفه: ليس فى الأمم أحفظ للفصول، و أوقات الأنواء و الطّلوع من الروم، و لذلك من حلّ من العرب فى شق الشّام أعلم بهذا من غيرهم، ثم أنشد لعدى بن الرقاع:

فلا هنّ بالبهمى و إيّاه مذ نشاجنوب لراش فاللّها له، فالعجب

شباطا و كانونين حتى تعذّرت عليهن فى نيسان باقيه الشّرب

و إنما نصف عيرا و أتنارعين البقل فى إبّانه

و إنّما نصف عيرا و أتنا رعين البقل فى إبانه إلى أن هاج، و نضبت المياه. و هم يبدءون فيجعلون أوّل السّنه تشرين الأول، و يجعلونه أحدا و ثلاثين يوما. ثم تشرين الثّانى ثلاثين يوما، ثم كانون الأوّل واحدا و ثلاثين يوما، ثم كانون الثّانى واحدا و ثلاثين يوما و ربع، ثم شباطا ثمانيه و عشرين يوما، غير أنهم يجعلونه ثلاث سنين كلّ سنه منها ثمانيه و عشرين يوما و فى السنه الرابعه تسعه و عشرين يوما، و تلك السّنه تكون فى عددهم ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يسمونها الكبيسه.

و قال الخليل: يكون فى شباط فيما تزعمه الرّوم تمام اليوم الذى كسوره فى السّنين، فإذا تمّ ذلك اليوم فى ذلك الشهر، سمّى أهل الشّام تلك السنه عام الكبيس، قال: و هو يتيمّن به إذا ولد فى تلك السنه، أو قدم فيه إنسان. ثم آذار واحدا و ثلاثين يوما، ثم نيسان ثلاثين يوما، ثم أيار واحدا و ثلاثين يوما، ثم حزيران ثلاثين يوما، ثم تموز واحدا و ثلاثين يوما، ثم آب واحدا و ثلاثين يوما، ثم أيلول ثلاثين يوما، فتكون الزّيادات من الأيام خمسه أيام على ثلاث مائه و ستين يوما.

ثم أحبّوا أن لا تغيّر أحوال فصول سنتهم على السّنين الكثيره و الدّهور المتابعه، فزادوا فى آخر شباط ربع يوم لتصير أيام سنتهم موافقه لأيام سنه الشّمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، و يكون ثلاث سنين متواليه كذلك فإذا تمّت الأرباع فى أربع سنين تصير سنتهم فى السنه الرابعه التى تليه ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يصير شباط فى تلك السّنه تسعه و عشرين يوما، و تسمى تلك السّنه الرّابعه سنه الكبيسه، فكرهت الفرس أن يزيد فى سنتهم ربع اليوم لأنهم لو فعلوا ذلك لاضطروا إلى الكبيسه فى كل أربع سنين و لم يمكنهم ذلك لأنهم سمّوا أيام الشّهر بأسام.

زعموا أنها أسامى الملائكه الذين يديرون أيام الشّهر و أسامى الأيام، هرمز، بهمن، اردیبهشت، شهریر، اسفندار، مذخرداد، مرداد، يبا، ذر، آذر، أبان، حوزماه، تیر، جوش، دیبمهر، مهر، سروش، رشن، فروردین، لوهرام، رام باذ، دنیدین، دين ارد، اشتاذ، اسمان، زامیاذ، ماراسفند، انیران.

و أسماء الشهور اعتقدوا فيها مثل ذلک و هی: فروردین ماه، ارد بهشت ماه(۱)، خرداد ماه، تیر ماه، مرداد ماه، شهریر ماه، مهر ماه، ابان ماه، آذر ماه، دی ماه، بهمن ماه، اسفندیارمذماه.

و زعموا أنّ هرمز هو اسم الملک الذی یدبر أوّل یوم من الشّهر، و بهمن اسم الملک الذی یدبر الیوم الثّانی.

و کذلک الأسامی کلّها و سمّوا أیضا الأیام اللّواحق بأسماء الملائکه الذین زعموا أنهم یدبرونها و هی: خونوذکاه، و استوذکاه، و اسفیذکاه، و مشتحزکاه، و شتکاه. و قالوا إنّ کبسنا فی کلّ أربع سنین یوما فجعلنا اللواحق سته أیام فی هذا الیوم بلا مدبر، و سقط أول یوم من آذر ماه و استوحش هرمزد و قدر أنهم یقصدونه ثم کانوا یکبسون فی کلّ مائه و عشرین سنه شهرا واحدا لیسوّوا بین الملائکه، و لا یستوحش أحد منهم و تصیر سنتهم فی تلک السنه ثلاث مائه و خمسه و تسعین یوما و کانوا علی ذلک إلی أن انقضت دوله الفرس و لم یکن فیهم من یمکنه فعل ذلک إلی أن کبس المعتضد مقدار ما کان قد مضی من سنه الکبیسه لکل أربع سنین یوما واحدا و جعل النّیروز الیوم الحادی عشر من حزیران و فیه یقول الشاعر مادحا له شعرا:

یوم نیروزک یوم واحد لا یتأخّر

من حزیران یوافی أبدا فی أحد عشر

و وضع الکبیسه علی رسم الرّوم و لا یعمل ذلک إلا ببغداد، فإنّهم یجعلون أوّل سنتهم فی التقویم یوم النّیروز المعتضدی، و یستعمل فی سائر البلدان النّیروز القدیم.

و ذکر هذا الإنسان و هو أبو الحسین الصّوفی أنّ العرب کانت تکبس أیضا. ثم ذکر النسی ء من قول اللّه تعالی: إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَهٌ فِی الْکُفْرِ [سوره التوبه، الآیه: ۳۷] و قد تقدّم القول علی ما قاله فیما مضی و بیّنا من تفسیر الآیه و الأخبار المرویّه ما أغنی.

و اعلم أنّ العرب لا تذهب فی تحدید أوقات الأزمنه إلی ما یذهب إلیه سائر الأمم، و تجعل أوّل عدد الأزمنه فی تحدید أوقاتها، إلی ما یعرف فی أوطانها من إقبال الحرّ و البرد، و إدبارهما، و طلوع النّبات و اکتهاله و هیج الکلاء و یبسه، و یذهب فی عدد الأزمنه إلی الابتداء بفصل الخریف و تسمیه الربیع لأنّ أول الرّبیع و هو المطر یکون فیه- ثم یکون بعده فصل الشّتاء- ثم یکون بعده فصل الصّیف- و هو الذی یسمیه النّاس الرّبیع و یأتی فیه الأنوار. و إنما

۱- فی صبح الأعشی: أردیبهشتماه.

سمّوه صيفا لأنّ المياه عندهم تغل فيه و الكلأ يهيج، و قد يسمّيه بعضهم الرّبيع الثّانى، ثم يكون بعد فصل الصّيف فصل القيظ، و هو الذى يسمّيه النّاس الصّيف فأوّل وقت الرّبيع الأول عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول. و أول الشّتاء عندهم ثلاثه أيـام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عنـدهم و هو الرّبيع الثّانى خمسه أيام من آذار، و أوّل القيظ عنـدهم أربعه أيام تخلو من حزيران. و الخريف المطر الذى يأتى فى آخر القيظ و لا يكادون يجعلونه اسما للزّمان.

و قال عدى بن زيد فجعله اسما للزّمان فى خريف:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يولّينى العراقى

و سماه خريفا، لاختراف الثمار فيه و الحطيئه ممن يجعله المطر و ذكر امرأه فقال:

و تبـدو مصاب الخريف الجيالا. يريـد أنّها تنقل إلى البـدو لمصاب هـذه المطره، فهـذه حـدود الأزمنه عنـدهم، ثم يجعلون لكل زمان صـميما يخلص فيه طبعه فيـذكرون منه شـهرين و يـدعون شـهرا لأنّ نصف شـهر من أوله مقارب لطبع الزّمان الـذى قبله، و نصف شـهر من آخره مقارب لطبع الزّمان الـذى بعده، فالخالص منه شـهران فيسـمّون شـهرىّ الشّـتاء بالخالص شـهرى قماح قال الهذلى:

فتى ما ابن الأغر إذا شتوناو حبّ الزّاد فى شهرى قماح

و سميا بذلك لأن الإبل فيهما ترفع رءوسها عن الماء لشده برده و الإبل القماح هى التى ترفع رءوسها. و قال بشر يصف سفينه:

و نحن على جوانبها قعودنغضّ الطّرف كالإبل القماح

و الإبل إذا رفعت رءوسها عن الماء غضّت أبصارها، و يدعون هذين الشّهرين ملحان و شيبان لبياض الأرض بالصّقيع و الجليد. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جلودهالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

فهذان شهر الشّتاء فشيبان من الشّيب و ملحان من الملحه و هى البياض و قيل كبش أملح منه.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج، قال: و قولهم مات الجندب و قرب الأشيب أى الثّلج، و يسمّون شهرى القيظ اللّذين يخلص فيهما حره شهرى ناجر و سمّيا بذلك لأنّ الإبل تشرب فلا تكاد تروى لشدّه الحر، و النّجر و البغر متقاربان و هو أن يشرب فلا يروى من الماء يقال نجر من الماء إذا امتلأ منه فكظمه،

و هو على ذلک يشتهيه قال ذو الرمه يصف ماء شعرا:

صرى أجنّ يروى له المرّ وجهه و لو ذاقه ظمآن فى شهر ناجر

و قال الشّماخ شعرا:

طوى ظمأها فى بيضه القيظ بعد ماجرت فى عنان الشّعر بين الأماعز

فهذان شهرا القيظ و لا أعلم أنهم سمّوا شهرى ربيع الثانى باسم، إلا أنّهم يقولون:

حللنا ببلد كذا فى حدّ الربيع يريدون شهريه و قال أبو ذؤيب شعرا:

بها أبلت شهرى ربيع كليهمافقد مار فيها نسؤها و اقترارها

النّسو بدو السّمن و الاقترار أن تحثر بولها و هو من علامات السّمن، قال رؤبه:

شهران مرعاها بقيعان الصّلق مرعى أنيق النّبت مجّاج الغدق

و قال ابن مقبل شعرا:

أقامت به حدّ الرّبيع و حازهاأخو سلوه مسّى به اللّيل أملح

يريد بأخى السّلوه النّدى لأنهم فى رخاء و سكون ما دام النّدى عندهم و قولهم: مسّى به الليل: أى جاء عند مجى ء الليل، و الأملح الأبيض، ربما ذكروا استيفاءها شهور الرّبيع الثّانى كلّها. قال حميد شعرا:

رعين المراز الجون من كلّ مذنب شهورا جمادى كلّها و المحرّما

قال: شهورا جمادى كلّها و هما شهران كما قال تعالى: فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ [سوره النساء، الآيه: ۱۱] يريد أخوين فصاعدا و لم يفعلوا ذلک فى زمن الخريف فيذكروا منه شهرين فيما علمت. و لا أحسب ذلک إلا لأنه لم يدعهم إلى ذكره شى ء كما دعا إليه شدّه البرد فى الشّتاء، و شدّه الحر فى الصّيف و القيظ، و وقت الجزء فى الرّبيع.

قال أبو حنيفه: النّاس مجمعون من تقديم البروج على برج الحمل. و من تقديم المنازل على الشّرطين، و فى ذلک دلاله على تقديم فصل الرّبيع، و ذكره قبل سائر الفصول و هو لحلول الشّمس برأس الحمل، قال: و الفصل اسم جرى فى كلام العرب و جاءت به أشعارهم، قال الشّاعر يصف حمير وحش شعرا:

نظائر جون يعتلجن بروضهلفصل الرّبيع إذ تولّت صبائنه

و سمّى فصلا لانفصال الحر من البرد، و انقلاب الزّمن الذى قبله، و يقال للفصول

أیضا: الفصیان و الواحده فصیه، و هی الخروج من حر إلی برد، و من برد إلی حر. و الفصیه تصلح فی کل أوقات السّنه متی خرجت من أذی إلی رخاء فتلک فصیه، و لا یستعمل الفصل إلّا فی حینه، فأمّا الأصمعی فإنّه قال: الفصیه: أن یخرج من برد إلی حر، و یقال: أفصی القوم و هم مفصون، و یقال: لو أفصینا لخرجت معک. و الشّمس تحل برأس الحمل لعشرین لیله تخلو من آذار و عند ذلک یعتدل اللّیل و النهار، و یسمّی الاستواء الرّبیعی.

ثم لا یزال النّهار زائدا، و اللّیل ناقصا إلی أن یمضی من حزیران اثنتان و عشرون لیله، و ذلک أربع و تسعون لیله، فعند ذلک ینتهی طول النّهار و قصر اللیل، و ینصرم ربع الرّبیع، و یدخل الرّبع الذی یلیه، و هو الصّیف، و ذلک لحلول الشّمس برأس السرطان، و یبتدئ اللّیل بالزّیاده، و النّهار بالنقصان، إلی ثلاث و عشرین لیله تخلو من أیلول، و ذلک ثلاث و تسعون لیله، و عند ذلک یعتدل اللّیل و النهار ثانیه، و یسمّی الاستواء الخریفی، و ینصرم ربع الصّیف و یدخل ربع الخریف، و ذلک لحلول الشّمس برأس المیزان، و یأخذ اللّیل فی الزّیاده و النّهار فی النقصان، إلی أن یمضی من کانون الأول إحدی و عشرون لیله، و ذلک تسع و ثمانون لیله، و عند ذلک ینتهی طول اللّیل و قصر النّهار، و ینصرم فصل الخریف، و یدخل فصل الشّتاء، و یبتدئ النّهار فی الزیاده، و ذلک لحلول الشّمس برأس الجدی إلی مصیرها إلی رأس الحمل، و ذلک تسع و ثمانون لیله و ربع فعندها ینصرم ربع الشّتاء، و یدخل فصل الرّبیع، فعلی هذا دور الزّمان فاعلمه.

الباب السّادس فی ذکر الأنواء، و اختلاف العرب فیها

اشاره

و منازل القمر، مقسمه الفصول علی السنه، و أعداد کواکبها و تصویر مأخذها ضاره و نافعه اعلم أنا نذکر من أمر الأنواء و مذهب جهّال العرب فیها، و من صفه المنازل و البروج ما یحتاج إلیه هذا الکتاب، و الدّاعی إلیه أنهم کانوا ینسبون الأوقات إلیها کثیرا، و کذلک ما نذکره من أحوال الشّمس و القمر، و کان فی العرب من یسرف فی الإیمان بها و نسبه الحوادث إلیها، حتی أوهم کلامهم و إفراطهم أنّ السّقیا و جمیع ما یحمد منها، أو یذم إلی جمیع ما ینقل فیه الأیام من خیر و شر، و نفع و ضر، و کلّ ذلک من الأنواء و بها. و هذا کإضافتهم إلی الکواکب أفعال صانعها، و تطابقهم فی التّیمن و التشاؤم بها، لذلک قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «من آمن بشی ء من ذلک فقد کفر بما أنزل علیّ».

و قد مرّ فیما تقدّم من الکتاب فصل کثیر بیّن فیه فساد طریقتهم، و أنّ من عدل عنها و جعلها آیات یقیمها اللّه تعالی، تنبیها علی حکمته فیها، لیعتبر المعتبرون بها و یشکروا نعمه فیها، فقد برئت من الذّم ساحته، و تباعد عن الإثم منهجه، علی مثل ذلک یحمد قول عمر بن الخطاب حین خرج إلی الاستسقاء، فصعد المنبر و لم یزد علی الاستغفار، ثم نزل فقیل: إنّک لم تستسق، فقال: لقد استسقیت بمجادیح السّماء. قال أبو عمر و المجادیح و أحدها مجدح، و هو نجم من النّجوم کانت العرب تقول: إنّه یمطر به لقولهم فی الأنواء.

قال أبو عبید فسألت عنه الأصمعی، فلم یقل فیه شیئا و کره أن یتأوّل علی عمر مذهب الأنواء، و قال الأموی: یقال فیه أیضا: المجدح بالضّم و أنشد فیه قوله شعرا:

و أطعن بالقوم شطر الملوک حتّی إذا خفق المجدح

قال أبو عبید: و الذی یراد من هذا الحدیث أنه جعل الاستغفار استسقاء یتأوّل قوله تعالی: اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً [سوره نوح، الآیه

: ۱۰- ۱۱] و إنما نرى أنّ عمر تكلّم بهـذا على أنها كلمه جاريه على ألسـنه العرب ليس على تحقيق الأنواء، و لا التّصديق بها، و هذا شبيه بقول ابن عباس فى رجل جعل أمر امرأته بيدها، فطلّقته ثلاثا، فقال خطّأ اللّه نوءها أ لا طلّقت نفسها ثلاثا. ليس هذا منه دعـاء عليهـا أن لاـ تمطر، إنّمـا هو على الكلاـم المنقول. و ممـا بيّن لـك أنّ عمر أراد إبطـال الأـنواء و التكـذيب بهـا بقوله: لقد استسـقيت بمجاديح السّماء التى يستنزل بها الغيث. فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء، و هذا القدر إذا ضمّ إليه ما تقدم فى فصل يشـتمل على تأويل الأخبار المرويّه عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم و بيان معتقدات العرب فى الأنواء و البوارح، أغنى و كفى فى عذر من يعذر، و ذمّ من يذم منهم و السّلام.

قال أبو حنيفه يقال: ناء الكوكب ينوء نوأ و نوء، أول سقوط يدركه فى الأفق بالغداه قبل انمحاق الكواكب بضوء الصّبح.

و الكـوكب إذا وافـاه الصّـبح و هو مرتفع عن أفق المغرب لاـ يزال الصّـبح يوافيه كـلّ غـداه، و هو إلى الأـفق أقرب، حـتى يوافق موافاته الأفق انمحاق الكوكب لضوء الصّبح، ثم يكون سقوطه بعد ذلك، و الكواكب ظاهره فلا يزال سقوطه يتأخر كلّ ليله إلى أن يكون فى أول اللّيـل، فتراه على الأـفق غاربـا مع ظهوره للأبصـار، ثم يستسـر فلاـ يرى مقـدارا من الليالى ثم يكون أوّل رؤيته غامضـا فى ضـياء الصّـبح حين يبـدو للأبصـار. فالواجب أن يغرق ما بين الغروب الـذى هو أوّل و بين الغروب الـذى له النوء لأنّ الـذى له النوء سـقوط النجم بالغداه فى المغرب بعد الفجر و قبل طلوع الشّـمس و طلوع رقيبه فى المشـرق فى ذلك الوقت، و لا يكون هذا إلا فى غداه واحده من السّنه للكوكب الواحد.

و أما السّـقوط الذى هو أفول و استسـرار، فإنّه يكون من أول الليل و ذلك أنّ هذا النّجم السّاقط بالغداه فى أفق السّـماء يرى بعد اليوم الذى يسـقط فيه متأخّر السّـقوط عن ذلك الوقت، فيسقط قبله و لا يزال يتأخّر فى كل يوم حتى يكون سقوطه فى اللّيل، ثم يتـأخّر فى اللّيـل إلى أن يسـقط فى أوّل اللّيـل فى المغرب، ثم يستسـر بعـد ذلـك فلاـ يرى ليالى كثيره ثم يرى بالغـداه طالعا فى المشرق خفيا، فهذا سقوط الأفول، و قد أحسن الشّاعر فى تحديد ذلك حين قال شعرا:

و أبصر النّاظر الشّعرى مبيّنهلمّا دنا من صلاه الصّبح ينصرف

فى حمره لا بياض الصّبح أغرقهاو قد علا اللّيل عنها فهو منكشف

تهلهل اللّيل لم يلحق بظلمته قوت النّهار قليلا فهى تزدلف

لا ييأس اللّيل منها حين تتبعه و لا النّهار بها للّيل يعترف

فهذا وقت الطّلوع و السّقوط و معنى قوله: تهلهل اللّيل أى تصير فى مشرقه حيث امتزج سواده بياض الصّبح فهى فوت النّهار، لأنّه لم يطمسها بضوئه، و لم يلحق بظلمه اللّيل الخالصه، فهى بينهما، و اللّيل لا يبأس منها، لأنّها فى بقيه منه، و لا النّهار يسلمها للّيل لأنّها فى ابتداء منه، و مراد الشّاعر بهذا الوصف أنّ الأمر الذى وقته كان فى حمارّه القيظ، لأن الشّعرى تطلع بالغداه فى معمعان الحر.

قال الشيخ: أظنّ هذا الشّاعر سلك فى تحديده للاستسرار طريقه زهير حين قال يصف شاهينا و حمامه شعرا:

دون السّماء و فوق الأرض قدرهمافيما تراه فلا فوت و لا درک

فقوله: لا فوت و لا درک، كقول ذاک لا يبأس اللّيل منها، و لا النّهار يعترف اللّيل بها، قال: و قال الكميت فى تحديد وقت الطلوع شعرا:

حتّى إذا لهبان الصّيف هبّ له و أفغر الكالئين النّجم أو كربوا

و ساقت الشّعريان الفجر بعضهمافيه و بعضهما باللّيل محتجب

فجعل طلوعها بين اللّيل و النّهار كما جعله الأوّل. و معنى أفغر النّجم: يريد إذا صارت الثّريا فى وسط السّماء، فمن نظر إليها فغر فاه، أى فتحه، و معنى كربوا: قربوا و طعن قوم على الكميت فى هذا البيت، و حسبوا أنه أراد أن إحداهما طلعت قبل الفجر، فهى فى اللّيل، و أنّ الأخرى طلعت مع الفجر، فهى فيه، فقالوا: لا يجوز ذلک إلا فى ثلاثه فصاعدا، قال أبو حنيفه: و الذى قالوا كما قالوا، غير أنّهم ذهبوا إلى غير مذهب الكميت، و لو أراد الكميت ما توهّموا لكان قد أخطأ فى المعنى أيضا مثل ما أخطأ فى اللّفظ، و ذلک أنّه قال: و ساقت الشّعريان الفجر.

فاعلم أنّ الفجر طلع قبلهما، فكيف يعود فيجعل إحداهما طالعه قبله، هذا بتعجيل، و بعد فإنّ الشّعريين تطلعان معا. و إنّما أراد أنّ بعضهما كلتيهما فى اللّيل و بعضهما كلتيهما فى النّهار، إذا كانتا بين اللّيل و النّهار، قال الشيخ الأكشف فى بصره الكميت أن يقال أراد أنّ بعضيهما فى اللّيل و بعضيهما فى النّهار، فيخرج البعض بالتثنيه من أن يكون بمعنى أحد، و يستفاد منها أنّ الشّعريين تطلعان معا، و أنّ القصد فى ذكرهما للتّحديد، إلى أن تكونا بين اللّيل و النّهار، و مع ذلک فقد ضيق على نفسه تضييقا شديدا، فأفرط فى التّحديد إفراطا بعيدا، فإذا سمعتهم ينسبون إلى الطّلوع و السّقوط مرسلا غير مضاف إلى وقت، فاعلم أنّهم إنّما يريدون الطلوع و السّقوط للّذين يكونان بالغداه، و ذلک مثل قولهم إذا طلعت العقرب:

حمس المذنب، و مثل قولهم إذا طلعت الشّعرى: جعل صاحب النّخل يرى، و مثل قول الشاعر شعرا:

فلمّا مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغضر

و مثل قوله:

هنا ناهم حتّى أعان عليهم عزالى السّحاب فى اغتماسه كوكب

فهذه السّقوط و ما أشبهه هو بالغداه، و إذا ذكر ذلك من نجوم الأخذ خاصه فهو النوء، أ لا ترى أنّهم لمّا أرادوا الطّلوع بالغداه قالوا: إذا طلع النّجم فالحرّ فى خدم، فجاء مرسلا غير مضاف. و لما أرادوا طلوعه لغير الغداه قالوا: إذا طلع النّجم عشاء ابتغى الرّاعى كساء، فجاء مضافا إلى الوقت. و أما قول القائل: حين البارحه حين غاب النّجم و ذهبن ليله كذا، حين طلع السّماك فإنّما المراد بذلك، وقت المجى ء و الذّهاب من تلك اللّيله بعينها، و ليس من الأوّل فى شى ء، و منه قول الشاعر شعرا:

حتى إذا خفق السّماك و أسحراو نبا لها فى الشّدّ أىّ نبال

و مثل قول الآخر:

فعرسن و الشّعرى تغور كأنّهاشهاب غضا يرمى به الرّجوان

و إذا جاء ذكر المغيب مرسلا، فالمراد حينئذ الغيبوبه التى هى ابتداء الاستسرار و ذلك قولهم: غرب الثّريا أعوه من شرفها، و كقولهم: مطر الثّريا صيف كلّه و هذا الغرب غير السّقوط الذى هو النوء، و مطر نوء الثّريّا و سمى و من هذا الجنس قول الشاعر:

فيمّمت سيرا سريع الرّجاء مائل من راجل يركب

مغيب سهيل صدور الرّكاب سيرا يشقّ على المعتب

فهذا كلّه غيبوبه الاستسرار، و لا يكون إلا بالعشيّات على أثر مغيب الشّمس ثم لا تراه بعد ذلك حتى يتمّ استسراره، ثم يكون أوّل ظهوره بالغدوات و قد اختلف النّاس فى معنى النّوء: فبعضهم يجعله النّهوض، قال: لأنه سمى نوى الطّلوع الرّقيب لا لسقوط السّاقط، و هذا ليس بمنكر فى اللّغه، لأنّ هذه اللّفظه تعدّ فى الأضداد، قال أبو حنيفه: هو النّهوض، و لكنّه نهوض الذى كأنه يميله شى ء فيجد به إلى أسفل، و زعم الفراء أنّ النوء السّقوط و الميلان، و أنّ أبا ثروان أنشده فى صفه راع نزع فى قوس:

حتّى إذا ما التأمت مفاصله و ناء فى شقّ الشّمال كاهله

قال: يريد أنه لما نزع مال إليها، و قوله: التأمت مفاصله فإنّه يعنى أنّه لزم بعضه بعضا

لشدّه النّزع. قال: و نرى أنّ قول العرب ما ساءك و ناءك من هـذا، و معناه أناءك فألقى الألف للاتباع كقولهم: هنّأنى الطّعام و مرّأنى، و كان ينبغى أن يكون أمرأنى.

قال أبو حنيفه: فأمّا من ذهب إلى أنّ الكوكب ينوء ثم يسقط، و إذا سقط فقد تقضى نوؤه، و دخل نوء الكوكب الذى بعده، فتأويله أنّ الكوكب إذا سقط النّجم الذى بين يديه أطلّ هو على السّقوط، و كان أشبه شى ء حالا بحال النّاهض و لا نهوض به، حتّى يسقط، لأنّ الفلك يجرّه الغور، فكأنّه متحامل عليه، يعنى قد غلبه. و يجمع النوء أنواء و نوانا. قال حسّان بن ثابت رضى اللّه عنه شعرا:

و يثرب تعلم أنّا بهاإذا قحط القطر نواتها

و قال بعضهم: الحق فى ذلك مذهب الخليل الذى حكاه عنه مؤرج، و هو أنّ النّوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النّجم، لأنّ المطر نهض مع سقوط الكوكب، و اسم الكوكب السّاقط النّوء أيضا، فالشى ء إذا مال فى السّقوط يقال: ناء، و إذا نهض فى تناقل يقال ناء به، قال ذو الرمه فى وصف الرياك:

ينون و لم يكسين إلا قنازعامن الرّيش تنواء الفصال الهزائل

و ينوء الحمل الثّقيل إذا مال بالبعير، و يقال: المرأه تنوء بها عجيزتها، قال الشاعر:

لها حضور و أعجاز تنوء بهاإذا تقوم يكاد الخصر ينخزل

و فى القرآن: ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِى الْقُوَّهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٦].

فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها

و هى نجوم الأخذ، قال اللّه تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآيه: ٣٩].

و هى ثمانيه و عشرون منزلا لا اختلاف فى ذلك، و تسمّى نجوما، و إن كان منها ما هو كوكب واحد، و كان منها ما هو أكثر، و قد قيل للثّريا: النجم، و هو كالعلم لها و هى ستّه كواكب. و النّجم إن كان كالعلم، و قد شهرت به، فقد يقولون فى النّسبه هذا النّجم الثّريا إذا جعلوه اسما لجماعه كواكبها، و يقولون: هذه نجوم الثّريا إذا جعلوا كلّ كوكب منها نجما، ثم جمعوها. قال ذو الرمه:

لعاليه فى الأدحى بيضا بقفرهكنجم الثّريا لاح بين السّحائب

و قال الأعشى فجعله جمعا:

يراقبن من جوع خلاء مخافهنجوم الثّريّا الطّالعات الشّواخصا(١)

و قال أبو عبيده: يقال النجم، فيفرد اللفظ و المعنى للجمع، و أنشد قول الراعى:

فباتت تعدّ النّجم فى مستجيرهسريع بأيدى الآكلين جمودها

يعنى ضيفه قراها جفنه، قد استجار فيها الدّهم، فهى ترى نجوم اللّيل فيها. و أمّا الكوكب فلا نعلمه يقع إلا على واحد فقط، و قال الآخر فى منازل القمر فسمّاها نجوما:

و أخوات نجوم الأخذ إلّا أنضهأنضه محل ليس قاطرها يثرى

قال أبو عبيده: نجوم الأخذ: منازل القمر، سمّيت نجوم الأخذ، لأخذه كلّ ليله فى منزل. و قال أبو عمرو الشّيبانى: الأخذ: نزول القمر منازله، يقال: أخذ القمر نجم كذا إذا نزل به. و أنشد أبو عمرو شعرا:

و أمست نجوم الأخذ غبرا كأنّهامقطّره من شدّه البرد كسف

و قال: مقطّره من القطار، أراد تناسقها، و مراد الشّاعر كسوفها، لأنّها متناسقه فى الخصب و الجدب. و كان على كل حال، و كسوفها ذهاب نورها لشدّه الزّمان و ذلك لما يعرض فى الهواء من الكدر و لا يجلوه، قال أبو الطمحان القتبى: تذكر حميرا وردت عيونا.

و تراها نجوم الأخذ فى حجراتهاو تنهق فى أعناقها بالجداول

و قال أبو حنيفه: أول ما تبتدءون به من المنازل الشّرطان، و لما كانت العرب تقدّم الشّتاء كان أول أنوائها مؤخّر الدلو، و هو الفرع المؤخر، و نوؤه محمود الوقت، عزيز الفقد، و هو أوّل الوسمى، ثم بطن الحوت و هو الذى يسمّيه الرّشاء و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه.

و اعلم أنّ المنازل تبدو للعين منها فى السّماء أبدا نصفها، و هو أربعه عشر، و كذا البروج يبدو نصفها، و هو سته لأنه كلّما غاب واحد منها طلع من المشرق رقيبه و سقوط كلّ منزل فيه ثلاثه عشر يوما سوى الجبهه، فإنّ لها أربعه عشر يوما لأنّها خصّت باللّيله الباقيه من أيّام السّنه الثّلاث مائه و الخمسه و الستين، و فضلت بذلك على سائرها، لغزاره نوئها، و كثره الانتفاع بها، و يكون انقضاء الثمانيه و العشرين، و انقضاء الاثنى عشر مع انقضاء السنه.

١- شخص النجم: طلع.

و لمّا كانت السّنه أربعه أجراء صار لكلّ ربع منها سبعه منازل، و هى الأنواء و أسماؤها: الشّرطان- البطين- الثّريا- الدّبران- الهقعه- الهنعه- الذّراع- النّثره- الطّرف(١)- الجبهه- الزّبره- الصّرفه- العوّاء- السّماك الأعزل- الغفر(٢)- الزّبانى- الإكليل- القلب- الشّوله- النّعائم- البلده- سعد الذّابح- سعد بلع- سعد السّعود- سعد الأخبيه- الفرغ الأوّل- الفرغ الثانى- الرّشا(٣)- فهذه ثمانيه و عشرون نجما هنّ أمهات المنازل.

قال أبو حنيفه: و قد يعدّون معها نجوما أخر إذا قصر القمر أحيانا عن هذه المنازل نزل ببعض تلك، و ذلك لأنّ القمر لا يستوى سيره فيها، لأنّك تراه بالمنزل ثم تراه و قد حلّ به فى الشّهر الآخر، فتجد مكانيه مختلفين فيه، إذا أنعمت حفظه و ضبطه، و لهذه العله يخلطونها بالمنازل، حتّى ربّما جعل لبعضها فى الأنواء حظّا.

(١) أمّا الشّرطان فهما كوكبان على أثر الحوت مفترقان شمالى و جنوبى بينهما فى رأى العين قدر ذراع، و إلى جانب الشّمالى منهما كوكب صغير ذكر أنّهما به سميّت الأشراط، و الواحد منهما شرط متحرك، و قد ذكر عن العرب شرط بالإسكان قال كثيّر فى جمعهما شعرا:

عواد من الأشراط و طف نقلهاروائح أنواء الثّريّا الهواطل

و قال الكميت فى الإفراد:

من شرطى مرتعن تجلّلت عزال بها منه بتجاجه سحل

و ليس يمنع تحريكه فى النّسبه من أن يكون الواحد شرطا بإسكان و إذا نسبت إليها لم ينسب إلّا بالجمع أو الإفراد، فأمّا مثنّى فلم نجدهم قالوا شرطاى. قال العجّاج فى الجمع:

من باكر الأشراط أشراطى

. و هذا قليل.

قال الشيخ: الجمع قد نسب إليه إذا جعل علما أو أجرى مجرى العلم، فالعلم كقولهم: كلابى و أنمارى و مداينى و ما أجرى مجرى العلم أشراطى، قال و يقولون: الشّرطان قرنا الحمل، و يسمّونها النّطح أو النّاطح، و بين يدى الشّرطين كوكبان شبيهان بالشّرطين، يقال لهما الأنثيان. قال أبو حنيفه: ذكر الرواه أنّ العرب تجعلهما مما يقصر القمر، فينزل به و يجعلون لهما فى الأنواء حظا.

١- بعضهم يسمّيها الطّرفه.

٢- الغفره.

٣- منهم من يسميه: بطن الحوت.

(۲) و أمّا البطين فتلقبه كواكب خفيّه كأنها نقط الشاء، و هو على أثر الشّـرطين بين يدى الثّريا، و قد يتكلمون به مكبرا، فيقولون: البطن، و يزعمون أنّه بطن الحمل.

(۳) و أمّـا الثريا فهى النّجم لا يتكلمون بها مكبره، و هى تصـغير ثروى، مشـتقّا من الثّروه، و كأنه تأنيث ثروان، و النّجم كالعلم له يقال له: طلع النّجم، و غاب النّجم و أنشد للمرار شعرا:

و يوم من النّجم مستوقديسوق إلى الموت نور الظّبا

و قال شعرا:

إن النّجم أمسى مغرب الشّمس طالعاو لم يك فى الآفاق برق ينيرها

قال الشـيخ: هـذا كما اشـتهر عبـد اللّه بابن عباس و صار كالعلم له، و كان له إخوه، قثم و غيره، فلم يشـتهروا به، و يقولون: الثريا إليه الحمل.

(۴) و أما الدّبران فالكوكب الأحمر الذى على أثر الثّريا بين يديه كواكب كثيره مجتمعه من أدناها إليه كوكبان صـغيران يكادان يلتصقان، يقول الأعراب: هما كلباه، و البواقى غنمه، و يقولون: قلاصه، قال ذو الرمه شعرا:

وردت اغتشافا و الثّريا كأنّهاعلى قمّه الرّأس ابن ماء محملق

يدفّ على آثارها دبرانهافلا هو مسبوق و لا هو يلحق

لعشرين من صغرى النّجوم كأنّهاو إيّاه فى الخضراء لو كان ينطق

قلاص(۱) حداها راكب متعمّم

إلى الماء من قرن التّنوفه مطلق

قرن التنوفه أعلاها- و المطلق الذى يطلب ليله الماء و بعده القرب للورد، و يسـمّى دبرانا لدبوره الثّريّا، كما قيل: إيبان و صـميان، و سـمّى تـالى النجم، و تـابع النّجم. و قـد يطلق فيقـال: التابع، و يقال أيضا حادى النّجم، و من أسـمائه المجـدح بالضمّ و الكسر فالضمّ حكاه الشيبانى، و الكسر حكاه الأموى، و المنجّمون يسمّونه قلب الثّور و قولهم: الدّبران مما اختصّ و جرى مجرى العلم.

(۵) و أمّا الهقعه فهى رأس الجوزاء ثلاثه كواكب صغار مثفاه، و تسمّى الأثافى تشبّها بها.

حكى عن ابن عباس أنّه قال لرجل: طلّق عدد نجوم السّماء يجزئك منها هقعه

١- القلوص: الناقه الشّابه القويّه.

الجوزاء، و قد يقال للدّابره يكون الشّق الفرس الهقعه، و هى تكره، يقال فرس مهقوع.

(۶) و أمّا الهنعه: فكوكبان بينهما قيد سوط، و هما على أثر الهقعه و لتقاصرها عنها سمّيت الهنعه. و الذراع المبسوطه بينهما منحطه عنهما و يقال: أكمه هنعا إذا كانت قصيره، و تهانع الطّائر إذا كان طويل العنق فقصّرها.

و قال ابن كناسه: يقال للهنعه الزّرق الميسان، فإنّما ينزل القمر بالتّحايى و هى كواكب ثلاثه بإزاء الهنعه و الواحده منها تحياه.

(۷) و أمّا الذراع فهى ذراع الأسد المقبوضه، و للأسد ذراعان مقبوضه و مبسوطه، (فالمقبوضه) منهما هى اليسرى، و هى الجنوبيه، و بها ينزل القمر و سمّيت (مقبوضه) لتقدّم الأخرى عليها، و المبسوطه منهما هى اليمنى و هى الشّماليه، و كلّ صوره من نظم الكواكب فميامنها مما يلى الشّمال و مياسرها مما يلى الجنوب، لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيمانها، و الجنوب على أيسارها. و قد فهم ذلك القائل و النّجوم التى تتابع باللّيل و فيها ذات اليمين، ازورارها على أيمانها إطافه منها بالقطب.

و قال أبو حنيفه: أنت ترى الكوكب يدرأ من مطلعه من الأفق الشّرقى فلا يستقيم مضيئه إلى مقابل مطلعه من الأفق الغربى فى المنظر، و لكن تراه يتجانف إلى القطب، و لذلك قال الشاعر شعرا:

و عاندت الثّريا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

لأنّها تركت القصد فى المنظر، فذلك معاندتها، و علّه ذلك ما بيّنه الكميت فى قوله:

مالت إليه طلانا(۱) و استطيف به

كما تطيف نجوم اللّيل بالقطب

و أحد كوكبى الذراع المقبوضه هى الشّعرى الغميصاء، و هى تقابل الشّعرى العبور، و المجرّه بينهما و قد تكبر يقال الغمصاء، قال أبو عمر و هى الغميصاء و الغموص و يقال لكوكبها الأحمر الشّمالى المرزم، مرزم الذّراع و هما مرزمان هذا أحدهما، و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثن إذ أخفق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم فهذا المرزم هو الذى فى الذّراع، لأنّ مرزم الجوزاء لا نوء له، و ليست من المنازل، و قد ذكرا جميعا بالنّوء على ذكر الشّعريين و السّماكين. قال جدار:

۱- الطّلا: بالفتح ولد الظبى ساعه يولد، و الصغير من كل شى ء.

أحتبک جد المرزمین متی ینجدا بنوال تغوّرا

و قال ابن کناسه: الذّراع المقبوضه بأسرها هی المرزم.

و حکی مثل ذلک عن الغنوی، و من أحادیثهم: کان سهیل و الشّعریان مجتمعه فانحدر سهیل فصار یمانیا، و نعته العبور عبرت إلیه المجره و أقامت الغمیصاء فبکت لفقد سهیل، حتی غمصت، و الغمص فی العین ضعف و نقص، و قالوا: ربّما عدل القمر فزلّ بالذّراع المبسوطه.

(۸) و أمّا النثره فثلاثه کواکب متقاربه، أحدها کأنه لطحه، یقولون: هی نثره الأسد، أی أنفه، قال ذو الرّمه شعرا:

مجلجل الرّعد عراصا إذا ارتجست نوء الثّریا به أو نثره الأسد

أنث: فعل النوء و هو ذکر، لأنه أضافه إلی الثّریّا، و لیس بمنفصل منها، و یسمّی اللّطحه اللّهاه. و قال الآخر:

فهدّم ما قد بنته الیدان حولین و الأنف و الکاهل

و ذکر الهدم و البناء هاهنا کقول الآخر:

علی کلّ موّاز الملاط تهدّمت عریکته العلیاء و انضمّ حالبه(۱)

رعته الفیافی بعد ما کان حقبهرعاها و ماء الرّوض ینهلّ ساکبه

فأضحی الغلاقد جدّ فی برء قصبه و کان زمانا قبل ذاک یلاعبه

(۹) و أمّا الطّرف: فکوکبان یبتدئان الجبهه بین یدیها یقولون: هما عین الأسد.

(۱۰) و أمّا الجبهه: فجبهه الأسد، قال: إذا رأیت انجما من الأسد جبهه أو الخراه و الکتد، و هی أربعه کواکب خلف الطّرف معترضه من الجنوب إلی الشّمال، سطرا معوجا، و بین کلّ کوکبین منها قبس الذّراع، و الجنوبی منها هو الذی یسمّیه المنجّمون: قلب الأسد.

(۱۱) و أمّا زبره الأسد: فهی کوکبان علی أثر الجبهه، بینهما قید سوط و الزّبره کاهله، و فروع کتفیه، و یسمّیان الخراتین الواحده خراه.

(۱۲) و أمّا الصّرفه فکوکب واحد نیّر علی أثر الزّبره، یقولون: هو قنب الأسد، و القنب وعاء القضیب، و سمیّت صرفه لانصراف الحر عند طلوعه غدوه، و انصراف البرد عند سقوطه غدوه.

١- لأبى تمام حبيب بن أوس الطّائى.

(۱۳) و أمّا العوّاء فإنّ ابن كناسه جعلها أربعه أنجم، و هى خمسه لمن شاء و من شاء ترک واحدا إلا أنّ خلقتها خلقه كتاب الكاف غير مشقوقه، و ليست نيّره و هى على أثر الصرفه، و زعم أبو يحيى أنها سميّت العوّاء بالكوكب الرّابع الشّمالى منها، و إذا عزلت عنها هذا الكوكب الرّابع كانت الباقيه مثفاه الخلقه و هم يجعلون العوّاء و ركى الأسد، و أحسب هؤلاء تأوّلوا اسمها، و المحاش حشوه البطن و العوّاء تمد و تقصر، قال الرّاعى:

و لم يسكنوها الجزء حتّى أظلّهاسحاب من العوّا و ثابت غيومها

و يقال لها عوّاء البرد، يزعمون أنّها إذا طلعت أو سقطت أتت ببرد.

(۱۴) و أما السّماك فهما سماكا الأعزل، و القمر ينزل به و لا ينزل بالآخر و هو الرّامح و سمّى رامحا لكوكب صغير بين يديه يقال له: رايه السّماک و به سمّى رامحا، و يسمّى الآخر الأعزل، لأنه لا شی ء بين يديه كأنه لا سلاح معه و قال كعب بن زهير شعرا:

فلمّا استدار الفرقدان زجرتهاو هبّ سماک ذو سلاح و أعزل

و قال الطّرمّاح:

محاهن صيب نوء الرّبيع من الأنجم العزل و الرّامحه

و هم يجعلون السّماكين ساقى الأسد، و أحد السّماكين جنوبى، و هو الأعزل و الآخر و هو الرّامح شمالى، و قال ابن كناسه: ربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد، و هى أربعه كواكب، بين يدى السّماك الأعزل، منحدره عنه فى الجنوب، و هى مربعه على صوره النّعش، و يقال لها: عرش السّماک، و تسمّى أيضا الأحمال، و تسمّى الجناء، و هم يجعلون لها حظا فى الأنواء، قال ابن أحمر يصف ثورا:

باتت عليه ليله عرشيهشربت و بات إلى نعى متهدّدا

شربت لجت، و المتهدّد المتهدّم، لا تماسک لمحضره و كان المنجّمون يسمّون السّماک الأعزل السّنبله لسموكه، سمّى سماكا و إن كان كلّ كوكب قد سمک فهو كقولهم الدّبران.

(۱۵) و أمّا الغفر: فثلاثه كواكب بين زبانى العقرب، و بين السّماک الأعزل خفيه على خلفه العوّاء. قال ذو الرّمه:

فلمّا مضى نوء الثّريّا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

و العرب تقول خير منزله فى الأيد بين الزّبانى و الأسد، يعنون الغفر، لأنّ السّماک

عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: يليه من الأسد ما لا يضر الذّنب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و يليه من العقرب ما لا يضر الذنابى يدفع عنه الحمه.

(۱۶) و أمّا الزّبانى و هما زبانيا العقرب: أى قرناه، و هما كوكبان مفترقان بينهما فى المنظر أكثر من قامه الرجل، و يقال لهما: زبانى الصّيف لأنّ سقوطهما فى زمان الحر، قال ذو الرمه:

يا قد زفت للزّبانى من بوارحهاهيف أنست بها الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الواحد صنع، و الخبر جمع خبره و هى أرض يكون بها السّدر، و يدوم فيها الماء يريد أن ريّاح الزّبانى أنضبت المياه، و قيل: يسمّى أهل الشام زبانى العقرب يديها.

(۱۷) و أمّا إكليل العقرب رأسها، و هى ثلاثه كواكب معترضه بين كل كوكبين قيد ذراع، قال جران:

العود بمطرقين على مثنى أيامنهم راموا النّزول و قد غار الأكاليل

جعل كلّ كوكب منها إكليلا.

(۱۸) و أمّا القلب، قلب العقرب و الكوكب النّير الأحمر الذى وراء الإكليل سيره كوكبان، و هم يستحسنونه. قال شعرا:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالنّحوس و بالسّعد

(۱۹) و أمّا الشّوله فإبره العقرب، كذلك يسمّيها أهل الشّام، و هى كوكبان مضيئان صغيران متقاربان فى طرف ذنب العقرب، و قالوا: ربما قصر القمر فنزل بالغفار فيما بين القلب و الشّوله. و الغفار أحد كواكب ذنب العقرب، يجعلون كلّ كوكب منها فقره، و هى ستّ فقر، و السّابعه الإبره. قال ابن كناسه: الشّوله التى ينزل بها القمر: حذاء القلب فى حاشيه المجره، و ليس هناك شوله، و لكنّ القمر إنّما ينزل بالشّوله على المحاذاه و لا ينحط إليها لأنّها منحدره عن طريقته و هاهنا يقطع القمر المجره إذا هو فارق العقرب، و مضى نحو السّعود لأنّ المجره تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم، منقطع نظام المنازل فى هذا الموضع.

و فى موضع آخر و هما بين الهقعه و الهنعه، لأنها تسلك أيضا بينهما فيعترض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا أيضا يقطع القمر و سائر الكواكب المحاذيه للمجرّه، و ذلك حين ينحدر عن غايه تعاليها إلى ذروه القبه فى الهبوط، فأمّا قطعها إياها عن السّعود فذلك حين

يبتدئ الصّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشّوله شوله الصّوره، و هى منغمسه فى المجره.

(۲۰) و أمّا النّعائم فثمانيه كواكب، أربعه فى المجره و هى النّعائم الوارده، و أربعه خارجه عن المجره و هى النّعائم الصّادره، و هى منحدره، و كلّ أربعه منها على شبه بالتّربيع، و فوقها كوكب إذا تأمّلته مع كوكبين من النّعائم الوارد شبهتها به قبه، و إنّما قيل: واردا لشرعه فى المجره، و قيل: الصّادر لمجيئه عنها.

(۲۱) و أمّا البلده فرقعه من السّماء لا كوكب بها بين النّعائم و بين سعد الذّابح، ينزلها القمر، و يقولون: ربّما عدل القمر أحيانا فنزل بالقلاده و هى سته كواكب صغار، خفيه فوق البلده، مستديره تشبه بالقوس، و يسمّيها العامه القوس و يسمّى موضع النّعائم الوصل.

(۲۲) و أمّا سعد الذّابح: فكوكبان غير نيّرين، و كذلك السّعود كلّها و بينهما فى رأى العين قيس الذّراع و (ذبحه) كوكب صغير قد كاد يلزق بالأعلى منها، تقول الأعراب: هو شاته التى تذبح. قال الطّرماح شعرا:

ظعائن شمن قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

قريحه: أوّله.

(۲۳) و أمّا سعد بلع: فنجمان نحو من سعد الذّابح أحدهما خفى جدا، و هو الذى بلعه أى جعله بلعا كأنه مسترط(۱)، و ذكر أنه سمّى بلعا لأنه طلع حين قيل: يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ [سوره هود، الآيه: ۴۴] و هذا لست أدرى ما هو.

(۲۴) و أمّا سعد السعود: فكوكبان أيضا نحو من سعد الذّابح، و سمّى سعد السّعود بالتّفضيل عليهما، و لأن الزّمان فى السّعدين اللّذين قبله قسا، و طلوع سعد السّعود يوافق منه لينا فى برده، قالوا: و ربما قصر القمر، فينزل بسعد باثره، و هو أيضا كوكبان أسفل من سعد السّعود. قال الكميت شعرا:

و لكن بنجمك سعد السّعودطبقت أرضى غيثا درودا

(۲۵) و أمّا سعد الأخبيه: فثلاثه كواكب متحاذيه، فوق الأوسط منها كوكب رابع، كأنها به فى التمثيل رجل بطّه.

و قيل: إنّ السّعد منها واحد، و هو أنورها و إنّ الثلاثه أخبيه، و قيل: سمّى بالأخبيه لأنه

۱- فى القاموس سرط كنصر و فرح سرطا و سرطانا محركتين ابتلعه كاسترطه و تسرطه. ۱۲- القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

إذا طلع انتشرت فخرج منها ما كان مختبئا فى البرد، لأنّ طلوعه فى وقت الدّفاء، و السّعود متناسقه بعضها على إثر بعض.

(۲۶) و أمّا الفرغ الأول: فهو فرغ الـدّلو، و الـدّلو أربعه كواكب مربعه واسعه، بين كل كوكبين قدر قامه الرّجل، أو أكثر فى رأى العين، فهم يجعلون هذه الكواكب الأربعه عراقى الدّلو. قال عدى بن زيد فى خريف شعرا:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و فرغ الدّلو: مصبّ الماء من بين العراقى و قد يقولون لهما العرقوه العليا و العرقوه السّفلى. قال: (قد طال ما حرمت نوء الفرغين).

(۲۷) و أمّا الفرغ الثانى: و هو العرقوه السّفلى فكمثل الفرغ الأول، و قـد يقال للفرغ الأول: ناهزا الدّلو المقدمان و للفرغ الأسـفل: ناهزا الدّلو المؤخّران. و النّاهز الذى يحرك الدّلو ليمتلئ، و قالوا: يقصر القمر أحيانا فينزل بالكرب، و الكرب الذى وسط العراقى الأربع، و الكرب من الـدّلو ما شـدّ به الحبل من العراقى. و قالوا: ربما نزل ببلـده الثّعلب، و هو بين الـدّلو و السّـمكه من عن يمين المرفق.

(۲۸) و أمّـا الرّشـاء و هو السـمكه: فكواكب فى مثـل حلقه السّـمكه، و فى موضع البطن منهـا من الشّق الشّـرقى نجم منير ينزل به القمر يسمّونه بطن السّمكه. و المنجّمون يسمّونه:

قلب الحوت. و يقـال لمـا بين المنـازل: الفرج. فإذا قصـر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها فنزل بالفرجه، بينما اسـتحبّوا ذلك إلّا الفرجه التى بين الثّريّا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستخشونها، و يقال لها الضيّقه(۱). قال:

فهلّا زجرت الطيّر ليله جئته تضيّقه بين النّجم و الدّبران

و سـميّت ضـيقه لضيقها عندهم، فإنّهم يتواضعون قصر ما بين طلوع النّجم و طلوع الدّبران. ذكر عن يزيد بن قحيف الكلابى، أنّه قال: ما بينهما إلا سبعه أيام و إنّما هذا نحو نصف ما قدر لما بين المنزلين.

قال أبو حنيفه: فهـذا ما حكى لنا، و أمّا نحن فلم نجـدها أقصـر المنازل كلّها مده فى الطّلوع، و لا فرجه فى المنظر، و أنّ الذى نير الطّرف و الجبهه لأقلّ من ذلك و لكن قد وجدناهما فى الغروب عندهم متقاربين جدا، حتّى لا نكاد نثبت بينهما شيئا ما هو الآن إلا أن يسقط النّجم، فما يستقيم السّقوط حتّى يسقط الدّبران و أحسب الذى اشتهر أمرهما فى

۱- الضيقه منزل للقمر- قاموس.

هـذا البـاب حتى يوصـفا من بين المنـازل كلّهـا شـهرتهما و كثره اسـتعمالهم إيّاهما، و لا سـيما النّجم، فإن تفقـدهم له شديـد، و ذكرهم إيّاه كثير، و إذا لم يعـدل القمر عن المنزل قيـل: كالـح مكـالحه و المكـالحه: مثـل المكافحه كأنه إذا لاقاه دافعه من غير حاجز بينهما.

فصل فی بيان الاختلاف الواقع بين العرب فی أوقات الأنواء و الكلام فی الضّيقه

قال أبو الحسـين الصّوفی هذا الذی يذكرونه فی الضّـيقه و أنّ القمر ربما قصـر فنزل بها غلط، لأنّ كواكـب الثّريّا فی خمس عشره درجه من الثّور، و هذان الكوكبان فی أربع و عشرين درجه و نصف منه، و بين الثّريّا و بينهما نحو تسع درجات، و أبطأ ما يكون سير القمر فی يـوم و ليلـه، و أبعـده نحـو إحـدى عشـره درجـه، و إنّمـا سـمّيت الفرجه الـتی بين الثّريّا و الـدّبران الضّـيقه، لأنـهم يسـتعملون طلوعها و سـقوطها فی المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها، و ظهورها من تحت الشّـعاع، و رقيب كلّ واحد منهما هو الخامس منه، و لا يسـتعملون طلوعهما. و وسط الثّريّا فی خمس عشره درجه من الثّور و الدّبران فی خمس و عشرين درجه منه و بينهمـا بـدرجات البروج عشـر درجـات، لكنّ عرض الثّريّا فی الشـمال عن درجتهـا أربع درجـات و دقائق. و عرض الـدّبران فی الجنوب خمس درجات.

و من شأن الكواكـب الشّـماليه أن تطلع قبل طلوع درجتها و تغيب بعـد مغيب درجتها، و الجنوبيّه تطلع بعد طلوع درجتها، و تغيب قبـل مغيب درجتها، فتطلع الثّريّا كـذلك مع ثلاث عشـره درجه من الثّور بالتّقريب و يطلع الـدّبران مع سـبع و عشـرين درجه منه، فيكون بين طلوع الثّريّا و طلوع الـدّبران أربع عشـره درجه بـالتّقريب، و تغيب الثّريـا مع سـبع عشـره درجه من الثّور لاـ تغيب بعد درجتهـا. و يغيب الـدّبران مع ثلاـث و عشـرين درجه منه، لأـنّه يغيب قبـل درجه، فيكون بين مغيب الثّريّا و مغيب الـدّبران ست درجات بدرجات البروج.

فلمّا وجدوا بين غروب الثّريّا و غروب الدّبران هذا القدر، سمّوا الفرجه بينهما بضيقه، و استخشوها و استخشوا الدّبران أيضا مفردا و تشـاءموا به حتى قالوا: إنّ فلانا أشأم من حادی النّجوم، و يتشاءمون أيضا بالمطر الـذی يكون بنوءه و يزعمون أنّهم لا يمطرون بنوء الدّبران إلّا و تكون سنتهم جدبه.

قال أبو زيـد و قطرب جميعا: و هذه حكايه عن القشـريين، قالوا: أوّل المطر الوسـمی، و أنواؤه العرقوتان، المؤخّرتان من الدلو ثم الشّرط بتسكين الراء ثم الثّريّا و بين كلّ نجمين نحو من خمس عشره ليله ثم الشّتوی بعد الوسمی و أنواؤه الجوزاء ثم الذّراعان و نثرتهما ثم الجبهه و هو آخر الشّتوی و أوّل الدفی ء، ثم الدفی ء و أنواؤه آخر الجبهه، ثم الصّرفه و هی

فصل بين الدّفى ء و الصّيف و أنواؤه السّماكان الأوّل الأعزل و الآخر الرّقيب، و ما بين السّماكين صيف أربعين ليله. ثم الحميم و هو نحو من خمس عشره ليله إلى عشرين عند طلوع الدّبران و هو بين الصّيف و الخريف و ليس له نوء. ثم الخريف و أنواؤه النّسران، ثم الأخضر ثم عرقوتا الدّلو الأوليان و لكل مطر من الوسمى إلى الدّفى ء ربيع.

و إنّما هذه الأنواء فى غيبوبه هذه النّجوم. قالوا: فأوّل القيظ طلوع الثّريّا و آخره طلوع سهيل. و أوّل الصفريّه طلوع؟ و آخره طلوع السّماك. و فى أول الصّفريه أربعون ليله يختلف حرّها و بردها، و تسمّى المعتدلات. ثم أوّل الشّتاء طلوع السماك و آخره وقوع الجبهه، و أوّل الدفى ء وقوع الجبهه و آخر الصّرفه، و أول الصّيف السّماك الأعزل و هو الأول و آخر الصّيف السّماك الآخر، الذى يقال له الرّقيب، و بينهما أربعون ليله أو نحوها انتهت الحكايه.

قال ابن كناسه: أعلم العرب بالنّجوم بنو ماريه من كلب، و بنو مره بن همام من بنى شيبان، و ذكر عنهم أنّ أول الأنواء الدّلو، و نوؤه محمود، و هو أوّل الوسمى ثم بطن الحوت و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه، ثم الشّرط محرك الراء و يثّنى و يجمع عرفها يونس و غيره و قال:

و لا روضه غنّاء غضّ نباتهايجود بشتياها لها الشّرطان

و قال العجّاج فى الجمع:

من باكر الأشراط أشراطى من الرّبيع انقضّ أو دلوى

و قال ذو الرمه:

قرحاء حواء أشراطيه و كفت فيها الرّباب و حفّتها البراعيم

قوله: حواء يريد هى من الخضره سوداء، و جعلها قرحاء لأنوارها، جعلها كقرحه الفرس، و نوؤه محمود. ثم البطن و بعضهم يقول: البطين و نوؤه غير محمود، و لا مذكور، ثم الثّريّا و نوؤه مقدّم فى الحمد، و روى عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «إذا طلعت الثّريّا ارتفعت العاهه». و لذلك لا يقبل بالحجاز قول من ادّعى عاهه فى ثمره اشتراها بعد طلوع الثّريّا. ثم الدّبران و هو مكروه النّوء؛ ثم الهقعه و لا يذكر نوؤه منفردا، فهذه منازل كلّ الوسمى و هى خمسه فليس قبل الفرغ المؤخر وسمى، و لا بعد الثّريّا وسمى، و هى أوّل أنواء الخريف.

و سمّوا النّوءين الباقيين وليا، و هما الدّبران و الهقعه.

ثم أوّل الرّبيع و أنواؤه سبعه: الأربعه الأولى شتيه و هى الهنعه و نوؤه لا يذكر، و الذّراع و نوؤه مقدم مذكور، و النثره و نوؤه محمود، و الطّرف و نوؤه لا يفرد بالذكر، و الثّلاثه الباقيه

دفیئه، و یقال الدثیه و هما بمعنی کما یقال اللغام و اللثام، و سمیّت بذلک لأنها فی دبر الشّتاء.

و ابتداء الدف ء و هی الجبهه و نوؤها من أذکر الأنواء و أشهرها و أحبّها إلیهم و أعزّها فقدا.

و الزّبوه و قلّما یفرد نوؤه، و الصّرفه و غلبت أنواء الأسد علیها و إنما سمّیت صرفه لانصراف الشّتاء فهذه منازل کلّ الرّبیع.

ثم الصّیف و أنواؤه سبعه: فالخمسه الأولی منه صیف، و النوءان الآخران الباقیان حمیم و سمّی حمیما لأن أمطارها تجی ء و قد تحرک الحر، فأوّلها العوّاء و بعض العرب یمدّه فیقول العواء، و نوؤها لیله. ثم السّماک و نوؤه من الأنواء المذکوره المحموده، و لذلک قال الشاعر: أجش سماکی کان ربابه، ثم الغفر و لا یذکر نوؤه و قیل لا یعدم نوؤه. ثم الزّبانی، ثم الإکلیل، ثم القلب، ثم الشّوله و أربعتها لا تذکر أنواؤها، و ربما ذکرت العرب مجمله، فهذا کلّه الصّیف.

ثم الخریف: و هو فصل القیظ و أنواؤه سبعه و الأربعه المتقدّمه رمضیّه و شمسیّه لشدّه الحر، و الثّلاثه الباقیه خریفیه، و أول أمطاره فی کلام أهل الحجاز و تمیم الحمیم، فأوّله النعائم- ثم البلده- ثم سعد الذّابح- ثم سعد بلع- ثم سعد السّعود- ثم سعد الأخبیه. و هذه السّته لا ذکر لأنوائها و لا مبالاه لأخواتها. و سمّیت خریفیّه لأنّها تجی ء و الثّمار تخترف فی أیّامها. ثم مقدم الدّلو و نوؤه من الأنواء المشهوره و یقال: الفرغ المقدّم أیضا لأنّها مقدّمه ما بین الوسمی و موطئ له و فرط، فهذه منازل کلّ الحمیم.

و بعد هذه الأربعه سته سعود متناسقه فی جهه الدّلو، و لیست هی من المنازل. أوّلها سعد ناشره و هو أسفل من سعد الأخبیه و یطلع مع الشّرطین. ثم سعد الملک، ثم سعد الهمام، ثم سعد البارع، ثم سعد مطر، و کلّ سعد منها کوکبان فی رأی العین قدر ذراع کنحو ما بین سعود المنازل.

فصل و اعلم أنّ ما ذکرته من الطلوع و الغروب یختلف فیهما أحوال البلدان

فربّما طلع النّجم ببلد فی وقت و طلع فی غیر ذلک البلد، فی وقت آخر، إمّا قبله و إمّا بعده بأیام، فهذان النّسران و هما النّسر الواقع، و قلب العقرب یطلعان معا بنجد، و یطلع النّسر الواقع علی أهل الکوفه، قبل قلب العقرب بسبع. و یطلع قلب العقرب علی أهل الدّبره قبل النّسر بثلاث، و ربما طلع النّجم ببلد و لم یطلع ببلد آخر کسهیل، فإنّه یظهر بأرض العرب و بالیمن و لا یری بأرمینیه، و بین رؤیته بالحجاز و رؤیته بالعراق بضع عشره لیله، و بنات نعش تغرب بعدن و لا تغرب بأرمینیه.

قال أبو محمد القتبى: بلغنى أنّ كلّ بلد جنوبى فالكواكب اليمانيه فيه تطلع قبل طلوعها فى البلد الشّمالى. و كلّ بلد شمالى فالكواكب الشّاميه فيه تطلع قبل طلوعها فى البلد الجنوبى، و فى الكواكب الشّاميه ما يكون فى اللّيله الواحده غروب من أوّلها فى المغرب، و طلوع من آخرها فى المشرق كالعيّوق و السّماك الرّامح و الكفّه و العوائذ و النّسر الواقع و الغوارس و الرّدف و الكف الخضيب، و مددها فى ذلك تختلف، فمنها ما يرى كذلك أيّاما و منها ما يرى شهرا و منها ما يرى أكثر من شهر.

و إذا نزل القمر فى استوائه ليله أربع عشره، و ثلاث عشره بمنزل من المنازل فهو سقوط ذلك المنزل، لأنّ القمر يطلع من أوّل المشرق ليله أربع عشره مع غروب الشمس، و يغيب صبحا مع طلوع الشّمس، فيسقط ذلك النّجم الذى كان نازلا به. و قال ابن الأعرابى بين طلوع الثّريا مع الفجر و بين عوده إلى مثله ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، فالقمر ينزل بها ثم بسائر المنازل يأخذ كلّ ليله فى منزل، فذلك ثمانيه و عشرون منزلا ينزل بها القمر إذا كان كريتا، و يعود للنّجم الذى استهلّ به لتسع و عشرين، و إذا كان حثيثا تخطرف منزله و الكريت: التّام، و الحثيث: الناقص، و ينزل لثمان و عشرين ليله بمستهله، فمن ثم صار ما بين حول الأهلّه و بين حول طلوع الثّريّا مع الفجر إلى مثله فصل أحد عشر يوما و ربع يوم. قال و الخطر فيه أن يجعل الخطوتين خطوه، و المنزلتين منزله، فربما استسر ليله، و ربما استسر ليلتين أو نحوهما.

الباب السّابع فى تحديد سنىّ العرب و الفرس و الرّوم و أوقات فصول السّنه

قد عرفتك فيما تقدم أنّ العرب تبدأ بالشّتاء بعد أن تجعل السّنه نصفين شتاء و صيفا ثم يقسم الشّتاء نصفين فتجعل الصّيف أوّله و القيظ آخره و أنّها تفارق سائر الأمم فى تحديد الأوقات، فأوّل وقت الرّبيع الأوّل عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول، و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسه أيام، تخلو من حزيران، و الخريف عندهم اسم للمطر الذى يأتى فى آخر القيظ من دون الزّمان. و ذكر المراد الفقعسى أنّه يكون حلول الشّمس بأعلى منازلها فى شده الحر، و ذلك إذا حلّت بأول السّرطان فقال شعرا:

إذا طلعت شمس النّهار فإنّهاتحلّ بأعلى منزل و تقوم

يريد أنّ الشّمس فى منتهى صعودها فى القيظ، فإذا طلعت حلّت بأوّل منها، و إذا انتصفت قامت على قمه الرأس. و هذا يدل على معرفتهم بحلول الشّمس رءوس الأرباع، و إن كان حساب فصولهم على غير ذلك.

و أمّا أصحاب الحساب فيحدّون فصول السّنه بحلول الشّمس بنجم من هذه النّجوم الثمانيه و العشرين، و يجعلون لكلّ زمان من الأزمنه الأربعه سبعه أنجم منها. و يبدءون من الأزمنه بالفصل الذى تسمّيه العامه: الرّبيع و هو عند العرب الصّيف، و نجوم هذا الفصل الشّرطان و البطين و الثّريّا و الدّبران و الهقعه و الهنعه و الذّراع، و الشّمس تحل بالشّرطين بالغداه لعشرين ليله تخلو من آذار فتسترهما و تستر المنزل قبلهما، فلا يزال الشّرطان مستورين بها إلى أن يطلعا بالغداه، لستّ عشره ليله تخلو من نيسان فيكون بين حلول الشّمس بها و طلوعها سبع و عشرون ليله.

و إذا حلّت الشّمس برأس الحمل اعتدل اللّيل و النّهار، فصار كلّ واحد منهما اثنتى

عشره ساعه يوما واحدا و ليله واحده، ثم يزيد النّهار و ينقص اللّيل إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك بعد أربع و تسعين ليله من وقت اعتدالهما فينتهى طول النّهار، و ينتهى قصر اللّيل، و ينقضى فصل الرّبيع، و يدخل الفصل الذى يليه و هو الصّيف، و دخول الصّيف بحلول الشّمس برأس السّرطان و نجومه النّثره و الطّرف و الجبهه و الزّبره و الصّرفه و العوّاء و السّماك.

ثم يأخذ اللّيل فى الزّياده و النّهار فى النّقصان إلى ثلاث و عشرين تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل اللّيل و النّهار ثانيه و يكون كلّ واحد منهما اثنتى عشره ساعه، يوما واحدا و ليله واحده، و ينقضى فصل القيظ و يدخل فصل الخريف، و دخول فصل الخريف بحلول الشّمس رأس الميزان و نجومه الغفر- و الزّبانى- و الإكليل- و القلب- و الشّوله- و النّعائم- و البلده.

ثم يأخذ اللّيل فى الزّياده و النّهار فى النّقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول واحد و عشرون يوما، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول اللّيل و ينتهى قصر النّهار، و ينقضى فصل الخريف، و دخول فصل الشّتاء بحلول الشّمس رأس الجدى و نجومه: سعد الذّابح- و سعد بلع- و سعد السّعود- و سعد الأخبيه- و الفرع المقدّم و الفرع المؤخر- و بطن الحوت-. و يأخذ النّهار فى الزّياده و اللّيل فى النّقصان إلى أن تعود الشّمس إلى رأس الحمل و يعتدل اللّيل و النّهار، و ينقضى فصل الشّتاء و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع، فجميع أيام السّنه على هذا العدد ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع، لا يتغيّر و لا يزول على مرّ الدّهر.

و قد بيّنا فيما مضى أنّ السيارات سبعه و أخبرنا أنها هى التى تقطع البروج و المنازل فهى تنتقل فيها مقبله و مدبره، لازمه لطريق الشّمس أحيانا و ناكبه عنها أحيانا، إمّا فى الجنوب و إمّا فى الشّمال، و لكلّ نجم منها فى عدوله عن طريقه الشّمس مقدار إذا هو بلغه عاود فى مسيره الرّجوع إلى طريقه الشّمس، و ذلك المقدار من كلّ نجم منها مخالف لمقدار النّجم الآخر.

فإذا عزلت هذه النّجوم السّبعه عن نجوم السّماء سمّيت الباقيه كلّها ثابته، تسميه على الأغلب من الأمر لأنّها و إن كانت لها حركه مسير فإنّ ذلك خفى يفوت الحس، إلّا فى المدّه الطّويله، و ذلك لأنّه فى كلّ مائه عام درجه واحده فلذلك سمّيت ثابته.

و اعلم أنّ الطّلوع و الغروب، و تفصيل اللّيل و النّهار، و المشارق و المغارب قد قال اللّه تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [سوره الرّحمن، الآيه: ۱۷] و

بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [سوره المعارج، الآیه: ۴۰] و المشرقان مشرقا الشّتاء و الصّیف، و کذلک المغربان مغرباهما، و المشارق مشارق الأیام، و هی جمیعا بین المشرقین، و کذلک المغارب هی مغارب الأیّام و هی بین المغربین، فمشرق الصّیف مطلع الشّمس فی أطول یوم من السّنه.

قال أبو حنیفه: و ذلک قریب من مطلع السّماک الرّامح، بل مطلع السّماک الرّامح أشدّ ارتفاعا فی الشّمال منه قلیلا. و کذلک مغرب الصّیف هو علی نحو ذلک من مغرب السّماک الرّامح، و مشرق الشّتاء مطلع الشّمس فی أقصر یوم من السّنه، و هو قریب من مطلع قلب العقرب، بل هو أشدّ انحدارا فی الجنوب من مطلع قلب العقرب قلیلا، و کذلک مغرب الشّتاء علی نحو ذلک من مغرب قلب العقرب. فمشارق الأیّام و مغاربها فی جمیع السّنه بین هذین المشرقین و المغربین.

فإذا طلعت الشّمس من أخفض مطالعها فی أقصر یوم من السّنه لم تزل بعد ذلک ترتفع فی المطالع، فتطلع کلّ یوم من مطلع فوق مطلعها بالأمس، طالبه مشرق الصّیف فلا تزال علی ذلک حتی تتوسّط المشرقین، و ذلک عند استواء اللّیل و النّهار فی الرّبیع، فذلک مشرق الاستواء، و هو قریب من مطلع السّماک الأعزل، بل هو أمیل منه قلیلا إلی مشرق الصّیف من مطلع السمّاک الأعزل.

ثم تستمرّ علی حالها من الارتفاع فی المطالع إلی أن تبلغ مشرق الصّیف الذی هو منتهاه، فإذا بلغته کرّت راجعه فی المطالع منحازه نحو مشرق الاستواء، حتّی إذا بلغته استوی اللّیل و النّهار فی الخریف، ثم استمرّت منحدره حتی تبلغ منتهی مشارق الشّتاء الذی هو منتهاه. فهذا دأبها، و کذلک شأنها فی المغارب علی قیاس ما بیّناه فی المطالع.

فأمّا القمر فإنّه یتجاوز فی مشرقیه و مغربیه مشرقی الشّمس و مغربیها، فیخرج عنهما فی الجنوب و الشّمال قلیلا، فمشرقاه و مغرباه أوسع من مشرقی الشّمس و مغربیها، و إذا أهلّ الهلال فی منزله من المنازل أهلّ فی الشّهر الثّانی فی المنزله الثّالثه، ثم لا یزال بعد مهلّه ینقل کلّ لیله إلی منزله، حتّی یستوفی منازله فی ثمان و عشرین لیله ثم یستسر، فلا یری حتی یهلّ.

فربما کان حلوله المنازل بالمقارنه لها إمّا بالمجامعه، و إمّا بالمحاذاه من فوقها أو أسفل منها، و ذلک المکالحه، یقال: کالح القمر و ربّما قصر و اقتحم فنزل بالفرج و الفرجه ما بین المنزلین، و یقال له الوصل أیضا، و هو یغیب فی لیله مهلّه فی أدنی مفارقته الشّمس لستّه أسباع تمضی من اللّیل.

ثم یتأخّر غروبه کلّ لیله مقدار ستّه أسباع حتّی یکون غروبه فی اللّیله السّابعه نصف

اللّيل، و فى ليله أربع عشره مع طلوع الشّمس، و يكون طلوعه فيها مع غروب الشّمس، و قد يتقدم ذلك أحيانا و يتأخّر على قدر تمام الشّهر و نقصانه ثم يتأخّر طلوعه كلّ ليله مقدار ستّه أسباع ساعه، حتّى يكون طلوعه ليله إحدى و عشرين نصف اللّيل، و يكون طلوعه ليله ثمان و عشرين مع الغداه.

قال أبو حنيفه: و كلّ هذا تقدير على مقارنه، و لا يكون أن يرى الهلال بالغداه فى المشرق بين يدى الشّمس و بالعشى فى المغرب خلف الشّمس فى يوم واحد و لا- يمكن ذلك، و لكن يمكن ذلك فى يومين، فأما فى ثلاثه فلا شك فيه، فإذا كان ذلك فى يومين فهو حين يستسر ليله واحده و إذا كان فى ثلاثه فهو حين يستسر ليلتين.

الباب الثّامن فی تقدیر أوقات التّهجّد التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه عن نبیّه و الصّحابه

و یبین ما یتصل بها من ذکر حلول الشّمس البروج الاثنی عشر قال تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] و قال ثعلب: یذهب العرب بالدّلوک إلی غیاب الشّمس و قول الشّاعر شعرا:

هذا مقام قدمی رباح غدوه حتّی ذهبت براح

یدل علی هذا و أصله أنّ السّاقی یکتری علی أن یستقی إلی غیبوبه الشّمس و هو فی آخر النهار یتبصّر هل غابت الشّمس، و قوله براح أی تجعل راحته فوق عینیه و یتبصّر، قال: و ما روی عن ابن عبّاس من أنه زوالها للشّمس یسلم للحدیث، و غسق اللّیل ظلمته، فإذا زادت فهی السّدفه، و قال تعالی لنبیّه صلی اللّه علیه و سلم: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآیه: ۷۹] قال أبو العباس ثعلب: قوله نافله لک: یرید لیس لأحد نافله إلّا للنّبی صلی اللّه علیه و سلم لأنه لیس من أحد إلّا یخاف علی نفسه، و النّبی صلی اللّه علیه و سلم قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فعمله نافله. فأمّا التّهجد فإنّه یجعل من الأضداد، یقال: هجد و هجد و تهجّد إذا صلّی بالنّهار، و هجد و هجد و تهجّد إذا صلّی باللّیل قائما و قاعدا و أنشد فی النّوم قال:

هجدنا فقد طال السّری و قدرنا أنّ خنا الدّهر غفل

أی نومنا، و أنشد ابن الأعرابی فی النّوم:

و منهل من القطا موردوردت بین الهبّ و الهجود

قال: الهجود: النّوم کأنه أتاه فی السّحر و هو بین النّوم و الانتباه. و قال تعالی: یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلَّا قَلِیلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلًا أَوْ زِدْ عَلَیْهِ [سوره المزّمل، الآیه: ۱- ۳] و قال تعالی: إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنی مِنْ ثُلُثَیِ اللَّیْلِ [سوره المزّمل، الآیه: ۲۰] إلی قوله: فَاقْرَؤُا ما تَیَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ [سوره المزمل، الآیه: ۲۰].

اعلم أنّه قد مرّ القول فى شرح جوانب هذه الآى بما تقدّم فى الباب الأوّل من هذا الكتاب و بقى تحديد الأوقات.

۱- الحمل: تحديد الأوقات و ذكر البروج: فيقول: إذا حلّت الشّمس برأس الحمل فغربت، طلع السّماك الرّامح و زاغت الشّعرى العبور عن وسط السماء، و قارب أن يتوسّط الشّعرى الغميصاء فصار خطّ نصف النّهار بينهما، و خط نصف النّهار هو الآخذ من نقطه الجنوب إلى نقطه الشّمال، فعليه يكون زوال الشّمس و زوال جميع الكواكب مما صار بينه و بين الأفق الجنوبى، و بين سمت الرّأس، و عادتهم أن يسمّوه خط نصف النّهار.

و ما كان منه فى الحاشيه بين سمت الرّأس و بين نقطه الشّمال التى من عادتهم أن يسمّوه خط نصف اللّيل، و عليه يكون زوال الكواكب الشّماليه. فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّسر الواقع و قلب العقرب، و غرب النّاجذ و هو رجل الجوزاء و إذا كان نصف اللّيل طلع الرّدف و هو الكوكب الذى يسمّيه المنجمون ذنب الدجاجه، و طلع النّسر الطائر على أثره بقليل، و جنحت الشّعرى، و جنوحها أن تميل للغروب، و سقط العيّوق، و سقوطه غيبته، فإذا كان ثلث اللّيل قاربت الفكه أن تتوسّط السّماء و زاغ السّماك الرّامح عن وسط السّماء فأدبر، و الإدبار أكثر من الزّيغان، و ضجع الكوكب الفرد، فيصير على خط نصف اللّيل.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الحمل فغابت طلعه الفكّه، و زاغت الشّعرى الغميصاء فأدبرت، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ قلب العقرب و النّسر الواقع. و استقلال الكوكب أن تراه قد ارتفع قدر القامه فى رأى العين، و أكثر شيئا و غابت الشّعرى العبور قبل ذلك، و غاب المرزم، و هو يد الجوزاء، و جنح العيّوق، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ النّسر الطّائر و سقطت الغميصاء، و سقط العيّوق قبل ذلك، و توسّط السّماك الرّامح أو همّ بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل قلب العقرب بالتّوسّط و منكب الفرس بالطّلوع، و زاغت الفكه و جنح قلب الأسد.

۲- الثور: فإذا حلّت الشّمس برأس الثّور فغابت، توسّط قلب الأسد و جنح رأس الغول و النّاجذ و الدّبران، و زاغ الفرد، فإذا كان ثلث اللّيل غاب العيّوق و قارب السّماك الرّامح أن يتوسط و قرب طلوع النّسر الطّائر، و طلع الرّدف، و إذا كان نصف اللّيل قاربت الفكّه أن تتوسّط، و زاغ السّماك الرّامح و جنح الفرد. فإذا كان ثلثا اللّيل طلعت الكفّ الخضيب، و هى الكوكب الشّمالى من كوكب الفرع الثّانى، و غاب قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الثّور فغربت طلع النّسر الواقع و قد غاب الدّبران قبيل ذلك، و طلع العيّوق و قلب العقرب، و زاغ قلب الأسد فأدبر. فإذا كان ثلث اللّيل توسّط السّماك

و استقلّ النّسر الطائر، فإذا كان نصف اللّيل طلع منكب الفرس و توسّط قلب العقرب، و جنح قلب الأسد، و إذا كان ثلثا اللّيل استقلّت الكفّ الخضيب، و زاغ قلب العقرب فأدبر منصبّا و انصبابه: إمعانه فى الزّيغان.

۳- الجوزاء: فإذا حلّت الشّمس بأوّل الجوزاء فغربت استقلّ قلب العقرب و النّسر الواقع، و جنح العيّوق و غاب المرزم، فإذا كان ثلث اللّيل توسّطت الفكّه و همت و هى إذا توسّطت السّماء، فصارت على خطّ نصف اللّيل ببلد الدّينور، كانت على قمه الرّأس، سواء أعنى أنّها تكون فوق رأس القلم، و قارب قلب العقرب التّوسّط و غاب الفرد، و إذا كان نصف اللّيل طلع الكفّ الخضيب و سقط قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر، و إذا كان ثلث اللّيل طلع رأس الغول و توسّط النّسر الواقع.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الجوزاء فغرب، طلع الرّدف و جنحت الغميصاء و قارب طلوع النّسر الطائر، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ قلب العقرب سقط قلب الأسد، و طلع منكب الفرس، فإذا كان نصف اللّيل قارب النّسر الطّائر التّوسّط و قارب قلب العقرب خطّ القبله، فإذا كان ثلثا اللّيل زاغ النّسر الطّائر و أدبر النّسر الواقع، و إدباره أن يبعد عن خطّ نصف اللّيل، و طلع العيّوق و تبعته الثّريا و طلعت.

۴- السّرطان: و إذا حلّت الشّمس بأوّل السّرطان فغربت توسّط السّماك الرّامح و استقلّ النّسر الطّائر، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، فإذا كان نصف اللّيل زاغ النّسر الواقع و همّ النّسر الطّائر بالتّوسّط و طلع رأس الغول، و إذا كان ثلثا اللّيل طلع العيّوق و تبعته الثّريّا و همّ الرّدف بالتّوسّط، و غوّر قلب العقرب و تغويره: أن يقع فى الغور فلا يلبث أن يغيب. و ضجع السّماك الرّامح، و ضجوعه أن يميل للمغيب و هو قبل التّغوير، و الجنوح قبل الضّجوع و الانصباب قبل الجنوح.

فإذا حلّت الشّمس بوسط السّرطان فغربت همّت الفكه و قلب العقرب بالتّوسّط، و غوّر الفرد، و إذا كان ثلث اللّيل توسّط النّسر الطّائر و طلع رأس الغول، و إذا كان نصف اللّيل طلع العيّوق و طلعت الثّريا على أثره، و زاغ النّسر الطّائر، و جنح قلب العقرب، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الدّبران، و غاب السّماك الرّامح.

۵- الأسد: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الأسد فغربت، طلع منكب الأسد و توسّط قلب العقرب، و ضجع قلب الأسد فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ رأس الغول، و توسّط النّسر الطّائر، و زاغ النّسر الواقع فأدبر، و إذا كان نصف اللّيل توسّط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح، و غاب قلب العقرب، و إذا كان ثلثا اللّيل توسّط منكب الفرس و غوّرت الفكّه.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الأسد فغربت، طلعت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، و غاب قلب الأسد، فإذا كان ثلث اللّيل طلع العيّوق و الثّريّا، و ضجع قلب العقرب، و قارب الرّدف التّوسّط، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ الدّبران، و قارب منكب الفرس أن يتوسّط. و إذا كان ثلثا اللّيل طلع النّاجذ، و توسّط الكفّ الخضيب و استقلّ المرزم.

۶- السّنبله: و إذا حلّت الشّمس بأوّل السّنبله فغربت، استقلّ الكفّ الخضيب فإذا كان ثلث اللّيل طلع الدّبران و زاغ الرّدف، و غاب السّماك الرّامح، فإذا كان نصف اللّيل زاغ منكب الفرس، و غربت الفكّه و طلع المرزم، و إذا كان ثلثا اللّيل طلعت الشّعرى الغميصاء، و همّت الشّعرى العبور بالطّلوع.

و إذا حلّت الشّمس بوسط السّنبله فغربت، قارب أن يطلع رأس الغول و قرب توسّط نسر الواقع، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ الدّبران و قارب منكب الفرس التّوسّط، و جنحت الفكّه، فإذا كان نصف اللّيل استقل النّاجذ و زاغت الكفّ الخضيب، و استقل المرزم، و إذا كان ثلثا اللّيل غاب النّسر الطائر و استقلّت الشّعريان، و جنح النّسر الواقع.

۷- الميزان: و إذا حلّت الشّمس برأس الميزان فغربت، طلع رأس الغول و زاغ النّسر الواقع، فإذا كان ثلث اللّيل قارب المرزم الطّلوع، و زاغ منكب الفرس، و غابت الفكّه، فإذا كان نصف اللّيل طلعت الشّعريان و انصبّ النّسران، و انصبابهما: تدلّيهما للغروب، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع قلب الأسد و الكوكب الفرد بأثره و رأس الغول و غاب النّسر الواقع.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الميزان، و غربت همّ العيّوق بالطّلوع و توسّط النّسر الطائر، فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّاجذ و استقلّ المرزم، و زاغت الكفّ الخضيب، فإذا كان نصف اللّيل استقلّت الشّعريان، و غاب النّسر الطّائر، فإذا كان ثلثا اللّيل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و توسّط الدّبران.

۸- العقرب: و إذا حلّت الشّمس بأوّل العقرب فغربت، طلع العيّوق و تبعته الثّريا و زاغ النّسر الطّائر، و انصبّ السّماك الرّامح، و إذا كان ثلث اللّيل استقلّ النّاجذ، و قرب طلوع الشّعريين، و انصبّ النّسر الطّائر، و إذا انتصف اللّيل طلع قلب الأسد، و زاغ رأس الغول، و غاب النّسر الواقع، و إذا كان ثلثا اللّيل توسّط النّاجذ و زاغ العيّوق، و ضجع منكب الفرس و غاب الرّدف.

و إذا حلّت الشّمس بوسط العقرب، توسّط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح فإذا كان ثلث اللّيل اقتربت الشّعريان، و اقترابهما دون الاستقلال، و ضجع النّسر الطّائر، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و همّ الدّبران بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل همّت

الشّعرى العبور بالتّوسّط، و غاب الرّدف قبل ذلك، و زاغ المرزم، و انصبّت الكفّ الخضيب.

۹- القوس: و إذا حلّت الشّمس بأوّل القوس فغربت، طلع الدّبران و غاب السّماك الرّامح اتفاقا، فإذا كان ثلث اللّيل توسّط رأس الغول، و همّ قلب العقرب بالطّلوع، فإذا كان نصف اللّيل همّ النّاجذ بالتّوسّط، و زاغ العيّوق قليلا، و غوّر الرّدف، فإذا كان ثلثا اللّيل أشخص السّماك، و إشخاصه: إقرانه، و هو نهوضه فى المطلع قليلا، و توسّط الشّعرى الغميصاء، و زاغت العيّوق.

فإذا حلّت الشّمس بوسط القوس فغربت، توسّط منكب الفرس و غوّرت الفكّه، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ قلب الأسد، و قارب الدّبران التّوسّط، و طلع الفرد، فإذا كان نصف اللّيل زاغ المرزم، و غرب قبل ذلك منكب الفرس، و قاربت الشّعرى العبور التّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل طلعت الفكّه.

۱۰- الجدى: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الجدى فغربت، طلع النّاجذ و استقلّ المرزم، و توسّطت الكفّ الخضيب، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ الدّبران، و همّ النّاجذ بالتّوسّط، و ضجع الرّدف، فإذا كان نصف اللّيل طلع السّماك الرّامح، و غابت الكفّ الخضيب، و همّت الشّعرى الغميصاء بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل همّ قلب الأسد بالتّوسط، و جنح رأس الغول و توسّط الفرد.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الجدى، فغربت، طلعت الشّعريان، و جنح النّسر الطّائر، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس، و غاب قبل ذلك الرّدف، فإذا كان نصف اللّيل طلعت الفكّه، و زاغت الشّعرى الغميصاء، فأدبرت فإذا كان ثلثا اللّيل همّ الهراران بالطّلوع و غاب النّاجذ و الدّبران و رأس الغول.

۱۱- الدّلو: فإذا حلّت الشّمس بأوّل الدّلو فغربت، قارب رأس الغول التّوسّط، و استقلّت الشّعريان فارتفعتا فإذا كان ثلث اللّيل طلع السّماك الرّامح و غابت الكفّ الخضيب و زاغت الشّعرى العبور، فإذا كان نصف اللّيل قارب قلب الأسد التّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الهراران، و هما قلب العقرب و النّسر الواقع، و ضجعت الشّعرى العبور و المرزم.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الدّلو فغربت أشخص قلب الأسد، و طلع الفرد، و قارب الدّبران التّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل طلعت الفكّه و زاغت الشّعرى الغميصاء، فأدبرت بعيدا، فإذا كان نصف اللّيل غاب رأس الغول، و رجل الجوزاء، و زاغ قلب الأسد، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الرّدف و غوّر العيّوق.

۱۲- الحوت: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الحوت فغربت، زاغ الدّبران و توسّط العيّوق، و غوّر الرّدف، و همّ النّاجذ بالتّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل قارب الأسد التّوسّط، و استقلّت الفكه فارتفعت، فإذا كان نصف اللّيل طلع الهراران و جنحت الشّعرى اليمانيه، فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّسر الطّائر و غوّرت الشّعرى الغميصاء، و غاب العيّوق.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الحوت فغربت، زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس قبل ذلك، و همّت الشّعرى العبور بالتّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ قلب الأسد، و غوّر رأس الغول، و رجل الجوزاء، فإذا كان نصف اللّيل غاب المرزم و الشّعرى العبور قبيل ذلك، و استقلّ النّسر الواقع، و قارب طلوع الرّدف، فإذا كان ثلثا اللّيل توسّط السّماك الرّامح و استقلّ النّسر الطّائر.

الباب التّاسع فی ذکر البوارح و الأمطار مقسّمه علی الفصول و البروج و فی ذکر المراقبه

اشاره

اعلم أنّ جمیع أمطار السّنه ثمانیه أصناف، و هی الوسمی- و الولی- و الشّتی- و الدّفی ء- و الصّیف- و الحمیم- و الرّمضی- و الخریفی- و لکلّ صنف منها وقت عرفته العرب بمساقط منازل النّهار الثّمانیه و العشرین التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه فقال: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ [سوره یس، الآیه: ۳۹] و بالبروج الاثنی عشر لأن کلّ برج منزلان و ثلث من هذه الثمانیه و العشرین، و ذلک حکم منهم علی مناجعهم و مزالفهم بالتّجارات، و هو إلی الآن علی ذلک، و إن کان کثیر من أطراف الأرض و أوساطها یختلف، فقد قیل: إنّ أهل الیمن یمطرون فی الشّتاء و یخصبون فی الصّیف.

قال أبو حنیفه: إذا أحببت أن تستیقن ذلک فانظر إلی زمان مدّ النّیل، فإنّه فی صمیم القیظ، و إنّما یمدّ من أمطار البلاد التی منها یقبل، و قال بعض أصحاب الخلیل، و قد صنّف أبواب الانتفاع بالمطر: إنّ من المغرب من مطره الذی یغیثه و ینفعه الخریف، و یکون أکثر مطرهم و أغزره و أنفعه لهم.

و قال أکثرهم: إنّ مطر الرّبیع ضارّ، و هم أهل الیمن و من یلیهم من تهامه. و منهم من یحسبه الوسمیّ، و هو مطر الشّتاء، و مجیئه الرّبیع، و یکون الخریف ضارا یفسد کلأهم و یلبده، و هم أهل العراق و من قاربهم من نجد، و منهم من یصیبه مطر السّنه کلّها و هم أهل نجد الذین تاخموا نجدا، أی حاذوهم، و أهل العراق، و من قاربهم من الشّام و نجد، و ما بینهما و بین خراسان مطرهم الشّتوی و الرّبعی، و مطر الیمن و ما قاربها من تهامه الصّیفی، و الخریفی. قال: و من تهامه و نجد ما تعمّه هذه الأمطار کلّها، و کذلک طبرستان- و الدّیلم- و أرمینیه- و جبلان- و جبل القیق. و العرب تقول: إنّه ما اجتمع مطر الثّریا فی الوسمیّ و مطر الجبهه فی الرّبیع إلّا کان تامّ الخصب ذلک العام، کثیر الکلأ.

و هـذا كمـا حكوا عن الحرم أنه إذا أصاب المطر الباب الـذى من شقّ العراق كان الخصب فى تلك السّـنه بالعراق، و إذا أصاب شقّ الشّام كان الخصب و المطر فى تلك السّنه بالشّام، و إذا عمّ جوانب البيت كان المطر و الخصب عاما فى البلدان.

و اعلم أنّه كمـا أنّ لكـلّ نجم نوء فله بـارح أيضا و هى البوارح و هى الرّياح. و العرب تقول: فعلنا كـذا أيام البوارح، و هى رياح النّجم- و الدّبران- و الجوزاء- و الشّعرى- و العقرب- و أنشد الأصمعىّ:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميك جوّعا

و قال آخر شعرا:

أ يذهب بارح الجوزاء عنّى و لم أذعر هوامك بالسّنار

و قال آخر شعرا:

أيا بارح الجوزاء مالك لا تجى و قد فنى مال الشّيخ غير قعود

و أحبّوا أن تهبّ ريـاح الجوزاء حتى إذا طردوا إبلاـ و سرقوها عفت الرّيـاح آثارهـا و آثارهم، فأمنوا أن يقتفى أثرهم، و اسم ما يحدث من ريح أو حر بارح على التّشبيه بالبارح من الوحش، لأنه قد يطلع مما يلى شمال النّاظر، و يأخذ على يمينه كالوحش.

و قـال أبو حنيفه: زعم قوم لاـ معرفه لهم باللغه، أنّ البارح ضـدّ النوء، و أنّه طلوع الرّقيب فيقولون: برح الكوكب: إذا طلع، قالوا و ذلـك لأنه ييامن البيت الحرام إذا طلع و يياسره إذا غرب، و إن قال: خـذ من يمينك إلى يسارك فهو بارح. و الـذى قالوه ليس بمـدفوع، لكنـا لم نجـد العلمـاء يعرفون مـا قـالوه فى الكوكب، و لا رووا ذلك عن العرب، قال أبو زيـد: البارح: الشّـمال الحاره يكون فى الصّـيف. و قال الفرّاء: البوارح: الرّياح الصّـيفيه، و سـمّيت بذلك لأنّها هى السّـموم التى تأتى من الشّمال، و أنشد لذى الرّمّه شعرا:

تلوث على معارفنا و نرمى محاجرنا شآميه سموم

و قال أبو عمرو: و هى ريح السّموم، و قال يزيد بن القحيف: البارح: شدّه الرّيح فى الحرّ، و قال مرار فى صحه ما قالوا شعرا:

تراها تدور لغيرانهاو يهمجها بارح ذو عما

يهمجها: يرمى بها فى كنسها، و هى غيرانها، و جعلها ذا عماء لعرئه و العماء أصله فى السّحاب، و قال الأخطل شعرا:

شرقن إذ عصر العيدان بارحهاو أيبست عن مجرى السّنه الخضر

يقول: جفّ كلّ شى ء أخضر فلم يبق إلّا من درع يسقى. و السّنه سنه الحراث، و مجرى السّنه الحرث، و قال بعضهم: قيل له بارح: لأنه يبرح بالتّراب أى يذهب به، و قيل أيضا: البارح البين، كما يقال برح الخفاء إذا بان بما كان يخفى. و يجوز أن يكون من البرح، و هو الشّده لما كان ينسب البرد و الأمطار و السّموم و الحرور إلى نوئه معه. و منه البرح و برحين و بنات برح و بنت برح. و قال أبو زيد: إذا هبّت الجنوب بعد دوام الشّمال فى ذلك فرسخ أى راحه و فرجه. و الرياح أربع بإجماع من الأمم. و إنّما اختلفت باختلاف مهابّها فى أقطار الأرض الأربعه، و هى: مطلع الاستواء- و مغربه- وجهه القطب الجنوبى- وجهه القطب الشمالى، فالتى تهبّ من مغرب الاستواء هى الغربيه و تسمّى الدّبور، و هى التى سمّاها اللّه عقيما.

و قال النّبى صلى اللّه عليه و سلم: «نصرت بالصّبا و أهلكت العاد بالدّبور» و التى تهبّ من جهه القطب الجنوبى هى الجنوب و تسمّى الأزيب. و النّعامى و هى تهبّ من جهه القطب الشّمالى و تسمى الشّمال، و هى الجربياء، و محوه لأنّها تبدّد السّحاب و تمحوه، و نسعا و مسعا و هى الشّاميه.

و قال ابن الأعرابى: مهبّ الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريا، و مهبّ الصّبا من مطلع الثّريا إلى بنات نعش، و مهب الشّمال من بنات نعش إلى مسقط النّسر الطائر، و مهبّ الدّبور من مسقط النّسر الطائر إلى مطلع سهيل، و الجنوب و الدّبور لهما هيف و هو الرّياح الحاره الصّيفيه، و الصّبا و الشّمال لا هيف لهما. و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصّبا و مطلع الشّمس.

و قال الأصمعى: ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر و ما بإزائها ممّا يستقبلها شمال و ما جاء من وراء بيت اللّه الحرام، دبور، و ما كان قباله ذلك فهو صبأ و قال غير الأصمعى و ابن الأعرابى: الجنوب التى تهبّ عن يمين القبله شتاء و الصّبا بإزائها، و قالوا كلّهم كلّ ريح تهبّ بين مهبى ريحين فهى نكباء، لتنكّبها عن المهاب المعروفه، و الجمع نكب، و تميل فى طبعها إلى الرّيح التى فى مهبها أقرب إليها.

و قال أبو زيد: النّكباء التى لا يختلف فيها: هى التى بين الصّبا و الشّمال و النّكباء ذات ثمان، لأنّ بين كلّ ريح و أختها ريحين، و كلّ واحده إلى جنب صاحبتها و هبوبها فى أيام الشّتاء أكثر، و من رياح الشّتاء الحرجف و البليل، و من رياح الصّيف الهيف و السّموم و الحرور، فإن هبّت ليلا فى ابتداء الرّبيع فهى الخاسه. و سيجى ء القول فى أجناس الرّياح مستقصى فى موضعه، و اللّواقح تهبّ فى الربيع لا غير، و هى الجنوب، و الصّبا و الشّمال و تسمّى المستثابات، و معناه المستنقعات من الثّواب، و يجوز أن يكون المسئولات النّؤب

أى الرّجوع. و روى ابن الأعرابى أنه قلّ ما تهبّ الشّمال إلا و إذا جاء اللّيل ضعفت أو سقطت و لذلك قالوا فى أحاديثهم: إنّ الجنوب قالت للشّمال إنّ لى عليك فضلا أنا أسرى و أنت لا تسرين، فقالت الشّمال: إنّ الحره لا تسرى باللّيل و هذا كما ترى.

و قال أبو زيد: إنّ أكثر هبوب الشّمال باللّيل، و أنه قلّما ينتفج من الرّياح باللّيل إلا الشّمال، و ربما انتفجت على النّاس بعد نومهم، فتكاد تهلكهم بالقرّ من آخر ليلهم و قد كان أوّل ليلهم دفيئا، و هذا الخلاف فيما أتين لاختلاف البقاع، و تفاوت الأزمان و اللّه أعلم.

و أنشد الأصمعى يصف النّساء:

تصيّفن حتّى أوجف البارح السّفاو نشّت جراميد اللّوا و المصانع

فالمصانع و إيجاف البارح السّفا: مرّ به على وجه الأرض، و هو من الوجيف و هو السّرعه، و السّفا ما تساقط من يبيس البقل، و قال أيضا:

ألفن اللّوى حتّى إذا البروق ارتمى به بارح راح من الصّيف شامس

و البروق من دفى ء النّبت، و فى المثل: أشكر من البروق، لأنّه ينبت بالغيم و الرّاح الشّديد من الرّيح، و يشبه هذا قوله:

أقمن على بوارح كلّ نجم و طيّرت العواصف بالتّمام

و البارح مذكّر، و إن كانت الرّيح مؤنّثه.

قال أبو حنيفه: قد حكى بعضهم أنّ العرب كانت تقول لا بدّ لنوء كل كوكب من أن يكون فيه مطر أو ريح أو غيم أو حر- أو برد- ثم كانوا ينسبون ما كان فيه إليه، و الأعمّ الأشهر أنّ الأمطار مقصور ذكرها على الأنواء خاصه. فما يكاد يسمع بشى ء منها منسوبا إلى طلوع و لا يحفظ، و أما البوارح فأكثر الأمر فيها أن ينسب إلى طلوع نجوم الحرّ خاصه لأنها رياح الصّيف، و ربّما نسب شى ء منها إلى النّوء و ذلك قليل.

و قال ذو الرمه:

حدا بارح الجوزاء أعراف موره بها و عجاج العقرب المتناوح

الأعراف: الأوائل، المور: الغبار و أراد بعجاج العقرب: عجاج بارح العقرب كقوله:

شفّها هبوب الثّريا و التزام التنائف، أراد هبوب بارح الثّريا فهذا ذكر البوارح.

فصل فی المراقبه و المطالعه

و اعلم أنّ لكلّ برج و منزل رقيبا من المنازل و البروج، فرقيب كلّ برج البرج السّابع، و رقيب كلّ منزل المنزل الخامس عشر، و معنى الرّقيب الذى فى غروبه طلوع الآخر، و هو مأخوذ من المراقبه، لأنه يراقب بالطلوع غروب صاحبه. قال شعرا:

أ حقّا عباد اللّه أن لست لاقيابثينه أو تلقى الثّريّا رقيبها؟!

و المعنى لست لاقيها أبدا، لأنّ هذا لا يكون أبدا، و كيف يلقيان و أحدهما إذا كان فى المغرب كان الآخر فى المشرق؟ و قال:

قدورهم تغلى أمام قبابهم إذا ما الثّريا غاب قصرا رقيبها

فمراقبه الأبراج للأبراج و المنازل للمنازل، على ما ذكرناه، و من هذه البروج ما يشاكل اسمه صورته كالعقرب و الحوت، و منها ما لا يشاكل اسمه صورته، و البروج الاثنا عشر سمّى بعضها بأسماء. فالحمل يسمّى: الكبش، و الجوزاء: التّوأمين، و السّنبله: العذراء، و العقرب: الصّوره، و القوس: الرّامى، و الحوت: السّمكه. و يسمّى أيضا الرّشاء، و لكلّ برج منزلان و ثلاثه من منازل القمر، حتّى يستوفيها. فالحمل رقيبه الميزان، و الثّور رقيبه العقرب، و الجوزاء رقيبه القوس، و السّرطان رقيبه الجدى، و الأسد رقيبه الدّلو، و السّنبله رقيبه الحوت.

و المطالعه هو أن يطلع نجمان معا، أو متقاربين، و لا يكون ذلك فى نجوم الآخذ و لا يطلع نجمان منها معا، و لكن يكون فى غيرها، و فيها مع غيرها و ذلك كمطالعه الثريا بالعيّوق و لذلك يقول شاعرهم:

فإن صديا و المدامه ما مشى لكالنّجم و العيّوق ما طلعا معا

و مطالعه الشّعرى الغميصاء الشّعرى العبور، و مطالعه الأعزل للرّامح، و مطالعه النّسر الطّائر للعنا، و مطالعه الجبهه سهيلا، فإن كلّ نجم إذا طلع معه الآخر أو قريبا.

و أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى:

و صاحب المقدار و الرّديف أفنى الوفا بعد ألوف

الرّديف النّجم الذى إذا نأى من المشرق انغمس رقيبه فى المغرب، و إنما يعنى أن تعاقب النّجوم على مرّ الدّهور و لا يبقى أحد.

الباب العاشر فی ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاه الوسطی

اشاره

حكی ثعلب عن ابن الأعرابی قال: سألت أعرابيّا فصيحا فقلت: ما الأشهر الحرم؟

فقال: ثلاثه سرد، واحد فرد. قال ثعلب: فالسّرد المتتابعه و هو ذو القعده- و ذو الحجه- و المحرّم- و الفرد: رجب. و هذا قول ابن عباس و يكون من سنتين، و قال غير ابن عباس:

هی من سنه واحده فعددها المحرّم و هو أوّلها- و الثّانی: رجب- و الثّالث: ذو القعده- و الرّابع: ذو الحجّه. و احتج هذا بأنه قال تعالی: مِنْها أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] يعنی من الاثنی عشر، فجعلها من سنه واحده.

قال ثعلب: و الاختيار عندی قول ابن عبّاس و هو كلام العرب، و إن كان لفظها من سنتين فهی تعود إلی الاثنی عشر إلی سنه واحده، و روی عن النبی صلی اللّه عليه و سلم: «دخلت العمره فی الحج» أی فی أشهر الحج و لم تكن العرب تعرف العمره فی أشهر الحج، بل كانت العمره فيها عندهم من أفجر الفجور، و كانوا يقولون: إذا انسلخ صفر، و نبت الوبر، و عفا الأثر، و برأ الدّبر، حلّت العمره لمن اعتمر. فلمّا اعتمر رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم فی أشهر الحج دخلت العمره فی الحج، أی فی أشهرها، و روی سفيان بن عيينه أنّ رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم كتب لآل حزم: «إنّ العمره الحج الأصغر»، فدلّ كلامه علی أن ثمّ أكبر.

و روی عن عطاء أنه قال: من اعتمر ثم مات و لم يحج أجزأت عنه حجه الإسلام، يذهب إلی قوله تعالی: وَ لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [سوره آل عمران، الآيه: ۹۷] و روی عن علیّ كرّم اللّه وجهه: الحجّ الأكبر يوم النّحر، محتجّا بقوله تعالی: فَسِيحُوا فِی الْأَرْضِ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ۲] و هی عشرون من ذی الحجّه- و المحرّم- و صفر- و شهر ربيع الأوّل- و عشر من ربيع الآخر- قال: فلو كان يوم عرفه لكان أربعه أشهر و يوما، و كان ابن عباس يقول: الحج الأكبر يوم عرفه، و كان رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم، خرج مهلّا بالحج و يقول

بعضهم: خرج لعمره، و قال بعضهم؛ خرج قارنا و إنما خرج ينتظر أمر اللّه، و علم اللّه أنّها حجه لا يحج بعدها فجمع ذلك كلّه له فى شهر واحد، ليكون جميع ذلك سنّه لأمّته، فلمّا طاف بالبيت ثم رأى أن يجعلها عمره، و حبس من كان معه على هدى، لقوله تعالى: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۶] فجمعت له العمره و الحج.

و قد قال قوم: إنّ الأربعه الحرم هى التى أجّلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للمشركين فقال:

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ۲] و هى شوّال- و ذو القعده- و ذو الحجّه- و المحرّم. ثم قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [سوره التوبه، الآيه: ۵] و قال: إنّ الأربعه التى جعلت حلّا من عشر ذى الحجه إلى عشر من ربيع الآخر، و جعلها حرما، كما قال: مكّه حرم إبراهيم، و المدينه حرمى. و روى أيضا أنه حرم ما بين لابتى المدينه يعنى حرّتيها، و فى آخر حرم ما بين عير إلى ور و هما جبلان. فأما قوله تعالى:

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۷] فإنه يريد أوقات الحجّ أشهر، أو أشهر الحجّ أشهر. و هذا خطاب يدلّ على معرفه العرب بشهور معلومه كانوا فيها يحجّون، فأقرّ اللّه أمرها فى الإسلام على ما كانت عليه و دعا إلى إقامه الحجّ فيها.

و اعلم أنها أوقات الحجّ دون غيرها، و أنّ من فرض على نفسه فيها الحجّ فمن السنه أن يترك الرّفث و الفسوق و الجدال، و معنى فرض الرّجل على نفسه الحج إهلاله به، و الإهلال التّلبيه، و أصله رفع الصوت. و روى عن الشّعبى و ابن عمر أنّها شوّال- و ذو القعده- و ذو الحجه- و قال بعضهم: له من ذى الحجّه عشر ليال، فكأنّه جعل الشّهرين و بعض الثّالث أشهرا، و هذا فى القياس قريب لأنّه كما جاز أن يسمى الشّهر ذا الحجّه، و إن كانت الحجّه فى بعض أيّامه، كذلك يجوز أن يسمّى شهر الحجّ، و إن لم يكن جميع أيّامه مصروفا إليه.

و حكى عن ابن عبّاس أنه قال: الأيام المعدودات أيام التّشريق، و الأيّام المعلومات الأيام العشره من أوّل ذى الحجّه. و قال عطاء: الأيام المعدودات أيام منى و يوم التّرويه، سمّى بذلك لأنّهم كانوا يتروّون من الماء، و يتزوّدونه معهم، و يوم عرفه لا يدخله الألف و اللام، و إنّما سمّى عرفه و عرفات، لأنّ من حضرها كانوا يتعارفون بها. و قال بعضهم: بل لأنّ جبرائيل عليه السّلام طاف بإبراهيم صلوات اللّه عليه يديره على المشاهد، و يوقفه عليها، و يقول له: حالا بعد حال عرفت عرفت، و العروف الحدود، و الواحد عرفه. و قيل: سمّيت عرفه بذلك كأنّه عرف حدّه لتميزه عن غيره من الأرضين، و لكونه معرفه امتنع من دخول الألف و اللّام عليه. و حكى؛ طار القطا عرفا عرفا، بعضها خلف بعض.

و أمّا الأعراف: فكل موضع مرتفع عند العرب و منه قوله تعالى: وَ عَلَى الْأَعْرافِ

رِجالٌ [سوره الأعراف، الآيه: ۴۶]، و لا ـ يمتنع أن يكون عرفه و عرفات مشتقا من جميع ذلك و التّعريف: الوقوف بعرفات، و تعظيم يوم عرفه إن نصب الضاله فتنادى عليه و إن سمّيت رجلا بعرفات صرفته، و لم يكن التاء فيه كالتاء من عرفه لو سمّيت بها، و ذلك أنّ التاء من عرفات بإزاء النّون فى المسلمين، إذ كان هذا الجمع من المؤنث بإزاء جمع المذكّر الصّحيح، و لذلك لمّا كان ذاک فى موضع النّصب و الجر بالياء، جعل هذا فى موضع النّصب و الجر بالكسره، لأنّ الكسره أخت الياء، فلمّا كان الأمر على ذلك لم يكن كالتّاء التى يبدل منها فى الوقف هاء كالتى فى طلحه و عزّه، و كان يمتنع الصّرف فى المعرفه. و فى القرآن:

فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ [سوره البقره، الآيه: ١٩٨] فصرفه و إن كان معرفه.

و مشاعر الحجّ واحدها مشعر و هو فى موضع المنسک، و كذلک الشّعيره من شعائر الحجّ، و هى علاماته و أفعاله المختصه به، كالسّعى و الطّواف و الحلق و الذّبح، و كلّ ذلك يجوز أن يكون من شعرت، و ليت شعرى، فيرجع إلى العلم كما أنّ عرفه و عرفات فى تصاريفه يرجع إلى المعرفه، و فى القرآن: وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [سوره الحج، الآيه: ٣۶] و قال الخليل: يقال: أشعرت هذه البدنه للّه نسكا أى: جعلتها شعيره تهدى، قال: و قال بعضهم: إشعارها أن يوجأ سنامها بسكّين فيسيل الدّم على جنبها فيعلم أنّها هدى. أو يعلّم بعلامه تشدّ فى سنامها. و كره قوم من الفقهاء تدميتها، و قالوا: إذا قلّدت فقد أشعرت.

و قوله تعالى: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ [سوره التوبه، الآيه: ٣] قيل: هو يوم النّحر، و قيل:

هو يوم عرفه و كانوا يسمّون العمره: الحج الأصغر.

و يوم النّحر: سمّى به لأنّهم كانوا ينحرون البدن.

و يوم القر: بعده، و هو الذى يسميه العامه يوم الرّءوس، و سمّى بذلک لأنّ الناس يستقرون فيه بمنى لا يبرحونها.

و يوم النفر: سمّى به لأنّ النّاس ينفرون فيه متعجلين.

و يقال: عيد الفطر، و عيد الإفطار، و عيد الضّحى و العيد أصله من عاد يعود لعوده كلّ سنه، لكن واوه انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، ثم جعل البدل لازما حتى كأنّه اسم وضع لليوم، لا ـ مناسبه بينه و بين المشتق منه، و هم يفعلون مثل هذا إذا أرادوا التّخصيص، لذلک قيل فى تصغيره: عييد، و فى جمعه: أعياد و لم يجر مجرى قوله: ريح و رويحه و أرواح،

و مما يشبه هذا قوله: يا دارميّه بالعلياء فالسّند هو من العلو، فقلب الواو ياء، و قوله: فما أمّ خشف بالعلايه مشدن. مثله و ليس قبل واحد منهما ما يوجب القلب، لكنهم يفعلون ذلك كثيرا فى الأعلام و ما يجرى مجراها، و قد قالوا: الشكايه و حبيت الخراج حباوه و نحو منها، ما حكاه سيبويه من القوايه قال عمرو بن براقه:

و مال بأصحاب الكرى عالياتهافإنّى على أمر القوايه حازم

و هو فعاله من القوه، و أصلها قواوه و كأنّه كره اكتناف الواوين للألف.

و الأضحى، إذا ذكّر: يراد به اليوم، و إذا أنّث أريد به السّاعه، و التأنيث أجود.

و يقال: دنت الأضحى، و قيل: سمّيت الأضحيه لأنها تذبح ضحوه.

و الفطر: من فطرت النّاقه إذا حلبتها فانفتحت رءوس أخلافها لأنّ الأفواه تنفتح بالأكل و الشّرب، و يقال: أضحاه و أضحى و ضحيه و ضحايا و الأضحى يذكّر و يؤنّث، فمن ذكّر ذهب إلى اليوم، و أنشد الأصمعى:

رأيتكم بنى الحدواء لمّادنا الأضحى و صلّلت اللّحام

و أنشد الثورىّ فى تأنيثه:

قد جاءت الأضحى و ما لى فلس و قد خشيت أن تسيل النّفس

و قال هشام بن معاويه: حكى الأصمعىّ: أضحاه و سمّى الأضحى بجمع أضحاه فأنّث لهذا المعنى و جاء فى الحديث: «على كلّ مسلم عتيره و أضحاه». و قال هشام: التأنيث فى الأضحى أكثر من التّذكير، و جمع الأضحيه أضاحى، و جمع الضّحيه ضحايا.

و أيّام التّشريق سمّيت بذلك لأن لحوم الأضاحى تشرق للشّمس، و قيل: بل سمّيت بذلك لقولهم: أشرق ثبير كيما نغير، و قال ابن الأعرابى: سميت بذلك لأنّ الهدى لا ينحر حتى تشرق الشّمس.

و قال أحمد بن يحيى: أنا أذهب إلى أنّ الأيام المعلومات فى الأيام المعدودات لأنه جاء فى كتاب اللّه تعالى: وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ الْأَنْعامِ [سوره الحج، الآيه: ۲۸] فدلّ على أنّها أيام نحر.

و يوم عاشوراء فى المحرّم، و يقول الفقهاء: يوم عاشوراء التّاسع من المحرم، و حكى بعضهم أنّه سئل النّضر بن شميل عن التّشريق، فقال: هو من قولهم أشرق ثبير: أى لتطلع الشّمس، و قيل: أيام التّشريق: لأنّهم يشرقون اللّحم، قال: فقلت له: إنّ وكيعا حدّثنا عن

شعبه عن سيار عن الشّعبى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لا ذبح إلّا بعد التّشريق» فقال وكيع:

التّشريق الصلاه، قال: هذا حسن. قال النّضر: و قد جاء فى الحديث: «لا جمعه و لا تشريق إلّا فى مصر جامع»، و التّفسير موافق للحديث، فأما قول أبى ذؤيب بصفا المشرّق كلّ يوم يقرع. فقد حكى عن أبى عمرو الشّيبانى أنّه أنشد بصفا المشقّر فأنكره، و قال: المشقّر حصن بالبحرين، و الصّفا موضع، فما لأبى ذؤيب و البحرين، إنّما هو المشرّق، و كان ابن الأعرابى يرويه المشقّر، و حكى عن الأصمعى أنّه أنشد كلّ يوم، فقال اللّه أكرم من ذاك هو:

كلّ حين. ذهب الأصمعىّ إلى أنّ الحج يقال: كلّ سنه لا كلّ يوم، و الحين يقع فى كلامهم على المده الطويله و السّنين الكثيره. و قال الأصمعى: المشرّق المصلّى، و مسجد الخيف هو المشرّق. و قال شعبه بن الحجّاج: خرجت أقود سماك بن حرب فى يوم عيد، فقال: امض بنا إلى المشرّق يعنى المصلّى. و قيل: يعنى مسجد العيدين، و قال أبو عبيده: المشرّق سوق الطائف، و قال الباهلى: جبل البرام.

[فصل فى] بيان الصلاه الوسطى:

فأما الصلاه الوسطى: فقد اختلفوا فيها: فروى عن علىّ كرّم اللّه وجهه أنّه الفجر، و قال غيره: هى العصر، و قد جاء القرآن فى توكيد أمر الفجر بما يصحح قول علىّ فيه، قال تعالى: أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] و كلتا الصّلاتين متوسطه لسائر الصّلوات، فإذا جعلت صلاه الفجر الوسطى فهى بين صلوات اللّيل و النهار و النّهار: الظّهر و العصر، و اللّيل العشاء أن الأولى و الآخره. و إذا جعلت العصر هى الوسطى: فهى متوسّطه بين الفجر و الظّهر من صلاه النّهار. و العشاءين الأولى و الآخره من صلوات اللّيل، و قوله تعالى: الصَّلاهِ الْوُسْطى [سوره البقره، الآيه: ۲۳۸] مؤكد للدلاله على أنّ الصلوات المفروضات خمس، لا زياده فيها، و يزيل التّأويل فيما ذهب إليه بعض المتفقهه من فرض الوتر، بالخبر المروىّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه زادكم صلاه و هى الوتر» و قد يزيد اللّه النّاس مما يدعوهم إليه من أعمال البر مما هو فضيله لفاعله، و نافله للمتقرّب به و لا يكون فى قوله: «زادكم صلاه» ما يوجب الفرض، و لو كان الوتر فريضه لكانت عده الصلاه المفروضات ستا، و السّتّ لا أوسط لها، و لا وسطى، و إنّما الوسط للإفراد، لأنّها تكون منها واسطه و حاشيتان متساويتان، كالخمس فإنّها اثنان فى أحد الطّرفين، و اثنان فى الآخر، و واحد فى الوسط، و يجوز أنّ يكون معنى الوسطى: العظمى و الكبرى، يراد بذلك فضل محلّها، و زياده ثوابها و اللّه أعلم أىّ الوجهين هو المراد. و قوله تعالى: الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۴] يقول: حرمه الشّهر تجب على الفريقين فى الكفّ عن

القتـال لكنّ الكـافر إذا اعتـدى، فليس على المؤمن أن يقبض يـده، و يلقى بهـا إلى التّهلكه، بل إذا قوتلوا فى الأشـهر الحرم كان مطلقا لهم، و مفروضا عليهم قتالهم فيها.

و قوله تعالى: الْحُرُماتُ قِصاصٌ [سوره البقره، الآيه: ١٩۴] معنى القصاص: أن تفعل بصاحبك مثل الذى هو فعل بك، فإذا قاتلت الكافر فى الشّهر الحرام كما قاتلك فقـد قاصـعته و فعلت مثل فعله، و قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ [سوره البقره، الآيه: ١٩۴] معنـاه: جـازوه جزاء الاعتـداء، فسـمّى الجزاء بـاسم الاعتـداء، طلبـا للمطـابقه فى اللّفـظ، و إيـذانا بأنّ الثّانى كالفرض المؤدّى، فالمواصله فيه مرعيه.

فصل [فى ذكر العرب اسما تعلّق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصّفات و الأفعال]

حكى الأصـمعىّ أنّ العرب ربما تذكر اسـما تعلّق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصّفات و الأفعال منسوبه، و لشـهرتها و ظهور الفرض منهـا اسـتجيز معهـا مـا لم يسـتجز فى غيرهـا، و لا يتقايس، فمن ذلك: لا آتيك مغرى الغرر، أى حتى يجتمع و ذلك لا يكون أبدا و لا آتيك أبى هبيره، قال: و أبو هبيره هو سـعد بن زيد مناه بن تميم، و لا آتيك هبيره بن سـعد، و لا آتيك القارظه الغزى، و قولهم: زمن الفطحل: أى حين كانت الحجاره رطبه قال:

لو أننى عمّرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل

كنت رهين هرم أو قتل جعل الموت حتف الأنف و القتل سواء، أو عام الفتق قال رؤبه: لم ترج رسـلا بعـد أعوام الفتق، يشـيرون بـذلك إلى زمن الخصب و الخير كـأنّ جلود الأكله و الرّاعيه لسـمنها فتقت فتقا، و كأنّ ظواهر الأرض و بطنانها فتقت بالنّبات، و يقـال: آتيه قيـظ عـام أوّل، و ما تركت من أبيه مغـدا و لا مراحا و لا مغـداه و لا مراحه، يعنى من الشّبه به، و بعضـهم يقول: و لا رواحا و لا رواحه و لا أكلّمك آخر المنون، و أخرى المنون، و لا أكلمه آخر ما خلقى، يريد آخر عمرى أى ما بقيت.

و قال يعقوب: يقال: آخرى ما خلقى، و منهنّ أزمان الجنان، و هذا يشيرون به إلى الشر و الآفات و أنشد:

فمن يك سائلا عنّى فإنّى من الفتيان أعوام الخنان

يقـال: خنّ الرجـل و هو مخنون: إذا ضـاقت خياشـيمه حتى يجى ء كلامه غليظا لا يكاد يفهم، و قال جرير: و أكوى النّاظرين من الخنان، و الخنان داء يعترى العين، و قال الخليل:

الخنان فى الإبل كالزّكام فى النّاس، و قال الدّريدى: زمن الخنان معروف، و لم أسمع من

علمائنا تفسير أو ذكر بعضهم أنّه يضرب بالخنان المثل فى البلاء و الشّده، لأنّ البعير إذا خنّ كوى ناظراه، و هما عرقان. قال:

قليله لحم النّاظرين يزينهاشباب و مخفوض من العيش بارد

يصف امرأه و على هذا تفسير بيت جرير: و أكوى النّاظرين من الخنان: أى من داء الكبر، و يكون كقوله: يداوى به الصّاد الذى فى النّواظر.

و ذكر بعضهم: خنّ فى الأكل: أسرف، و نحن فى خنان من العيش، و سنه مخنه أى مخصبه، و قد أخنت، و عشب أخنّ أى ملتف. قال الشيخ: و هذا الذى فسّرناه أخيرا يصلح أن يصرف زمن الخنان إلى الخير و السّعه أيضا، إلا أنّ ما أنشده الأصمعىّ و رواه يدل على خلافه، و ذكر بعضهم أنّ الخنان أصله أنّ رجلا من العرب غزا قوما فى الجاهليه، فلما فرّق الغاره فيهم قال: خنوهم بالسّيوف، فشهر يومه بزمن الخنان، و فسّر خنوهم، على نذودهم.

و اعلم أنّ القبائل مختلفه و لم أذكرها لقلّه فوائدها، و إن كان قطرب و غيره دوّنوها فى كتبهم فى الأزمنه و أسماء آلهتهم كيغوث و مناه و يعوق و نسر و هبل و ما أشبهها، و ذكر مطافهم و دورهم و ما يتعلق بأيّامهم و أعيادهم و أسواقهم تجاوزتها لأنّ ما نعيد منها لا تحلّ به فى موضعه من الكتاب و تطويل الكلام بما ليس من الموضوع فى الأصل مرفوض فى مصنّفاتنا.

الباب الحادی عشر فی ذکر – سحر – و غدوه– و بکره– و ما أشبهها

اشاره

و الحین و القرن و الآن و أیّان و أوان و الحقبه و الکلام فی إذ و إذا و هما للزّمان و ما أشبهها قال أبو العباس محمد بن یزید: اعلم أنّ المعرفه إذا أخبر عنها بنکره فإنها توجب فیها مثل ما یکون لها لو کانت معرفه بنفسها، و کذلک النکره إذا أسند إلیها معرفه، و الذی جعلها علی هذا کونها خبرا عن معرفه، و لو انفردت عنها لم یکن کذلک، یقول: زید منطلق فالعلم أنّ المنطلق هو زید جعله مختصا کزید، و لو انفرد لکان شائعا، و علی هذا ما یقرب من النّکرات بالصّفات و ما یجری مجراها کقولک کان عند رجل من آل فلان، و ویل لزید، لذلک یستفاد منه ما یستفاد من المعارف، أو تقاربه، فعلی هذا ما سمعنا بقول: سیر علیه عشیه أو غدوه أو ضحوه و کلّ ذلک نکره لا یکون واحد من أمته أولی به من الآخر، و لا یوم من الأیام أحقّ بتعلّقه به.

فإذا قلت: سیر علیه یوم الجمعه عشیه، أو لیله الجمعه عتمه، و أنت ترید ذلک من یومک و لیلتک، لم یکن عشیه و لا عتمه و ما کان مثلهما إلا نکرات فی الأصل و لوصفک إیّاهنّ موضع المعرفه ضعفن و امتنعن الصّرف، فلم تکن إلّا ظروفا منصوبه بوقوع الفعل علیها، و لم یقمن مقام الفاعل، کما کان یجوز فیهنّ إذا قلت: سیر علیه عشیه من العشیّات، و ضحوه من الضّحوات، لأن الظّروف إذا قوین فی أبوابهنّ فعلن مفعولات علی السّعه، و أقمن مقام الفاعل، و وضعن موضع الخبر مرفوعات، کقوله تعالی: مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَهِ [سوره طه، الآیه: ۵۹] و کقولهم: أقمنا ثلاثا لا أذوقهنّ طعاما و لا شرابا، و سیر به یوم الجمعه، و کقول لبید شعرا:

فغدت کلا الفرجین تحسب أنّه مولی المخافه خلفها و أمامها

فعلی هذا یدور أمرهنّ، و إذا هنّ نکرات، أو کنّ معارف بأنفسهنّ فأما إذا وضعن و هنّ نکرات فی موضع المعارف، فقد أزلن عن بابهن و عرفهنّ غیرهنّ فلم یجز أن یخرجن من

الظروف إلى غيرها إذ كنّ قد أزلن عن أصولها فإذا قلت: آتيك ضحوه يومك و عشاءه، لم يكن سبيله سبيل ما هو عام فيما وضع له، فلا يحصل به اختصاص، بل هو موضوع موضع الضّحوه بالعرف، فصار يجرى مجرى المعهود للمخاطب، أو المضاف نحو قولك: ضحوه يومى و إذ كان كذلك بان الفرق بين الموضعين، لأنّ حكم اسم الجنس أن يكون شائعا فى الأصل.

ثم يحصل التّعريف فيه بوجه من الوجوه المعروفه و قولهم: عتمه مصدر مثل الغلبه و معناه الإبطاء و التأخّر قال:

يذكّرنى ابنى السّماكان موهناإذا طلعا خلف النّجوم العواتم

إلا أنّه يستعمل ظرفا كما استعمل غيره من المصادر ظرفا، كخفوق النّجم، و خلافه فلان، و غير ظرف أيضا يقول: سير عليه عتمه فينتصب انتصاب اليوم و الليله و يجوز أن يسند إليه الفعل، فيقال: سير عليه عتمه من العتمات، فيدخل الألف و اللام و قد يلزم الظرفيه فلا ينتقل و ذلك إذا أردت به عتمه ليله، هذا مذهب سيبويه و كان الأخفش يقول: ضحوه و عتمه إذا كان فى يومك لرفعهما أيضا، حتى أخذ العرب تمنع منه.

فأما غدوه فإنّه اسم مشتقّ من قولك: غداه، فلقّب به الوقت، فصار علما له كما وضع زيد علما للرجل، فلذلك منع الصّرف، إذا قلت سيّرته غدوه، لأنه معرفه، و جاز فيه ما جاز فى يوم الجمعه و أشباهه، لأنّه معرف من جهه التّعريف، يقول: سير بزيد غدوه و إن شئت نصبت على أصل الظّرف، و يكره فيها مثل ذلك إذا حملتها على غدوه، لأنّ المعنى واحد، و إن أردت أن تجعلها كعشيه و ضحوه، فجيّد، و إنّما جعلوها معرفه تشبيها بما كان فى معناها و هى غدوه، لأنّها غيّرت بالتّعريف كما غيّرت غدوه و امتنعت من الألف و اللام، و نظير جعلهم نكره بمنزله غدوه، إذ كانت فى معناها رفع الاسم و نصبهم بها الخبر و إجراءها مجرى ليس، إذ كانت فى معنى ليس و إن ثبت تركها غير مشبهه فرفعت ما بعدها، و كذلك قولك: ودع يدع إنّما كان الكسر نحو يعد و يزن، و لكن تعيّن فتحها و أجريت يذر مجراها لأنّها فى معناها و لأنّ الفتحه أخفّ و لهذه نظائر.

فإن قلت: قد قرأ أبو رجاء المطاردى بالغدوه و العشى، فجعلها شائعه كما تقول:

جاءنى زيد و زيد، تريد جماعه اسم كلّ واحد منهم، فيقول المجيب: و من الزّيد الأوّل و الزّيد الآخر. و هذا الزّيد أشرف من ذاك الزّيد، و على ذلك كانت تثنيه المعرفه و جمعها إذا كانت غير مضافه يخرجها إلى النّكره، لأنّ كلّ واحد يصير مرامه لكلّ واحد منها مثل اسمه، و تضيف زيدا و ما أشبهه كما تضيف النّكره لأنّه يصير معرفه بما أضيف إليه، كما قال الشّاعر:

علا زيدنا يوم النّقا رأس زيدكم بأبيض من ظامى الحد يديمان

فإن تقتلوا زيدا بزيد فإنّماأقادكم السّلطان بعد زمان

و أمّا قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۲] فإنّ ذلك نكره ليس يريد كل بكره و كلّ عشيه، و إنّما تأويله و اللّه أعلم: أنّ الجنه لا ليل فيها يفضى إلى نهار، و لا نهار يتّصل بليل، و لا شمس، و لا قمر إنّما هو فى مثل مقادير العاده فى الدّنيا.

و على هذا جاء الحديث: «نهار الجنه سجسج»: إنّما المعنى أنه أبدا كالنّهار و قوله:

سجسج أى معتدل لا برد فيه و لا حرّ. فإن قلت: كيف جاز أن يصير ما حكمه أن يكون شائعا فيما يصلح له مختصا ببعضه، حتّى زعمت فى هذه الأسماء ما زعمت. قلت: ذلك لا- يمتنع فى عادتهم و طرقهم، أ لا ترى أنّ قولهم: ابن عباس يختصّ بعبد اللّه حتى لا يعلم منه غيره، و إن للعباس أولادا دون عبد اللّه، و كذلك قولهم: ابن الزبير اختصّ به عبد اللّه فيما استمرّ من العاده.

فأما سحر: فإنّك تقول: سير عليه سحر، فلا ينصرف و لا يتصرّف إذا أردت سحر يومك، و معنى لا يتصرّف لا يتمكّن تمكن أسماء الأزمان فى أبوابها. و معنى لا ينصرف: لا يدخله الجر و التنوين. فإن أردت سحرا من الأسحار و هو فى موضعه نكره، فلا مانع له من الصّرف و التمكّن، و نقول: إنّ سحرا جزء من آخر اللّيل، و فى سحر وقع الأمر. و قال اللّه تعالى: إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ [سوره القمر، الآيه: ۳۴] و على هذا إن أدخلت الألف و اللّام تقول: سير به السّحر المعروف، و إنما منع الصّرف حين قلت: آتيك سحر، و أنتظر سحر لأنه معدول عمّا فيه الألف و اللّام.

و كان شيخنا أبو على الفارسى يختار أن يقال: إنّه معدول عن أحوال نظائره أ لا ترى أنّ أخواته إذا عرفت جاءت بالألف و اللّام فهو جار مجرى أخر، و جمع فى العدل و إن كان أخر نكره و سحر و جمع معرفتان، و قد بيّنا الكلام فيه فيما يجرى و لا يجرى، و إنّما لم ينصرف لأنه بلفظ النّكره موضوع موضع المعارف من غير أن جعل علما، فهو مناسب لضحوه و عتمه إذا جعلا من يومك الذى أنت فيه.

قال أبو على الفارسى: دخول الألف و اللّام فى عتمه إذا أردت عتمه ليله لا أعلمه استعملت الكلمه بهما. و سيبويه لم يذكره و لا يجوز حمله على ضحوه و غدوه و بكره قياسا كما يقوله الأخفش، فيرفع و ينصب. قال: و يقوّى ما ذهب إليه سيبويه من أنّ عتمه لا يستعمل إلا ظرفا إذا أردت به عتمه ليلتك، أنّ ما أشبهها من الظّروف لم يستعمل إلا ظروفا.

فمن ذلك: سير عليه ضحى و صباحا و مساء و عشيه و عشاء، إذا أردت بجميعها ما ليومك و ليلتك، و كذلك سير عليه ليلا و نهارا، أشبه بالمصادر و قد جعلت ظروفا.

فإن قيل: إنّ ضحى إذا أريد به ضحى يومه مثل عتمه، و قد دخله لام التّعريف فى قوله: أبصرته فى الضّحى يرمى الصّعيد به.

و فى قوله: نؤوم الضّحى قلت: إنّ هذا قد خرج من أن يكون ظرفا لمكان الإضافه إليه، و دخول حرف الجر عليه فاعلمه، فإن قيل: لم خصّ بعض أسماء أوائل النّهار بأن جعل علما و بعضها بأن جعل معدولا من دون أسماء أجزائه الباقيه؟ قلت: لمّا كانت المواعد و الحاجات استمرّت العاده فى أنّها أكثر ما تعلق تعلق بأوائل النّهار دون أوساطه و أواخره.

و كثر الاستعمال فيها لذلک استجيز فيها ما لم يستجز فى غيرها من التّغيرات، يشهد لهذا أنّهم أقاموا مقام الأزمنه ما ليس منها، و ذلک كالمصادر نحو خفوق النّجم، و خلافه فلان، و كصفات الزّمان نحو: قليل و كثير و قديم و حديث. و هذا ما حضر فى قولهم سحر و غدوه و بكره و نظائرها و فيه كفايه.

فصل فى المحدود من الزّمان و غير المحدود

قال أبو عمرو و غيره: الزّمان سته أشهر، و الحين سته أشهر، قال اللّه تعالى: تُؤْتِی أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها [سوره إبراهيم، الآيه: ۲۵] و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى: الزّمان عندهم أربعه أشهر و يقال: شی ء مزمن أى أتى عليه زمان، و كان الزّمانيه فيه لامتدادها.

و قال ابن الأعرابى: يقال من الزّمان زمنه، و زمن و من الزّمانه أيضا يقال: به زمنه و زمن، و يقال: لقيته فى الزّمن بين الزّمنين، أ لا تراه قد حدّ للّقاء وقتا، و للفراق وقتين، و كلّ قريب، و يقال: لقيته ذات الزّمين أى ساعه فى مده من الدّهر يسيره. و قال غيرهم: الحين الوقت فى كلّ عدد، و الملا غير مهموز مثله، و يقال: الحين سبع سنين، و احتجّ بقوله تعالى: لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ [سوره يوسف، الآيه: ۳۵] و قيل هو أربعون سنه لقوله تعالى:

هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ [سوره الإنسان، الآيه: ۱] و ذاک أنّه روى فى الخبر أن آدم عليه السّلام أتى عليه بعد خلق اللّه إيّاه و هو طين أربعون سنه ثم نفخ فيه و لم يدر ما هو.

و قيل: الحين ثلاثه أيّام لقوله تعالى: إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ [سوره الذّاريات، الآيه: ۴۳] فكان فيما روى ذلک القدر. و قال آخرون: ثلاث مرّات فى اليوم لأنّه تعالى قال:

فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۷] إلى و حِينَ تُظْهِرُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۸] قالوا: و هذا يقتضى أن يكون فى قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ [سوره النّحل، الآيه: ۶] غدوه و عشيه قال الشيخ: المحصّل الصّحيح أنّ قولهم: الحين لما يتطاول من الزّمان و يتقاصر و يكون محدودا أو غير محدود.

و قد حکی عن أبی زید و أبی عبیده و یونس أن (الدّهر) و (الزّمان) و (الزّمن) و (الحین) یقع علی محدود، و علی عمر الدّنیا من أوّلها إلی آخرها. قال الأعشی شعرا:

لعمرک ما طول هذا الزّمن علی المرء إلّا عناء معن

یرید به الوقت الممتد و قیل فی قوله تعالی: وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ [سوره ص، الآیه: ۸۸] أراد یوم بدر و قیل: أرید به القیامه. و جمیع ما حکیناه عند الفحص یدلّ علی أنّ المراد به تبع لمقصود المتکلّمین. فإذا قال: لم ألقک منذ حین و هو یرید تبعید الوقت، علم ذلک بالحال أو القرینه، و کذلک لو قال: أعطیک حقّک بعد حین، و أراد: تقریب الوقت.

و إذا حلف الحالف علی حین، فإن کان من أهل المعرفه بالحین أخذ بقوله، و إن لم یکن من أهلها حمله الإمام علی أعرف الأوقات فیه عند العامه، و استظهرنا بعد الحالین فی الوجود.

و قال شرقی الزّمن عندهم شهران- و الزّمین شهر واحد. و قیل: الزّمان سته أشهر- و الزّمن أربعه أشهر- و الزّمین شهران- و الحرس کمال السّنه ما بین أولها إلی آخرها. و قال غیره: الحرس ما بین الحین إلی السنه. و قال الخلیل: الحرس وقت من الدّهر دون الحقب.

قال شعرا:

و عمرت حرسا دون مجری داحس لو کان للنّفس اللّجوج خلود

و یقال: شی ء محروس، أی علیه حرس، و یقال: أحرس بالمکان، أقام حرسا. قال:

و علم أحرس فوق عنز- و العنز أکمه صغیره.

و البرهه عشر سنین. و قال الخلیل للبرهه: حین من الدّهر طویل- و العصر عشرون سنه. و قیل: العصر لا یکون إلّا لما سلف. و قوله تعالی: وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ [سوره العصر، الآیه: ۱، ۲] قال ابن الکلبی: هو الدّهر کلّه الماضی و المؤتنف، و قد قیل:

عصر و أعصر و عصور. قال: کر اللّیالی و اختلاف الأحصر. و قال آخر: أ بعصور من بعد تلک عصور، و العصران الغداه و العشیّ.

و الأشدّ ثلاثون سنه، و قیل: هو لما بین ثلاث و ثلاثین إلی تسع و ثلاثین. قال الشیخ:

تحقیقه بلوغ نهایه القوّه و الشّباب. و اختلف فی بنائه، فمنهم من یقول: هو جمع و واحده شد و مثله ضب واضب. و منهم من یقول هو واحد و مثله من الأبنیه قولهم آنک و هو الأسرب و قولهم آجر. و قال سیبویه: افعل لیس من أبنیه الواحد. و هذان

أعجبان عند أصحاب العربيه.

و السبت من الدّهر ثلاث مائه سنه، و قال بعضهم: السبت أربعون سنه و أنشده:

و قد نرتعی سبتا و لسنا بحيرهمحلّ الملوک تفده فالمغاسلا

و الحقبه من السّتين إلی الثمانين. و قال بعضهم: من السّبع إلی العشر. و قال الخليل:

الحقبه زمان من الدّهر لا وقت له و الجمع الأحقاب. و قيل الحقب: السّنون واحدها حقب، و الحقب: الدّهر و الجمع الأحقاب. و قيل: فی قوله تعالی: لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً [سوره النبأ، الآيه: ۲۳] واحدها الحقب ثمانون سنه، كل سنه اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم منها مقداره ألف سنه من سنی الدّنيا. و ذكر قطرب أنّ الحقب بلغه قيس مائه سنه.

و القرن من الثّمانين إلی المائه، و قالت طائفه منهم القرن ثلاثون سنه و قيل القرن أربعون سنه. و قال أبو عمرو غلام ثعلب: الصّحيح عندی أنّ القرن مائه سنه، و ذاک أنّ النبیّ صلی اللّه عليه و سلم مسح يده علی رأس صبی و قال له: «عش قرنا» فعاش مائه سنه. و قد احتجوا أيضا بقوله عليه السلام: «خير النّاس قربی ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». و هذا يدل علی أنّ القرن ثلاثون إلی الأربعين.

و قال ابن الأعرابی: الهنيد مائه سنه، و الهند مائتا سنه و الدهر ألف سنه. و قول اللّه تعالی: بِضْعَ سِنِينَ [سوره يوسف، الآيه: ۴۳] قيل: إنها سبعه. و قال أكثر أهل اللغه: إنّ البضع لما بين الثّلاثه إلی العشر. و حكی البضع بفتح الياء و قال المبرّد: هو ما بين العقدين إلی الواحد، و إنما جاز فی الاثنين أيضا عنده لأنه جمع، و بضع اسم الجماعه المحظوره بالعقود. و قال أحمد بن يحيی: البضع من ثلاثه إلی سبعه و أكثره تسعه، و يقال: بضع عشر و بضعه عشر شهرا، و بضع و عشرون إلّا أنه مع العشره أكثر و أصله من القطع، يقال: بضعه بضعا و المقطوع بضع، فهو مثل الطّحن و الطّحن.

و ذكر أبو عبيد الوقص ما زاد من السّنين علی العشر، و إحدی عشره وقص و كذلک المياه التی لا تورد بين الماءين الموردين وقص قال و الشّنق فی الدّيه خاصه، و قيل: الوقص و البضع اسمان للعدد فهما يستعملان فی كلّ معدود و هذا هو الصّحيح.

و النّيف يجی ء بعد العقود يقال: نيّف و عشرون، و نيّف و تسعون، و لا يقال: نيف و عشره، و يجوز عشره و نيف لأنه اسم لما يزيد علی العقد و وزنه فيعل و أصله من ناف ينوف إذا ارتفع و أشرف و انبسط، و يقال: ناف النّفس ينوف نوفا إذا تحرّک و نسم بعد خفوضه و هموده. و يقال فی الدّنف الحرض قد نافت له نفس ترجوه معه، و إذا حمحم الفرس للقضيم، قيل: ناف نوفا، و يقال: أناف علی الشی ء أی أشرف، نافه يناف. و النّوف السّنام لإشرافه و البطر لزيادته فی ذلک الموضع و العلم قال شعرا:

يخبّ به العطّاف رافع نوفه له زفرات بالخميس العرمرم

الآن: فقد قال أبو العباس: يشار به إلی حاضر الوقت، و تلخيص هذا أنّه الزّمان الذی يقع فيه كلام المتكلم فهو آخر ما مضی و أول ما يأتی من الأزمنه، و هذا مراد قولهم:

الآن حد الزّمانين، و الذی أوجب بناءه أنها وقعت فی أوّل أحوالها بالألف و اللام. و حكم الأسماء أن تكون منكوره شائعه فی الجنس. ثم يدخل عليها ما يعرّفها من إضافه، و ألف و لام فخالفت الآن سائر أخواتها من الأسماء، بأن وقعت معرفه فی أوّل

أحوالها، و لزمت موضعا واحدا كما تلزم الحروف مواضعها التى وقعت فيها فى أوّليتها غير زائله عنها، و لا نازحه منها و اختيرت الفتحه لآخرها لخفّتها و لمشاركتها للألف التى قبله. و قال الفرّاء فيه قولان:

الأوّل: أنّ أصله أنّ الشى ء يئين إذا أتى وقته، كقولك: آن لك أن تفعل كذا و إنى لك، ثم أدخلوا الألف و اللّام عليه، و إن كان فعلا كما يروى أنّه نهى النّبى صلى اللّه عليه و سلم عن قيل و قال فعلان ماضيان و أدخل عن الجاره عليهما و تركا على ما كانا.

الثّانى: إنّ الأصل فيهما أوان، ثم حذف الواو فبقى آن، كما قالوا: رواح و راح، و الكلام عليه قد مضى فى غير هذا الموضع من كتبنا.

و قولهم أيّان فإنّه يقوم مقام متى، فهو يتضمّن معنى الألف و كان حكمه أن يكون ساكن الآخر، لكنّه حرّك لالتقاء السّاكنين، و اختيرت الفتحه لخفّتها و لأنّ قبلها ياء مشدّده، و هما بين الياء و النّون، ليس بحاجز حصين و هو الألف.

و حكى الكسائى أنّ أبا عبد الرّحمن السّلمى قرأ: أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [سوره النّحل، الآيه: ٢١] بكسر الألف.

و إيّان و أفان فهما معربان متمكّنان و تضيفها فتقول: جئت على إيّان فلان و إفاته أى فى وقته، و تفردهما بنزع الجار منهما، فتقول: جئت إيّان ذلك و إفاته، و انتصابهما على الظّرف.

و أما قولهم أوان فمعناه الوقت و يجمع على آونه قال ابن أحمر شعرا:

يؤرّقنا أبو حنش و طلق و عمّار و آونه أنالا

و قد جاء مبينا منونا فى قول الشاعر:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

و إن كان متمكنا فى جميع الكلام تقول: هذا أوان طيّب، و أدركت أوان فلان، قال أبو العباس: إنّما بنى من قبل أنّ الأوان من أسماء الزّمان، و أسماء الزّمان قد تكون مضافات إلى الجمل، كقولك: هذا يوم يقوم زيد، و أتيتك زمن عمرو أمير. فإذا حذفت الجمله من

قولک أوان، و قد يضم معناها و هو فى حكم المعرفه بها استحق البناء، ثم عوّضت منها التّنوين كما فعلت ذلک بقولک: حينئذ و ساعتئذ و فارق قولک: أوان الغايات، لأن الغايات مضافه إلى المفردات فى التقدير، و أوان مضافه إلى جمله فهو كاسم حذف بعضه و بقى بعضه و قد عوّض مما حذف فيه و الغايات لم يؤت فيها بما يكون عوضا، و نيّه الإضافه فيه أقوى إذا كانت إلى المفرد لا إلى الجمله، و اختيرت الكسره فى أوان لما بنى لالتقاء السّاكنين.

و ذكر بعض الكوفيين أنّ لات جارت لأوان بمنزله حرف من حروف الخفض، و لو كان كذلک لفعل به مثل ذلک فى قوله تعالى: وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ [سوره ص، الآيه: ۳].

و أما إذ و إذا فهما اسمان مبهمان. فإذ لما مضى و إذا للمستقبل، فهما كالأسماء النّاقصه المحتاجه إلى الصّلات، لأنّ الأسماء موضوعها أن تدلّ على مسمياتها فى الأصل، فإذا صار بعضها لا يدلّ بنفسه على ما هو المطلوب منه و احتاج إلى ما يكشفه، و يوضح معناه حلّ بما بعده من تمامه محلّ الاسم الواحد، و صار هو بنفسه كبعض الاسم، و بعض الاسم مبنىّ. فإذ يوضح بالابتداء و الخبر، و الفعل و الفاعل تقول: جئتک إذ قام زيد، و إذ زيد قام، و إذ يقوم زيد و إذ زيد يقوم، فإذا كان الفعل مستقبلا حسن تقديمه و تأخيره. و إذا كان ماضيا قبح التأخير، لا- يقولون: جئتک إذ زيد قام، إلا مستكرها من قبل، أنّ إذ للماضى، فإذا كان فى الكلام فعل ماض اختير إيلاؤه إيّاه لمطابقتهما و مشاكله معناهما. و إذ عند أصحابنا اسم مضاف إلى موضع الجمله التى بعدها، و لا يجازى بها، لأنها مقصوره على وقت بعينه ماض.

و إذا من أسماء الزّمان أيضا و يقع بعدها الأفعال المستقبله، و هى موضحه بما بعدها كما كانت إذ غير أنها لا يليها إلا الأفعال مظهره كانت، أو مضمره كقولک: أجيئک إذا قام زيد، يعنى الوقت الذى يقوم فيه، و فيها معنى المجازاه فلذلک لا يقع بعدها إلا الأفعال.

فإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعا فعلى تقدير فعل قبله، لأنّه لا يكون بعده الابتداء و الخبر و إنّما لم يجازيها لأنّها تقع محدوده، و المجازاه معتوده على أنّها يجوز أن يكون و ألّا يكون تقول أجيئک إذا احمرّ البسر، و لا يجوز أن تقول: إن احمر البسر، فلمّا كان إذا لوقت معلوم لم يجاز بها، و إن كان فيها معنى المجازاه، إلا أن يضطر شاعر قال الفرزدق:

ترفع لى خندق و اللّه يرفعنانار إذا ما خبت نار لهم تقد

و معنى المجازاه: أنّ جوابها يقع عند الوقت الواقع كما يقع المجازاه عند وقوع الشّرط. و لإذا موضع آخر يكون فيه اسما لمكان و ذاک من ظروفه و سيجى ء الكلام فيه فى الباب الذى يليه.

الباب الثّانی عشر فی لفظ أمس– و غد– و الحول– و السّنه– و العام– و ما یتلو تلوه

اشاره

و لفظ حیث– و ما یتّصل به– و الغایات– کقبل– و بعد– و ذکر أول– و حینئذ– و قطّ– و منذ– و مذ و إذ المکانیه.

و من عل یقال: الیوم لیومک الذی أنت فیه، و أمس للیوم الّذی یلیه یومک الذی أنت فیه و قد مضی. و قال قطرب و غیره: یقول: رأیته أمس فتکسر، کما قالوا: قال الغراب:

غاق یا هذا فی حکایه صوته، و تمیم یرفعون أمس فی موضع الرّفع فیقولون: ذهب أمس بما فیه فلا یصرفونه لما دخله من التّغییر و قال الرّاجز:

لقد رأیت عجبا مذ أمساعجائزا مثل السّعالی خمسا

فکأنّه ترک صرفه فی لغه من جرّ بمذ. و قال عدی بن زید:

أ تعرف أمس من لمیس طلل مثل الکتاب الدّارس المحول

قال الشیخ: اعلم أنّ أمس اسم معرفه لما مضی و شوهد. و غد بخلافه لأنه و إن کان اسما للیوم الذی یلی یومک الذی أنت فیه، و لم یجی ء فهو نکره. و مثلهما قطّ و أبدا لأن قط معرفه و أبدا نکره، و فی بناء أمس طریقتان:

الأول: ما ذکره أبو العباس المبرّد و هو أنّ شرط الاسم أن یلزم مسمّاه، و لا سیّما ما کان معرفه لیکون علما باقیا له. و أمس لیس یلزم مسمّاه لأنه اسم للیوم الذی یلیه یومک الذی أنت فیه و قد مضی، فکلّما مضی یومک انتقل لفظ أمس عمّا کانت له إلی ما کانت بعده، فلمّا کان کذلک أشبهه الحروف فی أنّه لا لزوم لها و إنما ینقل إلی ما ینقل إلیه کمن و فی و إلی، فیفید معناها فیه فبنی لذلک.

الثّانی: إنه کان حق تعریفه أن یکون بالألف و اللّام لیؤدّی العهد فیه فلم یدخلا علیه، بل ضمن معناهما، و الاسم إذا تضمّن معنی حرف، یجب أن یبنی، فهذا وجه بنائه فأمّا من

منعه الصّرف فإنه يجعله معدولا عمّا فيه الألف و اللّام كأنّه لا يأتى بهما، و هو يريد معناهما فى الاسم كما أنّ قولك: سحر كذلك و قد مضى القول فيه، فإن نكّرته و جعلته شائعا صرفته به و صرفته، فقلت: مضى أمس و كذلك إن أضفته أو أدخلت عليه ألفا و لاما، لأنّه يصير موقتا محدودا تقول: مضى أمسك، و كان أمسا أطيب من يومنا، و مضى الأمس.

فإن قال: ما بال غد لا يكون مبنيا قلت: أمس معرفه مشاهد معلوم، و غد ليس بمعلوم و لا مشاهد، لأنّه لم يأت قبيلهما سبيل قط المشدّده و أبدا، لأنّ قطّ للقائل من لدن قوله أى ابتداء كونه فهو معلوم، يقول: ما رأيته قطّ، تحركت الطّاء الأخيره لأنه لا يلتقى ساكنان و يضمها كما يضم آخر الغايات، و سنبين القول فيها كلّها، و إذا قلت: لا أكلمه أبدا، فالأبد مذ لدن تكلّمت إلى آخر عمرك، فهو غير معلوم، و جار على أصله الذى له و صار مصروفا منصرفا لم يعرض فيه ما يوجب تنيرا.

قال قطرب: و أظنه حكى عن الخليل أنّهم أرادوا بأمس حين حفظوا رأيته بالأمس، فحذفوا الباء و الألف و اللّام كما قالوا خير عافاك اللّه فى جواب: كيف أصبحت؟ يريدون بخير، و كما قالوا: لاه أبوك اللّه أبوك. و قال ذو الأصبع شعرا:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب دونى و لا أنت ديّانى فتجزونى

فحذف لام الإضافه و لام التّعريف و هذا تقويه لقول الخليل، و مثله قول الآخر:

طال النّواء و ليس حين تقاطع لاه ابن عمّك و النّوى لعدوّ

انتهى كلامه. قال الشّيخ: هذا الذى حكاه لا يكون بناء بل يكون الحركه فى أمس إعرابا كما أنّها فى حين و فى لاه أبوك شاذ، فلا يجعل أصلا لغيره. قال قطرب: فإذا دخلت الألف و اللّام فى أمس، فبعض العرب ينصبه، و يقول: رأيته الأمس و بعضهم يخفضه كحاله قبل الألف و اللّام، و يقول: رأيته بالأمس و قال نصيب شعرا:

و إنى حبست اليوم و الأمس قبله ببابك حتّى كادت الشّمس تغرب

انتهى كلامه.

قال الشيخ: الوجه فى إدخال الألف و اللام أن ينكّر أولا ثم يعرّف بهما، فأمّا من نصب بعد إدخال الألف و اللّام فهو القياس، لأنّ الألف و اللّام و التّنكير يرددان اللفظ إلى ما كان يجب عليه فى الأصل.

و أما ما حكاه عن يونس أنّه سمع الكسر مع دخول الألف و اللّام، فالمتكلّم بذلك يجب أن لا يكون قد اعتدّ بالألف و اللّام، و لم ينكّر قبل دخولهما، و بقى الكسر إيذانا بفعله ذلك، و يكون هذا كقوله شعرا:

و لقد جنيتك أكمؤا و عاقلاو لقد نهيتك عن بنات الأوبر

فأدخل الألف و اللّام على الأوبر و هو معرفه، لأنه لم يعتد بهما، أو يكون أجراه مجرى الخازباز و خمسه عشر و أخواته فى العدد، لأنّ الألف و اللّام لا يزيلان بناءهما و لا يردانهما إلى أصلهما، و الأول أجود و أكثر نظيرا فى الوجود. قال قطرب: و إذا جمعت أمس فى القياس قلت: ثلاثه آماس، لأنه مثل فرخ و أفراخ، و فلس و أفلاس، و قال الرّاجز شعرا:

مرّت بنا أوّل من أموس تميس فيه مشيه العروس

فجمعه على فعول مثل فروخ و فلوس، و قال بعض الأعراب:

مرّت بنا أول من أمسيه تجرّ فى محفلها الرّجليه

فبنى أمس انتهت الحكايه. قال الشّيخ: الياء فى أمسيه لبيان الحركه، و كذلك فى الرّجليه، و كأنه أراد أوّل من أوّل من أمس فثنى أمس بدلا من تكرير أول، و هذا كما قال أبو العباس فيما حكى عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى اضربا عنقه. و المراد: اضرب اضرب فأتى بدل التّكرير بلفظ التثنيه، فأما أوّل من قولك أول من أمس فهو صفه كان المراد به يوما أوّل من أمس، و قالوا: بعد غد، و لم يقولوا: قبل أمس، فكان أول بدل قبل، و بعد غد فى موضع الصّفه أيضا.

قال قطرب: فإن أضفته فإنّ بعضهم يجرّه كحاله قبل أن تضيف، كما كأن ذلك فى الألف و اللّام. قال الشيخ: الوجه فى أمس إذا أضيف أن يعرب و يصرف كما قلناه فى الألف و اللّام، فأما من بناه مع الإضافه فإنّه شبهه بخازباز و خمسه عشر و أخواته، لأنها بنيت، و إن أضيفت، و رجوع أمس فى التّنكير إلى أصله هو الّذى يدل على مخالفته لباب خازباز و خمسه عشر و أخواته. و قد قال قطرب فى أمس: إذا جعلته نكره فإنه يجرى فيه الإعراب و كل ما يرده التنكير إلى أصله تردّه الإضافه و الألف و اللّام إلى أصله، و خمسه عشر و أخواته بنيت نكرات، و إن كان كذلك كان الضّعف و البعد فى بناء أمس عند الإضافه و مع الألف و اللام ظاهرين فاعلمه، و تقول: آتيك غدا أو شيّعه، و آتيك الجمعه أو شيّعه و المراد اليوم الذى يليه. قال عمر بن أبى ربيعه شعرا:

قال الحبيب غدا يفرّقناأو شيعه أ فلا تودّعنا؟!

فكان هذا من الاتباع، و فى الحديث: شاعه أبو بكر أى اتّبعه، فيقال على هذا النّبى صلى اللّه عليه و سلم و شيّعه، أى مصدّقه و صاحبه و من هذا الشّيعه.

و قال ابن الأعرابى: يقع الشيعه على كل من أحبّ و صدّق و حضّ على الاتباع أو حرّض تأخر عن المتبوع أو تقدم عليه. أ لا ترى قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ [سوره الصّافات، الآيه: ۸۳] يعنى من شيعه محمد صلى اللّه عليه و سلم فأما قوله:

كأن أمسيا به من أمس يصفرّ ليس اصفرار الورس

فإنّه يعنى عرق الإبل، و هو يصفّر إذا يبس و معنى أمسيا به: يريد عرقا ظهر منذ ثلاثه أيام، و معنى من أمس: منذ، كما قال: أقوين من حجج و من دهر و عرق الخيل إذا يبس ابيضّ. قال بشر:

تراها من يبس الماء شهبامخالط درّه فيها اقورار

و الحول: السّنه بأسرها، و جمعه أحوال، و قد حال الحول يحول حولا- و حؤلا- و احتال الشی ء و أحول: أتى عليه حوال أو أحوال، و أحال بالمكان: أقام فيه حولا، و قال الخليل:

أرض مستحاله تركت أعواما من الزّراعه.

و السّنه اسم لاثنى عشر شهرا، و هو اسم منقوص و الذّاهب منه فى لغه كثير منهم الهاء، كان الأصل سنه، فحذف الهاء لمناسبتها لحروف المدّ و اللّين و على هذه اللغه تصغر سنيهه، و يقال منه: هو يعمل مسانهه، كما يقال: معاومه و نخله سنهاء: تحمل عاما و تحول عاما قال:

ليست بسنهاء و لا رجبيهو لكن عرايا فى السّنين الجوائح

و فى لغه غير هؤلاء- الذّاهب منه الواو، كان الأصل سنوه، فحذف الواو تخفيفا ثم جمعت على سنين جبرانا بالنقيصه لأنّ جمع السّلامه إذا حصل فى غير النّاطقين و من جرى مجراهم يكون للتّفخيم و التّعظيم، أو جبرا لنقص داخل على الاسم، و الأسماء المنقوصه تجد الذّاهب منها فى الأعم الأكثر الواو و الياء لاستثقالهم إيّاهما، و كما يحذفونهما حذفا يعلّونهما بالقلب و الإبدال، لأنّ كلّ ذلك يؤدّى إلى التّخفيف، و على ذلك هذه اللّغه يصغّر سنيّه و تجمع سنوات و يقال: هو يعمل مساناه، و يقال: أسنى القوم و هم مسنون: إذا أتت عليهم سنه، و قد جعل السّنه اسما للجدب، فيقال: أصابتهم السّنه، و جعل الفعل منه أسنت، فرقا بين هذا المعنى و غيره، يقال: أسنت القوم و هم مسنتون، و على هذا لغه من جعل لامه واوا دون اللّغه الأخرى، و هم يفعلون ذلك بما فيه لغتان و يقال أيضا: رجل سنت: أى قليل الخير، و قوم سنتون، و التّاء من أسنت هو بدل من الواو، و هذا كما فعلوا فى بنت و أخت، ثم جعل البدل فى أسنت لازما كأنّهم أرادوا أن يختصّ بالجدب، حتّى كأنّه وضع له، فلا مناسبه بينه و بين ما للوقت و هذا كما جعل البدل فى قولهم: عيد، لازما، فقيل: عييد و أعياد فى تصغيره و جمعه و لم يردّوه إلى أصله، و إن كان من عاد يعود لقصدهم إلى أن يختص بما يفيده بعد الإبدال العارض فيه كأنّه بناء آخر له و ليس بمشتق.

فأمّا قولهم: العام، فيقال منه: عاومت النّخله إذا حملت سنه و حالت أخرى، و عنب معوم: كثر حمله سنه و قلّ أخرى. و فى الحديث نهى عن المعاومه، و هو: أن تبيع الزّرع

عامك بما يخرج من قابل، و هو أن يزيد على الدّين، و يؤخّر فى الأجل، و يقال: أتيته ذات عويم: أى العام، و يقال: أعوام عوم و عام عائم على التّوكيد، كما يقال: شعر شاعر، و هو عامى إذا أتى عليه عام. قال العجّاج: من أن شجاك طلل عامى.

فصل [فى تعريف العام و السنه]

قال قطرب: العام لما أنت فيه، و قابل للثّانى لأنّه يستقبلك، و جمعه قوابل و قباقب للعام الثّالث، و مقبقب للعام الرّابع. قال: و كان أبو عمرو بن العلاء يعرف مقبقبا فى العام الرّابع، و جمعه القباقب بفتح أوّله، و هذا كما قيل: عذافر و عذافر و جوالق و جوالق، و أنشدنا أبو على فى قابل و هو من أبيات الكتاب:

فقال: امكثى حتّى يسار لعلّنانحجّ معا قالت أعاما و قابله؟

و مما يسأل عنه أن يقال: من أين جاز أن يقال عاما أوّل، و لا يوما أوّل، و لا سنه أولى. و الجواب: أنّ قولهم عاما أوّل مما عمدوا فيه إلى تخصيصه بشى ء لا يكون فى غيره، اعتمادا على التّعارف، لأنّ المعنى: عاما أوّل من عامى، فلمّا كانت الكلمه متداوله و كانت الحاجه إلى كثره استعمالها ماسّه حذفوا و أوجزوا معتمدين على علم المخاطب، و التّيه الإتمام، و مثل هذا الاختصاص قولهم: اليوم فعلت كذا، جعلوه ليومك الذى أنت فيه، و لا يقولون: لقيته الشّهر، و لا السّنه، و قد قالوا أيضا: لقيته العام و إن كان العام بمعنى السّنه قال:

يا أيّها العام الذى قد رابنى أنت الغداء لذكر عام أوّلا

فإن قيل: و لم احتجّ إلى من حتى قدرت فى قولك: عاما أوّل أنّ أصله عاما أوّل من عامى. قلت: إنّما افتقر الكلام إلى من لأنّهم أرادوا أن يبيّنوا فى أفعل ابتداء الزّياده من أى شى ء كان ليعرف حدّه و مبتدؤه. أ لا ترى أنّ معنى قولك: زيد أفضل من عمرو أنّ ابتداء زياده فضله من فضل عمرو، فهو حدّه. و أوّله، فكذلك قولهم: عاما أوّل فاعلمه.

و اعلم أنّ حيث فى الأمكنه بمنزله حين فى الأزمنه، بدلاله أنّه يقع على كل مكان، لا جهه من الجهات السّت إلّا و لإبهامه يقع عليها، و احتاج فى الاستعمال إلى جملتين: جمله يضاف إليها، و جمله تفيد حدثا يقع فيه، كما أنّ حين يقع على كلّ زمان. و لذلك أضيف إلى الجمل الخبريه من الابتداء، و الخبر و الفعل و الفاعل و الشّرط و الجزاء، كما فعل ذلك بإذ و أخواته- و إن كان ذلك خارجا من شروط الأمكنه، لأنّ المكان إذا جاء بهما حكمه أن يضاف إلى مفرد يخصّصه، فلمّا تناهى حيث فى الإبهام لانتظامه جميع الجهات، و لم يضف إلى مستحقّه من مفرد يخصّصه بل أضيف إلى جمله، صار هو مضافا إليها فى حكم المفرد

فأشبه الغايات من نحو: قبل و بعد و ما أشبههما، لأنّها هى مفرده تضمّنت معنى المضاف إليه و هو معرفه فبنيت جميعا لذلك، إلّا أنّ الغايات وجب أن تبنى على حركه لأنها ممّا قد يتمكّن فى غير هذا الموضع، فصارت لها مزيّه على ما لا يتمكّن البتّه، فبناؤها لما لها فى أوّل أمرها و حيث وجب أن تبنى على سكون لعدمها تلك المزيّه، لكنّه حرّك آخره لالتقاء السّاكنين.

و فى حيث لغات أربع: حيث و حيث و حوث و حوث، فالضّم لدخوله فى شبه الغايات مما ذكرناه و الفتح لخفّته. و حكى الكسائى عن بعضهم أنّهم يكسرون حيث فيقولون: من حيث لا- يعلمون كسره إعراب، و يمكن فى هذا أن يقال فيه: إنّه شبّه باسم الزمان إذا أضيف إلى غير متمكّن، نحو من خزى يومئذ و يومئذ و على حين عاتبت و حين عاتبت.

و الغايات أصلها الظّروف و إعرابها فى الأصل: للنّصب و الجر، و كان تمامها بما كانت تضاف إليه، فأفردت عنه اعتمادا على علم المخاطب به و جعلت فى نفسها غايه الكلام و نهايته، حتّى كأنّه لا افتقار فيه إلى غير هذا، و قد ضمّن معنى ما كان مضافا إليه و يصير به معرفه، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف فحقّه أن يبنى، و إنّما قلنا: و يصير به معرفه أنك لو نكّرته لأعرب و أجرى على أصله، تقول: جئت قبلا و بعدا كما تقول: أولا و آخرا كما أنّك لو أضفته، فقلت: من قبل كذا، و من بعد كذا لأعرب و لم يبن.

و قال أبو العباس: يقول فى الجمله: إنّ كلّ ما كان حقّه الإضافه فحذفت منه استغناء بعلم المخاطب فإنّه معرفه من غير جهه التّعريف و حقّه البناء، فمن ذلك: قبل- و بعد- و أوّل- و منذ- و ليس- و غير- يدلّك على حذف المضمر ما يحذفه بعد حرف الاستثناء إذا قلت: عنده درهم ليس إلّا، حذفت ما بعد إلّا استغناء و منها: من عل و يا زيد، و منها: قطّ و هو لما مضى من الدّهر و حسب و هى للاكتفاء و معنى قطّ فيما مضى فانقطع، و القطّ القطع عرضا، و القدّ القطع طولا، فهو معرفه لا يدخله الألف و اللّام و لا الإضافه.

و قال شيخنا أبو على: قطّ اسم ينتظم أوّل وقت، ذى الوقت إلى آخر ما بلغه منه، فهو عباره عن أمده و مدّته، فوجب لذلك أن يكون مضافا إلى ذى الوقت كما أضيف إليه قبل و بعد، فلمّا اقتطع عن الإضافه بنى على الضّم كما بنيا، و مثل قط فى انتظامه أوّل الوقت إلى آخره، منذ: إذا أريد به تعريف أمد الشّى ء و ذلك نحو أن تقول: لم أر زيدا، فيقال: ما أمد ذلك، و ما مدّته، يعنى انقطاع الرّؤيه فتقول: منذ عشرون يوما فابتداء الوقت و انتهاؤه هذا فى انتظام الاسم الذى هو مدّه لهما، و من ثم بنى منذ أيضا على الضّم حيث كان غايه مثل قطّ، و يجوز فى جوابه المعرفه و النكره و أبدا يدخله الألف و اللّام لأنّه نكره و معنى أبدا فيما اتّصل و امتدّ من الوقت، و منه الآبده و الأوابد. و معنى قطّ مخفّفه مسكّنه إذا قلت: قطك ليكفك

و اكتف و مثله قدك و حسبك و لتضمّنهما معنى الأمر فى أوّل أحوالهما، استحقّا البناء، و مثل قطّ و قطك فى أنّه يستعمل مثقلا و مخففا قولهم: بخ و بخ.

قال محمد بن زيد: يقال: بخ بخ، و يثقل أيضا كما قال فى حسب بخ و عزاقس و أنشد غيره شعرا:

بين الأشجّ و بين قيس باذخ بخ بخ الوالده و المولود

و قال أبو إسحاق الزيادى: الدّليل على أنّ مه ليس من قولك مهلا أنّه ليس فى الدّنيا اسم انصرف و هو تام، و امتنع من الصّرف و هو ناقص. فقال أبو عثمان المازنى: بلى قطّ المخففه، زعم سيبويه أنّها مخففه من قولك قططته قطّا، قال: و الدّليل على ذلك أنّ معنى قطّ معنى حسب، فهو لقطع الشى ء يقوّى ما ذهب إليه أبو عثمان فى هذا المعنى قولهم فى حسب: بخ فأعربوه مثقلا و بنوه مخففا و تقول: جئت من فوق، و من تحت، و من أمام و من دون، فالضّم فى جميع ذلك مستعمل على الوجه الذى بيّنته.

فأما قولك: من عل فمعناه من فوق، و فيه عده لغات ذكرها أهل اللّغه و سبيلها سبيل ما قدّمناه من أنّ جميعها فى تقدير الإضافه، فإذا حذفت المضاف إليه لم يخل من أن يكون معرفه أو نكره، فإن كان المحذوف نكره تنكّرت و أعربت و إن كان معرفه بنيت لأنّها بمنزله اسم قد اكتفى ببعضه عن جميعه، و بعض الاسم يبنى و هو ظاهر.

و اعلم أنّ ل: إذ موضعا آخر غير ما ذكرنا، و هو قولك: بينا زيد قائم إذ رأى عمروا.

و بينما زيد قائم جاء عمرو، فبينما عباره عن حين، و المعنى وقت أنا قائم جاء عمرو، إلّا أنّ بينما متمكّنه فلها صدر الكلام بمنزله مذ الذى يرفع الخبر. و كان الأصمعىّ يجرّبها المصدر خاصه و ينشده: بينا تعتقه الكماه و روغه، يريد حين يعتقه و النّحويون يخالفونه لأنّها مبهمه لا- تضاف إلّا إلى الجمل التى بيّنتها. و قال سيبويه: إذ يكون للمفاجأه إذا قلت: بينا أنا جالس إذ حضر عمرو، و بينا أنا أكلّم عمرو إذ طلع زيد.

و كان الأصمعىّ و كثير من النّحويين يأبون وقوع إذ فى هذا الموضع، لأنّ معنى بينا الحين، فإذا قلت: حين زيد قائم إذ طلع عمرو، فلا معنى له إنّما الكلام حين زيد قائم طلع عمرو، و إذ فضله. قال أبو العبّاس: أشعار العرب على ذلك قال:

بينا نحن نرقبه أتانامعلق و فضه و زنا دراع

و قال امرؤ القيس:

فبينا نعاج يرتعين خميلهكمشى العذارى فى الملاء المهذّب

فكان ينادينا و عقد عذاره و قال صحابى قد شأونك فاطلب

فأمّا ما قاله سيبويه فغير بعيد، و قد أجازه قوم. و أنشد سيبويه شعرا:

بينما هنّ بالكثيب ضحى إذ أتى راكب على جمله

و قولك: خرجت فإذا زيد قائم، يجوز أن يقال: فإذا زيد قائم خرجت كما تقول:

خرجت فإذا زيد، لأنّ إذا ظرف مكان و سمّى الاسم به و المعنى: فحضرنى زيد و إذ إذا جعل للمفاجأه كان فى مثل معناه و أمّا مذ و منذ فقد قال أبو العباس: أوّل ما يذكر من أمرهما أنّه يجوز أن يكون كلّ واحد منهما اسما و حرفا جارّا و لذلك قال سيبويه: إنّ مذ فيمن جرّ بها بمنزله من فى الأيّام و مذ و منذ شى ء واحد إلّا أنّ الأغلب على مذ أن يكون اسما و على منذ أن يكون حرفا لأنّ النّقصان إنما يكون فى الأسماء و الأفعال دون الحروف، و ذلك فى نحو:

دم و يد و خذ و كل.

و الدّليل على أنّ مذ منقوصه من منذ أنّك لو سمّيت إنسانا أو غيره بمذ ثم صغرته لقلت منيذ، فرددت ما ذهب فإنما هو بمنزله لد و لدن و من عل و من علا و آتيك غدا و غدوّا، فإن أردت فى منذ أن يكون حرفا قلت: لم أرك منذ يومين، و مذ يوم الجمعه و معناه: من هذه الغايه، و كذلك سرت من مكان كذا، و إذا أردت أن يكون اسما قلت: لم أر ذاك مذ يومان أى أمد ذاك يومان و هذا ابتداء و خبر و الرّفع فى مذ أكثر. و إذا قلت: أنت عندنا مذ اللّيله أو مذ اليوم صارت بمنزله منذ التى غلب عليها الحرفيه، و ذاك لأنّ العلّه التى يوجب منها الاسميه قد زالت لأنّك إذا قلت: لم أرك منذ يومان، فالمعنى بينى و بينك يومان و إذا قلت: أنت عندنا مذ اللّيله، فليس معناه بينى و بينك اللّيله، إنما هو فى اللّيله فإنّما المعنى فإذا قال: رأيت زيدا مذ يومان، فيجوز أن تكون الرّؤيه متّصله، و يجوز أن يكون رآه فى ذلك الوقت، ثم لم يره بعده، و إنّما هذا على قدر ما تقدم، يقول القائل: إنّ زيدا يأتيك مذ مده، فأقول: أنا رأيته مذ يومان أو شهران، و تأويل هذا إنّما حدثت هذه الرّؤيه فى هذا الوقت، أو يقول القائل: زيد أ يأتيك فى كلّ يوم؟ فأقول: ما رأيته مذ يومان، أى قد انقطع عنّى بعدهما، و لو قال القائل مبتدئا: رأيت زيدا مذ يومان، ثمّ لم يصله بكلام، و لم يعطفه على كلام، لم يحكم فيما بعد الوقت بشى ء و يتصل بهذا أن تقول: رأيت زيدا مذ يومان، يختلف إلى عمرو، و رأيت زيدا مذ يومان يضرب عمرا، فإنّما خبّرت بوقت الضّرب و لم تعرض لما بعده و تقول: رأيت زيدا يوم الجمعه أى أوّل ما فقدته أوّل يوم الجمعه، فيقع النّفى على جميع اليوم كما كانت الرّؤيه فى جميعه. و يجوز أن يكون النّفى واقعا على بعض اليوم فيكون حدّ الرّؤيه منه مجاوز الأول الفقدان، و قول القائل: لا كالمشيه زائر و مزورا معناه: لم أر زائرا كزائر رأيته اليوم، قال: و لا يقولون فى سائر الصّفات، يعنى الظّروف لا يقولون لا كنصف النهار و لا لا كهذه السّنه قال الشاعر شعرا:

روحوا العشيّه روحه مذكورهإن متن متن و إن حيين حيينا

إن متن متن و إن حيين فلا أرى لا كالعشيّه إن بقين بقينا

و اعلم أنّ قول القائل: ما برحت أفعل كذا براحا. أى أقمت على فعله مثل ما زلت أفعله، و هذا فى الزّمان و لا بدّ له من خبر. فإن قلت: ما برحت من مكان كذا، فالمعنى ما زلت براحا و بروحا، و هذا فى المكان كالأوّل فى الزّمان و قد مضى القول فيه، و يمضى فى غير موضع من هذا الكتاب.

و قد قيل: إنّ براح اسم للشّمس معدول عن البارحه الزّائله مثل قطام و قولهم جبل براح يوصف به الأسد و الشّجاع، لأنّ زواله متعذّر كأنه شدّ بالجبال، و هذا غريب فيما يشتق، و مثله قول القائل: البارح من الظّبا و الطّير هو المنحرف عن الرّامى إلى جهه لا تمكّنه من الرّمى، و السّانح المقبل المتعرّض فى جهه تمكن. قال: و لذلك يتشاءم بالبارح، و يتيمّن بالسّانح، قال: فأمّا من تيمّن بالبارح، فلأنه نجا، و من تشاءم بالسّانح لأنه هلك. و قول ابن الأحمر:

غدوا و أعدّوا الحىّ الزّيالاو شوقا لم يبالوا العين بالا

الغدو يحتمل أمرين: يجوز أن يكون مصدرا، و يجوز أن يكون اسم اليوم الذى يلى يومك، فإن جعلته مصدرا يكون مثل غدا غدوا، و يكون مفعولا و واعدوا الزّيال المفعول الثانى، و ينعطف عليه شوقا كأنّهم لمّا و عدوا بالزّيال المهيّج للشّوق فقد و عدوا بالشّوق.

و مثله الغدوّ فى القرآن: غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ [سوره سبأ، الآيه: ۱۲] فالغدوّ:

مصدر بدلاله أنّه قابله بالرّواح، و التّقدير مسيره غدوّها مسيره شهر، و إن جعلته اسم اليوم فمثله قوله: بها يوم حلّوها و غدوا بلاقع. و المعنى فى غدو: أعدوا الحىّ الزّيال و شوقا، و يكون المفعول الثّانى محذوفا، و أما قوله تعالى: وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [سوره الرعد، الآيه: ۱۵] فيجوز أن يكون الغدوّ: جمع غد مثل نحو و نحو، و يقوّى ذلك أنّه قوبل به الجمع الذى هو الآصال، و يجوز أن يكون المصدر، و يقويه قوله: بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ [سوره آل عمران، الآيه: ۴۱] و قال:

أفد الرّحيل و ليته لم يأفدفاليوم عاجله و نعذل فى غد

أى اليوم عاجل البين، و نعذل فى غد أى فى أخبار غد يضيف المصدر إلى المفعول به لأنّه خرج بانجراره من أن يكون ظرفا، فهو مثل: من دعاء الخير، و بسؤال نعجتك، و قال:

و ليس عطاء اليوم مانعه غدا. أى مانعه عطاء غد فحذف المضاف.

الباب الثّالث عشر فيما جاء مثنّى من أسماء الزّمان و اللّيل و النّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها

اشاره

يقال: اختلف عليه العصران أى اللّيل و النّهار و قد يراد بهما الغداه و العشىّ، لأنّ العصر من أسماء العشى، و لذلك قيل: صلاه العصر، ثم يسمّى الغداه أيضا عصرا، و يثنّى كما يقال: القمران فى الشّمس و القمر، و قد تصرفوا هذه اللفظه فقالوا: أ لم يجى ء فلان لعصر بضم العين أى لم يجى ء حين مجى ء.

و فى العصر لغتان: الضّم و الفتح و استعمل فى هذا أحدهما، و كذلك قالوا: أ ما نام لعصر أى لم ينم حين نومه، و ما نام عصرا، و كلّ ذلك بالضّم و يقال: أعصرت الجاريه أى بلغت حين إدراكها. قال: قد أعصرت أو قد دنا إعصارها. و هذا كما يقال: أحصد الزّرع و أجذّ النخل، كأنّها بلغت عصر شبابها و عصور شبابها و عصر شبابها، فأمّا فعل كذا عصره أى مره، فيجوز أن يكون من ذلك أيضا.

و حكى بعضهم أنّ العصر لما قد سلف، و لم يجى ء فى شعر الفحوله إلا كذلك و قد جاء فى شعر من دونهم، و قال ابن الكلبى: هو الدّهر كلّه الماضى و المؤتنف، و يقال: لا أكلّمك العصرين، و ما اختلف العصران، و هما القرنان و الطّفلان. قال لبيد:

و على الأرض غيابات الطّفل. و قال: يسعى عليها القرنين غلام، و هما العصران و البردان و الأبردان و البردتان، و يجمع فيقال: الأبارد. و يراد بها أطراف النّهار.

و قال أبو سعيد الضّرير: العيّوق ما دام متقدّما على الثّريا، ففى الزّمان بقيه من الأبارد، و إذا استوى العيّوق مع الثّريّا فقد بقى منها شى ء قليل، و قال ذو الرّمه:

و ماج السّفا موج الحباب و قلّصت مع النّجم عن أنف المصيف الأبارد

و يقال: اختلف عليه الملوان: أى اللّيل و النّهار. قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحىّ بالسّبعان أمل عليها بالبلى الملوان

و هذا تثنيه ملا، و فسّر أمل عليها: طال عليها. قال الشيخ: و يجوز عندى أن يكون أمل من إملال الكتاب، يقال: أمل الدّروس و الخلوقه عليها الملوان، و يكون الباء فى قوله:

بالبلى: إن شئت زائده للتأكيد، و إن شئت قلت: أراد بسبب البلى و يكون مفعول أملى محذوفا.

و ذكر بعض النّظار أنّ قولهم: ملوان لا- يكون اللّيل و النّهار بدلاله قول ابن مقبل نهار، و ليل دائم ملواهما. و الشى ء لا يضاف إلى نفسه و لكنّه المتّسع من الدّهر، و لو قيل: غدوّها و عشيّهما كان أشبه. و قال ابن أحمر شعرا:

ليهنكم أنّا نزلنا ببلدهكلا ملوه بها ميبس غير منعم

و قد تصرّفوا فى هذه اللّفظه على أبينه مختلفه فقالوا: لقيت عنده ملوه من الدّهر و ملوه و مليا. قال اللّه تعالى: وَ اهْجُرْنِی مَلِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۴۶] و مضت ملاوه من الدّهر و ملاؤه و ملاوه. قال أبو ذؤيب شعرا:

حتّى إذا جزرت مياه رزوبهو بأىّ حزّ ملاؤه يتقطّع

و من هذا قوله تعالى: فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ [سوره الحج، الآيه: ۴۴] أى أخّرت النّقمه منهم يقال: أملى اللّه لفلان العمر: أى أخّر عنه أجله، و قوله: بأىّ حز ملاوه، لفظه استفهام و المعنى معنى الخبر أى: تنقطع تلك المياه فى حين، و أى حين، و المراد فى أشدّ ما كان حاجه إليها عند انتهاء الحر و ذهاب الرّطب، و انتشاف الغدران، و هذا كما تقول: فى أىّ حين و وقت زيدا حين تمكّن العدوّ منه، و ضاقت المسالك به، و يقال: على أىّ حزه أتانا فلان؟ أى أى ساعه و حين، و جئتنا على حزّه منكره، و كأنّه يعنى ما حزّ من الدّهر أى قطع، و إنّما أضاف الحزّه إلى الملاوه، و هما اسمان للوقت، لأنّ المراد بأىّ ساعه من الدّهر، فالحز اسم للجزء اليسير. و الملاوه: للممتد المتّصل، و هذا كإضافه البعض إلى الكل، و يقال: تملّيت حبيبا: أى عايشته طويلا ملاوه و حينا، و ملاک اللّه نعمه أى أدامها و أطال وقتها، و قال الأسود بن يعفر:

آليت لا أشريه حتّى يملّنى و آليت لا أملاه حتّى تعارقا

قال قطرب: قوله: أملاه أتى به على مليه: بلاه و قالوا: أملاک الجديدان و الأجدان و الفتنان: أى اللّيل و النّهار، و ابنا سمير، و كل ذلک اشتقاقه و طريقته ظاهر، قال:

لم يلبث الفتنان أن عصفا بهم ليل يكرّ عليهم و نهار

و قال آخر:

غدا فينا دهر و راحا عليهمانهار و ليل يكثران التّواليا

و من هذا الباب قولهم: لا أفعله ما اختلف الصّرعان أى الغداه و العشى، و يقال:

الصّرعان: أى الغداه، و بالفتح أيضا و يقال: أتيته صرعى النّهار أى طرفيه من طلوع الشّمس إلى الضّحى، و بالعشىّ بعد العصر إلى اللّيل، ثم قالوا: هما صرعان: أى مثلان، فعلى هذا يراد باختلافهما تصرّفهما، و يقال أيضا: هو ذو صرعين: أى لونين و يجمع على الصروع، و ما أدرى على أىّ صرعى أمره وقع، أى حاليه و تركهم صريعين: أى ينتقلون من حال إلى حال، و هو يفعله على كل صرعه، أى على كلّ حاله.

و حكى ابن الأعرابى: لا أكلّمك ما اختلف الصّرعان: الحينان غدوه و عشيه، و من كلامهم: عندك ديك يلتقط الحصى صرعيه، يقال: هذا مثلا للنّمام، قال: و على هذا: يراد الاختلاف الذى هو ضد الوفاق. فأما قولهم: المصراعان فى الأبواب و أبيات الشّعر فيجوز أن يكون من التماثل، و يجوز أن يكون من قولهم: هو صرع كذا أى حذاءه. الزّيادى اختلف عليه الفتنان، أى الغدوه و العشيه من الفتون و هو الضّروب.

و قال أبو سعيد فى قول اللّه تعالى: وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً [سوره طه، الآيه: ۴۰] أى فتونا فى اليمّ و فى مدين و حيث قيل: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ [سوره طه، الآيه: ۱۲] و ذكر يعقوب زرته:

البردين و القرنين أى طرفى النّهار. و زرته الغربين أيضا: أى غدوه و عشيه. الأصمعى اختلف إليه الرّدفين أى الغداه و العشى- و الغداه ردف اللّيل و العشىّ ردف النّهار.

و يقال: لقيته بأعلى سحرين و بأعلى السّحرين أى وقت السّحر الأعلى و هو قبيل الصّبح. قال: غدت بأعلى سحرين تذأل. و بأعلى سحر. قال العجاج: غدا بأعلى سحر و أجرسا. رد بعضهم بيت العجّاج و قال: كان ينبغى أن يقول: بأعلى سحرين لأنّه أوّل تنفّس الصّبح، ثم الصّبح و تقول: أسحرنا كما تقول: أصبحنا- و تسحّرنا أكلنا سحورا- و جئتك بسحر- و بسحره- و بالسّحر- و سحيرا.

و قال أحمد بن يحيى: الأسحار: الأطراف و به سمّى سحر، و أنا أراك منذ سحر.

و قال قطرب: أتيتك سحريه و سحريا و سحر، و يقول: سحرى هذه اللّيله أيضا. قال فى ليله لا نحسّ فى سحرّيها و عشائها.

و يقال: صبح و لا جمع له، و صباح و صبيحه و أصبوحه و إصباح، لأنّ العرب تجعل الإصباح لنفس اللّيل، فيقول: أصبح قال فبات يقول: أصبح ليل حتى تجلّى عن صريمه الظّلام.

و الصّبح صبحان، كما أنّ السّحر سحران. و يقال: ابنا جمير اليومان اللّذان يستسر القمر

فيهما فى المحاق قبل البحيره، و ابن حمير أيضا.

و حكى أبو العباس المبرّد أنّه يقال للشّتاء و الصّيف: العصران و كذلك لكل مختلفين معناهما واحد. قال الرّبيع بن صبيع:

أصبح منّا الشّباب قد بكراإن بان منّا فقد ثوى عصرا

يعنى سنين كثيره، و القارنان اللّيل و النّهار و أنشد للكميت شعرا:

يا من عذ يرى من ذواله كم ذا يزيد على إباله

يغدو علىّ مقارناكالقلونين مع الغزاله

فلا جبانك مشقصاأوسا أويس من الهباله

قوله: على إباله، مثل يقال للرّجل إذا جاء بمكروه ثم أعقب بعده بمثله ضغث يزيد على إباله، و الإباله الحزمه الكبيره. قوله فلا جبانك يريد لأرمينّك بسهم حبالك. و الأوس العطيه، و أويس تصغير أوس و هو الذّئب. و الهباله من الاهتبال و هو الاغتنام، و قال بعضهم:

الهباله اسم ناقه. يقول من يعذرنى منه مقارنا غدوه و عشيه و قيل فى القارنين هما اللّيل و النّهار. و يقال للشّمس و القمر القمران. قال: لنا قمراها و النّجوم الطّوالع. و يقال لهما السّراجان من قوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [سوره نوح، الآيه: ۱۶] و النّيران و مما جاء مثنى من أسماء الكواكب السّماكان الرّامح- و الأعزل- و النّسران: الطّائر- و الواقع- و الفرقدان و الشّعريان- العبور- و الغميصاء- و المرزمان و هما مرزما الشّعريين و الهراران- قلب العقرب و النّسر الواقع و الخراتان(۱) فى الأسد و الغميصاوان و الوزنان حضار- و الوزن و المحلفان و هما حضار و الوزن أيضا.

و قال ثعلب الهراران النّسران لأنّهما إذا طلعا فى المشرق فهو نهايه البرد و هذا كما قيل: سهيل لأنّ الحرّ يسهل عند طلوعه، و قيل للدّبران الحادى و الدّابر و التّابع و يقال: ما رأيته منذ أجردان و جريدان و أجدان و جديدان أى يومان أو شهران. و ابنا سمير اللّيل و النّهار و السّمر الدّهر و ابنا سبات اللّيل و النّهار، و قيل ابنا سبات رجلان و أنشده شعرا:

و كنّا و هم كابنى سبات تعزفاسوى ثم كانا منجدا و تهاميا

و عرقوتا الدّلو و الفرغان للمقدّم و المؤخّر، و حكى أبو العبّاس ثعلب: الأثرمان: الدّهر و الموت و أنشد شعرا:

۱- و الخراتان نجمان و هما زبره الأسد و الزّبره بالضّم الكاهل و كوكب من المنازل و هما كوكبان نيّران بكاهلى الأسد ينزلهما القمر- قاموس.

و لمّا رأيتك تنسى الذّمام و لا قدر عندك للمعدم

و تجفو الشّريف إذا ما أخلّ و تثنى الدّنى ء على الدّرهم

وهبت أخاك للأعجمين و للأثرمين و لم أظلم

أخلّ: احتاج من الخله و الأعجمان: السّيل و الحريق، و حكى أبو عمر و غلام ثعلب مرزم السّماك و مرزم الجوزاء.

فصل فى ترتيب الأوقات و تنزيلها

قال أبو نصر: تكوير اللّيل على النهار و النّهار على اللّيل أن يلحق أحدهما بالآخر.

و إيلاج النّهار فى اللّيل، و اللّيل فى النّهار، دخول أحدهما فى الآخر. و قال الخليل: التكوير تغشيه اللّيل النّهار و النّهار اللّيل. و منه كاره القصار. و قال الدّريدى: الكور كور العمامه و القطعه العظيمه من الإبل، و فى المثل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أى النّقصان بعد الزّياده، و كرت العمامه كورا، و كذلك الكاره و كار الرجل، و استكار: أسرع فى مشيته يكور كورا، و زلف اللّيل من النّهار و النّهار من اللّيل ساعات كل واحد منهما يأخذه من صاحبه، و الواحده زلفه. قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴] و منه المزالف و الزّلفى و مزدلفه.

و قال الخليل: مزدلفه: سميت بهذا الاسم لاقتراب النّاس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، قال الأصمعى: إذا طلع الفجر فأنت مفجر حتى تطلع الشّمس فإذا طلعت فأنت مشرق إلى ارتفاع النّهار، ثم أنت مضح. و فى القرآن: فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [سوره الشعراء، الآيه: ۶۰] فى وقت طلوع الشّمس، و الإشراق و التّشريق انبساطها، و الشّروق طلوعها. ثم أنت مضح حتى تزول الشّمس، فإذا زالت فأنت مهجر و مظهر إلى أن تصلّى العصر، ثم أنت معصر و مقصر و موصل إلى أن تحمّر الشّمس، ثم أنت مطفل إلى أن تغيب، فإذا غابت فأنت مغيب و مغرب و موجب و مشفق و مسدف، فإذا غاب الشّفق فأنت مظلم و مفحم.

قال أبو العبّاس ثعلب: يقال: رجل نهر و سابح إذا كان يتصرّف فى النّهار دون اللّيل، فإذا كان باللّيل دون النّهار قيل: هو ليلى لابس، و هذا أخذه من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النّبأ، الآيه: ۱۰- ۱۱] و قوله تعالى: إِنَّ لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزّمل، الآيه: ۷] و قد قيل: سبحا أى: عملا و تقلبا و منه سمّى السّابح لتقلّبه بيديه و رجليه و لباسا: أى استمتاعا من قوله:

لبست أبى حتّى تملّيت عيشه و ملّيت أعمامى و ملّيت خاليا

و ذكر بعض أصحاب المعانى أنّ العيشه و العيش ليسا بالحياه، و لكن ما يستعان به على الحياه و استدلّ بقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النبأ، الآيه: ۱۱] قال: و هذا كما قال فى الآيه الأخرى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ۷۳] و قال فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] أى ما ألبسهم من ظلمته فلبسوه لباسا، و النّوم سباتا أى سكونا و أنشد لأميّه:

ما أرى من يعشّنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرال

و قال: المراد بقوله: يعشنى يعيننى على أمر الحياه، و السّكون إنّما هو فى اللّيل و الابتغاء من فضله بالنّهار، و لكن لمّا عطف أحدهما على الآخر أخرجا مخرج الواحد الجامع للشّيئين، و نظير هذا من الكلام: لئن لقيت زيدا و عمرا لتلقينّ منهما شجاعه و فصاحه، على أنّ الفصاحه لأحدهما و الشّجاعه للآخر، و هذا بمنزله ما يقع فى الجمع إذا قلت: فى بنى فلان خير و شر، لأنّ الدّعوه قد ضمّتهم جميعا فانطوت على الخير و الشرّ، و إن كان الخير فى جماعه و الشّر فى آخرين، و كذا كلّ تثنيه و جمع تعلّق الخبر به على الإجمال، لأنّه يصير كالواحد.

و قال تعالى فى موضع آخر: وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] أى:

ينشرون فيه عن نومهم باللّيل، و الانتشار التّصرف. و قال فى موضع آخر: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً [سوره القصص، الآيه: ۷۲] أى دائما، يقال: هو يسهر سهرا سرمدا إذا لم يكتحل فيه بغمض و لا يكون السّرمد ما يقع فيه فصل، و قوله تعالى: تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ [سوره النمل، الآيه: ۴۹] أى تحالفوا، و كلّ عمل باللّيل تبييت. و يقال: هو أمر دبّر بليل. و يقال للصّقيع: البيوت، لوقوعه باللّيل، و فى القرآن: إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ [سوره النساء، الآيه: ۱۰۸] و أنشد أبو عبيده شعرا:

أتونى فلم أرض ما بيّتواو كانوا أتونى بأمر نكر

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۲] الخلفه ما خلف بعضه بعضا أى كلّ واحد يخلف صاحبه، قال زهير:

بها العين و الأرآم يمشين خلفهو أطلاؤها ينهضن من كلّ مجثم

و معنى لمن أراد أن يذكر، يريد لمن أراد أن يتذكّر و يستدلّ على نعم اللّه على خلقه و على أنواع لطفه فيما تعبّدهم به و تظاهر حججه و تبيانه فيما ندبهم إليه، و هذا كما قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ* [سوره القمر، الآيه: ۳۲] و كقوله تعالى:

إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ* [سوره الرعد، الآيه: ۱۹] و قوله تعالى: أَوْ أَرادَ شُكُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۲] يريد أو يتأمل ما ينقل فيه حالا بعد حال من صنوف آلائه، و وجوه إحسانه، فيضم الشّكر فيه. قوله: خلفه فيما يؤدّيه من المعنى كما حكاه أبو زيد من قولهم: ولد فلان شطره، و المراد ذكورهم بعدد إناثهم، فهذا من الشّطر، كما أنّ ذاك من الخلافه. و النّشأه و النّاشئه أوّل ساعات اللّيل.

و قال ابن الأعرابى: إذا نمت من أوّل اللّيل نومه ثم قمت، فتلك النّاشئه و النّشأه حجر يكون على الحوض. قال و منه قوله: هرقناه فى بادى النّشيئه داثر و النّشيئه الجاريه.

و منه قول الشاعر شعرا:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النّشأ الصّغار

قال أبو العباس المبرّد: إذا قال القائل: ما رأيته مذ مدّه من يومى علم أنّ ذلك ساعه أو ساعات. و إذا قال: مذ مدّه من عمرى علم أنّ ذلك سنه أو سنون أو ما يدانيه.

و من ظروف المكان منى فرسخين: و كان شيخنا أبو على يقول: هذا كان يقوله الدّليل لمن يستهديه، أى: إنى أرشدك فى فرسخين، و معنى من شأنى و أمرى كما قال: فإنّى لست منك و لست منّى و يجوز أن يقول: أنت منّى فرسخان، كأنّه جعله نفس الفرسخين.

و المعنى: بيننا هذه المسافه، فأمّا قولهم: هو منّى معقد الإزار و مقعد له لقابله، و مناط الثّريا فإنما ساعت أن تكون ظروفا و إن كان المحدود من الأماكن لا يجعل ظروفا لأنّها أزيلت عن مواضعها، فوضعت موضع القرب و البعد، فدخلها بذلك الإبهام، و تقول: اليوم الجمعه و اليوم السّبت، و جعلت الثّانى هو الأوّل، فرفعت لكونه مبتدأ أو خبرا، و إن نصبت فقلت:

اليوم السّبت و اليوم الجمعه جاز. و تجعل الثّانى كالحدث لتضمّنه معنى الفعل، فيصير كقولك: اليوم الخروج، و غدا الارتحال، و لو قلت: زيد اليوم لم يجز، لأنّ ظروف الأزمنه لا تتضمّن الأشخاص و الجثث، لأنّها لا تخلو منها على كلّ حال، فلا يحصل فى الكلام فائده، و كذلك إذا قلت: حضرت يوم الجمعه، كان يوم الجمعه ظرفا لا غير، لأنّك إن جعلته مفعولا لم يكن فيه فائده، لأنّه لا يغيب عنه أحد و على هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۵] و يقول: الصّيام عشره أيام إلّا يوما، فلا يجوز إلا الرّفع لأنّه يريد الوقت كلّه فهو كقوله تعالى: غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ [سوره سبأ، الآيه: ۱۲] و تقول: اليوم عشر من الشّهر و الاختيار النّصب، و كذلك إذا قلت لك: اليوم شهران أو سنتان نصبت اليوم، و إن سقط من الشّهر شى ء لأنّ الاسم يستحق منه على نقصانه، و تقول: لا أكلّمك أخرى اللّيالى ذكر أخرى ليصلها بما قد مضى، و كذلك غابر الدّهر: أى باقيه و قوله: رآها مكان السّوق أو هو أقربا، مثل قوله تعالى:

وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [سوره الأنفال، الآیه: ۴۲] أی فی مکان أقرب أو أسفل و یقول: هو منّی قدر أن تناوله یدی، و فوق أن يناوله يدى، و بعضهم يرفعه و الوجه النّصب و على هذا قوله شعرا:

و قد جعلتنی من خریمه إصبعاو یقول: لقیته من قبل قبل

على التّكرير، غايه و لقيته من قبل قبل تضيف الأوّل و لا تضف الثّانى، و النّيه فى الإضافه أن تكون إلى نكره، و إن كانت النّكره فى مثل هذا المكان تفيد فائده المعارف، بدلاله قوله آتيک غدا، لأنّه نكره كالمعرفه، و قبل الذى لم تضفه معرفه لكونه غايه بما ضمّن، و هو فى حكم البدل من قبل الأوّل، لأنّ إبدال المعرفه من النّكره هو الأصل، و إن شئت قلت لقيته من قبل قبل، تنوى الإضافه فيهما على ما بيّنته. و مثله قولهم: من وراء وراء فى الوجوه كلّها. و قد ذكر سيبويه فى قولهم: من عل أنّه مضارع لقولهم: من عل لأنّهما لمّا وقعا لمعنى واحد على تقديرين مختلفين سمّاه مضارعه، فأمّا قوله: و قد علاک مشیب حین لا حین، فالمراد حين غير حين أى جاء المشيب فى غير أوانه، فأدخل النّفى على حدّ ما كان موجبا.

فصل فی قوله تعالی: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآیه: ۱۶]

و فى أحرف سواه يكثر البلوى به.

قال أبو زيد: يقال: ائتنفت الكلام ايتنافا و ابتدأته ابتداء أو هما واحد، و أنشد:

وجدنا آل مرّه حين خفناجريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث أمسى كأنّ عليه مؤتنفا حراما

قال السّكرى: الأنف: الذين يأنفون من احتمال الضيم. قال شيخنا أبو على: فإذا كان كذا فقد جمع فعلا على فعل، لأن واحد أنف أنف بدلاله قوله:

و حمّال المئين إذا ألمّت بنا الحدثان و الأنف النّصور

و وجه هذا أنّه شبّه الصّفه بالاسم، فكسّرها تكسيره، فقالوا فى جمع نمر: نمر و أنشد سيبويه: فيها عياسل أسود و نمر. و ليس الأنف و الأنف فى البيتين ممّا فى الآيه فى شى ء، لأنّ ما فى الشّعر من الأنف، و ما فى الآيه فى معنى الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و إن كان القياس يوجبه.

و قد يجى ء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو: فقير جاء عن فقر و المستعمل افتقر. و كذلک شديد، و المستعمل اشتدّ، فكذلک قولک آنفا و المستعمل ائتنف،

فأما قوله: كان عليه مؤتنفا حراما، فالمعنى كان عليه حرمه شهر مؤتنف حرام، فحذف المضاف و أقام الصّيفه مقام الموصوف، و التّقدير: أنّ جارهم لعزّهم و منعتهم لا يهاج و لا يضام، فكأنّه فى حرمه شهر حرام و قوله: و يأكل جارهم أنف القصاع، فإنه يريد أنّهم يؤثرون ضيفهم بأفضل الطّعام و خيره فيطعمونه أوّله لا البقايا، و ما أتى على نقاوته، فهذا جمع على أنف مثل: بازل و بزل قابل و قبل. و إذا كان كذلك قرئ قراءه من قرأ: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ١۶] و أمّا ما روى عن ابن كثير من قوله: أنفا فمجوز أن يكون توهّمه مثل حاذر و حذر، و فاكه و فكه و الوجه الرّوايه الأخرى آنفا بالمدّ كما قرأ عامتهم.

و قال بعض أصحاب المعانى: لا يمتنع أن يكون الباب الذى قسمه كلّه من أصله واحدا و هو التقدّم، و تكون الأنفه من الأنف الذى هو الجارحه، و سمّيت به لتقدّمه فى الوجه. ثم جعل ما يؤنف منه من الذّل، كإضافه الأنف و جدعه يبيّن هذا و يشهد له قولهم:

بعير أنف و مأنوف: إذا عقره فى الخشاش فانقاد لما يراد منه، و فى الحديث: «المسلم هيّن ليّن إن قيد انقاد» و قد نسب الذّل إلى الأنف فى كلامهم حتّى قيل: هو يحمى أنفه من كذا و هو حمى الأنف، و الشاعر قال:

و لا نال أنفا منه بالذّل نائل

و قال أبو إسحاق فى قوله تعالى: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ١۶] أراد فى أوّل وقت يقرب منّا، و قال الخليل: أنفت فلانا أنفا، كما تقول: الذى قبل أى قبل كأنه أراد أنفته فأنف أنفا، و المعنى حركته من أقرب وقته فابتداء هذا بيان ما رمى به الخليل. و يجوز فيه وجه آخر: و هو أن يريد ما ذا قال فيما أنفه و أنفا و يكون أنفته و أنفا من باب قم قائما و أشباهه. و يكون اسم الفاعل نائبا عن المصدر، قال: و ائتنفت ايتنافا أوّل ما يبتدأ فيه، و المستأنف من الكلام و الأمر كذلك.

قال أحمد: و على ما حرّرناه من كلام المعترض و حكايه الخليل، صحّ قراءه ابن كثير و توجّه اختياره أنفا غير ممدود قياسا و سماعا، و لم يكن متوهّما فاعلمه.

و من الأحرف التى نداولها قوله تعالى: وَ أَدْبارَ السُّجُودِ [سوره ق، الآيه: ۴٠] هو مصدر و المصادر تجعل ظروفا على إراده إضافه أسماء الزّمان إليها و حذفها كقولك: جئتك مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، يريد فى ذلك كلّه وقت كذا فحذفه فكأنّه قال:

وقت أدبار السّجود، إلاـ أنّ المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و هذا أدخل فى باب الظّروف من قولك أدبار السّجود إذا فتحت و كأنه أمر بالتّسبيح بعد الفراغ من الصّلاه.

و قد قيل: أريد به الرّكعتان بعد المغرب، و أدبار جمع دبر و دبر و قد يستعمل ظرفا نحو: جئتك فى دبر الصلاه، أى فى أدبار الصّلاه، و قال شعرا:

على دبر الشّهر الحرام لأرضناو ما حولها جدت سنون تلفّع

و قوله تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ* [سوره يوسف، الآيه: ۲۲] أى منتهى شبابه و قوّته واحدها شدّ مثل فلس أو شد مثل فلان ودى، و القوم أودى، أو شد مثل نعمه و أنعم، و معناه قال مجاهد: ثلاثا و ثلاثين سنه و استوى معناه أربعين سنه، قالوا: و أشد اليتيم ثمانى عشره سنه. قال أبو زيد: يقال: هو الأشد و هى الأشد، و فى القرآن: حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً [سوره الأحقاف، الآيه: ۱۵].

قال الفرّاء: الأشد هنا هو الأربعون أقرب إليه فى النّسق، و أنت تقول: أخذت عامّه المال، إذ كلّه لا يكون أحسن من أن يقول: أخذت أقلّ المال، أو كلّه و أنشد المفضّل فى شدّ:

عهدى به شدّ النّهار كأنّماخضب اللّبان و رأسه بالعندم

و عند أكثر أصحابنا البصريّين أنّ الأشدّ واحد، و أنّه شاذ لأنّه لم يجى ء أفعل فى الواحد.

و قوله تعالى: أَحْسَنُ مَقِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ۲۴] من القائله و هو الاستكنان فى وقت انتصاف النّهار، و جاء فى التّفسير لا ينتصف النّهار يوم الجمعه حتّى يستقرّ أهل الجنّه فى الجنّه و أهل النّار فى النار، فتحين القائله، و قد فرغ من الأمر فيقيل كل من الفريقين فى مقره.

السّنون التى دعا النّبى صلى اللّه عليه و سلم فيها على مضر و قال: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر، و اجعلها سنين كسنى يوسف» يقال: كان النّاظر منهم يرى بينه و بين السّماء دخانا من شدّه الجوع، و يقال: بل قيل للجدب دخان، حتّى قيل فى قوله تعالى: بِدُخانٍ مُبِينٍ [سوره الدّخان، الآيه: ۱۰] أى جدب، ليبس الأرض، و ارتفاع الغبار، فشبّه ذلك بالدّخان، و من مجازهم و اتّساعهم: ارتفع له دخان إلى السّماء هذا لبشر و ذلك إذا علا.

الباب الرّابع عشر فى أسماء الأيّام على اختلاف اللّغات و مناسبات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها

قال قطرب: أسماء الأيام: السّبت- و الأحد- و الاثنان- و الثّلاثاء- و الأربعاء- و الخميس- و الجمعه. فالأحد هاهنا اسم و أصله: و حد و قد يكون صفه مثل قوله: بذى الجليل على مستأنس وحد. و معنى الواحد الذى لا ثانى له و إنّما لم يثنّ و هو اسم لأنه متى ثنّى خرج من أن يكون واحدا، فلذلك لم يقل: وحدان و إبدال الهمزه من الواو المفتوحه جاء فى أحرف معدوده. و الاثنان من ثنّيت الشى ء إذا ضعّفته ثنيا ثم يسمّى المثنّى ثنيا، و لا يقال فى أحد اثن، لأنّه إذا أفرد عما يثنّى به لم يستحقّ هذا الاسم. فأمّا الثّلاثاء و الأربعاء و الخميس فإنّها و إن أريد بها ما يراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثه و أربعه و خمسه، فإنّ فى تغيّر الأبنيه لها قصد. و سيبويه قال: أحبّوا فى الأوقات أن يحصوها بأبنيه تلزمها من بين سائر المعدودات، و شبّهها بقولهم: عدل و عديل و وزين و وزان فى الفصل بين الأجناس.

و حكى سيبويه: هذا يوم اثنين مباركا فيه. و استدلّ على تعريفه بانتصاب الحال بعده، و فيه على هذا تعريفان.

الأوّل: باللّام تعريف الحارث و العباس.

الثّانى: تعريف العلميّه و الوضع، كما أنّ عروبه، و العروبه للجمعه كذلك، و السّبت سمّى به قيل: للراحه، و منه السّبات النّوم، و يقال: انسبت الرّجل إذا اعترته سكته. و قيل:

أصل السّبت القطع. و منه السّبات لأنّه يحول بين التميز و صاحبه، و يقطعه عن عادته و تصرّفه، و يقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. و المنسبت من النّخل: ما يجرى الإرطاب فى جميعه، فكأنّه انقطع من حدّ البسر، و يقال لضرب من النّعال: السّبت، و إنّما هى التى قد نثر شعرها. و يقال: إنّ السّبت إنّما سمّى لما أخذ على اليهود فى السّبت و نهوا عنه فى هذا اليوم مما هو مباح فى غيره، و انقطاع حكمه من حكم غيره، و من جعل السّبت إنمّا يسمّى به

للرّاحه، يقول قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ [سوره ق، الآيه: ٣٨] هو ردّ على اليهود فى قوله تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ* آخرها يوم الجمعه و استراح فى يوم السبت فردّ اللّه ذلك عليهم و أبطل قولهم. و سمّى السّبت: شيارا و اشتقاقه من شيرت الشى ء إذا أظهرته و بيّنته، و يقال: شيراى حسن الشياره و هى ظاهر منظره، و من هذا قيل: القوم يتشاورون أى يظهرون آراءهم كأنّ كلّ جماعه منهم يظهرون ما عندهم و يعرضونه. و يجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشّيار من هذا الذى ذكرناه. و قيل للأحد: أوّل لأنهم جعلوه أوّل عدد الأيام. و قالوا للإثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون و هو السّكون من قوله تعالى: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً [سوره الفرقان، الآيه: ٦٣] و أوهد يدلّ على هذا المعنى لأنّ الوهده الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا فى العد. و قالوا للثّلاثاء الجبار أى جبر به العدد، و أعظم به العدد و قوى، لأنّه حصل به فرد و زوج.

و قال الخليل: سمّى به فى الجاهليه الجهلاء، و فى الخبر العجماء جبار و المعدن جبار. أى يهدر الأرش فيه، فهو يخالف المعنى الأول. و قولهم للأربعاء: دبار لأنّه عندهم آخر العدد و قد تمّ بإجرائه العقد الأوّل. و دبر كل شى ء مؤخّره، و إنما كان كذلك لأنّ الخميس- و الجمعه- و السّبت- سمّوها بأشياء تصنع فيها فاستغنوا بها عن عددها. و قيل للخميس: مؤنس لأنه يؤنس به لقربه من الجمعه و فى الجمعه التأهّب للاجتماع. و قيل للجمعه: العروبه لبيانها عن سائر الأيّام، و الإعراب فى اللّغه الإبانه و الإفصاح، و العرب شوك البهمى و الواحده عربه، سمّى بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشّوك. فالتّأويل أنّه قد بان من الورق و العرابه عسل الخزم، سمّى به لأنّه يقال لثمره العراب، و الواحده عرابه، و قد أعربت الخزم، و يقال للمرأه الغزله هى عربه و عروبه أيضا. و منه قوله تعالى: إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً [سوره الواقعه، الآيه: ٣٥- ٣٦] و قيل: العروبه المتحبّبه إلى زوجها، و يقال للمتهلّل الوجه: عرابه. و بير عربه: كثيره الماء. و قد قيل:

العروبه بالألف و اللّام و بغير الألف و اللام كأنّه جعل علما، و أنشد فيه شعرا:

و إذا ترى الرّواد ظلّ بأسقف يوما كيوم عروبه المتطاول

يروى يوما كيوم، و يوما كيوم، قال: و لم يزل أهل كل دين يعظّمونه و جعله متطاولا للعباده فيه، و المعنى و إذا ترى هذا الحمار الوارد ظلّ له يوم طويل و طوله طول مكثه يميل بين الورود و تركه. و إذا نصبت اليوم: فالمعنى ظلّ الحمار يوما طويلا فى هذا الموضع، و إذا رفع فالمعنى ظلّ بأسقف يوم له، و روى الأرواد فكأنّه جمع ورد و المعنى: أهل الأوراد أو يجعل الورد للواردين. و قال القطامى: فأتى بالألف و اللّام شعرا:

نفسى الفداء لأقوام هم خلطوايوم العروبه أورادا بأوراد

(و تسمّى الجمعه) حربه أيضا، سمّيت بذلك لبياضها و نورها فهى فى الأيّام كالحربه.

(و ذكر أصحاب) السّير أنّ أولاد نوح عليه السّلام عزموا على المسير فى الأرض ليروها، و يختاروا منها لمطافهم و أوطانهم فبدءوا بمسيرهم فى يوم الأحد فسمّى الأوّل. (ثم لمّا كان اليوم الثّانى) كان السّير الذى شق عليهم فى الأوّل أخفّ فسمّى الاثنين أهون. و (فى الثّالث) جبروا ما تشعّث من أحوالهم بعد ما نزلوا سمّى لذلك الثّلاثاء جبارا، و لأنّهم جبروا ما كانوا خفّفوه من سيرهم فيما قبله فسمّوه جبارا. و (فى الرّابع) انتهوا إلى عقاب و جبال فحجزتهم و منعتهم فأدبروا و غيّروا الطّريق فسمّى الأربعاء دبارا. و (فى الخامس) تسهّل الطّريق و رأوا ما أنسهم فسمّى الخميس مؤنسا. و (سميت الجمعه) العروبه لأنّ كلمتهم اجتمعت و بان لهم من الرّأى ما كان خافيا فتعربوا و اتّفقوا. فإذا جمعت السّبت فيما دون العشره أسبت و الكثير سبوت. و إذا جمعت الأحد قلت فى القليل: آحاد و فى الكثير أحود مثل جمل و أجمال و جمال و أسد و أسود و آساد. و الاثنان لا يثنّى فإنّه مثنّى، فإن أردت تثنيته جئت بالمعنى فقلت: هذان يوما الاثنين و لا يحسن مضى الاثنانان، فيحصل الإعراب مرتين. قال قطرب: و مع ذلك قد حكى. و فى الجمع أيضا تقول: مضت أيام الاثنين، إلا أنّهم قد قالوا: اليوم الثّنى فلا بأس على هذا أن يجمع فيقول: مضت أثناء كثيره.

و حكى عن بعض بنى أسد: مضت آثان كثيره، كأنّه جمع أثناء مثل: قول و أقوال و أقاويل، و أسماء و أسامى، فلا بأس بذلك. قال: و حكيت لنا مضت أثانين، و لا وجه لهذا لأنّه من ثنيت الشى ء، فالنّون الأخيره لا مدخل لها، فأمّا جمع الثّلاثاء و الأربعاء فثلاثاوات، و أربعاوات بالألف و التّاء، لأنّ فيها علم التأنيث و هو الهمزه بعد الألف كألف حمراء و صفراء.

و زعم يونس أنه يقال: مضت ثلاث ثلاثاوات، و أربع أربعاوات، على تأنيث اللّفظ و يقال: ربعت الجيش إذا أخذت ربع القسمه منهم و لم يأت على وزن المرباع فى تجزئه الشى ء غير المعشار و المرباع المكان الباكر بالنبات. و منه قوله: رزقت مرابيع النّجوم، و فى الأربعاء لغات أربعاء بفتح الباء و أربعاء بكسر الباء و الهمزه، و يجمع على أربعاوات و أرابيع، و تقول أيضا: ثلاث ثلاثاوات و أربعه أربعاوات على معنى التّذكير، لأنّ اليوم مذكّر و قال الشّاعر شعرا:

قالوا: ثلاثاؤه خصب و مأدبهو كلّ أيامه يوم الثّلاثاء

و حكى المفضّل فى الثّلاثاء الأثالث فى الكثير. و حكى فى جمع الأربعاء الأرابيع أيضا، و أمّا الخميس فإذا جمعته على أقل العدد كان على أفعله تقول: ثلاثه أخمسه، كما

قـالوا: جريب و أجربه و كثيب و أكثبه، و يجوز فى القيـاس جمعه على فعلاـن نحو خمسان، كما قيل: كثيب و كثبان و رغيف و رغفان.

و قـال يونس: أخمسه فى الأيام، و أخمساء فى الخمس، تقول: إذا أخـذ الخمس قـد أخـذ أخمساء فى ماله. فأما الجمعه فإنّها إذا جمعتها لأدنى العدد كانت بالتّاء: ثلاث جمعات، أتبعت الضـمّه مثل ظلمات، و إن أسـكنت فقلت جمعات و ظلمات كما أسكن عضد و عضد و عنق و عنق جاز و إن شئت فتحت فقلت ثلاث جمعات و ظلمات. و قال النّابغه:

و مقعد أيسار على ركبانهم و مربط أفراس و ناد و ملعب

و إن شئت قلت ثلاث جمع كما تقول: ثلاث ظلم و ثلاث برم. و إن شئت كان ذلك لكثير. و أيّام العجوز سبعه كما قال:

كسع الشّتاء بسبعه غيرأيّام شهلتها من الشّهر

فبآمر و أخيه مؤتمرو معلّل و مطفى الجمر

فإذا مضت أيّام شهلتهابالصّن و الصّنبر و الوبر

ذهب الشّتاء مولّيا هرباو أتتك واقده من النّجر

قال أبو سـعيد: سـمّيت هذه الأيام غبرا للغبره و الظّلمه. و الشّهله العجوز. و آمر سمّيت بذلك لأنّه يأمر الناس بالحذر منه، و سمّى مؤتمر لأنّه يأتمر بالنّاس أى يرى لهم الشّر و يؤذيهم. و منه قول امرئ القيس:

أجاز ابن عمر و كأنّى خمرو يعدو على المرء ما يأتمر

و سـمّى (صـنا) لشدّه البرد. و الصّن البرد. و سـمّى (صـنبرا) لأنّه يترك الأشـياء من البرد كالصّيـره فى الجمود، و كلّ ما غلظ فقد استصبر. و سمّى (وبرا) لأنّه وبر آثار الأشياء أى عفا.

(و التّوبير) المحو و الإخفـاء، كتوبير الأـرنب، و هو أن يمشـى فى حزونه لا يوقف على أثره، و سـمّى (مطفى الجمر) بـذلك لأنّ شـدّه البرد تطفئ الجمر. (و معلّل) سـمّى بذلك لأنّه يعلّل النّاس بتخفيف البرد. (و النّجر) و قده الحر، و منه قيل شـهر ناجر. فهذا ما قاله أبو سـعيد الضّرير، و من النّاس من يقول فى أيّام العجوز هى: المسترقه فى أوّل الشّتاء. و منهم من يجعلها فى آخر الشّتاء و يسـمّيها أيّام الشـهله. و منهم من يعدّها خمسه، و منهم من يعدّها سبعه على ما تقدم. و حكى أنّ الكسائى سأله الرّشيد عن سببها، فقال: كانت امرأه من العرب قد اهترمت، و كان لها سـبعه أولاد فقالت لهم: زوّجونى زوّجونى زوّجونى و هم يضـربون عنها و لا يكترثون لها فأنشأت تقول شعرا:

أيا بنىّ إنّنى لناكحهفإن أبيتم إنّنى لجامحه

هان عليكم ما لقيت البارحهمن الهياج و حكال الوامحه

و يروى الفاضحه. و قيل: أرادت بالوامحه الواحمه أى المشتهيه من قولهم: و حمت المرأه توحم و حما و هى امرأه و حمى، فقالوا لها: بيتى لنا سبع ليال على ثنيه هذا الجبل لكل ابن ليله لنزوّجك بعد ذلك، فجاءوها بعد السّابعه و قد انقضت.

(فمن عدّها) سبعه فقال: هى: صن(۱) و صنبر- و وبر- و آمر- و مؤتمر- و معلّل- و مطفى الجمر- (و من عدّها) خمسه قال هى: صن- و صنبر و اختهما و بر- و مطفى الجمر- و مكفى الظّعن.

و قال أبو سعيد الضّرير: سمّيت أيام العجوز لأنّ العرب جزّت الأصواف و الأوبار مؤذنه بالصّيف، و قالت عجوز منهم لا أجزّ حتى تنقضى هذه الأيّام فإنّى لا آمنها، فاشتدّ البرد لها، و أضرّ بمن قد جزّ و سلمت العجوز بما لها.

و قال أحمد بن يحيى: الصّحيح أنّ العجوز عجلت بجزّ صوفها لحاجتها إليه و ثقتها بالحر، فجاء البرد و موّتت غنمها، و كانت سبعه فماتت كلّ يوم واحده فمن جعلها سبعه فلهذه العلّه، و إلّا فبرد العجوز ربّما بقى عشره أيام أو أكثر.

و قال أحمد بن يحيى: (معتدلات سهيل) بإزاء (برد العجوز) (و الكسع) ضرب الضّرع بالماء البارد حتى لا يدر، و كسع الشّتاء ضرب آخره بهذه الأيّام. و (الشّهله) العجوز، و تشهّل الغلام إذا تغيّر بخروج لحيته أو لغير ذلك. قوله (بآمر) أى بيوم استعدّ فيه للبرد كأنّه أمر بذلك. و (مؤتمر) أى ايتمر للّذى أمره بذلك فقبله و قوى برده. و (معلّل) من العلل و هو شرب بعد شرب كأنّه جاء ببرد بعد برد (و مطفى الجمر) أى لشدّه البرد لا يكون للجمر ثبات. (و الصّن) المتكمّر برد شديد، (و الصّنبر) مثل ذلك. (و الوبر) يكون من الوبر الذى احتيج إليه من البرد. (و الوقده) شدّه الحرّ من الوقود و هو النّار. (و النّجر) شدّه العطش.

و شهرا ناجر) تموز و حزيران.

و قال الضّرير فى قول أبى عبيده فى الكسعه إنّها الحمير إنّه خطأ، لأنّ الكسعه تقع على الإبل و البقر العوامل و الحمير و الرقيق لأنّها تكسع بالعصا، أى تساق أو بالخب، فكيف جعلها حميرا و حدها؟ و مما يصدّق ما قلنا قول الشاعر فى أيّام العجوز كسع الشّتاء، يريد كسعت أيّام العجوز الشّتاء كما تكسع السّيقه إلى حيث يراد بها، و يقال: إنّ يومنا لصنبر،

۱- قال فى القاموس:(الصّن) بالكسر أول أيام العجوز. و(الصّنبر) الثّانى من أيّام العجوز، و(الوبر) من أيام العجوز، و(آمر)(و مؤتمر) آخر أيّام العجوز.(و معلل) كمحدث يوم من أيام العجوز، و(مطفى الجمر) خامس أيام العجوز أو رابعها. ۱۲ القاضى محمد شريف الدين المصحح عفى عنه.

و هو القر. و قال غيره فى شدّه البرد: الخرص و الصّنبر و الزّمهرير. و قال بعضهم: أيّام العجوز: الصّن- و الصّنبر و ابن عمهما الوبر- و المضوضى فى القبر- و المسند اللّامه الجمر و المدخل الفتاه فى الخدر و المسلخ العجوز فى الوكر.

و قد سمّت العرب الأيّام الخمسه بأسماء كما خصّت أيّام العجوز بأسماء و هى الهنبر- و الهنزبر و قالب القمر- و حالق الظّفر- و مدحرج البعر. قال أبو حنيفه: أمّا أيام العجوز فهى عند علماء الحضر فى نوء الصّرفه بعد انقضاء الجمرات و هى خمسه.

و قال الكلابى: هى بالباديه عند ثلاثه بعد سقوط الجمره الآخره من الجبهه بنحو من سبع ليال، قال: و هذه الأيّام تسمّى صفوان. و الثّانى الصّافى و هو أشدّها قرا، و الثّالث صفى و هو آخرها، و أوّل نهاره يشبه الأوّلين، و آخر نهاره يتباشر النّاس بلينه. و روى غيره عن العرب أول يوم صفى. و الثّانى صفوان. قال و ذلك إذا اشتدّ البرد. و الثّالث همام لأنّه يهم بالبرد و لا برد له. و قال أبو زياد: فيها يقولون: أيّام العجوز ثلاثه، و قد كان أيام العجوز لنا شهرا. قال: و أيّام العجوز عند الجمهور سبعه، و سقوط الجمره الأولى عند العوام لسبع من شباط. و سقوط الجمره الوسطى لأربع عشره من شباط، و سقوط الأخيره لإحدى و عشرين من شباط. و أول أيام العجوز عندهم لخمس و عشرين من شباط، و آخرها لثلاث من آذار.

الباب الخامس عشر فى أسماء الشّهور على اختلاف اللّغات، و ذكر اشتقاقاتها

اشاره

و ما يتّصل بذلک من تثنيتها و جمعها و هو فصلان:

فصل [فى بيان] معنى الشّهر

أنّ النّاس ينظرون إلى الهلال فيشهرونه يقال: محرّم و محرّمان و محاريم و محرّمات و إنما سمّى محرّما لأنّهم كانوا يحرّمون القتال فيه و صفر و صفران و أصفار و سمّى صفرا لأنّهم كانوا يغزون الصّفريه و هى مواضع كانوا يمتارون الطّعام منها، و قيل: لأنّهم كانت أوطانهم تخلو من الألبان و من كلامهم: نعوذ بالله من صفر الإناء و قرع الفناء. و يقال:

صفرت عيبه الود من فلان أى خلت قال شعرا:

و إذ صفرت عياب الودّ منكم و لم يک بيننا فيها ذمام

و يقال شهر (ربيع الأول) و الأوّل فمن خفض ردّه على ربيع و من رفع رده على الشّهر.

و كذلک شهرا ربيع الأوّلان و الأوّل و شهور ربيع الأوائل و الأوّل- و حكى ربيعا الأول و أربعه الأول- و قالوا: أربعه الأوليات و الأوّل و ربيعا (الآخر) و أربعه الأواخر و الآخر. و سمّيا ربيعين لارتباع القوم- أى إقامتهم. و (جمادى الأولى) و جماديان و جماديات و جماديا الأولى- و قالوا: الأوليين- و جماديات الأولى و الأوّل و الأوائل- و (جمادى الأخرى) و الأخريين و جماديات الأخرى و الآخر و الأواخر. قال الشاعر:

إذا جمادى منعت درّهازان جنابى عطن مغضف

و يروى قطرها، و إنّما يصف نخلا فيقول إذا قلّت الأمطار و لم يكن عشب فزين الإبل أعطنه النّاس، فإنّ جنابى يزينه النّخل، فجعل أعطانها منابتها (و المغضف) يقال نخله مغضفه إذا كثر سعفها. و رواه بعضهم: معصف بالعين و الصّاد، يقال: مكان معصف أى كثيره العصف و هو التّبن، و الأجود الأوّل و الأصح.

(و قال البصريّون و الكوفيّون) جميعا الشّهور كلّها ذكران إلّا جمادى: لجمود الماء فيها. و يقال: (رجب) و رجبان و أرجاب و أراجيب و أرجبه و سمّى رجبا لترجيبهم آلهتهم فيه، و التّرجيب: أن يعظّموها و يذبحوا عنها، و كانوا يعظّمون الشّهر أيضا و قال الشّاعر: لإبل من أجل و أرجب. و يقال له: شهر اللّه الأصم، و منصل الال بعد ما مضى غير دأداء، و قد كاد يذهب، و ذلك لقعودهم فيه عن الغزو و الكف عن الغاره فلا يسمع فيه قعقعه سلاح، و لا تداعى أبطال، و لا استصراخ لغاره، و يقال: رجبت الأمر إذا هبته و عظّمته، و منه قيل فى المثل: أنا جذيلها المحكّك و عذيقها المرجّب.

و قال أبو داود: صادفن منصل آله فى فلته فجرين سرجا. و يقال للّيله التى لا يدرى أ هى من الشّهر الحرام أو الحلال فلته. و (شعبان) و شعبانات و شعابين و سمّى شعبان لتشعّب القبائل فيها و اعتزال بعضهم بعضا.

و رمضان و رمضانات و رماضين و سمّى رمضان لشدّه وقع الشّمس و تناهى الحرّ فيه و يقال: هذا شهر رمضان و هذا رمضان و قال شعرا:

جاريه فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا ابتسمت: قطع النّاس حديثهم ناظرين إليها و إلى ثغرها و مستملحين كلامها و مثل هذا قول الآخر:

ديار التى كادت و نحن على منّى تحلّ بنا لو لا نجاء الرّكائب

و المعنى: كادت تصرفنا عن مقصدنا اشتغالا، لو لا استعجال النّاس، قال الفرّاء:

و كان أبو جعفر الفارسى يروى عن المشيخه أنّهم كرهوا جمع رمضان يذهبون إلى أنّه اسم من أسماء اللّه تعالى، و اللّه أعلم بهذا.

و شوّال و شوّالان و شوّالات و شواويل و سمّى بذلك لشولان الإبل بأذنابها عند اللّقاح، و يقال سمّى بذلك لأنّ الألبان تشول فيه و تقل. و يقال: شال اللّبن و شال الميزان إذا خفّا.

و ذو القعده و ذواتا القعده و ذوات القعده، سمّى بذلك لقعودهم فى رحالهم لا يطلبون كلأ و لا ميره.

و ذو الحجّه و ذوات الحجّه لحجّهم و قالوا: ذواتا القعدتين، و ذوات القعدات و كذلك قيل فى ذى الحجّه، و يقال: شهر ناجر لشدّه الحر، و منه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ الشّمس فيه مقيمهعلى البيد لم تعرف سوى البيد مذهبا

و يوم على قوسين فى شهر ناجرسعيت لأصحابى وراءه منشبا

شبه وشى ردائه بأفواق النشّاب و هى السّهام. و قال الأصمعى: شيبان و ملحان اسمان لشهرى قماح و هما الشّهران اللّذان يشتدّ فيهما البرد، سمّى شيبان لابيضاض الأرض بالثّلج كذلك ملحان مأخوذ من الملحه و هو البياض.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و جمادى الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج و قال قولهم: مات الجندب و قرب الأشيب أى قرب الثّلج. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبهالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

و ذكر المفضّل: أنّ من العرب من يسمّى المحرّم (المؤتمر) و الجمع مآمير و مآمر. قال الشّاعر:

لو لا ايتمارى بكم فى المؤتمرعزمت أمرى للفراق فانتظر

و قال آخر:

نحن أجزنا كلّ ذبال فترفى الحجّ من قبل وادى المؤتمر

و اشتقاقه يجوز أن يكون من شيئين. (أحدهما) أنّه يؤتمر فيه الحرب قال: و يعدو على المرء ما يأتمر. و الآخر: أن يكون من أمر القوم إذا كثروا فكأنّهم لمّا حرموا القتال فيه زادوا و أكثروا. و يسمّى صفر ناجرا و الجمع نواجر. قال:

صبحناهم كأسا من الموت مرهبناجر حين اشتدّ حرّ الودائق

و قال الكميت:

قطع التّنائف عائدا بك فى وديقه شهر ناجر

و تكون تسميتهم إيّاه بذلك من شيئين: (أحدهما) أن يكون من النّجر و النّجار و هو الأصل، فكأنّه الشّهر الذى يبتدأ به الحرب، و منه قيل لجاده الطّريق: المنجر. قال: ركبت من قصد الطّريق منجره. (و الآخر) أن يكون من النّجر و هو شدّه الحرّ فيكون وقوع حراره الحرب و الحديد فيه. و منه قوله: كلّ نجار إبل نجارها و كلّ نار المسلمين نارها، و يسمّى ربيع الأوّل (خوان) مخفف. و قال الفرّاء: بعضهم يقول خوان و الجمع أخونه و خوانات.

قال لقيط الإيادى:

و خاننا خوان فى ارتباعنافانفد للسّارح من سوامنا

و قال الآخر:

و فى النّصف من خوان ودّ عدوّنابأنّه فى أمعاء حوت لدى البحر

و اشتقاقه من الخون و هو النّقص، لأن الحرب يكثر و يشتد فيه فيتخونهم أى ينتقصهم و يسمّى ربيع الآخر (و يصان) مضموم خفيف و قال الفراء: بعضهم يقول: بصان، و بعضهم يجعل الواو أصلا فيقول: وبصان فيجزم الباء و الجميع بصانات و أبصنه. قال:

و سيّان بصان إذا ما عددته و يرك لعمرى فى الحساب سواء

و اشتقاقه من الوبيص و هو البريق، أو من البصيص. و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ النّار يوقدها له هواجر وبصان عسفت به الحرقا

على ما يرى الضّبعين يشبه دالجاأحال بدلويه على حوضه دفقا

و يسمّى جمادى الأولى: الحنين و بعضهم يقول الحنين، و الجمع أحنّه. قال المهلهل:

أتيتك فى الحنين فقلت رنّى و ما ذا بين رنى و الحنين؟!

و قال:

و ذو النّحب يؤويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجّل

و اشتقاقه من الحنين لأنّ النّاس يحنّون فيه إلى أوطانهم.

و يسمّى جمادى الآخره: رنى و ورنه بجزم الرّاء. قال الفراء: هكذا السّماع لبعضهم و غيره يقول: رنه مثل ورنه، و الجمع ورنات. قال:

و أعددت مصقولا لأيام ورنهإذا لم يكن للرّمى و الطّعن مسلك

و من قال: رنه قال فى جمعه رنات مثل زنه و زنات، فأمّا رنى فسمّى به لأنّه يعلم فيه ما نتجت حروبهم. (و الرّنى) الشّاه الحديثه النّتاج، و أما رنه و ورنه فمشتق من أرن يأرن، إذا نشط و تحرّك فأبدل الواو من الهمزه، و كأنّه أريد الوقت الذى يتحركون فيه للغزو، فورنه مثل وجهه، ورنه(۱) مثل جهه. و قال:

مدرّج الرّيح تربّعن ورنهإذا عاقل و صغن برومان

فالمائر فلمّا دنا لهبان الشّتاء يمّمن أحرجه الحاجر.

و يسمّى رجب الأصم و الجمع صم. قال:

۱- ورنه فی القاموس اسم ذی القعده- محمد شریف الدین عفا عنه.

يا ربّ ذى خال و ذى عن عمم قد ذاق كأس الحتف فى الشّهر الأصم

و إنّما سمّى به لتركهم الحرب حتى لا يسمع فيه صلصله حديد.

و يسمّى شعبان (و علا) بكسر العين و الجمع أوعال. قال الفرّاء: و بعضهم يقول و علان. و يقال وعل أيضا، و هو الملجأ، يقال: ما لى عنه وعل: أى ملجأ، و لم أجد إليه و علا، أى سبيلا، و كأنّه سمّى الشهر به لأنّ الغاره كانت تكثر فيه فيلتجئ كلّ قوم إلى ما يتحصّن به. و التّوعّل التّوقّل و منه اشتقّ الوعل و المستوعل من الحمير المحترز.

قال و (يسمّى رمضان) (ناتق) و الجمع نواتق. قال:

و فى ناتق أجلت لدى حومه الوغاو ولّت على الأدبار فرسان خثعما

و إنّما سمّى بذلك لأنّه كان مكثرا لهم الأموال، يقال: نتقت المرأه: إذا كثرت الولد، و النّتق الجذب أيضا، كأنّه كان يجذب النّاس إلى غير ما هم عليه. قال الرّاعى:

و فى ناتق كان اصطلام سراتهم ليالى أفنى القرح جلّ إياد

نفوا إخوه ما مثلهم كان إخوهلحىّ و لم يستوحشوا لفساد

و يسمّى شوّال عاذلا، و الجمع عواذل. قال تأبط شرا:

شعب الوصل عاذلى بعد حجرى حبّذا عاذل أتى خير شهر

يا ابنه العامرىّ جودى فقد عيل على القرب و النّوى منك صبرى

و قال:

أبوتا الذى أنسى الشّهور لعزّه فعاذل فينا عدل و علان فاعلم

هذا البيت شاهد لشعبان و شوّال جميعا. و قال زيد الخيل فى وعل:

هيهات هيهات برّيات الكلل قد كان أدنى متوعد منك و عل

قد مرّ شهران و لم يأت الرّسل و كأنّه سمّى بذلك لأنّه كان يعذلهم على الإقامه، و قد حلّت الحرب و الغارات.

و يسمّى ذو القعده: هواعا، و الجمع أهوعه، و إن شئت هواعات. قال شعرا:

و قومی لدی الهیجاء أکرم موقعاإذا کان یوما من هواع عصیب

و قیل له ذلک: لأنّه کان یهوع النّاس أی یخرجهم من أماکنهم إلی الحج. و یقال: هاع فلان یهوع هوعا إذا قاء، و تهوّع و ما یخرج من حلقه هواعه.

و يسمّى ذو الحجه (برك) و جمعه بركات، و لك أن تفتح الرّاء. قال:

أعن لى على الهندىّ مهلا و كرهلدى برك حتّى تدور الدّوائر

يعنى بالهندى سيفه (و المهلل) دردى الزّيت، (و الكرت) البعر، أى احفظ سيفى من الصدأ و اصقله بذلك، و كان الشّهر سمّى بذلك، لأنّه معدول عن بارك و كأنّه الوقت الذى يبرك فيه الإبل للموسم، و جائز أن يكون مشتقا من البركه لأنّه وقت الحج، فالبركات تكثر فيه، و أصل البركه من الثّبات و منه برك البعير.

أسماء الشهور العربيه غير الأسماء المشهوره:

و قال الدّريدى: و المشهور أسماء غيرها بلغه العرب العاربه، و هم كانوا يسمّون (المحرم) موجبا، و (صفرا) موجزا، و (ربيع الأوّل) موردا، و (ربيع الآخر) ملزجا و (جمادى الأولى) مصدرا، و (جمادى الآخره) هوبرا، و (رجبا) مويلا، و (شعبان) موهبا، و (رمضان) ذيمرا، و (شوالا) جيفلا، و (ذا القعده) محلسا، و (ذا الحجه) مسبلا، و كانوا يبدءون من السّنه برمضان و قد نظم بعضهم المحدثين أسماء الشهور فقال شعرا:

أردت شهور العرب فى جاهليّهفخذها على سرد المحرّم يشترك

فهو تمر يأتى و من بعد ناجرو خوّان مع وبصان يجمع فى شرك

حنين ورنى و الأصم و عاذل و ناتق مع وعل و ورنه مع برك

و قال أحمد بن يحيى: إنّما خصّت العرب شهر ربيع و شهر رمضان بذكر شهر معهما من دون غيرهما من الشّهور ليدلّ على موضع الاسم، كما قالت العرب: ذو يزه، و ذو كلاع، فزادت ذو ليدل على الاسم، و المعنى صاحب هذا الاسم. قال و يصغّر جمادى على جميدى و جميدى و جميديه و جماديه و جماديه، كما قالوا: حبارى و حبيره، و كان الحكم أن يقال فى هذا: شهر الرّبيع الأوّل، و شهر الرّبيع الآخر، إلا أنّه مما أضيف فيه المنعوت إلى النّعت مثل دار الآخره، و حق اليقين و صلاه الأولى، و مسجد الجامع، حكى ذلك الكسائى و اللّحيانى.

و حكى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى أنّ جمع ربيع المطر: أربعه، و ربيع النّهر أربعاء. و جمادى الأولى و الآخره على ما يجب لأنّه أتبع فيه النعت المنعوت و لم يضف إليه، و منهم من يجيز جاء رمضان، و لا يذكر الشّهر و لفظ القرآن (شهر رمضان) و حكى الخارزنجى أنّه يقال فى جمع ربيع الأول و ربيع الآخر: هذه الأربعه الأوائل، و الأربعه الأواخر، و الربعه أقصى غايه العدد، و أنشد فيه:

أم الفوارس بالدّيداء و الرّبعه

فصل اعلم أنّ سرار الشّهر

آخره، و فيه لغات: يقال سرار الشّهر، و سراره و سرّه و سرره.

و يزيد النّوء عندهم غراره و حمدا إذا كان فى سرار الشّهر. لذلك قال الرّاعى:

تلقى نوؤهنّ سرار شهرو خير النّوء ما بقى السّرار

و قال الكميت:

هاجت له من جنوح اللّيل رائحهلا الضّب ممتنع منها و لا الورل

فى ليله مطلع الجوزاء أوّلهادهماء لا قرح فيها و لا رجل

(قوله): لا الضّب البيت يعنى السّيل يدخل عليهما فيستخرجهما لبلوغه النّجوات، و ذلك أنّ الضّب و الورل يرفعان مكانهما عن مجرى السّيول. (و قوله): لا قرح يريد أنّها من السّرار فلا ضوء فى أوّلها و لا فى آخرها. و قال الحطيئه شعرا:

بانت له بكثيب حريه ليلهو طغا بين جماديين درورا

و هى اللّيله التى لا يدرى من أىّ الشّهرين يكون مشكوكا فيها، و قد يحمد أن يكون فى أوّل الشهر أيضا. قال الكميت:

و الغيث بالمتألّقات من الأهلّه فى النّواحر

النّواحر: جمع ناحره و هى اللّيله التى تنحر الشّهر، و يقال لها أيضا: النّحيره. قال أبو حنيفه: و اختلف فيها فزعم بعض أهل العلم أنّها أول ليله من الشّهر يذهب إلى أنّها فى نحره، و زعم غيره: أنها آخر ليله من الشّهر لأنّها تنحر الشّهر الدّاخل، قال: و لا أظنّه قال هذا إلّا لأنّ يجعل الاختيار فى السّرار، لأنّه أشهر لكنه قد جاء بالمتألّقات من الأهله، و جاء أيضا وافق غر شهر نحيرا، و لا يقال غرّه إلّا و هى ليله الهلال، و قد قال الفرزدق: فى ناحرات سرار بعد إهلال. فجعلها من السّرار و جعلها ناحره و جعلها بعد الإهلال. قال: فإن كانت هذه الرّوايه صحيحه فلا أعلم لها وجها، إلّا أنّ اللّيله دخلت و هى من السّرار، لأنّ ما بين استسرار القمر إلى أن يرى الهلال سرار، كلّه، فدخلت و هى من السّرار، ثم رؤى فيه الهلال فصارت نحيره، و صار ما فيها من غيث بعد الإهلال، هذا أقرب ما أعرف منها. و إن كانت الرّوايه كما يزعم آخرون أنّها قبل الإهلال، فهذا ما لا كلام فيه. و يكون حينئذ مثل قول الرّاعى شعرا:

و مرده و طغا و افق نوؤهاقبل الهلال بديمه ديجور

و يكون حينئذ فى السّرار المحض. فأما قول ابن أحمر:

ثم استهلّ عليها و اكف همع فى ليله نحرت شعبان أو رجبا

فإنّه يحتمل المعنيين جميعا، هذا إن كانت النّحيره معروفه عند العرب أنّها أوّل ليله من الشّهر. و قيل فى قول الشّاعر:

كان ابن مزنتها جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

مثل قول الكميت، لأنّ ابن المزنه هو الهلال و قول أبى و جزه:

جيران دان من الجوزاء منحور. فليس هو من النّحيره بل هو مثل قول الرّاعى:

فمرّ على منازلها فألقى بها الأثقال و انتحر انتهارا

أى يشقّق بالماء و تعشق فعلى هذا مذهب العرب فى اختيار السّرار و الغرّه، قال أبو حنيفه: و قد قال أبو و جره فى ليله لتمام النّصف من رجب: خواره المزن فى أقتادها طول.

فلا أعرف أحدا وافقه على هذا الاختيار و لا أعلمهم حمدوا المحاق بليله، فكان محاقا كلّه ذلك الشّهر. و قال الأخطل شعرا:

فإن يك كوكب الصّمعاء نحسابه وافت و بالقمر المحاق

و تزعم الهند فيما يحكى عنها أنّ النّحوسه أبلغ فى الأمطار، و إنّما النّحوسه عندهم ما دام القمر مستسرا محترقا، فإذا فارق الشّمس ذهبت عنه النّحوسه لأنّه قد خرج عندهم من الاحتراق، و العرب تقول: إذا نأت النّجوم بغير مطر: خوت تخوى خيا و خويا و أخوت تخوى إخواء. فإذا أمحلت فلم يكن فيها مطر فذلك الخى و الأخلاف، فإذا لم يخلف قبل صدقت و قد صدق النّوء إذا كان فيه مطر و ما كان فيها من أمطار أو بوارح: فهى الهيوج و الواحد هيج. قال الأصمعى: يقال: هذا فى الهيج المتقدّم. و قال ذو الرمه:

فلمّا رأين القنع أسغى و أخلفت من القصر بيّات الهيوج الأواخر

(القنع) المكان الذى انخفض وسطه و ارتفع جوانبه، و إنما وصف نساء دفعن إلى بوارح. و قال آخر:

و نار وديقه فى يوم هيج من الشّعرى نصبت لها الجبينا

قال ابن الأعرابى: العرب تسمّى نجوم الأسد كواكب النّحوس لشدّه بردها. و قال عمر بن اللّجاء شعرا:

لمّا خشيت كبه التّنكيس و قحم السّير بمر مريس

خنست فى الباقل و الخليس و اقتحمت كواكب النّحوس

و الكيس أحيانا مع الخنوس حتّى وضعت غدوه دريس

أخبر أنّه اقتحمت كواكب النّحوس فسقطت فوضع ثوبه غدوه، و لم يخف البرد، و قوله: (خنست) فى الباقل أى لم أنتجع، و (الباقل) البقل و الخليس من نبات البقل فيه رطب و يابس و منه قولهم: أخلس الإنسان: إذا خالطه شيب، و أنشد:

قوم أبا الجهم صدور العيس أما ترى البرق على خليس

رأى أن يقع النّدى و العرب تقول إذا سبق النّدى للقر، فلذلك عام خصب يستحبّه العرب، و يقولون: أجدحت(١) السماء و يزعمون أنّه من علامات الحياء. قال سهيل المدلجى: و أسد الشّتاء عنها مجدح. و إذا سبق القر الرّبيع خشوا أن يكون ذلك العام جدب.

١- فى القاموس مجاديح السماء أنواؤها- المصحح.

الباب السّادس عشر فی أسماء الدّهر و أقطاعه

اشاره

و ما يتّصل بذلک و هو فصلان:

فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزنم الجذع

حکی باللّام و النون، و أنشد قطرب:

إنی أری لک أکلالا يقوم له من الأکوله إلّا الأزلم الجذع

قال: و بعضهم يرويه الأزنم بالنّون، فمن قال الأزنم أراد أنّ الأوقات التی يعرض فيها کالزّنمات له، تشبيها بزنمات الشّاه، و هی الزّوائد المعلّقه من حلقها و من تحت حنکها.

و من قال: الأزلم أراد أنّه سريع المر و التقلّب، يقال: ازلأم به إذا أخذه و عدا به مسرعا.

و منه قوله: أم قيد فأزلم به شاء و العنن. أراد أنّه لا يسمع أن قد فات به الموت و سبق و طار.

و منه قيل للقدح: الزّلم لخفّته فی جولانه، و هذا کما قيل فی صفاته قدح زلول و دروج، و معنی الجذع أنّه لا يهرم.

و زعم الفرّاء أنّ الأصل هو الأزنم من الزنمه، و أنّ اللّام مبدله من النّون، و حکی الخليل: أنّ الزّلم: تکون زائده فی حلق المعز فإن کانت فی الأذن فهی زنمه، و النّعت إزلم و إزنم، فعلی هذا يکون المعنی فيهما علی طريقه واحده و هو ما ذکرناه من تشبيه الحوادث بالزّنمات. و يجوز أن يکون سمّی الدّهر إزلم تشبّها بالزّلم يکون من القداح لأنّها علی غرار واحد. و کذلک اللّيالی و الأيام تجی ء علی مثال واحد، و لذلک جاء فی المثل: ما أشبه اللّيله بالبارحه، فکأنّ الزّلم هی القطع و القدّ. و لذلک قيل: هو العبد زلمه أی: قدّه قد العبيد، و يقال: رجل مزلم أی يشبه القدح فی الخفه و النفاقه.

و من أسمائه المسند و يقال: لا أفعله آخر المسند و إلی المسند و يد المسند و المعنی إلی أن يسند الدّنيا إلی الآخره، کان المراد آخر الوقت المسند، و إلی الوقت المسند، و يجوز

أن يكون لما أسندت الحوادث إليه لاعتقادهم به الجالب لها و السّابق سمّى مسندا، و كان يجب أن يقال: المسند إليه فحذف إليه تخفيفا. و من أسمائه: عوض، يقال: لا أفعله عوض العائضين و دهر الدّاهرين، قال الأعشى:

رضيعى لبان ثدى أم تقاسمابأسحم داج عوض لا يتفرّق

و (عوض لا ـ يتفرق) يفتح و يضم، و قد جاء عوض كلمه يقسم بها يقال: عوض لا ـ يكون ذلك أبدا. و روى بيت الأعشى: (بأسحم داجى العوض) و فسّر على أنّ عوض كلّ شى ء جوفه. و يستعمل فى الزّمان، فيقال: عوض اللّيل أى مثناه.

و حكى بعضهم أنّ عوض اسم للضمّ و أنشد: (حلفت بمائرات حول عوض) و قال بعضهم: يجوز أنّ استعمالهم إيّاه فى القسم من حيث كان فى الأصل اسما للضم، فأمّا استحقاقه للبناء فمن حيث كان متضمنا معنى لام التّعريف، فمن فتحه فلأنّ الفتح أخفّ الحركات، و من ضمّه فلأنّه شبّه بقبل و بعد.

قال الشّيخ: و يجوز أن يكون عوض فى الأصل مصدر عاضه يعوضه عوضا و عياضا.

و جعل اسما للزّمان، و المعنى ما عوض الدّهر النّاس من أيّامه لأنّ الدّهر ليل و نهار يتعاقبان و يتعوّضان، و العوض و العياض و العوض البدل، و يقال: هو عوض لك و عياض لك أى عوض.

و المصادر تقام مقام أسماء الفاعلين و المفعولين. و معنى العائضين النّاس المقيمون فى العوض فأمّا قوله: و هل عائض منّى و إن جلّ عائض. فالمراد به هل معط للعوض منّى بمعط و إن جلّ أمره و عظم شأنه. و المعنى لا يفى عوض من الأعواض بى و إن جلّ، لأنى أكون أفضل من كلّ عوض. و يقال: عضته كذا فاعتاضه، كما يقال: وهبت له كذا فاتهبه، و قضيته الدّين فاقتضاه، و على هذا قيل فى الشى ء: هذا لا يعتاض منه، و أنشد صاحب العين شعرا:

يا ليل أسقاك البريض الوامض و الدّيم الغاديه الفضافض

هل لك و العارض منك عائض فى هجمه يعذر منها القابض

سدس و ربع تحتها فرائض

أى هل لك فى العارض منك على الفضل، قال: كان من قصته أنّ رجلا خطب ليلى، فقال: أعطيك مائه من الإبل يدع السّائق منها إذا ساقها بعضا لكثرتها فلا يطيق شلّها و أنا معارضك، أى معطيك الإبل مهرا، و أنا آخذ نفسك، فأنا عائض قد عضت أى صار العوض كلّه لى، فالفضل فى يدى. و منه قولهم: لا أفعله يد الدّهر، و جدى الدّهر، فمعنى يد الدّهر

أی ما كان للدّهر يد أی حكم، كما تقول: لفلان فی هذا يد أی ملك و أمر، و معنى جدى:

أی ما كان للدّهر جدى أی عطيه.

و من أسمائه الأبض و قال: فی سلوه عشنا بذاك أبضا. أی دهرا. و قال بعضهم:

الأبض فی الأصل جمع أباض، و يخفّف و يثقّل: و هو الحبل يعقل به البعير فإذا قلت لا أفعله أبضا. فالمعنى ما كان للدّهر سبب. قال الشيخ: أقرب من هذا أن يكون من الأبض و هو العقل و الشّد كان المراد فی زمان عقد علينا لا انفكاك منه. و يكون الأبض فی أنه مصدر، و الأبض فی أنه المأبوض كالسّد و السّده و العقد و العقده. و يجوز أن يكون سمّى بذلك لأنّه يضعف و يقيد بالهرم، و يقال للدّابه و الطّير إذا أصابه عقال فلم يسلس: إنه لموتبض النّسا و أبوض النّسا. قال:

و ظلّ غراب البين مؤتبض النّساله فی ديار الجارتين نعيق

و قال أبوض النّسا بالمسمين خسوف، و لا أقبله ما اختلف الجرّه و الدّرّه أی أبدا، لأنّ الدّره إلى أسفل، و الجرّه إلى فوق.

و منه: الأبد و الأبيد. و يقال: لا أقبله أبدا لأبيد، و أبد الآباد، و أبد الآبدين و أبد الأبد، و أبد الأبديّه، و المعنى إقامه الدّهر و مكثه، و الإضافه فيه على طريق التأكيد. و الأبد المقيم الّذی لا يبرح، و أوابد الشّعر، سمّيت أوابد لبقائها على مرّ الأيّام و أنشد شعرا:

صار لطول الدّهر من آباده كمهرق لم يبق من مداده

غير بقايا نونه و صاده قولك: أبد الآباد كقولك: دهر الدّهور، و أبد الآبدين، كدهر الدّاهرين أی دهر النّاس المقيمين فی الدّهر، و أبد الآبد كدهر الدّاهر، و من أمثالهم أتى أبد على لبد للشی ء، و قد مضى و انقطع، و لبد اسم لنسر لقمان.

و من أسمائه: الطّيل و الطّول قال: و إن بليت و إن طالت بك الطّيل.

و يروى الطّول، و إنما أخذ من الطّول، و يقال: لا أكلّمك طول الدهر، و إنّما أنّث الشّاعر الطيل ردا على المعنى، كما يؤنث الألف إذا أريد به المعدوده.

و من أسمائه: المنون، و هو من مننت أی قطعت و يقال: حبل منين: أی مقطوع، قال أبو ذؤيب:

أ من المنون و ريبه تتوجّع و الدّهر ليس بمعتب من يجزع

فإن قيل: ما باله ذكّر المنون و هو و المنيه سواء، و أنت إذا رويتها و ريبها قلت: أنّثه

لأنّه أريد المنيه. قلت: المنون و يراد به الدّهر يشبه أسماء الأجناس و لذلك لا يجمع، و كما لم يجمع لم يؤنّث أيضا، و إذا أريد به المنيّه أشبه اسم الفاعل فأجرى مجراه فى التأنيث به لمعناه، و يقال: ما فعلته قط.

قال ابن السّكيت: فيه ثلاث (لغات: قطّ بالفتح و التّشديد و ضم القاف و التّشديد و فتح القاف و تخفيف الطّاء إذا كان بمعنى الدّهر. و إذا كان بمعنى حسب فهى مفتوحه ساكنه و أصله من قططت أى: قطعت و المعنى ما فعلته قطع دهرى كلّه، و أبدا فى المستقبل: بمعنى قط فى الماضى. و يقال: لا أفعل كذا ما سمّى ابنا سمير، يعنى اللّيل و النّهار، و لا أفعله ما سمر السّمير، و هم النّاس يسمرون باللّيل و ما اختلف ابنا سمير، و لا أفعله السّمر و القمر أى أبدا. و حكى: جاء بالسّمر و القمر أبو سعيد و قال: معناه بالنّور و الظّلمه، كما يقال: جاء بالضّيح و الرّيح، و يقال: السّمير الدّهر، و ابناه اللّيل و النهار. و قيل: الغدوه و العشى. و قيل فى السّمر: إنّه ظلّ القمر فضم النّهار إلى اللّيل. و قيل: السّمر الظلمه و المقيم فيه سامر.

و منه السّامره و السمر: حديث القوم باللّيل.

و قالوا: لا أفعله حرى و حارى دهر و حيرى دهر، بتسكين الياء. و المعنى ما حار الدّهر: أى رجع، و يجوز أن يكون من حار الدّهر يحير: أى أقام، و يقال: حيروا بهذا الموضع، أى أقيموا. قال بعضهم: و منه سمّيت الحياه. و حكى حير الدّهر جمع حيرى، كما قيل: زنجى و زنج، و عربى و عرب.

و يقال: لا آتيك سجيس عجيس، أى الدّهر، قد يصرف فيقال: عجيس أى الدّهر، فقوله: عجيس يجوز أن يكون من عجسه أى قبضه و حبسه، و منه معجس القوس أى مقبضه، و عجاساء اللّيل: ظلمته، لأنّها تحبس النّاس و يكون المعنى ما بقى الدّهر و حبس على أهله. و يجوز أن يكون من عجس اللّيل و عجيسه أى آخره، و منه تعجس عن القتال و عجس: أى تأخّر فيكون المعنى: آخر الدّهر. و سجيس فعيل و يفيد الامتداد على حاله، و سج و سجسج و سجس فى طريق. و فى الحديث: «نهار أهل الجنه سجسج» أى معتدل متّصل لا آفه فيه. و قال الأعشى:

قيس سجسج ساب إذا هبطت به السّهل و فى الحزن مرجلا عجلا

قال أبو عبيده: السّجسج: اللّين المروّض، و السّاب من الأرض مسائل صغار، و كذلك السّيب، و روى أبو عمرو الشّيبانى سجسا مسجا: إذا هبطت، و قال: السّجس السلس المنقاد لا يتغيّر، و المعنى: أنّ هذا البعير إذا سار فى السّهل امتدّ فى السّير على حاله و هو فى الحزن مرجل، أى رجيل قوى المشى. و يروى مرجما و مرجلا، فعلى هذا جعل

سجيس الدّهر لامتداده و سلاسته فى الاتّصال و الاستمرار. و من قال: سجيس عجيس: جعل الأول مع الثّانى كالشى ء الواحد و بناءهما لتضمّن معنى حرف الجر، كان الأصل سجيسا لعجيس، فحذف حرف الجر و ضمن الأوّل و الثّانى معناه، و من أضاف الأوّل إلى الثّانى كان أمره ظاهرا و قالوا: لا أكلمك آخر الأوجس، و سجيس الأوجس، أى آخر الدهر، و سجيس اللّيالى. قال تأبّط شرا:

هنالك لا أرجو حياه تسرّنى سجيس اللّيالى مسبلا بالجراير

أى ما اتّصل اللّيالى و انقادت على حاله. و الأوجس: جمع و جس و هو ما يحصل فى النّفس من ذعر و فزع لصوت أو حركه، و منه ترجس الوحشى، و فى القرآن: فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى [سوره طه، الآيه: ۶۷] فكأنّه سمّى الزّمان بالحوادث المفزعه فيه أو جعل إقطاع الزّمن يجس و يحدث بمنكرات الأمور حالا بعد حال.

و ذكر بعضهم الحوب فى أسماء الدّهر، قال: يجمع على أحوب و أحواب و حوبه كما قالوا: عصر و عصره، و دهر و دهره، و غصن و غصنه، و قرد و قرده و كأنّه من الشّده و العظم لأنّ الحوب الاثم الكبير، و يقال: يحوب الصّائح إذا اشتدّ صياحه. قال الخليل: الحوبا روح القلب، لأنّه ملاك الحى.

و من أسماء الدّهر: المخبل، و التّخبيل الزّمانه، و الخبل الفساد و يقال: خبل خابل.

قال: فأبلغ سليط اللّوم خبلا خابلا. فالخابل المفسد، و إنّما سمّى الدّهر مخبلا، لأنّه إمّا يهرم، و إمّا يقتل. قال الحارث بن حلّزه:

فضعى قناعك إنّ ريب مخبل أفنى معدا

و يقال: لا أفعله سنّ الخبل: أى دوامه و بقاؤه، لأنّ سنّه من لحيه و ليس بمركب فيه، فلا يسقط، و لا أفعله مالات العفراء بأذنابها، و يقال: الفور و هى الظّباء و ما مصع الظبى بذنبه، و قال الأصمعى: الفور لا واحد له من لفظه، و لا أفعله ما جنح ابن أنان، و يقال:

لقيته أول ذات يدين أى أول شى ء، و أما أوّل ذات يدين: فإنّى أحمد اللّه، و آثر ذى يدين، و ذوات يدين أى أول ما يأذن.

و الفطحل: يقال للزّمن القديم قال أبو عمر نوح زمن الفطحل، و يقولون: حين كانت الحجاره رطبه و قد مضى ذكره.

و لا آتيک هبيره بن سعد و أبوه ابن هبيره: أى أبدا، و قال الأصمعى: يقال فى مقابله أغببت الزّياره، اغتمّت الزّياره بالغين المعجمه، أى: أكثرت، قال: و قالوا كان العجّاج يغتم

أی یطیل الشّعر، و یکثر و یقال: أشوی الدّهر کذا أی ترکه و هو من قولهم: فلان أکثر النّاس شوایه أی بقیه من قومه، و ما أشوی لنا الدّهر له.

و حکی الدّریدی: لا آتیک حد الدّهر و عجیس الدّهر، و سجیس الأوجس و سجیس الحرس، و سجیس الأبض.

و حکی غیر واحد جیر مبنیّه علی الکسر، یراد به الدّهر و ربما أجروها مجری القسم، یقال جیر لأفعلنّ کذا أی حقّا لأفعلنّ و أنشد شعرا:

ابنی جیر و إن عزّ رهطی بالسّویداء الغداه غریب

و من أسماء الدّهر الخز و الملاوه و قد تقدّم القول فیه، و ذکر ابن الأعرابی قال أنشدنی المفضّل شعرا:

و فی بنی أم زبیر کیس علی الطّعام ما غبا غبیس

قال: الغبیس الدّهر و غبا: بقی.

الأصمعی: لا أفعل ذلک بأسوس الدّهر، أی: أبدا، و هذا کأنّه من قولهم فی ترک اللقاء: لا آتیک ما أیس عبد بناقه، و هو أن یقول: بس بس یسکن منها للحلب، و یقال: ما زال علی است الدّهر محنونا، و علی أسن الدّهر. و یقال: ترکته بأست الدّهر، أی و لا شی ء معه، و ترکته بأسمر المتن: و هو متن الأرض: أی الصّحراء الواسعه. و لقیت منه است الکلبه أی: ما کرهته، و هو أمنع من است النّمر: للّذی لا یطلق الدنوّ منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدّهر سبات: أی أحوال مختلفه: سبه حرّ، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دفی ء. و یقال: أصابتنا سبه من برد أی لأشد ما یکون من القر فإن أصابک برد فی آخر الرّبیع قلت: أصابتنا سبه من الرّبیع و أصابتنا سبه من حرّ و هی مثل الوقده فی نحو من عشره أیام أو أکثر.

و حکی بعضهم: الأعرم: الدّهر، لأنّ فیه نوائب و صروفا متلوّنه، و یقال: عرم الصّبی: یعرم إذا أتی بألوان من الغیث، و یقال للأفاعی: العرم، لأنّ فیها نقطا تخالف لونها و أنشد: رءوس الأفاعی فی مساربها العرم.

فأمّا قوله: حیاکه وسط القطیع الأعرم، فإنّما یعنی أنّ بعضه ما عز و بعضه ضأن، و یقال: لا أفعل ذاک حتی تحنّ الضّب فی إثر الإبل الصّادره، و لا أفعله حتی یبیض القار، و لا أفعله ما أبس عبد بناقه، و إبساسه: تحریک شفتیه. و لا أفعله ما هدهد الحمام. و لا أفعله ما صلّی علی النّبی مصلّ، و ما دعا اللّه داع. و لا أفعله ما حلب حالب أضرع الدّهر.

فصل فيما يجرى من التأكيدات فى أوقات الدّهر

يقال: دهر داهر، و أبد آبد و أبيد و حين حائن، و محين، و مده ماده و مديده، و ليل لايل.

قـال هميـان بن قحـافه: فصـدرت تحسب ليلا لائلا. و قيظ قائظ و صـيف صائف، و شـتاء شات، و ربيع رابع: أى مخصب، و يوم قائظ، و يقال عام أعوم و معيم و أعوام عوم، قال:

من مرّ أعوام السنين العوم، و حول محيل، و سنه سنهاء و شهر أشهر، و يوم كريت و قميط قال شعرا:

أقامت غزاله سوق الضّراب لأهل العراقين حولا قميطا

و شهر أجرد و أقرع و أصلع، و سنه جرداء و قرعاء و صلعاء. و قال قطرب: نهار أنهر و ليل أليل، و ليله ليلاء: لتأكيد شدّتها. و قال غيره: نهار و نهر، و يوم يوم و يم لآخر يوم من الشّهر، و قيل: الأيوم فى الشّديد. قال مروان: مروان أخو اليوم اليمى، و قيل: اليمى أريـد الشّديد فى حرب أو قتال. و إذا ذكر أمر عظيم حدث فى يوم قيل: أيوم يوم، و إن كان ليلا قيل: ليل أليل، و إن كانت ليله مشهوره قيل: ليلى و ليلاء، قال فى ليله ليلى، و يوم أيوم.

و قال:

كم ليله ليلاء مدلهمّهكابدتها لحاجه مهمّه

و آخر ليله فى الشّـهر لظلمتهـا ليلى مقصوره، و ليلاـء ممـدوده، و ليـل ليلى. قـال: لما أرجحن ليله اللّيلى. و يقال: أتانا فلان حين هراق اللّيل أوّله إذا مضى بعضه و قال ابن أحمر:

تغمرت منها بعد ما نفد الصّبى و لم يرو من ذى حاجه من تغمّرا

فبتّ أعاطيها الحديث بمسنن من اللّيل أبقته الأحاديث أخضرا

(تغمرت) أى أصبت شيئا يسيرا، (و من ذى حاجه) أى من حاجه، و ذى زائده.

(و المسنف) المتقدم، (و أبقته الأحاديث) أى انقطع الأحاديث قبل أن يتغد اللّيل، و قوله:

(أخضـر) يحتمـل ضـربين: يكون صـفه مسـنف لأنّه نكره مثله و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى أبقته، و مثله من الحال قوله: و مال لقنوان من البسر أحمرا.

و الحرس: الزّمـان و الـدّهر، قال الكاتب: و اختاره من سائر الأمثال فى حرسه أى فى زمانه، و فى كتاب الخليل: الحرس وقت من

الدّهر دون الحقب. قال بعض أصحاب المعانى من هذا قولهم: بناء أحرس. للأصم من البنيان.

الباب السّابع عشر فى أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل- و طوائفهما

اشاره

و ما يضارعهما من أسماء الأمكنه أو يداخلها من ذكر الحوادث فيها. و هو ثلاثه فصول

فصل [فى بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها]

قال الأصمعىّ و غيره: يقال: غبر برهه من دهره و برهه و زمنه و طرقه و طرقه و حقبه و هبه و سبه أى زمان. قال أبو ذؤيب:

بقرار قيعان سقاها صيف واه فأثجم برهه لا يقلع

و أقام درجا من دهره، و حرسا من دهره لا يفعل كذا أى زمانا، و مضت سنبه من الدّهر و سنبيه أى قطعه، و ذكر سيبويه فى زياده التّاء هذه اللفظه، و استدلّ على أنّه فعليه لسنبه، و أنشد الأصمعىّ:

ربّ غلام قد صرى فى فقرته ماء الشّباب عنفوان سنبه

و يروى شرته.

و غير مهوان من الدّهر و هو مفعال من الهون، و يقال أيضا: بينى و بينه مهوان من الأرض: أى بعد و مهون أيضا. و يقال: بقى سبتا يفعل كذا قال شعرا:

لقد نرتعى سبتا و لسنا بجيرهمحلّ الملوك نقده فالمغاسلا

و السّبت القطع، كان المراد به قطعه، كما يقال: الخلق فى المخلوق.

و يقال: إنّى لآتيه الغينه بعد الغينه، و فينه بعد فينه. قال:

لك البيت إلّا فينه تحسنينهاإذا حان من ضيف علىّ نزول

و حكى أبو عمرو غلام ثعلب: (فإن يفين فينه): إذا زار وقتا بعد وقت، و يقال لقيته

فينه يـا هـذا، فجعلوه كالعلم، و لم يفعلوا ذلک برهه، و هـذا كما قالوا للغراب: ابن دايه و لم يفعلوا ذلک فی الظّهر. و يقال: أتيته آئنه بعـد آئنه، بوزن عائنه أی تاره بعد تاره و كأنّه اسم مبنی علی فاعله من الأوان كاللّائمه من اللّوم و النّاظره من الأنظار. و قرئ (فناظره إلی ميسره) و النّائل من النّوال، و لا يجعل آئنه جمعا لأوان مثل الآونه و أنشد:

تری قورها يغرقن فی آل مرهو آئنه يخرجن من غامر نخل

أی و تاره يخرجن، و أوان كزمان و أزمنه. قال ابن أحمر:

أبو عمرو يؤنسنا و طلق و عمّار و آونه أثالا

قـال أبو عبيـده: لقيته أدنی ظلم و معنـاه القرب. و قـال الأـحمر: فإن كنت تلقاه فی اليومين و الثّلاثه فصاعـدا قلت: لقيته أفرط فی الفرط، و لا يكون الفرط فی أكثر من خمس عشره ليله. و يقال: فلان تفارطته الهموم: أی لا تصيبه الهموم إلّا فی الفرط.

قال أبو زيـد: فإن لقيته بعـد شـهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفر. قال: فإن لقيته بعـد الحول أو نحوه قلت: لقيته عن هجر. قال: و إذا كان الرجل يمسک عن إتيان صاحبه الزّمان ثم يمسک عنه نحو ذلک أيضا ثم يأتيه قال: لقيته بعيدات بين.

قال الأصـمعی: فإن لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم، قال أبو عبيده: فأمّا الغب فی الزّياره فمعناه الإبطاء و التّقليل علی غير وقت معلوم، و أحسب الأصـل كان فيه من غب و هو أن ترد الإبل الماء يوما و تـدع يوما. و مثله غب الحمی ثم انتقل المعنی من هذا فی الزّياره خاصه إلی ما فوق وقت الورد و وقت الحمی. قال: و من هذا المعنی قوله صـلی اللّه عليه و سـلم فی الحديث: «زر غبّا تزدد حبّا» فقد علم فی هذا أنه أراد الإبطاء فی الزّياره. قال: و كذلک الإلمام نحو الغب، إنما معناه الأحيان علی غير مواظبه و لاـ وقت محـدود، فهـذا مـا قاله، و الإلمام للزّياره لا للوقت، كما أنّ الاعتمار اسم لها متی كانت لا للوقت. و يقال: رأيته عين عنه أی: السّاعه من غير أن طلبته و قيل: أوّل عائنه أيضا. و يقال: أتيته علی حباله ذاک أی علی حين ذاک.

و حكی الخليل: أقمت عنـده فی ضـغيغ دهره، أی قدر تمامه. (ابن الأعرابی) فعلنا كذا و كذا و الدّهر إذ ذاک مسـجل. و المعنی لا يخاف أحـد أحـدا. و يقال: لهـذا دهر حول قلب إذا كان كثير التّبديل، كما يقال: رجل حول قلب. (ابن الأعرابی) يقال: حول كميل و دكيک و قميط و كريت أی تام و أنشد فی الكميل شعرا:

علی أننی بعد ما قد مضی ثلاثون للعجر حولا كميلا

أی فصل بین الثلاثین و بین الحول ضروره، و یقال: فی ضد الکمیل حول ختت(۱) أی ناقص. و یقال: فعلته أیّاما حسوما أی متتابعه، و قیل: تامه و هو من قولک: حسمت الشی ء أی فصلته من غیره، و فی القرآن: سَبْعَ لَیالٍ وَ ثَمانِیَهَ أَیَّامٍ حُسُوماً [سوره الحاقّه، الآیه: ۷] أی نحوسا و الأوّل أصح. و یقال: أرمی فلان علی الخمیس و ذرف و أربی و أوفی.

و حکی الفرّاء فیه ودی و هذا و إن کان أصله فی الزّیاده فی السّنین فقد استعمل فی الزّیاده فی غیرها و أنشد:

و أسمر خطیا کأنّ کعوبه نوی القسب قد أربی ذراعا علی العشر

و قد ظلف علی الخمسین و قد أکل علیها و شرب، و قد طلع علی الخمسین و قد ولّاها ذنبا. قال: و سمعت الطّوسی یقول: قیل لبعض الأعراب: کم سنه أتت لک؟ فقال: ولّتنی الأربعون ذنبها. و قیل لآخر مثل ذلک فقال: أنا فی قرح الثّلاثین، أی فی أوّلها و فی أوّل شهر منها، و الأقراح أوائل الأشیاء، و اقترح فلان علی کذا. و قال ابن الأعرابی فی قول أوس:

علی حین أن حد الذّکاء و أدرکت قریحه کحسی من شریح مغمّم

جعل شباب شریح حین بدا کحسی الماء لا ینقطع ماؤه، و مغمم أی ملأ کلّ شی ء، و غمّه غرقه. و یقال: سند فی الخمسین، و ارتقی فیها هذا عن بعضهم. و قال أبو صاعد:

ارتقی فیها فحسب.

و قال ابن الأعرابی: قلت لأبی الجماهر: ابن کم أنت؟ فقال: قد ولّتنی الخمسون ذنبها. و قلت لآخر مثله فقال: حبوت إلی السّتین. و قال بعضهم: أخذت بعنق السّتین.

و قال آخر: راهمت الثّمانین. و هذا مأخوذ من الرّهام و هو العدد الکثیر. و یقال: ساعه طبقه أی طویله. و قال الأصمعی: سمعت أعرابیا یقول: منحت الأعقد الخمسه بالخاء المعجمه و بالحاء أیضا یعنی خمسین سنه و معنی منح قطع. (أبو یوسف) یقال للجاریه التی قد استقمت عصر شبابها: معصر و هی کاعب أوّلا إذا کعب ثدیها ثم یخرج فیکون ناهدا، ثم استوی نهودها فتکون معصرا. قال الرّاجز:

أوانسا کالرّبرب الرّبایب من ناهد و معصر و کاعب

و یقال: لقیت فلانا بادئ بدء و بادی بدأ قال:

۱- فی القاموس فی فصل الخاء المعجمه مع التاء المثناه فی(الخت) و الختیت الخسیس و النّاقص و اللّه أعلم- الحسن النعمانی المصحّح کان اللّه له.

و قد علتنی ذراه بادی بدی و ریثه ینهض فی تشدّدی

و یقـال: کشـفت النّاقه و أکشـفت إذا نتجت فی کلّ عام و إذا ألقت النّاقه أو الشّاه ولـدها لغیر تمام قیل خـدجت. و إن کان تام الخلق و أخدجت إذا ألقته ناقص الخلق و إن کانت أیّامه تامه. و یقال شـجره مبکار و بکور إذا أدرکت حملها فی أوّل السّـنه، و شجره منجار إذا أدرکت حملها فی آخر السّـنه. و شـجره معوام إذا حملت سنه و حالت سنه. و یقال: عاده الوجع عدادا إذا عاوده فی الشّهر أو فی السّنه لوقت معلوم و أنشد:

أصبح باقی الودّ من سعاداعلاقه و سقما عدادا

إذا أقول قد برأت عادا و قال آخر:

تلاقی من تذکّر آل سلمی کما یلقی السّلیم من العداد

و یحلّ الهـدی یوم النّحر بمنی و یبلغ محلّه. و المحل الموضع الـذی یحل فیه نحره، و هو یوم النّحر إذا رمیت جمره العقبه. معنی یحـل یجب و قرئ قوله تعالی: یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی [سوره طه، الآیه: ۸۱] و المعنی یجب و إذا قرئ یحلل فمعناه ینزل، و یقال: بیننا و بینهم لیـال آبیـات: أی هیّنـات السّـیر. و الأـوان الـدّعه. و یقـال: تعاملنـا من آمنه و معاومه- و مساناه- و مسانهه- و مشاهره- و مسابعه- و معاشـره- و میاومه- و مواضـحه من وضح النّهار و مناصفه- و مباکره- و مغاداه- و مظاهره- و مراوحه- و معاصره- و ملاـیله- و یقـال: أسـقینا مغـارطه أی للسّـابق- و مناوبه- و معاقبه- و مـداوله- و مراقبه- یرقب حتی یفرغ الغارطه- و مقالـده- و مواضـحه- و مساجله- و مکابله أی دلوا فـدلوا- و مساوقه- أی مرّه أسوق علیه السّانیه- مرّه یسوق علیّ- و مؤالبه أی یألب الدّلو إلیّ. قال:

یبشّرنی بماتح ألوب مطرح شبه غضوب

و معـارضه- و مرافضه- و مباینه یبین له الـدّلو عن الحجاف- و معالاه- أی یعلی و هو أن یجـذب الحبل عن حجر ماء فی جانب البیر. قال:

لو أنّ سلمی شهدت مظلّی أمتح أو أدلج أو أعلّی

إذن أراحت غیر ذات دلّ و مطـارده- و مطاوحه- و مناوشه- أی یأخـذ علیّ الـدّلو و آخـذ علیه و مـدالجه أی أدلـج بالـدّلو إلی الحوض و یدلج و هو المناقله- و معاطفه یرید عطف السّانیه- و ملاطفه و هو أن یحتمل أحدهما لصاحبه فوق الشرط علیه إیجابا له و لطفا به. و مراواه- أی یرتوی إبلی ثم یسـتقی- و مراوحه و ملاطمه ینزل فیخرج الطین و مـداومه- و مثابره- و مجاحفه- إذا نقص

الماء نزل و غرف فى الدّلو. و يقال سقينا إبلنا رفها و مرافهه- و ظاهره- و زعزعه أنصاف النّهار- و عريحا مرّه بالغداه و مره بالعشى- و غبّا و مغابه- و ربعا و مرابعه و عشرا و معاشره- و مطارده. ابن الأعرابى يقال:

سال واديک من غير مطرک و أطرد عيشک فى جداول دهرک

لمن عاش فى غيره و أنعش بحدّ سواه. و يقال للسّيل إذا سال واديه من مطر- و إذا خرّ سال دراو و إذا سال من مطرک- قيل سال ظهرا. يقال: مضى لذلک دهر داهر- و دهر دهارير- و المراد التّطاول. قال الشّاعر:

و الدّهر بالإنسان أينما حال دهارير

و قال آخر:

أنا الدّهر يفنى الموت و الدّهر خالدفجئنى بمثل الدّهر شيئا يطاوله

و قيل: الدّهر تكرار اللّيل و النّهار، و الزّمان: اللّيل و النّهار، و صرف الدّهر ما يتصرف بالشى ء من أحوال تختلف، و لهذا قال الشاعر:

و الدّهر بالإنسان دوارى. و الحين يصلح كلّ وقت طال أو قصر، لأنّه اسم كلّ زمان، و منهم من يجعل الجزء و الجزأين من الزّمان حينا و يستدل بقوله. تطلقه حينا و حينا تراجع.

و يقال: مضى هذا الأمر لحين أوان: أى لوقته. قال شعرا:

لأركب صعب الأمر إنّ ذلوله بنجران لا يقضى لحين أوان

و قد حان يحين- حيونا- و حينونه- و حينت الشى ء- جعلت له حينا- و التّحيّن فى الحلب من هذا، و هو أن يجعل له وقتا معلوما يحلب المحلوبه فيه لا- يستنقص و لا- يستقصى، و هو خلاف الأفن و هو الاستقصاء- و الامتحاق و الانفصاح و هو ذهاب اللّبن أجمع. و منه قيل للقمر: امتحق و انفصح. و ذلک فى ليالى المحاق إذا لم يبق ضوء. و شى ء متأبّد أتى عليه أبد. و لا أفعله حتى يفنى الأبد. قال حسان شعرا:

و اللّوم فيک و فى سمراء ما بقيت و فى سمّيه حتّى ينفد الأبد

و لا- أفعله آخر كلّ ليله و أبد اللّه- و طوال الدّهر- و طوال اللّه- و طوال اللّيالى- و سجيس الأوجس- و سجيس الأعجس- و أوجس أعجس- و أحنى أقوس، و أحنى أشوس- و سجيس المسند- و لا أفعله ما أن فى السّماء نجما- و ما أنّ فى السّماء نجم يريد: ما عنّ أى عرض. و يقال: مضى له أمه، و هى مدّه من الزّمان طويله و لا تجمع. و قال أبو العباس

ثعلب: الأمه مائه سنه فما زاد. و يقال: إنّ الملوين اللّيل و النّهار. و منهم من يقول هما اختلافهما و أنشد شعرا:

نهار و ليل دائم ملواهماعلى كلّ حال المرء يختلفان

قال أحمد: لو كان الملوان اللّيل و النّهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشّى ء إلى نفسه، و لكن يريد تكثّر الدّهر و اتّصاله بهما. و مضت ملوه من الدّهر- و ملوه و زمنه- و مده طبقه- و ساعه طبق- و مده طبق- و المراد من كلّه الطول و جمع ملى ء إملاء و جمع طبق أطباق. و يقال: انتظرته مليّا من الدّهر أى متّسعا منه فهذا صفه استعمل استعمال الأسماء. و يقال تملّيت حينا أى عشت معه ملاوه و قال التّوزى: يقال: ملاوه و ملاوه و ملاوه و الملأ المتّسع من الأرض. قال: الأغنيانى: و ارفعا الصوت بالملاء. و فى القرآن: وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ* [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۳].

و قال ثعلب: الحقب واحد و هو بلغه قيس سنه. و قال غيره: الحقب ثمانون سنه و الحقبه السّنه. و قال يونس فى قوله:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الحليفه إلا الأزلم الجذع

و بعض يقول الأزنم- و يقال: الأزلم المتجاذع. و يقال: خروف متجاذع إذا كرب يجذع. و قال:

ما زال ذاك الداب حتّى رأيتهم يعزون سنّ الأزلم المتجاذع

و إنّما سمّى جذعا لأنّه أبدا جديد. و لذلك قال بعضهم: سن الدّهر سن الحسل أى: لا يزال جذعا لا يطرى عليه سنّ أخرى فينتقل إليها و يقولون: لا أفعله سنّ الدّهر- و سنّ الضّب- و سن الحمل- و المعنى واحد. و قوله: الأزلم و الأزنم يراد به ما يتعلق به من الحوادث بممرّه و متصرّفاته، و يقال: أفعل ذلك غدا أو سلعه إذا كان بعد الغد أو قريبا منه.

فصل [فى أن عادا سمّت الشّهور بأسماء]

ذكر ابن الكلبى أنّ عادا سمّت الشّهور بأسماء، و جاء عن أبى عمرو الشّيبانى و الفرّاء و قطرب و الأصمعى و ابن الأعرابى و غيرهم من العلماء وفاق فى بعضها و اختلاف فى بعضها، و ربما كان الاختلاف فى التّرتيب، و ربما اختلفوا فى بناء الكلمه و وضعها و صرفها و ترك صرفها، كتركهم الصّرف للشّمس و الشّمال فقالوا: هذه شمس بازغه، و هذه شمال بارده.

و قال الشّاعر حالفا:

أما و شمس لتحصنهم دما و قال:

إذا هبّت شمال غدرت فيهابلفظ بين مقرحه و آن

فمن ذلك قالوا للمحرّم: مؤتمر إجماع منهم. و لصفر: ناجر و منهم من لا يصرف فيقول ناجر. و لربيع الأول قال قطرب: خوان و خوان مخفّف- و قال غيره: خوان بالضّم و التّشديد، و لربيع الآخر: قال قطرب: وبصان و بصان- و قال غيره بصان بالتّخفيف و الضمّ و وبصان و وابصه- و جمادى الأولى: قال قطرب: حنين- و قال ابن الكلبى: ربى بالباء- و قال ابن الأعرابى: رنى بالنّون- و قال ابن دريد حنين- و جمادى الآخره قال قطرب: ربى و ربه- قال ابن الكلبى: حنين- و قال الشّيبانى و الفرّاء: حنين و أنشدا شعرا:

و ذو النّحب ينويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجّل

رجب قال قطرب: الأصم و هو إجماع منهم- شعبان عاذل- ابن الكلبى و ابن الأعرابى و عل- الفراء، و عل مثل فخذ شهر رمضان- قطرب: ناتق و غيره نتق- شوّال: و عل- ابن دريد و عل- ابن الكلبى و ابن الأعرابى عاذل- غيرهم معتدل. ذو القعده: قطرب: ورنه- غيره ورنه- أخررنه- غيره رنه- الشّيبانى يقال له: هواع قال:

و قومى لدى الهيجاء أكرم موقعاإذا كان يوم من هواع عصيب

ذو الحجه: برك بإجماع منهم- و روى الصّولى عن أحمد بن يحيى فى أماليه زعم ابن الكلبى أنّ العرب كانت تسمّى المحرم مؤتمرا- و صفرا ناجرا- و شهر ربيع الأول خوان- و شهر ربيع الآخر وبصان- و جمادى الأولى ربى- و جمادى الآخره حنين- و رجب الأصم- و شعبان عاذلا- و رمضان عاذلا- و شوّال وعلا- و ذو القعده ورنه- و ذو الحجه برك.

فصل [مستخرج من كتاب سيبويه فى الأماكن و الأوقات]

استخرجناه من كتاب سيبويه يستغرب أكثر ما فيه و نختم به الكلام فى الأماكن و الأوقات و يتّصل به ذكر شى ء من الخلاف بيننا و بين الكوفيين إذا تأمّل انشرح به كثير من هذا الباب.

قال سيبويه: يقول هو ناحيه من الدّار و داره ذات اليمين و أنشد لجرير:

هبّت حنونا فذكرى ما ذكرتكم عند الصّفاه التى شرقىّ حورانا

قال: و سمعت بعض العرب ينشد:

سرى بعد ما غار الثّريا و بعد ماكأنّ الثّريا حلّه الغور منخل

فانتصاب هذه الأحرف كانتصاب قولك هو قصدك قال: و سمعنا ممن يوثق به من العرب هما خطان جنابتى أنفها يعنى الخطين اللّذين اكتنفا جنبى أنف الظّبيه. قال الأعشى:

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحيهجنبى فطيمه لا ميل و لا عزل

و يقال: زيد جنب الدار، و جانب الدار، و قالوا: هم حوله و أحواله و حياله و حواليه و هم جنابه و جنابيه و قطريه و أقطاره. و أنشد لأبى حيه النّميرى:

إذا ما تغشّاه على الرّحل جنبتى مساليه عنه من وراء و مقدم

يعنى بمساليه عطفيه فهو بمنزله جنبى فطيمه. و كقولهم: هو وزن الجبل أى ناحيه منه، و هو زنه الجبل، و قولك أقطار البلاد فإن جعلت الآخر هو الأوّل رفعته و أردت به الثّقل أعنى الوزن و الزّنه. و من ذلك قول العرب: هو موضعه أى فى موضعه كما قالوا: هو صددك و سقبك أى قربك. و تقول كيف أنت إذا أقبل قبلك و يجى ء نحوك قال: كيف أنت؟ إذا أريدت ناحيتك، و كيف أنت إذا أقبل التّعب الرّكاب جعلهما اسمين. و النقب الطّريق فى الجبل و المراد بقوله جعلهما اسمين، أى لم يجريا على المصدر فهو بمنزله قولهم هو قريب منک، فإن شئت قلت: هو قريبا و هل قريبا منک أحد. قال: و مما لا يحسن أن يكون ظرفا قولك: جوف المسجد، و داخل الدّار، و خارج الدار و ذلک لمفارقتها خلف و قدّام و ما أشبههما مبهمه .. و المختصّ من أسماء الأماكن لا يكون ظرفا. قال و ممّا شبّه من الأماكن المختصه بالمكان قولهم: هو منّى منزله الشّغاف و هو منّى مزجر الكلب و أنت مقعد القابله.

قال فوردن و العيّوق مقعد رأى الضّربا.

و قال آخر:

و إنّ بنى حرب كما قد علمتم مناط الثّريّا قد تعلّت نجومها

و قال: هو منّى معقد الإزار، و هم درج السّيل قال ابن هرمه:

انصب للمنيّه لقربهم رجالى أم هم درج السّيول

و كل هذا و أشباهه وضعت مواضع القرب و البعد فلذلک استجيز فيها على اختصاصها وقوعها ظرفا قال: فاستعمل هذا ما استعمله العرب و أجيز منه ما أجازوه قال: و زعم يونس أنّ بعضهم قال: هو منّى مزجر الكلب، فرفع جعله بمنزله مرأى و مسمع. و يجعل الآخر هو كالأوّل. فأمّا قولهم: دارى خلف فرسخا فكأنّه لما قال دارى خلف دارک، و هو مبهم فلم يدر ما قدر ذلک فقال: فرسخا و ذراعا.

و زعم يونس أنّ أبا عمرو كان يقول: دارى من خلف دارک فرسخان، كما تقول: أنت منّى فرسخان و فرسخين. قال فأمّا قولهم: اليوم الأحد و اليوم الاثنان و كذلک إلى الخميس فلأنّها ليست يعمل فيها أراد أن يفرّق بينها و بين السّبت و الجمعه فتقول اليوم خمسه عشر من

الشهر، إذا أردت أنّ اليوم تمام خمسه عشر- و من العرب من يقول: اليوم يومك، فيجعل اليوم الأوّل بمنزله الآن، لأنّ الرّجل قد يقول: أنا اليوم أفعل كذا و لا يريد يوما بعينه.

و اتّفق الكوفيّون و البصريّون على أنّ قول القائل: خلفك و قدّامك و ما أشبههما من الأماكن العامه ظروف فى الإضافه، و اختلفوا فيها إذا أفردت، فقال البصريّون: هى ظروف على ما كانت فى حال الإضافه.

و قال الكوفيّون: إذا أفردت صارت اسما فقولك زيد خلفا و قداما عند البصريّين ظرف. و عند الكوفيّين زيد خلف على معنى متأخر، و قدّام بمعنى متقدّم، و كذلك إذا قلت:

قام زيد خلفا نصبته على الظّرف عند البصريّين. و الكوفيّون يقولون: تقديره تقدير الاسم الذى هو حال كأنّه قال: قام متأخرا و كذلك إذا قلت: قام مكانا طيبا يكون ظرفا.

و الكوفيّون يقولون: ناب عن قولك مترفا و معتبطا، و إنّما يحتاج إلى الإضافه عندهم لأنّه يكون خبرا عن الاسم، كما يكون الفعل خبرا فى الوقت، زيد يذهب فلمّا كان الفعل يحتاج إلى فاعل و يتّصل به أشياء يقتضيها من المصدر و المكان و الزّمان و المفعول ألزموا المحلّ للإضافه ليسدّ المضاف إليه مسدّ ما يطلبه الفعل و يدلّ عليه.

و قال البصريّون: إنما الإضافه لتعيين الجهه و التّعريف. و الأصل هو التّنكير و إنّما التّعريف داخل عليه. و أجمع الفرقتان على أنّ الوقت يرفع و ينصب إذا كان خبر المرفوع مبتدأ فى حال تعريف الوقت و تنكيره. فالتّعريف قولك: القتال يوم الجمعه و اليوم. و إن شئت قلت: اليوم و يوم الجمعه. و التّنكير كقوله: (زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا) و غد.

فالتّقدير فى الرّفع وقت القتال اليوم فحذف المضاف و النّصب بإضمار فعل كأنّك قلت:

القتال وقع اليوم، و إذا كان الفعل مستغرقا للوقت كلّه- فالبصريّون يجيزون فيه النّصب على الظّرف، كما يجيزونه فى غير المستغرق و يدخلون عليه (فى).

و الكوفيّون لا يجيزون فيه النّصب و هذا غلط، و يجعلونه خبرا هو الأوّل، و لا يدخلون فى تقول صيامك يوم الخميس، و الصّوم يستوعب اليوم و يجوز فى قولهم: صمت فى يوم الخميس. و الكوفيّون لا يجوّزون النّصب و يمنعون من إدخال (فى) لأنّها عندهم: توجب التّبعيض، و الصّوم يستوعب اليوم. و قولهم فاسد لأنّ (فى) لا يمتنع دخولها على زمان الفعل و إن قلّ، و يقول: كلّمت فى القوم أجمعين، فيدخل (فى) و قد استوعبتهم الكلام، و امتنع الكوفيون من زيد خلفك أشد منع حتّى قال بعضهم فى قوله: أ لا جبرائيل أمامها إنّ ذلك إنمّا جاز لأنّ جبرائيل لعظم خلقه يملأ الأمام كلّه، و هذا فى التّحصيل خطأ لأنّ الأمام لا نهايه له، و كذلك سائر الجهات. و أجازوا ذلك فى أخبار الأماكن فقالوا: دارى خلفك و منزلى أمامك، و على هذا حمل ثعلب قول لبيد: خلفها و أمامها و إذا تأملت فلا فصل.

الباب الثّامن عشر فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها

و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السّبعه و هو فصلان:

فصل [فى بيان معنى] العواء

العواء(۱) يمد و يقصر، و القصر أجود و أكثر، و هى خمسه كواكب كأنّها ألف معطوفه الذّنب و أنشد:

فلم يسكنوها الجزء حتّى أظلّهاسحاب من العوّا و تابت غيومها

و سمّيت العوّاء: للانعطاف و الالتواء الذى فيها، و العرب تقول: عويت الشى ء إذا عطفته، و عويت رأس النّاقه إذا لويته، و فى المثل: ما ينهى و لا يعوى و كذلك عويت القوس و الشّعر و العمامه إذا عطفته. و يجوز أن يكون من عوى إذا صاح كأنّه يعوى فى أثر البرد، و لهذا سمّيت طارده البرد، و يقولون: لا أفعله ما عوى العوّاء و لوى اللّواء. و قال بعضهم:

إنّما سمّيت العوّاء لأنّها خمسه كواكب كأنّها خمسه كلاب تعوى خلف الأسد و نوؤها ليله.

السّماك و سمّى السّماك الأعزل لأنّ السّماك الآخر يسمّى رامحا لكوكب تقدّمه، يقولون: هو رمحه و قيل: سمّى أعزل لأنّ القمر لا ينزل به، و قال صاحب كتاب الأنواء، ينزل القمر بهذا دون الرّامح و أنشد:

فلمّا استدار الفرقدان زجرتهاو هبّ سلاح ذو سماك و أعزل

و العرب يجعل السّماكين ساقى الأسد و نوؤه غزير، لكنه مذموم و هو أربع ليال و سمّى سماكا لأنّه سمك أى ارتفع، و قال سيبويه: السّماك أحد أعمده البيت. قال ذو الرّمه:

۱- قال صاحب جواهر الحقائق: العوا هو منزل ثالث عشر للقمر، و السّماك الأعزل هو منزل رابع عشر من القمر، و الغفر منزل خامس عشر له ۱۲ ش.

كأنّ رجليه سماكان من عشرثقبان لم يتفش عنهما النّجب

و بين يدى السّـماك الأعزل أربعه كواكب على صوره النّعش يقال لها: عرش السّـماك و يسمّى الخباء. و قال بعضهم: هو عرش الثّريا يقال: باتت عليه ليله عرشيه قال ابن أحمر شعرا:

باتت عليه ليله عرشيهشريت و بات إلى نفا متهدّد

شربت أى لجّت فى المطر و متهدّد أى متهدّم لا يتماسك.

الغفره و هى ثلاثه كواكب بين زبانى العقرب و بين السّـماك الأعزل خفيه على خلقه العوّاء. و العرب تقول: خير منزله فى الأبد بين الزّبانى و الأسد تعنى الغفره، لأنّ السّـماك عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: ثلاثه من الأسد ما لا يضرّه الذئب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و ثلاثه من العقرب ما لا يضرّ الزّبانى لدفع عنه الحمه، و هو من الغفره و هو الشّعر الذى فى طرف ذنب الأسد. و قيل سميّت الغفره لأنّها كأنّها ينقص ضوؤها، و يقال غفرت الشـى ء إذا غطّيته فيكون على هـذا فى معنى مفعول، و يقول: شر النّتاج ما كان بعد سقوط الغفره، و يعدّون ليله نزول القمر به سعدا، و نوؤه ثلاث ليال، و قيل بل نوؤه ليله و أنشد:

فلما مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

الزّبانى(١) و سمّى زبانى العرب و هما قرناها، كوكبان و هو مأخوذ من الزّبن و هو الدّفع، و كلّ واحد منهما عن صاحبه غير مقارن لها و نوؤها ثلاث ليال و تهبّ معه البوارح و أنشد:

و رفرفت الزّبانى من بوارحهاهيف أنشّت به الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الخبر جمع خبره و هى أرض بها السّدر و يدفع فيه الماء.

الإكليل و هى ثلاثه كواكب مصطفه على رأس العقرب و لذلك سمّيت الإكليل و كأنّه من التّكلل و هو الإحاطه، و منه الكلاله فى النّسب و نوؤه أربع ليال، و هو من العقرب و أنشد نجران العود يصف رفقاءه:

مطرفين على مثنى أيامنهم راموا النّزول و قد غاب الأكاليل

جمع الإكليل كأنّه جعل كلّ كوكب إكليلا ثم جمعه.

القلب: و هو كوكب أحمر نيّر سمّى القلب لأنّه فى قلب العقرب، و أوّل النتاج بالباديه

١- هو المنزل السادس عشر للقمر، ۱۲ جواهر.

عند طلوع العقرب، و طلوع النّسر الواقع و يسمّيان الهرارين لهرير الشّتاء عند طلوعهما و نوؤها ليله، ثم يستحسنونها قال:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالنّحوس و بالسّعد

(و القلوب) أربعه (قلب العقرب) و (قلب الأسد) و (قلب الثّور) و هو الدّبران و (قلب الحوت).

الشّوله(۱) و سمّيت بذلك لأنّها ذنب العقرب. و ذنب العقرب شائل أبدا، و أهل الحجاز يسمّون الشّوله الإبره، و بعدها إبره العقرب و هى سمّيت فقر يجعلون كلّ كوكب فقره، و السّابعه الإبره. و المجرّه تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم فتقطع نظام المنازل فى هذا الموضع. و فى موضع آخر و هو ما بين الهقعه و الهنعه فإنّها تسلك بينهما، فتعترض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا تقطع القمر و سائر الكواكب الجاريه فى المجرّه، و ذلك حين تنحدر عن غايه تواليها إلى ذروه القبه فتأخذ فى الهبوط، فأمّا قطعها إيّاها عند السّقوط فذلك حين يبتدئ الصّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشّوله شوله الصّوره و هى منغمسه فى المجرّه فإذا لم يعدل القمر عن منزله قيل: كالح القمر مكالحه. و معنى شال ارتفع، و يقال:

ناقه شائله إذا ارتفع لبنها. و جمعها شؤل و ناقه شائل: إذا شالت بذنبها و جمعها شؤل و أنشد:

كأنّ فى أذنابهنّ الشّول من عبس الصّيف قرون الأيل

و نوؤها ثلاث ليال و هى كوكبان مضيئان.

النّعائم(۲) و هى ثمانيه كواكب (أربعه) منها فى المجرّه تسمى الوارده لأنّها شرعت فى المجره كأنّها تشرب (و أربعه) خارجه منها تسمّى الصّادره و إنّما سمّيت نعائم تشبها بالخشبات التى تكون على البئر، أو تحت مظلّه الرئيه فكأنّها أربع كذا و أربع كذا كما قال:

لأظلّ فى يدها إلا نعامتهامنها حزيم و منها قائم باق

و نوؤها ليله.

البلده و هى فرجه بين النّعائم- و بين سعد الذّابح- و هو موضع خال ليس فيه كوكب، و إنّما سمّيت بلده تشبها بالفرجه التى تكون بين الحاجبين اللّذين هما غير مقرونين و يقال:

۱- فى الجواهر منزل تاسع عشر للقمر، ۱۲ القاضى محمد شريف الدين الحنفى.

۲- فى الجواهر منزل العشرين للقمر، ۱۲ محمد شريف الدين عفا عنه.

رجل أبلد إذا افترق حاجباه، و نوؤها ثلاث ليال و قيل ليله.

سعد الذّابح و سمّى بذلك لكوكب بين يديه يقال هو شاته التى تذبح و نوؤه ليله.

و أنشد:

ظعائن شمس قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

سعد بلع سمّى بذلك لأن الذّابح معه كوكب بمنزله شاته و هذا لا كوكب معه فكأنّه قد بلع شاته. و قال بعضهم: سمّى بلع لأن صورته صوره فم فتح ليبلع. و قال غيره: بل لأنّه طلع حين قال اللّه تعالى: يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ [سوره هود، الآيه: ۴۴] كأنّ انكشاف ذلك الطّوفان فى يومه و نوؤه ليله.

سعد السّعود(۱) و سمّى بذلك لأنّ فى وقت طلوعه ابتداء ما به يعيشون و تعيش مواشيهم و نوؤها ليله و قيل: إنّ السّعد منها فى واحد و هو نهارها و أنشد:

و لكن بنجمك سعد السّعودطبقت أرضى غيثا درورا

سعد الأخبيه(۲) و سمّى بذلك لكوكب فى كواكبها على صوره الخباء و قيل: بل لأنّه يطلع فى قبل الدف ء فيخرج من الهوام ما كان مختبئا، و نوؤه ليله و ليس بمحمود.

فرغ الدّلو المقدّم(۳) و يقال: الأعلى، و بعضهم يقول: عرقوه الدّلو العليا و عرقوه الدّلو السّفلى. و ذكر بعضهم: إنمّا سمّى فرغ الدّلو لأنّ فى وقت الأمطار تأتى كثيرا فكأنّه فرغ دلو و هو مصب مائها. و قال بعضهم: إنمّا سمّى بالعرقوه و الفرغ تشبها بعراقى الدّلو، لأنّها على هيئه الصليب و نوؤه ثلاث ليال، و أنشد فى خريف:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و أنشد:

يا أرضنا هذا أوان تحيين قد طال ما حرمت بين الفرغين

و يقال للفرغ النّاهز و هو الّذى يحرك الدّلو لتمتلئ.

۱- فى جواهر الحائق هو منزل الرّابع و العشرين للقمر، و يسمّى متن الفرس.

۲- و فيه هو منزل الخامس و العشرين للقمر و يسمّى جناح الفرس ۱۲.

۳- منزل السّادس و العشرين للقمر و يسمّى جناح الفرس- شريف الدين.

فرغ الدّلو المؤخر(۱): و نوؤه أربع ليال و هو محمود.

الرّشا: و هو السّمكه و يقال: بطن السّمكه و قلب الحوت و يقال لما بين المنازل الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها نزل بالفرجه و يستحسنون ذلك إلا الفرجه التى بين الثّريا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستنحسونها و يقال لها الضّيقه. قال:

فهلّا زجرت الطيّر ليله جئته لضيقه بين النّجم و الدّبران

الشّرطان(۲): و سمّى بذلك لأنهما كالعلامتين أى سقوطهما علامه ابتداء المطر، و الشّرط العلامه و لهذا قيل لأصحاب السّلطان: الشّرط لأنهم يلبسون السّواد كأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها و يقال: شرطى فى كذا و يقال: إنّهما قرنا الحمل، و هما أوّل نجوم فصل الربيع، و نوؤه ثلاثه أيام و هو محمود غزير.

البطين(۳) و سمّى بذلك لأنّه بطن الحمل و نوؤه ثلاث ليال و هو شرّ الأنواء و أنزرها و قلّما أصابهم إلا أخطأهم نوء الثّريّا.

الثّريا(۴) و يسمّى النّجم و النّظم و هو تصغير ثروى من الكثره و قيل: سميّت بذلك لأنّ مطرها يثرى و يقال: ثرى و نوؤها خمس ليال غير محمود.

الدّبران(۵) و يسمّى التّابع و التّالى و التّبع و الفتيق و حارك النّجم و سمّى الدّبران لأنّه دبر الثّريا أى صار خلفها، و يسمّى المجدح و المجدح حكاهما الشّيبانى و قال الأموى هو المجدح و نوؤه ثلاث ليال و قيل: بل هو ليله و هو غير محمود.

و قد فسّر بعضهم ورد القطاه إذا استمال التّبع على أنّه الدّبران و مما يحكى عنهم من كلامهم: كان كذا حين خفق المجدح يعنونه. و قال بعضهم: إنمّا قال: مجدح إذا اتّصل نوؤه بنوء الثّريّا فغزر و يقولون: سقيت بمجاديح السّماء و أرسلت السّماء مجاديح الغيث.

فإن قيل: أ تقول لكلّ ما دبر كوكب الدّبران؟ قلت: لا أقول ذلك لأنّه قد يختص الشى ء من بين جنسه بالاسم حتّى يصير علما له، و إن كان المعنى يعمّ الجمع على ذلك قولهم النّابغه فى الجعدى و الذّبيانى و ابن عباس فى عبد اللّه و أنشد:

۱- قال فى جواهر الحقائق منزل السابع و العشرين للقمر، و يسمّى بطن الحوت.

۲- الشّرطين منزل أوّل للقمر ۱۲.

۳- و فيه أيضا البطين منزل الثانى للقمر.

۴- المنزل الثالث.

۵- المنزل الرابع للقمر ۱۲ القاضى محمد شريف الدين.

وردن اعتسافا و الثّريّا كأنّهاعلى قمّه الرأس ابن ماء محلق

يدفّ على آثارها دبرانهافلا هو مسبوق و لا هو يلحق

الهقعه(۱) و سمّيت بذلك تشبيها بهقعه الدّابه: و هى دائره تكون على رجل الفارس فى جنب، و يقال فرس مهقوع و كانوا يتشاءمون بها و هى ثلاثه كواكب تسمّى رأس الجوزاء، و نوؤه ست ليال، و لا يذكرون نوءها إلا بنوء الجوزاء و هى غزيره مذكوره و تسمّى الأثافى لأنها ثلاثه صغار متعينه. و قال ابن عباس لرجل طلّق امرأته عدد نجوم السّماء يكفيك منها هقعه الجوزاء. و هى ثلاث.

الهنعه(۲) و هى منكب الجوزاء الأيسر و سمّيت بذلك الأيسر من قولهم: هنعت الشى ء إذا عطفته و ثنيت بعضه على بعض فكأنّ كلّ واحد منهم منعطف على صاحبه. و منه الهنع فى العنق، و هو النّواء و قصر و نوؤها لا يذكر و هو ثلاث ليال إنمّا يكون فى أنواء الجوزاء، و يقال: سميّت الهنعه لتقاصرها من الهقعه و الذّراع المبسوطه و هى بينهما منحطّه عنهما، و يقال: أكمه هنعاء إذا كانت قصيره و تهانع الطّائر الطّويل العنق مقاصره عن عنقه.

الذّراع: ذراع الأسد و له ذراعان مقبوضه و مبسوطه و نوؤها خمس ليال و قيل ثلاث ليال، و هو أقلّ أنواء الأسد محمود غزير. و المقبوضه هى اليسرى سمّيت مقبوضه لتقدّم الأخرى عليها، و هى الجنوبيه و بها ينزل القمر و كلّ صوره من نظم الكواكب، فميامنها ممّا يلى الشّمال، و مياسرها مما يلى الجنوب لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيمانها، و الجنوب على أيسارها و قد فهم ذلك القائل، و النّجوم التى تتابع باللّيل وقتها ذات اليمين ازورار و إنمّا ازورارها على أيمانها إطافه منها بالقطب لذلك قال:

و عاندت الثّريّا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

و أحد: كوكبى الذّراع الغميصاء و هى التى تقابل العبور و المجرّه بينهما. قال أبو عمر:

و هى الغميصاء و الغموص و قد يكبّر فيقال: الغمصاء و يقال لكوكبها الآخر الشمالى المرزم، مرزم الذّراع و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثت إذا خنق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم. و مرزم الجوزاء لا نوء له، و قد ذكر بالنوء على سبيل الشّعريين قال:

۱- الهقعه: المنزل الخامس للقمر.

۲- الهنعه: المنزل السادس للقمر- شريف.

جرى راحتاك جرى المرزمين متى تنجدا بنو لى ثغور

و من أحاديثهم: كان سهيل و الشّعريان مجتمعه، فانحدر سهيل فصار يمانيا و تبعته العبور عبرت إليه المجره، و أقامت الغميصاء، فبكت لفقد سهيل حتى غمصت و الغمص فى العين نقص و ضعف.

النّثره: و هى ثلاثه كواكب و سمّيت النّثره لأنّها مخطه يمخطها الأسد كأنّها قطعه سحاب، و يقولون: بسط الأسد ذراعيه ثم نثر و يجوز أن تكون سمّيت بذلك لأنّها كأنّها من سحاب قد نثر و النّثره الأنف و نوؤها سبع ليال.

الطّرف: سمّيت بذلك لأنهما عينا الأسد و يقال: طرف فلان أى رفع طرفه فنظر.

قال: إذا ما بدا من آخر اللّيل يطرف و نوؤه ثلاث ليال.

الجبهه: جبهه الأسد و نوؤه محمود سبع ليال، و يقولون: لو لا نوء الجبهه ما كانت للعرب إبل.

الزّبره: زبره الأسد أى كاهله، و قيل: زبرته شعره الّذى يزبئر عند الغضب فى قفاه أى ينتعش، و هذا ليس بصحيح، لأنّ ازبأرّ من الرّباعى و الزّبره من الثلاثى و سمّيت الخراتان من الخرت، و هو الثقب كأنهما تنخرتان إلى جوف الأسد و هذا غلط لأنّ رأى العين يدركهما فى موضع زبره الأسد. و نوؤها أربع ليال.

الصّرفه: و سمّيت بذلك لأنّ البرد ينصرف بسقوطها، و قيل: أرادوا صرف الأسد رأسه من قبل ظهره، و يقال: الصّرفه ناب الدّهر؛ لأنّها تفترّ عن فصل الزّمان، و أيّام العجوز فى نوئها، و هو ثلاث ليال، و حكى عن بعض الأعراب أنّه قال: الخراتان مع الأسد تجريان معه و ليستا منه. قال: و معنى قول الشّاعر:

إذا رأيت أنجما من الأسدجبهه أو الخرأه و الكتد

و إن رأيت الخرأه من غير أن يكون جعلها شيئا من خلقه، ثم قال و الكتد فرجع إلى ذكر ما هو من خلقه فهذه المنازل.

فصل فى بيان الكواكب السبعه

و أمّا النّجوم الخنّس الجوارى الكنّس: فمعنى الخنّس أنّها تخنس أى ترجع و معنى الكنّس أنّها فى بروجها كالوحش تأوى إلى كنسها، و هى سبعه مع الشّمس و القمر سيّاره غير أنّ بعضها أبطأ سيرا من البعض، فكلّ ما كان فوق الشّمس فهو أبطأ من الشّمس، و ما كان

دون الشّمس فهو أسرع من الشّمس بينا ترى أحدها آخر البروج كرّ راجعا إلى أوّله، و لذلک لا ترى الزّهره فى وسط السّماء أبدا و إنّما تراها بين يدى الشّمس أو خلفها، و ذلک أنّها أسرع من الشّمس، فتستقيم فى سيرها حتى تجاوز الشّمس، و تصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فى المغرب فترى كذلک حينا ثمّ تكرّ راجعه نحو الشّمس حتى تجاوزها فتصير بين يديها، فتظهر حينئذ فى الشّرق بالغدوات. و هكذا هى أبدا، فمتى ما ظهرت فى المغرب فهى مستقيمه، و متى ما ظهرت فى المشرق فهى راجعه و كل شى ء استمرّ ثم انقبض: فقد خنس، كما أنّ كلّ شى ء استتر فقد كنس.

زحل(۱): و اشتقاقه من زحل مزحلا إذا بعد، و يقال: زحلت النّاقه إذا تباطأت فى سيرها و تأخرت و هو معدول عن زاحل و زاحل معرفه.

المشترى(۲) و هو من شرى البرق إذا استطار لمعانا، و يقال: شرى و شرى و منه استشرى غيظا و يقال: شرى يشرى إذا لجّ و تشدّد و منه سميت الشّراه لتشدّدهم فى الدّين.

و قال بعضهم: إنما تسمّوا بالشّراه ذهابا إلى قول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ [سوره التوبه، الآيه: ۱۱۱].

المريخ(۳): فقيل من المرخ كأنّه يورى نارا لأنّ المرخ شجر سريع الورى و من أمثالهم: فى كلّ شجر نار. و استمجد المرخ و العفار، و يجوز أن يكون سمّى به لبعد مذهبه، و منه المرّيخ السّهم الخفيف الرّبع قذذ يجعل للغلاء و هو بعد الرمى و يقال: هو من غلوه السّهم.

الشّمس(۴): قال الخليل: الشّمس عين الضح. و به سمّيت معاليق القلاده و قيل هو من المشامسه لأنّها نحس فى المقارنه و إن كانت سعدا فى النظر و منه شمس لى فلان إذا ظهرت عداوته.

۱- قال صاحب الجواهر: مده دوره حول الشّمس مره فى عشره آلاف و سبع مائه و تسع و خمسين يوما و ساعتين.

۲- و فيه أيضا مده دور المشترى حول الشّمس مره فى أربعه آلاف و ثلاث مائه و اثنتين و ثلاثين يوما و أربع عشره ساعه.

۳- فى الجواهر دور المرّيخ حول الشّمس مره فى ست و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه. ۱۲ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

۴- فى جواهر الحقائق قطر الشّمس(۸۸۳۲۴۶) ميلا. ۱۲.

الزّهره(۱): بفتح الهاء من الشّی ء الزّاهر، و یکون من الحسن و البیاض جمیعا. و الزّهور تلألؤ الشّمس. و منه قولهم: زهرت بک زنادی.

عطارد(۲): من الاضطراب: لأنّه فی مرأی العین کأنه یرقص و هو من قولهم: شاء عطرد أی بعید و کذلک سفر عطرد، و یجوز أن یکون سمّی به لأنّه لا یفارق الشّمس فکأنّه عدّه لها، و العطرده العده یقال: عطرد هذا عندک، أی عده.

القمر: من القمره و هی البیاض، و یقال: تقمرت الشی ء إذا طلبته فی القمراء. و قال أحمد بن یحیی: إنمّا سمّی القمر (ساهورا) لأنه یخسف بالسّاهره، و السّاهره الأرض، قال اللّه تعالی: فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَهِ [سوره النازعات، الآیه: ۱۴] أی أرض القیامه، و ذلک أنّ القمر خسوفه بظل الأرض و حجزها بینه و بین الشّمس. و قال قطرب: بهور القمر علوّه فی الظّهور و أنشد:

إذ فارس المیمون یتبعهم کالطّلق یتبع لیله البهر

(و الکوکب الدّرّی) منسوب إلی الدّر لضیائه، و إن کانت الکواکب أکثر ضوءا من الدّر کأنه یراد: یفضل الکواکب لضیائه کما تفضل الدّر سائر الحب و دری بلا همزه و بکسر أوّله حملا علی وسطه و آخره لأنّه تثقل علیهم ضمه بعدها کسره. و ما آن کما قیل کرسی فی الکرسی و درّی فقیل من النّجوم الدّراری التی تدرأ: أی ینحط و یسیر متدافعا. یقال: درأ الکوکب إذا تدافع منقضا فیضاعف ضوؤه و لا یجوز أن یضم الدّال و یهمز، لأنّه لیس فی الکلام فعیل.

و مثال: درّی فعلی منسوبا إلی الدّر و یقال: درأ بضوئه یدرأ درأ و دروا و درأت له بساطا: أی بسطته، و یجوز دری إذا جعلته منسوبا إلی إندر، فیلحقه تغیّر النّسبه، لأنّ النّسبه تغیر لها الکلمه کثیرا، و یقال: کسفت الشّمس و کسفها اللّه و خسف القمر و خسفه اللّه، و طلعت الشّمس، و نجم النّجم و غربت الشّمس و صغا القمر و خفق النّجم و صغا أیضا، و یقال: تعرّضت الثّریّا فی السّماء: إذا زالت عن کبد السّماء إلی ناحیه المغرب، و جنحت الثّریّا قال:

و أیدی الثّریا جنح فی المغارب. و قال آخر:

و کأنّ غالیه تباشرهابین الثّیاب إذا صغا النّجم

۱- فی الجواهر دور الزّهره حول الشّمس فی مائتین و أربع و عشرین یوما و سبع عشره ساعه.

۲- دور عطارد حول الشّمس سبع و ثمانین یوما و ثلاث و عشرین ساعه.

الباب التّاسع عشر فی أقطاع اللّيل- و طوائفه- و ما يتّصل به و يجری مجراه

قال يعقوب: يقال: فعلته أوّل اللّيل و هو من عند غيبوبه الشّمس إلی العتمه و العشاء من صلاه المغرب إلی العتمه، و يقال: أتيته ظلاما و عشاء و بعد عشوه من اللّيل، و العتمه:

وقت صلاه العشاء الآخره.

قال الخليل: العتمه و يقال العتمه بسكون التاء: الثّلث الأوّل من اللّيل بعد غيبوبه الشّفق، و له قبل صلاه العتمه، و العتوام التی تحلب فی تلك السّاعه، و إنّما سمّوها العتمه من استعتام نعمها، و يقال: حلبناها عتمه و عتمه و العتمه بقيه اللّبن يغبق به تلك السّاعه يقال: أفاقت النّاقه إذا جاء وقت حلبها، و قد حلبت قبل ذلك.

و قال الأصمعیّ: عتم يعتم إذا احتبس عن فعل الشی ء يريده و قد عتم قراه و أعتمه و إنّ قراه لعاتم أی بطن محتبس، و صف عاتم، و عتم أورد إبله فی تلك السّاعه و أعتم صار فيها.

قال أوس: أخو شركی الورد غير معتّم.

و حكی ابن الأعرابی: قالت الينمه: أنا الينمه أعبق الصّبی قبل العتمه، و أكبّ النّمال فوق الأكمه. و الينمه: بقله تشبه الباذروج، قال: و كلّما كثرت رغوه اللّبن كان أطيب لبنا من المضارع، يقول درّی يتعجل للصّبی و ذلك أنّ الصّبی لا يصبر و المراعی أطيب، و أمّا فوره العشاء فعند العتمه، يقال: أتيته فوره العشاء و عند فوره العشاء، و إنّما هو من فار الظّلام إذا علا و ارتفع. أبو عبيده: أتيته ملس الظّلام أی حين يختلط الظّلام بالأرض، و ذلك عند صلاه العشاء و بعدها شيئا، و فعلته عند ملس الظّلام، و هو مثل الملث، و عند غلس الظّلام أيضا، و دمسه و جنحه و غسقه. و أتيته فی غسق اللّيل، و حين غسق اللّيل أی فی اختلاط و حين اختلط. ثم الشّميط و هو مشبه بالشّيب لبياض الفجر فی سواد اللّيل كالشّيب فی الشّعر الأسود، و يقال: غسق يغسق غسوقا و غسقا. قال تعالی: وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ [سوره الفلق، الآيه: ۳].

و قال كعب: حتّى إذا ذهب الظّلام و الغسق. و يقال: تحنـدس اللّيل من الحندس و هو شدّه سواد اللّيل و ظلمته، و الجمع حنادس و حناديس. قال: و أدركت منه بهيما حنـدسا، و ليله مـدلهمّه و ملطخمّه و خداريه. و قالوا: القتره: الظّلمه مع الغبار، و فى القرآن: تَرْهَقُها قَتَرَةٌ [سوره عبس، الآيه: ۴۱] و يقال: مضى جرس من اللّيل بالسين غير معجمه، و الجميع أجراس و جروس قال:

حتّى إذا ما بركت بجرس أخذت عشىّ و نفعت نفسى

و مضى عنك من اللّيل، و عنك و الجميع أعناك قال:

فقاموا كسالى يلمسون و خلفهم من اللّيل عنك كالنّعامه أقعس

أى طال، و انحنى: أقعس.

قال يعقوب: و سمعت أبا عمرو يقول: العنك ثلث اللّيل الباقى، و أعطيه عنكا من مال أى قطعه، و يقال: سجا اللّيل و أسجى، قال تعالى: وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى [سوره الضّحى، الآيه: ۱- ۲]. و يقال: يوم أسـجى، و ليله سـجواء، و هى اللّينه السّاكنه، و بعير أسـجى، و ناقه سـجواء أدمه، و يقال: مضى ملى من اللّيل و الجميع أملاء، و مضى هدء و الجمع هدوء، و مضى بضع من اللّيل، و هنى ء من اللّيل: قطعه، و مضـى هزيع من اللّيل أى ساعه و الجميع هزع. و قال بعضـهم: الهزيع من اللّيل النّصف، و يقال: اهتزعوا أى خرجوا بهزيع من اللّيل. و جرش من اللّيل بالشّين المعجمه.

قـال يعقـوب: و حكى الفرّاء: جئته بعـد جـوش من اللّيـل، و جـوشن من اللّيـل. قـال إذ الـدّيك فى جوشن من اللّيـل أطر. و قـال بعضهم: الجوشن: وسط اللّيل. قال ذو الرمه:

تلوم نهياه بياه و قد مضى من اللّيل جوش و اسبطرّت كواكبه

و قال ابن أحمر شعرا:

يضى ء صبيرها فى ذى حىّ جواش ليلها بينا فبينا

أى قطعه من الأرض بعـد قطعه، و قال: جواشن هـذا اللّيل كى يتموّلا. و بقيت جهمه من اللّيل، و جهمه أيضا، و الجهمه: بقيه من سواد اللّيل فى آخره. قال الأسود شعرا:

و قهوه صهباء باكرتهابجهمه و الدّيك لم يتعب

و حكى: جهنه من اللّيل بالنون، و قال بعض أهل اللّغه: جهينه اسم الخمره منها يشـتق. و قال بعضـهم: الجهمه السّحر. و حكى أبو حـاتم، و الهجمه لغه فيهـا الهاء قبل الجيم و الفعل عنها اجتهم و اهتجم و اجتهن، و مضـى وسع من اللّيل يكون من أوّله إلى ثلثه أو

ربعه. و جوز من اللّيل أى نصف من اللّيل، و الجميع: أجواز، و قال: النّضر جوز اللّيل:

وسطه. و يقال: انطلقنا فحمه العشاء، و الجميع فحمات أى فى أوّل الظّلمه. و قال بعضهم:

فحمه العشاء شدّه الظّلمه، و يقال: فحموا من اللّيل أى لا تسيروا فى أوّل اللّيل حتى تذهب فحمته، و أفحموا أيضا و كأنّه مأخوذ من الفحم.

و قال ابن الأعرابى: الفحمه ما بين غروب الشّمس إلى نوم النّاس، سمّيت فحمه لحرّها و أوّل اللّيل أحرّ من الآخر. قال: و لا تكون الفحمه فى الشّتاء و ذلك لأنّه لا حرّ فيفحمهم، و إنما يفحمون ليكن الحر عنهم فيسيرون ليلتهم و قيل: فحمه العشاء من لدن المغرب إلى العشاء الآخره.

و قال أبو صالح الفزارى: فحمه العشاء: من لدن العشاء إلى نصف اللّيل، يقال:

أفحم القوم إذا أناخوا فحمه اللّيل. و جاءنا بعد هجعه من اللّيل أى نومه، و مضت جزعه من اللّيل أى ساعه من أوّله، و صبه من اللّيل نحو جزعه و كما استعملا فى أوّل اللّيل استعملا فى آخره أيضا فقيل: بقيت جزعه من اللّيل و بقيت صبه من اللّيل.

و حكى النّضر: أتيته بسدفه من اللّيل. و مضى طبق من اللّيل: أى هوى منه و جاء بسحره بدهمه. و جاء سحيرا: أى فى آخر الليل و جاء بأعلى سحرين أى: بالسّحر الأعلى.

قال الدّريدى: العرب تقول: جئتك بالسّحر بالألف و اللّام، و جئتك بسحر و بسحره، و بأعلى السحرين، و جئتك سحر، و لم ينوّنوا فيقولون: سحرا أصلا، و الكلام فى هذا و أشباهه قد مضى مستقصى.

و حكى الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال: ليس فى كلام العرب: أتانا سحرا إنّما يقولون: أتانا بسحر. و يقول: جئتك تنفّس الصّبح أى عند أوّله. و فى القرآن: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ [سوره التكوير، الآيه: ١٨] و قد جشر الصّبح يجشر جشورا أى: بدا لك. و منه سمّيت الجاشريه للشّربه عند الصّبح، و يقال: جئتك فى غبش اللّيل و الغبش حين تصبح.

قال: منظور الأسدى:

موقع كفّى راهب يصلّى فى غبش اللّيل أو النّتلى

و قيل الغبش: بقيه لم يفضحها نهار، قبيل الفجر، و يقال: أتيته بغبش من اللّيل، و يقال: غبش اللّيل و أغبش. و غطش و أغطش، فأمّا العسعس و العسعسه فهما تنفّس الصّبح، و قالوا: عسعس اللّيل عسعسه إذا أظلم.

و قال بعضهم: عسعس ولّى فهذا من الأضداد، و هو قول ابن عباس قال: عسعس:

أدبر. و قال علقمه بن قرط:

حتّى إذا للصّبح لنا تنفّساو انجاب عنها ليلها و عسعسا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق و قتبهقوارط فى أعجاز ليل معسعس

كأنّه أراد هاهنا الظّلمه، و مثله فى المعنى:

قواربا من غير دجن نسامدّرعات اللّيل لمّا عسعسا

و البلجه: فى آخر اللّيل عند الصّبح، و التّنوير: عند الصّلاه قال:

طال ليلى أراقب التّنويراأرقب الصّبح بالصّباح بصيرا

قال النّضر: جئته بعد ما مضى و هن من اللّيل أى ساعه، و بعد هدء من اللّيل. و قال بعضهم: الموهن حين يدبر اللّيل. و أوهن الرّجل: صار فى تلك الساعه. و بعد هدأه من اللّيل و بعد ما هدأت الرّجل. و بعد ما هدأت العيون، و قالوا: تعجس من اللّيل و هو الفريع و السّـعواء بعد الوهن، قال: و قد مال سعواء من اللّيل أعوج. و يقال: مضى هيتاء من اللّيل، و قطع. قال: سرت تحت إقطاع من اللّيل ظلتى. و السّاعه الطّويله ملأ، و يقال: أتيته غطشا و يغطش. و مضى سبج من اللّيل أى: قريب من وسطه و نصفه. أبو زيد: مضى اللّيل عشوه و هو ما بين أوّل اللّيل إلى ربعه. الكسائى: مضى سعو من اللّيل و سعواء من اللّيل أى:

ساعه. و مضى هتأ من اللّيل، و حكى الأحمر: هتى و هتأ من اللّيل.

و حكى قطرب و غيره: ذهب هيتاء من اللّيل، و يقال: ما بقى إلا ـ هتأ عن غنمهم أو إبلهم، و هو الأـوّل من الأقل من الباقى أو الذّاهب. و يقال: مضى دهل من اللّيل أى صدر، و أنشد لأبى هجيمه شعرا:

مضى من اللّيل دهل و هى واحدهكأنّها طائر بالدّود مذعور

و يقال: مضى مهواء من اللّيل أى طائفه منه. و مضى مهوان من اللّيل: أى هوى منه.

و يقال فى واحد الإناء من قول اللّه تعالى: آناءَ اللَّيْلِ* [سوره آل عمران، الآيه: ۱۱۳] مضى آنى و آنى و إنى و إنى. قال الهذلى شعرا:

حلو و مر كعطف القدح مرته فى كلّ آنى قضاه اللّيل ينقل

و يقال: تصبصب اللّيل و هو أن يذهب إلّا قليلا. و فعلته عند تصبصب اللّيل. و كذلك أبهار اللّيل إذا ذهب عامّته. و بقى نحو من ثلثه. قال الأصمعىّ: أبهار اللّيل انتصف.

و البهره: الوسط من كل شى ء. و بهره الصّدر ما ضمّ الصّدر من الزّور و جمعها بهر. و قيل:

ابهيراره طلوع نجمه، و ذهاب فحمته، حتى بهرت نجومه سواده. و الشّفق بقيه ضوء الشّمس و حمرتها من أوّل إلى قريب من العتمه، و يقال: فعلته عند غيبوبه الشّفق، و هما شفقان من أوّل اللّيل كما أنّ الفجر فجران من آخر الليل. و الهبه السّاعه يبقى من السّحر و يقال: ثرنا بهبه من اللّيل. قال أبو نصر حكايه عن الأصمعىّ: الفجر أوّل ضوء تراه من الشّمس فى آخر اللّيل كما أنّ الشّفق آخر ضوء منها فى أوّل اللّيل. و يقال: فجر الصّبح يفجر أو فعلت هذا حين انفجر الصّبح و انفلق. و سطع سطوعا و السّاطع أسنى من الطّالع. يقال: أدلجنا عند الفلق و الفرق، و عند الانفلاق، و فى القرآن: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [سوره الفلق، الآيه: ۱].

و قال قطرب: تميم تقول: فرق الصّبح، و غيرهم فلق الصّبح، و الفلق أيضا الطّريق بين الجبلين، و ناشئه اللّيل: ما ينشأ منه، و من ذلك قولهم: غلام ناشئ و نشأت سحابه، و فى القرآن: إِنَّ ناشِئَهَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً [سوره المزّمّل، الآيه: ۶] أى أشد مكابره، و من قرأها و طاء أى مواطأه من قولك تواطأ القوم: إذا اجتمعوا على أمر كان أحدهم يطأ حيث يطأ صاحبه. و النّشيئه مثل النّاشئه، و يقال فى الجاريه: نشيئه أيضا أحوالها فى النّشاء و النّشيه أيضا حجر يكون على الحوض من قوله: هرقناه فى بادى النّشيه داثر. و عمود الصبح نفسه.

و الصّديع الصّبح. قال: كأنّ بياض لبّته صديع. و إيضاح الفجر و إيضاحه إضاءته و استنارته.

و أصله: الانشقاق و منه: انضاحت العصا أى انشقّت، و أدلجنا ببلجه أى سرنا بسدف قبل طلوع الفجر، و تبلّج الصّبح و انبلج، و فى المثل تبلّج الصّبح لذى عينين، و جئتك عند البهر، أى حين بهر الصّبح ضوء القمر، و يقال: قمر باهر و أنشد:

و قد بهرت فما تخفى على أحدإلا على أحد لا يعرف القمرا

و الأسفار أن يرى موقع النّبل، و يقال: أتيته فى سفر الصّبح و الفجر، و أتيته سحريه.

و يقال: وردت الماء بالغطاط أى: قبل طلوع الفجر. و فعلت كذا عجيس اللّيل و عجاساء اللّيل، و عجبس اللّيل أى آخر اللّيل. و منه قيل: تعجس عن كذا أى تحبس و تأخّر. و يقال:

جئتك غلسا و جئتك جنح اللّيل، و قد جنح جنوحا. و جئتك عند تهوّر اللّيل و توهّره. و ذلك إذا مضى إلّا قليلا. و التّهور فى اللّيل: كالمثل و التّشبيه. قال يعقوب: مضت قويهه من اللّيل، أى قطعه و هذا من قولهم: قوّه الصّيد إذا جاشه إلى مكان. و مضى سهواء من اللّيل:

أى بعد ما مضى صدره، و أصله الانبساط و الاتساع، و منه السّهوه الصّفه. و السّاهيه ما اتّسع و استطال من غير حمر برد العين. و الرّويه الطّائفه من اللّيل. و قالوا: الصّريم أوّل اللّيل و آخره جميعا لأنّه من الأضداد. و قال بعضهم: إنّما وقع عليهما لأنّه اسم لما يتصرّم من كلّ واحد منهما عن صاحبه قال:

فلمّا انجلى عنها الصّريم و أبصرت هجانا تسامى اللّيل أبيض معلما

و قال آخر:

علام تقول عاذلتى بلوم يؤرّقنى إذا انجاب الصّريم

و الدّيسق: النّور و البياض و يقال: انشقّ الصّبح عن ريحانه الفجر أى نسيمه. و يقال:

صبح مكذب و هو عجز اللّيل أى آخره، و ذلك إذا نهض بياض فى عجز اللّيل ثم ينمحى و يندجى عجز اللّيل، ثم يمهل ساعه، ثم يظهر شميط الصّبح و هو بياض فى سواد آخر اللّيل، و ذلك الصّبح المسدف و قال أبو ذؤيب:

شغف الكلاب الضّاريات فؤاده فإذا ترى الصّبح المصدق يفزع

و الخيط الأسود هو عجز اللّيل ثم يشق خيط اللّيل عن خيط النّهار، فيقال: هذا خيط الصّبح و فى القرآن: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۷] و من ذلك قول الرّاجز: (مرّت بأعلى سحرين تذأل) و أعلى سحرين هو قبل الصبح. أبو حاتم يقال: قد شقّ الصّبح- و صدع- و سطع- و انفلق- و تنفس- و جشا- و جشّ- و ذلك إذا طلع و وضح، و يقال: شقّ حاجب الصّبح، و إذا طلع حاجبه و هو أوّله فذلك تباشير الصّبح، و يقال: أذن الصّبح و منادى الصّبح و هما الصّبح بعينه. و بعضهم يقول: بل هو الطائر إذا نطق لا بان الصّبح و الصّبح- و الفجر- و الصّريم واحد و يقال كشط اللّيل عنا غطاءه- و رفع اللّيل عنّا اكتنافه. و الاهتجام من آخر اللّيل. و قال بعضهم: هى الهجمه. و قال بعضهم: الجهمه الجيم قبل الهاء، و ذلك الاجتهام و الجهمه و العسجه سواء و هما من السّحر. و يقال: أتيته بأغباش السّواد- و الواحد غبش قبيل الصّبح- قال ذو الرّمه:

أغباش ليل تمام كأنّ طارقه تطخطخ الغيم حتّى ماله جوب

و قال ابن الأعرابى: علباء مضر تقول ولدته لتمام، فتفتح التاء و تميم تكسر، و يقال:

فى كل لغه ليل التّمام بالكسر، و ذكر الأصمعىّ أنّه لا يكسر التّاء إلا فى الحمل و اللّيل، و عقب اللّيل بقايا آخره و يقال: أتيته و قد بقيت علينا عقب من اللّيل- و أفراط اللّيل أوّل تباشيره، و الواحد فرط، و منه الفارط الذى سبق القوم إلى الماء فأمّا قول الهمدانى:

إذا اللّيل دجى و استقلّت نجومه و صاح من الإفراط هام جوائم

فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم: إفراط الصّبح: لأن الهام إذا أحس بالصّباح صرخ.

و قال غيره: الفرط العلم المستقدم من أعلى الأرض، الذى يكون شرعا بين أحياء فمن سبق إليه كان له. و ذكر قطرب: يقال لما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس سجسج. و من الزّوال إلى العصر يقال له: الهاجره. و من العصر إلى الأصيل: غروب الشّمس، و يقال العشى. ثم هو القصر و العصر إلى تطفيل الشّمس و هو الطّفل. و الجنوح: إذا جنحت الشّمس للمغيب. ثم اللّيل من وقت غروبها إلى انتصاف اللّيل. الجنح ثم السّدف و الملس و الملث و أتيته بمسى اللّيله أى عند المساء، و أتيته ممسيا و مساء. و حكى الفراء: أتيته ممسى خامسه و مسى خامسه و مساء خامسه، و حين ألقى اللّيل علينا رواقه و كنفيه، و حين ألقى علينا سدوله و سدوره و سقطيه و جلبابه، و دخلنا فى جنان اللّيل و هو ما وراءك. و قال:

جنان المسلمين أو دميساو إن جاورت أسلم أو غفارا

و أسطمه اللّيل وسطه، و كذلك أصطمه القوم و البحر للوسط، و الأكثر، و يقال: اصطم بغيرها، و سوق اللّيل ما دخل فيه و صمّ من شى ء. و فى القرآن: وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۷] و يقال: أتانا حين هدأت القدم، و حين هدأ السّامر، و جئتك بغطاش من اللّيل. قال أبو حاتم: هو من قوله تعالى: وَ أَغْطَشَ لَيْلَها [سوره النازعات، الآيه: ۲۹] و ثبج اللّيل و حومته و لجه معظمه.

و حكى الدّريدى: خرجنا بدلجه- و دلجه- و بلجه- و بلجه- و سدفه- و سدفه- و يقال:

دبر- و أدبر- و قبل النّهار- و أقبل- و حكى أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال: يقال هو اللّيل- و الأيهم- و السّد- و الأبهم- و الجمير- و الأعمى- و الأدهم- قال: و من نعوته و نعوت ظلمته: الغاضى- و المغضى- و الأسود- و الأدلم- و الأخضر- و الأصبغ- و الأقتم- و الأكلف- و البهيم- و الدّيجور- و الدّجوجى- و الغيهب- و المخم- و أطلس- و أطحل- و الأسجع- و السّاجى- و الغيهبان- و الحذارى- و الحندس- و الأغضف- و الأغلف- و الأغطش- و الغاسق- و الكافر- و العافى- و الرّويزى- و السّمر- و الأغم- و الأسهم- و السّاهم- و الأحلس- و الأغدف- و المغدف.

و من أسمائه: الغشى- و الأروق- و الأخطب- و الألمى- و الأحوى- و المدلهم- و الأحم- و الغاطى- و الجان- و المخب- و الأقوس- و الجول- و العمس- و العكامس و العكس- و العكابس- و الحلبوب- و الحلكوك- و الدّامس- و الدّاماء- و هو من أسماء البحر يشبه اللّيل به- و ذو السّدود- و الأغبس- و الأسحم- و الأعشى- و الأغشى- و الغطاط- و الأغطى- و يقال: الغطاط عند السّحر الأعلى- و يقال أيضا: أتيته بغطاط أى بشى ء من سواد

اللّيـل و المعلنكس- و المعرنكس- و العسـكره الظلمه- و المطخطـخ- و قسوره اللّيـل شـدّته و غسوه- و الطّرمساء- و الطّلمساء- للظّلمه فى السّحاب و هى من الضّباب أيضا. و قالوا:

غباشـير اللّيـل و النّهـار لمـا بينهمـا من الضّوء. و التّباشـير العمود نفسه و يقـال: أدمس اللّيل أى أظلم، و يقال للظّلمه: الغيطله. قال الفرزدق: و اللّيل مختلط الغياطل أليل.

ابن الأـعرابى: قيـل فى مثل يا هادى اللّيل جرت فالبحر أو الفجر يرفعان و ينصـبان، و المعنى إنمّا هو الهلاك أو يرى الفجر كنّى عن الهلاك بالبحر. و يقال: اغتمد ليلتك أى سر و اجعلها غمدا لك. و هذا كما يقال: اتّخذ اللّيل جملا و امتطاه. و يقال: اغتمد أيضا.

و الطّراق أيضا اللّيل- و تطارقه تراكمه. و يقال: آتيتك طوى من اللّيل أى بعد ما مضت ساعه و كذلك أتيتك قويمه من اللّيل.

الباب العشرون فی أقطاع النّهار و طوائفه– و ما یتّصل به و یجری مجراه

قال النّضر: النّهار من طلوع الشّمس و لا یعدّ ما قبل طلوعها من النّهار و جمعه أنهره و نهر. و قال الخلیل: هو ضیاء ما بین طلوع الشّمس یحدیه حتی تحلّ صلاه الضّحی.

و غزاله الضّحی أوّلها یقال: أتانا فی غزاله الضّحی و هو أوّل الضّحی أی مدّ النّهار الأکبر.

فأمّا رأد الضّحی فحین یعلوک النّهار حتی یمضی منه نحو الخمس، و یقال: أتیته ضحیا و رادا و قد ترادت الضّحی و ترادها و تزیلها و ارتفاعها و جئتک فی فوعه النّهار و هی أوّله.

و حکی بعضهم فوعه کلّ شی ء أوّله و فوعه، و کذلک فیعته و فیعه. و منه کان ذلک عند أوّل فوعه أوّل شی ء، و أتیته مدّ النّهار، و هو بعد الرّأد و أتیته مدّ النّهار الأکبر. و جئته حین ذرّ قرن الشّمس، و حین بزغت و شرقت و أشرقت، فالشّروق الطّلوع، و الإشراق الانبساط و الإضاءه و فعلته حین ترجّلت الضّحی، و النّهار و هو علّوه و اختلاطه.

و أتیته غدوه و بکره، و هما لا یصرفان لأنّ غدوه علم، و بکره نحوها: و إنّی لآتیته فی البکره– و آتیه بکرا و آتیه غدوه بکرا، و أتانی غدوه باکره– و المبکر ما جاء فی أوّل وقت و کذلک الباکر. قال:

ألا بکرت عرسی بلیل تلومنی

و فی الحدیث: «بکّروا بصلاه المغرب» و یکون الغداه أصله ذاک أیضا. و منه باکوره الرّبیع و التّبکیر أوّل الصّلاه. و فی الحدیث: «من بکر و ابتکر» فبکر یکون لأوّل ساعات النّهار. و قال ثعلب: و یجوز فی قوله ابتکر أی أسرع إلی الخطبه حتی یکون أوّل دان و سامع، کما یقال: ابتکرت الخطبه و القصیده أی اقتضیتها و ارتجلتها ابتداء لم أرو فیها.

و قول الفرزدق شعرا:

إذا هنّ باکرن الحدیث کأنّه جنی النّخل أو أبکار کرم تعطّف

أراد أنّها حملت أوّل حملها. و يقال: أتانا بعد ما متع النّهار الأكبر، يريد بعد ما علا النّهار و استجمع النّهار. و ذكر بعضهم: متع النّهار متوعا إذا ارتفع، و ذلك قبل الزّوال.

و انتفح النّهار و ذلك قبل نصف النّهار، و فى قبل النّهار أى فى أوّله و فى الضّحاء الأكبر.

و أتيته شدّ النّهار، و ذلك حين ارتفع النّهار. قال عنتره:

عهدى به شدّ النّهار كأنّماخضب اللّبان و رأسه بالعظلم

بالعندم. و يروى مدّ النّهار. و أتيته كهر النّهار. و قال الشّاعر:

و إذا العانه فى كهر الضّحى دونها أحقب ذو لحم زيم

و قال ابن أحمر فى نحر النّهار:

ثم استهلّ علينا و اكف همع فى ليله نحرت شعبان أو رجبا

و حكى قطرب: (الجون) النّهار. قال و الجون فى لغه قضاعه الأسود و فيما يليها الأبيض. و فعلته فى شباب النّهار- و فى نحر النّهار- و فى وجه النّهار- و فى هادى النّهار، و هادى كلّ شى ء مقدمه- و فى القيظ الهاجره- و هو قبل الظّهر بقليل، و سمّيت هاجره، لأنّ السّير يهجر فيها، و جعل الهجران للوقت على المجاز، و يقال: هجر القوم و تهجّروا أى ارتحلوا بالهاجره. و أهجروا دخلوا فى الهاجره. و الظّهيره نصف النّهار فى القيظ حتى تكون الشّمس بحيال رأسك فتركد. و ركودها أن تدوم حيال رأسك كأنّها لا تريد أن تبرح.

و أتيته فى فرع النّهار: أى فى أوّله، و حكى: بئس ما أفرعت أى ابتدأت. و الفرعه أول نتاج النّاقه. و يقال: أفعل هذا فى تلع الضّحى أى فى ارتفاعها. و يقال: تلع النّهار: أى ارتفع. و تلع الظّبى أخرج رأسه من الكناس و أتلع رأسه فنظر. كما يقال: طلع و أطلع.

و أتيته حدّ الظّهيره و فى نحر الظّهيره قال:

حدّ الظّهيره حتى ترحلوا أصلاإنّ السقاء له رمّ و تبليل

و جئته فى الظّهيره و عند الظّهيره و بعضهم يجعله على تصرّفه من الظّهور و بعضهم من الإظهار و هو شدّه الحر، و حكى أبو سعيد السّكرى يقال: صلّينا عقب الظّهيره، و أعقاب الظّهيره أى تطوعا بعد الفريضه. و جئت فى عقب النّهار إذا جئت و قد مضى و كذلك عقبانه، و جئت فى عقبه و معقبا إذا جئت و قد بقيت منه بقيه.

و أتيته عند اصمقرار الظّهيره: أى حين اصمقرّت الشّمس و صخدت. و زرته بالهجير، و عند آخر الهجير قال العجّاج شعرا:

كأنّه من آخر الهجيرقرم هجان همّ بالغدور

و الهجير فعيـل بمعنى المفعول و كما قالوا: هاجره على المجاز قيل هجير على التّحقيق أيضا. فأمّا تأنيث الهاجره فكان. المراد بها، و بأمثالها السّاعه. و أمّا التّذكير حيث جاء فلان:

المراد به الوقت- و قولهم: الهجير لو أريـد به السّاعه لألحقوا به الهاء بعد أن قطع عن الموصوف، و سلک به طريق الأسـماء كما لحق بقوله البيّنه و هى الكعبه و اللّقيطه و ما أشبههما.

و أتيته بالهجير الأعلى، و فى الهاجره العليا: يريد فى آخر الهاجره. و أتيته بالهويجره و ذلک قبل العصـر بقليل، و أتيته هجرا. قال الفرزدق:

كأنّ العيس حين أنخن هجرامفقّأه نواظرها سوام

و يقال: أتيته حين قام قائم ظهر، أى فى الظهيره، و أتيته حمى الظّهيره و حين صخدت الشّمس و أزمعت بالركود، و أظهر فلان و خرج مظهرا أى داخلا فى الظّهيره و ظهر فلان: نزل فى الظّهيره و به سمّى الرّجل مظهرا.

و أتيته صـكّه عمى و أعمى: أى نصف النّهار إذا كادت الشّـمس تعمى البصـر و قد يصـرف فيقال: عمى. و رواه أبو عمرو عمى على فعيل، و هذا على أنّه تصـغير أعمى مرخّم مثل زهير و سويد، من أزهر و أسود. و معنى صـكه أى كأن الشّمس تصكّ وجه ملاقيها، و لو قيل:

صكه أعيم لكان على الأصل. الأصـمعى القائله النّزول و الحطّ عن الدّواب و الاستظلال، و يقال: أتانا عند القائله و عند مقيلنا، و عند قيلولتنا، و رجل قائل و قوم قيل. قال العجّاج:

إن قال قيل لـم أكن فى القيل

و الغائره: الهـاجره عنـد نصف النّهـار و غوّر القوم: نزلوا فى الغـائره، و يقـال: أتيته عنـد الغـائره: يريـد عنـد آخر القائله. و حكى الأصـمعىّ: غوروا بنا فقـد رمّضـتمونا، و يقال: ارتحلوا فقد غوّرتم أى أقمتم و نمتم، و الأصل الحط عن الدّواب و النّزول. و نزلنا دلوک الشّـمس، و ذلک حين تزول عن كبـد السّـماء و دلكت أيضا غابت، و قال اللّه تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] فهذا حجه فى الزّوال، و أنشد الدّريدى حجه فى الغيبوبه:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتّى دلكت براح

أى غـابت الشّـمس فصـارت فى المغرب فستر عنه براحته، قـال أبو بكر: هـذا قول الأصـمعى، و احتـجّ بقوله: ادفعهـا بـالرّاح كى تزحلفـا. يقال: نزلنا سراه النّهار أى: ارتفاعه، و نزلنا عنـد مـدحض الشّـمس و قـد دحضت الشّـمس تـدحض دحوضا و دحضا و ذلک إذا كان بين الظّهر الأولى و العشى ما سفل من صلاه الأولى و بعد العصر الأصيل.

و أتيتك عشيه أمس آتيه العشى ليومك الذى أنت فيه و سآتيه عشى غد بغير هاء، و كنت

آتیه بالعشی و الغداه و غدوا و عشیا أی کلّ غداه و عشیه و آتیه عشاء طفلا و ذلک عند مغیب الشّمس، حین تصفر و ینقص ضوؤها(۱).

قال لبید: و علی الأرض غیابات الطّفل، و قد طفلت الشّمس إذا دنت للمغیب.

و یقال: أتیته مرهق العشاء أی حین أتانا، و قد أرهق اللّیل و أرهقنا القوم لحقونا، و أرهقتنا الصلاه: أی استأخرنا عنها. و قال أبو زید: أرهقنا الصلاه أی: أخّرناها حتی یدنو وقت الأخری.

و زرته قصرا و مقصرا: أی عشیا، و قد أقصرنا: أی أمسینا. قال:

فأدرکهم شرق المروراه مقصرابقیه نسل من بنات القراقر

و قد أصلنا و أتینا أهلها موصلین.

و قال الأصمعی: أتیته أصلا و أصیلا و أصیله و الجمع أصائل و آصال.

قال أبو ذؤیب:

لعمری لأنت البیت أکرم أهله و أقعد فی أفیائه بالأصائل

و قال الأسدی: من غدوه حتی دنا فی الأصل. قال تعالی: بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ* [سوره الأعراف، الآیه: ۲۰۵] [سوره الرّعد، الآیه: ۱۵] [سوره النّور، الآیه: ۳۶]. و قال یعقوب: أتیته أصیلانا و أصیلانا و هو تصغیر أصیل علی غیر القیاس کما صغّروا عشیه عشیشیه و عشیه و عشیشیانا و عشیانا کلّ هذا بمعنی العشیه قال:

عشیشیه و اللّیل قد کاد یستوی علی وضح الصّحراء و الشّمس مطرف

و قد قالوا: أتیته مغیربان الشّمس و مغیربانات. و قال بعضهم: کأنهم جمعوا أصیلا علی أصلان کما تقول: بعیر و بعران ثم صغّروا أصلان فقالوا: أصیلان ثم أبدلوا من النّون لاما فقالوا: أصیلال، و التّصغیر فی الأزمان علی طریق التّقریب علی ذلک قولهم: قبیل الزّوال و العصر و بعیدهما. و کذلک یجی ء فیما یکون من الأماکن ظرفا نحو: دوین و فویق و تحیت. فأما الجمع فمردود علی أجزائه کأنّه یجعل کلّ جزء من أجزاء العشیه عشیه، و لا

۱- قال العلامه جلال الدین السیوطی رحمه اللّه فی کنز المدفون و الفلک المشحون: إنّ من ساعات النّهار الذرور- ثم البزوغ- ثم الضّحی- ثم الغزاله- ثم الهاجره- ثم الزّوال- ثم الدّلوک- ثم العصر- ثم الأصیل- ثم الصّبوب- ثم الحدور- ثم الغروب- و یقال فیها أیضا البکور- ثم الشّروق- ثم الإشراق ثم الراد- ثم الضّحی- ثم المتوع- ثم الهاجره- ثم العصر ثم الأصیل- ثم

الطّفل- ثم الغروب. ١٢ القاضی محمد شريف الدين عفا عنه.

يمتنع أن يكون جمعه على ما حوله من الأوقات كما قالوا: ضخم العشاءين، و كما أنّهم يقصدونه بما حوله من الأوقات فيجمعونه كذلك يقصدونه مجردا من غيره فيقولون: جئته ذات العشاء، يريدون السّاعه التى فيها العشاء لا غير، و هذا حسن، و يقال مسى خامسه و ممسى خامسه، و مساء خامسه، و مسيان أمس، و مسى أمس و جئته صبح خامسه و مصبح خامسه، و آتيك ممسى اللّيله أى عند المساء قال:

يا راكبا إنّ الأثيل مظنهمن صبح خامسه و أنت موفّق

و حكى يعقوب: لقيته بالضّمير و هو غروب الشّمس من قوله:

ترانا إذا أضمرتك البلاديخفى و يقطع منّا الرحم

و من قول الآخر: أعين لابن ميّه أو ضمار.

و يقال: جئته مرمض البحير، و هو من قولهم: رمضت الغنم رمضا: إذا رعت فى شدّه الحر فتحين رئاتها و أكبادها فتقرح، و رمض الرّجل أحرقته الرّمضاء، و هم يرمضون الظّباء أى يأتونها فى كنسها فى الظّهيره فيسوقونها حتى تفسح قوائمها فتصاد. و فى الحديث:

«صلها إذا رمضت الفصال» و هو وقت تقوم من مواضعها لتؤذيها بالحر. و يقال: فعلته عند متضيّف الشّمس للغروب.

و فى الحديث: «يؤخّرون الصّلاه إلى شرق الموتى» و فسّر على أنّه إذا ارتفعت الشّمس عن الحيطان و صارت بين القبور كأنها لجه و قيل: هو أن يمصّ الإنسان بريقه عند الموت كأنّه يريد لا يبقى من النّهار إلا مقدار ما بقى من نفس ذلك. و يقال: أتيته بشفا أى بشى ء قليل من ضوء الشّمس. قال الرّاجز:

أشرقته بلا شفاء أو بشفاو الشّمس قد كادت تكون دنفا

و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى: القصر بعد العصر، و القصر أيضا فإذا كان بعد ساعه فهو الظّهيره، فإذا كان بعد ذلك فهو الأصيل، فإذا كان بعد ساعه و هو الطّفل فإذا كان بعد ذلك فهو العرج(۱) (حتّى إذا ما الشّمس همّت بعرج) و (التّضمير) الدّخول فى الضّمير، يقال: ضمرنا و أضمرنا و ضمّرنا و قصرنا و أقصرنا، و قصّرنا، و عرجنا و أعرجنا و عرّجنا فإذا كان بعد ذلك فهو التّضيف. فإذا كان بعد ذلك فهو الشّفق و هو الأحمر، فإذا غابت الشّمس و ظهر البياض فى تلك الحمره فهو الملث، فإذا اسودّت الدّنيا قليلا فهو المقسوره. فإذ اسودّ أشد من ذلك فهى الفحمه، فإذا جاءت العتمه فهى العتم.

۱- فى القاموس العرج محركه غيبوبه الشّمس- القاضى محمد شريف الدين.

و ذكر الدّريدى الرّيم من آخر النّهار و اختلاط الظلمه، و هذا يجوز أن يكون من ريم الجزور، لأنّه آخر ما يبقى منه و يأخذه الجارز. قال:

و كنت كعظم الرّيم لم يدر جازرا

و حكى ابن الأعرابى: انصرفوا برياح من العشى، و أرواح من العشى إذا انصرفوا و عليهم بقيه من النّهار و أنشد لرفيع الوالبى الأسدى:

و لقد رأيتك بالقوادم نظرهو علىّ من سدف العشىّ رياح

و بيان هذا الذى قاله أنه يقال: هبّت لفلان ريح الدّوله، و السّلطان فكان المراد:

و انصرفوا و للعشى سلطان. فأمّا الشّاعر فإنّه جعل السّدف كنايه عن الشّباب و السّواد بدلاله أنّه قال بعد هذا البيت:

خلق الحوادث لمتى فتركن لى رأسا يصلّ كأنّه جماح

و قال بعض أصحاب المعانى: يقال: إنى على بقيه من رياح: أى أريحيّه و نشاط و هذا يقرب ما قلنا.

و (فواق) من الزّمان مقدار ما بين الحلبتين و فى القرآن: ما لَها مِنْ فَواقٍ [سوره ص، الآيه: ۱۵].

و الصّريم: يقع على اللّيل و النّهار لأنّ كلّ واحد يتصرّم عن صاحبه و قوله تعالى:

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [سوره القلم، الآيه: ۲۰] قيل: كاللّيل المظلم و قيل: كالنّهار أى لا شى ء فيها كما يقال سواد الأرض و بياضها، فالسّواد الغامر، و البياض الغامر، و قيل: كالصّريم:

أى المصروم المقطوع ما فيه و يقال: ما رأيته فى أديم نهار و لا سواد ليل.

و يقال: ابتلجا ببلجه و بلجه و ذلك قبل الفجر، و قد تبلج الصّبح. و فى المثل: تبلج الصّبح لذى عينين. و انبلج أيضا. أبو زيد يقال: انتصف النّهار و لم يعرفوا الأنصاف، و قد أباه الأصمعى، و قال: لا يقال الأنصف، و أنشد للمسيّب بن علبس شعرا:

يمدّ إليها جيده رميه الضّحى كهزّك بالكفّ البرى المدوّما

يعنى بالبرى القدح إذا سوى و لم يرش و تدويمه ثباته فى الأرض.

و حكى الفرّاء عن المفضل قال: آخر يوم من الشّهر يسمّى ابن جمير بضمّ الجيم، و قال ابن الأعرابى: هو ابن جمير بالفتح، قال الفرّاء و أنشدنا المفضّل:

و إن أغاروا فلم يحلوا بطائلهفى ظلمه من جمير ساوروا العظما

يعنى الذّئب و العظماء جمع عظيم و أنشد الأصمعىّ:

نهارهم ليل بهيم و ليلهم و إن كان بدرا فحمه بن جمير

و يقال: هو اللّيله التى لا يطلع فيها القمر، و روى بعضهم بيت الأعشى:

و ما بالذى أبصرته العيون من قطع بأس و لا من فنن

و قال: معناه و لا من قرب يقال: سعى فننا و فنا أى ساعه.

و مما حكى لا يبيتنّ أحدكم جيفه ليل قطرب نهار. القطرب: دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و الذّهاب.

و من أمثالهم: دلهمس اللّيل برودا المنتجع، يقال لمن يغيب عن فراشه فى غاره أو ريبه و ما يجرى مجراها، برودا المضجع: أى لو كان أويا الفراش لكان سخنا، و كذلك قوله: دلهمس أى ليله أبدا مظلم لأنّه لصّ.

و يقال: أقصر الرّجل كما يقال: أمسى و أقصر إذا أخّر أمره إلى العشى، أو جاء فى ذلك الوقت. قال: حتى إذا أبصرته للمقتصر، و قصر الشّى ء غايته هو الأصل. قال: كلّ من بان قصره أن يسيرا.

و يقال: بات فلان بليله القدّ بالدّال و الذّال جميعا، و هو القنفذ، و يقال: إنه لا ينام لذلك قال شعرا:

قوم إذا دمس الظّلام عليهم حدجوا قنافذ بالنميمه تمزع

و يقال: ما بقى من النّهار إلا نوّه حتى كان كذا أى ساعه. و منه ذهب توّا أى: منفردا.

و ممّا يجرى مجرى المثل قوله: أسائر اليوم و قد زال الظهر. أى: أ باقى اليوم من سير يسير و سار يسير أى بقى فكأنّه قال: أ تنتظر حاجتك غابر يومك و قد مضى أكثره و لم يقض لك.

و يقال: لقيته غارضا باكرا من الغريض الطّرى.

و يقال: لقيته غدوه غدوه و بكره بكره، و إنه ليخرج غديه و بكيره غير مصروف و أتيته فى سفر الصّبح، و فلقه و فرقه، و لقيته عند التّنوير و الإناره، و أتيته حين الصّبح و حين صدع.

و يقال: أتيته أمسيه كلّ يوم، و أصبوحه كلّ يوم، و صبحه كلّ يوم و صباحه كلّ يوم، و أتيته فى فناء النّهار و ذكائه، و روق النّهار، و فى ريقه و أنشد ابن الأعرابى:

و الله لا و بيض دمج أهون من ليل قلاص تمعج

مخارم اللّيل لهنّ بهرج حتى ينام الورع المزنج

و قـد يقـال: محـارم الليل بالحاء غير معجمه، و هى مخاوف اللّيل يحرم على الجبان أن يسـلكها. (و الدّمـج): و المـدجه الخلق. و تمعج: تغدو، يهرج أى يقطمه و يبطله و المزنّج النّسل: الذى ليس بتام الحزم.

و قال و يقال: أتيته بالغدايا و العشايا، و جاز الغدايا لاقترانه بالعشايا، و جمع غداه:

أغديه و أغديات، و عشاء و أعشيه و أعشيات. و يقال: غديه و غديات، و عشيه و عشيات، و ضحيه و ضحيات. قال:

ألا ليت شعرى من زياره أمسيه غديّات صيف أو عشيّات أشتيه

كذا رواه ابن الأعرابى، و غيره يرويه غديات، و يقال: أتانا عشوه و عشاوه و ذلك عند غروب الشّمس.

تم الجزء الأول و يتلوه الجزء الثانى، و أوله: «الباب الحادى و العشرون» فى أسماء السماء و الكواكب و الفلك و البروج

المجلد ۲

اشاره

ص: ۱

الباب الحادى و العشرون فى أسماء السّماء و الكواكب، و الفلک، و البروج

اشاره

و هى ثلاثه فصول

فصل [فى بيان معنى السماء]

قال قطرب: السّماء مؤنثه و تصغيره سميّه. و زعم يونس أنّ سماء البيت يذكّر و يؤنّث، و كان أبو عمرو بن العلاء يقول: السّماء سقف البيت يذكر و ينشد لذى الرّمه:

و بيت بمهواه خرقت سماءه إلى كوكب يروى له الماء شاربه

فإن قيل: لم ألحق بمصغّره الهاء و هو على أربعه أحرف، فقيل: سميّه و من شرط ما كان على أربعه أحرف من المؤنّث أن لا يلحق بمصغّره الهاء قلت: كان مصغّره يجتمع فى آخره ياءات استثقل و خفّف بما حذف منه فعاد يصغّر من حيث اللّفظ به تصغير الثّلاثى.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون الواحد سماءه و هى السّماءه أعلى كل شى ء، و قال رجل من بنى سعد:

زهر تتابع فى السّماء كأنّماجلد السّماء لؤلؤ منثور

و على هذا يذكّر و يؤنّث لأنّ ما ليس بينه و بين واحده إلّا طرح الهاء كالنّخل و النّخله يذكّر و يؤنّث. قال تعالى: السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ [سوره المزّمّل، الآيه: ۱۸] فذكر، و يقال فى جمعه: اسميه و هذا إنما يجى ء على جمعه مذكّرا لأنّ أفعله من جمع المذكّر كالغطاء و الأغطيه و الرداء و الأرديه، و المؤنّث يكون على أفعل مثل ذراع و أذرع. قال العجّاج: بلغه الرّياح و السّمى، و هذا جاء التأنيث كعناق، و عنوق. قال سماء و سمى ليس كعناق و عنوق، لأنّ عناقا مؤنّث، و سمى الذى هو المطر مذكّر على أنّ المطر سمّى سماء لنزوله من السّماء، فأما قوله لنهدر كان من أعقاب السمى فإنما خففه و إن كان فعولا للقافيه مثل من سر ضرّ، و قوله:

كأنّما قد رفعت سماؤهافصار لون تربها هواؤها

معنی رفعت سماؤها: لم یصبها مطر، و مثل لون تربها قول الآخر: کأنّ لون أرضه سماءه، أی لون سمائه للقتام الذی یغشی الجو، قالوا: هذا بطن السّماء، و هذا ظهر السّماء لظهرها الذی تراه. قال تعالی: رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ [سوره الشوری، الآیه: ۳۳] و قالوا: الظّهر الوجه، و کذلک ظهر النّجوم و السّماء، و قال تعالی: بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ [سوره الرحمن، الآیه: ۵۴] البطائن: هاهنا الظّواهر، و جاء علی هذا الضدّ فهو کقولهم: أمر جلل للشدید و الهیّن. و قال جندل الطّهوی: یا ربّ رب النّاس فی سمائه، فقصرها و أدخل الهاء.

و قال أبو حنیفه: یقال سماء البیت، و سماوته و أنشد لامرئ القیس:

ففئنا إلی بیت بعلیاء مردح سماوته من الحمی معصب

و قال أبو حنیفه: یجمع السّماوه سماوات، و سماوی: قال: و روی بیت ذی الرّمه مسموعا من العرب:

و أفصم سیّار مع الحیّ لم یدع یروع حافات السّماء له صدرا

یعنی بالأفصم الحلال الذی تحل به الأعراب مواضع الفتوق فی آنیتهم، و جعله أفصم لانکسار فمه من طول اعتماله، ثم یجعل الواو فی سماء همزه لمّا وقعت بعد ألف زائده فقیل سماء، فأما قول أمیه: سماء الإله فوق سبع سمائنا فإنه أتی بثلاثه أوجه من الضروره.

منها أنّ سماء و نحوها یجمع علی سمایا کما یجمع مطیه علی مطایا، فحمله علی الصّحیح لا علی المعتل، و جمعه علی سمای کما یقال: سحابه و سحائب.

و الثّانی: أنه حرک التاء فی حال الخبر و کان یجب أن یقول: سبع سماء کما یقال جرار.

و الثّالث: أنه جمع سماءه علی سمای، و کان یجب أن یقول: سماءه، و سماء کما یقال: سمامه و سمام قوله:

فصبحت جابیته صهارجاکأنّه جلد السّماء خارجا

فإنه أراد بجلد السّماء الخضره التی تظهر، فشبّه صفاء الماء بصفائه فهو مثل قوله:

رزقا جمامه و التقدیر: کأنّ لون مائه لون جلد السّماء.

و من أسماء سماء الدّنیا برقع بکسر القاف، و قد جاء فی شعر أمیّه:

و کأنّ برقع و الملائک حولهاسدر تواکله القوائم أجرد

و من أسمائها: الجرباء، و الخلقاء و كأنّها سمّيت خلقاء لملاستها كالخلقاء من الحجاره قال:

و خوت جربه السّماء فمالشرب أرويه بمرى الجنوب

و خوت: أخلقت، و قال الهذلى:

أرته من الجرباء فى كلّ منظرطبابا فمثواه النّهار المراكد

و يقال فى الجربه ما زرع من الأرض، و كأنّها إنما سميت جرباء لما فيها من آثار المجره كأنّها الجرب.

و من أسمائها: الكحل و المشهور فى الكحل أنّها السّنه المجدبه. قال:

قوم إذا صرّحت كحل بيوتهم عزّ الذّليل و مأوى كلّ قرضوب

و قال يونس: يشهد للكحل أنها السّنه قوله:

بات عرار يكحل فيما بيبناو الحقّ يعرفه ذووا الألباب

و هذا مثل و قيل: أصله أنّ عرار يراد به ما يعرّ من الشّر، و كحل: سنه شديده، و المعنى استوينا فيما أصاب به بعضنا بعضا من الشّده و المكروه، و يقال: اركب عرعرك أى صعب أمرك.

و حكى عن الأعراب أنّ عرارا و كحلا بقرتان كانتا فى مرج، فقتلت كحل عرارا فجاء صاحبها فقتل كحلا و وقع الشّر بين صاحبيهما و ناديا إلى القتال، فقال النّاس: بات عرار بكحل فما القتال؟ أى فى كلّ واحد ما يبوء بدم الآخر.

و عنان السّماء: نواحيها و الواحد عنو. و قال الدّريدى: لا أعرف أعنانا، و عنان السّماء ما عنّ لك أى عرض، و يقال: بلغ فلان عنان السّماء للعالى المحل، و منه قولهم: جمعتهم فى عنن أى فى سنن. و قول الشّماخ بعد ما جرت فى عنان الشّعريين الأماعز، هو معانتها لهما يصف شدّه الحر. و أما قول الآخر: عنان الشّمال لا يكونن أضرعا، فالمراد معانه الشّؤم و هو التّعرض.

و من أسماء السّماء: (الرقيع) يقال: ما تحت الرقيع أرقع من فلان و هو علم كزيد و عمرو. و ذكر بعضهم أنه إنمّا سمّى السّماء الرّقيع لأنها الشى ء الذى رقعت به الأرض: أى جعلت مشتمله على الأرض. و جاء فى الحديث: «من فوق سبعه أرقعه».

قال: و سمّيت خلقاء: لأنها ملساء. فإن قيل: كيف تكون جرباء و تكون ملساء. قيل:

إنما سمّيت بالصّيفات على حسب أحوالها، فإذا اشتبكت نجومها فهى الجرباء، و إذا غابت النّجوم فهى الملساء، و هذا كما سمّى البحر المهرقان فعللان من المهرق، و هو فارسيه مهره، و إنما أريد به ملاسته و استواؤه إذا انقطع عنه الموج على أنّ قولهم الخلقاء لا ينافى الجرباء إن كان المراد بالجرباء: النّجوم التى فيها.

و ذكر بعضهم أنّ قولهم للبحر: مهرقان و هو من هرقت الماء و زنته مفعلان كأنّه يهرق الماء إلى السّاحل ثم يعود. و الصّحيح ما قدّمته و أنشدت لابن مقبل:

يمشى به شول الظّباء كأنّهاجنى مهرقان سال باللّيل ساحله

و يريد بجنى مهرقان الودع، و شبّه الظّباء به.

و المجرّه قيل: هى باب السّماء و افتخر أعرابيان فقال أحدهما: بيتى بين المجرّه و المعرّه و قيل: المعرّه و ما وراء المجرّه من ناحيه القطب الشّمالى سمّيت معرّه لكثره النّجوم فيه، و أصل المعرّه موضع العر، و هذا كما يسمّون السّماء الجرباء.

و يقال: أتيتك حين ازمهرّت الكواكب فى السّماء أى أضاءت.

و يقال: أجهر لك الفجر إذا استبان و وضح.

و حكى الخليل الصّاقوره: و قال: هو اسم السّماء الثّانيه فى شعر أميه بن أبى الصّلت:

و بنى الإله عليهم صاقورهصماء ثالثه تماع و تجمد

و ذكر الحافوره فى شعر أميه و قيل هو اسم السّماء الرّابعه و قد ذكره الخارزنجى أيضا.

و ذكر الدّريدى أنّ البرجس و البرجيس نجم من نجوم السّماء قال هو بهرام: و الجبار:

اسم للجوزاء و الشّعرى العبور تلو الجوزاء و يسمّى: كلب الجبار أيضا و فى المثل: أتلى من الشّعرى (و من أسماء السّماء اللّاهه) و سمّيت اللّاهه تعظيما لها، و هو مشتق من لفظ الإله لأنّه المعبود المعظّم.

و يقال: شنع النّجم إذا ارتفع و هو من تشنّعت الفرس إذا ركبته و تشنّعت الغاره إذا تثبتها.

فصل [فى بيان معنى الفلک]

الفلک أصله الدّوران و الفلک السّفينه يذكّر و يؤنّث قال تعالى: وَ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا [سوره هود، الآيه: ۳۷] ثم قال تعالى: فَاسْلُکْ فِيها [سوره المؤمنون، الآيه: ۲۷] فأنّث. و قال فى موضع آخر: فِى الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآيه: ۱۱۹] فذكّر،

و الفلک جماعه السّفن، و قد فلکت الجاریه إذا تفلّکت ثدیاها و ذلک عند استداره أصلها قبل النّهود. قال: لم یعد ثدیاها أنّ تفلّکا. و یقال: فلکت الجدی، و هو قضیب یدار علی لسانه لئلّا یرضع، و الفلکه أکمه من حجر مستدیره کأنّها فلکه مغزل، و الجمیع الفلک و الفلکات.

قال الخلیل: و هو علی تقدیر النّبکه فی الحلقه إلّا أنّ النبکه فی ذلک أشدّ تحدیدا من رأس الفلکه، و قال النّحویون: الفلک اسم للسّفینه و یجمع علی أفلاک، و علی فلک فیصیر الفلک اسما للجمیع، و ذلک لأنّ فعلا و فعلا یکثر اعتوارهما الشّی ء الواحد نحو: العجم و العجم و العرب و العرب، فمن قال: جمل و أجمال، قال فلک و أفلاک. و من قال فی مثل: خشب و خشب قال: فی فلک إذا جمع فلک. و قال الکمیت:

و الدّهر ذو فلک و النّاس دوّار

قال أبو حنیفه: و لیس قول من قال هو القطب بشی ء لأنّ القطب لا یزول من قطب الرّحی و الفلک دوّار یدور بدوره کل ما فیه فدور الکواکب کلّها حول القطبین و هما نقطتان من الفلک متقابلان أحدهما فی الشّمال و الآخر فی الجنوب، و لیس یظهر القطب الجنوبی فی شی ء، من جزیره العرب، و قال أبو عمرو الشیبانی: هو القطب و القطب بالکسر و الضّم و للسّماء آفاق و للأرض آفاق.

فأمّا آفاق السّماء فما انتهی إلیه البصر منها مع وجه الأرض من جمیع نواحیها و هو الحدّ بین ما بطن من الفلک و بین ما ظهر قال الرّاجز: قبل دنوّ الأفق من جوزائه. یرید قبل طلوع الجوزاء لأنّ الطلوع و الغروب هما علی الأفق قال:

فهو علی الأفق کعین الأحول صفواء قد کادت و لمّا تفعل

شبّهها بعین الأحول فی أحد الشّقین، و الصّفواء المائله للمغیب و قال آخر:

حتّی إذا المنظر الغربیّ حار دمامن حمره الشّمس لمّا اغتاله الأفق

و اغتیاله إیّاها تغیّبه لها:

و أمّا آفاق الأرض: فأطرافها من حیث أحاطت بک. قال الرّاجز:

یکفیک من بعض ازدیار الآفاق سمراء ممّا درس ابن محراق

یعنی بالسّمراء الحنطه، و درس و داس بمعنی و یقال للرّجل إذا کان من أفق من الآفاق أفقی و أفقی، و کذلک السّماء وسطها آفاق عینها فإنّ الفرّاء قال: تقول العرب: مطرنا بالعین، و من العین: إذا کان السّحاب ینشأ من ناحیه القبله.

قال ابن كناسه: عين السّماء ما بين الدّبور و الجنوب عن يمينك إذا استقبلت القبله قليلا، قال أبو نصر: العين من عن قبله العراق و هذه الأقاويل قريب بعضها من بعض، و فى تثبيت عين السّماء قول العجّاج:

سار سرى من قبل العين فجرعبط السّحاب و الرابيع الكبر

و قال أيضا: فثارت العين بماء بجس. و قال أبو عبيده فى العين مثل ذلك، و قال الأصمعىّ: العين المطر يقيم خمسا أو ستا لا يقلع، قال: و يقال: أصابتنا عس غزيره و احتجّ بقول المتلمّس:

فاجتاب أرطات فلاذ بدفئهاو العين بالجون المثالى ترجس

و يؤكّد قول الأصمعى:

و أنا حىّ يحب عين مطيرهعظام البيوت ينزلون الرّوابيا

و قول ذى الرّمه:

و أردفت الذّراع أرى بعين سجوم الماء ينسجل انسجالا

و قوله أيضا:

سقى دارها مستمطر ذو غفارهأجشّ تحرّى منشأ العين رائح

يريد أنّ هذا السّحاب تحرّى أن يكون منشؤه من حيث نشأ للعين غير أنّه ثبت أنّ هناك منشأ هو أحمد المناشئ و بيّنه الكميت بقوله:

راحت له بين صيفى و أوليهمن الرّبيع سحاب المغرب الهضب

و إذا كان السّحاب مغربيا فمنشؤه من حيث وصف و ليس يمتنع أن يقال: عين و إن كان الأصل فى العين عين السّماء، كما يقال للمطر: سماء أ لا ترى أنّهم يقولون: أصابتنا سماء غزيره، و كلا المذهبين صحيح.

فصل فى بيان أمر المجرّه و شرح بعض أحوالها

و فى السّماء مجرّتها.

و جاء فى الأثر أنّها شرج السماء، كأنّها مجمع السّماء كشرج القبّه و سمّيت مجرّه على التّشبيه لأنّها كأثر المستجب و المجر و تسمّيها العرب: أم النّجوم لأنّه ليس من السّماء بقعه أكثر عدد كواكب منها كما قيل: أم الطريق لمعظمها. قال:

ترى الواحد الأنس الأنيس و يهتدى بحيث اهتدت أمّ النجوم الشّوابک

و قال أبو حنيفه: المجرّه دائره متّصله اتصال الطّوق و هى و إن كانت مواضع منها أرقّ، و مواضع أكثف، و مواضع أدق، و مواضع أعرض فهى راجعه فى خاصتها إلى الاستداره و أكشف قناعها و أوسعها هو ما بين شوله العقرب فإلى النّسرين، فإلى الرّدف، و الشّوله، و الرّدف كلاهما فى نطاقها الأوسط أو قريب.

فإذا كانت الشّوله مشرفه على الثّور رأيت حينئذ من فوق الثّريا مستقدا فى المشرق، و رأيت المجرّه قد أخذت من عند شوله العقرب فمضت حتّى سلكت بين النّسرين. ثم مضت حتى غشيت كواكب الكفّ الخضيب رقّت و استدقّت إلى أن تبلغ العيّوق فتكشف هناک. فإذا بلغت العيّوق سلكت بين الكوكبين الجنوبيين من كواكب الأعلام الثّلاثه المعروفه بتوابع العيّوق. ثم مضى قدما حتّى تسلک بين الهقعه و الهنعه و حاک بحاشيتها الشّرقيه كوكبى الهنعه. ثم مضت حتى تسلک بين الشّعريين، ثم تمضى و تغشى الغدره بحاشيتها الغربيه فتكشف هناک، ثم تمضى عند العذره حتى تسلک أسفل من كواكب الحمل، ثم تمضى من هناک حتّى تشتمل على الشّوله، و منها كنّا بدأنا بالوصف، فتجدها دائره متّصله.

أ لا ترى أنا بدأنا بوصفها من عند الشّوله ثم لم تزل تستقر بها حتى عدنا إلى الشّوله فهذا الإيضاح عن استدارتها و اتّصال بعضها ببعض اتّصال الطّوق، و فى تحوّلها من جهه إلى جهه. يقول ذو الرّمه و هو يذكر رفقاءه:

بشعب يشجون الغلاء فى روسه إذا حوّلت أمّ النّجوم الشوابک

إمّا أن يريد زمانا من الأزمنه لأنّ المجرّه تتغيّر مواضعها فى الأزمنه فتراها فى الشّتاء أوّل اللّيل فى خلاف موضعها من السّماء، و فى الصّيف أوّل اللّيل و كذلک من آخر اللّيل فى الشّتاء و الصّيف و لذلک قيل: سطى هجر نرطب هجره و ذلک أنّ أوّل ظهور المجره عشاء من المشرق، هو فى ابتداء القيظ و أيّام طلوع الثّريا فيبدو منها عشاء قوس فى المشرق أخذه من شرقى الشّمال إلى شرقى الجنوب مضجعه فى الأفق، ثم يزداد كلّ عشاء ارتفاعا و توسطا إلى أن يسترقّ القيظ و يطلع السّهيل عشاء قد كبدت السماء، فتوسّطتها فصار أحد طرفيها فى قبله العراق، و طرفها الآخر فى فقاء المصلّى، و وسطها على قمه الرّأس، و ذلک زمان يكثر فيه الرّطب. و المجرّه بهذه الصّفه سواء آخر اللّيل أيام طلوع الثّريا فإمّا أن يكون ذو الرّمه أراد هذا المعنى، أو يكون أراد وقتا من اللّيل، لأنّ المجره تراها فى آخر اللّيل فى غير موضعها من أوّله و ذلک فى جميع ليالى الدّهر على ذا و ليس ما ترى من هذا المفاز منها الذى وضعت له من الفلک، و لكنّها وضعت فيه على انحراف، فأنت ترى ذلک منها لدور الفلک بها.

و قولهم فی المجره أم النّجوم کقولهم فی السماء جربه النّجوم. قال الشّاعر:

و خوت جربه النجوم فماتشرب أرویه لمری الجنوب

قوله خوت یرید لم یکن معها مطر و أصل الجربه القراح من الأرض. قال الأشعر بن حمران:

أما ذا یعدو فثعلب جربهأو ذیب عادیه یعجرم عجرمه

(العجرمه) سرعه فی خفه.

و یقال: للسّماء الخضراء للونها کما قیل للأرض الغبراء، و الهواء ممدود و هو الفتق الذی بین السّماء و الأرض فی کلّ وجه و هو السّکاک و السّکاکه و اللّوح و السّحاح، و أعنان السّماء نواحیها. و یقال: لا أفعل کذا و لو نزلت فی اللّوح و السّکاک. و قال بعض أصحاب المعانی أصله من الضیّق علی هذا قولهم بیرسک و قوله: استکّت المسامع من کذا أی ضاقت فلم ینفتح للاصغاء إلیها و الصّبر علیها کأنّ الهواء و هو ما بین السّماء و الأرض یمتلئ منها کلّ شی ء فلا مجوّف إلا و یتخاله حتی یضیق عنه و هذا حسن.

الباب الثّانی و العشرون فی برد الأزمنه و وصف الأیام و اللّیالی به

اشاره

قال أبو نصر: کبه الشّتاء شدته و دفعته کالکبه فی القتال، و یقال: شتاء الشتاء، إذا اشتدّ برده، و هذا شتاء شات، و کلاب الشّتاء نجوم أوّله و هی الذّراع و النثره- و الطّرف- و الجبهه.

قال أبو حاتم: البرد- و القر- و لا یقال: القر إلا فی شدّه البرد- و یقال: یوم قر، و لیله قره و قد قرّ یومنا، و کان رویه تقر، و لقد قررت یا یومنا قره و قرورا. و من أمثالهم:

حرّه تحت قرّه إذا عطش الإنسان فی الیوم البارد فأکثر شرب الماء و یوم قر. قال: تحرّقت الأرض و الیوم قر. و قرّ الرجل و هو مقرور و هرئ فهو مهروء و أصابته قرّه و أصابت المحموم قرّه فانتفض و یقال لذلک العروراء و قد عری فهو معروء:

و صرد الرجل و أصردنا إذا صرد ماؤنا. و الصّراد الواحده و صراده غیوم تهیج ببرد شدید و لا یکاد یکون معها مطر.

و قال أبو زید: النافجه: شدّه البرد و الریح، قال: و الحرجف و الشّهباء و البلیل نحوها- و البلیل یکون معه بلل و ندی. و القرقف البرد فی قبل اللّیل. و قال الأصمعیّ: قیل للحمی قرقف لأنّ صاحبها یقرقف عنها أی یرعد.

و الهریئه: مهموزه شدّه البرد، و قیل للأعرابی: إنّ الجنوب إذا هبّت دفئت الأرض، فقال: ربّ هریئه إذا هبّت تذری الشّجر، یقول: إنها و إن کانت کذلک فربما کان تحتها البرد. قال أبو حاتم: إذا رأوها تدهدئه و تطیره. و یقال للأحمق: و ما هو إلّا هراءه علی فعاله و الهراء و الخطل و أنشد:

و منطق رخیم الحواشی لا هراء و لا بزر

قال الأصمعی: یقال: قر حمطیر بالحاء مثل الزمهریر و قال النّمیری: بالقاف قمطریر

و قال التّميميون: من أسمائه (الصّر) و الصّنبر و (الزمهرير) و (النّوافج) و (الكلب) و (اليبس و القعقع).

فأمّا (الصنبر) فالقر الشّديد فى ريح أو غير ريح. و يقال: إنّ يومنا لصنبر القر. قال طرفه شعرا:

يجفان تعترى مجلسناو سديف حين هاج الصّنبر

كسر الباء للحاجه.

و يقال: يوم ذو صر و يومنا يوم صر و من أمثالهم: صر و صنبر، و المرقى فى القر، و الزّقاء الصيّاح.

و يقال: يوم زمهرير على النّعت و أيام زمهريره.

و النّافجه: الرّيح تهبّ فى برد و قد نفجت نفجا و يقال: ازمهرّ يومنا و هذا قر زمهرير، و قمطرير. و أنشد:

و يوم قتام مزمهرّ شفيفه جلوت ترباع تزين المثاليا

و الكلب: الزّمان الشّديد القر القليل المراعى و يقال: زمان كلب و عام كلب إذا قلّ خيره و كثر ضيره. قال: و عضّ السّلطان و شرّه و غلاء السعر، و قله المرعى هذا كله كلب.

و اليبس: شدّه الحال فى القر و غيره يقال: زماننا يابس.

و القعقع مثل اليبس و تقعقع زماننا: و هو أن يكون شديدا مع قر و من دون السّعر فتعذر التّجارات و يجور السّلطان.

و الخشيف: شدّه البرد يقال: أصابنا خشيف و قد خشفت ليلتنا، و الماء الجامس خشيف.

و الصّقيع: أن يرى وجه الأرض بالغداه كالماء اليابس، و ترى الشّجر و البقل كأنما نثر عليه دقيق. و قد صقعت السّماء بصقيع كثير و ضربتنا السّماء اللّيله بصقيع و ليلتنا ذات صقيع.

و الجليد شدّه البرد جمس الماء أو لم يجمس، و يقال: جلدتنا السّماء اللّيله بجليد شديد، و ضربتنا بجليد منكر و هو أشد القر و أيبسه.

و يقال: جمس الماء و جمد و الجموس: أكثر على ألسنه العرب من الجمود.

و الأرين: القرّ الشديد يحصر منه الإنسان و المال و هو شبيه بالصّقيع و ليله ذات أرين و لا يقال يوم ذو أرين.

قال أبو زيد يقال: أرزت ليلتنا تأرزا أريزا، و هى أرزه إذا اشتدّ بردها و أكثر ما يكون ليلا.

و يقال: ليله جاسيه: إذا كان بردها شديدا، و يوم جاسئ و قد جسأ جسوءا و يقال: برد البرد على ثيابى أى تركها بارده. و قيل: نحن مبردون فى شده البرد. و أنشد ابن الأعرابى:

ها إنّ ذا ظالم الدّيان متكئاعلى أسرته يشفى الكوانينا

الدّيان بن قطن كان شريفا فشبه ظالما به و ترك التّنوين كما قال: (و حاتم الطّائى و هاب المسمى) قوله: يشفى الكوانينا أى: يشفى فى البرد الشّديد، أراد أنّه صاحب نعمه فانتصب الكوانين على الظرف، أى فى هذا الوقت الشديد البرد و العرب تشبه الثّقيل من الرجال بالكانون. قال الحطيئه يهجو أمّه:

أ غربالا إذا استودعت سرّاو كانونا على المتحدثينا

قال أبو حاتم: لا أعرف هذا و لكن يقال فى القيظ: أبرد القوم فهم مبردون و الإبراد أن يصيبهم الرّوح آخر النهار فى القيظ و فى غير هذا البرد النّوم و فى القرآن: لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً [سوره النبأ، الآيه: ۲۴] أى نوما، و من كلامهم منعنا البرد من البرد أى القر من النوم. و أنشد:

بردت مراشفها على فصدّنى عنها و عن قبلاتها البرد

أى النّوم و يقال: أصابتنا سبه من برد، و هو أن يصيبك من القر أشد مما كنت فيه أياما و إن أصابك برد فى آخر الرّبيع قلت: أصابتنا سبه و الدّهر سبات أى أحوال حال هكذا و حال هكذا، أصابتنا سبه حر، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دف، و قالوا: الصّحو فى الشتاء ذهاب القر و يقال: ليله مصحيه إذا ذهب قرّها و إن كانت متغيمه و إن طلعت الشّمس نهارا و اشتدّ القر فليس بصحو.

قال أبو حاتم: العامّه تظن أن الصّحو لا يكون إلّا ذهاب الغيم و ليس كذلك لأنّ الصّحو ذهاب البرد و تفرّق الغيم، و يقال: تقشّعت السّماء إذا ذهب غيمها، و يقال: يوم صحو على النّعت و ليله صحوه و أيام صحوات الهاء ساكنه، و يوم مصح، و ليله مصحيه، و قد أصحينا من القر. و قال أبو أسلم: يوم فصيه و ليله فصيه.

أما الطّلقه فمثل الصّحوه و يقال: كانت اليوم فصيه و طلقه و يوم طلقه و فصيه و يوم طلق و ليله طلقه و يقال: أفصينا من ذلك القر أى خرجنا منه و أصابتنا فصيات، أى أيام دفيات طيبه، و يقال: انفسخ القر و انفسخ الشّتاء إذا انكسر و ضعف، و الحضر شدّه البرد فى

الأطراف و السّبره يكون غدوه و عشيه فى البرد قبل طلوع الشّمس و بعدها قليلا و حين تجنح الشّمس للغروب و الجميع السبرات، و فى الحديث: «و إسباغ الوضوء فى السّبرات».

و قال بشر بن برد: الماء فى السّبرات أى بارد الماء، و قال قطرب: السّبره برد الغداه خاصه، و العرواء: البرد عند اصفرار الشّمس، و قال: يوم شبم و ماء شبم.

و حدّث الأصمعىّ أنّ أعرابيا قال: موسى خدمه. فى جزور سنمه. فى غداه شبمه، و قد شبم الماء. قال أبو حاتم: و لو وجدت فى شدّه القيظ ماء باردا لقلت: هو شبم. و أنشد جرير:

تعلّل و هى ساغبه بنيهابأنفاس من الشّبم القراح

و يقال: هرأ القرّ أموالنا أى: قتلها و أهلكها هرأ. قال ابن مقبل يرثى عثمان رضى اللّه عنه:

و ملجأ مهروءين يلقى به الحياإذا حلقت كحل هو الأمّ و الأب

و قالوا: تصيب النّافجه النّاس، و القر الشديد، و هم مرقون مبصرون فيقتل أموالهم، يقال: هو مرق فى الرّقيق المال و الحال، و قد أهرأ بنو فلان إذا أصابهم القر فى الجرز، و هى الأرض التى ليس بها شجر و لا دف ء فماتت مواشيهم.

و قال أبو أسلم؛ أهرءوا فى هذه القرّه، و هرءوا فيها، سواء إذا ماتت أموالهم. و قال أبو حاتم أهرءوا إذا أصاب أموالهم لهرء هرءوا لا أدرى فى هذا المعنى هو أم لا.

و يقال: مرّت بنا صناديد من البرد أى بابات منه ضخام، و صناديد الغيث كذلك، و يقال: غيث صنديد. و أنشد لابن مقيل:

عفته صناديد السّماكين و انتحت عليه رياح الصّيف غبرا محاوله

يعنى أمطارا تقشر وجه الأرض و قد جاءت بنو السّماكين.

و حكى ابن الأعرابى يوم صفوان: لا غيم فيه، و لا كدر، شديد البرد صاف، و يوم شيبان: بارد فيه غيم صراد.

و يقال: شهرى الشّتاء شيبان و ملحان، لبياض الأرض فيهما و الأبيض الأملح، و قيل:

هما الكانونان و أنشد الأصمعىّ شعرا:

تحوّل لونا بعد لون كأنّه بشفان يوم مقلع الوبل يصرد

يقال: أصردنا و صردنا و شفان الرّيح بردها، و كذلك شفيفها: يريد أنّ السّحاب قد

أقلع و انقشع فهو أشد لبرده.

حكى الأصمعىّ قال: قلت لأعرابى: ما أعددت للشّتاء؟ فقال: قرموصا دفئا و شمله مكوذه، و صيصيه سلوكا (المكوذه) التى يبلغ الكاذنين- (و الصّيصيه) التى يقلع بها التّمر من الجلال (و القرموص) شبه بير يحفره فيأوى من البرد إليه. و أنشد:

جاء الشّتاء و لمّا اتّخذ ربضايا ويح كفّى من حفر القراميص

(و الرّبض) قيل: هو المرأه لأنّها تربض البعل أى تخدمه. و قيل: الرّبض القيّم. و منه قيل: منك ربضك و إن كان سمارا: أى منك: قيّمك و إن كان قيّم سوء، و هذا كما قيل:

منك عيطك و إن كان أشيا. و قال ابن الأعرابى: الرّبض فى هذا المثل: ما يقيم الإنسان من القوت و يربضه أى يكفيه. و قد قيل: منك محضك، و منك ربضك و إن كان سمارا.

(و السمّار) الذى قد أكثر ماؤه، و هو نحو الضّياح و هذا يدلّك على معنى الرّبض فى المثل و ما سواه من التّفسير، فهو محمول على المعنى لا على اللّفظ، كما قيل: منك أنفك و إن كان أجدع، فيحمل تفسير الأنف على العشيره و الأنف فى الحقيقه هو المشم الذى قد عرف.

و ربض البطن أمعاؤه و الرّبيض جماعه الغنم. قال الدّريدى: الرّبض القطعه العظيمه من الثّريد، فإذا قالوا: جاءنا بثريد كربضه أرنب كسروا الرّاء.

قال الزّهرى: حجرت المطار العام، حجرت: امتنعت و المطار: جمع مطر مثل جمل و جمال. و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى قال: يقال: هو الحس- و البرد- و القر- و القرس- و الصر- و العرقف- و الهلبه- و الكلبه- و العنبره- و الصّره. هذا كله حدّه الشّتاء و كلبه- و الزّمهرير- و الأريز.

و قال الكلابى: العثيه: الهلباء البارده- (القرّه) ترميهم بالقطقط و هو القطر الصّغار من المطر- و الثّلج- و اليوم الأهلب: الشديد البرد- و غداه هلباء و قالوا: الشّهر الآخر من الشّتاء يسمّى الأهلب، و لا يسمّى غيره من شهوره أهلب، و ذلك لشدّه صفق رياحه، مع قرّ و عواصف.

و حكى اللّحيانى: هلبه الشّتاء و كلبه مثقلان و حكى أيضا يوم هلبه و يوم كلبه. و حكى قطرب مثل ذلك، و يقال: أرزت ليلتنا أريزا، و ليله آرزه، و أتت اللّيله تأرزهم أشد الأرز.

و أنشد عن المفضل فى شده البرد بعد أن حكى المثل السّائر (أبرد من غب المطر) أى من غب يوم المطر شعرا:

طوينا يجمع و النّجوم كأنّهامن القرّ فى جوّ السّماء كواسف

و قال آخر: العابط الكرم للأضياف إن نزلوا فى يوم صرّ من الصّراد. هرار الصّراد الجهام: و هو السّحاب الذى لا ماء فيه مع الشّمال- و الجليد- و الضّريب- و السّقيط- و الجليب- و الصّقيع- و السّقيع- و السّميخ- ما ينزل من السّماء و من الثّلج و أنشد شعرا:

نعاء ابن ليلى للسّماخ و للنّدى و أيدى شمال باردات الأنامل

نعاء مثل دراك أى أنع و أنشد ثعلب شعرا:

و يوم بليل الحمار الصّديدمحمره شمسه بارد

سقيت رغيبا و أطعمته فليس بحارّ و لا جامد

قال ابن الأعرابىّ: الفصيّه: ما بين الحر و البرد، و هو من فصيت الشى ء إذا أنبتّه من غيره. و زعم أنّ قولهم أفصى برد عمى اشتقاقه من هذا.

و (ضباره) الشّتاء صميمه، الرّاء مشدّده، و قد يخفّف فيقال: ضباره ذكر ذلك عن غير واحد من العلماء.

و يقال: من الكلبه: كلب البرد إذا اشتدّ كلبا و أنشد الفرّاء:

أنجمت قره الشّتاء و كانت قد أقامت بكلبه و قطار

و قال العكلى: جئتك فى صنبر الشّتاء و فى بركته، و قد استعمله بعضهم فى الحر و حكى غداه صنبره. و قال جرّان العود:

و ألفين فوقى شرّ ثوب علمته من البرد فى شهر الشّتاء الصّنابر

و قال طرفه: (و سديف حين هاج الصّنبر)(۱) و قال أبو حنيفه: بلغنى عن بعضهم أنّه حكى عن العرب فى الصّباره مثل ذلك يجعلونه فى شدّه الحر أيضا.

و الصّرصر: الرّيح الشّديده البارده و فى القرآن: إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً [سوره القمر، الآيه: ۱۹] و قيل: تداكؤ الصّر ازدحامها. و أنشدنى حمزه بن الحسن قال:

أنشدنى على بن سليمان عن المبرّد:

فذاك نكس لأبيض حجره مخيرق العرض لئيم مطره

۱- أورد صاحب القاموس صنابر الشّتاء شده برده، و أمّا قول الشاعر نطعم الشّحم و السّديف و نسقى المحض فى الصّنبر و

الصّراد بتشديد النّون و الرّاء و كسر الباء فللصرواه ۱۲ القاضی محمد شریف الدین الحنفی عفا عنه.

فى ليل كانون شديد حضره عضّ بأطراف الزّبانى قمره

يقول: هو أقلف ليس بمختون إلّا ما قلص منه القمر و شبه قلفته بالزّبانى. و قال آخر:

(إنّـك أقلف إلّا ما جنى القمر) و يقال: من ولـد و القمر فى العقرب فهو نحس. و قال الأصـمعى: إذا عضّ أطراف الزّبانى القمر: فهو أشد ما يكون من البرد.

فصل فيما وضع على ألسنه البهائم

(الأصـمعى) قـال: قيـل للضّـانيه: كيف أنت فى اللّيله القرّه البـارده؟ قـال: أوّله رخالاـ و آخره جفالا- و أحلب كثبا ثقالا- و لم تر مثلى مالاـ- الرّخـال الإنـاث من أولاد الضّأن الواحـد رخل، و الكثبه البقيه من اللّبن، قال ابن الأعرابى: لا أعلم جمعا على فعال إلّا خمسه أحرف: رخال و فرار و توام و ظآر و رباب.

قـال الأصـمعىّ: إنما قيل ذلك لأنّ الإناث أعجب إلى أصـحاب النّتاج من الـذّكور لأنّ الإناث تحبس للغنيه، و الـذّكور تذبـح و تباع، و حكى أنهم يقولون: إذا نتجت أحلبت أى:

أذكرت أم أنأثت، و يقال: للمبعوث فى الههم أحلبت.

و قال الأصمعىّ: العرب تقول المحق الخفى إذكار الإبل، و قال ابن الأعرابى:

و يقولون: الضّـأن تمشـى عجالاـ- و تحتلب علالا- و تجز جفالا- و تنتـج رخالا. و حكى أيضا الضّأن تكسوك و هى رابضه أى لها سمن- و لبن- و صوف- و هى مقيمه، قال: و يقال:

الماعز لبنها رغوه- و شعرها عروه- و قيل: النّعجه مساء أى لا تقدر على احتباس بولها.

قال الأصمعىّ: تقول العرب: الغنم إذا أقبلت أقبلت- و إذا أدبرت أقبلت- و تقول فى الإبل: إذا أقبلت أدبرت- و إذا أدبرت ذنبت رأسا.

و قيـل للمعز: لـك الويـل: جـاء البرد، فقـال: است حجواء- و ذنب ألوى- و الـذئب جفـاء- است حجواء و جحواء: أى بـارزه لا يسترهـا شـى ء. و روى قيـل: للمعز: جـاء البرد، قالت: استى جحوى، و الـذّنب يعوى، فأين المأوى، و البيت الأجهى الـذى لا ستر عليه.

و قيل للمعز: كيف أنت فى اللّيله البارده؟ قالت: الإهاب رقاق- و الشّـعر دقاق- و الذّئب جفاء. و لا بدّ لى من الكن. و قيل للنّاقه: كيف أنت فى اللّيله البـارده؟ قالت؛ أبرك بالعرى- و أوّلها الـذّرى- و يروى: أبرك بالنّحى- و أولاها الـذّرى- و يحمى و زيمه عن أخرى- و قيل:

أطابق شحمه فوق أخرى- و الوزيمه البضعه. و قيل للكلب: أنت فيها قال: أحوى نفسى:

أجعل أنفى عند استى، و يقال: إنّه قال: أحويه أى أجمعه- و أكويه و أجعل طرفه عند فيه-

و يقال: إنه حكى هذا عن الضّب، لأنّه يلوى جحره حتّى يرد آخره إلى ابتدائه، و يجعل أقصاه عند أدناه. اللهمّ اجعلنى أحويه و ألويه حتى أجعل قعره عند فيه.

و يقال: إنّ الضّانيه و المعز خيّرتا فقيل للضّانيه أيّما أحبّ إليك السّتاره- أم الغزاره- فاختارت السّتاره، فسترت و قلّ لبنها و صارت الغزاره للمعز و هتك سترها و كشف فرجها، و مما حكى عن البهائم و إن لم يكن من هذا الباب، قالت الأرانب: اللهم اجعلنى حذمه لذمه أسبق الأكف بالأكمه الحذمه و اللّذمه التى تلزم الأشياء، و قولها أسبق الأكف بالأكمه: فإنها قصيره اليدين، فإذا صعدت فانت و إذا هبطت أدركت. و مما يحكى أنّ الأرنب قال للشّاه: لا عفطت و لا نغطت، فقال العنز: لا مررت إلّا على حاذق قاذق.

الباب الثّالث و العشرون فى حرّ الأزمنه و وصف اللّيالى و الأيام به

قال أبو حاتم: الحر و الحراره- و حر يومنا يحر بكسر الحاء حرا و حراره. قال أبو نصر: قد قيل: يحر و لم أسمعه من الأصمعىّ. و فى القيظ: قاظ يومنا يقيظ قيظا و قد قظنا أى صرنا فى القيظ.

و قالوا: أصفنا نصيف صيفا، و يوم صائف و يوم قائظ، و الحرّه العطش و فى الأمثال:

حرّه تحت قرّه.

و يقال: صمخه الشّمس الخاء معجمه، و صمخه الحر أشد الصّمخ و دمغته الشّمس بحرّها أى أصابت دماغه فهى دامغه، و الدّامغه أيضا: الجلده التى فيها الدّماغ، و تدعى أم الدّماغ، و الجميع الدّوامغ، و أنشد للعجّاج شعرا:

لهامهم أرضه و أفتخ أم الصّدى عن الصّدى و أصمخ

و فتخته الشّمس فتخا مثل دمغته.

و وغيره الغيظ أشدّ الغيظ حرّا.

و الوقده: سكون الرّيح و اشتداد الحر، و يقال: يوم و مد و ليله و مده و أنشد أبو زيد:

قد طال ما حلأتمونا لا نزدفخلّياها و السّجال تبرد

من حرّ أيام و من ليل و مد

قالوا: و الوغره عند طلوع الشّعرى، و قد وغرنا و غره شديده، و غرنا أيضا و غرا، و أوغرنا أصابنا الحر الشّديد و أصابتنا و غرات.

و أصابتنا أكه من حرّ و الأكه الحر المحتدم الذى لا ريح فيه، و يقال هذا يوم آكه بالإضافه، و يوم ذو آكه، و ذو آك، و قد أكت يومنا و أنشد:

إذا الشّريب أخذته آكهفخلّه حتّى يبكّ بكّه

و قالوا فى الأكه: شى ء قليل من سدى.

و العكّه: الرّيح الشّديده مع السّدى و اللّثق الكثير، و هذا يوم عكّه بالإضافه و يوم ذو عكيك، و أنشد أبو زيد:

يوم عكيك يعصر الجلموديترك حمران الرّجال سودا

و قد عكّ يومنا يعكّ عكا و يوم عكّ على الإضافه. و ليله عك، و يوم عك على النّعت، و ليله عكّه كل هذا يقال.

و الأجّه: مثل الوغره و منها الأجيج و النّاجج من النّار و أوار الحر صلاؤه، و شدّته، و كذلك أوار النّار، و يوم ذو أوار و إنّ الحر الشّديد الأوار.

و إذا دنوت من النّار فوجدت حرّها فى وجهك فذاك أوارها و أوار الهاجره و السّموم، و هو ما يصيب وجهك من الحر الشّديد، و أنشد القحيف العامرى:

و لا استقبلت بين جبال بمّ و إسبيذ لها جرّه أوار

فأما قول لبيد:

أسبّ الكانس لم يؤر بهاشعبه السّاق إذا الظّل عقل

قوله: يؤر من الإره و هو مستوقد النّار تحت القدر و غيرها، و يجمع على الإرّات و الأرين، و روى لم ياور، بها، مثل يعوت و يكون من الأوار إلّا غيره.

و حمّاره القيظ أشدّ ما يكون منه يقال: أتيته فى حماره القيظ، و فى حمر القيظ و فى حمره القيظ، و حمر كل شى ء أشدّه. قال أبو حاتم: و سألت الأصمعىّ، هل يقال: حمره الشّتاء فقال: حمره القيظ يعرف، و هاب أن يقال: حمره الشّتاء و الوديقه: شرّ الحر.

يقال: أصابتنا وديقه حرّ، و يوم ذو وديقه بالإضافه، و كذلك إذا دنت الشّمس من الأرض فيقال: و دقت الشّمس، و فلان يأتينا فى الودائق أى فى أنصاف النّهار فى القيظ و أنشد:

أ لم يكن حقا أن يتولّ عاشق تكلّف إدلاج السّرى و الودائق

و صخدان الشّمس: محرك الخاء و مسكنه: شدّه الحر، و يوم صخدان و ليله صخدانه، و قد صخد يومنا بفتح الخاء، و يوم صاخد، و ليله صاخده، و الصّخد مثل الوسد، و يقال:

السّخد بالسين.

و اللّهبه: لهبه القيظ، و يوم ذو لهبان، و يقال: يوم وهجان، و ليله وهجانه و أتيتك فى وهجان الحر، و إنّ يومنا لوهج، و قد وهج يومنا وهجا و توهّج و وهج الحر و توهّج الحر و أنشد:

لقد رأيت الظّعن الشّواخصاعلى جبال تهص المراهصا

فى وهجان بلح له الوصاوصايوما ترى حرباءه محاوصا

يطلب فى الجنفل ظلّا قالصا الجنفل: ما يحفل من السّحاب و الظّل أى أسرع و يروى الجيفل و هو ما تناهى من كل شى ء، و الوصاوص: خرق البرقع الصغير و إنما يفعل ذلك نساء بنى قيس، فأما نساء بنى تميم فتحلّ المرأه برقعها، و منه قول الشّاعر شعرا:

لهو لا بمنحول البراقع حقبهفما بال دهر لزّنا بالوصاوص

و يقال: قابت المرأه برقعها قوبا إذا جعلت لها عينا.

و الوقده أن يصيبك حرّ شديد فى آخر الحر بعد ما يقال: قد أبردنا، و يستنكر الحر فيصيبك الحر بغير ريح و لا سدى فتلك الوقده و الوقدان و قيل الوقده نصف شهر و عشره أيام، و أقلّها سبعه أيّام، فأمّا اليوم و اليومان فلا يعدونه و قده.

و يقال: أصابتنا سبه من حرّ و السّبه نحو من شهر، و نصف شهر، و عشره أيام.

و يقال: احتدم علينا الحرّ و الاحتدام شدّه الحرّ مع همود الرّيح، و لا يقال مع الرّيح احتدم، و يقال: اسم يومنا و أحر إذا كان ذا سموم و حرور.

و اللّفحه: إذ تحرّق جلده، و قد سفعت لونه السّموم.

و ألفحته: و كافحته أى قابلت وجهه ليس بينهما ستره. و منه قيل: كافحت الرّجل و كلّمته كفاحا و أنشد: و لا كافحوا مثل الذين يكافح.

و يقال: أتيته فى معمعان الصّيف و معمان الصّيف، و فى معمعان الحر، و يوم معمعان، و ليله معمعانه و معمعانى و معمعانيه. قال ذو الرمه:

حتّى إذا معمعان الصّيف هبّ له بأجه نش عنها الماء و الرّطب

و الرّمض: شدّه الحر على الأرض، و قد رمض التّراب و رمض الإنسان إذا أصاب جلده الرّمض، و قد رمضت الفصال إذا احترقت أخفافها بحر الأرض، و زعموا أنّ رمضان سمّى بذلك: لأنّهم حين سمّوا الشّهور اشتقوا أسماءها مما يكون فيها، فسمّوا جمادى

لجمود الماء فيها، و رمضان لأنّ الفصال كانت ترمض فيه. و أنشد:

المستغيث بعمرو عند كربته كالمستغيث من الرّمضاء بالنّار

و قيل: الرّمضاء: التّراب الحامى، و يقال: يوم ذو سموم و يوم سموم بالإضافه، و يوم سموم على النّعت. و قد اختلفوا فى السّموم و الحرور، فمنهم من يجعل السّموم بالنهار و الحرور باللّيل، و منهم من يجعلهما على العكس من ذلك.

و الدّفاءه: مهموزه مثل الومده و قد دفى ء يومنا دفاء، و المعتدلات بالدّال غير معجمه أيّام شديده الحر. و كان الأصمعى يقول بالذّال المعجمه، و كان ينشد بيت ابن أحمر:

حلّوا الرّبيع فلمّا أن تجلّلهم يوم من القيظ حامى الودق معتدل

بالذّال (و المعتذلات) نحو من خمسه عشر يوما، و هى أيام الفصل فى دبر الصّيف عند طلوع سهيل.

و قال أبو زيد: (السّكنه) مثل الوقده، و كذلك السّخته، و قال أبو حاتم: هى فارسيه.

قال رؤبه: (و أرض جسر تحت حر سخت) قال أبو زيد: يقال: باض علينا الصّيف، فإن قيل: القيظ و الصّيف واحد، قيل: النّجم و الكوكب واحد و لا يجوز أن يقال: فى عين فلان نجم إنّما يقال: فى عين فلان كوكب. و كلام العرب لا يختلف، و الحره شدّه العطش فى الشّتاء و الصّيف، و مثل العرب: حرّه تحت قرّه فهذا فى الشّتاء و أنشد شعرا:

ما كان من سوقه أسقى على ظمأخمرا بماء إذا ما جودها بردا

من ابن مامه كعب ثم عى به زؤ المنيّه إلّا حره و قدى

زؤ المنيه: قدرها. (و قدى): نعت للحرّه على فعلى و هو من التّوقد، و من أمثالهم:

برد غداه حر غد من ظماء و أصله رجل أراد سفرا فأصبح فرآها بارده فقال: لا أحتاج إلى الماء، فصبّ ما كان معه فلمّا توقّدت الحران عطش، فقال: هذا لقيت منه ما يصر الجندب، أى حرّا شديدا، و فى المثل: علقت معالقها و صرّ الجندب للشّده، و من أمثالهم:

قيل للجندب: ما يصرّك؟ فقال: أصرّ من حرّ غد يضرب لمن يخاف ما لم يقع فيه.

و يقال: يوم ذى شربه أى يشرب فيه الماء الكثير من شدّه الحر، و يقال: يوم و مد و مصمقر و أنشد للمرار العدوى:

خبط الأرواث حتّى هاجه من يد الجوزاء يوم مصمقر

و يقـال: يوم أبت و أمت و حمت و هو مثل الومـد و قـد أبت يومنا و أمت و حمت و أتيته فى حمراء الظّهيره و الظّهيره الخوصاء أشد الظّهائر حرّا و أصله فى النّجوم، يقال: تخاوصت

النّجوم إذا صغت للغروب، و يقال: ظهيره شهباء لبياض غمسها و شرابها. قال عدى بن الرّقاع شعرا:

و دنا النّجم يستقلّ و حارت كلّ يوم ظهيره شهباء

و رددن بالسّماوه حتّى كذبتهنّ غدرها و النّهاء

و قال أيضا: ظهيره غرّاء، و يقال: هذا يوم يرمح فيه الجندب: أى يضرب الحصى برجله، لارتماضه. قال: و يشبّهون الشى ء القليل اللّبث بسحابه الصّيف. قال ابن شبرمه الضّبى:

أراها و إن كانت تحبّ كأنّهاسحابه صيف عن قليل تقشّع

قال الدّريدى: أفره الصّيف: شدّه حر، و أنشد فى شده الحر:

لدن غدوه حتّى ألاذ بخفّهابقيّه منقوص من اللّيل صائف

يصف ناقه ركبت فى الهاجره، و الظّل تحت أخفافها إلى أن صار الظّل كما وصف و يقال: لاذ و ألاذ بمعنى.

و ذكر صاحب العين يوم خدر شديد الحر، و أنشد لطرفه:

و مكان رعل ظلمانه كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر

و يقال: خدر النّهار إذا لم يتحرّك فيه ريح، و لا يوجد فيه روح. و قوله: و إن كان يوما ذا كواكب أشهبا. قال: كان اليوم ذا كواكب من السّلاح و أشهب أى يوم شمس لا ظلّ فيه.

قال آخر: و يوم كظلّ الرّمح و الشّمس شامس، أى طويل لا ظلّ فيه لشدّته، و ظلّ الرّمح يطول جدا فى أوّل النّهار. و أنشد:

و يوم ضربنا الكبش حتّى تساقطت كواكبه من كلّ عضب مهنّد

قوله: تساقطت كواكبه: يعنى به معظم الحر. و أنشد ابن الأعرابى:

قد شربنا بالثّريا حقبهو رقينا فى مراقى السّحق

قال: يطلع الثّريا فى أول حدّ القيظ و فى آخر مطر الصّيف، فربما رؤيت فى الفدين من الماء، فشربنا بالثّريا و استقصينا الجزء إلى آخره، و طلوع الثّريّا أول الجزء، و طلوع الجوزاء آخر انقطاع البقل، و قال: فى مراقى السّحق يريد به: الضّياع. قال الأصمعى: و تقول العرب: استقبال الشّمس داء و استدبارها دواء و أنشد:

إذا استدبرتنا الشّمس درّت متوننا كأنّ عروق الجوف ينضحن عندما

الباب الرّابع و العشرون فی شدّه الأیّام و رخائها و خصبها و جدبها و ما یتّصل بها

الأصمعی: جداع: اسم للسّنه المجدبه علی مثال خدام. و قال أبو حنبل الطّائی:

لقد آلیت أغدر فی جداع و إن منیت أمّات الرّباع

لأنّ الغدر فی الأقوام عارو إنّ الحرّ یجزع بالکراع

و أنشد غیره فی صفه الجدب:

إلی اللّه أشکو هجمه عربیّهأضرّ بها مرّ السّنین النوائر

فأضحت رذایا تحمل الطّین بعد ماتکون غیاث المقترین المفاقر

یصف نخلا أیبسها الجدب، فسقف بها البیوت بعد أن کان غیاثا للفقراء و المحاویج.

و مفاقر جمع فقیر علی غیر قیاس، مثل مطایب الجزور. و أنشد:

یا ویحها من لیلها ما ضمّاضمّ إلیها هقما هقما

أجهد من کلب إذا ما طمّا

یصف امرأه نزل بها ضیف فی لیله مجدبه. و الهقم: الجائع و انهقم جاع و خمص و الهقم: الکثیر الأکل الواسع الجوف. و یقال: بحر هقم أی بعید القعر، و هو یتهقّم الطعام أی یتلقّمه لقما عظاما و أجهد من کلب: أی أجوع، و رجل جاهد: أی جائع شهوان و طم الکلب الشی ء أی اختلسه و مرّ به. و أنشد ابن الأعرابی:

فی روضه بذل الرّبیع لهاو سمّی غیث صادق النّجم

و قال فی صادق النّجم: أراد أن نوءه لم یخلف بل و فی بوعده، و قیل: أراد به ما نجم من النّبات یعنی موضعا معشبا حسن النّبت. و قال أبو عمرو: الهتأه علی وزن الهتعه سته أهلکت کلّ شی ء و یقال: هتأت الثّوب إذا خرّقته.

و يقال: أرمتهم السّنه و الأرم القطع، و يقال: اقتحمتهم السّنه أى حطّهم الجدب إلى الأمصار، و قال آخر:

يا دهر ويحك فأولى ممّا ترى قد صرت كالقب الملح المعقر

و يقال: دفت دافّه و هفت هافّه، و هفت هافيه، و قذت قاذيه إذا أتاهم قوم قد أقحمتهم السّنه من البدو، قوله فى البيت: فأولى مما ترى: أى ارحمنى، يقال: أويت له ماويه و أيه أى: رفقت، قوله: مما ترى أى مما يوجبه و يذهب إليه. و أنشد:

ظلم البطاح له انهلال حريصهو صفا النّطاف له بعيد المناح

هذا روايه المفضل و غيره، و فى روايه ابن الأعرابى: ظلم البطاح له هلال حريصه.

قال: و هو مقلوب، أراد حريصه هلال أى سحابه نشأت فى أول ليله من الشّهر.

و الحريصه: سحابه تحرص وجه الأرض: أى تقشر، و معنى انهلال حريصه انصبابها، و ظلمه البطاح أن تحرف إليها الطّين من غيرها و أنشد:

و له مكارم أرضها معلومهذات الطّوى و له نجوم سمائها

ذات الطّوى: سنه جدبه و الطّوى الجوع، و رجل طيان و انتصب ذات الطّوى على الظّرف. و قوله: و له نجوم سمائها. إذا أخلفت النّجوم فلم تمطر جار هذا الرّجل فكأنّه الأنواء، و كأنّ الأنواء له، و أنشد الطّوسى:

سقى المتدلّيات من الثّريانوء الجوزاء أخت بنى عدىّ

المتدلّيات سحابات دنت من الأرض، و مطرها أكثر، و صوبها أغزر.

قال الآخر: يكاد يدفعه من قام بالرّاح، و الجوزاء قيل: امرأه، و نوؤها موضعها الذى سارت إليه يريد سقى هذا المطر الآتى بنوء الثّريا نوء الجوزاء أخت بنى عدى و نوؤها:

و جهتها التى تنوء بها، و انجر أخت على البدل من الجوزاء و الصفه.

و يقال: اغتفت السّنه بنى فلان، و الغفه البلغه من العيش و أنشد الأصمعىّ إذ بعضهم يغتف جاره.

و الجلبه: السّنه المجدبه و هى الجوع أيضا قال الهذلى:

من جلبه الجوع جيّار و أرزيز، أبو عبيد خطر به الضّيق فى المعاش و الرفاغه و الرّفاغيه و الرّفاهيه و الرّفهنيه مثل البلهنيه.

و يقال: هو فى عيش أغضف- و أغزل- و أرغل- و أوطف- و أهدب- و أزب-

و هلوف- يعنى واسعا و زمانه زمان سلوه و خفض.

و يقال: هو فى رخاخ من العيش، و عيش دغفل- و دغفق- و مدغفق- و رفيغ أى واسع. قال الدّريدى: المدغفق اشتقاقه من دغفق الماء إذا صبّه صبّا واسعا.

قال العجّاج: و إذا زمان النّاس دغفل، فأضافه. قال أبو عبيده: هو فى عيش أوطف- و أغضف- و غاضف- و رافع و عفاهم إذا كان واسعا.

يقال: نحس فى ربيله من العيش أى فى عيش متربل ند. و فى المثل، ليس المتعلّق كالمتأنقّ، يقول ليس من عيشه ضيق يتعلق به، كمن عيشه ليّن واسع يختار منه ما شاء.

و العلقه ما يبلغ به.

و فى الحديث: انّ عبد اللّه بن مسعود كان يقول: إذا قرأت (آل حاميم) صرت فى روضات أتأنّق فيهنّ أى يعجبنى.

و يقال: عيش طان ذو رزغه أى كثير النّدى، و قولهم: طان كقولك: رجل مال.

و يقال: إنّهم لفى غضراء من العيش، و غضاره و قد غضرهم اللّه، و إنّه لذو طره و كلّ ذلك من السّعه.

أبو عمرو: نشأ فلان فى عيش رقيق الحواشى و فى زمان مخضم لا مقضم.

و يقال: نبتت فى زماننا نابته، أى نشأت فيه نشوء صغار. و ما أحسن نابته بنى فلان لأولادهم، و أولاد أولادهم، إذ تناسقوا فى الحسن و الرّضا. و مما يشبه هذا قولهم: بتّ بليله النّابغه يراد قوله:

فبتّ كأنى ساورتنى ضئيلهمن الرّقش فى أنيابها السّمّ ناقع(۱)

و قوله فى موضع آخر:

فبتّ كأنّ العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى و يقشب(۲)

و هذا كما ضرب المثل بصحيفه المتلمس لقوله: و كذلك افتوا كلّ قط مضلّل.

و يقال للّيله التى لا نوم فيها: مات بليله انقذ(۳) يراد به القنفذ، لأنه لا ينام ليله بدلاله قول الأخر:

۱- ناقع: قاتل.

۲- يقشب: يجدّد.

۳- فى القاموس و انقذ كأحمد و قد تدخل عليه ال القنفذ- الحسن النعمانى.

قوم إذا دمس الظّلام عليهم جدحوا قنافذ بالنّميمه تمرع

و يقال: زمان غزير، و عيش غزير أى لا يفزع أهله.

و يقال: عيش رغد مغد. و يقال: عام غيداق، أى كثير الخير، و سيل غيداق و ماء غدق.

الفرّاء: عام أزب: أى مخصب. أبو عبيده: عيش خرم: أى ناعم و هى عربيه و معيشيه رفله.

و يقال: أنت فى عام رخى اللّبن، عريض البطان، أى واسع الخصب و هذا كما يقال:

أصاب فلان قرن الكلأ، أى أنفه الذى لم يؤكل منه شى ء، و وقع فى الأهيغين أى الطّعام و الشّراب، و زمانه زمان الأهيغين.

و المعصب الذى عصبت السّنون ماله.

و يقال: فى عيشه شظف: أى يبس و شده، و قد شظفت يده إذا خشنت.

الأصمعىّ يقال: موت لا يجر إلى عار خير من عيش فى رماق، أى قدر ما يمسك الرّمق.

و يقال: أصابتهم من العيش و الزّمان ضعف- و حفف- و قشف- و ويد- كلّ هذا من شدّه العيش.

و قال يعقوب: بنو فلان فى ويد أى فى ضيق، و كثره عيال، و قلّه مال، و هو فى رتب من العيش: أى غلظ.

الأصمعى: عيش مزلج أى مدنق.

و يقال: أصابتهم الضّبع أى السّنه، و قد كحلتهم السّنون: أى اشتدّت عليهم و أنشد:

لسنا كأقوام إذا كحلت إحدى السّنين فجارهم تمر

أى يأكلون جارهم. و قال سلامه بن جندل:

قوم إذا صرحت كحل بيوتهم عزّ الذّليل و مأوى كلّ قرضوب

و أصابتهم أزمه و أزبه و لزمه. و حكى الأصمعى: أزمت أزام و أنشد:

أهان لها الطّعام فلم تصفه غداه الرّوع إذا زمت أزام

و دعاء النّبى صلى اللّه عليه و سلم: «أشدد وطأتك على مضر و اجعل سنين كسنى يوسف» فاستجاب اللّه دعوته حتى أكلوا العلهز.

و السّنه: الشّهباء البيضاء من الجدب. و قال ابن الأعرابى: الّتى ليس فيها مطر، و قال هى الشّهباء ثم البيضاء ثم الحمراء، فالشّهباء أمثل من البيضاء و الحمراء شرّ من الجميع.

و سنه غبراء: و قماء و كهباء و الكهبه كدره فى اللّون.

و عام مجوعه و مجاعه، و سنه جداء، و حجره و رملاء.

و عام الرّماده: و سنه و سنه و عام سنيت و مسنت و سنه جالفه بالمال.

و الرّماده: سنه المحل، و قد أرمدوا.

و سنه محارده: من حراد النّاقه إذا قلّ لبنها.

و يقال: عام أرمد فى قله الخير، و أبقع أى بقع فيه المطر فى مواضع و لا يعم. و أحرج و أسهب، و كلّ هذا فى قله الخير.

قال أبو يوسف: سمعتهم يقولون: حراميس واحدها حرمس. و يقال: هذه السّنه ذات فحم عظام، و يقال: أزمتهم السّنه أى دقّتهم، و الأزم العض.

و سنه حصّاء: لا نبت فيها، و امرأه حصاء لا شعر عليها.

الفرّاء: عام أرشم: قليل النّبات. و البوازم الشّدائد الواحده بازمه، و أنشد:

و نحن الأكرمون إذا غشيناعياذا فى البوازم و اعتزازا

و قال:

و ما أخذ الدّيوان حتّى تصعلكازمانا و حتّ الأشهبان غناهما

فى سنتين لا خير فيهما. و قال آخر:

رأت مرّ السّنين أخذن منّى كما أخذ السّرار من الهلال

و يقال: ثلمه ثلم المحاق جانب الهلال، و يقال: مطر مريع، و أنشد متمم بن نويره:

تقى اللّه أرضا حلّها قبر مالك ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا

و قال آخر:

و يقيم فى دار الحفاظ بيوتنازمنا و نظعن غيرنا للأمرع

و حكى ابن الأعرابى: أ لا صبّحته صباحا حازرا؟ و الأصل فى الحازر: اللّبن الحامض.

يقال: أمد الخصب قريب على النّعال. قال: و سأل الحجّاج بن يوسف الحسن عن أشياء، فأجابه ثم قال له: كم أمدك؟ قال: سنتان من خلافه عمر، يعنى عمر بن الخطّاب، فقال: و اللّه عينك أكبر من أمدك. الأمد العمر أى ما بدا منك أكثر مما غاب. و أنشد:

لنا فى الشّتاء جنه يثربيّهمسطّعه الأعناق بلق القوادم

قوله: مسطّعه من السّطاع سمه على عنق البعير، يقول: إذا كثرت الريّاح ظهر السّواد و إذا كثرت الأمطار ظهر البياض، يعنى اللّبن و التمر. و أنشد:

أغث مضرا إنّ السّنين تتابعت علينا بدهر يكسر العظم جابره

يقول: نحرنا إبلنا بعد أن كنّا نثمرها و نرعاها، و أنشد يعقوب:

إنّ لها فى العام ذى الفتوق و زلل التيّه و التّصفيق

رعيّه رب ناصح شفيق

الزّلل التّباعد و النّخعه(۱) و يقال: أفتقنا إذا لم يمطر بلادنا و مطر غيرها.

ابن الأعرابى: يقال للزّمان السّليم من الآفات ركوض فى غير عروض و أصله ناقه لا عرضه فى مرّها، قال: و يقال هذا فى الطّاعه الحسنه التى لا يثبتها ما يفسدها.

و يقال: و قره الدّهر و قره: استكان منها و أنشد:

حياء لنفسى أن أرى متخشّعالو قره دهر يستكين وقيرها

و قال آخر:

و خفت بقايا النقى إلا قصيّهقصيد السّلامى أو لموسا سنامها

يصف زمن جدب و القصيّه من الإبل: التى تقصى عمّا يفعل بالإبل و القعيه أيضا:

الخيار الكريمه و القصد السّمينه، و يقال: كذا و كذا حين لعق اللّبن بالصّوف، و هذا كنايه عن الجدب، لأنه إنما يلعق اللّبن بالصّوف فلا يمكن شربه. قال:

فلا تحسبنّ الغزو لعقا بصوفهو شريك ألبان الجداد الغوابر

و الجداد: جمع جدود و هی من الغنم و الحمير التى بها بقيه من اللّبن غير كثير، و مثل الجداد الجدائد، قال أبو ذؤيب:

و الدّهر لا يبقى على حدثانه جون السراه له جدائد أربع

١- فى القاموس فى(نخع) و الرجل عن أرضه بعد ١٢ المصحح.

و يقـال: كـان فى الأـرض تقـاطير غيث إذا كانت بها أمطار قليله فى كلّ ناحيه قال أبو على: قال الضّبى و الغنوى: يقال: أقاطير و تقاطير من الرّبيع، و قال طفيل:

أرى إبلى تأتى الحياض و آلفت تقاطير وسمى و إحناء مكرع

و يقال للرّجل إذا ظهر بوجهه بثور، ظهر به تقاطير الشباب، و حكى أنّه سئل أبو العبّاس ثعلب عن قول بشّار:

إذا ما غضبنا غضبه مضرّيههتكنا حجاب الشّمس أو قطرت دما

فيقـال: معنـاه حاربنـا حتى لم يكن حرب، فلم يكن للشّـمس حجاب، و حجابها الغبار قال السائل: فرددته على أبى العبّاس المبرّد فقال: ما يدرى الخرنوبى ما هذا إنمّا يقال:

اشـتدّت الحرب أوّلا، ثم سـعينا بينهم فأصلحنا ما فسد فسقط الغبار فكأنّهم هتكوا حجاب الشّمس، قال فعدت إلى ثعلب فأوردت عليه، فقـال: ما للخلـدى و لهـذا، خـذ ما أقول، قال أبو عبـد اللّه الطّوال و الأموى هتكنا حجاب الشّـمس معناه خلّينا عن أنفسـنا و تركناها لها ذكرا واضحا كوضوح الشّمس بفعلنا، و قوله: أو قطرت دما، كما يقال: كان ذلك فيما مطرت السّماء دما أى لم يكن يلتفت إليه، قـال: و مـا سـمعته فى الأبيـات إلّـا من ابن الأـعرابى مـا سـمعت كان ذلك، فمطرت السّـماء دما إنمّا يقال فى النّعى، فرجعت إلى المبرد، فقال:

هؤلاء أعلم منه و حقط و حقل حين عدت إليه و تركنى، و دخل داره، و يقال: بات بليله سوء من اللّيالى الشّوامت.

قال النّابغه:

فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشّوامت من خوف و من صرد

أى ما أطاع الأعداء و سرّها و فسّر بعضهم على أن الشّوامت فى البيت هى القوائم و المعنى بات له ما أطاع الشّوامت لأنّها عبدت طول اللّيل.

و قـال أبو زيـد: يوم أرونان و قسـقاس و قسـى و عصـبصب و عصـيب و قماطر و مقمطر و عماس. و قال الأصـمعى: من العماس قولهم: أتانـا بمعمسـات أى أمور علويـات خفيّـات، و قال الخليل: العماس كلّ ما لا يقام له، و يوم عماس و عموس و قـد عمس عماسه و عموسا.

و يقـال: يوم باسل: و مفلق و فلق و ذكر و مـذكر و أشـتع و أشـهب و مظلم و ذو كواكب، و يوم معمعانى و أرونانى بعيـد ما بين الطّرفين، و قال بعضهم: يوم أرونان شديد صعب و لا فعل له و ليله أرونانه. قال الجعدى:

و ظلّ لنسوه النّعمان منّاعلى سفوان يوم أرونان

و يقال: يوم أروناني و ليله أرونانيه، و قال أبو عبيده و أبو زيد: كلّ هذا بوصف الشّديد من القتال و البرد و البلاء و الخوف.

و يقال لهم؛ يوم عربسيس، و أخذ القوم طريقا عربسيسا لما فيه من الخوف و العطش و المشقّه، و إذا عظموا الأمر على إيهام فى الوصف، قالوا: كان ما لا يحد يوم أيوم، و ذا كان ذلك ليلا قالوا: ليل أليل، و يقال: أطول اللّيالى يدعى ليل التّمام.

و يقال: جاء من الطّيخه أى الفتنه و الحرب المطيخ الفاسد.

و يقال: هذا دهر حول قلب أى كثير التّحول و التّقلّب.

و يقال: ليل ذو كئود قال: يدر عن اللّيل ذا الكئود.

قال أبو زيد: سمعت أعرابيا فصيحا يقول: إذا أجدب النّاس أتى الهاوى و العاوى.

الهاوى: الجراد، و العاوى: الذّئب. قال الدّريدى: الخجل سوء احتمال الغنى، و الدّقع سوء احتمال الفقر. و فى الخبر عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال للنّساء: «إنكّن إذا جعتنّ دقعتنّ و إذا شبعتن خجلتنّ» و أنشد:

و لم يدفعوا عند ما نابهم لصرف الزّمان و لم يخجلوا

و يقال: جاحه الدّهر و اجتاحه و عسره الزّمان أى اشتدّ عليه و مثله: استحصف و يقال:

أشاربهم لمع الأصم، و حكى بات فلان ليله ابن أفلس أى ليله شديده، قال و مثله و ليله دعشقه.

و يقال: ما رأينا العام قابه من المطر، و الارعفاء أى مطرا، و هذا مأخوذ من الرّعاف، قال أبو العبّاس ثعلب: لم يأت برعف، غير ابن الأعرابى و يقال فى شهره اليوم: يوم أغر محجّل.

قال أوس:

و أنت الذى أوفيت فاليوم بعده أغرّ ممسّ باليدين محجّل

و يقال: سنه قاشوره أى تقشر كلّ شى ء و يقال: أصاب النّاس شراسيف أى أصابهم أوّل الشّده، فأمّا قولهم: بات فلان بليله انقد فالمراد الشّده قال الطّرماح:

و بات يقاسى ليل انقد دائباو يحذر بالحقف اختلاف العجاهن

و انقد الشّيهم و فى المثل: أسرى من انقد و يقال: ابن انقد أيضا، و العجاهن قال: ابن السّكيت: هو الطباخ، و قال الأعشى:

لعمری لئن جدّت عداوه بینناالترتحلن منّی علی ظهر شیهم

و قال عمرو بن قمیئه:

إنّی من القوم الذین إذالزم(۱) الشّتاء و دوخلت حجره

و دنا و دونیت البیوت له و ثنی فثنی ربیعه قدره

وضع المنیح و کان حظّهم فی المنقیات یقیمها یسره

و أنشد أبو العبّاس ثعلب عن الأصمعی و غیره:

سقی سکرا کأس الذّعاف عشیهفلا عاد مخضر العشب جوانبه

قال و السکر اسم جمله، و إنّما یدعو علی واد، رعاه جمله فأصاب من النّشر فمات و قال الهذلی:

و حبسن فی هزم الضّریع فکلّهاحدباء دامیه الیدین حروذ

یصف إبلا بسوء حال، و الهزم ما یهزم من النّبات و یحطم، و الضّریع نبات غیر طائل.

قال أبو عبیده: الضّریع عند العرب: یابس العشرق، و هو یؤکل و لکنه کما قال اللّه تعالی:

لاٰ یُسْمِنُ وَ لاٰ یُغْنِی مِنْ جُوعٍ [سوره الغاشیه، الآیه: ۷] و هو من نبات الحجاز، و الشّبرق ما دام غضّا نوره حمراء. قال الهذلی یصف قوما قتلوا:

تری القوم صرعی حثوه أضجعوا معاکأنّ بأیدیهم حواشی شبرق

و قیل: الخیف الحناتم ماء النّشر. قال ندی السّماک فی قصب الوسمی. و ذلک أنّ السّماک یسقط و قد انفسخ القر، و هاجت الأرض فی بلاد العرب، و فی عروق الشّجر بقیه من ثری الوسمی، فیسقط السّماک لتسع خلون من نیسان، فیصیبه مطر السّماک فیخیر نبته، و نبت فیه الرّطب، فذلک النّشر تراه خضره علی بیاض، و هو السّم الرّغاف. قال أبو محلم:

سمعت أبا زید العکلی یقول: هو السّمّ السّاکت.

۱- بعض النسخ: أزم.

الباب الخامس و العشرون فی أسماء الشّمس و صفاتها و ما يتعلق بها

الباب الخامس و العشرون فی أسماء الشّمس(۱) و صفاتها و ما يتعلق بها

قال أبو حاتم: يقال للشّمس الجونه- و الجاريه- و العين- و الماوبه- و هی من التأويب و هو سير النّهار كلّه يقال: آب و تأوّب بمعنی. قال النابغه:

تطاول حتّی قلت ليس بمنقض و ليس الذی يتلو النّجوم بآئب

فسّره ابن الأعرابی علی ذلک، لأنّها تسير آئبه أبدا ما بينها ما بين المشرق إلی المغرب تدأب يومها فتئوب المغرب مساء.

و يقال لها السّراج- و الضّح- و ذكاء- و قد أشمس يومنا: إذا اشتدّ حرّ شمسه، و يوم مشمس- و شامس- و شمس لی فلان إذا بدت عداوته. و قال الخليل: الشّمس- عين الضّح- و به سمّيت معاليق القلاده، و قيل هو من المشامسه لأنّها نحس فی المقارنه و إن كانت سعدا فی النظر.

و قال التميميّون: الجونه- الشّمس حين تسودّ و تدنو من الغيوب لا يقال لها الجونه إلا علی هذه الحال و أنشد أبو حاتم:

تبادر الآثار أن تدأباو حاجب الجونه أن تغيّبا

و أما الجاريه- فمن قول اللّه تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها [سوره يس، الآيه: ۳۸] و هی تجری من المشرق إلی المغرب- و السّراج من قوله تعالی: وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۱] و قال: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [سوره نوح، الآيه: ۱۶].

و يقال: دلكت الشّمس دلوكا- و دلوكها: اصفرارها عند غيوبها.

۱- قال فی كنز المدفون أسماء الشّمس الغزاله- البيضاء- يوح- الجاريه- العين- الجونه- السّراج- يوح الاهه- الضّحی- الضح- الشّرق- حناذ. الزبرقان ۱۲ القاضی محمد شريف الدين عفا عنه.

و قال ابن عباس: لدلوك الشّمس- أى لزوالها الظّهر و العصر. قال:

شادخه الغرّه غرّاء الضّحك تبلج الزّهراء فى جنح الدّلك

فجعل الدّلك غيبوبه الشّمس. و روى عن أبى عمرو أنّ دلوكها زوالها و اللّه أعلم.

و يقال: رهقتنا الشّمس إذا دنت. و منه غلام مراهق: إذا دنا الاحتلام.

و يقال للسّيد و هو مرهق النّيران: أى يغشاه الأضياف. و غلام فيه رهق أى غرامه و فى القرآن: فَزادُوهُمْ رَهَقاً [سوره الجن، الآيه: ۶] أى مكروها.

و قال أبو زيد: براح بفتح الأول و كسر الآخر اسم للشّمس مثل: قطام و أنشد:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتّى دلكت براح

و قال الأصمعىّ: ليس الروايه كذلك إنّما الرّوايه دلكت براح بكسر الباء، و هو جمع راحه و هو أن ينظر إليها عند غيوبها يستشفها، يضع يده على جبينه يستكف بها حتى ينظر تحتها. و قال العجّاج:

أدفعها بالرّاح كى تزحلفارحاه عان تحتها تصدّفا

و زعم أنّه يطلب أسيرا له و قال: و سمّيت بذلك لأنها تسود حين تغيب- و الجون الأسود، هذا قول الأصمعى، و قال غيره: الجون يكون الأبيض أيضا قال: و عرض أنيس الحرمى على الحجّاج بن يوسف درع حديد و كانت صافيه، فجعل الحجّاج لا يرى صفاها، فقال له أنيس: إنّ الشّمس جونه أى شديده الضّوء قد غلب ضوؤها بياض الدّرع- و الجونه اسم للدّرع ذكره الأحمر و غيره. قالوا: و يقال لا أفعله حتّى تغيب الجونه.

و قال بعضهم: معنى براح أى أستريح منها فذهبت، و قيل أيضا: راح هاهنا موضع.

و حكى قطرب: دلكت براح بالضّم و (لعاب الشّمس) أن يرى فى شدّه الحر مثل نسج العنكبوت أو السّراب ينحدر من السّماء و إنّما يرى ذلك عند نقاء الجو، و سكون الأرواح و اشتداد الحر. و أنشد شعرا:

هممن بتغوير و قد و قد الحصى و ذاب لعاب الشّمس فوق الجماجم

و أنشد ابن الأعرابى:

و ذاب للشّمس لعاب فنزل و استوقدت فى غرفات كالشّعل

قال الدّريدى: لعاب الشّمس بلغه اليمن الوهر. و يقال: وهر يومنا يوهر وهرا فأقرن

الشّمس فحد ذرورها حين تذر قرونها و قرونها: نواحيها، و يقال: طلع قرن من قرونها أى:

ناحيه من نواحيها.

و عين الشّمس شعاعها الذى بهرك إليه. و قال ابن السّكيت: عين الشّمس رأسها و وجهها و قرونها نواحيها. قال:

فما أن ذرّ قرن الشّمس حتّى طرحن سخالهنّ و صرن آلا

و الضّح: الشّمس يقال: لا تجلسوا فى الضّح أى فى الشّمس، و قد ضحى فلان فى الضّح أى برز للشّمس يضحى ضحوا، و يقال: شد ما ضحوت للشّمس أى طال بروزك لها و يقال: ضحى الرّيح و ضحى لى إذا خرج من بيته فبرز لك. قال أبو حاتم: لا ثبت عندى ضحيت للشّمس و ليس فى قوله تعالى: وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى [سوره طه، الآيه: ۱۱۹] بيان ضحيت من ضحوت لأنّ قوله: تضحى يجوز أن يكون مستقبل ضحا. و قد قال قائل:

ضحيت له كى أستظلّ بظلّه إذا الظّل أضحى فى القيامه قالصا

فقال أبو حاتم: الذى يقول هذا لا يجوز قوله قمه رأسه، و من كلامهم جاء بالضح و الرّيح، أى جاء بالشّى ء الكثير أى ما طلعت عليه الشّمس و بزغت. و الذّرور: أول طلوعها و بزوغها و طلعت تطلع طلوعا و مطلع الشّمس بالكسر المكان الذى تطلع منه.

و قال الأصمعى: شرقت الشّمس تشرق شروقا إذا طلعت، فإذا أضاءت جدا قلت:

أشرقت، قال اللّه تعالى: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها [سوره الزّمر، الآيه: ۶۹] و يقال:

أشرق وجهه: إذا أضاء و استنار.

و يقال: آتيك كلّ يوم طلعت فيه الشّمس، و شرقت، و آتيك كلّ شارق و الشّرق زعموا أنه الشّمس، يقال: آتيتك كلّ يوم طلع شرقه، و قد طلع الشّرق و لا يقال غاب الشّرق.

و المشرق: المطلع. قال أبو يوسف: شرقه الشّمس موقعها فى الشّتاء، فأمّا القيظ فلا شرقه له. و الشّعاع: ضوء الشّمس و المطلع بفتح اللام الطّلوع، لذلك قرأ القراء: حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [سوره القدر، الآيه: ۵] و مغربها حتّى تغرب فيه غروبا، و يقال: غابت الشّمس غيبوبه و غيوبا، و قد وجبت الشّمس وجوبا إذا غابت، و كسفت الشّمس كسوفا و ذلك ذهاب ضوئها و شرقه الشّمس: موقعها فى الشّتاء و دفوؤها و لا يقال لموقعها فى القيظ: شرقه، و يقال: أقعد فى الشّرق و فى الشّرقه و فى المشرقه سواء.

و حكى أبو عمرو: الشّرق الشّمس، و الشّرق بالكسر: الضوء الذى يدخل من شق الباب. و منه خبر ابن عباس أنّه قال: فى السّماء باب للتّوبه يقال له الشّريق و قد ردّ حتى ما

بقى منه إلا شرقه. و حكى بعضهم: الشّرق الشّمس التى تكون فى المقابر بعد العصر، و جاء فى المسند: أنه ذكر الدّنيا فقال صلى اللّه عليه و سلم: «إنّه بقى منها كشرق الموتى».

قال ابن الأعرابى: يحتمل وجهين: أحدهما: أنّ الشّمس فى ذلك الوقت إنما تلبث ساعه ثم تغيب، فشبّه ما بقى من الدّنيا بذلك. و الوجه الآخر: يشرق الميت بريقه عند خروج نفسه، فشبّه قله ما بقى من الدّنيا بما بقى من حياه الشّرق بريقه.

و يقال: ما بقى من النّهار إلا شفا، و الشّفاء بقيه الشى ء، و أتيته بشفا أى بشى ء من ضوء الشّمس، و يقال: شفّت الشّمس بالتّشديد أى غابت إلّا يسيرا منها.

و قد طفلت الشّمس: إذا دنت للغروب، و أتيتك طفل الشّمس، و فى طفل الشّمس، و قال أبو حاتم و أنشدنا أبو زيد شعرا:

قد ثكلت إحدى بنى عدىّ أحبّها فى طفل العشىّ

إن لم يثبت وصل قبل الرّوى و طفلت الشّمس أى جنحت و مالت للغروب و قد صغت الشّمس إذا اصفرّت كان لها صلابه.

و أدنفت: و ازدنفت و دنفت و هذه وحدها عن أبى عبيده إذا همّت بالمغيب، و غارت و آبت و ألقت يدا فى كافر و رجفت. و يقال: مغرب الشّمس و مغربان الشّمس و مغيربان الشّمس. و يقال: على الأرض غيابات الطّفل و قد أرهقت أى دنت للمغيب. و أنشد فى قوله:

دنفت و الشّمس قد كادت تكون دنفا

و حكى الغزاله فى أسماء الشّمس لدوران قرصها فى مرأى العين. و منه المغزل و مغازله النّساء لأنّهن عند المراوده كأنّهنّ يدرن فى أفانين الحديث. و قال أبو حاتم: ليست الغزاله من أسماء الشّمس، إنّما الغزاله الضّحوه و أنشد لذى الرّمه شعرا:

فأشرقت الغزاله رأس حوضى أراقبهم و ما أغنى قبالا

أراد أشرقت فى الغزاله أى فى ذلك الوقت و أنشد أيضا:

أسوق بالقوم غزالات الضّحى

و يقال: أتيتك بوجه النّهار و بشباب النّهار و هى الغزاله الكبرى. قال ذو الرمه:

توضّحن فى قرن الغزاله بعد ماترشّفن ذرّات الرّهام الرّكائك

و هذا حجه فى تثبيت الغزاله اسما للشّمس. و كذلك رأد الضحى- و رونق الضّحى-

و فى تلع الضّحى. و أتيتك حين تلعت الضّحى- و أتيتك مدّ النّهار.

و كذلك ضحوه و ضحى و الضّحاء الأكبر ممدود مفتوح مدّ النّهار الأكبر، و ذكاء: اسم للشّمس معرفه غير منوّنه، و طلعت ذكاء، و من أمثالهم؛ أضاءت الذّكاء و انتشر الرّعاء.

قال الشيخ: و حكى عن المبرّد أنّه قال: ابن ذكاء هو القمر، لأنّ له بصيصا كبصيص الشّمس، و روى عن ثعلب أنّه قال: بعض العرب يجعل ابن ذكاء النّهار و نبت ذكاء الشّرقه، و هو ضوء الشّمس، و يقال للصّبح ابن ذكاء و أنشد فيه:

و ابن ذكاء كامن فى كفر. أى فى ليل يستره و أنشد:

فى ليله كفر النّجوم غمامها. أى غطاؤها و يقال لحسنها: عب الشّمس، عب مخفّف مثل دم، و قال الذّئرى:

و ليس بموتيك الذى أنت مغرم بتسآله ما أبرق ابن ذكاء

و إياء الشّمس: بياضها و الإياء أيضا أيا النّبت حسنه و زهرته، و قال الشّاعر، فمدّ الإياء و كسر الألف شعرا:

تنازعها لونان ورد و حوّهترى لإياء الشّمس فيه تحدّرا

و قالوا: إياء الشّمس: شعاعها. قال طرفه: سقه إياه الشّمس إلا لثاثه. قال الشّيخ:

بعضهم يثقل عب الشّمس فيقول: هذه عب الشّمس، و العب أيضا البرد، و فى المثل أبرد من العب، فمن شدّد الباء يجعله من العباب، و هو معظم الشى ء أى أعظمه. و من خفّف الباء جعله منقوصا كدد من ددن.

و يقال للصّبح: ابن جلا، كما قال: أنا ابن جلا و طلّاع الثّنايا. أى أنا منكشف الأمر، و جلا فعل فى الأصل و حكى لقبا كما قيل: تأبط شرا و قد جعل لقبا فحكى.

و قال قطرب: العب مثل الدم بتخفيف الباء و هو ضوء الشّمس و حسنها يقولون عب شمس و من ثقل قال هذه عب الشّمس و رأيت عبّ الشّمس يريد عبد الشّمس فأدغم الدال فى الشّين كما قيل ثلث الدّرهم، فيدغم الثّاء فى الدّال، و قال بعضهم: يقول هو عبّ الشّمس فيفتح فى كلّ وجه و قال:

إذا ما رأت شمسا عب الشّمس شمّرت إلى رملها و الجلهمىّ عميدها

و شعاع الشّمس و شعاعتها و شعّها ضوؤها و أشعّت الشّمس انتشر شعاعها، فإذا طال النّهار و قيل: تمطّى النّهار و امتدّ وا معط و متع متوعا.

و يقـال: بقى علينـا ريم من النّهـار للسّاعه الطويله و نهار ريم أيضا فإذا انتصف النّهار فهى ظهيره، و ظهر و هجير و هجر، و وديقه حين هجم المقيل و انحنى للتّغوير. و الشّمس فى كبيدات السّماء إذا توسّطت و عوّمت و دوّمت و حلّقت.

و يقال: زالت الشّمس زوالا و زالوا فى التفرقه زيالا قال:

نعى حجشانها نجم دفوءخليط لا ينام على الزّيال

و الظـلّ: يكون ليلا و نهارا، و لا يكون الفى ء إلا بالنّهار، و هو ما نسـخته الشّـمس ففاء أو كان من النّهار فلم تنسـخه الشّـمس، و الفى ء هو التّبع أيضا. قالت الجهينه:

ترد المياه خصيره و بقيضهورد القطاه إذا استمال التّبع

و إذا لم يكن فى ء و لا ـ ظـل قيـل: (الظّـل طباق الخف) و إذا ارتفع إلى موضع العقال من ساق الشجره فنسـخ الفى ء إلى ذلك الموضع قيـل: (قـد عقـل الظّـل) فـإذا صـفا، أى زاد على طول الشّخص قيل: قـد فاء الفى ء و الظلّ الضّافى الطّويل، و يقال للظّل الكثيف ظلّ المى.

و يقال للمكان الذى لا تقع فيه الشّـمس: (مقناه) و مقان جمع، و الذى تصـيبه الشّـمس مضـحاه و الجمع مضاح. و يقال للشّـمس المهاه. قال أميه بن أبى الصّلت شعرا:

تم يجلو الظّلام ربّ رحيم بمهاه شعاعها مستنير

و أصل المهاه البلوه.

و يقال للشّمس الإلهه. قال التميمى:

تروّحنا من اللّعباء قصراو أعجلنا الإلهه أن تئوبا

و يقال: الآهه فيصـير كالعلم، و ذكر قطرب أنّ الإلهه من أسـماء السّـماء و الفتح فى همزتها لغه و اشـتقاقه من لفظ إله لأنّ كل ما رغب فيه إلى اللّه تعالى يطلب من جهه السّماء.

و يقال للشّمس البيضاء و طلعت البيضاء و لقيته فى الصّفراء أى حين اصفرت الشّمس.

و قال الأصمعى: روى عن ابن الزّبير أنّه قال فى كلام له: البوح يعنى الشّمس قال:

و لم أسمع البوح إلا فى كلامه. قال ابن الأعرابى: العرب تقول استدبار الشّمس مصحه.

و أنشد:

إذا استدبرتنا الشّمس درّت متوننا كأنّ عروق الجوف ينضحن عندما

درّت يعنى لانت، و روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: «استدبروا الشّمس و لا تستقبلوها فإنّ استدبارها دواء، و استقبالها داء».

و يقال: ضرعت الشّمس إذا غابت، (و زبت و أزبت) إذا دنت للمغيب. قال الدّريدى:

صرعت غير معجمه. و يقال: سقط القرص. و يقال: ما بين المشرقين مثل فلان أى بين المشرق و المغرب.

و حكى بعضهم: التّغوير بالنّهار من آخره بإزاء التّعريس و هو النزول باللّيل من آخره.

(و القسطلانيه) نداءه الشّفق أو نداءه قوس قزح. و يقال للّذى يسمّى قوس قزح القسطلانى بالضمّ.

و قال الدّريدى: أهل المدينه يسمّون الهباء الذى يدخل من ضوء الشّمس إلى البيت:

خيط باطل. قال الشّيخ: أخبرنى أبو أحمد الحسن بن عبد اللّه العسكرى قال: أخبرنى أبو عمرو غلام ثعلب عن ابن الأعرابى و عن عمر بن أبى عمرو عن أبيه و ابن نجده عن أبى زيد قال: يوح اسم للشّمس و من رواه بالباء فقد صحّف- و ذكاء- و العروج- و المهاه- و العبوريه- و البتيراء- و الجونه- و الفين- و المأوبه- لأنها آئبه أبدا و تأويبها: سيرها من المشرق إلى المغرب- و السّراج- و الضّح- و الأهه بالضّم- و الأهه بالفتح و روى قطرب الإهه بالكسر و الأهه بالضم. قال ثعلب: الضّم أفصح و العمل عليه.

من أسماء الشّمس: الغوره لأنّها تغور- و أم شعله- و أم النّجوم- و الغراه- و الهاله- و أنشد:

منتجب كأنّ هاله أمّه ضعيف الفؤاد ما يعسّ بمعقول

منتجب هاهنا مفتخر أى يتخيّر و ينتجب ما يفتخر به علينا و هو جبان فى نفسه.

و حكى المفضّل: (الحومانه) الشّمس.

و يقال: سفرت الشّمس طلعت، و أسفرت أضاءت مثل و أشرقت و قيل هما لغتان.

و أنشد ابن الأعرابى:

بيضاء شطّت مزارهابلسنا إن سفرت أسفارها

فأتى باللّغتين جميعا و أنشد أيضا:

كأنها الشّمس إذا ما تسفرو الشّمس منها يوم دجن أسفر

أى تضى ء منها الشّمس يوم الدّجن. و أنشدنا أبو أحمد العسكرى قال: أنشدنى أبو عمر الزّاهد عن ثعلب عن ابن الأعرابى:

و جاريه رفعتها لأنالهايكفى عن خرجاء يهفو رواقها

قال: الجاريه هاهنا الشّمس، و الخرجاء: عين الشّاعر لأنّها ذات لونين. و أنشد عن

ثعلب عن ابن الأعرابى:

و معموله إن زدت فيها نقصتهاو إن نقّصت زادت على ذاک حالها

قال: يريد الكوّه التى تكون فى السّقف مدخلها ضوء الشّمس كأنّه حبل ممدود و لذلک سمّى ذلک الضّوء خيط باطل، لأنّ ما تراه فيه إذا قبضت عليه لم يحصل فى يدک منه شى ء، و قوله: إن زدت فيها نقصتها أى إن زدت فى جسمها نقصت من ضوئها فهكذا حالها. و أنشد ثعلب عن ابن الأعرابى:

و الشّمس معرضه تمور كأنّهاترس تغلّبه كمى رامح

قال الشّيخ: أظنّ أن ابن المعتز أخذ قوله من هذا:

و مصباحنا قمر مشرق كترس اللّجين يشقّ الدّجى

مخاط الشّمس، و مخاط الشّيطان جميعا.

و يقال: ركدت الشّمس و هو غايه زيادتها، و قسبت الشّمس تقسب و صفت تصفو صفوا، و كلّ هذا فى معنى الرّسوب. و قال أبو النّجم: صفواء قد همّت و لمّا تفعل.

و يقال: قنب يقنب قنوبا و ذلک إذا لم يبق منها شى ء و أنشده شعرا:

مصابيح ليست باللّواتى تقودهانجوم و لا بالآفلات الدّوالک

يقال: أفلت الشّمس: إذا غابت، و الأفول يستعمل فيها و فى غيرها، و كذلک البزوغ و هو الطّلوع قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَفَلَتْ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۸] فى الشّمس و فلما أفل فى القمر.

و حكى قطرب: جئتک غبه الشّمس أى عند مغيبها كأنه قلب، فقدم الباء قال: و قالوا:

شمسنا و شمسنا أى أوذينا بحرّها و أشمسنا صرنا فى حرّ الشّمس و شمس يومنا و شمس و أشمس.

يقال: أزبت الشّمس و زببت و زبّت إذا دنت للمغيب.

و يقال: انصلعت انصلاعا و هو تكبّدها وسط السماء، و صلاع الشّمس حرّها، و قال:

حرّ الظهيره تحت يوم أصلع، و حكى أبو عمرو: العباء أنوار الشّمس.

و يقال: قصبت الشّمس و ذلك إذا بدا قصبها فى عين النّاظر إليها. و ذكر فى أسماء الشّمس قطيفه المساكين و ما أظنه إلا من وضع العامه.

و حكى أبو حنيفه: الشّرق الشّمس، و يقال: أتيتك كلّ يوم شرقه أى شمسه و طلع

الشّرق، و لا يقال: غاب الشّرق. و ذكر قوله: و همت الجونه أن تصوما، و معنى صوم النّهار أنّ الشّمس إذا توسّطت السّماء نصف النّهار كأنها تقف أ لا تسمع قوله:

و الشّمس حيرى لها فى الجوّ تدويم

. و حكى أبو حنيفه أنّ الإلهه تأنيث إله، و أحسب أنّ الشّمس سمّيت بها لأنّه كانت تعبد.

قال: و النداءه قوس المزن و أكثر ما يكون فى الوسمى و الصّيف و قيل: بل هى الحمره العارضه فى مطلع الشّمس و مغربها إذا عرضت.

و يقال: سبأته الشّمس و النّار و الحمّى إذا غيّرته، و كذلك السّفر يسبأ الإنسان. و حكى ابن الأعرابى أنّك لتريد سبأه أى سفرا، و قال سربد مثلها: و السّبأه البعد فكان السّربد السّفر القريب.

و يقال: جاءنى فلان قمه أى حين غابت، و قال أبو عمرو و ما قمسته و قامسته بمعنى و المقامسه المقاطه قال الهذلى:

قلو رجلا خادعته لخدعته و لكنما حونا برحنا أقامس

سبّته الشّمس و سبّأته إذا أحرقته.

الباب السّادس و العشرون فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتّصل بها من أحواله

فصل [فى بيان معنى الهلال]

قال أبو حاتم: قال أبو زيد: يقال الهلال: ما دام ابن ليله أو ابن ليلتين، فإذا استدار و عظم قبل أن يستدير فهو: القمر المستقبل، فإن غطّاه سحاب أو قوه فلم ير إلّا بعد ثالثه من أول الشهر فهو قمر، و إلّا يدعى هلالا.

و أمّا القمر: فهو ضوء القمر، و يقال: طلّع القمر، و لا يقال طلعت القمراء و لكن يقال: أضاءت القمراء، كما يقال أضاء القمر.

و يقال: قمر اللّيل، و لا يقال: قمر القمر، و يقال: قمرنا و نحن مقمرون، و يقال:

تقمّرت فلانا إذا قصدته فى القمراء.

و روى الشّعبى أنّ شيخا تقمّر جاريه و لم يبلغ منها ما أراد فرفعا إلى عمر فعزره و أراد تعزيرها أيضا فشهدوا لها أنها أنكرت قربه و صاحت فخلّى سبيلها.

و يقال: وضح القمر وضوحا.

و يقال: استهلّ الهلال و أتيتك عند مستهلّ الشّهر.

و يقال: أهللنا الهلال، و أهل الهلال، قال أبو حاتم: بالبصره يقولون هلّ الهلال، و لا يجوز ذلك، قال أبو حنيفه: حكى عن الثّقه أنّه يقال: هلّ الهلال نفسه أى طلع و أهللناه نحن رأيناه، و إذا كان الهلال منبسطا قيل: هلال أوفق.

و يقال: أتيته عند إهلاله و استهلاله و هله و هلّه و هلوله، و أتيته تيفاق الهلال و توفاقه و ميفاقه.

قال الفرّاء: يقال إذا عاينت الهلال رأيته قبلا، و إن استقبلك قبل: رأيته قبلا، قال:

و كل ما قابلك فهو قبل منك، و قال غيره: رأيت الهلال و هو أوّل ما يرى و لم ير قبل ذلك،

و تكلّم فلان قبلا، إذا تكلّم بكلام لم يكن قد استعد له.

و يقال: سلخت الشّهر سلخا و سلوخا و سلخ هو و انسلخ.

و يقال: نصف الشّهر و أنصف و نصف و كذلك كلّ شى ء يؤول إلى النّصف. قال الفرّاء: طرح الألف أجوده، و حكى الجرمى عن الأصمعى: أنصف النّهار و لا يقال: نصف، و لكن يقال: نصف الماء القدح، هذا و ما أشبهه ممّا يبلغ نصف غيره. قال:

ترى سيفه لا ينصف السّاق نعله أجل لا و إن كانت طوالا محامله

و قال الفرزدق:

و إن يقنهبن الولائد بعد ماتعالى نهار الصّيف أو كاد ينصف

و قال ابن علس:

نصف النّهار الماء غامرهو شريكه بالغيب ما يدرى

فكلتا اللّغتين صحيحه، و قال العجّاج فى نصف:

حتى إذا اللّيل التّمام نصفا

و قال أبو زيد: يقال: انتصف النّهار انتصافا، و أنشد:

فانتصف النّهار و النّعام و المهر مزدم له قتام

يعنى أنّه عقر نصف النّعام على الفرس إلى نصف النّهار.

و يقال: وسط النّهار حكاه أبو زيد يقال: قمراء أضحيان، و هو ضوء القمر من أوّل اللّيل إلى الصّباح.

و يقال: أضحيان لكل ليله من العشر الوسط، و يسمّون القمر فى أول اللّيل و آخره قميرا يصغّرونه لصغره. قال ابن أبى ربيعه:

و قمير يد الخمس و عشرين له قالت الفتاتان قوما

يريد قومن و أنشد فى القمراء:

يا حبّذا القمراء و اللّيل السّاج و طرق مثل ملاء النّساج

و القمر الباهر فى اللّيالى البيض و معنى الباهر الذى يملأ كلّ شـى ء بضوء بهر بهورا، قال أبو حاتم: و البهر: الذى يصيب الإنسان من ذلك لأنّ المتنفس يمتلئ و يتردّد فيه النّفس فيستبهر. و قال:

عمّ النّجوم ضوؤه حين بهرفغمض النّجم الّذى كان ازدهر

و قال:

و القمر الباهر السّماء لقدزرنا كلانا بجحفل لجب

ليله عفراء: ليله ثلاث عشره. و يقال لها أيضا: ليله السِّواء، و قال بعضهم: تسمّى بذلك لأنّ القمر يستوى فيها، و هو قول الأصمعى، و قال آخرون: لأنّه يستوى ليلها و نهارها. و قال: هى السّواء و الغرّاء.

و يقال: أسفر القمر فى أوّل ما يرى ضوؤه، و لم يظهر بعد، و أضاء القمر، و قالوا:

ليل أسفر، و قالوا: امتحق القمر، و لم يعرفوا فيه فعل يعنى محق، و الاسم المحاق و المحاقه غداه يخفى عليك، لأنّ الشّمس تغيبه عنك من أوّل نهارك قبل طلوعها ثم الاستسرار إلى أن يهلّ الهلال.

قال الأصمعى: المحاق أن يطلع القمر قبيل الشّمس فى ضوئها، فلا يزال ينمحق حتى يذهب. و السّرار: أن يطلع خلفها. و قال أبو عبيده: العرب تقول: لليله ميلاد القمر: ابن ليلته و أنشد:

كأنّ ابن ليله طلع جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

و قال أبو عبيده: إنما قيل: ليله البدر لأنّ القمر يبادر الشّمس أن يطلع، قال اللّه تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سوره يس، الآيه: ۴۰] أى يجرين فى قطب المدار. و قال زهير:

لو كنت من شى ء سوى بشركنت المنوّر ليله البدر

قال أبو حاتم: قد روى عن ابن عباس هذا القول: إنّ القمر إنّما سمّى البدر لأنه يبادر أن يطلع، و لا أظنّه إلا غلطا عليه، إنّما البدر الممتلئ. و يقال: ليله البدر، و قمر بدر و أبدر القمر صار بدرا. قال الشّاعر:

ثم كشعه القمر البدرحقوق الأحشاء و الكبد

و يقال: غلام بدر إذا امتلأ شبابا قبل الاحتلام، و جاء ببدره أى سقاء ممتلئ لبنا.

قال أبو عبيده: ثم سمّوا ليله البدر، و ليله النّصف، و ليله السّواء و هى ليله ثلاث عشره البيض قال: و لم أسمع عربيّا سمّى شيئا منهنّ و لكن عدّوهنّ فلمّا بلغوا آخر الشّهر سمّوا ثلاثا منهنّ الدادى صفاه لشدّه ظلمتهنّ.

و قال أبو نصر: الدأداء: هى الغلبه إذا كنت تشكّ فى اللّيله هى ممّا أنت فيه أو من المقبل، يدل على هذا قوله:

هاجت عليه من الأشراط نافحهبغلته بين أظلام و أحفار

و قال:

تداركه فى منصل الآل بعد مامضى غير ما دأدأ و قد كاد يذهب

ثم قالوا: سرار الشّهر. قال جرير:

رأت مرّ السّنين أخذن منّى كما أخذ السّرار من الهلال

و يكون سرار الثّلاثين من آخر الشّهر إذا تمّ الشّهر، فإذا نقص فهو سرار ليله.

و يقال: أتيته عند سرار الشّهر و عند سرار القمر. قال:

تلقى نوؤهنّ سرار شهرو خير النّوء ما لقى السّرار

و قال الكسائى: آخر ليله من الشّهر. قال كثير:

هلال عشيه لشفا غروب تسرّ و ليله بعد المحاق

و قال الراجز:

نحن صبحنا عامرا فى دارهاعشيّه الهلال أو سرارها

و السّرار: يفتح و يكسر و الفتح أعرف، و قال بعضهم: المحاق ثم السّرار لأنّ ضوأه يمتحق ثم يستتر. و قال غيره: امتحاق القمر: احتراقه و احتج ببيت ساعده:

فى ما حق من نهار الصّيف محتدم

و يقال: محاق القمر، و محاق الشّهر. قال:

بنيت بها قبل المحاق بليلهفكان محاقا كلّه ذلك الشّهر

و قال آخر:

فإن تک کوکب الصّمعاء نحسابه ولدت و بالقمر المحاق

و يقال: حجر القمر، و قمر القمر: إذا استدار بخط دقيق.

و يقال: لحف القمر فهو ملحوف: إذا جاوز النّصف و أخذ فى النّقصان. و البراء: آخر ليله فى الشّهر لتبرأ القمر من الشّمس.

و يقال: طفاوه القمر: إذا حجه و أنشد: كأنّه البدر فى طفاوته. و بعضهم يفتح الطّاء فيقول طفاوه.

و يقال: أفتق القمر: إذا خرج من السّحاب لفرجه يجدها، و الفرجه الخصاصه. قال ذو الرمه شعرا:

تريك بياض لبّتها و وجهاكقرز الشّمس أفتق ثمّ زالا

أصاب خصاصه فبدا كليلاكلا و انفلّ سائره انفلالا

و قال بعضهم: يسمّى القمر: الزّبرقان و هو من قولهم: زبرق عمامته: إذا صفّرها.

قال أبو حاتم: و زعم من لا أسكن إلى قوله أنّ القمر يسمّى فى الدادى السّاهور. قال أميه بن أبى الصّلت:

و الشّهر بين محاقه و هلاله أجل لعلم الناس كيف يعدد

و لا نقص فيه غير أنّ خبيئه قمر و ساهور يسلّ و يغمد

و زعم أنّ السّاهور بالنّبطيه أو السّريانيه، و قال بعضهم: هو غلاف القمر يخرج منه أول حتى يبرز كلّه، فإذا انتصف الشّهر ارتدّ فيه.

و حكى بعضهم: ليالى السّاهور التّسع البواقى كلّها. و حكى الحارزنجى: السّاهور الشّهر، قال: و يقولون: لقوا الشّر فى ساهوره، أى فى كثرته. قال: و السّاهور من أسماء القمر و هو السّحاب أيضا، و السّاهره الأرض العريضه البسيطه.

و قال شيخنا أبو على: السّاهره وجه الأرض من السّهر، و معناه أنه إذا سهر قلق جنبه، فقلّ حظّه من الأرض، إمّا بالقيام، و إمّا بالقعود، و إمّا بالقلق و الحركه فتأويله أنّه سلب ملابسه الأرض، و كذلك قولهم: سهروا و المعنى واحد و الأخذ منزله كلّ ليله و الرّكس منزله الذى ينكسف فيه.

و يقال للسّواد الذى فى القمر: المحو و الشّامه. و الهاله داره القمر.

و يقال: طمس القمر و النّجم إذا ذهب ضوؤهما.

و يقال: القمر اللّيله فى الهاله قال: فى هاله هلالها كالإكليل يعنى دارته أنشد فى الهاله:

فمن يسع من حىّ الأراقم جاهداليدرك مسعاه ابن هاله يسبق

و يقال: سميّت هاله لحسنها و جمالها كأنّهم شبّهوها. و قال قطرب: الفخت ضوء القمر و الشّمس، و هى أيضا: ثقوب مستديره فى السّقف، و قد انفخت و قال ثعلب: الذى

يدل على أنّ الفخت الضّوء لا الظّل أن الفاخته سمّيت لفخت القمر و منه الصّبغ الفاختى.

و كـذلك ذكره أبو عبيـده و الكسـائى، و يقـال: جاء تيفاق الهلال، و توفاق الهلال، و توفق الهلال، و ميفاقه أى لوقته، و حين و جاء على نفته و نافته، و على أفاته أى لوقته.

و أخـبر أبـو عمر بن ثعلب عن ابن الأعرابى قـال: هو القمر- و الطّوس- و الجلم- و الجيلم و الأرسـلم- و البـاهر- و الزّبرقـان- و الزّباض- و البدر- و السّمار و المتّسق و البادر- و الغاسق.

قال ابن الأعرابى: و يقال للهلال: الأزميم- و ابن ملاط- و ابن مزنه- قال شعرا:

كأنّ ابن مزنه طلع جانحافسيط لدى الأفق من خنصر

قـال: و يقـال له الأزميم إذا دفـق. قـال: كأنمـا شخصـها فى الآل أ زميم. و زعموا أنّ أعرابيه قـالت لزوجهـا: لقـد رأيت الأزميم بوجهك فما رأيت خيرا.

و يقال: قمر سنمار إذا كان مضيئا، و قمر سنمان بالنّون أيضا.

قال أبو عمرو: أخبرنى السيّارى عن قوله فى الغاشق أنّه القمر. و قلب الغسق عند العرب السّواد، قال: إنما قال: تعوّذى بالله من شرّ هـذا الغاسق أى من شرّه إذا انكسف فهو آيه و يسود، فمعناه يا عائشه افزعى إلى الصـلاه و استعيذى بالله من شرّ هـذه الآيه إذا رأيتها، قال ابن الأعرابى و أنشد نصر و الأسديون شعرا:

و مستنبت لا بالهلال نباته و ما أن تلاقت باسمه الشّفتان

له شامه سوداء فى حرّ وجهه مجلله لا ينقضى لأوان

و يدرک فى تسع و ستّ شبابه و يهرم فى سبع معا و ثمان

قال: هو الهلال لأنّه ثبت بلا سقى ذكر الشفتان لأنّه ليس فى اسم الهلال من الحروف التى ينضم عليها الشّفتان شى ء و حرّ الوجه ما بدا منه و منه قوله:

كريمه حر الوجه غير المحسر

و حكى ثعلب عن أبى مسـجل عن الكسـائى أهـلّ الهلال و اسـتهلّ، و لا يقـال: هلّ و لا أهللنا الهلال. و الحمره التى يغيب فيها القمر يقال لها: الندأه. قال الفزارى و الجمع ندى ثلاثه، أخط أحمر بين أخضـرين، فإذا رأيتها فتق بالمطر من غرب أو شرق بإذن اللّه عز و جل. قـال ثعلب: الأخط جمع خط كمـا يقـال: صل و أصل و شـد و أشـد. و غره الشـهر أوّل ليله، لأنّ الهلال فى أوّله

كالغره فى وجه الفرس. و تقول العرب للحجر البراق: هو بصاقه القمر، و قيل بصاق و بصق. و البلماء ليله البدر.

و يقال: وجه مسلم إذا امتلأ نورا و استكمل حسنا، و قال بعضهم: يقال كذلك طفاوه القمر.

فصل فى أسماء ليال من أوّل الشّهر

الغرر و يقال الغر أيضا لأنّها كالغّره فى الوجه البهيم من الخيل.

و يقال أيضا: القرح لأنّها كالقرحه فيها. و لثلاث يليها السّبع، و قيل لها: الزّهر بفتح الهاء و قد سكنت أيضا، و قد أزهر القمر و الزّهره البياض و النجم المعروف الزّهره، أبو عبيده يبطل التّسع و العشر و رواه غيرهما. و من قال الغرر جعلها جمع غره. و من قال غر جعلها جمع غرّاء. و قيل بعد الغر ثلاث شهب، لأن ضوء القمر فيها غير باهر، و قيل: ثلاث بهر لأنّ ضوء القمر بهر كلّ ظلمه أى غلب، و قيل فى التّسع: إنّها سمّيت بها لأنّ فيها الليله التّاسعه، كما سمّيت الغرر لأنّ فيها الغره، و هى ليله واحده ليله الهلال.

و كذلك العشر: لأنّ فيها اللّيله العاشره، و لثلاث يليها التّسع، و قيل لها: الدّرع بفتح الرّاء، و يجعل درعه مثل ظلمه و ظلم و قيل الدّرع بسكون الراء جعل جمع درعاء. و قيل:

صبح أدرع: لاختلاط الضّوء بالظّلمه. و شاه درعاء إذا اسودّ مقدمها و ابيضّ سائرها. و يقال:

أدرع الشّهر إذا جاوزت النّصف منه و الدّرع و الظّلم و الزّهر و قد حركت الثّانى منها كلّها و جاءت على غير قياس. قال ابن أبى ربيعه:

قالت له شفقا لا تأت فى قمرإن كنت تأتى بليل و احذر الدّرعا

ففتح الرّاء و القياس إسكانها. قال أبو حاتم: لم أسمع فى الظلم أنّها جاءت على القياس. و قال بعضهم: أتيت و ثوب السّماء مجزع، لأنّ أوّلها أبيض و آخرها أسود.

و قال الأصمعى: عن العرب: اللّيالى البيض: ثلاث ليال: ليله السّواء، و ليله البدر، و ليله خمس عشره. قال: و لا يقال أيام البيض إنّما يقال: ليالى البيض، و تسمّى هذه اللّيالى المحمقات، و ذلك أنه إذا كان فى السّماء غيم رقيق و طلع القمر من أوله إلى آخره خفى على الإنسان ضوء الصّبح، فيظنّ أنّه قد أصبح و عليه ليل فيسمين محمقات لذلك. و يقال: غرّ فلان غرور المحمقات.

و قد قيل لما يلى التّسع إلى اثنتى عشره: الجزع، ثم ثلاث عشره السّواء و العفراء، و أربع عشره البدر، و خمس عشره ميسان، و إلى العشرين الذرع، و قد تقدّم القول فى جميعه، و التّسع البواقى الدّادى، و آخر ليله فى الشّهر ليلى مقصورا لظلمتها. و حكى المد فيها. و قيل للثّلث الأواخر محاق، لأنّه يمتحق القمر فيها كأنّه يحترق عند طلوع الشّمس فلا يرى.

و يقال: ليله المحق و يقال: أتيته فى المحاق أى فى امتحاق القمر.

و يقال: من البدر قد أبدرنا، و من السّواء قد أسوينا، و من نصف الشّهر قد أنصفنا.

و يقال: ليله ضحيان و ضحيانه، و ليله قمراء، و ليله بيضاء، و ليله ضحياء، و ليال ضحيانات، و ليله طلقه، و ليال طلقات، و طوالق إذا كنّ مقمرات.

و يقال: ثلاث دادى، و ثلاث ظلم، و ثلاث حنادس. قال شعرا:

تداركه فى متصل الآل بعد مامضى غير دأداء و قد كاد يسحب

و قيل: اللّيالى النّحس و الدّهم. و قيل أيضا: ثلاث قحم: لأنّ القمر قحم فى دنوّه إلى الشّمس.

و يقال لليله ثمان و عشرين: الدّعجاء، و ليله تسع و عشرين الدّهماء، و لليله ثلاثين اللّيلاء، و يجوز أن يكون القحم أخذ من افتحام فى السّير، و قال الأصمعىّ فى الحنادس:

كلّ ظلماء من اللّيالى حندس، و قال أبو عمرو: قول النّاس العشر و النفل لا تعرفه العرب.

قال الجعدى فى الظّلم: كاللّيله المباركه القمراء تهدى أوائل الظّلم. و قال المسيّب بن علس: كالطّلق يتبع ليله البهر.

الباب السّابع و العشرون فى ذكر أسماء الهلال من أوّل الشّهر إلى آخره و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع و غيرها

قال أبو زيد: الأعراب يقولون للقمر لأوّل ليله، رضاع سخيله حلّ أهلها برميله.

و لابن ليلتين: حديث أمتين يكذب و مين، و لابن ثلاث: حديث فتيات غير جد مؤتلفات، و يروى ما أنت ابن ثلاث، فقال: قليل اللّبات، و لابن أربعه: عتمه ربع غير حبلى و لا مرضع. و يروى غير جائع و لا مرضع. و قال بعضهم: عتمه أم ربع غير حبلى و لا مرضع.

و لابن خمس: عشاء خلفات قعس و زعم غير أبى زيد أنّه يقال لابن خمس: حديث و أنس.

قال أبو زيد: و يقال لابن ست: سر و بت. و قال غيره: أسر و بت. قال أبو حاتم: لأنّه يقال: سرى و أسرى بمعنى. و قال أبو زيد: لابن سبع دلجه الضّبع، و قال غيره: حد و الأنس ذو الجمع. و قال أبو زيد لابن ثمان: قمراء أضحيان. قال أبو حاتم: أضحيان.

قال أبو زيد: و لا بن تسع: انقطع الشّبع. و قال غيره: ملتقط ماء الجزع و قيل مثقّب الجزع.

و قال أبو زيد لابن عشر: ثلث الشّهر. و قال غيره: محنق الفجر. و قال غير أبى زيد قيل للقمر: ما أنت لإحدى عشره قال: لدى عشاء و أرى بكره. قيل: فما أنت لاثنتى عشره؟

قال: موثق للشّمس بالبدو و الحضر. الذى حكاه أبو حاتم موثق للشّمس. و قيل: ينبغى أن يكون موثق للخلق. قيل: فما أنت لثلاث عشره؟ قال: قمر باهر يعشى له النّاظر. قيل: فما أنت لأربع عشره؟ قال: مقتبل الشّباب أضى ء مدجنات السّحاب. قيل: فما أنت لخمس عشره؟ قال: تمّ التّمام و نفدت الأيام. قيل: فما أنت لستّ عشره؟ قال: نقص الخلق فى الغرب و الشّرق. قيل: فما أنت لسبع عشره؟ قال: أمكنت المغتفر الغفره. قيل: فما أنت لثمانى عشره؟ قال: قليل البقاء سريع الفناء. قيل: فما أنت لتسع عشره؟ قال: بطى ء الطّلوع بين الخشوع. قيل: فما أنت لعشرين؟ قال: أطلع بسحره و أرى بالبهره، قيل: فما

أنت لإحدى و عشرين؟ قال: كالقبس أطلع فى غلس. قيل: فما أنت لاثنتين و عشرين؟ قال:

أطيل السّرى ألا رأيت ما أرى. قيل: فما أنت لثلاث و عشرين؟ قال: أطلع فى قتمه و لا أجلى الظّلمه. قيل: فما أنت لأربع و عشرين؟ قال: أرى فى تلك اللّيالى لا قمر و لا هلال.

قيل: فما أنت لخمس و عشرين؟ قال: دنا الأجل و انقطع الأمل. قيل: فما أنت لستّ و عشرين؟ قال: دنا ما دنا فليس يرى لى سناء. قيل: فما أنت لسبع و عشرين؟ قال: أطلع بكرا و أرى ظهرا. قيل: فما أنت لثمان و عشرين؟ قال: أسبق شعاع الشّمس، و قيل: فما أنت لتسع و عشرين؟ قال: ضئيل صغير لا يرانى إلا البصير. قيل: فما أنت لثلاثين؟ قال:

هلال مستقبل.

و يقال: جئت لعقب الشّهر و عقبا له أى بعد ما يمضى، و فى عقبه و عقبه إذا بقيت منه بقيّه.

و يقال: لا يفعل كذا إلّا عقبه القمر. و ذلك إذا قارن الثّريا و يقارنها فى السنّه مرّه و هو من المعاقبه، و ذلك إذا استوى اللّيل و النّهار، و قيل: هو عودته إذا غاب و قال بعضهم فى العقبه:

لا يطعم العسل و الخطمىّ لمته و لا الزّريره إلّا عقبه القمر

و أنشد ثعلب عن ابن الأعرابى عن المسروحى قال:

لما رأيت الشّعراء أبدواو كلّ شى ء جمعوه عدّدوا

حاجتهم ما ذو عصا مسندحىّ كميت عينه توقد

سيد جمع حوله لم يولد

(سيّد جمع): يعنى القمر و النّجوم حوله و (ذو عصا) قال جعل عصاه المجرّه و (مسند): أى فى السّماء، و قيل أيضا: يسند إليه الشّهور و الأيام و (حى كميت) أى يسير و لا روح له و معنى (أبدوا) أتوا بالأوابد و الدّواهى. و أنشد أبو زيد عن المفضل لرجل من بنى سعد شعرا:

مهما يكن ريب المنون فإنّنى أرى قمر اللّيل المعذّب كالفتى

يهلّ صغيرا ثم يعظم قدره و صورته حتّى إذا هو ما استوى

يقارب يخبو ضوؤه و شعاعه و يمصح حتّى يستسرّ فلا يرى

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه و تكراره فی إثره بعد ما مضی

(زید المرء) زیادته. و قال آخر:

يدان بنا و ابن اللّيالى كأنّه حسام جلت عنه العيون صقيل

فما زال يغلو كلّ يوم شبابه إلى أن أتتك العيس و هو ضئيل

و المعنى سرنا من أوّل الشّهر إلى آخره حتى انتهينا إليك. و أنشد ابن الأعرابى:

فلو كنت ليلا كنت ليله صيف من المشرقات فى موسّطه الشّهر

و لو كنت ظلّا كنت ظلّ غمامهو لو كنت عرشا كنت تعريشه الفجر

و لو كنت يوما كنت يوم سعادهيرى شمسه و المزن يهضب بالقطر

و أنشدت عن نقطويه، قال: أنشدنى ثعلب عن ابن الأعرابى شعرا:

لو كنت ليلا من ليالى الشّهركنت من البيض تمام البدر

بيضاء لا يشقى به من يسرى أو كنت ماء كنت غير كدر

ماء سماء فى صفاء من صخرأظلّه اللّه بعيض السدر

فهو شفاء من غليل الصّدر

و أنشدنى حمزه بن الحسن قال: أنشدنى على بن سليمان عن المبرد:

و ليل فى جوانبه فضول على الآفاق أبهم غيبهان

كأنّ نجومه دمع حبيس ترقرق بين أجفان الغوانى

قال أبو عمر الزّاهد: عرضت هذين البيتين على ثعلب، فقال: البيت الثّانى مضاف إلى شعر الشّاعر و ليس له. و قال جرير فى قصّه الأيام:

و يوم كإبهام القطاه مزين إلى صباه غالب لى باطله

و أنشد فى مثله:

ظللنا عند دار أبى نعيم بيوم مثل سالفه الذّباب

و أنشد أبو العباس ثعلب:

و سيّاره لم تسر فى الأرض تبتغى محلّا و لم يقطع بها البيد قاطع

سرت حيث لا تسرى الرّكاب و لم ينخ لورد و لم يقصر لها القيد مانع

تفتّح أبواب السّماء و دونهاإذا ما ارتجت عنها المسامع سامع

يعنى دعوه مظلوم دعا اللّه تبارك و تعالى و أنشد فى مثله شعرا:

خدنان لم يريا معا فى منزل و كلاهما يجرى به المقدار

لونان شتّى يغشيان ملاءهتسفى عليه الرّيح و الأمطار

(الخدنان): اللّيل و النّهار و (الملاءه) يعنى بها الأرض. و قال آخر فى المحاجاه:

ما جملى قهقرنى و إبلى يعذرنى و قربتى رويه و كلبتى حميّه

جمله القمر، و القهقر الشّديد و إبلى يعذرنى: يعنى النّجوم، و قربته السّماء تمطر و كلبته حميّه يعنى الشّمس. و أنشدنى العسكرى أبو أحمد، قال: أنشدنى المفجع الكاتب:

و ما واضح بعد الغياث مصورله خلع شتّى و ما هو لابس

يعنى: قوس قزح، و (الغياث) المطر. قال و أنشدنى الآخر:

أكلت النّهار فأفنيته فهل فى لياليک من طمع

النّهار: الذّكر من الحبارى و اللّيل: فرخ الكروان، قال: و أنشدنى عن ثعلب:

ألا ليتنى أصبحت يوما بمنزل بعيد من اسم اللّه و البركات

هذا رجل طال سفره، فكان إذا ارتحل أصحابه قالوا: اسم اللّه. و إذا نزلوا قالوا: على بركه اللّه، قيل: طول السّفر، و قال ذلک. و قال آخر فى ضده:

ليتنى فى المسافرين حياتى لا لحبّ الحلول و التّرحال

بل لخمس تحطّ منهنّ ستّ و ثلاثين لا تكون ببالى

يعنى خمس صلوات، يحطّ منها ست ركعات و هى: صلوات المسافر. و أنشدنى أبو أحمد العسكرى:

رمتنى بنجلاوين من ترميانه بسهمها شدّت عليه التمائم

و شفّت سحابا فيه سبعون أنجماو شمس تولّتهنّ عشر نواعم

النّجلاوان: العينان يقول من أصابته بطرفها جن، و السّحاب: أراد به أنّها حلّت أزرارها جعل الغطاء كالسّحاب و الأنجم اللآلئ، و الشّمس منه كالقلاده من فضّه أو ذهب و أراد بالعشر النّواعم الأصابع و أنشد:

سته إخوه و أخت شريفههى فى دارنا و دار الخليفه

يعنى أيام الأسبوع.

الباب الثّامن و العشرون فی ذکر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فی اللّیل و النّهار

و أسماء لأفعال مختصّه بأوقات فی الفصول و الأزمان یوم العداد: یوم العطاء و الفرض. لذلک قیل: عداد فلان فی بنی فلان أی دیوانه.

قال ابن الأعرابی: العداد: الوقت الذی تتهیج فیه أوجاع البطن. و العداد الرّبع من الحمی و أنشد:

یلاقی من تذکّر آل لیلی کما یلقی السّلیم من العداد

و فی الحدیث: «و ما زالت آکله خیبر تعادنی فهذا أوان قطعت أبهری» أی یأتینی الأذی منها لوقت معلوم. (و العداد): اللّیله التی یناح فیها علی المیت من کلّ أسبوع.

و عده المرأه: أیام قرئها.

و الصّبوح: ما یشرب صباحا. و الغبوق: ما یشرب عشاء. و من أمثالهم: جاء فلان و قد أحیل صبوحه علی غبوقه، إذا صرف عن رأیه و أمره. و مثله: جاء فلان و قد فتلت ذوائبه و فتّ فی عضده. و فی الحدیث: «ما زال یفتل فی الذّروه و الغارب» و أنشد:

ما لی لا أسقی علی علّاتی صبائحی غبائقی قیلاتی

و النّحویون یحتجّون بهذا فی حذف حروف العطف من الکلام.

و القبیل: شرب نصف النّهار، و فی قصه تأبّط شرّا: شروب للقبیل- یضرب بالذّیل کمغرب الخیل- و أنشد:

یا ربّ مهر مزعوق مقیل أو مغبوق

من لبن الدّهم الرّوق.

مزعوق: أی نشیط.

و الجاشریّه: شرب السّحر. یقال: أسحرنا فتجشّرنا فنحن مسحرون متجشّرون من جشر الصّبح. و أنشد:

إذا ما شربنا الجاشريّه لم نبل أميرا و إن كان الأمير من الأزد

و ما يؤكل فيه اسمه السّحور و الطّائر المسحّر: إذا غرّد سحرا. و السّحر و السّحره واحد. و يقال: صبّحناهم و غبقناهم و غشيناهم و غديناهم قال عدى:

بينك فلم يلقهم حقباء

و الضّحاء للإبل: كالغداء للنّاس، و أوّل وقت الغداء قبل الفجر الثّانى، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للعرباض حين دعاه إلى السّحور: «هلمّ إلى الغداء المبارك». فالغداء و العشاء مأخوذان من الغداه و العشىّ. و يقال لمن خرج فى هذا الوقت: قد غدا منه، فإن يقدم فى هذا الوقت لم يقل غدا، و لكن يقال: دلج إذا خرج فى نصف اللّيل، أو فى أوّله و أدلج إذا خرج فى آخره، فإذا انبسطت الشّمس فإن شئت سمّيت الغداء ضحاء. و يقال: ضح إبلك، أى غدها و سمّى ضحاء لأنّهم يضحّون للشّمس و فى القرآن: لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى [سوره طه، الآيه: ۱۱۹] أى لا تعطش و لا تصيبنّك الشّمس. و بناء الفعل من هذه الأفعال قياسه مطّرد و فى أظمأ الفعل و الظماء ما بين الوردين، يقال: وردت الإبل الرّبع و الخمس إلى العشر و من هذا قول الكميت:

و ذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى ألّا تكونا

هذا مثل يضرب للرّجل يتعلّل بغير علّه يظهر لك شيئا و يريد غيره، و الّذى يريد شيئا يتوصّل إليه بغير وجهه، و يخيّل عنه صاحبه. و وردت الماء ظاهره أى وردت كلّ يوم نصف النّهار.

و الغب: أن يرد يوما و يدع يوما، و كذلك الغب فى الزّياره. و فى الحديث: «زر غبّا تزدد حبّا» و منه قيل: أغبّ اللّحم أغبابا، و غب غبوبا إذا أروح و لحم غاب و مغب. و حكى أبو زيد: لأضربنّك غبّ الحمار و ظاهره الفرس. و غب أنّه يرعى يوما و يشرب يوما.

و الظّاهر أنّه يشرب الفرس كلّ يوم.

و يقال: أفضينا اليوم: إذا شربت الإبل قليلا قليلا، و أشربنا إذا رويت إبلنا. و الغب فى الورود: معروف، و لا يقال: بدله الثّلث، كما قيل الرّبع. و الورد يوم الحمى، و يقال: هو مورود. و القلد: يوم يأتى فيه المثلّثه. و القد أيضا أن يمطر النّاس من الأسبوع فى يوم معلوم ثلاثا أو أربعا أو أحد الأيام.

و يقال: هو مربع و مربوع فى حمى الرّبع. قال الهذلى:

من المربعين و من آزل إذا جنّه اللّيل كالنّاحط

و القلع: و حواذها أن يعاود و ينقطع مرّه بعد أخرى، و هذا كما قال النّابغه فی صفه السّليم: تطلّقه طورا و طورا تراجع. و السّرح: المال يسأم فی المرعی.

يقال: سرح القوم إبلهم سرحا و سرحت الإبل، و المسرح مرعی السّرح و لا يسمّی سرحا من المال إلا ما يغدی به و يراح، و الجميع السّروح و يكون السّارح اسما للقوم الذين لهم السّرح، نحو الحاضر و السّامر و هما للجميع. و أنشد فی ذلک:

سواء فلا جدب فيعرف جدبهاو لا سارح فيها علی الرّعی يشبع

و قال: أم حصان لم تكن أمه فی الحی ترعی سارح الغنم. قال أبو بكر الدّريدی، و فی دعاء الاستسقاء: قلّدتنا السّماء قلدا قلدا أی: وردا وردا، و يقال: صارت الحمی تحاودنا بالزّياده، أی يتعهدنا بين الأيام.

و الغداء و العشاء معروفان. و قيل لبعضهم: ما المروءه؟ قال: إصلاح المال و الرّزانه فی المجلس. و الغداء و العشاء بالأفنيه. و ما يتعلّل به قبل الغداء السّلفه و العجله و اللّهنه.

قال: عجيز عارضها، منفل، طعامها اللّهنه أو أقل. و يقال: لهنوا ضيفكم أی قدّموا إليه ما يتعلّل به قبل إدراک الغداء. و القيلوله: نوم نصف النّهار، و يقال: فلان يعشو إلی نار فلان:

إذا جاءها ليلا و ذلک لما يغطی بصره من الظّلمه. و قال:

متی تأته تعشو إلی ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و منه: أوطانه العشوه إذا حربه بالباطل، و هذا كما قال تعالی: أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً [سوره يونس، الآيه: ۲۷] و يقال للأكله فی اليوم و اللّيله: الوجبه و الوزمه، و قد وجب و الوزمه: و قد وجب نفسه و عياله و توجّب بنو فلان، و ما يجلب بنو فلان إبلهم و غنمهم الأوجبه و الأوزمه و أنشد:

علقت عجوزهم إذا هی أظلمت بالجاشريّه مثل وزمه درهم

و الجاشريّه: شربه فی السّحر علی غير طعام و منه قوله:

و ندمان يزيد الكأس طيباسقيت الجاشريّه أو سقی لی

و من كلامهم: من أكل الوجبه أو الوزمه لم يمعد، و الممعود: الذی يشتكی معدته و يقال: أتيته آئنه بعد آئنه، علی وزن عائنه أی تاره، و أتيته بعد أين و يهمزون الأين و لا يهمزون و أنشد:

تری قورها يغرقن فی الآل مرّهو آئنه يخرجن من عام ضحل

و حكى الأصمعىّ قال: قيل للرّجل أسرع فى مشيه: كيف كنت فى سيرك؟ قال: كنت

آكل الوجبه- و أنجو الوقعه- و أعرس إذا أفجرت- و أرتحل إذا أسفرت- و أسير الوضع- و أجتنب الملع- فجئتكم لمسى سبع- قوله: أنجو الوقعه: أى أقضى الحاجه فى اليوم مره يعنى إتيان الخلاء. و يقال: أنجا و نجا جميعا. و الملع ضرب من السّير و هو أشدّ من الوضع، و اختار الوضع على الملع لئلّا ينقطع سيره.

و قد قيل: شرّ السّير الحقحقه- و يقال: جزم حزم إذا أكل أكله فى اليوم و اللّيله.

و يقال: ما زال يتمهّق إذا شرب يومه أجمع.

و يقال: تهقّعوا أوردا: أى وردوا كلّهم.

و التّحيين: حلب النّاقه مره فى اليوم و اللّيله. و أنشد:

إذا أفنت أرمى عيالك أفنهاو إن حينت أربى على الوطب حينها

قال: الأصل الحينه، و هو أن يأكل فى اليوم مرّه.

و يقال للعروس إذا غشيها زوجها: هذه ليله فضتها أى ليله اقتراعها. الكسائى يقال:

أمرجت الدّابه فى لغه بنى تميم و غيرهم، يقول: مرجتها قال العجّاج:

رعى بها رعى ربيع ممرجا، و عبهلتها و أسمتها، كلّ ذلك إذا أهملها فى المرعى نهارا، فإذا كان باللّيل قيل أنفشها. قال:

أجرش لهابا بن أبى كباش فما لها اللّيله من أنفاش

غير السّرى و سائق نجّاش

و الفعل لها نفشت، و لا يستعمل إلا باللّيل، و فى القرآن: إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ [سوره الأنبياء، الآيه: ۷۸].

و كذلك النّشر أن ينشر الغنم باللّيل فترعى، و إذا أرسلت فرعت قيل: صبت الإبل تصبو. قال شعرا:

إذا تروّحن من الإعياءباللّيل لا يصبون فى عشاء

و يقال: فلان قنفذ ليل: أى يدور فى اللّيل و لا ينام، و القنفذ لا ينام. و هذا كما أنّ القطرب دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و الذّهاب. و فى الحديث: «لا يبيتنّ أحدكم جيفه ليل و قطرب نهار» قال:

قوم إذا دمس الظّلام عليهم حدجوا قنافذ بالنّميمه تمزع

و الدّلجه: السّرى من أوّل اللّيل إلى آخره. و قيل: دلج اللّيل: سار من أول اللّيل، و أدلج: سار من آخره. قال أبو حاتم: أو بعد نومه ينامها.

و التّعريس: النّزول فى آخر اللّيل، كما أنّ التّغوير فى آخر النّهار. و هذا كما أنّ الاقتحام من أوّل اللّيل، و الاهتجام فى آخره.

و يقال: بلغ الأمر نياه: أى وقته. ثم قيل: طال به الأناء مقصورا، فإن فتحت مددت الألف، و أنشد الحطيئه:

و أتيت العشاء إلى سهيل أو الشّعرى فطال بى الأناء

و حكى أبو نصر عن الأصمعى: آن آنه: أى حان حينه، و أنى له أن يفعل كذا يأنى أنيا.

و آن يئين أينا. و أنشد الدّريدى: قال أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعى: أونوا فقد آن عليها الطّلح. و قال: و هذا من الأون الرّفق- يقال: إن يؤن أونا، و كان الواجب أن يقول: أونوا على الطّلح فقد آن، أى ارفقوا بها فقد أعيين.

و التّأويب: السّير من غدوه إلى اللّيل. قال الرّاجز:

كأنّ غرّ متنه إذ نجنبه سير صنائح فى حزير نكلّبه

من بعد يوم كامل نؤوّبه

غرّ المتن: طريقته. يقال: إنها تبرق كأنّها سير فى حزر.

و يقال: فلان على جول فلان إذا كان على سنّه، و هو سوغه أى طريده، ولد بعده ليس بينهما ولد، و هم أسواغه.

يقال: هو سنه و تنّه: أى مثله و قرنه.

و الملى و المعک و المدالک و المطل: تأخير قضاء الدّين عن وقته و مطله.

و يقال: لقيته أوّل وهله و واهله و وهله- و أوّل ذى أوّل- و أوّل صوک و بوک- أى قبل كلّ شى ء و قبل كلّ أحد.

و قال يونس: أقامت امرأه فلان عنده: يعنى امرأه العنين ربضتها إذا أقامت عنده حولا ثم فرّق بينهما. و يوم الطّلق و يوم القرب. قال الأصمعىّ: سألت أعرابيا عن القرب، فقال:

سير اللّيل لورود الغد، و يقال: ناقه طالق: من الطّلق، و قارب من القرب.

قال: أسد و كلب: يسمّون صلاه المغرب صلاه الشّاهد، و غيرهم من العرب يسمّى الفجر: صلاه الشّاهد و أنشد:

فصبحت قبل الأذان الأوّل تيماء و الصّبح كسيف الصّيقل

قبل صلاه الشّاهد المستعجل

و أنشد غيره: بين الظّلام و صلاه الشّاهد. و أنشد ابن الأعرابى:

يا حبّذا قولهم أبيلواو عرّسوا فقد دنا المقيل

يقول: إذا أبالوا الإبل اجتمعت فأمكن السّلام و المصافحه، و استراح العسيف.

قال الأصمعىّ: المستمى: الطّالب للصّيد نصف النّهار، و السّامى مثله. و قال الأصمعىّ: هو الطّالب الصّيد و غيره فى أىّ وقت كان، و أنشد:

إذا بكر العواذل أستميت و هل أنا خالد أما ضحوت

قال: أستميت أى طلبت بكرا. و أنشد أبو عبيده شعرا:

و ليس بها ريح و لكن وديقه يظلّ بها السّامى يهلّ و ينقع

يهلّ: يستحلب ريقه ينفعه تحت لسانه من العطش. و قال جرير:

بقر أوانس لم يصب غرّاتهانبل الرّماه و لا رماح المستمى

(أبو عمرو): ليله شيباء: هى اللّيله التى يقترع الرجل امرأته فيها و أنشد:

كليله شيباء التى لست ناسياو ليتنا إذ مرّ فى اللّهو قرمل

قال: الشّيباء الضّعيفه، و الأشيب: الضّعيف، و قال قطرب: ليله الشّيباء التى يفتضّ الرّجل فيها أهله ثم أنشد شعرا:

و كنت كليله الشّيباء همّت بمنع الشّكر آتمها القبيل

آتمها: صيّرها أتوما، و هى المفضّاه التى صارت شيئا واحدا. و القبيل: الذى يقابلها فى الجماع. و قد قيل: الشّيباء يمد و يقصر، و قال الأسدى: باتت بليله شيباء على الإضافه و بليله شيباء بالتّنوين، و ضدّها ليله حرّه.

و حكى ابن الأعرابى: قال سألت أبا المكارم عن الصّوص، فقال: هو الذى ينزل وحده، و يأكل وحده بالنّهار، فإذا كان اللّيل أكل فى القمراء لئلّا يراه الضّيف. و أنشدنى:

صوص الغنىّ سدّ غناه فقره. سدّ غناه فقره: يعنى فقر النّفس يمنعه من الكرم. و أنشد أيضا شعرا:

يا ربّ شيخ من بنى قلاص يأكل تحت القمر الوباص

باهره باتت على أدراص الأدراص: ولد الفأر، و يقال: فصيل صيفى، و فصيل ربعى، و ما تنتج بعد سقوط الغفر إلى أن يمضى، يقال له هبع و سمّى هبعا لأنّ الصّال الرّبعيّه أكبر منه و قد قويت، فهو لا يلحقها إذا مشت لأنّها أدرع منه فيهبع فى مشيه، و الهبع و الهبعان شبيه بالإرقال.

و قال ابن قينه: الشّرب فى نصف النّهار: القيل، و لم يبلغنى عنهم اسم للطّعام فى هذا الوقت، فإذا زالت الشّمس و صار الظّل فيئا فهو أرواح. و لهذا قيل فى يوم الجمعه: راحوا إلى المسجد، و يرى أهل النّظر أنّ الرّواح مأخوذ من الرّوح لأنّ الرّيح تهبّ مع زوال الشّمس. قال لبيد: راح القطين بهجر ما ابتكروا، فجعل الرّواح فى الهاجره.

ثم يكون الأكل بعد الهجير عشاء، لأنّه يكون بالعشىّ. و العشى إلى سقوط القرص.

ثم يكون المساء بعده إلى عتمه اللّيل. و ليس يزيل المساء العناء.

قال شعرا:

و أ نيئت العشاء إلى سهيل أو الشّعرى فطال بى الأناء

و قال أحمد بن يحيى: (التّعريس): باللّيل و النّهار. و (التّهويم): بالفجر و (وفعوا وفعه): ناموا نومه.

و حكى ابن الأعرابى أنّ أحدنا يجزم الجزمه أى يأكل فى النّهار مرّه.

و حكى أيضا: أنّ أحدنا ليدعلج دعلجه الجرد، و الدّعلجه الذّهاب و المجى ء فى الأكل. قال: يأكل دعلجه و يشبع من عفاء.

و يقال: ناقه مسحقه: إذا أسحقت أيّام سنتها منذ يوم ولدت، و ناقه مسحقه إذا استحقت سمنا، و استبان ذلك فيها، و مستحقه لإرسال الفحل عليها.

و يقال: أرح إبلك عليك: أىّ بيتها عندك و أغربها بيتها فى الكلأ. و يقال: فى معنى أرح روح أيضا، قال كعب بن سعد شعرا:

وقور فاه حلمه فمروّح علينا و أمّا جهله فغريب

و هذا من كلامه مثل، يريد أنّ حلمه يعطف عليهم، و جهله يغرب عنهم، و المعنى لا جهل.

ثم قال الأصمعىّ: التّجمير: طول الإقامه فى الثّغور، قال و لا لغاز إن غزا لجمير.

قال أبو عمر: و التّغمير: أن يدبّ الأعرابى فى اللّيله المقمره إلى النّساء. و التأطير: أن

تبقى المرأه فى دار أبويها زمانا لا تتزوّج. و أنشد المفضّل:

تأطّرن حتّى قيل لسن بوارحاو ذبن كما ذاب السّديف المسرهد

و يقال: باتت المرأه: إذا تحوّلت من دار أبويها إلى دار زوجها. و أنشد لكثير عزه:

و إنّى لأستأنى و لو لا طماعهلعزّه قد جمّعت بين الضّرائر

و همّت بناتى أن يبتن و حمّمت وجود رجال من بنى الأصاغر

فإذا تحوّلت يقال لها عانق و قد عنقت. و أنشد ابن الأعرابى:

ضح قليلا يلحق الدّاريون. و يقول: ارع إبلك ضحى، و هذا مثل أى كفّ عن الطّرد حتى يلحقك أصحاب الدّور، و هذا تفسير ابن الأعرابى.

الباب التّاسع و العشرون فى ذكر الرّياح الأربع، و تحديد مهابّها، و ما عدل عنها

اشاره

و هو فصلان

الفصل الأول [فى بيان أنواع الرياح]

قال أبو سعيد: أخبرنا أبو الحسن الطّوسى: حدّثنا ابن الأعرابى عن الأصمعى و غيره. (قالوا): الرّياح أربع: الجنوب- و الشّمال- و الصّبا- و الدّبور- قال ابن الأعرابىّ و كلّ ريح بين ريحين فهى نكباء و الجمع نكب.

فأمّا مهبّهنّ: فابن الأعرابى قال: (مهبّ الجنوب) من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريا.

و الصّبا: من مطلع الثّريا إلى بنات نعش.

و الشّمال: من بنات نعش إلى مسقط النّسر الطائر.

و الدّبور: من مسقط النّسر الطّائر إلى مطلع سهيل.

و النّكب: كلّها داخله فى هذا القول فى الأربع.

قال: و الجنوب و الدّبور لهما هيف. (الهيف): الرّيح الحاره. قال: و الصّبا و الشّمال لا هيف لهما، و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصّباء و مطلع الشّمس.

و قال الأصمعىّ: ما بين سهيل إلى حرف بياض الفجر جنوب، و ما بإزائها مما يستقبلها من الغرب شمال.

و ما جاء من وراء البيت الحرام: فهو دبور، و ما جاء قباله ذلك فهو صباء و الصّباء القبول. قال: و إنما سمّيت قبولا لأنّها استقبلت الدّبور. و قال المبرّد: سمّيت قبولا لأنّها لطيبها تقبلها النّفوس.

و ذكر أبو يحيى بن كناسه أنّ خالد بن صفوان قال: الرّياح أربع: (الصّبا) و مهبّها ما

بين مطلع الشّرطين إلى القطب. (و مهبّ الشّمال) ما بين القطب إلى مسقط الشّرطين.

(و مهبّ الدّبور) ما بين مسقط الشّرطين إلى القطب الأسفل. و (مهبّ الجنوب) ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشّرطين.

و حكى عن جعفر بن سعد بن سمره بن جندب أنه قال: الرّياح ستّ: القبول، و هى:

الصّبا- و الدّبور- و الشّمال- و الجنوب- و النّكباء- و ريح سادسه يقال لها محوه.

ثم فسّر ذلك فجعل ما بين المشرقين مخرج القبول و هى الصّبا. و جعل ما بين المغربين مخرج الدّبور. و جعل ما بين مشرق الصّيف إلى القطب مخرج النّكباء. و جعل ما بين القطب إلى مشرق الصّيف مخرج الشّمال، و جعل ما بين مغرب الشّتاء إلى القطب الأسفل مخرج الجنوب. و جعل ما بين القطب الأسفل إلى مخرج الشّتاء مخرج محوه.

قال أبو يحيى: النّاس على قول خالد: فالقبول هى المشرقيّه لأنّها من قبل المشرق تجى ء. قال:

إذا قلت هذا حين أسلو يشوقنى نسيم الصّبا من حيث يطلع الفجر

و الدّبور: تناوحها و هى المغربيّه. قال أبو حنيفه؛ و هاتان الرّيحان على ما ذكرنا فى جميع الأرض.

فمهب الصّبا بكل بلد من قبل مشرقه. و مهبّ الدّبور من قبل مغربه.

و كذلك الرّيحان الآخران مهبّهما بكل بلد من جهه القطبين. فأما قولهم للجنوب اليمانيه و للشّمال الشّاميه فلأنّ مهبّهما كذلك هو بالحجاز و نجد فالشّمال تأتيهم من قبل الشّمال. و الجنوب من قبل اليمن.

و ليس ذلك بلازم لكل بلد لا يكون الشّمال ببلاد الرّوم شاميّه و لا الجنوب ببلاد الزّنج يمانيّه، فاعلموا و يقال: هبّت الرّيح تهب هبوبا.

و حكى عن بعض العرب: أنّ الريح لشدّه الهبوب. و يقال: جنبت الرّيح تجنب جنوبا. و من الشّمال شملت الرّيح تشمل شمولا. و صبت تصبو صبوا و صبا. و قبلت تقبل قبولا و قبلا. و دبرت تدبر دبورا.

و يقال فى الشّمال: شمأل و شامل و شمل و شميل و شمول، و يقال: هبّت الشّمال و هبّت شمالا، و هبّت ريح الشّمال، و هبت ريح شمال. قال جرير شعرا:

هبّت شمالا فذكرى ما ذكرتكم إلى الصّفا إلى شرقى حورانا

و جعل قوله شمالا صفه، و نصبه على الحال.

و قال:

و هبّت الشّمال البليل و إذبات كميع الفتاه ملتفعا

و يسمّى الجنوب: الأزيب، و يسمّى النّعامى، قال أبو ذؤيب:

مرته النّعامى فلم يعترف خلاف النّعامى من الشّام ريحا

و تسمّى الشّمال محوه، و يقال: هاجت محوه غير مجراه، و تسمّى الجربياء. قال ابن أحمر:

بواد من قسا ذفر الخزامى تداعى الجربياء به الحنينا

و إنّما سمّيت محوه لأنّها تمحو السّحاب: تكشفه و تذهب به، و يقال: أصبحت السّماء صحوه محوه إذا انمحى ما عليها من السّحاب.

قال أبو زيد: من أسماء الدّبور: محوه و القفواء. و عند الأصمعى: محوه اسم للشّمال و يسمّى أيضا مسعا و نسعا. قال شعرا:

قد حال دون دريسيه مؤوّبهتسع لها بعضاه الأرض تهزيز

و يقال: أجنبنا و اشملنا و أدبرنا و أصبينا أى دخلنا فيها، و كذلك أرحنا فإن أردت أنّها أصابتنا قلت: قبلنا و صبينا، فنحن مصبئون و مصبيّون و جنبنا و دبرنا و رحنا فنحن مريحون.

قال:

غير درست غير رماد مكفورمكتئب اللّون مريح ممطور

و قال آخر: مجنوبه الدّل مشمول خلائقها.

و خالف الطّرمّاح أكثر العرب فجعل الهيف فى البرد فقال:

و طفأ ساريه و هيف مبرد

و قال أبو زياد يقول: إذا كان يوم ريح هذا يوم هائف طيب، و من أمثالهم: ذهبت هيف لأديانها. و قال ذو الرّمه:

أهاضيب أنواء و هيفان جرّتاعلى الدّار أعراف الجبال الأعافر

و ثالثه تهوى من الشّام حرجف لها سنن فوق الحصى بالأعاصر

و رابعه من مطلع الشّمس أجلفت عليها بدقعاء المعا فقراقر

فذكر الرّياح الأربع كلّها فجعل الجنوب و الدّبور منها يحيى الخير، و هما الهيفان-

و قال الرّاعى: و ذكر ريح الشّتاء فغلب عليها الشّمال لأنها أشدّ ريحى الشّتاء بردا:

و هبّت بأرواح الشّتاء عليهم شمال يؤدّى الرّائحات نسيمها

و قال أوس فى مثله:

و عزّت الشّمال الرّياح و إذبات كميع الفتاه ملتفعا

و قال أيضا:

و غداه ريح قد وزعت و قرهإذ أصبحت بيد الشّمال زمامها

و من صفاتها عند هبوبها و قد اشتدّ خزيق قال جميد:

بمثوى حرام و المطىّ كأنّهاقنا مسند هبّت لهنّ خزيق

و النّافجه: أوّل كلّ ريح إذا اشتدّت. قال ذو الرّمه:

يستنّ فى ظلّ عراص و يطردحفيف نافجه عثنونها خضب

و ريح نوج: شديده، قال العجّاج: و اتّخذته النّافجات مناجا.

و ريح سيهواء و سيهوج: سريعه المر، شديده القشر للأرض. و قال رجل من بنى سعد شعرا:

يا دار سلمى بين دارات العوج جرّت عليها كلّ ريح سيهوج

و قال ذو الرّمه:

و صوح البقل ناح يجى ء به هيف يمانيه فى مرّها نكب

و ريح زفزف: لها صوت كزفزفه الظّليم. و ريح هدوج تسمع لها هدجه، و ريح هفافه و الهفهفه سرعه المرّ. و ريح ريده راده و ريدانه من راد يرود. قال ابن ميّاده:

أهاجك المنزل و المحضررادت به ريحانه صرصر

و قال آخر: جرّت عليها كلّ ريح ريده. و قال ابن أحمر:

ولهت عليها كلّ معصفههوجاء ليس للبها زبر

قوله ليس للبها زبر: مثل يقال للرّجل إذا كان ذا رأى و حجى إنّه لذو زبر و ذو جول و الزّبر طى البير بالحجاره.

و السّموم: الرّيح الحاره باللّيل و النّهار. و الحرور مثلها. و السّمام: الرّيح الحارّه و هى

السّموم. و يقال: يوم ذو سمائم، و لا يقال: يوم ذو حرائر و ليله سموم و ليله ذات سموم.

و حكى ابن الأعرابى: يوم سام و مسم. و يقال: حرّ يومنا، و حرّت ليلتنا و هو يحر و يحر حكاهما جميعا ابن الأعرابى و اللّحيانى، و قد حرّرت يا يوم و حرّرت يا رجل. و أنت تحر حراره و حره. و رجل حرّان، و امرأه حرّى من العطش. و قوم حرارى و حرارى و حرار.

و نسوه حريات و حرارى. و قد قرّ يومنا، و هو يقر مرفوعه القاف و لغه قليله يقرّ.

و اللّجوج: الدّائمه الهبوب لا تكاد تسكن.

و الرّياح: اللّواقح تثير السّحاب بإذن اللّه و تلقح الشّجر. و الذّاريات التى تذر التّراب.

و العقيم: التى لا تلقح السّحاب. و الرّهاء و الرّهو: جميعا اللّينه، و قد رهت ريحها أى سكنت بعد شده. و الشّفان: الرّيح البارده، و إنّ ريحها لذات شفان، و أمست ريحها تشف شفيفا إذا اشتدّ بردها، و يقال: ليله شفان. و قال:

و ليله شفان بأرض كريههأقمت بها صحبى و لمّا أعرّس

أى أقمتهم على السّير و الحرجف: البارده. و يقال: ليله حرجف و ريح حرجف للشّديده الهبوب.

و الجيلان: التى تجيل الحصى. و يقال: ريح ذات جيلان و ريح جائله. و العجاج: الغبار و عجّ يومنا بعجاج، و ريح عجاجه و ذات عجاج. و الإعصار: التى ترفع التراب لشده هبوبها بين هبوبها بين السّماء و الأرض، و إنّما هى فى مكان واحد. و قد عصرت الرّيح بأعاصير و ريح معصر.

و الهباء: التّراب الذى تطيّره الرّيح، تراه على وجوه النّاس و ثيابهم و الهبوه: الغبره تراها فى السّماء. و يقال: إنّ يومنا لذو هبوه و لا يقال: أرى فى السّماء هباء، و لا يومنا ذو هباء، و لكن ذو هبوه إذا كانت الرّياح تجى ء بتراب مثل الزّريره. و الغبره: الغبار و قد اغبرّ يومنا، و رجل مغبر فى حاجته إذا قصد لها و جدّ فيها. و قد أقتم يومنا، و يوم ذو قتام، و فى السّماء قتمه و غبره و يقال: قتمه أيضا.

قال الأصمعى: و الحرجوج: الدائمه الهبوب المتماديه، و الصّر: القر بلا ريح.

و يقال: يوم صر، و ليله صر و ليله صر. و الهوجاء: الشّديده كأنّ فيها هوجاء. و النّسيم:

الرّويد و قد نسمت و تنسمها و ريح ذات نسيم. و الرّامسات: التى تعفى الآثار، و ترمس الحجره، أى تدفنها. و السّافيه: التى تسفى التّراب و يوم ذو سافياء، و ريح قاصف تكسر ما تمر به. و المجافيل: الشّداد يجفلن الشّجر و ريح جافله: و المور العجاج و الحاسه البارده تحرق النّبات.

و البارح: الشّديده تجى ء فى القيظ. و يقال: إنّ يومنا لبارح. و ريح حاصبه و ضربتنا بحاصب.

و النّافجه: ينتفج برد.

و الخجوج: الشّديده الهبوب و لا تكون إلا فى القيظ، و قد خجّت الرّيح خجيجا.

و الهاريه: الشّديده البرد. قال الكميت:

نبارى الرّيح ما هرأت و فئنالأموال الغرائب ضامنينا

نصب ضامنينا بفئنا، و معنى: فئنا: رجعنا و يروى و قئنا كأنه قال: و قئنا لأموال الغرائب و ينتصب ضامنين على الحال كما يقول: وقينا السّماحه و الهاريه.

و البليل: و الحاسه فى الشّتاء و يقال: أصابتنا ريح بليل، و يوم بليل، و ليله بليل أى بارده، و إن لم يكن فيها ريح.

و النّعور: التى تفجأك ببرد و أنت فى حرّ، أو بحرّ و أنت فى برد. و الهدوج: التى تزعزع كلّ شى ء.

و يقال: راح يومنا يراح: إذا اشتدّت ريحه، و يوم راح و ريح. و يقال: سكنت الرّيح و فترت و سجت. فأما قول ذى الرّمه و هو يصف قفرا شعرا:

إذا هبّت الرّيح الصّبا درجت به غرائب من بيض هجائن دردق

فإنّما اكتفى بذكر هبوب الصّبا لأنّه علم أنّ ذلك يكون فى الشّتاء فكأنّه قال: إذا كان الشّتاء درجت بهذا البلد خفان النّعام، و النّعام لا توطن إلّا القفر البعيد من الأنس. و كلّ مواطنه النّعام. فالخفان فيه فى الشّتاء موجود لأنّها تبتدئ البيض فى الوسمى. و قيل:

الشّتاء أكثر ذلك، و لهذا قال ذو الرّمه:

حتى إذا الهيق أمسى شأم أفرخه و هنّ لا مؤيس نابا و لا كثب

يرقد فى ظلّ عراص و يطرده حفيف نافجه عثنونها خضب

تبرى له صلعه خرجاء خاضعهفالخرق دون بياض البيت منتهب

ويل أمّها روحه و الريح معصفهو الويل مرتجز و اللّيل مغترب

لا يأمنان سباع اللّيل أو بردا إن أظلما دون أطفال لها لجب

و يقال: عصفت الرّيح و أعصفت، و فى القرآن: فِي يَوْمٍ عاصِفٍ [سوره إبراهيم، الآيه: ۱۸] فهذا شأن الرّياح و البلاد و المواطن من بعد يختلف، فربّ بلد يكون تأذّى أهله

بإحدى الرّياح أشدّ من تأذّيها بسائرها، و يكون بعضها أوفق لهم و إن كانت أكرهها إلى غيرهم، كالّذى يذكر من أنّ الجنوب أحبّ الرّياح إلى أرض الحجاز فى الشّتاء و الصّيف، ذكر ذلك أبو الحسن الأثرم.

و عكاك: الجنوب يتعوّذ غيرهم منها قال ذو الرّمه شعرا:

إلى بلد لم ينتجعه بعكّهجنوب و لم يغرس بها النّخل غارس

و كالذى ذكره ابن الأعرابى عن الرّوحى من تأذّى أهل سابه و الشّاره و نواحيها بالصّبا، و كراهتهم لها، و أنها إذا اشتدّ هبوبها عندهم طوى النّاس و طابهم، لأنّ الألبان تقلّ، و الوطاب تجف لأنّها ترضع فى ضروع الغنم أى ينشفه، و منزلهم بين مكّه و المدينه، هذا و إن كان الآخر قال:

فإنّ الرّيح طيّبه قول. و قال طرفه:

و أنت على الأقصى صبا غير قرّهتذاب منها مزرع و مسيل

و قال آخر:

فإنّ الصّبا ريح إذا ما تنسّمت على كبد حرّى تجلّت غمومها

و زعم ابن الأعرابى أنّ الجنوب إنّما يشتدّ حرّها بالعراق، فأمّا بالحجاز فلا. و أنشد قول كثيّر:

جنوب تسامى أوجه الرّكب مسّهالذيذ و مسراها من الأرض طيّب

و هذا من حال الرّياح فى دارنا و أوطاننا متعالم أيضا، و كما اختلف فى هذا الباب اختلف فى الأمطار أيضا، و لا زعم من ذلك ما ذكر عن أبى عبيده أنه قال: الشّمال: عند العرب للرّوح، و الجنوب: للأمطار، و الأنداء و اللّثق و الغمق و الدّبور للبلاء، و أهونه أن يكون غبارا عاصفا تقذى الأعين و هى أقلّهن هبوبا، و الصّبا لإلقاح الأشجار.

و يقال: إذا كان النّشأ من العين ثم ألقحته الجنوب- و أبست به الصّبا و استدرته الشمال- فذلك أجود ما يكون من المطر، و أنشد فى ذلك:

لتلقيحها هيج الجنوب و يقبل الشّمال نتاجا

و الصّبا جالب بمرى. و قال آخر:

مرته الصّبا و زهته الجنوب و انتجفته الشّمال انتجافا

و الانتجاف: استخراج أقصى ما فيه.

فصل فی تبیین ما ذکر من کلام الأوائل فی ذلک

قالوا: إنّ الشّمس إذا مرّت علی الأرض رفعت منها بخارین: بخارا رطبا و بخارا یابسا، و کلّ واحد من البخارین قد یخالط البخار الآخر، إلا أنّه یسمّی بالأغلب علیه منهما.

فأمّا البخار الرّطب: فهو ماده الأمطار و الأنداء کلّها.

و أمّا البخار الیابس فهو ماده الرّیاح کلّها، و إنّما یختلف هـذان البخاران لاختلاف مواضعهما التی ثارا منها. و أقلّ ما یکون هیج الرّیح بعد المطر و ذلک أنّ الأرض تبتل بالمطر، فلا یثور منها البخار الیابس الذی هو ماده الرّیح و کذلک یکون سکون الرّیاح عند المطر و عند انقضائه.

فأمّا حراره ریح الجنوب: فمن قبل أنها تأتی من ناحیه ممر الشّمس من بلاد حاره فتسخن قبل أن تبلغ إلینا.

و أمّا بروده ریح الشّمال فلأنّها تأتی من بلاد الشّمس عنها غائبه فهی تبرد من قبل أن تبلغ إلینا، و تمر أیضا بثلوج کثیره.

و أمّا کثره ریح الجنوب فلتحلّل البخارات من ناحیه الجنوب. و البخار مادّه الریح.

و أمّا کثره ریح الشّمال فی الصّیف، و قلّه ریح الجنوب، فلأنّ الشّمس یکون مرورها فی الصّیف بناحیه الشّمال، فتذیب الثّلوج الکثیره، و تهیج البخارات من ناحیه الشّمال.

و أمّا احتباس الرّیح و قلتها فلعلّتین. إحداهما: کثره البروده فإنّ البروده تجفف الأرض و تصلبها فلا یخرج منها بخار. و الثّانیه: کثره الحر، فإنّ الحر یجفف الأرض و ییبسها و یحرقها فینقطع لذلک الریح، و ربما تتابع ذلک سنین فیکون القحط منه فإذا کثر ذلک و صلب وجه الأرض اجتمعت البخارات فی جوف الأرض، فلم تقدر علی الخروج و أحدثت الزّلازل. فإذا کثرت تلک البخارات و قویت و ظهرت ذهب القحط و عاد الخصیب.

و أمّا کثره ریح الشّمال فی الرّبیع: فلأنّ النّهار یمتد بعد القصر و تدنو الشّمس من النّاحیه الشّمالیه فتذیب الثّلوج هناک، فتحدث هذه البخارات التی منها یکون الغیوم و الرّیاح الشّمالیه.

و أمّا کثره هبوبها آخر الصّیف فلأنّ النّهار یقصر و یبرد الهواء فیحتقن البخارات فی جوف الأرض.

فإذا کثرت قویت فظهرت ریاح الشّمال، و إنما تقوی البخارات علی الظّهور لأنّ البرد

ضعيف فى تلك الأيام، فلا يقوى على منع البخارات من الخروج.

و أمّا كثره ريح الشّمال و الجنوب و قله ريح الصّبا و الدّبور: فلأنّ الشّمس لبثها فى هاتين الجهتين أكثر من لبثها فى خط الاستواء.

و إذا كثر لبثها فى مكان عملت عملا قويا فأثارت بخارات كثيره. و إذا قلّ لبثها فى مكان عملت عملا ضعيفا، و مع ذلك أيضا فإنّ الشّمس تصادف فى هاتين الجهتين مياها و ثلوجا لبعد ما بين الجهتين عن طريقه خط الاستواء، و لست أعنى بالشّمال و الجنوب اللّذين بالإضافه فإنّ كلّ قوم يسمّون ما يلى أيمانهم إذا كانوا متوجّهين إلى المشرق جنوبا، و ما يلى شمائلهم شمالا، و لكنّى أعنى بالشّمال و الجنوب اللّذين عن جانبى خط الاستواء الذى هو مدار رأس الحمل و الميزان.

الباب الثّلاثون فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه

اشاره

الباب الثّلاثون فى أسماء المطر(۱) و صفاته و أجناسه

و هو فصلان

فصل [فى بيان أوّل المطر الوسمى و أنواؤه]

قال أبو زيد سعيد بن أوس: قال القبسيّون: أوّل المطر الوسمى- و أنواؤه العرقوتان المؤخّرتان- ثم الدّلو- ثم الشّرط- ثم الثّريا- و بين كل نجمين نحو من خمس عشره ليله.

ثم الشّتوى بعد الوسمى، و أنواؤه- الجوزاء ثم الذّراعان و نثرتهما- ثم الجبهه و هى آخر الشّتوى و أول الدّفئى- ثم الدّفئى و أنواؤه آخر الجبهه- و العوّاء.

ثم الصّيرفه و هى فصل بين الدفئى و الصّيف و أنواؤه: السّماكان الأول الأعزل- و الآخر الرّقيب. و ما بين السّماكين صيف، و هو نحو من أربعين ليله- ثم الحميم و هو نحو من عشرين ليله، و سمّى حميما لكون مائه حارا و يختار أن يكون رعدها غير قاصف، و برقها غير خاطف، لذلك قال الشاعر:

إذا حرّكته الرّيح أرأم جانب بلا هزق منه و أومض جانب

كما أومضت بالعين ثم تبسّمت خريع بدا منها جبين و حاجب

و حكى عن أبى الوجيه أنه قال: أحب السّحاب إلىّ الخرساء، و الحميم نحو من عشرين ليله إلى خمس عشره ليله عند طلوع الدّبران، و هو بين الصّيف و الخريف ليس له نوء. ثم الخريف و أنواؤه النّسران- ثم الأخضر- ثم عرقوتا الدّلو الأوليان- و كل مطر من الوسمى إلى الدفى ء ربيع، و إنّما هذه الأنواء فى غيوبه. و غيوب هذه النّجوم أوّل القيظ عند طلوع الثّريا و آخره طلوع سهيل.

۱- قال فى كنز المدفون أسماء المطر أوّلها الوبل- الغيث- الدّيمه- الوكف- الهطل- الصّيب- الرّباب- المزن- الصّوب- القطر- الرّزق- الماء- الثّله- الودق- الحياء- العهد- و اللّه أعلم- القاضى محمد شريف الدّين المصحح عفا عنه.

و أوّل الصّفريه طلوع سهيل، و آخره طلوع السّماك. و فی ء الصّفريه أربعون ليله يختلف حرّها و بردها و تسمّی المعتدلات.

ثم أوّل الشّتاء طلوع السّماک و آخره وقوع الجبهه فهو أوّل الدفی ء و آخره الصّرفه.

و أول الصّيف السّماک الأعزل و هو الأوّل- و آخر الصّيف السّماک الآخر الذی يقال له:

الرّقيب- و بينهما نحو من أربعين ليله.

و أوّل أسماء المطر القطقط و هو أصغر المطر و الرّذاذ: فوق القطقط. و يقال: قططت السّماء و أرذت. و منه الطّش و هو فوق القطقط و الرّذاذ و الفعل طشت.

و منه البغش و هو فوق الطّش، و الفعل: بغشت و الغبيه فوق البغشه. و كذلک الحلبه و الشّجذه. و يقال: أغبت السّماء فهی مغبيه و حلبت حلبا و شجذت شجذا و هو فوق البغشه.

و منه: الحفشه و هو مثل الغبيه و يقال: خفشت خفشا. و الحشكه مثلها. و يقال:

حشكت.

و من المطر: الدّيمه و هی الدائم لا رعد فيه و لا برق، أقلّها ثلث النّهار و ثلث اللّيل، و أكثرها ما بلغت من العده.

و التّهتان: نحو الدّيمه قال:

يا حبّذا تضحک بالمشافر كأنّه تهتان يوم ماطر

و من الدّيمه الهضب و الهطل، هضبت هضبا، و هطلت هطلا و هطلانا قال الشّاعر:

ندی الرّضم من ذات المزاهر إذ جنت عليها هضاب الصّيف تهضبها هضبا

و يقال: سحابه داجنه و مدجنه و قد دجنت دجنا و الدّجنه من السّحاب المطبق الرّيان الذی ليس به مطر. و يقال: يوم دجن و يوم دجنه. و كذلک اللّيله توصف بهذا أو تضاف كاليوم، و الدّاجنه الماطره المطبقه نحو الدّيمه. و الدّجن: المطر الكثير.

و من الدّيمه: الرّهمه و هی أشدّ وقعا من الدّيمه و أسرع ذهابا، يقال: أرهمت السّماء إرهاما و جماعتها الرّهم و الرّهام.

و منها: الهفاء واحدها هفأه و هی نحو الرّهمه، و قال الغبری: أفا و إفاءه.

و منها: الدثه و هی المطره الخفيفه. و الهدمه مثلها، و جماعتها الهدم و الهدام و الدثّ و الدّثاث. و يقال: أرض مدثوثه و

مهدومه.

و الوطفا: الدّائمه السّح، الحثيثه طال مطرها أو قصر.

و منها القطر: و هو فى كلّ مطر ضعيفه و قويّه.

و منها: الذّهاب و هو اسم للمطر كلّه ضعيفه و شديده، و الرّش المطر القليل الخفيف.

و الملبد تلبيدا نحو الرّش، و ارشّت السّماء و جمع الرش الرّشاش و أرض مجوبه و مقوبه إذا أصاب المطر بعضها و لم يصب بعضها، و كحلت السّنه اشتدّت تكحل كحلا، و سنه كحل، و أرض ميته و ميته و سنه خداعه و قشر.

و منها الوابل: و هو أغزر المطر و أعظمه قطرا، و يقال: وبلت الأرض وبلا و وبلت توبل وبلا.

و الجود من المطر الكثير العام و هو فى كلّ زمان. قال شعرا:

أنا الجواد بن الجواد بن سبل إن ديّموا جادوا و إن جادوا وبل(١)

و المدرار و الدّره التى يتبع بعضها بعضا و جمع الدّره الدّرر.

و الرّك من المطر الضّعيف الذى لا ينفع إلا أن يكون له تبعه- و التّبعه- المطر بعد المطر. و يقال: أرض مرككه و جمع الرّك الرّكاك.

و يقال: وابل ساجيه و هو المطر الذى يسجى ما يقع عليه فيسيل به.

و يقال: أرض مشجوره، و هى التى يأخذها المطر الجود فلا يزال بها حتى تقلب نباتها و تقلعه من أصوله، و يقلب ظهر الأرض لبطنها، و قد شجرت الأرض شجرا. و يقال للمطر الذى لا يدع شيئا إلا أساله: جار الضّبع، و ذاك أنّه يكثر سيله حتى يخرج الضّبع من جحره و المحتفل: الذى يتدارك حثيثا، و السّح: مثله غير أن السّح ربّما لم يتبيّن قطره.

و المنهمر: مثل السّح و الوبل و القطر و الضّرب: المطر الضعيف.

و الدّهان مثل ذلك، و الواحد دهن، و يقال: دهنها أولى فهى المدهونه.

و المرويه التى تروى الأرض. و المبلد: الذى يندى وجه الأرض و يسكن التّراب.

و الجلباب المطر الكثير و السّاجيه السّاكنه و الأهاضيب: جمع أهضوبه و هى مثل الهضاب، واحدها هضب، و هى جلباب القطر. و الهلل: أوّل المطر. و المتفخّر و المسحنفر: السّيل الكثير. و الولى: المطر بعد المطر فى كلّ حين. و العهد: المطر الأوّل

١- الوابل: المطر الشديد الضخم القطر.(القاموس).

و جمعه عهاد و أرض معهوده، و قيل العهدى الذى يجى ء و عهد ما قبله جديد لم يدرس، و يقال: أرض معهده للّتى يصيبها النّفضه.

و النّفضه المطر يصيب القطعه من الأرض و يخطئ القطعه، و يقال: أرض منفضه.

و الخطيطه: الأرض لم يصبها مطر، و كذلك الفوائد و الخوبه.

و يقال للخطيطه: أرض خط، و أرض مجروزه، و أرض جرز و جرز و أجرزت الأرض.

و يقال أيضا: أجرزت النّاقه إذا هزلت.

و الشّؤبوب: المطر يصيب المكان و يخطئ الآخر و جمعه شآبيب.

و مثله النّجو و الجمع النّجاء و الأرض المنضوحه و هى المجوده نضحت نضحا.

و الغيث: اسم للمطر كلّه و أرض مغيثه و مغيوثه.

و يقال: استهلّت السّماء و ذلك فى أوّل المطر و الاسم الهلل.

و أسبلت: و الاسم السّبل و هو المطر بين السّحاب و الأرض حين يدل يخرج من السّحاب و لم يصل إلى الأرض.

و يقال للمطر القليل: العرض و هو مثل الشّؤبوب و مثل السّبل. العثانين: و هو المطر بين السّحاب و الأرض و يقال: هو الضّريب و الصّقيع و الجليد و لا يكون إلّا باللّيل، و الثّلج باللّيل و النّهار فى الغيم و هو لا يكون إلا فى الصّحو. و يقال: أرض ضربه إذا أصابها الجليد فأحرق نباتها، و قد ضربت الأرض ضربا و أضربها الضّريب إضرابا. و صقعت صقعا إذا أحرق الصّقيع نباتها. و ثلجت ثلجا و هى مثلوجه.

و الطّل أثر النّدى فى الأرض من كلّ ذلك. و يقال للنّدى الذى يخرجه عروق الشّجر إلى غصونها: طل.

و قيل: الضّريب و الصّقيع و الجليد و السّقيط يخرج من جرده السّماء جردا إذا لم يكن فيها غيم. و قد جردت السّماء و الاسم الجرده.

و يقال: تصلّعت السماء إذا انقطع غيمها حتى تتجرد و حكى الأصمعى قال: قلت لأعرابى: ما أوقع الأمطار؟ قال: صوب غاديه- عن مرى حاديه- لا بل باديه- مرى حاديه، أى استخراج سحابه تحدو ما يتأخّر دونها. و الباديه: السّاكنه للبدو.

و يقال: أصحت السّماء و الاسم الصّحو. و يقال: أقصر المطر و أقلع و أقشع إذا انقطع.

و يقال: طلّ القوم و هم مطلولون.

و يقـال: من المطر الرّثـاث و هى القطار المتتابعه يفصل بينهنّ أقلّ ما بينهنّ ساعه، و أكثر ما بينهنّ يوم و ليله. و يقال: أرض مرثه ترثيثا.

و يقال: أرهجت الأرض إرهاجا و أضبت إضبابا و من الرّهج السّيق من الغمام الذى يسوقه الرّيح.

و الإغصان المطر الدّائم الذى ليس فيه فرج، و الفرج اليوم و اللّيله أو أكثر من ذلك قليلا. و مثله الإلثاث.

الفصل الثّانى فى علّه ما ذكرنا من كلام الأوائل

قـالوا: إنّ العله فى المطر- و الثّلـج- و الجليـد- و الرّيـح- واحـده و هى أنّ الشّـمس إذا مرّت بموضع نـدى أثـارت بخارا بحراره مرورها فيكون كيفيّه ذلك البخار على طبيعه الموضع الـذى يثور منه البخار. فأما كميّه فعلى قدر كبر ذلك الجسم المهيأ للثوران إن كان كثيرا و كانت الشّمس قويّه عليه أثارت بخارا كثيرا من ذلك الجنس الذى هو طبيعه ذلك الموضع.

فإذا أشـرقت الشّـمس بـدورانها على موضع نـدى إذا سـخن ثار منه بخار و ذلك أنّ الحراره إذا خالطت الرّطوبه لطفت أجزاؤها فصيّرتها هواء. فإذا كثر ذلك البخار و تباعدت الشّـمس عن ذلك الموضع الذى ثار منه البخار اسـتقبل ذلك البخار البرد الذى هو فوق الأرض الذى يرد الهواء فردّه إلى الأرض، فتكاثف بالعصـر فصار ماء فانحدر. فإن كان ذلك المنحدر شـيئا يسـيرا صغير الأـجزاء سـمّى نـدى. و لـذلك تكون الأنـداء فى الشّـتاء أكثر لكثره بروده الهواء و ضـغطها البخار الرّطب إلى الأرض و لـذلك تكون الأنداء باللّيل أكثر منها بالنّهار.

إن كان المنحـدر كثيرا كثير الأجزاء سـمّى مطرا، فهذه علّه النّدى و المطر و إن كان الذى يصـعد من البخار يسـيرا، و كان الّذى هجم عليه من فوق شديـدا جـدا، صـيّر ذلك البخار جليـدا، و إن كان ذلك البخار الصّاعـد كثيرا و كان الذى هجم عليه شديدا جـدا، صار ذلك البخار ثلجا، ففرّق بين الثّلـج و الجليـد خلّتان، إحـداهما: كثره البخار و قلته، كما فرّق بين النّـدى و المطر كثره البخار و قلّته. و الخصله الأخرى: أن الجليد إنما هو بخار جمد فى الهواء لا فى السّحاب، و الثّلج إنّما هو بخار جمد فى السّحاب.

و كـذلك الفرق أيضـا بين النّـدى و المطر، هـذا لاختلاـف أنّ النّـدى إنّما هو بخار انحـدر إلى الأرض من دون السّحاب، و أنّ المطر انحدر من السّحاب و لكنّ البخار الذى يصعد من

الأرض تميّز منه اللّطيف فصار هواء، و الغليظ هو الذى يكون منه النّدى و المطر.

و قال أبو زياد الكلابى: إذا احتبس المطر اشتدّ البرد. فإذا مطر الناس مطره كان البرد بعد ذلك فرسخ، أى سيكون من قولهم تفرسخ عنّى المرض و إنما سمّى الفرسخ فرسخا لأنّه إذا مشى صاحبه استراح عنه و جلس.

و روى الأصمعىّ عن المنتجع بن نبهان أنّ شيخا من العرب كان فى غنيمه له، فسمع صوت رعد فتحوّف المطر، و هو ضعيف البصر، فقال لأمه ترعى معه: كيف ترين السّماء؟

فقالت: كأنّها ظعن مقبله، فقال: ارعى. ثم قال: كيف ترين السّماء؟ قالت: كأنها بغال دهم تجرّ جلالها، قال: ارعى. ثم قال: كيف ترين السّماء؟ قالت: كأنّها ثروب مغزى هزلى، فكأنّها بطون حمير صحر. قال: انجى و لأنجأ بك، فلجأ إلى كهف و أدخل غنمه، و جاءت السّماء بما لا يقام ليله، فقال الشّيخ: هذا و اللّه كما قال عبيد:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكنّ كمن يمشى بقرواح

الباب الحادی و الثلاثون فی السّحاب و أسمائه و تحلّيه بالمطر

اشاره

و هو فصلان

فصل [فی ذکر ما عدّد من نعمه علی خلقه فیما نصبه من الأدله علی وحدانیته فی خلق السّماوات و الأرض]

قال اللّه تعالی فی ذکر ما عـدّد من نعمه علی خلقه فیما نصـبه من الأدله علی وحـدانیته فی خلق السّـماوات و الأرض، و اختلاف اللیـل و النّهـار فقال تعالی: وَ تَصْـرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَـخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآیه: ۱۶۴] و المراد أنّ فی تعـاقب الظلم و الأـنوار و مـا ینشـئه تعالی جـدّه من أنواع السّـحاب بین السّـماء و الأرض و ینزّله من الأمطار و یخرجه من النّبات أعظم الأـدله علی حـدوثها لما فیها من إحکام الصّـنعه و ثباتها علی ما ثبت علیه من العبره، إذ لا تفاوت فیها و لا اضـطراب، و لا تناقض، و لا فساد فمن تدبّرها و تأمّل الأحوال التی تعتورها من الحرکه و السّکون، و الزّیاده و النّقصان، و الانکشاف و الترویه و الإقلاع، أدّاه الاعتبار إلی أنّه واحد لیس کمثله شی ء، تعالی اللّه عما یقول الظّالمون علوا کبیرا.

و روی فی الحدیث: «السّحاب غربال المطر، لو لا ذلک لتهدّم البنیان» و یقال:

سحـاب، واحـده سـحابه و مثله الغیم و الغیوم. و یقـال ذلـک فی القلیل و الکثیر و الغمام و الواحـده غمامه و هی الغراء البیضاء و الجمع غر و بیض.

و یقال: المزن و الواحده مزنه. و منها الغماء و هی السّحابه السّوداء.

و من دلائل الغیث أن یتقدّمه هبوب المبشّـرات ثم یکون النّشأ من قبل العین فیحسن خروجه و التئامه. ثم اسـتکشافه حتی لا تری فتقا، و ذلک التطخطـخ و یسـد الآفاق. ثم یکفهرّ و یرجـح فیتـدانی و یسـتأرض أرکانه و یتمکّن رجاءه و تنوس هیادبه، و تهمی أکفته، و یتعلق ریانه، و یتدحی عفا یده و یحمومی. ثم یصـحار و یرج الرّعد رجا. و یتمّ البرق أتاما، و هو الوکیف من البرق. ثم ینفل و لا یزدهیه الرّیح حتی یتحیّر و یلین رعده، و برقه یتعاون علیه

الجنوب و الصّبا بالإلقاح و الإبساس. ثم ينتجفه الشّمال حتى يستقصى ما فيه، و هذا نهايه ما جاءت أوصافهم و أخبارهم و أشعارهم.

و منها السّيق و هى كل ما طردته الرّيح و افترزته من السّحاب كان فيه ماء أو لم يكن.

و الخلق ما يرجى أن يكون فيه مطر و الواحده خلقه. و الصّبير من السّحاب الذى تراه متراكبا فى بياض و الجمع الصّبر. و السّد النّشأ الأسود ينشأ من أى أقطار السّماء شاء. قال:

تبصّر هل ترى ألواح برق أوائله على الأفعاه قود(١)

قعدت له و شيّعنى رجال و قد كثر المخايل و السّدود

المخايل: واحدتها مخيله، و يقال سحابه مخيله و سحابه ذات مخيله: إذا كانت خليقه بالمطر. و فى الحديث أن النّبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا رأى مخيله أقبل و أدبر و تغيّر، قالت عائشه:

فذكرت ذلك له، فقال: «ما يدرينا لعلّه كقوم ذكرهم اللّه تبارك و تعالى» فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ [سوره الأحقاف، الآيه: ٢٤].

و يقال للسّحاب أيضا: الخال، فإذا أرادوا أنّ السّماء قد تغيّمت، قالوا و قد أخالت فهى مخيله بضم الميم.

و منها الحماء و هى السواد. و العارض: السّحابه تراها فى ناحيه السّماء و هو مثل الجلب، إلّا أنّ الجلب أبعد و أضيق من العارض. و العارض الأبيض و الجلب أكثر ما يكون إلى السّواد. و فى السّحاب النّضد و هى مثل الصّبير و جمعه الأنضاد. و الرّكام: ما تراكم بعضه على بعض، و هو مثل النّضد. و منه الرّباب: و لا يقال لها ربابه واحدتها ربابه: و هى السّحابه الدّقيقه السّوداء يكون دون الغيم فى المطر، و لا يقال لها ربابه إلا فى مطر.

و منها الرّيف: و هو أوّل السّحاب الممطر. و الكنهور: السّحاب الضّخام البيض، و يقال: غمامه كنهوره و غيم كنهور. و منه الطّخاء: و هو السّحاب الرّقاق و الواحده طخاه.

و منه القزع: و هو السّحاب الصّغار و المتفرّق منه واحده قزعه. و منه: نمره: و هى الغيم الذى يرى فى خلله نقاط، الواحده نقطه و الجمع نمر، و من أمثالهم: أريتها نمره أريكها مطره.

و منه الجفل: و هو كلّ سحاب ساقته الرّيح قد صبّ ماءه. و الجهام: مثل الجفل واحدته جهامه. و يقال للسّحاب الذى هراق ماءه السّيقه لأنّ الرّيح تسوقه لخفته، و هذا كما يقال لما تستلينه و تستهينه: ليّن و هيّن.

١- اتّسع الغيث(المحيط).

و الصّراد واحدتها صراده، و هو مثل الجفل. و مثله الرّهج: من الغيم.

و منه السّيق و الجى ء: و هو الغيم فى عرض السماء الغريب الحسن. و منه الحير و هو الغيم ينشأ مع المطر فتحير فى السّماء.

و منه بنات نحر و نجر و هى سحائب يخرجن فى السّحر، بين الخريف و الرّبيع و هنّ سحائب غرّ طوال مشمخرّات.

و منه الزّبرج: و هو مثل الرّهج و السّيق.

و منه الغماء: و هو شبه الدّكان يركب رءوس الجبال. قال:

ليله غمّاء طامس هلالها

و منه الضّباب، و هو شبه الدّخان و النّدى يظلّل السّماء، واحدته ضبابه، و يقال: أضبت السّماء فهى مضبّه.

و منه الظلّه و هى أوّل سحابه تظلّل.

و منه الطّخارير، واحدها طخرور و هو السّحاب الصّغار. و الغيايه: ظلّ السّحابه و قال بعضهم غياءه. قال الشّاعر:

كساع إلى ظلّ الغيايه يبتغى مقيلا فلمّا أن أتاها اضمحلّت

و قال: و لغه الكلابيين امضحلّت و المكفهر: السّحاب الضّخام الرّكام و يقال: عجاجه مكفهره، و طرّه الغيم: أبعد ما يرى من الغيم، و يقال: طره الكلأ و طره القف و هى ناحيتها.

و منها: النّشاص: و هى الطّوال و الواحده نشاصه و هى الطّويله البيضاء، و أكثر ما ينشأ من قبل العين. قال:

بل البرق يبدو فى ذرى من دفائه يضى ء نشاصا مكفهر الغوارب

و فى الحديث: أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «إذا نشأت السّحابه بحريّه ثم تشامت فتلك عين غديقه» يريد إذا ابتدأت من ناحيه البحر، ثم أخذت نحو الشّام فتلك عين غديقه أى: مطر جود. و الغديق: الكثير الماء من قول اللّه تعالى: لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً [سوره الجن، الآيه: ۱۶].

و كذلك إذا كانت السّحابه سوداء فتلك من علامات الغيث، و فى الحديث الذى سأل فيه النّبى صلى اللّه عليه و سلم: «أ جون هو أم غبره؟ فقالوا: جون، فقال: جاءكم الحياء» و كذلك إذا رأى الرّباب دوين السّحاب قال:

كان الرّباب دوين السّحاب نعام تعلّق بالأرجل

و أنشد:

و ما لى لا أغزو للدّهر كرهو قد نبحت نحو السّحاب كلابيا

يقول: كنت لا أغزو مخافه العطش على الخيل و الأنفس، فما عذرى اليوم، و قد كثر المطر، و اتّصل العشب و امتلأت الغدران. و لبعضهم:

أغر سماكى كأنّ نشاصه قطار يخات أو جبال تقلّع

تلألؤ غوريا كأنّ وميضه حريق بجزل فى ضرام تشيّع

رأته عيون ممحلات تتابعت له سنوات فهو للغيث جوع

ملثّ دنا دون السّحاب سحابهمن الأرض حتّى كاد بالرّاح يدفع

و يقولون: إذا رأيت السّماء كأنّها بطن أتان قمراء فذلك الجود. قال الهذلى:

يمدّ له جوالب مشعلات تخلّلهن أقمر ذو انغطاط

و يقال: إنّ معقر بن حماد البارقى قال لابنته، و قد سمع صوت رعد: أىّ شى ء ترين؟

قالت: أرى سحابه عقاقه كأنّها حولاء، ناقه ذات هيدب دان و سيروان. قال:

و ابلى بى إلى جنب قفله فإنّهالا تنبت إلّا بمنجاه من السّيل

و إذا كانت السّحاب نمره فهى كذلك. و قال آخر فى المخيله:

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالرّاح

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكنّ كمن يمشى بقرواح

أى طبق الأرض، فمن كان فى الارتفاع كمن هو فى الاستواء، و من كان فى ظهر الصّحراء كمن فى بطنها، و إذا كان السّحاب أصهب إلى البياض فذاك إماره الجدب، و يقولون: هو هف أو جلب إذا حمر الأفق. قال:

و سوّدت شمسهم إذا طلعت بالجلب هفا كأنه الكثم

و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبهالشيبان(۱) أو ملحان(۲) و اليوم أشهب

و قال الفرزدق يذكر قوما مسافرين:

۱- شيبان: جمادى الثانيه.

۲- ملحان: جمادى الأولى.

يغضّون أطراف العصىّ تلفّهم من الشّام حمراء الضّحى و الأصائل

و من أمثالهم: ما يضرّ السّحاب نباح الكلاب، و زعموا أنّ الكلاب تنبح السّحاب من كثره المطر و الحاجه. و فى صفه غيم المحل:

و هاج غمام مقشعر كأنّه بنيله نعل بان منها شريحها

الفضل بن عبّاس:

كأنّ سيوف فارس فى ذراه و غرفا من قيان مسمعات

أقام على معاهدهنّ شهرافأقلع و هو مهتزّ النّبات

و قال حسين بن مطير يصف المطر و السّحاب، و رواه الأصمعىّ شعرا:

كثرت لكثره قطره أطباؤه فإذا تحلّب فاضت الأطباء

و كجوف ضرّته التى فى جوفه جوف السّماء سجلّه جوفاء

و له رباب هيدب لرفيقه قبل التعنّق ديمه و طفاء

و كأنّ ريعه و لمّا يحقل و دق السّحاب عجاجه كدراء

و كأنّ بارقه حريق يلتقى وهج عليه عرفج و ألاء

مستضحك بلوامع مستعبربمدامع لم يمرها الأنداء

فله بلا حزن و دون مسرّهضحك يؤلف بينه و بكاء

حيران منبعق صباه يقوده و جنوبه كنف له و كفاء

و دنت له نكباؤه حتّى إذامن طول ما لعبت به النّكباء

غاب السّحاب فصار بحرا كلّه و على البحور من السّحاب سجاء

ثقلت كلاه فبهرت أصلابه و تعجبت من مائه الأحشاء

غدق يسبّح بالأباطح قد غدت بلد السّيول و ما له أفلاء

غرّ محجله دوالح ضمّنت حمل اللّقاح و كلّها غدراء

سجم فهنّ إذا كظمن أواجم و إذا ضحكن فإنّهنّ و ضاء

لو كان من لجج السّواحل ماؤه لم يبق فى لجج السّواحل ماء

و حكى أحمد بن يحيى قال: أخبرنى ابن الأعرابى، قال: بينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابه فقيل: يا رسول اللّه هذه سحابه فقال عليه السّلام: «كيف ترون قواعدها» قالوا: ما أحسنها و أشدّ تمكّنها. قال: «و كيف ترون رحاها»؟ قالوا: ما أحسنها و أشدّ استدارتها. قال: «فكيف ترون بواسقها»؟ قالوا: ما أحسنها و أشدّ استقامتها.

قال: «فكيف ترون برقها أ وميضا أم خفيا أم يشق شقا»؟! فقال عليه السّلام: «الحياء الحياء»

قـال: فقـالوا: يـا رسول اللّه مـا رأينـا أفصـح منـك، فقال: «و ما يمنعنى و إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين» قواعـدها أسافلها، و رحاها وسـطها، و معظمها، و بواسـقها: أعاليها. و إذا اسـتدار فيها البرق من طرفها إلى طرفها فهى أعاليها و هو الـذى لا يشك فى مطره وجوده، و إذا كـان البرق فى أسافلها لم يكـد يصـدق. قال ابن الأعرابى: و قال رجل من العرب و قـد كبر و كان فى داخل بيته، و كـان بيته تحت السّـماء: كيف تراهـا يـا بنى؟ قـال: أراهـا و قـد نكبت و تبهّرت، و أرى برقها أسافلها، قال: أحلقت يا بنى. معنى نكبت: عدلت عن القصد، و تبهرت:

تقطّعت. و البهر حفر يكون فى الأرض، و الومض: أن يومض إيماضه ضـعيفه ثم يخفى، ثم يومض ثم يخفى ثم يومض، و ليس فى هذا يأس مطر قد يكون و لا يكون. و أما المسلسل فى أعاليها فلا يكاد يخلف.

و يقال: خفى كأقيـد الطير و اقيـد الطير: نظره- ثم إغماضه ينظر نظره- ثم يغمض- ثم ينظر نظره- ثم يغمض. قال حميـد بن ثور يصف البرق:

خفىّ كأقيد الطّير و اللّيل ملبس بجسمانه و الصّبح قد كاد يسطع

قال الهذلى شعرا:

فسائل سبره الشّجعىّ عنّاغداه يخالنا نجوا خبيّا

فصل فى كلام الأوائل، يتبيّن منه حال الأنديه و الأمطار و العيون و الأنهار و غيرها

قالوا: إنّ المطر إذا وقع على الأرض اجتمعت منه المياه، فإذا صادفت مكانا إلى الانصـباب ما هو جرت منه الأوديه و الأنهار، لأنّ المياه من شأنها طلب الحـدور، فإن صادفت حواليها أرضـين مرتفعه بقيت فلم تجر، فإن كانت تحتها أرض رخوه غارت أبدا إلى أن ينتهى إلى أرض أو جبـل فلاـ يقـدر على النفوذ فيقـف فـإذا كـثرت الميـاه أكلـت مـا حولهـا من الأرضـين اللّينه حتّى ينقب موضعها، فيخرج منه فيسمّى ذلك الموضع عينا.

و ربمـا انتقبت من ذلـك الموضع الواحـد مواضع كثيره، فجرت أنهـار كثيره و كلّها كانت أغزرا لتلك العيون. و إن كانت المياه المسـتنقعه كثيره جـدا لم تنقطع تلـك العيون فى أوّل الصّـيف، و انقطعت فى آخره على قـدر القلّه و الكثره. و ربّما كانت تلك العيون غزيره سـنين كثيره، ثم ينقص ماؤهـا غير نقصـان المطر و ذلك أن ينتقب فى جهه هـذه العيون، فيخرج بعض تلك المياه إلى تلك الجهه فإن كانت تلك الجهه منفسحه المذهب دام ذلك النّقصان.

و إذا كانت تلك الجهه ليست بمنفتحه بل استقبل الماء مكانا عاليا أو جبلا تراجع الماء،

و رجعت تلک العیون الأولی إلی ما کانت علیه، و ربّما جرت الأودیه و الأنهار من ثلوج تقع علی جبال، فإذا أصابها الحر ذابت قلیلا قلیلا، فجرت منها الأودیه و الأنهار، فإن کان ذلک الثّلج کثیرا لم تنقطع تلک الأودیه و الأنهار، و إن کان قلیلا انقطعت.

و أما الأبحار فإنما هی من مواضع عمیقه فی الأرض و الماء من شأنه یطلب العمق، فالمیاه تنصبّ إلی تلک المواضع العمیقه من الأنهار و الأودیه و السّیول، یستنقع فیه فما کان من ذلک الماء عذبا فإنّه یصیر فوق لخفّه العذوبه و ما کان منه مرّا و ملحا صار إلی أسفل لثقله، فإذا مرّت الشّمس علیه رفعت ما کان منه عذبا لخفّته و لطافته، و ما کان منه لطیفا جدا صار هواء، و ما کان منه فی اللّطافه دون ذلک صار ندی و مطرا.

فأمّا ما یقال: لم لا تستبین الزّیاده فی البحار مع کثره ما یجری فیها من الأنهار و الأودیه، فذلک لکثره سعتها و إنها لا تبقی بل ترفع الشّمس لطیفها فیصیر منها الذّری و الأمطار، و کذلک أیضا لأنّ الذی یعود إلیها فی الأودیه و الأنهار و ربّما نقص بعض البحار فی طول الأزمان أو زاد بعضها، و لکنّ ذلک لا یستبین لطول الزّمان الذی یحتاج فیه إلی أن یستبین، لأنّ ذلک لا یستبین فی قدر عمر إنسان أو إنسانین.

قالوا: و إن قلنا: إنّها تزداد و تنقص، لم یبعد من قبل أنّه لیس من الواجب أن یکون البخار الصّاعد منها سواء مثل الأودیه و الأنهار السّائله فیها، بل قد یکون أحدهما أکثر من الآخر، فلذلک قلنا: قد تزید البحار و تنقص.

و أما ملوحه ماء البحر و مرارته، فلکثره مرور الشّمس علیها فإنّ الرّطوبه إذا خالطتها الحراره صارت مالحه، فإن أفرطت الحراره علیها صارت مره، و مثال ذلک العرق و البول، فإنّهما مالحان جمیعا لعمل الحراره فیهما.

الباب الثّانی و الثلاثون فی الرّعد و البرق و الصّواعق، و أسمائها و أحوالها

اشاره

و هو فصلان

فصل [فی بیان کیفیه تسبیح الرعد بحمده]

قال اللّه عزّ و جل: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ [سوره الرّعد، الآیه: ۱۳] الآیه. و فی موضع آخر: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ [سوره البقره، الآیه: ۱۹] الآیه. قوله: أو کصیّب تشبیه بعد تشبیه و ذلک أنّ اللّه تعالی شبّه أعمال المنافقین و اغترارهم بما اعتقدوه من مخادعه المؤمنین فی إظهار موافقتهم و إبطان مخالفتهم، و أنّ ذلک یقضی لهم بالفلاح و النّجاح فقال: مثلهم فی ذلک و إن کان لا ینفعهم و لا یدفع السّوء عنهم، بل یرجع بالوبال علیهم، کمثل رجل أوقد نارا و هو یظنّ استبانه الطّریق بها، فجاءت ضعیفه فی إنارتها، و لمّا أضاءت ما حولها و قدر بقاها علی ما بها، خمدت فعاد و هو أسوأ حالا و أشدّ عمّی لأنّ النّاظر فی ظلمه بعد ضیاء أضعف تبیّنا أو مثل قوم أصابهم صیّب استصحب رعدا و برقا و نکدا و خوفا فخشوا رهبه من صاعقه تحرقهم، و تنزل البلاء بهم و هذا القدر کاف هاهنا.

و روی أنه سئل ابن عباس عن البرق، فقال: مخاریق الملائکه. و أصل المخراق خشبه فی رأسها سنان عریض تحته عذبه، و کان القوم إذا انصرفوا من حرب ظافرین قدّموا بشیرا معه مخراق، لیعلم الحال به و کان یوفی علی نشز بقرب منهم، و یلوّح بالمخراق، فیجتمع ولدان الحی فرحین و یقولون: مخرق المخراق فی رأس الیضع، فالجیش لا شکّ کما بدا رجع، فلا یزالون کذلک حتّی تطلع عناق الخیل، فیستقبلونها مصفقین، و إذا انصرف الخیل مغلوبین، أو طلبوا مددا بعثوا رجلا و أعطوه سیفا فأوفی علی النّشز و ألاح بالسّیف و صوّت، لیعلم الحیّ بالحال فاجتمع الصّبیان باکین و یقولون: رأی حتفا و ألاح سیفا، و هذا رواه أبو نصر عن الأصمعی رأی حیفا، قال ثعلب هذا تصحیف ما یروی الرّاوون الأجنفا، و منه قول تأبّط شرا:

يا نار شبّت فارتفعت لضوئهاكالسّيف لاح مع النّذير المقبل

و أنشد ابن الأعرابى شعرا:

إنّى إذا ما علقت علاق و شمّرت أولادها عن ساق

شمطاء ذات مضحك براق كريهه المنظر و المذاق

و صافحت بكفّها حلّاق صار به يطعن للأرواق

أعمل خلق اللّه بالمخراق و بالشّهاب اللّامع الخفّاق

و بيّنات جشأ دقاق و أبسط الكفّين للعناق

و إنّما الدّوله بالأرزاق فسر المخراق منها على أنّه السّيف و عنى ببنات جشاء: النّبل، و يقال: رعدت السّماء و برقت، و يقال: أرعدت و أبرقت أيضا، و بعضهم ينكره و ينشد:

أبرق و أرعد يا يزيد فما و عيدك لى بضائر

و يقال: أرعد القوم إذا أصابهم الرّعد، و فى الرّعد الإرزام و هو صوت للرّعد غير شديد، و يقال: أرزم الرّعد. و فيه انهزم و هو اسم صوت الرّعد شديده و ضعيفه، و هو الهزيم. و يقال: تهزّم الرّعد تهزّما و انهزم الرّعد انهزاما. و فيه القعقعه و هو تتابع صوت الرّعد فى شدّه، و جمعه القعاقع. و فيه الرّجس و الرّجسان و هو صوت الرّعد الثقيل. يقال: رجس الرّعد و السّماء يرجس. و فيه الصّاعقه و جماعه الصّواعق، و هى نار تسقط من السّماء فى رعد شديد، و يقال: أصعقت علينا إصعاقا، و يقال: صاعقه أيضا. و قال:

يحكون بالمصقوله القواطع يشقّق البرق عن الصّواعق

و ذكر بعضهم البرق فقال: يلتمع الأبصار، و يهلك الغض من الثمار، و يكنع بعاع البقل، و قيل: لا يكون برق لا رعد معه إلا أن يكون رزالا يعنق السّحاب أو يكون خفوا لا يشنق، و وصف بعضهم الرّعد فقال: يرج الأرض، و يحرق الطّير، و يمرق بيضها، و يصم السّمع، و يسقط الأحبال، و يصدع القلوب. و فيه الأريز يقال: إنّ الرّعد تأرّز تأرّزا و ترززت السّماء ترززا. قال:

جارتنا من وابل الأسلمى ترززا من وراء الأكم

رز الزّوايا بالمزاد المعصم

و يقال: جلجل الرّعد جلجله و هو الصّوت ينقلب فى جنوب السّحاب و تهزج الرّعد تهزجا و هو مثل الجلجله، و زمزم زمزمه و

هو أحسنه صوتا و أثبته مطرا، و أرنت السّماء إرنانا: و هو صوت الرّعد الذى لا ينقطع، يقال: رنّ و أرنّ بمعنى واحد و جمع.

البروق و يقال: برقت السّماء و برق البرق، و برق برقا و أبرق القوم إبراقا إذا أصابهم البرق، و تكشّف البرق تكشفا، و هو إضاءته فى السّماء، و استطار استطاره مثل التكشّف.

و لمع البرق يلمع لمعا و لمعانا و هى البرقه. ثم الأخرى المرّه بعد المرّه. و لمح يلمح لمحا و لمعانا مثل اللمع غير أنّ اللمح لا يكون إلا من بعيد. و تبسّم البرق تبسّما مثل التكشّف، و استوقد البرق الذى يملأ السّماء و السّلسله برق النّهار أو برق السّحاب، و هى البرقه الضّعيفه قال:

تربعت و الدّهر عنها غافل آثار أحوى برقه سلاسل

و يقال: هذا برق الخلّب، و برق خلّب، و هو الذى ليس فيه مطر.

و يقال: خفق البرق خفقا و خفقانا و هو تتابعه، و خفا البرق يخفو خفوا و هو أن تراه من بعيد خفيا، و يقال: هو أخفى ما يرى من البرق.

و يقال: أومض البرق إيماضا، و هو الوميض و هو الضّعيف من البرق.

و يقال: سنا البرق و هو ضوؤه تراه من غير أن ترى البرق أو ترى مخرجه فى موضعه، و إنّما يكون السّنا باللّيل دون النّهار، و ربّما كان بغير سحاب، و السّماء مصحيه وضوء البرق مثل سناه.

و تشقّق البرق تشقّقا و هو أن تبرق البرقه فتتّسع فى النّشر. و تألّق البرق تألّقا مثل التّشقق. و تكلّح البرق تكلّحا: و هو دوامه و تتابعه فى الغمامه البيضاء و تلألأ تلألؤا و هو السّريع الخفيف المتتابع.

و مصع البرق يمصع مصعا: و رمح يرمح رمحا و هما سواء و هو البرق السّريع الخفيف المتقارب.

و ألهب إلهابا: و هو سرعه رجعته و تداركه، و ليس بين البرقين فرجه.

و العراص: الذى يلمح و لا يفتر نحو التّبسم.

و قد عرصت السماء: تعرص عرصا إذا دام برقها و رأيت السّماء عراصه.

و فرى البرق يفرى: و هو تلألؤه و دومه فى السّماء و كانوا يسمّون البرق، فإذا لمعت سبعون برقه انتقلوا مستغنيين عن الرّواد لاستحكام ثقتهم.

و يقال: برق و ليف إذا لمع لمعتين، و قد شبّه ذلك بلمع يدين. قال امرؤ القيس شعرا:

أ صاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى جبى مكلّل

و قال الهذلى:

تبسّم بعد شتات النّوى و قد بتّ أخيلت برقا و ليفا

و ارتعج البرق إذا تتابع لمعانه. قال أبو عبد اللّه: سئل بعضهم عن البرق فقال: مصعه ملك أى يضرب السّحاب ضربه فترى النّيران و أنشد:

و كان المصاع بما فى الجون

و يقال: أزعج البرق و برق مزعج قال:

سحّا أهاضيب و برقا مزعجاتجاوب الرّعد إذا تبوّجا

و التبوّج: مثل التكشّف، و يقال: تبوّج تبوّجا.

و يقال: أخفى البرق كأقيد الطّير قال:

خفا كأقيد الطّير و هنا كأنّه سراج إذا ما يكشف اللّيل أظلما

و قال عمرو بن معدى كرب: يلوح كأنّه مصباح باز. قال أصحاب المعانى: أراد مصباح رجل من بنى باهله فمصباح لا يطفأ.

فصل فى الرّعد و البرق و السّحاب من كلام الأوائل

قالوا: إذا علا البخار الرّطب و بلغ إلى الموضع البارد و الجبال دفعه البرد إلى أسفل، فاحتقن هناك، و صارت الجبال القريبه له كالمغارات، و تكاثفت أجزاؤه فيكون منه السّحاب و الضّباب و النجدى، على قدر اختلاف البخار الذى يصعد.

فإذا اجتمع ذلك البخار الرّطب هناك حصر ما فيه من البخار اليابس الصّاعد من الأرض معه، و إذا كان ذلك اضطرب البخاران اليابس الحار و البارد الرّطب فى جوف السّحاب، فقرع السّحاب و صدعه فيكون من ذلك القرع صوت يسمى الرّعد، و يكون من ذلك التّصدع تلهّب، يقال له: البرق، و هما يكونان فى وقت واحد، و لكنّ البصر ترى الألوان بلا زمان و السّمع لا يدرك الصوت إلا بزمان، و ذلك الزّمان على قدر بعد السّحاب من الأرض.

فإذا كان ذلك السّحاب من الأرض قريبا تبيّن رؤيه البرق، و سمع الرّعد فى زمانين متقاربين. و إذا كان السّحاب بعيدا من الأرض كان بين رؤيه البرق و سماع الرّعد زمان طويل. و شبّه ذلك الصّوت الذى يكون من السّحاب بالحطب الرّطب الذى تشتعل فيه النّار

فيسمع له صوت و قرقعه، فعلى قدر كيفيه السّحاب و كيفيه البخار الحار اليابس المختنق فيه، يكون ذلك الصّوت الذى هو الرّعد و الضوء الذى هو البرق.

فأمّا اختلاف ألوان السّحاب فعلى قدر عمل الحراره: فإن كانت الحراره قد عملت فيه عملا شديدا رؤى لون السّحاب أسود، و إن كانت قد عملت فيه عملا قليلا رؤى السّحاب أبيض، و إن كان فيما بينهما رؤى أحمر أو أصفر على قدر عمل الحراره فيها لأنّ الحراره تحرق الأجسام فتكون ألوانها على حسب إحراقها.

و أما صغر قطر المطر و كبره: فعلى قدر شدّه دفع الرّيح السّحاب و ضعفه: فإن دفعته دفعا شديدا اجتمعت أجزاؤه، فكان منه قطر كبار. و إن دفعته دفعا ضعيفا كان منه قطر صغار.

و أمّا اختلاف ألوان البرق فعلى قدر السّحاب الذى يتصدّع، فإنّ البرق أيضا مختلف اللّون، فربّما كان إلى السّواد ما هو، و ربّما كان إلى الصّفره ما هو، و إلى الشّقره، و ذلك كلّه على قدر كيفيه السّحاب، فهذا ما فى الرّعد و البرق و السّحاب.

فأمّا الصّاعقه فى اللغه فهى الواقع الشّديد من صوت الرّعد يسقط معه قطعه من نار، و صوت العذاب أيضا. و قد صعقتهم السّماء و أصقعتهم، و يقال: صعق إذا أغمى عليه من صوت يسمعه و مات أيضا، و يقال: صعق و هو صعق الصّوت أى شديده، و المصدر الصّعق و الصّعاق. قال إذا ائتلاهنّ صلصال الصّعق. و فى القرآن: وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً [سوره الأعراف، الآيه: ۱۴۳] أى مغشيا عليه بدلاله قوله: فلما أفاق.

و قال الخليل: الصّاعقه: صوت العذاب. و قال بعضهم: نار ريحيّه و ريح ناريّه و ذلك أنّها إذا وقعت فى الخشب أحرقته و أشعلته. و إذا وقعت على ذهب أو فضه أحمته و أذابته.

و هذا الفعل من أفعال النّار. قال: فيقول: إنّها و إن كانت نارا فليست بالنّار الحريه بل هى نار لهبانيّه. و ذلك أنّها إذا سقطت على الأرض لم يوجد جمرها بل يرى ذلك الموضع الذى تقع فيه الصّاعقه كثير الدّخان متصدّعا. و هذه من خواص النّار و الرّيح، و الصّاعقه أيضا ألطف من جميع النّار اللّهبانيه التى عندنا، و ذلك أنّ النّار التى عندنا لا تنفذ فى الحيطان و لا فى الأرضين. و الصّاعقه تنفذ فى كلّ جوهر محسوس، و هى لا تبصر لأنّها بلطافتها تفوت أبصارنا، لكنّ أفعالها تبصر، و لسرعه حركتها تجاوز الوقت الذى يمكن أن يكون فيه البصر.

و الصّاعقه تكون لعلّتين: إمّا لاكتمان النّار فى الغمام و إفلاتها بغته، و إمّا لاـ كتمان الرّيح فى الغمام و احتكاكها به و شدّه خروجها بغته، و فى مجيئها إلى الأرض تصير نارا، كما ترى ذلك فى الرّصاص إذا رمى بالمقلاع، فإنّه يسخن بمحاكّه الهواء و يلتهب و يذوب.

الباب الثالث و الثّلاثون فی قوس قزح، و فی الدّائره حول القمر، و فی البرد

اشاره

فی قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِی سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ [سوره النّور، الآيه: ۴۳] الآيه و هو ثلاثه فصول:

فصل [فی بيان معنی قوس قزح]

قال الخليل: قوس قزح طريقه مستوسقه تبدو فی السّماء أيّام الرّبيع. و فی الحديث عن ابن عباس أنّه قال: «لا تقولوا قوس قزح، فإنّ قزح من أسماء الشّياطين و لكن قولوا:

قوس اللّه عزّ و جلّ» و قال أبو الرّقيش: القزح الطّرائق التی فيها و الواحده قزحه و التّقزيح إذا اتّسع رأس الشّجره أو النّبت شعبا مثل برثن الكلب. و فی الحديث: «نهی عن الصّلاه خلف الشّجره المقزحه» فأمّا قول الأعشی شعرا:

جالسا فی نفر قد يئسوافی محلّ القدّ من صحب قزح

فقزح لقب رجل.

و أمّا الهاله: فهی الدّاره حول القمر، و قد مرّ القول فيه فی باب القمر و من كلام الأوائل فيها: أنّ رؤيتها داله على مجی ء المطر، و كينونته، و اضمحلالها و تحلّلها يدلّ على حدوث الصّحو لكونه دالا على يبس الهواء، و كما يدلّ على المطر يدل على هبوب الرّياح، لأنّ المحلّل لتلك الرّطوبه إنّما هو البخار الحار اليابس الذی هو مادّه الرّيح، و النّدأه تكون فی أيّام الغيوث و هی عندهم و عند بعض العجم من أمارات المطر، و مما يصفون به صدق مخيله السّحاب أن يروا القواری تكثير الطّيران فی الدّجن. قال الجعدی شعرا:

فلا زال يسقيها و يسقی بلادهامن المزن رخّاف يسوق القواريا

و كذلك المرع: ضرب من الطيّر يظهر فی المطر، و هی طويله العنق مشرّبه صفره،

قال أبو زياد: النّاس يستبشرون برؤيه القوارى.

و من أسماء القوس: الدّاح و من أمثالهم: لا يعرف الماح من الدّاح. فالماح: صفره البيض. و الدّاح: الذى يسمى قوس قزح. و هذه الدّائره أكثر ما ترى باللّيل، و قد ترى بالنّهار أحيانا، و أكثر ذلك نصف النّهار و بالعشى. فإمّا عند طلوع الشّمس و عند غروبها، فقلّما ترى. و علّه هذه الدّارات كلّها واحده و ذلك أنّ البخار الرّطب إذا كثر فى الجو و أشرقت الشّمس أو القمر و الكواكب المنيره فيها سطع نورها فى الهواء. ثم عطف ذلك النّور راجعا من الهواء على البخار الرّطب فترى تلك الدّاره كذلك.

و قالوا فى قوس قزح: إنّها لا ترى دائمه، و أكثر ما ترى بالغداه و العشى فأما نصف النّهار فلا ترى، و أكثر ما ترى فى الخريف. فأمّا فى الصّيف فلا ترى و ربما رؤيت قوسين، فأما علّه كونها فهى من شعاع الشّمس الرّاجع إلى البخار الرّطب كمثل ما يشرق فى الماء.

ثم يرجع إلى الحائط و ربّما يرى قوس قزح باللّيل من ضوء القمر، و قلّما يرى ذلك، و إنما يرى إذا رأيت فى مثله ليله البدر إذا كمل ضوء القمر.

فأمّا كدوره قوس قزح و صفاؤها فعلى ما تغلب عليها الرّطوبه كان اللّون إلى الصّفا، و البياض، لأنّ صفاء الهواء و كدورته من قبل هاتين العلّتين الرّطوبه و اليبس، و قياس ذلك النّار فإنّها إذا كانت فى حطب رطب كان لون النّار أحمر كدرا، و إذا كانت فى حطب يابس كان لون النّار أصفر صافيا، فكذلك لون قوس قزح أيضا.

أمّا الحمره التى ترى أحيانا فى أيّام الصّحو فى الهواء: فمن قولهم فيها: إنّ الهواء إذا تكاثفت أجزاؤه و غلظ ثم سطع ضوء الشّمس أو الكواكب فى موضع من الأرض، رجع ذلك الضّوء إلى الهواء كالضّوء الذى يرجع من الماء إلى الحائط، فكذلك الهواء إذا رجع إليه الضّوء من الأرض، أو من المياه قبله على قدر مشاكلته، لقبوله فيرى لون الهواء أحمر أحيانا، و على الهواء القابل لذلك.

و القول فى الآيه بدأ اللّه تبارك و تعالى يذكّر بنعمه على خلقه، حالا بعد حال و وقتا بعد وقت، و بكمال تدبيره، مجملا و مفصّلا، و مقدّما و مؤخّرا و كيف سبّب الأسباب و رتّب الأقدار فيما هيّأ من درور رزق و درج من نزول غيث فقال: انظروا كيف جمع فرق السّحاب بعد إنشائها، و كيف ألّف سياقها على تباينها، و فى أىّ حال كشفها عقب رقّتها و تخلخلها، حتى صار مع تراكمها يؤدى ما أودع و ينخرق بما ضمّن، فيخرج من خلاله الماء، مرافقا للنّار، جامدا و ذائبا، و متخلخلا و متماسكا.

ثم يقسمه سحابه بين منتظريه و طالبى الانتفاع به، كما يشاء فيعطى كما يحرم و يهب كما يمنع، مقلّبا اللّيل و النّهار، و مبدّلا الظّلم و الأنوار، و اعتبروا ففى ذلك عبره لأولى الأبصار.

قوله: يزجى يعيد سوفا على رفق، لذلك قال عدى: و يزجى بعد الهذين جهه شمال كما يزجى الكسير. لأنّ الكسير يرفق به. و الرّكام: الغليظ المتلبّد المتطارف، و الودق: الماء و الفعل منه و دق.

و قوله: مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ [سوره النّور، الآيه: ۴۳] فكلّ مستحجر صلب غليظ يوصف بأنّه جبل و جبال. و منه قوله تعالى: وَ الْجِبِلَّهَ الْأَوَّلِينَ [سوره الشّعراء، الآيه: ۱۸۴] و قوله تعالى: مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ [سوره النّور، الآيه: ۴۳] أراد من جبال برد فيها، و هذا على التّكثّر كما يقال: عند فلان جبال من المال. و المراد أنّ ما ينزله من الغيث يكون ذائبا و جامدا فيقسمه بين الخلق على ما يرى من مصالحهم و إنّما قال تعالى: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ [سوره النّور، الآيه: ۴۳] لأنّ الضّوء الباهر إذا أديم النّظر إليه أضرّ بالعين، و كذلك الشى ء الأبيض كالثّلج و ما أشبهه.

فصل من كلام الأوائل فى البرد و الطّلّ و الدّمق

قالوا: إنّ البرد إنّما يكون فى البخار الحار إذا أصابه برد الهواء و ذلك لتنافر الحراره و البروده. فإذا أصاب البرد السّحاب انقبض الماء فى داخل السّحاب من كثره حراره ذلك البخار، فيجمد فى جوف السّحاب، و ذلك لمضاده الحرّ للبرد و لذلك إنّما يكون البرد فى الأيام الحاره لمضاده الحرّ البرد.

فأمّا فى الأزمنه البارده و البلاد الشّديده البرد و إن كان البرد منتشرا فى جميع الأماكن، فليس يقع هناك مضاده الحر للبرد فلا يكون بردا. فأمّا اختلاف خلقها فمن قبل بعده و قربه من الأرض: فإن كان بعيدا من الأرض كان صغير الحب و ذلك لأنّه يذوب فيما بين مخرجه و بلوغه إلى الأرض، فيصغر قدره و يستدير.

فأمّا ما كان قريبا من الأرض فإنّه ينزل سريعا فلا يستدير لكن يبقى كثيرا مختلف الشّكل، و إن كان الصّغر و الكبر فيه تبع قدر الماء، و كونه مضغوطا فى السّحاب، و ربما كان علّه كبر القطر من قبل قوّه الرّيح فيضغط أشدّ ضغط فهذا ما فى البرد.

فصل فى أسباب الطل

فأمّا أسباب الطّل: فيكون إذا كان فى الموضع السّفلى و اجتمع أو تصاعدت بخارات فغلظت من البروده ينزل الشى ء الذى يغلظ لما فيه من الثّقل، لأنّه ليس تحته من الهواء كثير فيمنعه من النّزول كما يمنع الهواء فوق لكثره الغمام من النزول و القطع الصّغار. و الدّمق:

يكون إذا جمد الطّل بالبروده، قالوا: و السبب فى بياض الدّمق ما تداخله من الهواء لأنّ الشّى ء الذى هو فوق ثلج، هو أسفل دمق و الشّى ء الذى هو فوق مطر هو أسفل طل، و من أجل ذلك قيل: إنّ الدّمق يكون من جمود البخار قبل أن يجتمع فيصير ماء.

الباب الرّابع و الثلاثون فی ذکر المیاه، و النّبات ممّا یحسن وقوعه فی هذا الباب

اشاره

و هو ثلاثه فصول

فصل [فی بیان معنی قوله وقع الغیث بمکان]

الأصمعیّ یقال: وقع الغیث بمکان کذا إذا مطر، و لا یقال: سقط. قال الشّاعر:

وقع الرّبیع و قد یقارب خطوه و رأی بعقوته أزلّ نسولا

یعنی بالأزل الذّئب. و قال آخر:

حتّی إذا وقع السّماک و عشرت عین فمنبعه و أخری مقرب

یرید وقع غیث السّـماک، و لو أراد السّماک نفسه لقال سقط و لم یقل وقع، إنّما الوقع للغیث، و السّقوط للنّجم، قال السّاجع: إذا النّجم هبـط، و إذا النّسـر سـقط، و إذا وقـع الغیث قیـل: نصـرت الأـرض فهی منصوره، و إذا وقع الغیث فابتـلّ الـتراب فهو ثری و الأرض ثریه ما دامت رطبه، فإذا جفّ قیل: بلح و مصح. قال یصف إبلا:

و بلح الرّب لها بلوحاو أصغر فی الأرض الثّری مصوحا

و إذا اشتدّ ندی الثّری حتی یلزم بعضه بعضا: فهو الثّری الجعد، فإذا زاد فهو کباب، فإذا ارتفع عنه فهو عمد.

قـال الغنویّ: فـإذا أصـاب المطر و کان ثراه فی الأرض إلی الرّبیع فهو المرسغ و هو ربیع، و خیر ما یکون من المرسغ إذا کان فی شحـاح الأـرض، و هو ما صـلب منها، و الرّسغ موصل الکف فی الـذّراع. و عن غیره إذا کان الثّری فی الأرض مقـدار الراحه فهو المرحی، قـال أبو حنیفه: هکـذا روی بتقـدیم الحاء یریـد أنّه یجی ء من الرّاحه مروح. قال الغنویّ: و إذا کان الثّری إلی مسـتحلّ الذّراع، و مستحلّها ما غلظ منها مما یلی المرفق فهو الرّسغ المنبت

النّافع. و إذا كان إلى المرفق فهو المطر الجود و هو يجزى الأرض شهرا من المطر. فإذا بلغ الثرى نصف العضدين قيل: حيا. فإذا بلغ المنكب فهو حيا عند جميع النّاس لما بعده. فإذا حفر الحافر الثّرى فذهبت يده حتى يمس الأرض باذنه و هو يحتفر. و الثّرى جعد. فقد اعتقدت الأرض حيا سنتها. و يقال: غيث جدا، لا يحفره أحد و لا سكفه، أى لا يعلم أحد أين أقصاه.

و قال الأصمعى: إذا التقى الثّريان فهو الجود يعنى أن يتّصل النّدى الظّاهر بالنّدى الباطن المستكنّ فى جوف الأرض. و حكى الأصمعىّ عن رؤبه: شهر ثرى و عشر ثرى- و شهر مرعى- و شهر استوى. و قال ابن الأعرابى: قيل لابنه الخنسى: كم يعقد المطر فى الأرض و لا- يخرج؟ فقالت: عشر ثرى و عشر ثرى و عشر مرعى(۱). أرادت أنّ الماشيه تشبع فى ثلاثين. فهذان القولان متّفقان، و معنى استوى: اكتهل فى الشّهر الرّابع ثم يشبع المعزى.

و اعلم أنّ البلاد تختلف فى ذلك: فإنّ منها الأنبت الممراح فلا يبطئ نباته، و منه المصلاد النكد الجحد الإنبات. و يختلف أيضا من قبل الزّمان، فإنّ الأرض إذا جيدت و الزّمان لين كزمان الصّيفوى و الدفى ء و الخريف لم تلبث الأرض أن تعشب. و إذا جيدت و الزّمان قسى ء بارد منعها البرد من الإعشاب فأبطأت به.

و قال ابن الأعرابى: قال أبو المجيب أعرابى من بنى ربيعه: لقد رأيتنا فى أرض عجفاء، و زمان أعجف، و شجر أعشم فى قف غليظ، و جاده مدرعه غبراء فبينا نحن كذلك، إذ أنشأ اللّه من السّماء غيثا مستكفا نشوؤه، مسبله عزاليه- عظاما قطره- جوادا صوبه- زاكيا ودقه- أنزله اللّه رزقا لنا فتنعش به أموالنا- و وصل به طرقا فأصابنا. و أما السّوطه بعيده بين الأرجاء فاهرمع مطرها حتّى رأيتنا و ما نرى غير السّماء و الماء، و صهوات الطّلح فضرب السّيل النّجاف.

و أمّا الأوديه فرعها فما لبثنا إلا عشرا حتّى رأيناها روضه تندى، فهذا اجزأنها روضت فى عشر و هو دون ما قدّمناه من قبل. و العلّه فيه الزّمان، و إذا اتّفق الزّمان اللّين و الأرض الممراح كان هذا و نحوه. و إذا وقع الغيث: فنجع و رؤى تباشير خيره قيل: رأينا أرض بنى فلان غب المطر واعده حسنه. حكاه الأصمعى، فإذا أبصرت شيئا من النّبات فذاك الإيشام و الطّرور و البقول و الإيفال.

أوشمت الأرض توشم إيشاما، و طر النّبت طرورا كما يطرّ الشّارب، فإذا تطررت

۱- كذا فى الأصل و اللّه أعلم.

الخضره لعينک فقد خصبت الأرض تخصب خصبا و خصوبا و دست و تودست حسنا، و التّربص مثل التّودس.

و کذلک الإبشار یقال: أبشرت الأرض، و ما أحسن بشرتها و دسّها و کنأ النّبت إذا طلع.

و إذا اتّصل قیل: وصت الأرض فهی واصیه قال:

وصی لها غراد و جاد ملبس کلّ أجرعا. فإذا بلغ اتّصاله أن یغطی الأرض قیل:

استحلست الأرض. قال ذو الرّمه:

حتی کسا کلّ مرتاد له خضل مستحلس مثل عرض اللّیل یحموم

و حینئذ تری الأرض مدهانّه.

و إذا رأیتها کذلک فذاک الوراق، فإذا نهض البقل قلیلا و هو أغض ما یکون و أنعمه، فذلک اللّعاع و النّعاع و قد ألعت الأرض إلعاعا حسنا. و یقال: ترکت المال یتلقی أی یرعی اللّعاع، و الشّعتد نحو من اللّعاع، و إذا ارتفع عن ذلک حتی یشتد قیل: عرد یعرد عرودا.

و النّقاء: القطع المتفرقه من النّبات و الواحده نقأه. قال:

جادت سواریه و آزر نبته نفأ من الصّفراء و الزّباد

و کذلک الثّجر و الواحده ثجره فإذا نهض حتی یملأ أفواه المال فهو جمیم، أخذ من الجمه علی التّشبیه.

فإذا ارتفع عن ذلک فهو عمیم. و یقال: اعتمّ النّبت. قال ساعده:

یرتدن ساهره کأنّ جمیمهاو عمیمها أسداف لیل مظلم

و یقال: جادت الأرض بالنبات و غیث جود، و ذلک إذا طال و ارتفع و قد غلا یغلو غلوا و اغلولب.

و یقال: استلّ و ذلک حین لا یری فرجه لطوله و انتشاره.

و یقال: أغنت الأرض: و ذلک إذا سمعت لها غنّه لالتفاف النّبات و کثافته و حینئذ یقال: استأسد، و قد یکون ذلک من أصوات الذّبان. قال شعرا:

مستأسد ذبّانه فی غیطل تعلن للدایدا عشبت أنزل

فإذا ظهرت أكمامه و هی غلف النّور فذلك البراعيم و الواحده برعومه. و الكعابر و الواحده كعبره حتى يتفتّح ثم ينشق عن النّور فتخرج زهرته و ذلك التّقصيح، و النّور حينئذ فقاح و البراعيم من قبل ذلك صمع واحدها صمعاء.

و يقال حينئذ: جنّ النّبت جنونا و أخذ زخرفه و زخاريه و ألفى بهجته. قال ابن مقبل:

زخارى النّبات كأنّ فيه جياد العبقريّه و القطوع

و يقال: اقتان النّبت اقتيانا إذا تزيّن و ظهر حسنه و هو مأخوذ من التّقيّن. و منه قيل للماشطه: مقيّنه. قال:

و هنّ مناخات تحلّلن رمهكما قتلن بالنّبت العهاد المجوّز

و يقال: أزهر النّبت إذا ظهرت زهرته و زهر و هو ألوان نوره.

و يقال: نور النّور و نواره و زهرته سواء.

و كذلك الفغو و الفاغيه. و يقال: أفغى النّبت إذا نور. فأما الأصمعىّ فإنّ الفغو و الفاغيه عنده ورد كلّ ما كان من الشّجر طيب الرائحه.

و غير الأصمعى يجعل الجنون طوله يقول جنّ إذا طال فهو مجنون. قال الرّاجز يصف نخلا: ينقص ما فى السّحق المجانين. و قال ابن أحمر:

تنفقأ فوقه القلع السّوارى و جنّ الخازباز به جنونا

فإذا انتهى و بلغ فهو مكتهل، و كل ما انتهى منتهاه فهو كهل. قال ابن مقبل:

وقوفا به تحت أطلاله كهول الخزامى وقوف الظّعن

و هو فى جميع هذا الأحوال خلا و عشب، و يقال: أعشبت الأرض و اعشوشبت و أعشبت الإبل أصابت العشب.

و كذلك أخلت الأرض إذا نبت خلاها، فإذا جززته قلت: اختليته. قال:

سوف المعاصير خزامى المختلى. و هذا كلّه ما دام رطبا رطب و خضر. فأما الشّجر:

فإنّ أوّل توريقه النّضح يقال: نضح الشّجر نضحا إذا تقطر بالورق و هو اليغط و الفقح يقال:

فقح الورق إذا انفتح.

فإذا اكتسى خضره من الإبراق قيل: قد تمشّر و أمشر إمشارا و ظهرت مشرته و مشرته بالتّحريك و الإسكان، و المشرّه من الشّجر كاللّعاعه من البقل. قال: و قصارها إلى مشره لم تعتلق بالمحاجن.

و يقال: أورق الشّجر إيراقا و ورق توريقا، و لا يسمّى ورقا إلا ما عرض و تبسّط.

فإذا طال طولا شديدا مع بعض التّبسّط فهو خوص و الواحده خوصه.

فإذا طالت مع اندماج، فلم يكن فيه تبسّط فهو الهدب، و العبل نحو منه، عن أبى

عبیده و أبی عمرو یقال: قد أعبل الأرطیّ إذا ورق.

و للإعبال موضع آخر: و هو أن یقال: قد أعبل الشّجر و ذلک إذا تساقط ورقه فی قبل الشّتاء و کأنّه من الأضداد.

فإذا نقصت غضاضه النّبات و اشتدّ عوده قیل عسا یعسو عسوا.

فإذا ولت بلولته و أخذ یتهیأ للجفوف قیل: ذوی یذوی و ذأی یذأی أی فهو ذا و فی کلتا اللغتین: و ألوی إلواء و ذلک نحو الذوی فیکون النبات حینئذ لویا.

فإذا تجاوز ذلک قیل: قد أقطر اقطرارا و إقطارا أیضا.

فإذا شعفه الیبس قیل: هاج یهیج هیاجا و هیجا و هو حینئذ یبس الباء ساکنه و یبس و قفل.

قال أبو ذؤیب: فحزت کا تتابع الرّیح بالقفل و هو الحفیف و الغفیف و القف قال:

کشیش أفعی فی یبس قف.

و قد قفت الأرض قفوفا و هو فی هذه الحال حشیش، و فی کلّ حال کلأ و لا یقال له قبل أن یجف حشیش، فإذا تمّ فیه الیبس لوی، فإذا تکسّر بعد الیبس فهو حطام و هشیم.

و قال الکلابی: إذا یبس النّبت فما دام قائما فهو القف. فإذا تکسّر و سقط إلی الأرض فهو الحبه، قال أبو النّجم:

فی حبه جرف و حمض هیکل. فأمّا الأصمعی فالحبّه عنده: حبّه ما له حب من النّبات، قال و یقال: الإبل فی حبه ما شاءت، فإذا رکب بعضه بعضا فهو ألثن، قال: و أقام بعد الحدب فی ثن، فإذا اسودّ من القدم فهو الدّندن. قال:

کالسّیل یغشی أصول الدّندن البالی. و الدّرین حطام جمیع النّبت، و السّفا شوک البهمی خاصه، و السّفیر ما تساقط من الورق لأنّ الرّیح تسفره أی تکنسه و إذا أخذ النّبت یجف و أصوله حیّه ثم جاء المطر علیه فعاد أخضر فذلک النّشر. قال شعرا:

و فینا و إن قیل اصطلحنا تضاغن کماطر أوبار البعیر علی النّشر

و هو مطر یأخذ عنه الإبل إذا رعته السّمام، و الهرار ثم تشلح عنه فتهلک و أنشد:

کما نشأت فی الجزء مزنه صیف و ضمنت الأکوار عاقبه النّشر

فأمّا ما نبت فی أصول فهی الغمیر.

و الرّبل: ما ينبت من غير مطر ببرد اللّيل و يقال: أربلت الأرض و أربل الشّجر، و يقال له الخلفه كأنّه يخلف ما يقدم.

و يقال: راح النّبت و تروح إذا اكتسى ورقا. و حكى عن الكلابى أنّه قال: الرّبل و الخلفه و الرّيحه واحد، و كل هذا نبت مع طلوع سهيل و ضروب من النّبات تدوم خضرتها الصّيف فلا يهيج مع هيج النّبات.

يقال لها: الرّبب و الواحده ربه و النّبات كلّه يجمعه الشّجر و العشب. فالشّجر ما قام على ساق، و العشب ما خالف ذلك ثم ينقسم العشب قسمين: بقلا و جنيه، فالجنيه ما له أرومه فهو أقوى من البقل، و البقل أحرار و ذكور فأحراره ما رقّ و عنق، و ذكوره ما غلظ منه.

الباب الخامس و الثّلاثون فی ذکر المراتع المخصبه و المجدبه و المحاضر و المبادی

اشاره

و هو فصلان

فصل [فی أن الأوطان و المراتع تختلف فی هذا الباب اختلافا شدیدا]

قال الأصمعیّ: إنّ الأوطان و المراتع تختلف فی هذا الباب اختلافا شدیدا لأنّ منها ما یطول بقاء الرّطب و دوام الماء فیه. و منها ما یقصر ذلک فیه.

و من المراتع أیضا مسهفه معطشه. و منها مرواه، و لذلک تراهم یختلفون فی ذکر هیج النّبات و فناء المیاه، فیأتی توقیت زمانه مقدّما و مؤخرا، و یحضر قوم و یبقی قوم فی النّجعه، و ربّما وجدت السّائمه متعلفا من بقایا الرّطب فی مثانی الأرض، و محانی الأودیه، و أعماق البطون، و أقام الحیّ یستحلف لهم من الاعداد علی الزّوایا فیؤتون بالماء إلی مبادیهم حتی یستنفدوا الرّطب فیکون حضورهم إذا لم یجدوا له مدفعا، و لا یجدون إلی الأجزاء سبیلا.

و اعلم أنّ المراعی تنقسم قسمین: خلّه و حمضا، فالحمض ما کانت فیه ملوحه و الخلّه ما لا ملوحه فیه. و الحمض: یرخی بطون الإبل و یعنق لحومها، و یطیل أوبارها و ینفشه، و یغلظ و یکثر علیه شربها.

و الخلّه علی خلاف ذلک، و الخلّه للإبل کالجز، و الحمض کالأدم، فإذا عافیت بینهما کان ذلک أفضل ما یکون.

و إذا أخصب النّاس قیل: أحیوا الحیوان أحیاء، و الحیاء الخصب، و جمع الخصب أخصاب، و جمع الحیاء أحیاء، و أنشد الأصمعیّ فی جمع الخصب:

کأنّما یزینه الإخصاب بالمعر الحمر

. و هذا عام: حیاء- و عام أوطف- و أعزل- و أقلف- و غیداق- و عام فتق- و کلّ ذلک معناه الخصب قال. لم ترج رسلا بعد أعوام العنق. فإذا کان عاما مشهورا بالخصب قیل له:

عام المال. قال:

رآنى تجاذيب الغداه و من يكن فتى قبل عام الماء فهو كبير

و يقال: ربع الرّبيع، و نحن فى ربيع رابع، و النّاس فى الرّغد، و الرّغد و قد أرغدوا و هم فى رفاهه و رفاهيه و رفهفيه، و بلهنيه، و رخاخ من العيش، و رخاء و رفاغه و فى عيش دغفل، و غدفل و أغضف و غاضف، و هم فى مثل حدقه البعير و فى مثل الحولاء.

و ذلك إذا كانت الأرض مخصبه معشبه و فى عيش إبله و أهيغ كلّ ذلك الخصب و هذا بلد خصيب و خصيب و خصب. و إذا كان ذلك عادته فهو مخصاب.

و يقال: أرتع القوم إذا رتعوا فى خصب و تحقيقه: نالوا مرتعا. و أفتق القوم إذا أعشبوا، و أسمنوا و إذا أجدب النّاس قيل: أسنتوا و هذا عام سنه. و مما حكى: الأرض وراءنا سنه، و أرضون سنون أى مجدبات.

و كذلك محول و أرض محل و ممحله و أمحلت و محلت، و بلد ممحل و ما حل و أصابتهم أزبه و أزمه- و لأواء و لولاء- و شصاصاء- و فحمه و حجره. و يقال: أحجر عامنا إذا قلّ مطره قال:

إذا الشّتاء أحجرت نجومه و اشتدّ فى غير ثرى أزومه

و يقال: أصابتهم كلبه الزّمان، و هلبه الزّمان، و السّنه القاويه القليله الأمطار و قد قوى المطر، و العام الأبقع الذى قلّ مطره.

و يقال: سنه سنواء، و أرض بنى فلان جرز، و مجروزه و جرزات و فل و مخرجه و بقعاء.

و يقال: لم يصبها قابه أى قطره، و إذا أخطأ الأرض الوسمىّ كلّه و صدر الولى ففى ذلك الشتاء بكلبه و إصراده، فذلك المحل لا شكّ فيه المجلى، و هذا المعنى عبّر عنه الشّاعر فى قوله:

إذا غرد المكاء فى غير روضهفويل لأهل الشّاء و الحمرات

و ذلك أنّ المكاء لا يعدن بغير الرّياض، و لا يقيم إلا فى معاشيب الأرض و فيها تبيض و تفرخ و تزقو و تغرّد. و قد بيّن الرّاعى، فقال: يفضل الإبل على المعزى و الحمر.

إنّا وجدنا العيس خير بقيهمن الفقع أذنابا إذا ما اقشعرّت

ينال جبالا لم ينلها جبالهاو دويّه ظمآى إذا الشّمس ذرّت

مهاريس فى ليل التّمام نهته إذا سمعت أصواتها الجنّ فرّت

يعنى بالفقع أذناب المعزى، يقول الإبل: تستطيع أن تنال من البلاد ما لا تستطيعه الغنم، و يصبر على الظمأ و قال جندل الطّهوى يصف عيرا:

رعى جماد ثادق فالقرقره أزواج مزه زخرى الزّهره

حتى إذا ما الهيف حتّ تمره و أسبلت بعد الجناه الهيشره

و ودّع العشّ فراخ الحمرهو نشر اليسروع بردى حبره

و ظهرت ذات العشاء الحشرهو نقض الفقع فأبدى بصره

و قام للجندب ظهرا صرصرهشدّ على أهل الورد ميزره

أراد بالأزواج الألوان من النّبات و المزهى: ذو الزّهو و الهيشره نبت، و يعنى ببردى حبره جناحيه لأنّه يسلخ فيصير فراشه فى آخر الرّبيع و إنمّا ظهرت الحشره ذات العشاء لبرد اللّيل. و إنّ حرّ النّهار كان مانعها من الانتشار، و الفقع ضرب من الكماه أبيض، فإن استبشر فى أول الزّمان، و إلّا شقّ الأرض عن نفسه، و ظهر ثم يصفر إذا تطاولت به الأيام و اشتدّ الحر. لذلك قال السّاجع: إذا طلعت الهقعه أدرست الفقعه، و تعرض النّاس للقلعه، و رجعوا عن النّجعه، و قال الرّاعى فى ظهور الفقعه من تحت التّراب:

بأرض يبن الفقع فيها قناعه كما أبتنّ شيخ من رفاعه أجلح

شبه الفقعه برأس الشّيخ لتجرّدها. و قال السّاجع أيضا فى الظّعن عن البدو و الرّجوع إلى الحضر: إذا طلع الشّرطان خضرت الأعطان، و طلوع سهيل وقت لأوّل التّبدى و غيبوبته وقت لأول الحضور، و هو يطلع إذا ناء سعد السّعود و يغيب قبل أن ينوء الغفر. فمده طلوعه نحو من ثمانيه عشر نوءا و ذلك قريب من ثلثى السنه، و مده غيبوبته نحو من عشره أنواء، و هو قريب من ثلث السّنه. و قال ذو الرّمه يصف امرأه و يذكر وقت مبدئها و محضرها شعرا:

غراء أنسه تبدو بمعقله إلى سويقه حتّى يحضر الحضرا

تشتو إلى عجمه الدّهنا و مربعهاروض يناصى على ميثه العفرا

حتى إذا هزّت البهمى ذوائبهافى كلّ يوم يشهى البادى الحضرا

و زفزفت للزّبانى من بوارحهاهيف أنشّت به الأصناع و الخبرا

ردّوا لأحداجهم بزلا مخيسهقد هرمل الصّيف عن أكتافها الوبرا

و واحد الأصناع صنع، و هو محبس الماء و زفزفه الرّيح سوقه لحطام النّبت فيسمع جرسها و معنى أنشّت أيبست، و الخبره القاع

نبت السّدر، و الجميع الخبر فهذا ابتداء ذكر المبدأ و المحضر و سنحكم القول فيه فيما بعد إنّ شاء اللّه تعالى.

فصل فی ذکر ما کانت العرب تفعله وقت إمساک القطر فی الجاهلیه الجهلاء

قال أبو المنذر هشام بن محمد الکلبی: کانوا إذا استمطروا عمدوا إلی السّلع و العشر فعقدوهما فی أذناب البقر، و أضرموا فیهما النّار، و أصعدوها فی جبل وعر و تبعوها یدعون اللّه عزّ و جلّ یستسقونه. قال ابن الکلبی: و کانوا یضرمون تفاؤلا للبرق قال لمیه فی ذلک:

سنه أزمه تخیل للنّاس تری للعضاه فیها صریرا

لا علی کوکب ینوء و لا ریح جنوب و لا تری طخرورا

و یسوقون باقر السّهل للطّود منها زیل خشیه أن تبورا

عاقدین النّیران فی تکن الأذناب منها لکی یهیج البحورا

سلع ما و مثله عشر ماعائل ما و عالت البیقورا

بیقور: جماعه بقر، یقال: بقر و باقر و بیقور و غلط فی هذا عیسی بن عمرو و الأصمعی جمیعا، فأمّا الأصمعی فإنه روی و غالت البیقورا، و احتجّ لتصحیفه بأنه ذهب إلی المراره من أجل السّلع، فقال: یقال: ما أبقره و أمقره. و قال عیسی: لا معنی لقوله: سلع ما. و قال ابن السّکیت: معنی قوله: و عالت البیقورا أنّ السنه الجدبه بقلت البقر، ممّا حملت من السلع و العشر، و أنشد أبو عثمان الجاحظ للورل الطّالی شعرا:

لا درّ درّ رجال خاب سعیهم یستمطرون لدی الأزمات بالعشر

أ جاعل أنت بیقورا مسلعهذریعه لک بین اللّه و المطر؟!

قوله مسلعه یعنی ما عقد فی أذنابها من السّلع. و قال أبو حنیفه: و کانوا إذا فعلوا ذلک توجّهوا بها نحو المغرب من بین الجهات قصدا إلی العین، یعنی عین السّماء. و هذا الذی ذکرناه عن العرب من الزّمن تشارکها الأمم فی أمثاله کنیرنجات الفرس، و وهم الهند، و عقد الرّوم.

و قالت الفلاسفه: رموز النّفس تنقسم ثلاثه أقسام: قسم منها رمز فوق الطّبیعه کالرّقی و الوهم، و قد قال بعضهم: إن للنّفس کلمات روحانیه من نحو ذاتها. و قسم منها رمز نحو الطّبیعه کتعلیق الحرز و ما أشبهها. و قسم منها دون الطّبیعه کالتّماثیل و استعمالها، فهذا کما تری و إن عرض فیما یعمله ما یقتضی القول فی شی ء من الرّموز أعدنا القول فیها إن شاء اللّه تعالی.

الباب السّادس و الثّلاثون فی ذکر أحوال البادین و الحاضرین، و بیان تنقّلهم و تصرّف الزّمان بهم

قال الأصمعیّ: للعرب ظعنان: أحدهما ظعن للتّبدی و ذلک إذا أخرفوا و میقاته ما بین طلوع سهیل إلی سقوط الفرغ المؤخّر، فإذا أخرفوا تصدّعوا عن المحاضر و لقسمتهم المناجع، و حجروا الأعداد، و استبدلوا بها الأوراد، فظعنوا عن دار المقیظ.

و الظّعن الآخر: یکون عند انصرام الرّطب و هیج الأرض و نضوب الماء، و هجوم الصّیف کما قال: (حتی إذا العود اشتهی الصّبوحا) یعنی شدّه الحر، و العود أصبر علی العطش من غیره، فإذا اشتهی الماء فی أول النّهار فهو أشدّ الحر، و قد کثر متصرّفاتهم فی وصف المحلین، و التّردّد فی الرّحلتین، و مفارقه الحضاره، و مراجعه البداوه. و ذلک أنّهم یقیمون علی میاههم ما أقامت وقدات الحر، و عزات القیظ، فإذا سکنت نائرتها و أذنت بتولّیها، فباخت سورتها و أمکن مدّ إظمائها، و أقبلت الأرض تربل، و العضاه تتروّج ابتدءوا یبدون.

و قد أخبر بعضهم عن ذلک قال:

قد تشکّی النّساء و أظلم الأمعوذ و اخضرّ جیب أمر قسیم

أی اتّخذن الشّکاکین، و أظلم أراد أنّ الظّباء سمنت و أشرت، فهی تتناطح، و أمر قسیم: إذا خرجت زهرتها من النّبات فمن متبطّئ و متعجّل، و ذلک علی حسب مساعده الأحوال و مداوره الأزمان لأنّها کما تستنهض تستوقف، و علی ما تقدم قد تؤخر، فبکاؤهم للظّاعنین و جزعهم فی أثر المفارقین، و حنینهم علی الخلطاء، و المجاورین للعارض المغیر، کما أنّ مداناه المزالف و مراجعه المؤالف و المخالف لحادث آخر مبدّل، فتاره یبنون عرش الشّجر و هو الخیام مظلله بالثّمام و تاره یسکنون بیوت الصّوف و الوبر منصبه بالعمد و الحبال.

فمن ذلک قول ذی الرّمه شعرا:

ألا حیّ المنازل بالسّلام على نحل المنازل بالكلام

لميه بالغا درجت عليهارياح الصّيف من عام فعام

سحبن ذيولهنّ بها فأضحت مصرعه بها دعم الخيام

أقمن على بوارح كلّ نجم و طيّرت العواصف بالتّمام

قال ذلك لأنّهم إذا ظعنوا عن المحاضر تركوا الخيام على حالها أو نزعوها و نضدوها استعدادا للعوده، فتزعزعها الرياح إذا تقادم العهد بها. و من ذلك قول امرئ القيس:

أ مرخ خيامهم أم عشر؟أم القلب فى إثرهم منحدر؟

قصده أن يعلم بأى الماء نزلوا خيامهم من شجرها و المعنى أنجدوا أم غاروا أم اتهموا فأحدر القلب بانحدارهم، و هذا كما قال: ففرعنا و مال بها قضيب. لأنّ قضيبا من تهامه، و كما قال الآخر: و سالت بأعناق المطىّ الأباطح.

و قال ابن الأعرابى: الحنتمه ثلاثه أعواد أو أربعه يلقى عليها الثمام يستظل بها فى الحر، و المظله لا يكون إلا من النّبات، و تكون كبيره، و يكون لها رواق و ربما كانت شقّه أو شقّتين أو ثلاثا. و ربما كان لها كفا و هو مؤخّرها. قال: و الخباء من شعر أو صوف، و القبّه: تكون من أدم. و كذلك الطّراف، و قال: المظلّه بفتح الميم لا غير. قال زهير:

تبصّر خليلى هل ترى من ظعائن تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم

جعلن القنان عن يمين و حزنه و كم بالقنان من محلّ و محرم

فلمّا وردن الماء زرقا جمامه و ضعن عصىّ الحاضر المتخيم

فهذا الظّعن للبداوه فأمّا قول طفيل شعرا:

على اثر حىّ لا يرى النّجم طالعامن اللّيل إلّا و هو قفر منازله

فإنّ من تبدّى أوان التّبدى من الخريف لم ير الثّريا طالعه أوّل اللّيل إلّا و هو نازل بالقفر لأنّ أوّل طلوع الثّريا عشاء هو لطلوع السّماك الأعزل بالغداه و سقوط الرّشاء، و ذلك فى الوسمى و بعد طلوع سهيل. و أمّا قول ذى الرّمه:

إذا عارض الشعرى سهيل بجهمهو جوزاؤها استغنين عن كلّ منهل

فهو يصف إبلا و استوثق لها، لأنّ سهيلا إذا طلع بقيه من اللّيل و هى الجهمه، فذاك قبل الوسمى، و دبر القيظ، و الزّمان زمان

ندى، و روح و طل و غيث. و قد قال ساجعهم: إذا طلعت الصّرفه أميز عن الماء زلفه، لأنّها إذا طلعت ناء الفرع المقدم و هو آخر أنواء الخريف، و فى اثره الفرع المؤخّر و هو أوّل أنواء الوسمى فلا يزالون يتبعون مواقع الغيث

و يتحوّلون فى معاشيب الأرض و يشربون ماء السّماء و يجتزون بالرّطب، عن الورد و هم فى سلوه من العيش، و رغد من الخفض يرمى النّوى بهم المرامى، فمن شعب يلتئم إلى شعب، و من جمع يلتئم مع جمع و مزار تقرّب بعد بعد، و مطاف يسهل عقيب وعر، و مواعيد بين الأحبّه أنجزت و عقود من حبال جوار و وصال أوثقت حتّى إذا تحرّك الهيف و هو أوّل الحر و مبدء البوارح، بدّلت الأرض و الدّهر ذو تبدّل، فمن بقل ذابل و ماء غائض و نهى ناضب، و صيف صائف، و هيج يشتد و ورد يمتد، و كبد من الماء تحر، و صبر على بلواه ينفد و يقلّ، حينئذ ترى ذا الرّاحه يتعب، و المتأخّر يلحق، متصدّعين عن مباديهم، سعيا و مفترقين عن مقارّهم شفقا فكم قلب لفراق الأحبّه جزع، و دمع لوداعهم همع، و أنس لبيتهم يقطع، و وجد ببعدهم تجدّد. و كلّ هذا أتت به الأشعار و ترادفت بأمثالها الأخبار، فمن ذلك قول جرير يذكر سائره ضمّتها إليهم النّجعه ثم تفرّقوا فأسف لفراقهم. قال شعرا:

ألا أيّها الوادى الذى ضمّ سيله إلينا نوى ظمياء حيّيت واديا

فقد خفت ألّا تجمع الدّار بيناو لا الدّهر إلا أن نجدّ الأمانيا

و قولا لواديها الّذى نزلت به أوادى ذى القيصوم أمرعت واديا

و قال ذو الرّمه:

حتّى إذا ما استقلّ النّجم فى غلس و أحصد البقل أو ملو و محصود

ظللت تخفق أحشائى على كبدى كأنّنى من حذار البين مورود

من ورد الحمى، و قال الجعدى يذكر امرأه جاورتهم فى مرتع شعرا:

أقامت به حدّ الرّبيع و جارهاأخو سلوه مسّى به اللّيل أملح

فلمّا انتهى فى المرابيع أزمعت حفوفا و أولاد المصانيف رشّح

و حبّ السّفا و اعترّها القيظ بعد ماطباهنّ روض من زباله أفيح

و حاربت الهيف الشّمال و آذنت مذانب منها اللّدن و المتصوّح

و قمن يزورن الهوادج بعد مامضى بين أيديها نعام مسرّح

يريد بأخى السّلوه: الندى لأنّهم فى سلوه و رخاء ما أقام لهم، و هو الأملح لبياضه.

و قوله: مسى به اللّيل: لأنّ النّدى باللّيل يسقط. و قوله فى المرابيع: يريد سمنها.

و المرابيع: جمع المربـاع و هى التى من عادتهـا أن تنتـج فى أوّل النتاج. و المصانيف: التى تنتـج فى آخر النّتاج. و الرّشـح: جمع راشح و هى التى تمسكها أمّها لئلا تسقط و هو التّرشح.

و يقول الرّجل لصاحبه: لقيت فلانا يرشح ولد ناقته إذا فعل بها. و قوله: و حاربت الهيف الشّـمال. لأن الشّمال و الصّبا ريحا البرد. و الجنوب و الدّبور ريحا الحرّ. و المتصوّح: اليابس المتشقّق، قال ذو الرّمه:

و صوّح البقل ناج تجی ء به هیف یمانیه فی مرّها نکب

فجعلها النّکباء التی تلی الجنوب. و قال الکعبی المنقری:

تمرع إذ تسعی بها ذو إیالهمن الحرّ ما کانت مذانبه خضرا

یصف راعیا تمرع طلب مریع الکلأـ تسعی بها: تتمادی فی الطّلب. ذو إیاله: حاذقا بمعالجه الإبل و القیام علیها. و المذانب: المشارب و ذلک أنّ الثّریا إذا طلعت سحرا تحوّل جمیع أهل المراتع إلی المحاضر لیبس الکلاء، و نضوب الماء، و ذهاب الجز، فلا یبقی فی المراتع إلّا من یتولّی رعیه الإبل بنفسه، و یتشیّع سرار الغیطان، و بطون الأودیه. و العلان:

التی فیها بقایا الرّطب، و لا یکون ذلک التّخلف إلّا شهرا و بعض آخر، و هو من وقت طلوع الشّرطین، لستّ عشره لیله نحو من نیسان إلی وقت طلوع الثّریا یخلو من أیار إلی طلوع الدّبران و هو للیله من حزیران و أنشد:

أقمن شهرا بعد ما تصیّفاحتّی إذا ما طرد الصّیف السّفا

قرین بزلا و دلیلا محشفاو بدّلت و الدّهر ذو تبدّل

هیفا دبورا بالصّبا و الشّمال

فلم تزل الشّمال عالیه زمان العشب و وقت الحرکه، حافظه لبلوله النّبات لروحها حتی إذا انقضت أیامه، و دخل الصّیف ذهب سلطانها و هبت الجنوب فدافعتها.

و إنّما سمّی الهیف لحرّها و یبسها، و لذلک قیل للسّریع العطش: المهیاف و رجل هاف، و امرأه هافه، و قد هاف الرّجل إذا عطش.

و قال الکلابی: الهیف أوّل السّموم و قد یجعل کلّ ریح هبت بحرّ هیفا و إن کانت الشّهره فی ذلک للجنوب و الدّبور. و النّکباء التی بینهما. هذه أغلب الرّیاح علی الهیف و قال ذو الرّمه یصف عیشا و نساء انتجعنه شعرا:

ألقی عصی النّوی عنهنّ ذو زهرو حفّ علی ألسن الرّواد محمود

حتّی إذا و جفت بهمی لوی لبن و اصفرّ بعد سواد الخضره العود

و غادر الفرخ فی المثوی تریکته و کان من حاضر الرّجلین تصعید

ظللت تخفق أحشائی علی کبدی کأنّنی من حذار البین مورود

قوله: ذو زهر يريد بها نباتا ثم و اكتهل فظهرت زهريه يريد استغنى به عن انتجاع.

و قوله: و حفت: أى يبست فطيرته الرّيح، و قوله: غادر الفرخ تريكته أى بيضته التى خرج منها، و هذا باب واسع. فأمّا قول الآخر:

و نقيم فى دار الحفاظ بيوتنازمنا و يظعن غيرنا للأمرع

فإنما تبجّح بحسن صبره فى دار المحافظه على العزّ و المنع عن الحريم، إلّا أنه عد الظّعن عيبا يدل على ذلك قوله من بعد:

يسيل تغر لا يسرح أهله اسقم يشار لقاؤه بالإصبع

و أنشد الأصمعىّ:

إذا الجوزاء أردفت الثّريّاظننت بآل فاطمه الظّنونا

و هـذا يحتمل وجهين: يجوز أن يكون جمعهما المربع، و كان ساكن النّفس لاستمتاعه بها و امتداد الوصال معها، حتى إذا رأى الجوزاء طالعه علم أنّها تظعن و ينقطع ما بينهما، فترجع إلى بعض محاضـرها، لأنّ ذلك وقت الانصـراف عن البـدو، فلذلك ظنّ الظّنون السّيئه لا سيما و قد كان أبهم عليه منصرفها.

و أمـا أن يكون مبـدؤه كـان مخالفا لمبـدئها، فهو لا يـدرى مقرّها، لأنّهم ما داموا منتجعين فـدارهم حيث يصادفون الكلأ و الماء فلمّـا طلعت الجوزاء علم أنه لاـ بـدّ لهـا من الحضور، و قـد عرف لهـا محاضـر شتّى، فـالظّنون تردّده بينهمـا و تخالجه فلا يتملّك متيقنا.

قال أبو ليلى: يفارق القمر الثّريا فى زمن الوسمى كله، و هو شهران، و شهر من الدفى ء ثم تأفل الثّريا أربعين ليله شهرا من الدفى ء و عشر ليال من الصّيف. ثم تطلع صلاه الغداه إلى أن تأفل ثانيه من العام المقبل.

قال أبو حنيفه: و ربّما اعتاد الحيان مبدأ بعينه، فلا يزال الرّبيع يجمعهما فيه ثم يصرفهما الصّيف و لذلك قال ذو الرمه شعرا:

إذا الصّيف قد أجلى نساء من النّوى أملت اجتماع الحىّ فى عام قابل

و قال أيضا و هو يصف نساء أخرن الظّعن عن مرتعهنّ حتى تصيفن:

تصيّفن حتّى اصفرّ أقواع مطرق و هاجت لأعداد المياه الأباعر

و لم يبق أنواء الثمانى بقيهمن الرّطب إلا بطن واد و حاجر

فلما رأين الصّنع أسعى و أخلقت من العقربيات الهيوج الأواخر

جذبن الهوى من سقط حوضى بسدفه على أمر ظعان دعته المحاضر

نسب بوارح هـذا الزمان إلى سـقوط رقيب الهقعه، لـذلك قال: الهيوج الأواخر و قـد أكثر الشّعراء فى إشـراط هذه الأوقات التى

حدّدناها بما ذكرنا من أوصافها و بيّنا كثيرا من أحوال الحاضرين و البادين فيها و فى القدر الذى أوردناه كفايه.

الباب السّابع و الثّلاثون فی ذکر الرّوّاد و حکایاتهم

اشاره

و هو فصلان

فصل [فی بیان معنی قوله ماء مدرع و غیرها]

قال ابن الأعرابی: یقال: ماء مدرع: إذا أکل ما حوله من الکلأ و ماء قاصر: إذا کان المال حوله یرعی.

و حکی الأصمعی فی صفه رائد: هو شدید النّاظر سدید الخابر، ینظر بمل ء عینه لنفسه و غیره. قال: و زعم أبو صالح التمیمی أنّ رجلا من العرب سأل أعرابیّین، فقال: أین مطرتما؟ قالا: مطرنا بمکان کذا و کذا. قال فما ذا أصابکما من المطر؟ قالا: حاجتنا. قال:

فما سیل علیکما؟ قالا: ملنا الوادی کذا و کذا فوجدناه مکسرا، و ملنا الوادی کذا فوجدناه مشطیا. قال: فما وجدتما أرض بنی فلان؟ قالا: وجدناها ممطوره- قد ألس غمیرها- و أخوص شجرها- و أخلس نصیصها، و ألیث سخیرها- و أحلس حلیها- و نبیت عجلتها.

قوله: مکسرا یعنی سالت جرفته و شعابه و معنانه أی جوانبه، و معنان لا واحد لها من لفظها و معنی مشطیا سال شاطیاه، و معنی نبیت صارت لها أنابیب. و أحلس حلیها أی قد خرج فیه خضره و الخضره الطرّیه. و یقال: قد أخلس و ألیث سخیرها یعنی اشتعل ورقا.

قال: و قیل لآخر: کیف کلأ أرضک؟ قال: أصابتنا دیمه بعد دیمه علی عهاد غیر قدیمه. فالتاب یشبع قبل العظیمه. و قیل لابنه الحسن: ما أحسن شی ء؟ قالت: غادیه فی اثر ساریه فی تنجاء قاویه. التنجاء: أرض مرتفعه لأنّ النبت فی أرض مشرف أحسن. و قد قالوا: نفخاء رابیه. قال: لیس فیها رمل و لا حجاره. و الجمیع نفاخی و نبت الرّابیه أحسن من نبت الأودیه. لأنّ السّیل یصرع الشّجر فیقذفه بالأودیه فیلقی علیها الدّمن.

و قالت أیضا: أحسن شی ء ساریه فی إثر غادیه، فی روضه أنف، أکل منها و ترک.

و قیل لأعرابی: أیّ مطر أصابک؟ قال: مطیره یسیل شعاب السّخبر. و تروی التلعه المحله شعاب السّخبر. عرضها ضیّق و طولها قدر رمیه الحجر. و التلعه المحلّه التی تحلّ

بیتا. و قد حنأت الأرض تحنأ و هی حانیه أی اخضرّت و التفّ نبتها و إذا أدبر و تغیّر نبتها قیل:

اصحامت فهی مصحامه.

و قال أبو داود الأعرابی: ترکنا بنی فلان فی ضفیغه من الضّفائغ و هی الکلأ و العشب الکثیر.

و یقال: و عبنا رقه الطّریقه و هی الصّلیان و النّصی. و الرّقه أول خروج نبتها رطبا.

و حکوا عن الینمه أنـا الینمه أغبق الصّبی قبـل العتمه و أکب الثّمـال فوق الأکمه، کهیئه زیـد الغنم یقال: ثمال لبنها کثیر، و کلما کثرت رغوه اللّبن کـان أطیب له، یعنی دری بعجـل للصّبی لأـن الصبی لأبصـر و المراغی أطیب لبنا من المصاریـح. و الینمه بقله یشبه الباذروج.

و قیل لأعرابی: هل لک فی البدو؟ فقال: أما ما دام السّعدان مستلقیا فلا قال، و هو أبدا مستلق کره البادیه.

و عن غیر ابن الأعرابی قال: خرج الحجاج إلی ظهرنا هـذا فلقی أعرابا و قـد انحـدروا فی طلب المیره، فقال: کیف ترکتم السّـماء وراءکم؟ فقال: متکلمهم: أصابتنا السّـماء هی بالمثل، مثل القوائم حیث انقطع الرّمث یضـرب فیه تفتیر و هو علی ذلک یعضـد و یرسغ ثم أصابتنا سـماء أمثل مهنا یسیل الـدّماث- و التّلعه- الزّهیـده- القلیله الأخـذ فلمّا کنّا حذاء الجفر أصابنا ضـرس جود ملأ الآخـاذ. واحـدها أخـذ و هی المصانع. فأقبل الحجّاج علی زیاد بن عمرو العتکی، فقال: ما یقول هـذا الأعرابی؟ قال: و ما أنا و ما یقول إنما أنا صاحب سـیف و رمـح. قال: بل أنت صاحب مجـذاف و قلس أسج، فجعل یفحص الثّری و یقول: لقد رأیتنی و إنّ المصعب یعطینی مائه ألف، فها أنا أسبّح بین یدی الحجّاج.

قال: و سـئل أعرابی عن المطر فقال: أصابتنا السّـماء بدثٍ، و هو المطر القلیل لا یرضی الحاضر و یؤذی المسافر- ثم رککت- ثم رسـغت- ثم أخـذنا جار الضّـبع فالأرض الیوم لو یقـذف بها بضـعه لم تقض بترب، أی لم یقع إلّا علی عشب قضت و أقضت إذا أصابها القضض أی کثر المطر، حتّی لم یوجد القضض و رسغت، أی کثر المطر حتی یغیب الرّسغ، و الرّک أکثر من الدّثّ.

و قیل لأعرابی: ما أشـدّ البرد؟ قال: إذا کانت السّـماء نقیه- و الأرض نـدیه- و الریـح شآمیه. و قیل لآخر: ما أشدّ البرد؟ فقال: إذا صفت الخضـراء، و نـدبت الـدّقعاء، و هبت الجربیـاء. و قیل لآخر: ما أشـدّ البرد؟ قال: إذا دمعت العینان و قطر المنخران، و لجلج اللّسان.

و قـال أعرابی: لیس الحیـاء بالسّـجیّه یتبع أذنـاب أعاصـیر الرّیـح، و لکنّ کـلّ لیله مسبل رواقها، منقطع نطاقها، نبیث أذان ضأنها تنطف إلی الصّباح.

و حكى عن أبى عبيده قال: قلت لأعرابى: ما أسحّ الغيث قال: ما ألقحته الجنوب و مرته الصّبا و نتجته الشّمال. ثم قال: أهلك و اللّيل ما يرى إلا أنه قد أخذه. و قال الأصمعى: قيل لرجل: كيف وجدت أرض بنى فلان؟ قال: وجدتها أرضا شبعت قلوصها، و نسيت شاتها يعنى لا يذكر. قال: فهل مع ذلك خوصه؟ قال: شى ء قليل كل ما خرج عود ثم قوى فهى خوصه. قال و اللّه ما أحمدت و إن كان القوم صالحين.

قال ابن الأعرابى: أخصب الخصب عند العرب فيما ذكره أبو صالح إذا كان الخوص وافرا، و قال رائد مره: تركت الأرض مخضره كأنما حولانها قصيصه رقطا و عرفجه خاصبه، و قناده مزيده، و عوسج كأنّه النّعام من سواده مزيده أى قد أورقت.

و حكى عن أبى المجيب و وصف أيضا جدبه فقال: قد اغبرّت جادتها- و درع مرتعها- و قضم شجرها- و ألقى سرحاها- و رقت كربتها- و خوّر عظمها- و تميّز أهلها، و دخل قلوبهم الوهل- و أموالهم الهزل. قال: الجادّه الطريق إلى الماء. قوله: و ألقى سرحاها: هو أن يأكل كلّ سرح مذيلها، حتّى يلتقيا من الجدب، قال: و إذا لم يكن للمال مرعى إلّا الشّجر رقّت أكراشه، و خوّر عظمه. قوله: درع مرتعها: أكل ما عليه حتّى لم يبق شى ء و هو مأخوذ من الشّاه الدّرعاء.

و قال أبو المجيب يصف أرضا قد أحمدها، فقال: خلع شيحها- و أبقل رمتها- و خضب عرفجها- و اتّسق نبتها- و اخضرّت قرياها- و أخوصت بطنانها. و أحلت آكامها- و اعتمّ نبت جراثيمها- و أحزت بقلتها- و ذرقتها و خبازتها- و خوّرت خواصر إبلها- و شكرت محلوبتها- و سمنت قتوبتها- و عمد تراها، و عقدت تناهيها، و أماثت ثمادها- و وثق النّاس بصائرتها.

قوله: خلع شيحا إذا أورق، و المخالع من العضاه: الذى لا يسقط ورقه أبدا. و يقال:

كلح الشّجر إذا انحرد. قوله: خضب عرفجها: أى اسودّ النّبات قبل أن يطلع، و الرّمث من الحمص مخصب ثم عاد- ثم سقد- ثم يرمس- يقال: أطلع الشّجر إذا أورق و تفطّر- و اتقد- و أربس- و أرمس- و أرى العرفج- و بقل الرّمث خاصه- و أجدر الشّجر إذا طلع ثمره حتى كأنّه الجدرى.

قوله؛ أخوصت: أى نبت فيها عيدان رطبه فهى خوصه ما دامت رطبه فإذا يبست فهى شجر، و لا يخوص من الشّجر إلّا ما لم يكن له شوك. قوله: أحزت لفلتها أى نبت فيه الحزا، و هو نبات يسمّى الحزا كما تقول العلقه- و الحيله- و الفتله- فالحيله للسلم- و العلقه للطّلح- و الفتله للسّمر- و الذّرق الحندفوق. قوله: خوّرت خواصرها: هو أن يؤخذ جنبها

فيضرب على خواصرها خوف أن يحبط فيبعد أفقها- و الأفق الخواصر. قوله: عمد ثراها العمد أن يجاوز الثّرى المنكب.

و يقال: إنّ ذلك حيا سنتين. قوله: عقدت تناهيها: فالتناهى حيث يتناهى السّيل فيستقر فعقدها أن يمر السّيل مقبلا حتّى إذا انتهى منتهاه. دار بالأبطح حتى تلتقى طرفا السّيل، و وثقوا بصائرتها: يراد بها ماؤها و كلاؤها.

و قال الأصمعى: وصف بعض الأعراب جدبا و عيشا، فقال: بينما نحن فى زمن أعجف- و أرض عجفاء- وقف غليظ- و جاده مدرعه- إذ أنشأ اللّه سحابا مستكفا نشوءه- ضخاما قطره، مسبله عزاليه- جعود صوبه فاهرمع المطر حتى ملأ الأوديه، فرعبها و بلغ السّيل النّجاء حتّى لم ير إلّا الماء. و صهوات الطّلح فلم يمكث إلا عشرا حتّى رأيتها يندى، فنعش اللّه به أموالنا، و وصل به طرقنا و كنّا بنوطه بعيده بين الأرجاء. قوله: الجاده: يعنى الطّريق إلى الماء و مستكفا أى مستديرا. و نشوؤه ما نشأ إليه. و عزاليه أفواه مخارجه. و صوبه ما سال منه و انصبّ. و اهرمع اشتد. و رعبها ملؤها. و النّجاء جمع نجوه و هو الموضع المرتفع لا يكاد يبلغه السّيل. و الصّهوات عالى الطّلح. و النّوطه البعد. و الأرجاء: النّواحى.

و قال ابن الأعرابى: بعث قوم رائدا لهم فقالوا: ما رأيت؟ قال: رأيت جرادا كأنه نعامه جاثمه، جراد جبل. قوله: نعامه جاثمه يقول: فيه من الخصب و العشب الكثير حتّى كأنه نعامه، و إنّما أراد سواد العشب و أعلى النّعامه أسود. و بعث آخرون رائدا لهم فقالوا: ما رأيت؟ قال: رأيت عشبا ينجع له كبد المصرم إذا رأى هذا، وجعت له يعنى أنه لا مال له أى إبلا ترعى هذا العشب حسره على ما رأى. و يقولون: و ردنا على كلأ الحابس فيه كالمرسل يعنى يستويان فيه لكثرته و التفافه. و يقولون: وردنا على كلأ لا يكتمه البغيض. و قال طرفه:

يرعين و سميّا وصى نبته فانطلق اللّون و دقّ الكشوح

وصى نبته اتّصل و اكتهل. و أنشد أبو العبّاس ثعلب شعرا:

دفاء عليه اللّيث أفلاذ كبده و كهله قلد من البطن مردم

يريد أنه مطر بنوء الأسد، و من نجوم الأسد النّثره و الجبهه و نوؤهما غزير تسقط النّثره لاثنين و عشرين تخلو من كانون الثانى، و تسقط الجبهه فى ثمانى عشره تخلو من شباط.

و القلد النوبه يقال: القوم يتقالدون الماء أى يتصافيونه و يقتسمونه. قال: و الماء لا قسم و لا أفلاذ.

فصل فی ذکر مواقعهم و مسارحهم

قال النّبی صلی اللّه علیه و سلم لأصیل الخزاعی حین قدم علیه المدینه: «کیف ترکت مکه یا أصیل؟» قال: ترکتها و قد أحجن تمامها، و أغدق أذخرها، و أمشر سلمها، فقال: «یا أصیل دع القلوب تقر». و روی أنه لمّا هاجر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أصاب القوم و عک فدخل علیه السّلام علی أبی بکر (رضی اللّه عنه) فقال: کیف تجدک فقال شعرا:

کلّ امرئ مصبح فی أهله و الموت أدنی من شراک نعله

ثم دخل علی عامر بن فهیره فقال: کیف تجدک فقال شعرا:

وجدت طعم الموت قبل ذوقه إنّ الجبان حتفه من فوقه

و الثّور یحمی أنفه بروقه ثم دخل علی بلال (رضی اللّه عنه) فقال: کیف تجدک فقال شعرا:

ألا لیت شعری هل أبیتنّ لیلهبفجّ و حولی أذخر و جلیل

و هل أردن یوما میاه مجنّهو هل یبدون لی شامه و طفیل

فقال صلی اللّه علیه و سلم: «طرب القوم إلی بلادهم: اللهم حبّب إلینا المدینه کما حبّبت إلینا مکه» و قال الرّاجز: جاء بنو عمّک روّاد الأنق. و قال رؤبه من طول بعد الرّبیع فی الأنق. و قال بعض الرّواد و سئل عمّا وراءه فقال: هلمّ أظعنکم إلی محل تطفأ فیه النّیران، یعنی لا یوجد عود یابس یوقد علیه. و قیل لأعرابی: کیف کان المطر عندکم؟ فقال: مطرنا بعراقی الدّلو و همی ملی.

و قال أبو زیاد: بعث شیخ أبنین له یرتادان، فانصرف إلیه أحدهما فقال الشّیخ: خلّ علی ما وجدت، فقال: ثأد ماد، مولی عهد، یشبع منه النّاب، و هی تعدو أقفر، یعنی مکاکیه فلبث و لم یظعن، حتّی أتاه الآخر فقال: کیف وجدت الحیاء؟ قال حیاء ما ذا؟ قال:

العام و عام مقبل؟ فقال له الشّیخ: خلّ علی ما وجدت. قال؛ وجدت بقلا و بقیلا و سبلا و سبیلا، خوصه مثل اللّیل، قد دبّ ما تحث هنا کم السّیل قال: هل به أحد؟ قال: نعم به بنو الرّجل لا یوجد أثرهم.

قال أبو زید: بقلا أی و سمیا کان مطره قبل الشّتاء. و بقیلا کان مطره بعد ذلک.

و سبلا کان من الوسمی. و سبیلا کان بعد ذلک و هو الذی نبت منه البقیل، قال: و عنی بالخوصه العرفج و الثمام و السّبط و ما کان فی أصل، قال: فلم یشکک بنوه أنّ الشّیخ ظاعن

إلى ما أخبر به ابنه الأول، فلما أصبح تحمّل جهه ما أخبر به الأخير ابنه، ففزع بنوه و قالوا:

اهتزّ الشّيخ فقالوا: تذهب إلى أرض بها النّاس و تدع أرضا قفرا لا يرعاها أحد معك؟ قال:

إنّ تلك طغوه لا و أخيك و قد وجد أخوكم هذا الأخير حياء العام و عام مقبل ما يبقى من هذا العام، قال: فمضى و اتّبعوه قوله: يشبع منه النّاب و هى تعدو، و يعنى لطوله و اتّصاله لا- تحتاج أن تقف عليه و لا أن تتبعه. قال: و قال رائد مره، تركت الأرض مخضره كأنها حولاء بها بصيصه رقطا، و عرفجه خاصبه، و عوسج كأنه النّعام من سواد، و هذا كما قال الآخر:

وجدت جرادا كأنه نعامه باركه، يريد كثره العشب و سواده و شدّه الخضره سواده، قال:

و سأل أبو زياد الكلابى صقيلا العقيلى حين قدم من الباديه عن طريقه، فقال: انصرفت من الحج فأصعدت إلى الرّبذه فى مقاط الحره، فوجدت بها صلالا من الرّبع من خضمه و صليان و قرمل حتى لو شئت لأنخت الإبل فى أزراء القفعاء، فلم أزل فى مرعى لا- أحسّ منه شيئا حتى بلغت أهلى. الصّلال: أمطار متفرقه. و القفعاء نبت من الذّكور يقول: أخصبت حتى صارت تستر البعير البارك.

و قال آخر: رأيت ببطن فلج منظرا من الكلأ لا أنساه، وجدت الصّفراء و الخزامى يضربان نحر الإبل، و تحتها قفعاء، و حريث قد أطاع و أمسك بأفواه الإبل أغناها عن كل شى ء و إذا نقع الجوذان فى الاجارع فذلك غايه ريّ الأرض لأنّ الأجارع أشرب للماء، و إذا نقع الماء فى الأجارع غرقت الأجالد، و قال ابن كناسه: بعث قوم رائدا فقيل: ما وراءك؟

فقال: عشب و تعاشيب و كماه متفرقه شيب تندسها بأخفافها النّيب، فقيل: هذا كذب.

فأرسلوا آخر، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: عشب ثأد ماد، مولى عهد، متدارك جعد، كأفخاذ نساء بنى سعد، تشبع منها النّاب و هى تعدو. و قد مضى تفسير ما فيه من الغريب.

و بعث رجل بنين له يرتادون فى خصب فقال أحدهم: رأيت ماء غللا يسيل سيلا، و خوصه يميل ميلا، يحسبها الرّائد ليلا. و قال الثّانى: وجدت ديمه على ديمه فى عهاد غير قديمه، يشبع منها النّاب قبل العظيمه. الغلل: الماء يجرى فى أصول الشّجر. و قال بعضهم: إذا أحيى النّاس قيل: قد أكلأت الأرض، و اجرنفشت العنز لأختها، و لحس الكلب الوضر اجرنفاشها، ازبئرارها، و زفيانها فى أحد شقّيها لتنطح صاحبتها، و إنّما ذلك من الأشر حين سمنت فأخصبت. و لحسس الكلب: يعنى أنّه يجد و ضرا و يلحسه، و إذا كانوا مجدبين لم يتركوا للكلب شيئا. و قيل لرجل منهم: ما أخصب ما رأيت الباديه؟ قال: رأيت الكلب يمرّ بالخصفه عليها الخلاصه فيشمّها و يتركها. و قال أعرابى: و قد قيل له: ما تركت وراءك؟ قال: خلّفت الضّأن تظالم معزاها، يعنى أنّها لنشاطها تنطح بعضها بعضا.

و قال أبو زياد: بعث قوم رائدا لهم، فلمّا رجع إليهم قالوا له: ما وراءك؟ قال: رأيت

بقلا يشبع منها الجمل البروک، و تشكّت منه النساء و همّ الرّجل بأخيه. قال أبو زياد: لم يطل العشب بعد، فإذا أقام البعير قائما لم يتمكّن منه.

و تشكّت النّساء اتّخذن الشّكّاء الصّغار، لأنّ اللّبن لم يكثر بعد. و قوله: و همّ الرجل بأخيه: أى همّ أن يدعوه إلى منزله، و لم يتّسع له، و يحتمل من التّفسير وجها آخر، و هو أن الجمل إذا برک شبع مما حوله من مبركه و لم يحتج إلى أكثر منه. و قوله: و همّ الرّجل بأخيه: يجوز أن يكون مثل قوله شعرا:

و أحيانا على بكر أخيناإذا ما لم نجد إلّا أخانا

و مثل قوله: يا بن هشام، أهلک الناس اللّبن، لأنّ الجدب يشغلهم عن طلب الطّوائل، و فى الخصب يتفرّغون للضّغائن. و مثل قوله شعرا:

ثعالب فى السّنين محصّصات و أسد حين يمتلئ الوطاب

و مثل قوله:

قوم إذا اخضرّت نعالهم يتناهقون تناهق الحمر

و قيل فى تشكّى النّساء ما رواه الشّعبى عن برد و ردّوا على الحجّاج و هو حاضر.

رواه عنه أبو بكر الهذلى قال: جاءه الحاجب فقال: إنّ بالباب رسلا، فقال: ائذن لهم، فدخلوا و عمائمهم فى أوساطهم، و سيوفهم على عواتقهم، و كتبهم بأيمانهم، قال:

فتقدّم رجل من سليم يقال له سيابه بن عاصم فقال الحجّاج له: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشّام. قال: هل كان وراءک من غيث؟ قال: نعم أصابتنى ثلاث سحائب فيما بينى و بين أمير المؤمنين، قال: فانعتهنّ لى، قال: أصابتنى سحابه بجودان فوقع قطر صغار و قطر كبار، فكأنّ الصّغار لحمه الكبار و وقع بسيط متدارک و هو السّح الذى سمعت به، فؤاد سائح، و واد بارح، و أرض مقبله، و أرض مدبره أى أخذ السّيل فى كل وجه، و أصابتنا سحابه بسواء، فلبّدت الدّمات و أسالت الغراز، و أدحضت التّلاع و صدعت عن الكماه أماكنها. و أصابتنى سحابه بالقريتين، فقاءت الأرض بعد الرّىّ و امتلأت الآخاذ و أنعمت الأوديه و جئتک فى مثل مجرّ الضّبع.

ثم قال: ائذن فدخل رجل من بنى أسد، فقال: هل كان وراءک من غيث؟ فقال: لا، كثرت الأعاصير، و اغبرّت البلاد، و أكل ما أشرف من الجنبه، فاستيقنّا أنّه عام سنه، فقال:

بئس المخبر أنت، قال: خبّرتک بما كان.

ثم قال: ائذن فدخل رجل من أهل اليمامه فقال: هل كان وراءك؟ قال: نعم سمعت

الرّواد تـدعو إلى ريـادته، و سـمعت قائلاـ يقـول: هلم أظعنكم إلى محله تطفـأ فيهـا النّيران و تشـكّى منهـا النّسـاء، و تنـافس فيها المعزى. قال الشّعبى فلم يدر الحجّاج ما يقول: فقال:

إنما تحدث أهل الشّام فأفهمهم، قال: نعم أصلح اللّه الأمير أخصب النّاس فكان السمن و الزبّد و اللّبن فلا توقد نار يختبز بها. فأمّا تشكّى النّساء فيحتمل وجها آخر من التّفسير سوى ما تقدم، و هو أنّ المرأه تظلّ ترتق بهمها و تمخض لبنها، فتبيت و لها أنين من التّعب، و يكون التّشكّى من الشّكوى لا من الشّكوه.

و حكى أبو عبد اللّه قال: قدم رجل من سـفر كان فيه، فقالت له ابنته: كيف كنت فى سـفرك؟ فقال: تقسّمتنى الأداوى و النّجم، قال: يعنى بالنّجم طلب الهدايه باللّيل أن لا يضل. و الأداوى يريد أن ينظر كم فيها من الماء أ قليل أم كثير يشكو جزعه و اهتمامه و خوفه من المتالف، و أنشد للمرار بن سعيد شعرا:

له نظرتان فمرفوعهو أخرى تأمل ما فى السّقاء

قوله: مرفوعه أى ينظر إلى السماء يسأل ربّه النّجاه، و أخرى إلى السّقاء هل فيه ما يبلغه إلى الماء.

و لقى أعرابى آخر فسأله عن المطر فقـال: أصابتنـا أمطـار غزيره و اشـتدّ لنـا مـا استرخى من الأـرض، و استرخى لنا ما اشـتدّ من السّماء، أى استرخى لنا جلد السّماء، و اشتدّ الرّمل الذى ندى، و هذا مثل قول العجّاج شعرا:

عزّز منها و هى ذات إسهال ضرب سوارى ديمه و تهطال

و قال أعرابى و نظر إلى السّـماء فوجدها مخيله: هذا صيّب لا يؤمن معه الدّوافع أن تدرأ عليكم بسـيولها فتحوّلوا بأخبيتكم، و لن تنجوا من الموت، و أنشدنى بعضهم للكميت فى المخيله شعرا:

فإيّاكم و داهيه نادأظلّتكم بعارضها المخيل

الباب الثامن و الثلاثون فی ذکر الوراد و من جری مجراهم من الوفود

اشاره

قال: العریجاء أن ترد غدوه و تصدر عن الماء فیکون سائر یومها فی الکلأ و لیلتها و یومها من غدها، ثم ترد لیلا ثم تصدر عن الماء، و یکون بقیه لیلتها فی الکلأ و یومها من الغد و لیلتها ثم یصبح الماء غدوه، فهذه العریجاء، و هی من باب صفات الرّفه. و فی الرّفه الظّاهره و الضّاحیه و الآئبه و العریجاء و ظاهره الغب، و هی للغنم لا تکاد تکون للإبل، و الظّاهر أن ترد کلّ یوم ضحوه و الآئبه أن ترد کلّ لیله، و ظاهره الغب أقصر من الغب قلیلا، و قال: أقصی ظمأ الغنم فی الشّتاء سدس، و فی الصّیف ترد کلّ یوم، و الإبل أقصی ظمأها ثلاثه أعشار فی غیر الجزء، و الجزء أن یکتفوا بالرّطب عن الماء، و أقصی ظمأ الحمار الأهلی غبّ فی الشّتاء و الرّفه أن یرد کلّما أراد و أقلّ ظمأ الإبل الغب، و کلّ هذا حکاه ابن الأعرابی.

قال: و دخل رؤبه علی سلیمان بن علی فقال: ما بقی من باتک؟ فقال: إنّی لأظمی فأورد فأقصب، قال: أقصب الرّجل: إذا أورد فلم یشرب إبله إلّا شربا ضعیفا و قصبت هی.

و دخل علیه مره أخری، فقال: ما عندک؟ فقال: یمتد فلا یشتد، فإذا أکرهته یرتد، فقال:

إنّی لأجد ذلک.

و حکی غیر واحد من الرّواه أنّه لما وردت وفود العرب علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قام طهفه بن أبی زهیر، فقال: أتیناک یا رسول اللّه من غور تهامه بأکوار المیس، ترتمی بنا العیس، نستحلب الصّبیر، و نستخلب الخبیر و نستعضد البریر، و نستخیل الرّهام، و نستجیل الجهام، من أرض غائله النّطأ، غلیظه الموطأ قد نشف الدّهن، و یبس الجعثن، و سقط الأملوج، و ماد العسلوج و هلک الهدی، و مات الودی، برئنا یا رسول اللّه من الوثن و العنن، و ما یحدث الزّمن لنا دعوه السّلام، و شریعه الإسلام ما طما البحر، و قام تعار، و لنا نعم همل إغفال، ما تبض ببلال و وقیر کثیر الرّسل، قلیل الرّسل، أصابتها سنه حمراء موزله لیس

لها علل و لا نهل، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «اللّهمّ بارك لها فى محضها و مخضها(۱) و مذقها، و ابعث راعيها فى الدّثر يبالغ الثمر، و بارك له فى المال و الولد من أقام الصّلاه كان مسلما، و من آتى الزكاه كان محسنا، و من شهد أن لا إله إلا اللّه كان مخلصا لكم، يا بنى نهد ودائع الشّرك و وضائع الملك، لا تلطط فى الزكاه و لا تلحد فى الحياه، و لا تثاقل فى الصلاه».

و كتب معهم كتابا إلى بنى نهد: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من محمد رسول اللّه إلى بنى نهد بن زيد: السّلام على من آمن بالله و رسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفه الفريضه، و لكم القارض و الفريش و ذو العنان الرّكوب و الفلو الضّبيس، لا يمنع سرحكم و لا يعضد طلحكم، و لا يحبس درّكم ما لم تضمروا الآماق، و تأكلوا الرّباق، من أقرّ بما فى هذا الكتاب فله من رسول اللّه الوفاء و العهد و الذّمه، و من أبى فعليه الرّبوه».

تفسيره قوله: نستحلب الصبير: يريد الغيم الأبيض المتراكم أى نتطلب منه الغيث و نستخلب الخبير: أى نحصده و الخلب القطع و منه المخلب و الخبير: النّبات، و منه المخابره فى الزّراعه، و معنى نستخيل الرّهام: أى الأمطار و الواحده الرّهمه و نستخيل من قولك سحابه مخيله و خيلت و تخيلت و معنى: نستجيل الجهام(۲) أى نجده جائلا فى الأفق، و الجهام السّحاب الذى قد أراق ماءه.

قال الهذلى: ثلاثا فلما استجيل الجهام و استجمع الطّفل منه رشوحا. و يروى نستحيل بالحاء، و يكون من استحلت الشّخص: إذا نظرت إليه هل يتحرك. و قوله: من أرض غائله النّطا يريد من أرض مغنيه البعد، أى من ركبها أهلكته، يقال: غالته غول و النّطاء البعد قال، و بلده يناطها نطى. و قوله: نشف المدهن أى انتشف القارات ما تقع فيها من ماء المطر، و قوله و يبس الجعثن يعنى أصول النبات.

و يقال: جعثنه أيضا و جمعها جعاث. و قوله: و سقط الأملوج، الأملوج ورق لبعض الأشجار مفتول كالعبل. و قوله: و ماد العسلوج أى مالت الأغصان و انبثت. و يقال: عسلوج و عسلج قال: أنبت الصّيف عساليج الخضر.

و قوله: هلك الهدى يراد به الإبل و أصله فيما يهدى من القرابين، و فى القرآن: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۶] و الهدى.

۱- فى مجمع الأنوار المحض بحاء مهمله و ضاد معجمه: اللّبن الخالص بلا ماء و هو بمعجمتين ما مخض من اللّبن و أخذ زبده- الحسن النعمانى كان اللّه له.

۲- كذا فى الأصل و قال فى مجمع بحار الأنوار فى خيل: بالخاء المعجمه و نستخيل الجهام هو نستفعل من خلت إذا ظننت أى نظنّه خليقا بالمطر، و أخلت السّحابه و اخيلتها و منه حديث إذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه. الاختيال أن يخال بنوءه المطر ۱۲ الحسن النعمانى المصحح كان اللّه له.

و قوله: و ملت الودى يراد به فسيل النّخل.

و قوله: من الوثن و العنن، فـالعنن الاعتراض و المخالفه، يريـد برئنا إليك من المشاقّه و كل معبود من دون اللّه. و قام تعار: اسـم جبل يريد الأبد.

و قوله: نعم إغفال أى لا ألبان لها. و الغفل الذى لا سمه له.

و قوله: ما تنبض ببلال: أى لا تنطف ضروعها بما يبتل.

و قوله: و وقير كثير الرّسـل فالرّسـل اللّبن، و إنمـا وصف السّـِنه بالحمره للجـدب الشّامل لـذلك. قال: إذا احمرّ آفاق السّـِماء من الفرس.

و يقال: جوع أغبر و موت أحمر. و قوله: موزله من الأزل و هو الضّـيق. و يقال: أزل أى صار فى أزل، كما تقول أسـهل و أحزن. و الدّثر: المال الكثير.

و قوله: ودائع الشّـرك و وضائع الملك. الوديع: العهد. يقال: توادع الجيش إذا عاهد كلّ واحد منهما صاحبه أن لا يرى له إلا ما يراه لنفسه، فكـان بينهمـا تشـارك و لاـ عرو بينهما و لا شـر. و يقال: أعطيته وديعا أى عهـدا. و الوضائع جمع الوضـيعه: و هى ما وضع على المسـلمين فى أموالهم و أملاـكهم. و المعنى: أنهم يسـاوون المسـلمين فيمـا يلزمون لا زياده عليهم و لا عتب، متى لم يلطوا الحقّ أو لم يلحـدوا فى حيـاتهم عن واجب، و لم يتثـاقلوا فيما اشترع من فرائض الـدّين. و الإلطاط: المنع و يقال: لطّ و ألط بمعنى. و الإلحاد: العدول.

و قوله: لكم فى الوظيفه الفريضه، فالفريضه الهرمه، و كذلك الفارض و المعنى: لا يعد عليكم فى الصّدقه مثله.

و كذلك العارض: هى الكبير و ذات الآفه، من كلامهم: بنو فلان أكّالون للعوارض.

و الفريش من الخيـل: التى وضـعت حـديثا فهى كالنّفساء من النّاس و الرّكوب الـذّلول و الفلو(١) الضّـبيس: الصّعب، و هذا كما روى: «عفونا لكم عن صدقه الخيل».

و قوله لا يمنع سرحكم: يريد ما تسرحونه فى مراعيكم لا تمنعون منها و لا تزاحمون فيها. و لا يعضد أى لا يقطع.

و قوله: يمنع درّكم هو على حذف المضاف أى ذوات الدّراى لا يمنع من الرّعى، و يحشر أى إلى المصدق.

١- فى المجمع الفلو بفتح فاء و ضم لام فمشدّده و روى بسكون لام و فتح فاء.

و الأماق(۱) العته و الغل، يقال فی فلان ماقه.

و قوله: و تأكلوا الرّباق: يعنی العهود التی صارت كالأرباق فی الأعناق.

و قوله صلی اللّه عليه و سلم: «من أبی فعليه الرّبوه» أی: الزّياده، يريد أنّ الخارج من الطّاعه يتضاعف عليه ما يلزمه، و هذا كما روی عنه صلی اللّه عليه و سلم و قد قيل له: إنّ فلانا قد منع الصّدقه، فقال: هی عليه و مثلها.

حديث قيله: روت قيله: قالت وردت علی رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم فصلّيت معه الغداه حتّی إذا طلعت الشّمس دنوت و كنت إذا رأيت رجلا ذا رواء، و ذا قشر طمح بصری إليه، فجاء رجل فقال: السّلام عليك يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم: «و عليك السّلام»، و هو قاعد القرفصاء، و عليه أسمال مليتين، و معه عسيب نخل مقشو غير خوصتين من أعلاه، قالت:

فتقدّم صاحبی فبايعه علی الإسلام ثم قال له: يا رسول اللّه اكتب لی بالدّهناء، فقال: «يا غلام اكتب له» قالت: فشخص بی و كانت وطنی و داری، فقلت: يا رسول اللّه الدّهناء مقيد الجمل، و مرعی الغنم، و هذه نساء بنی تميم وراء ذلك فقال: «صدقت المسكينه المسلم أخو المسلم بينهما الماء و الشّجر، و يتعاونان علی الفتان». و قال رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم: «أ يلام ابن هذه أن يفصل الخطه و ينتصر من وراء الحجره». يقال شخص بفلان: إذا أتی ما يقلقله و يحرّه.

و الفتان جمع فاتن و هم الشّياطين يفتنون و يفتح فاؤه فيقال: فتّان، علی المبالغه.

و الرّواء: المنظر، و القشر: اللّباس، و القرفصاء: جلسه المحتبی، و العسيب: جريد النّخل، و المقشو: المقشور.

و ممّا روی من أخبار الوفود أن معاويه بن ثور وفد علی رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم و هو ابن مائه سنه، و معه ابنه بشر، فقال معاويه للنبی صلی اللّه عليه و سلم: إنی أتبرّك بمسّك و قد كبرت و ابنی هذا بربی فامسح وجهه، فمسح صلی اللّه عليه و سلم وجه بشر، و أعطاه أعنزا عفرا، و برك عليهم، قالوا: و كانت السّنه ربما أصابت بنی البكاء و لا يصيبهم فقال محمد بن بشر شعرا:

و أبی الذی مسح النّبی برأسه و دعا له بالخير و البركات

أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزاعفرا نواحل لسن باللّجبات

يملأن رفد الحیّ كلّ عشيّهو يعود ذاك الملء بالغدوات

بوركن من منح و بورك مانحاو عليه منّی ما حييت صلاتی

۱- الإماق الحميه و الأنفه و قيل الجرأه- مجمع.

و هذا باب له جوانب، و ورّاد العرب مختلفه الطّرق، فمنهم من قال:

و لقد وردت الماء لون حمامهلون الفريقه صفّيت للمدنف

فصدرت عنه طاميا و تركته يهتزّ علفته كأن لم يقشف

و قال آخر:

و ماء قد وردت أميم طام على أرجائه زجل القطاط

فبتّ أنهته السّرحان عنه كلانا وارد حرّان ساط

و قال لبيد:

فوردنا قبل فراط القطاإنّ من وردى تغليس النّهل

طامى العرمض لا عهد له بأنيس بعد حول قد كمل

فهرقنا لهما فى داثرلضواحيه نشيش بالبلل

و قال العجّاج:

وردته قبل الذّباب العسال و قبل إرسال قطا فإرسال

بالقوم عبدا و المطى الكلال

و قال امرؤ القيس:

فأوردها من آخر اللّيل مشربابلالق خضرا ماؤهنّ قليص

يعنى: عيرا و أتنا، فربّما قصدوا الحج بركوب الفلوات التى لم تسلك، و المياه التى لم تورد ابعادا فى الغزو، و اقتحاما على المهالك. و ربما ذكروا التّوحّش و مجاوره الوحوش لذلك قال الشّنفرى:

طريد خبايات تياسرن لحمه عقيرته لا بأيما حن أوّل

بجناياته فى القبائل حتى أسلمه ذووه و تبرءوا من موالاته.

و قال:

و يشرب أسارى القط الكدر بعد ماسرت قربا أحياؤها يتصلصل

و ربما قصدوا الافتخار فيه بورود أبواب الملوك و منافره الخصوم بها و السّعى فى تحمّل الدّيات و إصلاح ما بين العشائر. و جعل المياه فراطه لهم لسبقهم كل الإغراء إليها يدل على هذا قوله:

و لا يردن الماء إلّا عشيهإذا صدر الورّاد عن كلّ منهل

و ذكر بعضهم هذا فقال: خير الورد ما كان أوّل النّهار و شره ورد العشى حتى أنهم يتعايرون به، و ذكر البيت و خالفه آخر فقال: خير الورد ما وافق الحاجه ثم أنشد:

أوردها مهجرا يساريسار لا يروى يدا العشار

ليس بإيراد العشىّ عار

قال أبو عبد اللّه: و الذى بسط له النبى صلى اللّه عليه و سلم رداءه أشج عبد القيس و اسمه عائذ بن عمرو، و قال له: «فيك خصلتان يحبّهما اللّه: الحلم و الإناءه» قال: هما فىّ أو شى ء جبلنى اللّه عليه، فقال: «جبلك اللّه عليه» فقال: الحمد للّه الذى جبلنى على ما أحبّ أو نحو ذلك.

و حكى هشام عن أبيه أنه أخبره رجل من رحبه حمير قال: كنت فى جمه فبينا نسير فى بعض مفاوز اليمن فأضلّلهم بعارض عرض و قد سرت ثلاثا لا- أرى أنيسا إذ دفعت إلى شجر و ظلّ و ماء معين. و قد ظمئت و أكللت فإذا أنا بشيخ له غديرتان بيضاوان كأنّهما ينطفان بالدّهان، و عليه حله كأنّها فارقت من يومها الصّبيان، و بين يديه بغلان حضرميّتان كأن لم تنالا بوطء، و هو قائم يصلّى بقراب ما بين شجرات عم، فدنوت و سلّمت، و إنّ رأسه ليحاذى قمّه رأسى و إنّى لعلى نجيب ساف عليك. ثم أنخت و شربت من الماء و سقيت بعيرى و جلست وراءهما، فلما أحس بجلوسى ركع و سجد ثم ردّ علىّ سلامى.

ثم قال: من أين وضح الرّاكب؟ فقلت: من رمع فقال: ما بالك على غير سمت؟

فقلت: ما زلت على لقم بهجم أؤم أطراف قوادم الفجر الأشمل، و منكب الأريب الأيمن حتّى هبطت بالأمس غوطا ملطاطا، حين طفل الأصيل فبتّ حيث طخطخ اللّيل بصرى، فلما تهور اللّيل شبه لى ثائبه رعاء فثاء ذلك عنى بعض ما كان يشيزنى، ثم ثبت فحله أن قد استثبت فقمت إلى بعيرى فغيرت عليه.

ثم ركبت أؤم الأصوات و كأننى فى أكساء أهلها، و ما يزداد إلّا بعدا فتفزّع عنّى سربال اللّيل، بين نعاف متواصيه، فزلت أخبطها سحابه يومى متوسّما تاره و متعسّفا أخرى، حتى رفع لى هذا السّواد، حين نجهت من نقب، ذلك القف فرمته حتى أضافنى إليك هذا الضّوح، فقال: حسبك بواقيه الموقى جنه- و لو كنت ذا خبر تكنه، خطر ما هجمت عليه ما رأيت للنّوم سميرا، فقابل النّعمه بالسّلام بشكرها، فقال: يا بن أخى السّماء غطاء، و الأرض وطاء. و أما موطن وراء هذا الضّراء فقد أخذتنى منه وحشه، و قلت: يا عمى هل أنت بمخبرى عمّا رأيت من عجائب الدّهر فى مده أيامك؟ فقال: نعم أ رأيت النّعاف المتقابلات، و الغيطان المتواصيات اللّواتى جرعتهن سائر اليوم؟ قلت: نعم. قال: هل أحسست هنالك رسما واضحا، و إثرا ماضحا؟ قلت: لا. قال: و اللّه يا بن أخى لقد عهدت بتلك البيضه الفيحاء مجادل كالشّناخيب، مشرفات المحاريب، يرى الرّاكب شعافها من منزله ثلاث،

محفوفه بالجحافل الململمه، و الكتائب المسوّمه، ينم على أبوابها الأحبوش، و تهز الآل ينم الأسد على الأشبال، و تحوص لربّها الآمال، فى الأموال، فتأذى ثات، و ماذ و ثات الأسد الضّرغام، الأبلج القمقام، الملك الهمام، يخضع لبيته الأذقان، و تذعر لهيبته الجنان، عطاؤه غمر، و أخذه قهر، و سلامه إنعام، و محاله اصطلام، عمل بذلك سبعين خريفا، و أعين الحوادث عنه مغضيه، ثم شصاءه إليه يوم من الدّهر، كدر المعاش، و بدّد شمل الرّيّاش، ثم اقتعد مطىّ تلك النّعمه، ذو هلاهله تقمع الأضداد، و غمر الأنداد، و أنشأ المصانع، و بثّ الصّنائع، فغيّر بذلك أربعين حجه و سبعا، لا تروعه حادثه و لا يعتن له عاتنه، و لا تعرض له هاتنه.

ثم كشّرت له عن أنيابها أم اللّميم، فرمته بأقصد سهامها، و رهقتهم بأفظع أيامها فحطّتهم عن وثابه، دون حجابه، و مصارع أبوابه، و لم يمنعه العز الصّم، و لا العدير الدّهم، ثم سحب و اللّه الزّمان على آثارهم ذيول البلاء، و طحنهم بكلاكل الفناء- فأصبحت الآثار بائده- و العزّه هامده- و فى ذلك يقول شاعر من غابرهم:

خلق النّاس سوقه و عبيداو خلقنا الملوک و الأربابا

كان ذو ثات الهمام ربيعايحسب النّاس سيبه أحسابا

و طی ء الأرض بالجنود اقتداراو اقتسارا حتّى أذلّ الصّعابا

حوله الصّهب و الجعاد يخالون لدى بابه اللّيوث الغضابا

و تغضّ العيون من دونه الأملاک مائدا و تحنو الرّقابا

فرمانى الزّمان منه بيوم غادر المعمر الخصيب يبابا

فكأنّ الجموع و العدد الدّهم و ذاک النّعيم كان ترابا

ثم قال لى: عليک تلک الثّنيه فأسند فيها، فإذا فرعتها فمثلت لک الخورمات- على المازم، فتنكّبها ذات اليمين، فهناک الطريق ثم غاب عنّى فلم أره بعد.

[فصل فى] تفسير الألفاظ الغريبه

الماء المعين: الظّاهر و ينتعان: يقطران. و يقال: (وضح الرّاكب): و أوضح أى طلع، و اللّهجم: البين، و اللّقم: الطّريق، و الأريب: ريح تهب متنكّبه بين الصّبا و الجنوب، فإذا هبّت من تحت مطلع سهيل فهى الجنوب الخالصه. و قوله: (قوادم الفجر): يعنى جناحه، و الغوط الملطاط: ما اعترض من الأرض فى الغائط و حجب ما وراءه، و طفل الأصيل: أى أقبلت فى الظّلمه، و طخطخ اللّيل بصرى: أى سترت الظّلمه عينى، تهور اللّيل: أدبر، و الثّائبه: الزّحر، فثأ: سكن، تشيزنى: تقلقنى. و الإكساء: الماخير الواحد

كسوء، و المتواصيه: المتواصله. نجهت: بدوت، النّقب: الطّريق الضّيق، الضّوح: منعطف الوادى، الأثر الماصح: الدّارس، البيضه الفيحاء: الأرض الملساء، الشّناخيب: أعالى الجبال، الواحد شنخوب. المحاريب: الغرف بلغه حمير و غيرهم، ذوثات: قيل من أقيال حمير دون الملك المتوّج. قوله: و سلامه إنعام، يريد أنّه يسالم منعما لا مضطرا، و المحال: الكيد و العقوبه، يقال: شصا بصره: أى شخص، و شصا برجله: دفعه، و الرّياش: الهيئه، و ثروه لا يعتن: لا يعترض. الهائثه: الدّاهيه و كذلك: أم اللّميم. الوثابه: السّرير بلغه حمير، الصّم: الشّديد الثابت.

قال الأصمعي: كانت حمير تسمّى الملك إذا لم يغز (موثبان) قال: و كانت ملوك حمير قد رتّبوا المملكه أن يختار الملك ثمانيه من أبناء الملوك، يسمّيهم المثامنه يخدمونه فإذا مات الملك انتخب أهل المملكه من المثامنه رجلا إن لم يكن له ابن أو ابن أخ، ثم أخذ من الأقيال رجل يجعلونه بدل ذلك من المثامنه لتمام الثمانيه و أخذ من أهل البيت رجل فجعل قيلا. و الأقيال: ثمانون رجلا، و أهل البيت أكثر من أن يحصوا، (و الخورمات): ثنايا الجبال، و (المآزم) المضائق.

الباب التّاسع و الثلاثون فی السّیر، و النّعاس، و المیح، و الاستقاء و ورود المیاه

قال لبید شعرا:

و مجود من صبابات الکدی عاطف النّمرق صدق المبتذل

قال: هجدنا فقد طال السّری و قدرنا إن خنا العیش غفل

قل ما عرس حتی هجته بالتّباشیر من الصّبح الأول

یلمس الأحلاس فی منزله بیدیه کالیهودیّ المصل

یتماری فی الذی قلت له و لقد یسمع قولی حین هل

(المجود): أصله الذی قد مطر جودا و جعله عاطف النّمرق لانثنانه فی النّعاس و تمایل، و معنی صدق المبتذل: إذا ابتذل نفسه للعمل کان صلبا، و معنی (هجدنا): نومنا یرید أنّ السّیر قد امتد و اتّصل و أنّهم مالکون لورود المقصد إن سلموا من آفات العیش، و جعله لامسا لحلسه کالیهودی فی صلاته لزوال تماسکه، و غلبه التّوابد قوله: (یتماری) یبین به زوال تحصیله فهو شاک فیما یدرکه بسمعه و إن کان ممیز الماء یخاطب به أبا حیه النّمیری:

و أغید من طول السّری برحت به أفانین مضاء علی الأسّ مرجم

سریت به حتّی إذا ما تمزّقت توالی الدّجی عن واضح اللّون معلم

أنخنا فلمّا أفرغت فی لسانه و عینیه کأس السّحر قلت له قم

یودّ بوسطی الخمس منه لو أنّنارحلنا و قلنا فی المناخ له نم

حظاء الکره مغلوبا کأنّ لسانه بمارد من رجع لسان مرسم

ذکر ابن الأعرابی أنّ عقیل بن علقه خرج فی سفر و معه ابنه عملس و ابنته الحرباء فقال شعرا:

قضت و طرا من دیر أروی و ربّماعلی عجل ناطحته بالجماجم

فقال لابنه: أجز، فقال:

فأصبحن بالموماه يحملن فينهتشاوى من الإدلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته أجيزى فقالت شعرا:

كأنّ الكرى يسقيهم صرخديهعقارا تمشّت فى الطّلى و المعاصم

فقال: و اللّه ما وصفتها حتى شربتها و ضربه ابنه بسهم فاختلّ ساقه و قال شعرا:

إنّ بنى رملونى بالدّم من يلق أبطال الرّجال يكلم

و ما يكن من صعر يقوم شنشنه أعرفها من أخزم

قال ذو الرّمه:

و ليل كجلباب العروس ادّرعته بأربعه و الشّخص فى العين واحد

أجم غدافى و أبيض صارم و أعسر مهرى و أشعث ماجد

أخو ثقه جاب الفلاه بنفسه على الهول حتى لوّحته المطارد

و أشعث مثل السّيف قد لاح جسمه و حيف المهارى و المهوم الأباعد

سقاه الكرى كأس النّعاس برأسه لدين الكرى من آخر اللّيل ساجد

أقمت له صدر المطىّ و ما درى أ جائره أعناقها أم قواصد؟

ترى النّاشئ الغرّيد يضحى كأنّه على الرّجل مما منه السّير عاصد

قوله: (كجلباب العروس): فى التشبيهات الظّريفه لأنّ اللّيل لا يشبه جلباب العروس إلا فى سبوغه و اتّساعه و قله فرجه و تمامه و مثله قول الآخر شعرا:

إذا ما الثّريا طلعت فى سنائهاطلاع العروس فى ثياب جلاء

تنفّست من علمى بما البين صانع و إنّ ردائى ليس لى برداء

و إنما ذكر الثّريا لطلوعها فی أطول ما يكون، و حينئذ تطلع فی وقت غروب الشّمس و ذلک فی أوّل الشّتاء، فإذا طلعت طلعت فی حمره الأفق، فشبّهها فی تلک الحاله بثياب العروس فی حمرتها و سبوغها. قوله: (تنفّست): أی علمت أنّ الزّمان قد تغيّر عن هيئته، و أنّ الإنسان لا يكتفی من الكسوه بما كان يكتفی به قبل ذلک لتحرک البرد، و أنّ الأحياء تتفرّق فيطلبون المحاضر و يهجرون البوادی و لابن أم صاحب:

و فتيه أرّقتهم من مهجع و النّوم أحلی عندهم من العسل

لا يطعمون النّوم إلا قللاحسوا كحسو الطّير من ماء الوسل

قلت لهم: أصبحتم فارتحلواو اللّيل ملق حلسه دانی الظّلل

فنهضوا مائله أعناقهم كأنّهم من الكلال و الثّمل

شرب تساقوا قرقفا حمصيهكرّت عليهم عللا بعد نهل

و أنشد أحمد بن يحيى:

إنى إذا ما اللّيل كان ليلين و لجلج الحادى لسانين اثنين

لم تلفنى الثّالث بعد العدلين ساد الرّقئين منهم ذو البردين

الرّقئين: المتكابس، و قد يعد من هذا الباب قوله:

إنى إذا ما القوم كانوا أنجيهو اضطرب القوم اضطراب الأرشيه

و شدّ فوق بعضهم بالأرديههناک أوصينى و لا توصى بيه

و قال آخر:

يقول و قد مالت به نشوه الكرى نعاسا و من يعلق سرى اللّيل يكسل

أنخ نعط أنضاء النّعاس دواؤهاقليلا ورقه عن قلائص ذبل

فقلت له: كيف الإناخه بعد ماحدا اللّيل عريان الطّريقه منجل

و قال العجاج و ذكر ماء:

كأنّ أرياش الحمام النّسل عليه ورقان القران النّصل

فويق طامى مائه المجلل جفاله الأجن كحمر الجمل

يريـد بالنّسل: السّاقطه، و القران: نبل صـيغت صـيغه واحـده و جعلها ورقا لأنّها إذا عرضت على النّار تسودّ فتصـير ورقا، و النّصل: التى قد نصـلت: أى خرجت من مواضعها، و المجلّل: المغطى بالعرمض و هو الطّحلب. قوله: جفاله: انتصب بالمجلّل و جفاله كل شى ء ما أخـذ منه، و قلع من أعلاه، يريد أنّ الماء قد يبس مثل العبايه مما لا يورده، فعلاه مثل الحمر: و هو بقيه الأليه إذا أذيبت. و الجمل: الذين يذيبون الشّحم يقال: جملت الشّحم و أجملته، و الجميل الودک المذاب و مثل هذا قوله:

يتجفّل عن جمانه دلو الدّالى عانه غشراء من آجن طال

الغشراء: البيضاء إلى الدّسمه، و الآجن: المتغيّر و الطّالى: الذى عليه طلاوه و هو ما يلبسه. و أنشد فى الاستسقاء:

قد علمت إن لم أجد معينالأخلطنّ بالخلوق طينا

يعنى امرأته، أى استعملها فى الاستسقاء إن لم أجد غيرها. و قال آخر يخاطب الدّلو:

تملئى ثمّ هلمّى حىّ إلى سواد نازع مكبّ

يقول: ارتفعى إلى شخص المستقى و هو سواده و النّازع بالدّلو: هو المكبّ و قال آخر:

لتروينّ أو لتبيدنّ السّجل أو لأروحنّ أصلا لا أشتمل

أى لا أقدر على الاشتمال من إعيائى و ضعفى. و قال الآخر:

إن سرّك الرىّ أخا تميم فاجعل بعبدين ذوى وزيم

بفارسى و أخى الرّوم

الوزيم: القوّه و رجل متوزم: أى شديد الوطء، أى اجعل السّاقين من جنسين مختلفين، لأنهما إذا كانا كذلك لم يفهم أحدهما كلام الآخر و كان أحثّ للعمل لقلّه الإنس بينهما. و أنشد فى معناه:

و ساقيان سبط و جعدو فارطان فارسن و بعد

و أراد و عاد فجعل الفعل بدله. و قال: و أنشده الأصمعى:

إذا بلغت قعرها فانشقّى و اغترفى من تربها الأدقّ

انشقّى: انفتحى واجر ما فيها. و يقال: بل دعا عليها كأنه قال: انشقّى و حسبى أن بكون حظّك التّراب. و قال و ذكر إبلا:

فوردت عذبا نقاخا سمهجافأعجلت شفتها أن تنفجا

نقاخ عذب و سمهج: مثله يعنى أنّ الإبل جاءت عطاشا، فلم ينتظروا بها أن يبلوا الدّلاء فألقوها كما هى يابسه. قوله وردت: قد تكلّم النّاس فيه من قوله تعالى: وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ [سوره القصص، الآيه: ۲۳] الآيه و من قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها [سوره مريم، الآيه: ۷۱].

فمنهم من يقول: إنّ الورود يقتضى الاختلاط بالمورود و مشافهته و الدّخول فيه، بدلاله قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا [سوره مريم، الآيه: ۷۳] فكيف ينجّيهم منها و هم لم يأتبسوا بها، فعلى قولهم يجب أن يكون قد حتم على نفسه إيراد الخلق جميعا النّار، ثم ينجّى منها المتّقين و يذر فيها الظّالمين. و الحكمه فى ذلك أن يشاهد المؤمنون موضع الكفّار، فتكثر لديهم مواقع النّعم و يزدادوا اعتدادا و فرحا بما منحهم اللّه تعالى، قالوا:

و تصير النّار عليهم بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم عليه السّلام فى الدّنيا و إن كانت على الكفار عقوبه و عذابا، و استدلّوا على ما قالوا بقوله تعالى: وَ نَذَرُ الظّالِمِينَ [سوره مريم، الآيه: ۷۲] فإنه لم يقل و يدخل الظّالمين.

و قال بعضهم: إنّ هذا يعنى به الكفّار خاصه، و احتجوا بقراءه بعضهم: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها [سوره مريم، الآيه: ۷۱] مسوقا على قوله تعالى: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ [سوره مريم، الآيه: ۶۹] الآيه. و يكون على هذا التأويل و فى هذا المذهب قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا [سوره مريم، الآيه: ۷۲] يراد به يخرج المتّقين من جمله من يدخل النّار فكأنّ الخلق على اختلاف طبقاتهم، يردون عرصه القيامه ثم يفترقون فرقا على ما بيّن اللّه تعالى فى غير هذا الموضع.

و قال أهل النظر و كثير من المفسّرين منهم الحسن و ابن مسعود و قتاده: ليس الورود من الدّخول فى شى ء. أ لا ترى أنّ الأصل فى ذلك قصد المشارع و المناهل و قصدها ليس بالخوض فيها يدل على ذلك قوله تعالى: وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ [سوره القصص، الآيه: ۲۳] فالورود البلوغ إلى الماء ثم توسّع فيه فاستعمل فى بلوغ كلّ مقصد يقولون: وردنا بلد كذا و كذا.

و قال الخليل: الورد، يوم وقت الورود بين الظماءين، يقولون: وردت الطّير الماء وردا و وردته أورادا و قال تعالى: وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً [سوره مريم، الآيه: ۸۶] و قالوا: أرنبه وارده و هى المقبله على السّبله و قال تعالى: فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ [سوره يوسف، الآيه: ۱۹] يراد طالب الماء منهم و بالغه. و قال زهير:

فلمّا وردن الماء زرقا جمامه و ضعن عصىّ الحاضر المتخيّم

و هذا أصدق شاهد على أنّ الورود ليس بالدّخول، و الحجه القاطعه فى أنّ المؤمنين و إن حضروا حول جهنّم مع الإنس و الجن للحتم المقضى، و الوعد من اللّه الزكى، فإنّهم مبعدون عن النّار قال اللّه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [سوره الأنبياء، الآيه: ۱۰۱] و نرجع إلى إتمام الباب لأنّ هذا عارض عرض. و قال عجيز السّلولى:

و لى مائح لم يورد الماء قبله معلّى و أشطان الطّوى كثير

(المائح): الذى يصير فى البئر فيملأ الدّلو من الماء إذا قلّ الماء. قال:

يا أيّها المائح دلوى دونكاإنّى رأيت النّاس يحمدونكا

و استعاره العجز لمن كان يمنحه عند السّلطان و يستخرج له ما عنده و يعينه.

و المعلّى الذى رشاؤه فوق الأرشيه. و يقال: هو الذى إذا زاغ الرّشاء عن البكره علاه فأعاده إليه. و أنشد الأصمعىّ شعرا:

ما ليله الفقير إلّا شيطان مجنونه تودى بروح الإنسان

يدعى بها القوم دعاء الصّمان و هنا من الأنفس غير عصيان

الفقير: بئر قليله الماء ورودها و جعلها شيطانا لما يلقون فيها من التّعب، المعنى أنهم فتروا و ضعفوا فكأنّهم صمّ من النّعاس، و إنّما وصف قوم وردوا و سقوا و هنا من الأنفس: أى ضعفا من الأنفس لا عصيانا للرّاعى. و مثله لذى الرّمه:

كأنى أنادى مائحا فوق رحلهاو فى غرفه و الدّلو ناء قليبها

و قال الرّاعى:

حتّى وردن أتمّ خمس بائص جدرا تعاوره الرّياح وبيلا

سدما إذا التمس الدّلاء نطافه صادفن مشرقه المثاب دحولا

البائص: السّابق، و البوص: الفوت و السّبق أى أتم خمس و بعده. و الجدر: البئر الجديده الموضع من الكلأ، و الوبيل: الثّقيل غير المرى ء. سدم: مندفنه، و النطاف: المياه.

و المثاب: هاهنا الموضع الذى يثوب منه الماء، يقال: هذه بئر لها ثائب، و المثاب فى غير هذا الموضع قد يكون مقام السّاقى، و الدحول: بئر لها إرجاف. و أنشد الأصمعىّ:

أعددت للورد إذا الورد خفزعريا حرورا و جلا لا خزخز

و ما دحا لا ينثنى إذا احتجزفى كلّ عضو جرذان و خزز

شبّه عضل المائح و لحمه المتفرّق فى أعضائه بالجرذان. و الخزز: هو ذكر اليرابيع هنا و فى مثله قال أبو النّجم شعرا:

فى لحمه بالقرب كالتّزيل ينماز عنه دخل عن دخل

أى تنفرج أعضاؤه من ثقل الدّلو و ينماز: يصير كل قطعه لحم منه على حده إذا تمطّى من ثقل الدّلو: يريد أنّ لحمه صار كتلا.

الباب الأربعون فی أسواق العرب

اشاره

قال أبو بکر محمد بن الحسن بن درید الأزدی، فی إسناد ذکره أنّ أسواق العرب الکبیره کانت فی الجاهلیه ثلاث عشره(۱) سوقا.

فأوّلها قیاما: سوق دومه الجندل: و هی علی ثلاث عشره مرحله من المدینه، و علی عشر مراحل من الکوفه، و علی عشر مراحل من دمشق، حصنها ممرد و بها التقی الحکمان، ثم صحار- ثم دبا- ثم الشّحر- ثم رابیه حضرموت- ثم ذو المجاز- ثم نطاه خیبرا، ثم المشقر- ثم حجر بالیمامه- ثم منی، ثم عکاظ- ثم عدن- ثم صنعا.

و کانت هذه الأسواق منها ما یقوم فی الأشهر الحرم و لا یقوم فی غیرها، و منها ما لا یقوم فی الأشهر الحرم، و یقوم فی غیرها. لکنّه لا یصل أحد إلیها إلا بخفیر و لا یرجع إلا بخفیر.

دومه الجندل

قال أبو المنذر: کان أوّل هذه الأسواق قیاما دومه الجندل: یوافیها العرب من کل أوب، و قیامها أوّل یوم من شهر ربیع الأول إلی النّصف منه، ثم ترق و لا تزال قائمه علی رقّتها إلی آخر الشهر- ثم یفترقون منها إلی مثلها من قابل. قال: و کانت کلب و جدیله طی ء جیرانها، و کان ملکها بین اکیدر العبادی من السکون و بین قنافه الکلبی، و کان غلبه الملکین علیها أن یتحاجبا فأیّهما غلب صاحبه بما یلقی علیه ترکه، و السّوق یفعل بها ما شاء و لم یبع فیها أحد من الشّام و لا أهل العراق إلا بإذنه، و لم یشتر فیها و لم یبع حتی یبیع الملک کلّ

۱- و قال أیضا فی کنز المدفون إن أسواق العرب کانت فی الجاهلیه ثلاثه: مجنّه و کانت بالظّهران و عکاظ بین نجد و الطائف و ذو المجاز: بالجانب الأیسر إذا وقفت بعرفه ۱۲ القاضی محمد شریف الدین عفا عنه.

شى ء يريد بيعه مع ما كان إليه من مكسها، و كان للكلب فيها قنّ كثير فى حوانيت من شعر، و كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء، فكانوا أكثر العرب قنا، و كانت مبايعه العرب بها بإلقاء الحجاره، و ذلك أنّهم كانوا يجتمع النّفر منهم على السّلعه يساومون بها صاحبها فأيّهم رضى ألقى حجره، و ربما اتّفق فى السّلعه الرّهط فلا يجدون بدّا من أن يشتركوا و هم كارهون، و ربما ألقوا الحجاره جميعا فيوكسون صاحب السّلعه إذا تظاهروا عليه، و كانت قريش تخرج قاصده إليها من مكّه فإن أخذت على الحزن لم تتخفر بأحد من العرب حتى ترجع، و ذلك أنّ مضر عامّتهم لا تتعرّض لتجّار قريش، و لا يهتجمهم حليف مضرى، مع تعظيمهم لقريش و مكانهم من البيت.

قال: و كانت مضر تقول: قد قضت عنّا قريش مذمّه ما أورثنا أبونا إسماعيل من الدّين، و كانوا إذا خرجوا من الحزن أو على الحزن، و ردوا مياه كلب، و كانت كلب حلفاء بنى تميم، فلا يهتجمهم كلب، فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا فى بنى أسد حتى يخرجوا على طى ء، فتعطيهم و تدلّهم على ما أرادوا لأنّ طيئا حلفاء بنى أسد، فإذا أخذوا طريق العراق تخفّروا ببنى عمور مرثد من بنى قيس بن ثعلبه فيجيز لهم ذلك ربيعه كلّها.

المشقر

ثم يرتحلون منها إلى المشقر بهجر، فيقوم لهم سوقها أول يوم من جمادى الآخره إلى آخر الشّهر، يوافى بها أهل فارس يقطعون إليها تبعا لعادتهم ثم يتقشّعون عنها من مثلها إلى مثلها من قابل، و كانت عبد القيس و تميم جيرانها- و كانوا ملوكها من بنى تميم، من بنى عبد اللّه بن زيد رهط المنذر بن ساوى- و كانت ملوك فارس تستعملهم عليها كما يستعملون بنى نصر على الحيره و بنى المستكبر على عمان، و كانوا يصنعون فيها ما يريدون، و يسيرون بسيره الملوك بدومه فى البيع، و كانوا يعشرونها أى يمكسونها، و كان جميع من يأتيها لا يقدر عليها إلا بخفاره من سائر الناس، و كانت أرضا معجبه لا يراها أحد فيصبر عنها، و كانت لا يقدمها لطيمه إلّا تخلّف بها منهم ناس، فمن هناك صارت بهجر من كلّ حىّ من العرب و غيرهم، و كان بيعهم فيه الملامسه- و الهمهمه- و الإيماء- يومئ بعضهم إلى بعض فيتبايعون و لا يتكلّمون حتى يتراضوا، و إنمّا فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يزعم أنه بذل له صاحب السّلعه.

صحار

ثم يرتحلون منها إلى صحار أول يوم من رجب، فى غير خفاره فيقدمونها لعشرين يوما تمضى من رجب، فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، و من شغل بحاجه

و لم يكن له إرب فيما يباع فى الأسواق التى قبلها، فينشرون من بزّها و بياعاتها أو يبيعون بها خمسا، فكان الجلندى يعشرهم فيها و كان بيعهم فيها بإلقاء الحجاره.

دبا

ثم يرتحلون منها إلى دبا، و كانت إحدى فرص العرب يجتمع بها تجار الهند و السّند- و الصّين- و أهل المشرق و المغرب- فيقوم لها سوقها آخر يوم من رجب، فيشترون بها بيوع العرب و البحر، و بيعهم مساومه و كان الجلندى يعشرهم فيها، و كان يصنع فى ذلك فعل الملوك فى غيرها.

الشّحر

ثم يسيرون بجميع من فيها من تجّار البحر- و البر- إلى الشّحر شحر مهره فيقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذى عليه قبر هود النّبى عليه السّلام و يبيعونهم بما ينفق بها من الأدم- و البز- و سائر المرافق- و يشترون بها الكندر و المر- و الصّبر- و الدّخن- و لم يكن بها عشور، لأنّها ليست بأرض مملكه و كان جميع من يختلف إليها من العرب بتجاره يتخفّر ببنى يثرب و هى تقلل من مهره، و كانت سوقهم تقوم للنّصف من شعبان و بيعهم بها بإلقاء الحجاره.

عدن

ثم يرتحلون منها إلى عدن إلّا تجار البحر، فإنه لا يرتحل منهم إلّا من بقى من بيعه شى ء و لم يبعه، فيوافى النّاس بعدن من بقى معه من تجار البحر شى ء و من لم يكن شهد الأسواق التى كانت قبلها و كانت تقوم أوّل يوم من شهر رمضان إلى عشر يمضين منه.

ثم ينقشع النّاس منها إلى مثلها من قابل، و كانوا لا يتخفّرون بأحد، لأنّها أرض مملكه و أمر محكم و كانت تعشرهم ملوك حمير- ثم من ملك اليمن من بعدهم.

و آخر من عشّرهم الأبناء من فارس غلبوا على اليمن و كان لا يشترى فى أسواقهم و لا يبيع، و كان طيّب الخلق جميعا، بها يعبأ و لم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب، حتى أنّ تجار البحر لترجع بالطّيب المعمول تفخر به فى السّند- و الهند- و ترتحل به تجار البر إلى فارس و الروم، و إنّ بالناس على ذلك اليوم ما يحسن اليوم عمله إلا أهل الإسلام بعدن.

صنعاء

ثم يرتحلون إلى صنعاء فيأتونها بالقطن- و الزّعفران- و الأصباغ- و أشباهها مما ينفق بها، و يشترون بها ما يريدون من البز- و الحديد- و غيرهما. و كانت تقوم فى النّصف من

شهر رمضان إلى آخره، ثم تنقشع إلى مثلها من السّنه المقبله و بيعهم بها الجس جس اليد، و لم يكن أحد من أهل هذه الأسواق يريد السّوق الأخرى إلا إذا اشترى رجل من أهل بلده، فإنّه كان يشترى منه كما يتبايعون بتلك البلاد.

ثم رابيه حضرموت و عكاظ

ثم يصدر النّاس عنها إلى سوقين. أحدهما: رابيه بحضرموت و الأخرى عكاظ فى أعلى نجد و عكاظ قريب من عرفات.

فأمّا الرابيه فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفاره لأنّها لم تكن أرض مملكه و كان من عزّ فيها بزّ صاحبه، فكانت قريش تتخفّر ببنى أكل المرار من كنده، و سائر النّاس بآل مسروق بن وائل الحضرمى، فكانت مكرمه لأهل البيتين، و فضل أحدهما على الآخر كفضل قريش على سائر النّاس، فكان يأخذ إليها بعض النّاس و بعضهم إلى عكاظ، و كانتا تقومان بيوم واحد فى النّصف من ذى القعده.

و كانت عكاظ من أعظم أسواق العرب، و كانت قريش تنزلها- و هوازن- و غطفان- و خزاعه- و الأحابيش- و هم الحارث بن عبد مناه- و عضل و المصطلق و طوائف من أفناء العرب ينزلونها فى النصف من ذى القعده فلا يبرحون حتى يروا هلال ذى الحجّه. فإذا رأوه انقشعت و لم يكن فيها عشور و لا خفاره، و كانت فيها أشياء ليست فى أسواق العرب، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسّيف الجيد- و الحلّه الحسنه- و المركوب الفاره- فيقف بها و ينادى عليه ليأخذه أعزّ العرب، يراد بذلك معرفه الشّريف و السّيد فيأمره بالوفاده عليه و يحسن صلته و جائزته، و كان بيعهم بها السّرار، فإذا وجب البيع و عند التاجر ألف رجل ممن يريد الشّراء و لا يريده فله الشركه فى الرّبح.

ذو المجاز و نطاه خيبر و حجر اليمامه

فإذا أهلّوا هلال ذى الحجه ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز، و هو قريب من عكاظ و أقاموا بها حتّى يوم التّرويه، و يواتيهم حينئذ حجّاج العرب و رءوسهم ممّن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق، و كانت العرب فى أشهر الحج على ثلاثه أهواء: منهم من يفعل المنكر و هم المحلّون الذين يحلّون الحرم فيغتالون فيه و يسرقون، و منهم من يكفّ عن ذلك و يحرّمون الأشهر الحرم، و منهم أهل هوى شرعه، لهم صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاويه بن شريف من بنى عمرو بن تميم فإنه أحلّ قتال المحلّين.

قال أبو المنذر عن أبيه و خراش: هذا قول بنى تميم، فأمّا الثبت عندنا فهو القملس الكنانى و أجداده من قبله و هو الذى نسأ الشّهور- و المحلّون- طيّى ء و خثعم و ناس من بنى

أسـد بن خزيمه. و كـان أشـراف العرب يتوافون بتلـك الأـسواق مع التّجـار من أجل أنّ الملوك كانت ترضـخ للأشـراف، لكلّ شريف بسـهم من الأرباح، فكان شـريف كلّ بلـد يحضـر سوق بلده، إلّا عكاظ فإنّهم كانوا يتوافون بها من كل أوب و لا يوافيها شريف إلّـا و على وجهه برقع، مخـافه أن يؤسـر يوما، فيكبر فـداؤه، فكان أوّل من كشف القناع طريف العنبرى لما رآهم يطلعون فى وجهه و يتفرّسون فى شـمائله، قـال: قبـح من وطّن نفسه إلا على شـرفه، و رمى بالقناع و حسـر عن وجهه، قال يـذكر قصـته و عذره فى مخالفه من قبله. شعرا:

أ و كلّما وردت عكاظ قبيلهبعثوا إلى عريفهم يتوسّم

قال أبو المنـذر عن أبيه: كان الرّجل إذا خرج من بيته حاجّا أو داجا و الـدّاج التّاجر فى الشّـهر الحرام، أهـدى و أحرم، ثم قلّـد و أشـعر، فيكون ذلك أمانا له فى المحلين. و كان الـدّاج إذا انفرد و خشـى على نفسه و لم يجد هديا قلّد نفسه بقلاده من شـعر أو وبر، و أشـعر نفسه بصوفه، فيأمن بها، و إذا صدر من مكه تقلّد من لحاء شـجر الحرام. و كان الدّاج و غيره إذا أمّ البيت و ليس له علم بذلك و لا هو فى سـيماء المحرّم أخذ المحلّون ما معه، و كانت العرب جميعا تنزع أسـنّتها فى الأشـهر الحرم غير المحلّين و الذين يقاتلونهم، فإنّهم كانوا يقاتلونهم حتى الأشهر الحرم.

و كانت الخمس تدع عرفات تهاونا بها و إخلالا، و تدع الصّفا و المروه فأنزل اللّه تعالى:

إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [سوره البقره، الآيه: ۱۵۸] الآيه و أنزل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَـعائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ [سوره المائده، الآيه: ۲] الآيه. هذا للمسلم:

وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْـطادُوا [سوره المائـده، الآيه: ۲] فـأذن لهم فى الصّـيد بعـد أيّـام التّشـريق و حرّم عليهم الـذى أهلّ لغير اللّه به مع المنخنقه بالحبل إذا لم تـدرك زكاتها، فهى حرام، و الموقوذه كانوا يقـذون الـدّابه العضل من الإبل- و البقر- و الغنم- ليرخص لحمهـا. و المـتردّيه الـتى تردى فى بئر أو من جبـل. و النّطيحه الـتى تنطحهـا شـاه أخرى فتموت. و مـا أكـل السّـبع إلاـ مـا زكّيتم أدركتموه و به حياه. و ما ذبح على النّصب يعنى آلهتهم التى كانوا يعبدون من دون اللّه.

قال أبو المنـذر: و تزعم مضـر أنّ أمر الموسم و قضاء عكاظ كان فى بنى تميم، يكون ذلك فى أفخاذهم الموسم على حـده- و عكـاظ على حـده- و كـان من اجتمع له ذلـك منهم بعـد عـامر بن الظّرب العـدوانى- و سـعد بن زيـد مناه بن تميم- و قـد فخر المخبّل بذلك فى شعره فقال:

ليالى سعد فى عكاظ يسوقهاله كلّ شرق من عكاظ و مغرب

ثم وليه حنظله بن مالـك بن زيـد منـاه بن تميم. ثم وليه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم، ثم وليه مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ثم وليه ثعلبه بن يربوع بن حنظله، ثم وليه

معاويه بن شريف بن جروه بن أسيد بن عمرو بن تميم، ثم وليه الأضبط بن قريع بن عوف بن سعد بن زيد مناه بن تميم. ثم وليه صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاويه بن شريف بن جروه بن أسيد بن عمرو بن تميم. فكان آخر من اجتمع له الموسم و القضاء بعكاظ. ثم قتل رجل من محارب بعكاظ فادّعى واحد قتله فى قوله:

فإن فخرت يوما رجال محارب فيا طعنه ما قد طعنت أخا حرّ

فشدّ عليه رجل من محارب بعكاظ فقتله، فقال: بؤباخى حر. و قد ذكر ذلک شعراؤهم ثم وليه سفيان بن مجاشع بن دارم، فمات فافترق الأمر فلم يجتمع القضاء و الموسم لأحد منهم حتّى جاء الإسلام، فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، فمات فصار ذلک ميراثا لهم.

و كان آخر من قضى منهم و وصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس.

و أجاز بالموسم أحد بنى عوافه بن سعد بن زيد مناه بن تميم. و كان آخر من أجاز منهم كرب بن صفوان بن حباب بن شجنه بن عطارد بن عوف و هو الذى قام عليه الإسلام.

قال أبو بكر الدّريدى: لم يكن حديث الأسواق فى كتاب أبى عبيده و إنّما ألحقه أبو حاتم فنقلناه من كتابه.

فلمّا دخلت سنه خمس و ثلاثين من عام الفيل و ذلک قبل المبعث بخمس سنين حضر السّوق من نراز و اليمن- ما لم يروا أنّه حضر مثله فى سائر السّنين فباع النّاس ما كان معهم من إبل و بقر و نقد و ابتاعوا أمتعه مصر- و الشّام- و العراق- و فيمن حضر السّوق عمرو بن شريد السّلمى و ابناه معاويه و صخر، و حضر معمر بن الحارث بن الخبيرى بن ظبيان بن حن بن حزام بن كثير بن عذره جد جميل بن عبد اللّه الشّاعر، فلمّا نظر إلى عمرو صافنه و أمر ولده أن يخدموه، ففعلوا فلمّا تقوّضت السّوق دعا عمرو بن الشّريد ابنيه صخرا و معاويه فقال لهما: إنّ معمرا قد طوّقنى ما لم يطوّقنى أحد من العرب، و قد أحببت أن أكافئه، فقالا: افعل ما بدا لک، فدعا بكاتب و صحيفه فكتب: هذا ما منح عمرو بن الشّريد السّلمى معمر بن الحارث بن الخيبرى بن ظبيان بن حن بن حزام العذرى منحه ماله بالوحيده من أخلاف يثرب أطلال ذلک و مغانيه- و رسومه- و أعراصه- و دواويه- و زحاليفه- و قريانه- و برادغه- و قسوره- و عجرمه- و بشامه- و ينعه- و تاليه- و حماطه- و شبحه- و أراكه.

و أجزته- و حذاريه- و آكامه- و برقه- و علجانه- و كل ما صاء و صمت فيه- و بكت السّماء عليه- و ضحكت الأرض عنه- فهو لمعمر دون عمرو، و ممنوح به من نيات الصّدر- لا يشوبه كدر الامتنان- و لا أمارات الامتهان- مستنزل من هضاب الجندل و جرثومه ودّ بعيد المحل، لا تخلق الأيام جدته- و لا يركد لمتنسم بارحه ما دام الزّمان- و توقّد الحران-

و سمر ابنا سمير، و أقام حراء و ثبير. و كتب لخمس و ثلاثين عاما خلت من عام الفيل. ثم بعث بالكتاب مع طرف من طرائف اليمن و عدد إلى معمر. قال الأصمعى: فهى باقيه إلى الآن يفض على ولده دخلها و ذلك فى أيام الرّشيد رحمه اللّه تعالى.

و قال ابن كناسه: إذا غابت الثّريا مع غيوب الشّمس لم ترها أربعين يوما و ذلك أفولها، قال: و أهل الشّام يطلعونها لخمس و عشرين من غير أن تطلع أو يروها، فيقيمون أسواقهم فتقوم سوق (دير أيوب) و هى أول أسواقهم المذكوره، فإذا انقضت اعتدوا سبعين يوما.

ثم تقوم سوق (بصرى) قال فأدركتها تقوم خمسا و عشرين ليله، و أخبرت أنّها كانت تقوم بولايه بنى أميه ثلاثين إلى أربعين ليله، فإذا انقضت اعتدوا سبعين ليله.

ثم تقوم سوق (أذرعات) و هى اليوم أطولها قياما، و ربما لقيت النّاس صادرين منها و أنا وارد. ثم أصدر قبل أن تقلع، يقال: قلعت السّوق خفيفه.

قال: و زاد بعضهم فى الأسواق (المجنه) و هو قريب من ذى المجاز و الأسقى خلف حضرموت.

قال أبو المنذر: كانت بعكاظ منابر فى الجاهليه يقوم عليها الخطيب بخطبته و فعاله و عدّ مآثره، و أيّام قومه من عام إلى عام، فيما أخذت العرب أيّامها و فخرها و كانت المنابر قديمه يقول فيها حسّان رضى اللّه عنه شعرا:

أولاء بنو ماء السّماء توارثوادمشق بملك كابرا بعد كابر

يؤمّون ملك الشّام حتى تمكّنواملوكا بأرض الشّام فوق المنابر

و كانوا إذا غدر الرّجل، أو جنى جنايه عظيمه انطلق أحدهم حتى يرفع له رايه غدر بعكاظ، فيقوم رجل يخطب بذلك الغدر فيقول: ألا إنّ فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه، و لا تصاهروه، و لا تجالسوه، و لا تسمعوا منه قولا فإن أعتب و إلّا جعل له مثل مثاله فى رمح، فنصب بعكاظ فلعن و رجم و هو قول الشّماخ شعرا:

ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذّئب كالرّجل اللّعين

و إنّ عامر بن جوين بن عبد الرّضى رفعت له كنده رايه غدر فى صنيعه بامرئ القيس بن حجر فى وجهه إلى قيصر، و رفعت له فزاره رايه وفاء فى صنيعه بمنظور ابن سيار، حيث اقحمته السّنه فصار بماله و إبله و أهله إلى الجبلين، فأجاره و وفى و صار النّاس بين حامد له، و ذام فذهبت مثلا.

الباب الحادی و الأربعون فی ذکر مواقیت الضّراب و النّتاج، و أحوال الفحول فی الإلقاح و الغرور

و ما یتسبب من جمیع ذلک، حالا بعد حال بقدره اللّه و إرادته.

قال اللّه تعالی: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّهٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ [سوره النّور، الآیه: ۴۵] الآیه. و قال تعالی: یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ [سوره الزّمر، الآیه: ۶] و دخل تحت قوله تعالی: کُلَّ دَابَّهٍ أصناف ما خلقه اللّه تعالی و سیفصّل إن شاء اللّه تعالی.

قال ابن کناسه: إذا أنزی علی الشّاه عند اطلاع نجم من النّجوم بالغداه جدت حین ینوء، و النّخله مثل الشّاه سواء. و قال الغنوی: وقت إرسال الفحول فی الإبل حین یسقط الذّراع الیسری، علی أیّ حال من جدب أو حیاء، فأمّا إذا کان الحیاء فإنهم یرسلون الفحول قبل ذلک لسمن المال فهذا هو الوقت الأوسط للضّراب، و کذلک الوقت الأوسط العام للنّتاج، لأن المیقات فی حمل النّاقه سنه.

و قال أبو عبیده: سمعت الأصمعی یقول فی نتاج الإبل قال: أجود الأوقات عند العرب فیه أن تترک النّاقه بعد نتاجها سنه لا یحمل علیها الفحل ثم تضرب إن أرادت الفحل، و یقال لها عند ذلک: قد ضبعت. فإذا أورم حیاؤها من الضّبعه قیل: أبلمت. فإذا اشتدّت ضبعتها قیل: قد هرمت. فإذا ضربها قیل قعا علیها وقاع و العیس الضّراب. فإذا ضرب الفحل الإبل کلّها قیل: أقمها إقماما، فإن کلّ علیها سنتین متوالیتین فذاک الکشاف.

و البسر: أن یضربها علی غیر ضبعه، و الیعاره: أن یعارضها الفحل فتحمل. قال الرّاعی:

قلائص لا یلحقن إلّا یعارهعراضا و لا یشرین إلّا غوالیا

قال: و من الإبل جرر یزید علی ذلک، فإذا أتت النّاقه علی مضربها و هو الوقت الذی لقحت فیه لقد أتت علی حقها ولدت أو أدرجت.

و قال ابن كناسه: أقلّ النّتاج بالباديه مع طلوع الهرارين، و هو نتاج سيئ الغذاء لشدّه البرد و قله اللّبن و العشب.

و قال الغنوىّ: إذا تصوّب المرزم و هو الذّراع قبل سقوطه أرسلت الفحول فى النّعم فضربت خيار الإبل و متعطّراتها، و هى التى تحسن للفحل بنقيها و حسن حالها، و هذا نحو قول أبى يحيى فى طلوع الهرارين، لأنّ طلوعهما مع سقوط الدّبران.

و إذا سقط الدّبران: فالمرزم منصوب لأنّ بينه و بين الأفق نجمين، و هما الهقعه و الهنعه، و قول السّاجع إذا طلع القلب: هرّ الشّتاء كالكلب- و لم تمكن الفحل إلّا ذات شرب- شاهد لما قالاه.

أ لا ترى أنّه جعله وقتا لأوّل الضّراب فكذلك يكون وقتا لأوّل النّتاج و إذا كانت الأنثى مخصبه حسنه الحال أسرعت الضّبعه و احتملت الضّراب فيقدم الفحل فى إلقاحها، و إذا كانت هزيله لم تضبع و لم تمكن الفحل إلّا أخيرا و الوقت الذى ذكره الغنوى من سقوط المرزم هو وقت يتحرّك فيه النّبت لذلك قيل: إذا طلعت البلده- حممت الجعده، و زعلت كل تلده، و قيل للبرد: اهده. و زعل التلده نشاطها يعنى تلاد المال.

و قال الغنوى: فإذا سقطت النثره استحق ضراب الإبل، و عفصت الفحول فى النّعم، فإذا سقطت الجبهه أقمت الفحول النّعم. و (الإقمام) أن تلقح جميع النوق. فإذا سقطت الصّرفه: جفرت الفحول كلّها إلّا القليل إذا الفضل على الفحول فى الهباب و القوّه، و الهباب: شدّه الهيج.

قال ابن كناسه: و أفضل النّتاج الرّبعى و لا يزال ما نتج فيه قويّا حسن الحال إلى سقوط الصّرفه، و هى آخر نجوم الرّبيع، ثم ينتجون فى أوّل الصّيف إلى سقوط الغفر و ذلك صالح.

و يقال للذى ينتج بعد سقوط الغفر إلى أن يمضى الخريف يقال له: هبع، و يكون ضعيفا لذلك سمّى هبعا لأنّ الفصال الرّبعيه أكبر منه و قد قويت فهو لا يلحقها إذا مشت لأنها أذرع منها فهبع فى مشيه. و الهبع و الهبعان شبيه بالإرقال. و إذا نتجت الإبل تركت بواهل على أولادها إلى أن تبرك، فإذا بركت و أعتمت و ذهبت فحمه العشاء حلبت، فتلك حلبه العتمه و تكون للحى.

ثم لا تزال بواهل على أولادها حتى يحضروا المياه، فإذا حضروا حلبت كلّ يوم عند الظّهر، ثم لا تزال بواهل، ثم لا تصر، ثم تعنق بين الصّلاتين الظّهر و العصر فترضعها، ثم تصر و ذلك الفواق حتى تحلب تلك السّاعه من الغد و ربما قالوا: ثلث بها و ذلك أن تيصروا ثلاثه أخلاف و يدعوا للفصيل خلفا واحدا يرضعه و ربما تركوها ترضع أمهاتها من أول

النّهار، ثم تصرّ و إنما فعلت هذه الأشياء بالفصال حيث حضروا لأنّها أعانت على نفسها و تناولت الشّجر، فلا يزال للفصيل فى أمه حظ حتّى يطلع سهيل. فإذا طلع سهيل خلّلت، و هو أن يدخل عود فى أنفه، فإذا أراد أن يرضع نخس الخلال ما دنا منه فأوجعه فتزيفه، و ربما أجروه، و هو أن يشقّ لسانه فلا يقدر أن يمصّ خلف أمّه فإذا فطمت أولادها و اشتدّ البرد حلبت الضّرعين غدوه و عشيه.

و الكفاتان: و قد يفتح الكاف منه: أن يكون للرجل إبل يراوح بينها هذه تنتج و تحمل هذه.

و المخاض: إذا طلع سهيل مال و قال: إذا طلع سهيل أخذ أحدهم بأذن الفصيل ثم استقبل به مطلع سهيل يريه إيّاه يحلف أنّه لا يرضع بعد يومه قطره، و يفصله من أمّه، و قد وصف أبو النّجم ما ذكرناه فقال: يذكر عيرا رعت الرّطب إلى أن تخرم وقته:

كان رعى الأنواء فى تبكيرهادلوبها الأوّل من ظهيرها

حتى إذا ما طار من خبيرهاو بانت العيدان من عصيرها

و لجت القروم فى نذورهاو اصفرت الأعجاز من جفورها

بعد الثّرى الملبّد من خطيرهاو اختارت الماء على هديرها

و اعلم أنّ الرّطب لما تصرّم و حاجت الأرض لجت الفحول فى الغدور و تركت الخطران و التّهدار، و طلبت الورود. و قوله: بعد الثّرى الملبّد من خطيرها مثل قول ذى الرّمه:

و قربن بالزّرق الحمائل بعد ماثقوب عن غربان أوراكها الخطر

و إنما يصف نساء أقمن فى مربع ما أقمن ثم قربن الفحول ليرتحلن عليها إلى المحاضر، و ذلك أنّها لمّا جفرت استغنى عن ضرابها. و ثقوب الخطر تقلع ما لصق بأعجازها من أبوالها فى أيام هبابها لأنّها كانت تبول فى أذنابها، ثم تخطر بها فتضرب أوراكها فتلبد. قال: و قد وقتوا وقتا آخر للضّراب و هو إدبار الحرّ و إقبال البرد من آخر الخريف، و ذلك قبل الوسمى يشهد بذلك قول الرّاجز ينعت إبلا شعرا:

مدالق الورد مكيثات الصّدرعنابل الخلق نجيبات الخير

جوف لهنّ بجر فوق بجرحتى إذا شال سهيل بسحر

كعشوه القابس يرمى بشررأرسل فيها مقرما غير قفر

أصهب ذيالا غلافى الوبرففئن تعسّرن بأذناب عسر

فجعل الزّمان الذى يرى فيه سهيل سحرا شائلا مرتفعا وقتا لإرسال الفحول فى النّعم،

و أدنى ذلک أن يکون الطّالع بالغداه الصّيرفه، و ذلک لانصراف الحر و انصرام القيظ، و آخر الخريف و قبل الوسمى. و قال ذو الرّمه يصف فحلا، قال شعرا:

إذا شمّ أنف البرد ألحق بطنه مراس الأوابى و امتحان الکواتم

أنف البرد: أوّله فأخبر أنّ هذا الفحل فى الوقت الذى ذکره متعب بطروقته يمارس أوابيها، و هى التى لا تمکن من الضّراب، و بامتحان کواتمها، و هى التى يظن أنها قد لقحت و ليست بلاقح، فيسرها ليعلم حقيقه اللقح، و ذلک أنّ النّاقه ربما تلقّحت و ليست بلاقح، و تلقحها أن تشول بذنبها و توزّع ببولها و تستکبر، و يقال: لا يمکن شى ء من الحيوان الأنثى منها إذا کانت حاملا الفحل و لا يطلبها الفحل إذا حملت، و ذلک أنه يجيئها و يتشممها، فيعرف أ حامل هى أم لا فيولّى عنها، فلا هى تمکّنه و لا الفحل يطلبها، و ذلک فى الإبل و الخيل و الحمير و البقر و الشّاه، قال الشّماخ.

شج بالرّيق إذ حرمت عليه حصان الفرج واسقه الجنين

قال: يقول شجى هذا الحمار بريقه حيث لا يقدر أن يضربها لمّا حملت واسقه يقول:

اتّسق يعنى اجتمع جنينها فى رحمها. و الاتساق: الاستداره و الاجتماع، و فى التنزيل:

وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره القمر، الآيه: ١٨]. و قال شعرا:

إنّ لنا قلائصا حقائقامستوسقات لو يجدن سائقا

و قال أعشى عکل:

حتّى إذا لقحت و آخر حولهاوضع الغيار و أحرز الأرحاما

أى لمّا وجدها حولا ترک الغيره و أحرز أرحامها، و يقال لها فى أوّل ما تضرب أيضا:

هى فى منيتها، و ذلک ما لم يعلموا أ بها حمل أم لا، فمنيه البکر عشر ليال، و منيه العقبنى و هو البطن الثانى خمس عشره، و هى منتهى الأيام. و قول ذى الرّمه: إذا شمّ أنف البرد يريد أنّ النّاقه تتلقح له و ليست بلاقح، فقد أنضبه ذلک حتّى ألحق بطنه بظهره فجعل ذلک فى إقبال البرد.

و قال الکلابى: إذا طلع سهيل من آخر القيظ ثم لأوّل ما لقح من المخاض عشره أشهر فسمّيت العشار، و انقطع عنها ذکر المخاض. و قول السّاجع: طلع سهيل. و برد اللّيل، و للفصيل الويل. و يروى: و لأم الفصيل الويل. و الفصل بين الرّوايتين أنّه إذا جعل الويل للأم فلأنّ الفصال إذا فطمت فى هذا الوقت أسرع إلى ضعافها الفساد، فکثرت موتاها، و کذلک قيل: إذا طلعت الجبهه تحانت الولهه، و طلوع الجبهه مع طلوع سهيل. و إذا جعل

الويـل للفصـيل فـذكر الأم كمـا يقـال للإنسـان: لأمـك الويـل، و إنّما يراد به هو، و كما قيل هوت أمّه و فى القرآن: فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ [سوره القارعه، الآيه: ۹].

و إنّمـا يعم الفصـال فى هـذا الوقت بالفطـام، لأنّ الأجواف تبرد فيه، و تكثر الأفياء و الظّلال، و يطيب الوقت، فتقوى على الفطام. قال و يقال: امرأه نفساء و شاه ربّى، و فرس عائذ و أتان فريش: و هو أيام نتاجها، قال و العرب تقول: أحسن ما تكون المرأه غبّ نفاسها- و غبّ نباتها- و غبّ السّماء- و غبّ النّوم- و أحسن ما تكون الفرس و الناقه غبّ نتاجها.

و حكى ابن الأعرابى قال: قالت هند بنت الحسن بن حابس الإياديّه لأبيها: يا أبت مخضت الفلانيه النّاقه لأبيها. قال و ما علمك؟ قالت: المصـلاراج- و الطّرق لاج. و تمشى و تفاج- قال: أ مخضت يا بنيه فاعقلى، قال فلم تصبح فى مبركها. فقال أبوها لها: ما أراك إلا و قد ضيّعت، قالت: أما أنا و اللّه فقد رأيت عقدتى و اجتهدت، منتى و نقضت عذرتى.

قال: استوثقت إذا قال، و يقال: قالت شـددتها شـدّا اهتزّت منه عـذرتى، و انقضت منه أزرتى. قال: حرّكت يـد ناقتك؟ فقضوها فوجدوها تفحص فى مثبرها. راج يرتج: لاج يلج فى سرعه الطّرف. تفاج: تباعد ما بين رجليها، مثبرها: منتجها.

و حكى ابن الأعرابى عن بعضـهم: أيّهم أحبّ إليـك من الإبـل: المعشـار أم المشـكار أم المغبار؟ قال: فالمعشار: التى تغزر أيام تنتج، و المشـكار: التى تغزر فى أوّل الرّبيع صـيفتها ثم ينقطع، و المغبار: الباقيه الغبر التى تدوم على محلبها و هى الرّفود المكود، و المجالح التى تقضم عيدان الشّجر اليابس فى الشّتاء، فيبقى لبنها لذلك.

و حكى أيضا ناقه مقراع مضـباع مسـناع مرباع. قال: و المقراع: التى تلقـح لأوّل قرعه و المضـباع: التى تعجل ضـبعتها، و المنساع: السّـنيه العظمه القدر، و المرباع: التى تلقح فى أوّل الربيع و هى خيار الإبل. و أنشد: (طب بإظهار المرابيع الشّور) يصف فحلا بأنّه عالم بأحوال النّوق و الشّور: جمع شوره يقال: ناقه شوره: إذا كانت خيارا و ناقه شيار: إذا كانت سمينه، و أنشد ابن الأعرابى لغيره شعرا:

قامت تريك لقاحا بعد سابعهو العين ساجيه و القلب مستور

كأنما بصلاها و هى عاقدهكور خمار على غدراء معجور

البكر من الإبل يسـمّى بعد أربع عشـره و إحدى و عشـرين. و المسـنّه: بعد سـبعه أيام، و الاستماء: أن يأتيها صاحبها فيضرب بيده على صـلاها و ينقر بها فإن اكتارت بذنبها، و عقدت رأسـها، و جمعت بين قطريها رأسـها و ذنبها، علم أنّها لاقح، و قوله مسـتور: إذا لقحت ذهب نشاطها.

و يقال: مسيت النّاقه إذا سطوت عليها و هو إدخال اليد فى الرّحم، و المسى: استخراج الولد، و المسط: أن تدخل اليد فى رحمها فتستخرج وثرها و هو ماء الفحل يجتمع فى رحمها ثم لا يلقح منه، يقال: قد وثرها الفحل يثرها وثرا إذا أكثر ضرابها فلم تلقح.

فأما قوله تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [سوره النّور، الآيه: ۴۵] و ما تضمّنه من تنويع الخلق فقد قيل فيه: إنّ ما مشى على رجلين فركبتاه فى رجليه مثل الإنسان و النّعام و الطّير كلّها، و ما كان من الخلق كلّه يمشى على أربع فركبتاه فى يديه خلافا لما يمشى على رجلين مثل الإبل و البقر و الخيل و الحمير، و ما كان فى الرّجلين فهو عراقيب و لا يقال ركب.

و كلّ حيوان مصمت لا شقّ فى قوائمها مثل الخيل و ذواتها فليس لها أكراش، و لا تجتر و يكون لها أعفاج. الواحد: عفج و إنّما تجتر ما كان لها كرش، و هو من ذوات الأربع من الذّوات التى فى قوائمها خف كالإبل و البقر و الغنم فهى ذوات الأكراش و تجتر.

و ما كان من الخلق له أذنان ناتئتان فغرموله(۱) ناتئ ظاهر و كذلك مذاكيره ظاهره بيّنه ترى. فما كان كذلك تلد ولاده مثل الإبل- و الخيل و السّباع- و الفأر- و الخفاش- فإن أذنيه ناتئتان و غرموله ناتئ- و هو يلد و إن كان من الطّير.

و ما كانت أذناه ممسوحتين لا تظهران فكذلك ذكره لا يظهر و هو يبيض مثل الطّير كلّها و الحيات- و السّمك- و جوارح الطّير.

و أمّا من كان من الطّير يغر فراخه أى يزقّها فليس يزيد على فرخين لعظم مئونته على أبويه مثل الحمام الأهلى- و الطّورانى- و الورشان- و الفواخت- و القمارى- و الدّياسى- و ما أشبهه.

و ما كان يطعم إطعاما، و لا يغر غرّا فهو أخفّ مئونه على أبويه إذا كانا إنما يطعمانه إطعاما فهو يفرخ الثلاثه- و الأربعه- إلى السّبعه- مثل البازى- و العقاب- و الصّقر- و الهدهد- و الغراب- و السّودانى- و البلبل و الفتير- و العقعق و العصفور فلخفّه مئونته زاد على الاثنين، و ما كان لا يغر، و يطعم فهو أخف مئونه من هذين و هو يلتقط التقاطا، و يفرخ العشره و العشرين و أقل و أكثر لخفه مئونته، لأنه يأكل بنفسه مثل الدّجاج- و النّعام و القبج- فهو يلتقط التقاطا ليس له مئونه على أبويه و هذا القدر فى التّنبيه على آثار صنعته كاف فى هذا الموضع سبحان ربّنا من خبير.

۱- الغرمول: بالضّم: الذكر أو الضخم، الرّخو قبل أن تقطع عزلته. القاموس المحيط.

الباب الثّانی و الأربعون فیما روی من أسجاع العرب عند تجدّد الأنواء- و الفصول- و تفسیرها

اشاره

و هو فصلان:

فصل [فی أن العرب أحفظ الأمم لما أدّت إلیه تجاربهم من أحوال الزّمان و تعاقب الشهور و الأیام و اختلاف الفصول و الأعوام]

اعلم أنّ العرب أحفظ الأمم لما أدّت إلیه تجاربهم من أحوال الزّمان- و تعاقب الشهور و الأیام- و اختلاف الفصول و الأعوام- بما یتجدّد فیها من الأحداث- و یتغیّر من تدبیر المعاش- فهم علی اختلاف دیارهم- و تباین أوطانهم و تفاوت هممهم- یراعون من هبوب الرّیاح- و طلوع الکواکب- و تبدّل الأوقات- ما لا یراعیه غیرهم من سکان المدر- و الوبر- و قطان البدو- و الحضر- و لیس ذلک مستحدثا فیهم. و إنما هو عاده منهم یتوارثونه الخلف عن السّلف- و الغابر عن الماضی- و مقیاسهم طول الدّربه- و دوام التفقّد- فلهم اعتبار فی کلّ ما یتجدّد فی الجو من طلوع کوکب أو أفوله- و هبوب بارح- أو سکون یؤدّیهم إلی ما یبنون علیه أمرهم فی مقامهم و ظعنهم و مزالفهم، و محاضرهم و یعتمدونه فی مکاسبهم- و معایشهم- و مناتجهم- و ملاقحهم- و سائر متصرفاتهم- من غزو- و استباحه- و انتجاع و ملازمه- استغنوا به عن نظر أصحاب الحساب.

و توغلهم من لطائف البحث و الاستقصاء، فهم أتباع ما اعتادوا من البرق إذا لمع، و الغیث إذا أصاب و وقع، و الحر إذا أقبل و أدبر، و البرد إذا خفّ و اشتدّ، لا یغفلون و لا یضیعون، فسبحان من جعل لکلّ أمه خصائص صاروا لها بمنجاه من الشرّ، و عوائد أصبحوا فیها علی شفا الخیر، و قد سجع حکماؤهم أسجاعا أبانوا بها فوائد یحبهم، أنا ذاکر ما یحضرنی مفسرا.

قال أبو حنیفه: وجدتهم بدءوا بالثّریا و إن کان الشّرطان قبلها فی نسق المنازل، و لم أجد العلّه فی ذلک إلّا تعطل الأنواء و انصرام الرّطب، و هجوم الحر و قوه البوارح، فجعلوا الشّغل بما هم فیه، و طلوع الثّریا هو أماره قوه الحر عند الجمیع لا اختلاف فیه، فقال

فقيههم: إذا طلع النّجم- و يراد به الثّريا تقى اللّحم- و خيف السّقم- و جرى السّراب على الأكم. و قيل أيضا: إذا طلع النّجم جعلت الهواجر تحتد، و العانات تكتدم، و قيل: طلع النّجم غديه، و ابتغى الرّاعى شكيه، و حكى الكلابى طلع النّجم غديا و ابتغى الرّاعى شقيا، يجوز أن يكون شقوى لغه فى شكوى، و يكون الشكوى بمعنى الشكوه، و قيل أيضا: طلع النّجم عشاء، و ابتغى الرّاعى كساء، و قيل أيضا: إذا الثّريا طلعت عشاء قبع الرّاعى الغنم كساء.

و حكى أبو زياد: إذا أمسى النّجم يقبل فشهر فتى و شهر جمل. و قيل أيضا: إذا أمسى النّجم يدبر- فشهر نتاج و شهر مطر، و إذا أمسى الثّريا قم رأس. فليله فتى و ليله فاس- و مما يحفظ من كلام لقمان بن عاد: إذا أمست الثّريا قم رأس ففى الدّثار فاحنس، و عظاماها فاحدس و أنهس بليل و أنهس، و إن سئلت فاعبس و مما سير فيها قوله:

إذا ما قارن القمر الثّريابخامسه فقد ذهب الشّتاء

و حكى النّضر فى صدر هذا الباب: أضاءت ذكاء- و انتشر الدّعاء- و إذا طلعت العقرب، و هى أول بروج الشّتاء- جمس المذنب و مات الجندب و فرفر الأشيب.

إذا طلع الدّبران توقّدت الحزان، و هى ظواهر صلبه من الأرض ليست بجبال، و يبست الغدران و استعرت النّيران، و استنعرت الذيان- و رمت بأنفسها حيث شاءت الصّبيان.

و إذا طلعت الهقعه تقوّض النّاس للقلعه و رجعوا إلى النّجعه و أورست الفقعه و أرذقنها المنعه.

و إذا طلعت الجوزاء توقّدت المغراء و أوفى على عوده الحرباء، و كنست الظّباء، و عرقت العلباء و طاب الخباء. و يروى انتصب العود فى الحرباء، و إنّما ذكرت الجوزاء مع الهقعه لأنّها رأسها.

و إذا طلعت الذّراع حسرت الشّمس القناع، و أشعلت فى الأفق الشّعاع، و ترقرق السّراب بكلّ قاع.

و إذا طلعت الشّعرى نشف الثّرى، و أجن الصّرى، و جعل صاحب النخل يرى. و قال بعضهم: إنما ذكر الشّعرى مع الذّراع لأنّها أحد كوكبيها و قيل:

إذا طلعت الشّعرى سقرا، و لم تر مطرا، فلا تغدونّ إمره و لا أمرا. و أرسل العراضات ببغيتك فى الأرض معمرا.

و إذا طلعت النّثره قنأت البسره، و جنى النخل بكره، و أدّت المواشى حجره و لم تترك فى ذات درّ قطره.

و إذا طلعت الصّرفه بكرت الخرفه و كثرت الطّرفه، و هانت للضيف الكلفه.

و إذا طلعت الجبهه تحانت الولهه، و تنازت السّفهه، و قلّت فى الأرض الرّفهه، و قيل أيضا:

و إذا طلعت الجبهه تزيّنت النّخلهو إذا طلعت النّثره تشفّحت البسره

. و إذا طلعت العـذره فعكه بكره على أهـل البصـره، و ليست بعمان بسـره، و لا لأكاريها بـذره، و إنما ذكرت العـذره هاهنا لأنّها تطلع مع الطّرف أو قريبا منه.

و إذا طلعت الصّرفه احتال كلّ ذى حرفه و جفر كلّ ذى نطفه، و امتيز عن المياه زلفه.

و إذا طلع سـهيل خيف السّـيل، و برد اللّيـل، و امتنع القيـل، و لام الحوار الويل، (القيل) يريـد القائله يقال: قال يقيل قيلا و قائله و مقيلاـ و قيلوله. (و قيـل أيضـا): إذا طلع سـهيل طـاب الثّرى و حـار اللّيـل، و كـان للفصـيل الويـل، و وضع كيل، و رفع كيل. قال بعضـهم: ذكر سـهيل لأنّ طلوعه مع طلوع الجهه قال: و أهل الباديه يعظّمون الفصال عنـد طلوع سـهيل، و قيل: إذا طلعت الصّـرفه احتال كلّ ذى حرفه، و قيل: احتال كلّ ذى جرفه، و جفر كلّ ذى نطفه، و امتزّ عن المياه زلفه.

و إذا طلع العوّاء ضربت الخباء و طاب الهواء و كره العراء و شنن السّقاء.

و إذا طلع السّماك ذهب الحرّ و العكاك، و استفاهت الأحناك، و قلّ على الماء العراك.

و إذا طلع الغفر اقشعرّ السّفر، و تزيّل النّضر و حس فى العين الجمر.

و إذا طلع الزّبانى أحدثت لكلّ ذى عيال شبانا، و لكلّ ماشيه هوانا و قالوا: كان و كانا.

و بردت الثنايا فاجمع لأهلك و لا تتوانى.

و إذا طلع الإكليل، حاجت الفحول، و شمّرت الذّيول تخوّفت السّول.

و إذا طلع القلب، جاء الشّتاء كالكلب، و صار أهل البوادى فى كرب و لم تمكن الفحل إلّا ذات ثرب.

و إذا طلعت الشّوله أعجلت البوله، و اشتدّت على العيال العوله، و قيل: شقوه و زوله.

و إذا طلع الهراران هزلت السّمان و اشتدّ الزّمان و وحوح الولدان. و (الهراران): قلب العقرب و النّسر الواقع و هما يطلعان معا.

و إذا طلعت النّعـائم توسّـقت البهـائم، و قيـل أيضـا: إذا طلع النّعـام، كثر الغمـام و ذلك ليل التّمام، و قيل أيضا: إذا طلعت النّعائم ابيضّت البهائم من الصّقيع الدّائم، و أيقظ البرد

كلّ نائم. و روى خلص البرد إلى كلّ نائم، و تلاقت الرّعاء بالنّمائم.

و إذا طلعت البلده حممت الجعده و أكلت القشده و زعلت كل ثلده و قيل للبرد اهده، و القشده و القلده و الخلاصه: ما يسلأ به السّمن.

و إذا طلع سعد الذّابح حمى أهله النّاتج، و نفع أهله الرّائح، و تصبح السّارح و ظهر فى الحى الأنافح.

و إذا طلع سعد بلع اقتحم الرّبع و لحق الهبع و صيد المرع و صار فى الأرض بقع أو لمع و قيل تشكّى كلّ ربع.

و إذا طلع سعد السّعود: مضر العود، و لانت الجلود، و كره النّاس فى الشّمس القعود.

و إذا طلع سعد الأخبيه: ذهبت الأسقيه، و نزلت الأحويه، و تحاورت الآنيه، و قيل إذا طلع السّعد كثر الثعد.

و إذا طلع الدّلو ينيت الجزو، و انسلّ العفو، و طلب اللّهو الحلو، و قيل أيضا: إذا طلع الدّلو فهو الرّبيع و البدو. و القيظ بعد الشّتو و كان فيه كل نوء أى مطر.

و إذا طلعت السّمكه: أمكنت الحركه و تعلّقت الحسكه و نصبت الشّبكه و طاب الزّمان للنّسكه.

و إذا طلع الشّرطان استوى الزّمان و حضرت الأعطان و توافت الأسنان و تهادت الجيران و بات الفقير بكلّ مكان، و ألقيت الأوتاد فى الأبطان و قيل أيضا: إذا طلع الشّرطان ألقت الإبل أوبارها فى الأعطان.

و إذا طلع البطين اقتضى الدّين و امتيز بالعين و اقتفى العطار و القين. و من هذا قول الشاعر شعرا:

فإن كنت قينا فاعترف بنسيه و إن كنت عطّارا فأنت المخيّب

أ فينا تسوم السّاهريه بعد مابدا لك من شهر المليساء كوكب

المليساء: تصغير الملساء، و السّاهريه: جنس من الطّيب، و الاقتفاء: الكرامه و قيل أيضا: إذا طلع البطين تزينت الأرض بكل زين. و قيل: إذا طلعت الهنعه تحمل النّاس للقلعه.

و إذا طلع الذّراع: هرأت السّناسن و الكراع، و هرأت: نضجت من قولهم: لحم مهراء. و السّناسن فقار الظّهر و الواحد سنسن.

و إذا طلعت النّثره التقط البلح بكره، و إذا طلع الطّرف شقح الطّرف.

و إذا طلعت الجبهه تزيّنت البنهه، و هو ضرب من النّخل.

و إذا طلعت الخرأتان: طابت أم الجرذان لضرب من التّمر.

و حكى ابن الأعرابى: إذا طلع سهيل أخذ أحدهم بإذن الفصيل، ثم استقبل به مطلع سهيل، يريه إيّاه ثم يحلف أنّه لا يرضع بعد يومه ذلک قطره و يفصله من أمّه.

و قيل: إذا طلع سعد الذّابح- انحجرت الضّوابح- و لم تهرّ النّوابح- من الشّتاء البارح.

و قيل: طلع الحوت- و خرج النّاس من البيوت- و قيل: طلعت الأشراط، و نقصت الأنباط.

تفسير ما فيه إشكال من ألفاظ هذه الأسجاع: الاحتدام: الذّكاء و يقال: احتدم الرجل: إذا تلظّى غضبا. و الحطم: الكسر. و الشّكوه: السّقاء الصغير من مسک السّخله قبل أن يقرم. و قرمه: أكله الشجر، و القبل: أصله النّشر من الأرض يستقبلک.

و قال أبو زياد: إذا أمسى النّجم مقابلک من المطلع على قدر رمح أو رمحين قال:

و الدّبران تراه قد انصبّ عن وسط السّماء حين تبدو النّجوم قم الرأس، بأن تكبد السماء حتى إن سقط لسقط على رأس القائم، و قوله: (عظاماها) يريد عظمى إبله و غنمه و المراد به الجنس.

و الحدس: الصرع يقال: حدس بناقته فوجأها فى سبلتها: إذا أناخها فوجأها فى نحرها.

و حكى عن بعضهم حدس لهم بمطفئه الرّضف، إذا ذبح لهم شاه يطفئ الرّضف من سمنها. و الرّصف: الحجاره المحماه. و استفار: الذّبان شدّه أذاها و معرتها. و الإيراس:

الاصفرار. و أردفتها: جاءت بعدها يقال ردفته و أردفته و إذا جعلته خلفک فليس إلّا أردفته.

و قال يزيد بن القحيف الكلابى: يقول الرجل للرجل يلقاه: هل لک علم برفقه بنى فلان؟ فيقول: نعم ها هى ذه مردفتنا أى وراءنا.

و يقول: حسرت الشّمس القناع، و هو مثل، و المعنى أنها لم تدع غايه فى الذكو.

و يقال للشّمس إذا اشتدّ حرّها و لم يحل من دون شعاعها شى ء: انصلعت و يوم أصلع:

أى حام و أنشد:

يا قرده خشيت على أظفارهاحرّ الظهيره تحت يوم أصلع

و الخرفه: ما لقط من الرّطب و خرفت فلانا و أخرف لنا أى اجتنى.

و تشقيح البسره أن تحمر: يقال شقح بسر و أشقح إذا تلوّن بحمره.

قال الأصمعيّ: الأمر و القميد الصّغير من أولاد الضّأن، قال أبو عمر و هو السّائمه كلّها. و العراضات: الإبل العراض واحدتها عراضه، لأنّ آثار أخفافها فى الأرض عراض.

و الولهه: جمع والهه و هى ما بقى فى المداوس من التّبن بعد تنقيته من الحب. و من أمثالهم: هو أغنى عن ذلك من التّفه عن الرّفه. و التّفه عناق الأرض و هو لا يقتات التّبن لأنّه سبع. و أم جرذان: نخله بالحجاز يتأخّر إدراكها.

قال الأصمعى: هو المشان بالعراق، و الجفور: الانتهاء من الضّراب و الامتياز التنحى. و استفاهه الاحناك: شهوه الطعام، يقال: رجل فيه للجيد الأكل، و اللّكاك: التّدافع و التّزاحم، و النّضر: الخضر من كل نابته، و الوحوحه: حكايه صوت الولدان من البرد، و الزّوله: المنكره. و قوله قرب الأشيب أوقر الأشيب يعنى الثّلج و الجليد، و ابيضاض البهائم من السّقيط الواقع على ظهورها. قال شعرا:

و أصبح مبيضّ الصّقيع كأنّه على سروات النّيب قطن مندف

و التّوسف: التّقشر. قال:

و أوقدت الشّعرى مع اللّيل نارهاو أمست محولا جلدها يتوسّف

و تحميم الجعده: أن تراها قد همّت باطلاع كما تحمّم وجه الغلام إذا همّ بالبقول.

و قوله: كل تلده فهو من التّلاد و الزّعل و النّشاط، و (البلده): من التّلبيد، و (اقتحام الرّباع) إسراعه فى عدو لأنّه قوى، و (المرعه) طائر سمين طويل العنق يملأ كفيّ الإنسان، و أكثر ما يرى فى الخضره و العشب. و أنشد:

له مرغ يخرجن من تحت و دقهمع الماء جون ريشها يتصبّب

و يقال: هو أحرص شى ء على الطّيران فى المطر، و هى خضراء، أشربت صفره، و (الثّعد): العشب و (الغض): الرّطب. و من الأسجاع: كلأ ثعد ماد يشبع منه الناب، و هى تعدو، و (الماد): النّاعم و (الحواء) قطعه من بيوت الأعراب. و (الحسكه): ثمره السّعدان و هى بقله تتسطع على الأرض إذا نبتت، و (الأنباط): المياه المظهره نحو الآبار.

و (القنى): ما أنبطته فهو نبط و فى المثل: لتجدنّ نبطه قريبا، و (الجزء) الاجتزاء بالرّطب عن الماء، و إنما قيل: (هيب): لأنّه يخاف انقطاعه و (العفو) ولد الحمار، يقال: نسل و أنسل بمعنى إذا ألقى وبره.

فصل [فی أن الفصل اسم قد جری فی کلام العرب و جاءت به أشعارهم]

و اعلم أنّ الفصل اسم قد جری فی کلام العرب و جاءت به أشعارهم قال یصف حمیرا شعرا:

نظائر حون یعتلجن بروضهبفصل الرّبیع إذ تولّت ضبائبه

و سمّی فصلا لانفصال الحرّ من البرد، و انقلاب الزّمن عن الزّمن الذی قبله.

و یقال للفصول: الفصیّات، الواحده فصیّه و هی الخروج من حرّ إلی برد و من برد إلی حر، و الفصیّه تصلح فی کل أوقات السّنه متی خرجت من أذی إلی رخاء، فتلک فصیّه، و لا یستعمل الفصل إلا فی حینه. فأمّا الأصمعی فإنّه قال: الفصیّه: أن تخرج من برد إلی حر، و أفصی القوم و هم مفصون و یقال: لو أفصینا لخرجت معک.

الباب الثالث و الأربعون فی ذکر العیافه و القیافه و الکهانه

اشاره

و هو ثلاثه فصول

فصل [فی حکایه قصه ترتبط بالعیافه]

حکی ابن الأعرابی قال: أضلّ رجل ذودا له و أمه، فخرج فی طلبها فمر برجل من بنی أسد یحلب ناقه فسأله هل أحسست من ذود فیه أمه سوداء؟ فقال: لا و لکن ادن منی أحلب لک فتشرب ثم أدلّک علی ذودک و أمتک فدنا فحلب له فسقاه، ثم قال له: ما سمعت حین خرجت من أهلک قال: نباح الکلب- و ثغاء الشّاء- و رغاء البعیر- قال نواه تنهاک. قال ثم رأیت ما ذا؟ قال: ثم عرض لی الذّئب فقال: کسوب ذو حیله، قال ثم رأیت ما ذا؟ قال:

عرضت لی النّعامه، قال: ذات ریش و اسمها حسن، هل ترکت فی أهلک مریضا یعاد؟ قال:

نعم. قال: فارجع إلی أهلک فإنّ ذودک و أمتک فی أهلک فرجع، فوجد ذلک کما قال. قال:

و إنّما قال هل فی بیتک مریض یعاد من قوله شعرا:

صعل یعوذ بذی العشیره بیضهکالعبد ذی الفرو الطّویل الأصلم

فصل [فی حکایه قصه ترتبط بالقیافه]

و قال هشام الکلبی: حدّثنی أبی عن أبی الذّیال بن نغر عن الطّرماح بن حکیم الشاعر، قال: خرج خمسه نفر من طی ء من ذوی الحجی و الرأی (منهم برج) بن مسهر و هو أحد المعمرین و (أنیف بن حارثه بن لام) و (عبد اللّه بن) سعد بن الحشرج أبو حاتم طی ء و (عارق) الشّاعر و (مره بن عبد رضا) یریدون سواد بن قارب الدّوسی و کان کاهنا لیمتحنوا علمه، فلمّا قربوا من السّراه قال لیخبّئ کل واحد منکم خبیئا، و لا یخبر به صاحبه، لنسأله عنه، فإن أصاب عرفنا علمه، و إن أخطأ ارتحلنا عنه و أحللنا عنه، و أحللناه محله، فخبأ کلّ واحد منهم خبیئا.

ثم صاروا إليه فأهدوا له طرفا من طرف الحيره و إبلا فضرب عليهم قبه و نحر لهم، فلما مضت ثلاث دعاهم فدخلوا عليه فتكلّم برج و كان أسنّهم فقال له: جادك السّحاب- و أمرع لك الحباب- و ضفت عليك النّعم الرّغاب- نحن أولو الآكال- و الحدائق- و الأغيال- و النّعم الجفال- و نحن أصهار الأملاك و فرسان العراك- يورّى عنه أنّه من بكر بن وائل.

فقال سواد و السّماء و الأرض- و الغمر- و البرض- و القرض- و الفرض- إنّكم لأهل الهضاب الشمّ- و النّخل العم- و الصّخور الصمّ- من أجاء العيطاء- و سلمى ذات المرقبه السّطعاء- فقالوا: إنا لكذاك، و قد خبّأ كلّ رجل منّا خبيئا لتخبر الرّجل باسمه و خبيئه. فقال لبرج:

أقسم بالضّياء و الحلك- و النّجوم- و الفلك- و الشّروق و الدّلك فى أسنخه الفلك لقد خبأت برثن فرخ- فى إعليط مرخ- تحت أسره الشّرخ. قال: ما أخطأت شيئا، فمن أنا؟ قال: أنت برج بن مسهر عصره المعور و ثمال المحجر.

ثم قام أنيف بن حارثه فقال: ما خبيئى و ما اسمى؟ فقال سواد- و السّحاب و التّراب- و الأسباب- و الأحداب و النّعم الكتاب- و يروى الكباب- لقد خبّأت قطامه فسيط، و قذّه مريط، فى مدره من مدى مطيط فقال: ما أخطأت شيئا فمن أنا؟ فقال: أنت أنيف- قارى الضّيف- و معمل السّيف- و خالط الشّتاء بالصّيف.

ثم قام عبد اللّه بن سعد فقال: ما خبيئى و من أنا؟ فقال سواد أقسم بالسّوام العارب و الوقير الكارب- و المجد الرّاكب- و المشيح الجادب- لقد خبّأت نغاثه فنن- فى قطيع قد مرن- من أديم قد جرن- فقال: ما أخطأت حرفا فمن أنا؟ قال: سعد النّوال- عطاؤك سجال- و شرّك عضال- و عمدك طوال- و بيتك لا ينال.

ثم قام عارق فقال: ما خبيئى و ما اسمى؟ قال سواد أقسم بنقف اللّوح- و الماء المسفوح- و الفضاء المندوح- لقد خبّأت زمعه طلى أعفر- فى زعنفه أديم أحمر- تحت حلس نضؤ أدبر- قال ما أخطأت شيئا فمن أنا؟ قال: أنت عارق ذو اللّسان العضب- و القلب النّدب- مضاء الغرب- مناع السّرب- مبيح النّهب.

ثم قام مرّه بن عبد رضا قال: ما خبيئى و ما اسمى؟ قال سواد: أقسم بالأرض و السّماء- و البروج و الأنواء- و الظّلمه و الضّياء- لقد خبّأت دمه- فى زمه شيط لمه- قال: ما أخطأت حرفا فمن أنا؟ قال: أنت مره السّريع الكره- البطى ء الغره الشّديد المره- القليل الغره.

قالوا فأخبرنا بما رأينا فى طريقنا إليك، فقال سوادا: أقسم بالنّاظر من حيث لا يرى- و السّامع من قبل أن يناجى- و العالم بما لا يدرى- لقد عفت لكم عقاب عجزاء- على

شناغيب دوحه جرداء- تحمل جذلاء- فتماريتم إمّا يدا و إمّا رجلا، قالوا: كذلک كان ثم مه قال:

سنح لكم قبل ترجّل الشّروق سيدا مق على ماء طروق

قالوا: ثم ما ذا؟ قال: ثم تيس أفرق- فسند فى إبرق- فرماه الغلام الأزرق- فأصاب بين الواهله و المرفق- قالوا: صدقت و أنت أعلم من تحمل الأرض ثم انصرفوا فقال عارق شعرا:

ألا للّه علم لا يجارى إلى الغايات فى جنبى سواد

أتيناه نسائله امتحاناو نحسب أن سيبعل بالعناد

نسائل عن خفى مخبئات فأضحى سرّها للنّاس باد

حسام لا يليق و لا تثأثأعن القصد الميمّم و السّداد

كأنّ خبيئنا لمّا انتخبنابعينيه يصرّح أو ينادى

فأقسم بالعشائر حيث قيس و من نسل الأقيصر باللّباد

لقد جزت الكهانه عن سطيح و شق و كم فل من الإياد

تفسير ما يشكل منه، (النّعم): الرّغاب هى الكثيره منه (و أولو الآكال): يريد القطائع و كانت ملوک الحيره تقطع بكر بن وائل و لم يكن ذلک لغيرهم. و (الأغيال): جمع الغيل:

و هو الماء الجارى و بطن الوادى. و قوله: (نحن أصهار الأملاک): يريد بنت عمرو بن الحارث الملک الكندى أم أناس منهم و هم أصهار ملوک لخم أم عمرو بن امرئ القيس الذى كان يقال له: ابن ماء السماء- و ابن ماء المزن. و (الغمر): الماء الكثير، و (البرض):

الماء القليل و (النّخل العم): الطّوال، و (العيطاء): الطّويله، و (السّطعاء): الطّويله العنق، و (أجاء و سلمى): جبلان. (الحلک): الظلمه، (الدّلک): السّواد، (البرثن) الإصبع، و (الشّرخ): من الرّجل بمنزله القربوس من السّرج، و (الإعليط): وعاء تمر. (المرخ):

مثل وعاء الباقلى، و (المرخ): شجر، و (العصره): الملجأ و (المعور): الذى قد ظهرت عورته، و (الثمال): العصمه و (المحجر): الذى قد احجرته السّنه. و (الأصباب): جمع الصبب و هو المنحدر من الأرض، و (الأحدب): جمع حدب و هو المرتفع من الأرض، (الكتاب): المجتمع- و الكباب الكثير، و (القطامه): ما قطعته بأسنانک، و (الفسيط):

قلامه الظفر، و (المريط): سهم تمرط ريشه، و (المدى): ما سال من الحوض من الماء، و (المطيط): الخاثر بما بقى فى الحوض

مـن المـاء، و (الـوقير): القطيـع من الغنم برعـائه، و (العـازب): البعيـد فى المرعى، و (القـارب): القريب، و (الجـادب): العـائب، و (النغاثه): ما ترميه من السّواك، و (النّفنف): الهواء بين السّماء و الأرض، و (جرن

و مرن): بمعنی لان، و (اللّوح): الهواء، و (العفره): حمره أشربت غبره، و (الزعانف):

أطراف الأدم، و (الحلس): البرذعه و الکساء، و (النضو): الذی أنضاه السّفر، و (الأدبر و الحرب و السّرب): المال الرّاعیه، و (النّدب): الخفیف، و (الدّمه): النّمله الصّغیره، و (الرّمه): العظم البالی، و (المشیط): ما سقط من الشّعر عند المشط، و إذا کانت الرّیشه البیضاء ظاهرته فالعقاب عجزاء. و إذا بطنت فهی کسعاء. و (الجذل): العضو بکماله، و (الشّناغیب): أطراف الغصون العلی، و (الأمق): الطّویل، و (الرامله): رأس العضد الأعلی، و (الأبرق): حجاره اختلط بها طین، و (البعل): و البقر الدهش و یقال تثأثأ الرجل عن المکاره، إذا زال، و (اللّباد): موضع.

و مما رواه محمد بن إسحاق قال: ذکر وقع بالیمن من الحبشه فیما بلغنی عن سعید ابن جبیر عن ابن عباس و غیره من علماء أهل الیمن ممن یروی الأحادیث و یرغب فی جمعها یحدث بعضهم عن بعض الحدیث، و بعضهم یحدّث بعضا کل ذلک قد اجتمع فیما أذکره، أنّ ملکا من لخم کان بالیمن فیما بین التّبابعه(۱) من حمیر یقال له ربیعه بن نصر، و کان قبل ملکه بالیمن ملک تبّع الأول ثم کان بعد تبع شمر بن عش بن یاسر بن ینعم الذی غزا الصّین و بنی سمرقند- و حیر الحیره و هو الذی یقول:

أنا شمر أبو کرب الیمانی جلبت الجند من یمن و شام

لناتی أعبدا مردوا علیناوراء الصّین فی غیم و یام

و إنّ الملک ربیعه بن نصر رأی رؤیا هالته، فبعث إلی الخیره من أهل أرضه و الکهان و السحار و العراف(۲) و المنجمین ثم جمعهم فقال لهم: إنّی قد رأیت رؤیا أفزعتنی و هالتنی فأخبرونی بها، فقالوا: أقصصها علینا نخبرک بتأویلها، فقال: إن أخبرتکم بها لم أطمئن إلی خبرکم عنها أنّه لا یصیب تأویلها إلا الذی یخبرنی بها قبل أن أخبره، فلما قال لهم ذلک، قال رجل من القوم: إن کان الملک یرید هذا فلیبعث إلی سطیح و شق، فهما یخبرانه عما رأی من ذلک و هما أعلم من بقی، و کان سطیح رجلا من غسّان یقال له: سطیح الذئبی نسب إلی ذئب بن عدی بن مازن بن غسان و کان شق رجلا من قسر بن عبقر بن أنمار، و کانا کاهنی الیمن فی ذلک الزّمان و إلیهما انتهت الکهانه، فأرسل الملک ربیعه بن نصر إلیهما، فقدم علیه سطیح قبل شق، فدخل علیه فقال له الملک: یا سطیح إنی قد رأیت رؤیا هالتنی و فظعت بها حین رأیتها و إنّک إن تصبها قبل أن أخبرک عنها أصبت تأویلها.

۱- فی القاموس و التّبابعه ملوک الیمن الواحد کسکر(تبع) و لا یسمّی به إلا إذا کانت له حمیر و حضرموت ۱۲ مصحح.

۲- قال فی کنز المدفون فرق بین.

قال: رأيت حممه خرجت من ظلمه- فوقعت تهمه- و فى روايه فوقعت بين روضه و أكمه. فقال الملك: ما أخطأت من رؤياى و سمه، فما عندك فى تأويلها يا سطيح؟ قال:

أحلف بما بين الحرتين من حنش- لتنزلنّ أرضكم الحبش- و ليملكنّ ما بين أبين إلى جرش. قال له الملك: و أبيك يا سطيح إنّ هذا لنا لغائظ و موجع فمتى هو كائن يا سطيح؟

أ فى زمنى أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين- أكثر من ستين أو سبعين- يمضين من السّنين.

ثم يقتلون فيها أجمعين- أو يخرجون منها هاربين. فقال له الملك: و من الذى يقتلهم، و يلى ذلك من إخراجهم؟ قال الذى يليه ابن ذى يزن- يخرج عليهم من عدن- فلا يترك أحدا منهم باليمن. قال الملك: أ يدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال سطيح: بل ينقطع. قال و من يقطعه؟ قال: نبى مكى يأتيه الوحى من قبل العلى. قال: و من هذا النّبى يا سطيح؟

قال: رجل من دار غالب بن فهر بن مالك بن النّضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال له الملك: و هل للدهر من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأوّلون و الآخرون- يشقى فيه المسيئون- و يسعد فيه المحسنون. قال له: أحقّ ما تقول يا سطيح؟ قال له: نعم و الشّفق و الغسق و القمر إذا اتّسق إنّ ما نبّأتك لحقّ.

فلما فرغ من مسألته خرج من عنده و قدم عليه شق فقال له الملك مثل ما قال لسطيح، فقص عليه الرؤيا على ما قصّها سطيح، فقال الملك: ما تأويلها يا شق؟ قال:

أحلف بما بين الحرّتين ليغلبنّ على أرضكم السّودان و ليملكنّ كلّ طفله البنان- و لينزلنّ ما بين أبين إلى نجران- قال الملك: و أبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ فمتى هو كائن؟ أ فى زمانى أم بعده؟ قال بل بعده بزمان- ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، فيذيقهم أشدّ الهوان. قال له الملك: و من هذا العظيم الشّأن يا شق؟ قال: غلام ليس يدنى و لا مدن- يخرج من بيت ذى يزن- قال: فهل يدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل- يأتى بالحق و العدل- بين أهل الدّين و الفضل- يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل- قال له الملك: و ما يوم الفصل يا شق؟ قال: يوم يجزى فيه الولاه و يدعى فيه من السّماء دعوات، يسمع فيه الأحياء و الأموات، و يجمع النّاس فيه للميقات، فيكون فيه لمن اتّقى الفوز و الخيرات. قال له الملك: أحقّ ما تقول يا شق؟ قال: إى و ربّ السّماء و الأرض- و ما بينهما من رفع و خفض- إنّ ما نبأتك به لحقّ ما فيه من أمض- فلمّا فرغ من مسألتهما وقع فى نفسه أنّ ما ذكرا له كائن من أمر السّودان فجهّز بنيه و أهل بيته إلى العراق بما يصلحهم و كتب لهم إلى ملك من ملوك الفرس يقال له سابور بن خرزاد فأنزل الحيره. و فى غير هذا أنّه قال للمنجّمين و الكهنه لمّا سألوه أن يقصّ عليهم رؤياه أنّها انسلخت منّى فقالوا: ما عندنا علم المنسلخ و لكنّا ندلّك على من يعلم.

قال الدّال على الفعل كفاعله فأرسل مثلا فقالوا: أرسل إلى سطيح الغسّانى فإنّه يخبرک، فدعا سطيحا فأتى به محمولا و لم يكن له عظم كان مستلقيا دهره يفتى النّاس يأتيه رئى من الجن بأخبار السماء، و ما يحدث فى الأرض و لم تكن الشّياطين ممنوعه من الاستراق إذ ذاک، و إنما رجمت بالنّجوم و حجبت بعد مولد النبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فالمسترق للسّمع الآن يرمى بنجم فيصيبه و لا يقتل بل يبقى مخبولا إلى يوم القيامه.

و فى حديث إنّ الشيطان إذا رجم و خاف الاحتراق رمى بنفسه فى البحر.

و فى هذا الحديث أنّ سطيحا قال: أحلف بآله ما بين الحرتين إلى جرش- و ما بينهما من ذى ناب و حنش- ليقطعنّ أرضكم الحبش- فليقتلنّ من دبّ و انكمش. و فى روايه الشّرقى ابن القطامى أنّه قال: فمن يلى قتل الأحبوش. قال: غلام من ذى يزن- يأتى ببنى الأحرار من قبل عدن- فلا يترک منهم أحدا باليمن. قال: فهل يدوم ملک بنى الأحرار أو ينقطع؟ قال: يقطعه نبى زكى- يأتيه الوحى من قبل العلى. قال و من هذا النّبى الزكى؟ قال:

رجل من ولد النضر يكون الملک فى قومه إلى آخر الدّهر.

قال الكلبى: اسم سطيح ربيع بن ربيعه بن مسعود بن عدى بن الذّئب بن الحارث.

و قال الشّرقى: أخذته ذئبه- و هو طفل فذهبت به إلى غيضه- فجعلت تغذوه بأنواع الثّمار حتى أدرک و اشتدّ فهرب منها و أتى قومه فخبرهم بقصّتها، و أقبلت فى أثره كالأم الثّكلى تطلب ولدها فرموها حتّى قتلوها.

قال هشام: و شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرک بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار.

قال: و حدّثنا أبو يحيى زكريّا بن يحيى السّاخى فى إسناد ذكره ينتهى إلى سعيد بن مزاحم. و حدّث أبو الحسن على بن حرب الطّائى فى إسناد ذكره ينتهى إلى مخزوم بن هانئ المخزومى، فقال: حدّثنى أبى و قد أتت له خمسون و مائه سنه قال: لمّا كانت اللّيله التى ولد فيها النّبى صلى اللّه عليه و سلم ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشره شرفه، و خمدت نار فارس، و لم تخمد قبل ذلک بألف عام و غاضت بحيره ساوه، و فاض وادى السّماوه و كان منقطعا قبل ذلک بألف عام.

و رأى مؤبذ المؤبذان إبلا صعابا- تقود خيلا عرابا- قد قطعت دجله و انتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلک و تصبّر عليه. ثم رأى أن لا يستر ذلک عن وزرائه و مرازبته فلبس تاجه و قعد على سريره و جمعهم إليه فأخبرهم بالذى رأى فبينا هم كذلک، إذ ورد عليهم كتاب بخمود النّار فازداد غمّا إلى غمّه.

قال مؤبذ الموبذان: و أنا أصلح اللّه الملک، فقد رأيت فى هذه اللّيله ثم قص عليه رؤياه فى الإبل، فقال كسرى: أىّ شى ء يكون هـذا يا مؤبذان؟ قال: حادث يكون من ناحيه العرب، فكتب عند ذلک من كسرى ملک الملوک إلى النّعمان بن المنذر، أمّا بعد فوجّه إلىّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيله الغسّانى، فلمّا قدم عليه قال: هل عندک علم بما أريد أن أسألک قال: ليخبرنى الملک فإن كان عندى منه علم و إلّا دللته على من يعلمه و يخبره فأخبره بما رأى. فقـال: علم ذلک عنـد خال لى يسكن بمشارف الشّام يقال له سطيح، قال: فأته فاسأله عما سألتک عنه، ثم ائتينى بجوابه، فخرج عبد المسيح حتى ورد على سطيح، و قد أشفى على الموت، فسلّم عليه و حيّاه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول شعرا:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن؟أم فاظ فأزلم به شاء و العنن

يا فاضل الخطّه أعيت من و من و كاشف الكربه فى الوجه الغضن

أتاک شيخ الحى من آل سنن و أمّه من آل ذئب بن حجن

أزرق جهم الوجه صرار الأذن أبيض فضفاض الرّداء و البدن

لا يرهب الرّعب و لا ريب الزّمن و هو رسول العجم يسرى للوسن

يجوب فى الأرض علندن ذو فرن بلغه فى الرّيح يوغاء الدّمن

كأنما حثحث من حضنى ثكن

فلمّا سمع سطيح شعره فتح عينيه، ثم قال: عبد المسيح على جمل طليح- و يروى مشيح- يخبّ إلى سطيح- و قد أوفى على ضريح، بعثک ملک بنى ساسان- لارتجاس الإيوان، و خمود النّيران، و رؤيا المؤبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجله و انتشرت فى البلاد، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوه، و ظهر صاحب الهراوه، و غاضت بحيره ساوه، و فاض وادى السّماوه، فليست الشّام لسطيح شاما، يملک منهم ملک و ملكات، على عدد الشرفات، و كل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه، فثار عبد المسيح إلى رحله و قال شعرا:

شمّر فإنّک ماضى الهمّ شميرلا يفزعنّک تفريق و تغيير

إن يمس ملک بنى ساسان أفرطهم فإنما الدّهر إفراط دهارير

فرّبما أصبحوا يوما بمنزلهتهاب صولتهم أسد مهاصير

و ربّ يوم له ضحيان ذى أمرسارت بلهوهم فيها المزاهير

و أسعدتها أكف غير معرفهبحّ الحناجر تثنيها المعاصير

من بين لاحقه الصّقلين أسفلهاو غث و عسلوج بادى المتن محصور

منهم أخو الصّرح بهرام و إخوته و الهرمزان و سابور و سابور

و النّاس أولاد علّات فمن علمواأن قد أقلّ فمحقور و مهجور

و هم بنو أمّ من رأوا له نشبافذاک بالغيب محفوظ و منصور

و الخير و الشرّ مقرونان فی قرن فالخير متّبع و الشّر محذور

و فی غير هذا أنّ الملک قال لعبد المسيح: هل بقی فی العرب أحد يخبرنا عمّا نسأل عنه؟ قال: نعم ابن عم لی بباب الجابيه يقال له سطيح، و کان سطيح لحما يحمل فی جلد لم يخلق له عظم، و إذا أرادوا تحويله من موضع طوی کما يطوی القرطاس، فإذا أرادوا أن يتکهّن مخض کما يمخض الزّق ثم علاه بهر و عرق، و علته برحاء ثم تکهّن. (و فيه) فلما قدم علی کسری أخبره بالخبر، فقال کسری: إلی أن يملک منّا أربعه عشر ملکا يذهب دهر طويل، و کان الرّجل منهم ربّما ملک مائه سنه فهلک منهم تسعه فی أربع سنين، و ظهر أمر رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم.

و حدّث أبو المنذر عن شيوخه عن زفر بن زرعه قال: خرجت مع نفر من قومی فی الشّهر الحرام فی بغيه لنا فسرنا ثلاثا حتی إذا انخرقت لنا الفلاه نزلنا واديا موحشا فعقلنا رواحلنا. و قام رجل منّا فنادی بأعلی صوته: أعوذ بعزيز هذا الوادی من شرّ من فيه، و کذا کنّا نفعل فی الجاهليه. و ذلک قوله عزّ و جلّ: وَ أَنَّهُ کانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً [سوره الجن، الآيه: ۶] قال: فلما أبهار اللّيل و قد نام أصحابی و قعدت أکلؤهم و قد کنّا تحدثنا بخروج النبی صلی اللّه عليه و سلم بمکه، و شاع خبره فی العرب، سمعت هاتفا يقول: يا وزر بن خوتع بن غزوان- هل راعک اليوم حديث الرّکبان؟ عن نبأ أيقظ کلّ و سنان- فأجابه آخر شعرا:

أربت يا هوبر من داع دان روّعت معمود الفؤاد روبان

(أربت) قطّعت إربا، و (المعمود): الذی قد عمد المرض فؤاده، و روبان ناعس ثقيل مسترخ من النّعاس جل فقد أشأزت قلبی الحيران- و قال الأول: قد لفظت مکه ذات أشبره.

جمع شبر و هی أربعه آمار ما کان أبونا أثره امار علامه أثره. رواه أنّ امرأ بين المنطباح الضّفر، أی متداخل بعضها فی بعض قد نجم القول الذی قد أظهر. فقال الثّانی:

إن کان يا بن نعجه بن صبره ما قيل حقا فابعثن حبشره

فی آل ز لقوم و آل سجره إنّ التی بنخله المستغفره

حلت بها أم اللميم القشره

العرب كانوا يستنفرونها فإذا صوّت كصوت الرّعد من أحد أعداء الوادى يقول:

إن كان ما أنبأتما قد كانافقد أقم القلت الأوثانا

و لم تزو جنانها الکهاناو صادفت دون العلی شهبانا

یمنعها أن تغرب الأعنانا

(أقم الفحل): شوله. إذا ضربها کلّها و (الأعنانا): نواحی السّماء. ثم صرخ صرخه اشتعل منها الوادی نارا، فخررت صعقا، فما استیقظت إلا بأصوات أصحابی فاظ و اللّات فاظ ذللا فانتبهت، و اقتصصت علیهم قصّتی و رجعنا من سفرنا و قد شاع خبر النبی صلی اللّه علیه و سلم فی العرب.

و حکی الهیثم بن عدی عن شیوخه قال: انطلقت أمّ مالک و طیّئ ابنا سبأ و هما ابنا أدد بن زید بن یشجب بن عریب بن زید بن کهلان بن سبأ بن یشجب بن یعرب بن قحطان حین ترعرعا إلی کاهنه یقال لها: شهیره بأرض سبأ بموضع یقال له: بلخع لتنظر إلیهما و تقول فیهما، و ساقت معها إبلا. فوجدت فی طریقها سحق نعل، فجعلتها فی کریه نخل، ثم دفعتها إلی رجل معها من قومها یقال له: صعل، فقالت: أخبئ هذا معک حتی نثور الکاهنه بشی ء قبل المسأله، فلمّا انتهت إلیها عقلت ببابها ثم قالت: یا شهیره إنی قد خبّأت لک خبئا فأخبرینی به قبل المسأله، فقالت: أقسم بالشّمس و القمر، و الکثکث و الحجر- و الرّیاح و المطر، لقد خبّأت لی جلد بقر أشعر، و ما به شعر محضر، أو ما به حضر. قالت أحلف بالسّهل و الجبل و الجدی و الحمل، و القمر إذا أفل، و ما حنّ بنجد من جمل، أن قد خبّأت لی فرد نعل، فی کرنافه نخل- مع رجل یدعی صعل- رب شاه و حقل، قالت:

صدقت فأخبرینی عمّا جئت أسألک عنه، قالت: تسألین- عن غلامین ولدا فی یومین- فی بطن توأمین، (أحدهما): ربعه جعد، تعنی طیا، و (الآخر): سبط نهد تعنی مالکا. قالت:

صدقت، فأخبرینی عنهما، قالت: أ هما معک؟ فأراهما أم تسجع نبقت عنهما؟ قالت: هما معی فنظرت إلیهما ثم أقبلت علی مالک فقالت: یکون من ولده قبائل و عدد و مصالیت نجد، و رأس و کتد و حق و فند، یصیبون و یصابون، و یلحم علیهم و یلحمون الحق لا المین.

ثم نظرت إلی طی ء فقالت: یکون فی ولده سماح و جلد و إباء و نکد و عرام و سدد یأکلون و لا یؤکلون، شدید و الکلب، قلیلو السّلب، الحق لا الکذب.

فهذا عنوان ما یحکی عن کهانتهم و غیض من فیض ما یتلی من آیاتهم و عبرهم و کلّ ذلک کان قبیل ما أراد اللّه تعالی اطّلاعه من شأن النّبوه بعد الفتره الممتده، لأنّه هو الحکیم العالم یسبّب الأسباب لما یقضیه- و یهیئ الآراب و الدّواعی لإتمام ما یمضیه، و یزیح العلل عما یتعبد به، و یسهّل الطرق إلی ما یدعو إلیه حتی تصیر المدارج صاحبه للسّالکین و الدلائل متوافیه للنّاظرین و المراصد ظاهره للمعتبرین، و أبواب الفلاح مفتتحه للمسترشدین.

فلما دنا وقت خلق النبی صلی اللّه علیه و سلم و اصطفائه إیّاه لبعثه و رسالته و کان فی الجنّ من یقعد

للسّمع إلى سكان السماء و المتصرفين فيما يجرى عليه أهل الأرض من خير و شر، و رفع و وضع فيؤدّى ما يدركه إلى الكهنه، فيتسوقون به و يدعون علم الغيب فيه، حكى اللّه تعالى أمرهم فى ذلك فى غير موضع، و بيّن أنّ الجنّ عزلوا عمّا كانوا يتولّونه من التقاط الأنباء من أهل السّماء و بثّها فيمن كان يعبدهم من السّحره و الكهنه.

فقال عزّ و علا(۱): وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً [سوره الجن، الآيه: ۸] وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً [سوره الجن، الآيه: ۹] يريد أنّا طلبنا السّماء جريا على عادتنا من قبل فى التسمّع إلى أهلها و قد حجبنا الآن دونها و ملئت بمن يحرسها منّا و يرمينا بالنّار إذا تعرّضنا له.

ثم ختم الكلام فى الحكايه عنهم بأنّهم قالوا: لا نعلم ما ذا أريد بما فعل لأهل الأرض من الغيّ أو الرّشد أو الصّلاح، أو الفساد يريدون ما خفى عليهم من ايتناف الرّساله و استحداث الشّريعه و الدّلاله على أنّ لمسنا طلبنا قول الشاعر و هو يرثى ابنا له:

هوى ابنى من أشرف يهول عقابه صعده

ثم قال:

ألام على تبكيه و ألمسه فلا أجده

فاقتران الوجدان بقوله ألمسه: يدل على أنّ المراد به أطلبه فلا أجده، و قال تعالى فى موضع آخر: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [سوره الشعراء، الآيه: ۲۱۰- ۲۱۲] يريد تنزيه وحيه و تثبيت رسالته على لسان نبيّه.

فإن قيل: إذا كان أمر الكهّان مع شياطين الجن على ما ذكرت و مؤدّى الغيب على ألسنتهم من نقلهم كما اقتصصت، فما الفرق بين أخبار النّبى و أخبارهم؟ و بما ذا يتميز ما مبناه على الحق و الصدق لا تبديل يصحبه و لا خلف يعترض فيه مما هو بخلافه، و مبناه على التّمويه و التّشبيه و المخرفه و التّزويق؟! قلت: إنّ أولئك الكهّان إنمّا تكهّنوا فى أثناء أيام الفتره المتأخره، و قبل طلوع سوابق المعجزه، و استقام لهم ذلك لمّا أراد اللّه تعالى من تمرين النّاس على ما يريد إظهاره من إعلام النّبوّه يدل على هذا أنّه لم يحك ما يشبه بلاغاتهم عند الإخبار و الاستخبار فيما تقادم من أخبار ملوك قحطان و عدنان و الذوين و التّبايعه و فيما ذكر قبلهم من أخبار طسم و جديس، و من كان فى الجاهليه الجهلاء، و إنّما قامت أسواقهم فى أيام النّعمان و المنذر ابن ماء السّماء و أشباههم.

۱- يعنى حكايه عن الجن الذين أسلموا- الحسن النعمانى.

و إذا كان الأمر على هـذا فكما تناهت البلاغه نظما و نثرا على ألسن فصـحاء العرب لتعقبها التّحـدى بالقرآن، فبيّن شأن الإعجاز، كـذلك تعـالت أشواطهـا الكهّـان و الحزاه فيمـا تهـاذوا به و ادّعوه فى أوقـاتهم من علم مكتمن الأخبـار ليعلوهـا شـأن النّبى عليه الصّلاه السّلام فى إعلان المغيبات- و سائر ما أتى به من البيّنات.

هذا و قد كان امتلكتهم صرفه من قبل اللّه تعالى تمنعهم فيما يأتونه من ادّعاء نزول الوحى عليه.

فـإن قيل: بما ذا يتفصّل، مما قال لك إنّ التّحـدى بالقرآن- و عجز من فى زمانه عن الإتيان بمثله و بأقلّ سوره منه ضـمن تصوير المراد من تبـارى الخطبـاء و الشّـعراء، و الوصّاف و البلغاء؟ إذ كان انبعاث هممهم- و تحرّك شـهواتهم- و اهتياج طبائعهم له لا داعى إليهـا، و لاـ مسبّب لهـا عنـد الفحص و التأمـل إلّا ذلك و يكشـفه ما تراه من مساعـده دخلائهم من غيرهم و تعاونهم عند الأخـذ عنهم فى طلب الزّياده عليهم كلّ ذلك لتصـير المعجزه فى كلّ أوان مجدده- كما كانت فى زمانهم محققه فما العذر فى الكهانه؟ و كيف ينماز حالها عما خلّدته النّبوه؟ قلت: إنّ النّبوه غايتها لا تدرك لأنّها محفوفه بالصّدق و النّزاهه و الآيات البيّنه و عليها واقيه من قبل اللّه تعالى يبعـدها من الرّيبه، و يحفظها من درن الشّـبهه و الظّنه، و الكاهنين قد بيّن اللّه تعالى حاله فى محكم كتـابه فقـال: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ [سوره الشـعراء، الآيه: ۲۲۱- ۲۲۳] فحـالهم حال المنجّم فيما يحكم به و هو يردّد بين مصـدّق و مكـذّب و مؤمن به و مبطل، و إذا كان الأمر على هـذا انسدّت طرق المعارضات فالاكتفاء فى تبيّن أمرهم بما ذكرته واجب.

فصل فى القيافه و العيافه

فأمّا القيـافه: فقـد خصّ بهـا قوم من العرب، و إنّمـا هو فى الأنسـاب خـاصه و قـد ثبّتها النبى صـلى اللّه عليه و سـلم، و يحكم بها الشّافعى و أصـحابه، و يلحقون بها الولد و هذه فضـيله خصّت بها العرب. روى سـفيان بن عيينه عن الزّهرى عن عروه عن عائشـه رضـى اللّه عنها قالت: دخل علىّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم و أعرف السّرور فى وجهه، فقال: أ لم ترى أنّ مجزز المدلجى نظر إلى أسامه و زيد و عليهما قطيفه و قد غطيا رأسيهما و بدت أقدامهما فقال: إنّ هذه الأقدام بعضها من بعض، و هذا استدلّ به الشّافعى و ذكره المزنى فيما حكى من مذهبه.

و روى أنّ عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه دعا قائفا لرجلين ادّعيا ولدا فقال: لقد اشتركا فيه، فقال عمر للغلام: وال أيّهما شئت. و روى أنّ أنسا شكّ فى ابن له فدعا القافه

للنّظر فی أمره. و هـذه الأدله تسوّغ فی الـدّین القیافه، و إنّما هی علم یتتبع أثرا أرشـد اللّه له قوما خصّهم بفضیلته و یقال: قفاه و قافه و اقتافه و اقتفاه بمعنی. و فی القرآن: وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ [سوره الإسراء، الآیه: ۳۶].

و أمّا العیافه ففعل الزّجار. قال الأعشی:

ما تعیف الیوم من طیر روح من غراب البین أو تیس برح

فقال فی الإجمال: ما تعیف من طیر روح، و فی التّفصیل (قال): من غراب البین أو تیس برح، فجعل التّیس من تفسیر الطّیر لأنّهم یقولون فی تعارفهم: جری طائره بکذا، و حکی أبو زیـد عنهم: سألت الطّیر، و قلت للطّیر، و إنّما هو زجرانها. و فی القرآن: قالُوا طائِرُکُمْ مَعَکُمْ [سوره یس، الآیه: ۱۹] و قالَ طائِرُکُمْ عِنْدَ اللَّهِ [سوره النّمل، الآیه: ۴۷] و الأمم علی اختلافها تفعلها. فمن ذلک قول الهذلی:

أتیح له من الفتیان خرق أخو ثقه و خریق حشوف

فبینا یمشیان جرت عقاب من العقبان خاسئه دفوف

فقال له: و قد أوحت إلیه ألا للّه إنّک ما تعیف

فقال له: أری طیرا ثقالاتبشّر بالغنیمه أو تخیف

ففی هذا الذی قاله بیان، إنّ ذلک رجم ظن، و فی العرب من یشتقّ من اسم ما یعنّ له عند الطّیره، فیبنی قصّته علیه کقول القائل:

قالوا: حمام قلت: هم لی اللقاء. و قالوا: غراب قلت: غرب من النّوی. و قد اشتق أبو تمام علی ضد هذا فقال شعرا:

لا تشجینّ لها فإنّ بکاءهاضحک و إنّ بکاءک استغقام

هنّ الحمام فإن کسرت عیافهمن جابهنّ فإنّهنّ حمام

فأمّا ما یقولون فی الغراب و الظّباء و هی: (السّانح) و (البارح) و (النّاطح) و (القعید) و (الجابه) و (غراب البین) فقد اختلفوا فی (السّانح) و (البارح) فمن العرب من یتشاءم بالسّانح و یتیمّن بالبارح علی ذلک قول زهیر:

جرت سخّا فقلت لها أجیزی نوی مشموله فمتی اللّقاء

و قال النابغه:

زعم البوارح أنّ رحلتنا غداو بذاک خبّرنا الغداف الأسود

فما تطيّر به زهير تبرّك به النّابغه، (فالسّانح): ما جاء من ميامنك فولّاك مياسره،

و (البـارح) مـا جـاء من مياسـرک فولّـاک ميامنه، فأحـدهما راعى من نفسه ما کرهه و الآخر راعاه من الماربه، (فأما الناطـح) فما يلقـاک و (القعيـد) ما اسـتدبرک و (الجابه) ما جاء من أعلاک و قوله: (أجيزى نوى مشـموله) معناه اقطعى نوى هبّت عليها ريح الشّمال فبدّدت شملها و قوله: (فمتى اللقاء): استبعاد لوقوعه.

و حکى أحمـد بن يحيى عن أبى المنهـال المهلبى عن أبى زيـد الأنصارى أنّ ما مر من ظبى أو طائر أو غيره فکلّ ذلک عنـدهم طائر. و أنشد فى ذلک لکثير:

فلست بناسيها و لست بتارک إذا عرض الأدم الجوارى سؤالها

ثم خبّر بعد أن قال الأدم الجوارى أنه طائر فقال:

أدرک من أمّ الحکيم غبطهبها خبّرتنى الطّير أم قد أتى لها

و قـد فسّـِر قوله تعالى: وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ [سوره الإسـراء، الآيه: ١٣] الآـيه على أنّ معنـاه حظّه، و قيل: عمله و ما قـدّمه من خير أو شـر. و يکون ذلک فى الکتاب الذى لا يغادر صـغيره و لا کبيره إلا أحصاها. و قال تعالى فيه: هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ [سوره يونس، الآيه: ٣٠] و فى موضع آخر: هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ [سوره الحاقه، الآيه: ١٩] و قال الکميت فى تصديق ما ذکرناه شعرا:

و ما أنا ممّن يزجر الطّير همّه أ صاح غراب أم تعرّض ثعلب

و قال حسان بن ثابت رضى اللّه عنه:

ذرينى و علمى بالأمور و سيرتى فما طائرى فيها عليک مخيلا

رواه أبو زيد و فسّره على أنّ المراد ليس رآنى بمشئوم. و أنشد لکثير:

أقول إذا ما الطّير مرّت مخيلهلعلّک يوما فانتظر أن تنالها

(مخيله): مکروهه من الأخيل، و أنشد: و لقيت من طير العراقيب أخيلا. و من المأثور قولهم:

اللهمّ لا خير إلّا خيرک، و لا طيرا إلّا طيرک، و لا ربّ غيرک، و قال خثيم بن عدى فى ضدّ ما تقدّم:

و لست بهيّاب إذا شدّ رحله بقول عدانى اليوم واق و حاتم

قال:

فإذا الأشائم كالأيامن و الأيامن كالأشائم

و كذلك لا خير و لا شر على أحد بدائم، و يشبه هذا المعنى ما أنشده أبو عبيده عن أبى عمرو:

يا أيّها المزمع ثم آنسنى لا يثنك الحادى و لا الشّاحج

و لا قصيد أعضب قرنه هاج له من مزبع هائج

هذا الفتى يسعى و يسعى له تاج له من أمره خالج

يترك ما رقح من عيشه يعيث فيه همج هامج

لا تكسع الشّول بأغبارهاإنّك لا تدرى من الناتج

و اصبب لضيفانك ألبانهافإنّ شرّ اللّبن الوالج

الباب الرابع و الأربعون فی ذکر ما أبهم من الأوقات حتی لا یتبیّن للسّامع حاله و ما شرح منها

اعلم أنّ مذاهب العرب فی التّنبیه علی أوقات الأفعال مختلفه و ذلک لاختلاف أحوالهم فیما یقصدونه من البیان، فربّما بالغوا فی التّعین و الشّرح حتی یصیر المستدل علیه کما یشار بالید إلیه، و ربما أبهموها اعتمادا علی القرائن لأنّها قد تنوب عن الأوصاف المخصصه فیعتمد فی الإبانه علیها أو ربما أبهموها حتی لا یکاد یتحصّل للسّامع منها تفقّه علی واحد منها بعینه لشمول صفاته للأوقات کلّها و جمیع ذلک موجود فی أشعارهم، فمن ذلک قوله یصف امرأه:

ساهرت عنها الکالئین فلم أنم حتّی التفتّ إلی السّماک الأعزل

و السّماک قد یطلع فی کلّ آناء اللّیل و مثله:

و نائحه صوتها رائع بعثت إذا ارتفع المرزم

و (ارتفاع المرزم) لیس مما یکون و قد لا یکون، و یروی إذا خفق المرزم، و حینئذ یقرب التّحدید به، و مثل هذا قول الآخر:

حتی رأیت عراقی الدّلو ساقطهو ذو السّلاح مصوح الدّلو قد طلعا

قوله: (و ذو السّلاح مصوح الدّلو): هو مما یکون علی حاله واحده أبدا، و ذلک أنّ السّماک الرّامح متی طلع سقطت عراقی الدّلو، و (المصوح) الغیبوبه و قد جاء فی المصیح و الفعول و الفعیل یجتمعان فی فعل واحد مصدرین، و مثله الوکوف و الوکیف، و مثل قول الآخر:

قلت له و الجدی فوق الفرقدإنّک إن تضج بهذا المرقد

لا ترد الأمواه إلّا من غد

و مثله الوكوف و الوكيف.

فلمّا استدار الفرقدان زجرتهاو هبّت شمال ذو سلاح و أعزل

و معنى هبّ طلع، فهذه أمثله المبهمات، و من المحدود قوله:

فلمّا أن تغمّر صاح فيهاو لمّا يغلب الصّبح المنير

(و التّغمّر): شرب دون الرّى و ذلک من خوف الرّماه و (الصّبح المنير): الواضح أى كان ذلک سحرا قبل استناره الصّبح. و قال الرّاعى فى مثله:

فصبّحن مسجورا سقته غمامهدعاک القطا ينفضن فيه الخوافيا

و قال ذو الرّمه:

ففسلت و عمود الصّبح منصدع عنها و سائرها باللّيل محتجب

فهذه الأبيات كلّها وقّتت آخر اللّيل. و مما يستدل بالقرينه على حده قول امرئ القيس:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

أ لا ترى أنّ هذا الوصف و إن كان يتّفق فى كل آناء اللّيل فقد حظره بقوله:

فجئت و قد نضّت لنوم ثيابهالدى السّتر إلّا لبسه المتفضّل

فلما علم أنّ الموقت يكون من أوّل الليل و أنّ الذى وصف من تعرّض الثّريا إنّما يكون عند انصبابها للمغيب، علم أنّ الزمان زمان الدفى ء، فباجتماع هذه الأدله عاد محظورا بعد أن كان مرسلا، و مثله قول حاتم:

و عاذله هبّت بليل تلومنى و قد غاب عيّوق الثّريا فغرّدا

(فغيبوبه العيّوق): و إن كان قد يكون فى كل آناء اللّيل ففى ذكره (العاذله) دليل على أنّه فى آخر اللّيل، لأنّه وقت العواذل بدلاله قول زهير شعرا:

غدوت عليه غدوه فوجدته قعودا لديه بالصّريم عواذله

(و الصّريم): بقيه من اللّيل لأنّهن يأتين بعد نومهنّ و بعد إفاقه المعذول.

و إذا علم أنّ هـذا الوقت الـذى عنى الشـاعر هو فى آخر الليـل معلوم و هو زمن الشّـتاء و ليـالى التّمام، فقـد صار الزّمان معلوما و الوقت محظورا بالأدله، (و التّغريد): العدول إلى

الغرد، و أصـله الغراد و الخص، و فى الكلام تقـديم و تـأخير كـأنّه قال: و قـد غرد عيّوق الثّريا فغاب. و كـذلك قول أبى ذؤيب شعرا:

فوردن و العيّوق مقعد رأى الضّربا خلف النّجم لا تتبلّع

(لأنّ العيّوق و النّجم) يكونان كما وصف، إذا توسّـطا السـماء و توسـطهما السّماء آخر اللّيل إنّما يكون فى حمارّه القيظ. و قوله: (مقعد رأى الضّربا) فى حماره القيظ. و قوله:

(مقعد رأى الضّربا) فى إعرابه كلام و قد بيّنته فيما شرحته من شعر هذيل و مثله قول الآخر.

كمقاعد الرّقباء للضّـرباء أيديهم نواهد. قوله: لا تتبلع: أى لا تتعدم، و ذلك أنّ النّجوم إذا توسّطت السماء خيّل إليك أنها تتحير، فلا تبرح لذلك قال: و الشّمس حيرى لها فى الجوّ تدويم، و ليس قول امرئ القيس:

فيا لک من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار الفتل شدّت بيذبل

من هـذا إنمـا يريـد أن يصف اللّيل بالطّول فكأنّ كواكبه لا تسير، و الأوّل يريـد ركود النّجوم إذا توسّـطت السّـماء خاصه، و قد أحسن لبيد فى قوله و هو يصف الكواكب:

عشت دهرا و ما يدوم على الأيام إلا برمرم و تعار

و النّجوم التى تتابع باللّيل و فيها ذات اليمين ازورار

دائبا مورها و يصرفها الغور كما يصرف الهجان الدوار

و إنّمـا (ازورارهـا ذات اليمين) عطفـا إلى القطب لأنّهـا جميعـا تـدور على القطب الشّـمالى مرتفع فإذا توسّط كوكب ثم انصبّ فقـدرت له فى نفسک مغربا على أم قاصـد عـدل عن السّـمت الـذى توهّمته. (و تزاور ذات اليمين) حتى يغيب فوق الذى قدّرته حتّى ربّمـا كان البعـد فى ذلک بعيـدا و على هـذا حال جميع الكواكب فى مـدارها، و لازورارها إلى القطب. قال الشّاعر يمـدح رجلا:

مالت إليه طلاها و استطيف به كما يطيف نجوم اللّيل بالقطب

و لعلّه ذلک قال بشر:

و عاندت الثّريا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

لمّا تدانيا فى رأى العين حين توسّـطا السّماء و قد كان أحدهما بعيدا من صاحبه فى المطلع جعل ذلک تركا من الثّريا لطريقها، و

عـدولا إلى العيّوق و ليس ذلـك بمعانـده، و لكن لما بيّنته من ازورار النّجوم كلّها فى مـدارها إلى القطب، إذ كانت عليه تـدور، لأنّ الكواكب إذا كانت فى آفاق السّماء كانت أعظم فى المنظر، و كان البعد الذى بينها أوسع فى الرأى،

فإذا توسّطت كانت فى العين أصغر و رأيت أيضا أشدّ تقاربا.

قال أبو حنيفه: لـذلك أيضا يرى الكوكب من الكواكب إذا طلع متقـدما لكوكب آخر، حتى إذا تـدلّيا من وسط السّـماء يطلبان الغور صار المتقـدّم متأخرا منهما، و المتأخّر متقدما، و حتى يغيب أبطؤها طلوعا و يبقى صاحبه بعده مده كالسّـماك الرّامح، فإنّه يطلع بين يـدى الفكه بزمن، حتى إذا هما تصوّبا للمغيب تقدم السّـماك فغاب قبلها بمده، و كالعيّوق فإنه يطلع قبل الدّبران بزمن ثم يغيب بعده بحين.

و كـذلك الرّدف يطلع قبل النّسـر الطّائر بقليل، و يغيب بعـده بزمن. و قول لبيـد (دائب مورها) يعنى جريها. و أما قوله: (يصـرفها الغور) كما يصـرف الهجان الدّوار، فقد أحسن التّشبيه لأنّ النّجوم إذا غابت ردّها الفلك إلى الطّلوع كما يفعل الطّائفون بالدّوار، فإنهم إذا قضوا طوافا استأنفوا طوافا، و الدّوار: أنصاب كانت لأهل الجاهليه يطوفون حولها كما يطاف بالكعبه.

قال أبو حنيفه: و لازورار الكواكب ذات اليمين قال الشاعر شعرا:

ألا طرقت دهقانه الرّكب بعد ماتقوّض نصف اللّيل و اعترض النّسر

يعنى النّسـر الطّائر و إنما اعتراضه من قبل ازوراره فى السّـير و أنت تراه فى وسط السّـماء باسطا جناحا فى جهه الجنوب، و جناحا فى جهه الشّـمال حتى إذا تصوّب للمغيب اعترض فصـار أحـد جنـاحيه فى جهه المغرب و الآـخر فى جهه المشـرق على خلاـف الصّفه الأولى، من هذا النّحو قول امرئ القيس شعرا:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

لأنها تتلقاك فى مطالعها بأنفها، و هو أدقّ طرفيها، حتى إذا تصوّبت للمغيب اعترضت فكانت أشـبه شى ء بانظام جمع طرفاها ثم طرح و تلقاك بعرضه و ذلك أنّ الثّريا سطران فهى كانظام مثنى مثنى و منه قول المرار شعرا:

و بنات نعش يعترضن كأنّماتمسى الرّكاب معارضات صواريا

و (بنـات نعش): من أشـد الكواكب اعتراضا لأنّها لا تغيب إلا فى بعض المواضع فإذا دار الفلك بها بحيث لا تغيب، نظرت إليها بكلّ منظر معترضات و منتصـبات و منقلبات، و كـذلك جميع الكواكب المنتظمه على أشـكال مما قارب القطب كـذلك حالها حيث لاـ تغيب، فأمّـا تشبيه إيّاهـا بـالصّوار فـإنّ من عاده الشّـعراء تشبيه الكواكب بالبقر و الظّباء، و إذا رأيت الوحش سوارب فى مراتعها رأيتها بيضاء تلوح كأنّها نجوم.

الباب الخامس و الأربعون فی الاهتداء بالنّجوم، و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فی أمّهم

اعلم أنّ الاهتداء بالنّجوم یحتاج إلیها صنفان من النّاس: سیّاره البحر و سائله الإغفال و القفر، و لذلک مهر الهدایه بالنّجوم الصّیراریون و الأعراب و قد ذکره اللّه تعالی فی جمله ما عدّد من نعمه علی خلقه فقال: جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره الأنعام، الآیه: ۹۷] و قال تعالی أیضا: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ [سوره الإسراء، الآیه: ۱۲] الآیه. ثم قال تعالی: قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ [سوره الأنعام، الآیه: ۹۷] و هؤلاء الذین فصّل لهم هذه الآیات و اختصّهم بفضل علیها هم الذین عنی بقوله تعالی: وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ [سوره النّحل، الآیه: ۱۶] فافهم عن اللّه قوله.

ثم اعلم أنه لا یجد من أحبّ علم الاهتداء بالنّجوم بدأ من التقدّم بمعرفه أعیان ما یحتاج إلیه منها، و اعتبار النّظر إلیها فی جمیع آناء اللّیل حتی یعرفه کمعرفه خلطائه، لئلا یلتبس علیه إذا اختلفت أماکنها فی أوقات اللّیل، فإنّ کثیرا ممن یعرف النّجم من النّجوم إذا کان فی جهه المشرق حتی إذا دار به الفلک فنقله إلی جهه أخری عمی علیه حتی لا یعرفه، و یتحیّر حتی لا یهتدی إلیه، و یحتاج بعد الاستثبات فی معرفه أعیانها إلی معرفه مطالعها و مغاربها، و حال مجاریها من لدن طلوعها إلی غروبها، لأنّ ذلک مما یبدّل أعیان الکواکب فی الأبصار، و یدخل علی القلوب الحیره و یورث الشّبهه و یحتاج أیضا إلی أن یعرف سموت البلدان التی تقصد، و جهات الآفاق التی تعمد لئلا یعلم بأی کوکب ینبغی له أن یأتمّ.

و التوجّه إلی القبله فی کل بلد هو من هذا الجنس أیضا، و علم ذلک لیس بصغیر القدر فی خاصه الدّین، لأنّه أمر أمر اللّه به عباده فقال تعالی: مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ [سوره البقره، الآیه: ۱۵۰].

و لیس بعد أدلّه الحساب دلیل أدلّ من أعیان النّجوم، فلیس الشّمس بخارجه منها بل

هى أعظم النّجوم خطرا و قدرا. و هل الدّليل فى وضح النّهار إلا هى مع ما استعان به الإنسان من هبوب ريح، و كلّ ذلك فى الدّلاله دونها فإذا تقدّم المرء فأحكم علم ما وصفت، ثم كان ثبتا فى النّظر، فطنا فى العبر، أدرك علم الهدايه.

و ذكر جبار بن مالك عامر بن الطّفيل فقال: كان لا يضلّ حتى يضلّ النّجم و لا يعطش حتى يعطش البعير، و لا يهاب حتى يهاب السّيل، كان و اللّه خير ما كان يكون، حتى لا تظنّ نفس بنفس خيرا. و العرب تقول للدّليل إذا كان هاديا إنّه لدليل ختع و خوتع، و إنّه لبرت و إنّه لخريت، و إنّه لدليل مخشف.

و ذكر اللّغويون: أنّه إنّما سمّى خرّيتا لأنه كان يهتدى بمثل خرت الإبره و قال الشاعر فى البرت:

و مهمه طعنت فى مغبرهتله عين البرت من ذى شره

(تله): من الوله و هو ذباب العقل، و قال رؤبه يصف أرضا مجهلا. ينبو بإصغاء الدّليل البرت. يعنى إذا توجّس، و قال ذو الرّمه فى الختع فجاء به على فوعل و وصف فلاه:

يهماء لا يحنا بها المغرّربها يضلّ الخوتع المشهّر

يريد (بالمشهّر) المعروف المشار إليه بالهدايه و قال الخطفى:

حتّى إذا ما طرد النّيف السّفاقرين بزلا و دليلا مخشفا

قال أبو عبيده: و للعرب فى حسن الاهتداء فى المعامى المضال، و المجاهل الاغفال أحاديث عجيبه فى جاهليتها و إسلامها، كان الرّجل منهم يعدو على الإبل ببلاد لخم و جذام و هى واغله فى الشّام أو بسماوه كلب فيقطعها ثم يطردها متنكرا بها أوطان الانس متتبعا بها بلاد الوحش، حتّى يلقى بها الأسواق إما بصعده من اليمن، أو بحجر من اليمامه، فيتبعهنّ و يفعل مثل ذلك باليمن. ثم يرد سوق بصرى أو اذرعات و نحوهما من أسواق الشّام، و كان الواحد من الرّابيل و هم الذين يغزون فرادى، و ذو السّريه و هو الذى يغزو فى شيعته فيمضى فى تلك المعامى و فى مناقع المياه فيأخذ بيض النّعام فينقعها و يملؤها ماء و يدفنها، فإذا بلغ غايه مراده و جاء الوقت الذى ينتظره، و لعلّ ذلك يكون فى مده شهر فى مسيره، حتى إذا نضبت المياه، و انقطع الغزو و أمن النّاس اعتمد مغزاه فلا يخطئ السّمت و لا يضلّ عن تلك الدّفائن، فيمضى معتسفا على غير هدى، مستثيرا ذلك البيض، و معتمدا عليه فى شراء به.

ثم يرجع عوده على بدئه لا يستدلّ إلّا بالشّمس أو الكوكب.

قال: و ممّن فعل ذلك و عله الجرمى فى الجاهليه، و له قصه، و كان السّليك بن السلكه السّعدى، ثم أحد بنى مقاعس ممن يفعل ذلك، و كان أوّل النّاس بالأرض و من هداتهم

المشـهورين فى الجـاهليه، و له قصه دعميص الرّمـل العبـدى يزعمون أنّه ورد الـدّيار التى يزعمون أنّ بهـا إرم ذات العماد، و لم يردها أحد قط غيره و خبره مشهور. و سمّى دعميص الرّمل تشبيها بدعموص الماء.

و قال الأصمعى: يقال للدّخال الخراج، حيث لا يرام دعموص، قال الشّاعر يصف رجلا:

دعموص أبواب الملوك و جائب للخرق فاتح

يعنى أنّه يلـج أبواب الملوك و لاـ يحجب عنهم. و قال الأصـمعى: حـدثنى شـيخ من غطفان قال: أرسل زياد بن سـياره أخاه من أرض بنى عامر فقال: إنى أسير عشرا و لا أدله، أى لا علم لى بالهدايه، قال: ادخل تحت هذا الكوكب حتى تبلغ.

و حكى ابن الأـعرابى قال: يقال: دلّ يـدل من الـدّلاله أى صار دليلا، و دلّ غيره يـدله دلاله و دلاله، و دلت المرأه تـدل دلالا، و أدلّ يدلّ من الإدلال.

و ممن شـهر بالهـدايه: عبـد اللّه بن أريقـط دليـل رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و أبى بكر رضـى اللّه عنه، حيث هاجر و هما مطلوبان فتخلّل الطّرق حتى أوردهما المدينه.

و من المشـتهرين منهم فى الإسلام بالهدايه: رافع بن عميره الطّائى دليل خالد بن الوليد رضى اللّه عنه حين توجّه من العراق يريد الشّام، فخادعن جيش الرّوم و هم على طريقه ببلاد الجزيره، فامتـد رافع مفوزا به من قراقر إلى سوى و بينهما فلاه مجهل فقال فيه الشاعر:

للّه عينا رافع أنّى اهتدى فوّز من قراقر إلى سوى

خمسا إذا ما ساره الجيش بكى ما سارها من قبله إنس يرى

و ممن شـهر منهم أيضا بصـدق الأم: عبد الجبار بن يزيد الكلبى دليل بنى المهلّب حين فرّوا من يد الحجّاج إلى سـليمان بن عبد الملك، و كانوا محتبسين بلعلع فهربوا و لحقوا بالشّام، فتنكّب بهم عبد الجبار جواد الطرق و تتبع معامى الأرض فتحيّر يوما و هم بالسّـماوه، و ارتبـك، فاتّهمه يزيـد و أراد قتله، فقال له عبـد الجبار: أنت على قتلى إذا شـئت قادر، و لكن دعنى أنم نومه فنام ثم انتبه، و قد تجلّت حيرته فسمت بهم السّمت المصيب حتى نفد فقال شعرا:

و رهط من أبناء الملوك هديتهم بلا علم باد و لا ضوء كوكب

و لا قمر إلّا ضئيل كأنّه سوار جلاه صانع السّور مذهب

على كل خرجوج كأنّ ضلوعهاإذا حلّ عنها الكور أعواد مشجب

قوله: (و لا ضوء كوكب): يعنى أنّ الكواكب غمّت فى القتام فهداهم بالقمر ثم أخبر أنّ (القمر أيضا ضـئيل) لما دونه من القتام، فكأنّه فى تلك الحاله (سوار مذهب).

و ذكر ابن الأعرابى و هو يعد أدلّاء العرب فى الإسلام، فقال: هم ثلاثه فذكر رافعا و عبد الجبار و زاد فى شعره:

تفرّ فرار الشّمس ممّن وراءناو نمسى بجلباب من اللّيل غيهب

فإلا تصبح بعد خمس ركابناسليمان من أهل الملاء تناوب

قوله: (نفرّ فرار الشّمس) يريد أنا نتوجه إلى المغرب كما تغرب الشّمس.

و جعل الثالث منهم خالد بن دثار الفزارى دليل ابن فزاره على بنات قين حين قتلت كليبا. و قال أبو ذؤيب: يشبّه النّجوم بالوحش و هو يذكر امرأه:

بأطيب منها إذا ما النّجوم تعانقن مثل توالى البقر

و قال آخر:

وردت و أرادف النّجوم كأنّهامهاه علت من رمل يبرين رائبا

و قال ذو الرّمه يشبّه الوحش بالكوكب شعرا:

كأنّ بلادهنّ سماء ليل تكشّف عن كواكبها الغيوم

و قال آخر:

وردت و آفاق السّماء كأنّهابها بقر أقناؤه و هراقبه

الهراقب: المسان شبه الكبار بالهراقب، و الصّغار بالأقناء. و قال ابن كناسه و فى الاهتداء بالنّجوم يقول الشاعر:

نؤمّ بآفاق السّماء و ترتمى مغانيها- أرجاء دوايه قفر

و قال أبو حنيفه قول الشاعر:

رأت غلامى سفر بعيديدرعان اللّيل ذا السّدود

إما بكل كوكب جريد إنّما اختص الفرد الحريد لأنّ الجماعه يتغيّر حالها فى المطالع و المغارب و المجارى فتلتبس، و ضبط

السّير بالحريد أسهل، و من لم يكن مدرّبا بمعرفه أعيان الكواكب التبس عليه الحريد أيضا إذا تغيّر مكانه.

و روى عن شيخ من العرب أنّه سرى برفيق له فتعب، فقال لرفيقه: هـذا الجـدى جداه كثيره فلم أدر أيّها هو، و لذلک قال الآخر شعرا:

بصباحه الخمس فى زوراء مهلكهيهدى الأدلّاء فيها كوكب وحد

و قـال الفرزدق يهجو عاصـما العبـدى، و كـان أدلّ العرب و أعرفهم بـالنّجم و أقـدمهم على هول اللّيـل باللّيـل، و أراد أن يضـلّ الفرزدق و يقتله غشّا و ذاک أنّه استصـحبه إلى المدينه ليلقى سـعيد بن العاص، و رغبه فى جعله، فلما ركب الفلاه أراد أن يغتال الفرزدق ليحظى به عنـد زيـاد و يحبوه و يعطيه، فلمـا كانـا فى اللّيـل و أمعنـا فى السّـير انتبه الفرزدق فإذا النّجم على غير الطريق، فصاح بالعنبرى إنّک على غير الطريق، فانتبه فقال: أنت على الطريق، ناولنى إداوتک فإنّى عطشان و خبّأ اداوته، فقال الفرزدق: و الـذى أحلف به لتموتنّ قبلى، و شـهر السّـيف عليه فأقامه على الطّريق، و عرض لهما الأسد على الطّريق، فقال العنبرى هذا الأسـد على الطّريق، فأناخ الفرزدق ناقته و أخذ سيفه و جحفته و أقبل إلى الأسد و هو يقول:

فلأنت أهون من زياد شوكهاذهب إليک محزّم الشّغار

فتنحّى الأسد عن الطريق و مضيا، فقلب الفرزدق هذا المعنى كله و نسب العنبرى إلى الجبن و أنه ليس بالخرّيت راع لا يصلح إلّا لرعى الغنم و طعن فى نسبه. فقال شعرا:

ما نحن إن جارت صدور ركابنابأوّل من عزّت هدايه عاصم

أراد طريق العنصلين فياسرت به العيس فى ناى الصّوى متشايم

(العنصـلين) على طريق مكه، (و ياسـرت): أخذت يسارا و (المتشايم) الآخذ إلى الشام، قال: و سـمعت فصيحا يقول: توصّلوا أتوا الموصل فأسقط الميم.

فكيف يضلّ العنبرىّ ببلدهبها قطعت عنه سيور التمائم

أى لو كان عنبريا لعرف بلاده.

فإنّ امرؤ ضلّ البلاد التى بهاتغبّر ثديى أمّه غير حازم

(تغبّر): أى أتم رضاعه، و الغبر بقيه اللّبن.

بلاد بها ذلّت يديه و رأسه و رجليه من جار استها المتضاجم

يعنى (بالجار) الفرج و أصل (الضّجم) العوج فى شفتى الرّجل.

شعر:

و لو كان فی غير الفلاه خنوعاخنوعا بأعناق الجداء التّوائم

أی لو كان فی رعی الجداء لأحسن رعيها و أخذها بأعناقها ففصلها عن أمهاتها.

شعر:

و كنت إذا كلّفت صاحب ثلهسری اللّيل دنا أم فروج المخارم

(الثّله): القطيع من الشّاء و (الثّله) الجماعه من الناس و (دنا) قصر و (الفروج) الطّرق.

رأى اللّيل داغول عليه و لم يكن يكلّفه المعزى عظام المجاشم

(الغول) الموت و منه غالته غول.

أنخنا بهجر بعد ما و قد الحصى و ذاب لعاب الشّمس فوق الجماجم

و نحن بذی الأرطى يعيس ظماؤنالنا بالحصى شربا صحيح المقاسم

أی ليس فيه ضيم، أی لا يفضل فيه أحد على أحد.

شعر:

فلما تضاما فی الإداوه أجهشت إلى غضون العنبری الجراضم

(تضافی غضونه) عروق حلقه و ثنيه، و (الجراضم) الشّديد الأكل، و يروى: فلمّا تصافنا الإداوه، و (التّصافن): التّقاسم على الماء عند قلّته و ضيقه فی المفاوز.

و جاء بجلمود له مثل رأسه ليسقى عليه الماء بين الصّرايم

تشنّع عليه بهذا لأنّ المقله حصاه صغيره يقسم عليها.

فضاق عن الأثفيه القعب إذ رمى بها عنبریّ مفطر غير صائم

يريد أنّ (القعب) لم يسع الجلمود لعظمه.

و لمّا رأيت العنبریّ كأنّه على الكفل حرّان الضّباع القشاعم

أی المسان، و قيل الضّبع لا صبر لها على العطش.

صدى الجوف يهوى مسمعاه قد التظى عليه لظى يوم من القيظ جاحم

(جاحم): شديد، يهوى أى يجدد ما فى رأسه من العطش.

شددت له أزرى و خضخضت نطفهلصديان يرمى رأسه بالسّمائم

أى تحيات لأوثره على نفسه خوفا من أن يموت.

و قلت له ارفع جلد عينيك إنّماحياتك بالدّهنا و حيف الرّواسم

أمر صاحبه أن يشمّر للسّير أى حياتك فى قطع الطّريق.

شعر:

عشيّه خمس القوم إذ كان فيهم بقايا الأداوى فى النّفوس الكرائم

فآثرته لمّا رأيت الذى به على القوم أخشى لاحقات الملاوم

حفاظا و لو أنّ الإداوه تشترى غلت فوق أثمان عظام المغارم

على ساعه لو كان فى القوم حاتماعلى جوده ضنّت بها نفس حاتم

و كان كأصحاب ابن مامه إذ سقى أخا النّمر العطشان يوم الضّجاعم

(الضّجاعم): من منازل الفرزدق، شبّه الفرزدق بنفسه بكعب بن مامه الإيادى لما آثر العنبرى على نفسه، و ذلک أن كعبا نزل بموضع يقال وهب أو وهبين و قد اتّقد القيظ، و كان صديقه و رفيقه النّمرى فى سفرته فعطش القوم فاقتسموا و كاد النّمرى يهلک عطشا، فقال لساقى القوم: اعط أخاک النّمرى يصطبح، فجعل له الماء صبوحا لعزّه، و إنما يكون الصّبوح فى اللّبن و النّبيذ، ثم أعاد القوم القسم فنظر كعب إلى النّمرى قد غلبه العطش، و دارت عيناه فى رأسه، فقال لصاحب القسم: اعط أخاک النّمرى يصطبح، فآثره بشربته، ثم ثلّث السّاقى فآثره، و ارتحل القوم، فلما ركبوا الفلاه أناخ كعب ناقته و قال: يا قوم النّجاء أ لا ماء معكم فإنّى أحسّ الموت، فمات كعب و ارتحل أصحابه، و معهم نجيبته و سلاحه و متاعه فأوردوه أهله فقال أبوه و قد كتم بعض الخبر شعرا:

أ من نطف الدّهنا و قله مائهاذوات الرّمال لا يكلّمنى كعب

فلو أنّنى لاقيت كعبا مكسراأبأنقاء وهب حيث ركبها وهب

لآسيت كعبا فى الحياه التى ترى فعشنا جميعا أو لكان لنا شرب

و قال فيه:

ما كان من أحد أسقى على ظمأخمرا بماء إذا ناجودها بردا

من ابن مامه كعب ثم عى به زوء المنيّه إلا حره و قدا

يروى و قذا فيه:

وفى على الماء كعب ثم قيل له يا كعب إنّك ورّاد فما وردا

و يروى ورد كعب. و أما التّعاقب بها فمنه قول الفرزدق شعرا:

أقول لمغلوب أمات عظامه تعاقب أدراج النّجوم العوائم

ستدنیک من خیر البریّه فاعتدل سأقل نصّ الیعملات الرّواسم

و (تعاقب النّجوم): أن یوقّت القوم لمقدار مسیرهم وقتا فتلک عقبتهم، فإذا قضوها و دخلوا فی غیرها من أمثالها فتلک عقبه ثانیه، فإن دام ذلک منهم فذلک تعاقب أدراج الکواکب، و من ذلک سمّوا الطّریق مدرجه، و من هذا قول الرّاجز یخاطب ناقته:

سامی سمامات النّهار و اجعلی لفلک ادراج النّجوم الأفل

و یقال للکوکب الذی یعاقب به: معقب. فقال ذو الرّمه یذکر المطایا و دوام سیرها:

إذا اعتقبت نجما و غاب تسحّرت علاله نجم آخر اللّیل طالع

جعل السّیر سحورا لها فی الآخر، کما جعلها غبوقا لها فی الأوّل. و قال الرّاعی و ذکر إبله:

أری إبلی تکالأ راعیاهامخافه جارها طبق النّجوم

(تکالأ): تحارس و قوله: (طبق النّجوم) أی اللّیل کلّه فتکالؤها طبق النّجوم و هو درج النّجوم. و من هذا قول الآخر:

و لا العسیف الذی یشتدّ عقبهحتی یبیت و باقی نعله قطع

و قال بعضهم:

فأصبحن لا یترکن من لیله السّری لذی الشّوق إلّا عقبه الدّبران

کأنهم جعلوا لمدی سراهم طلوع نجوم معلومه، و کان الدّبران آخرها، فقضوا عقب تلک النّجوم کلّها إلّا عقبه الدّبران، فإنّهم قطعوا السّیر حین بلغوه، و کان المشتاق یهوی ألّا یقطعوه و قال حمید بن ثور شعرا:

قد لاحه عقب النّهار و سیره بالفرقدین کما یلاح المسعر

الباب السادس و الأربعون فی صفه ظلام اللّیل و استحکامه و امتزاجه

قال النّضـر: سـدف اللّیل: ظلماؤه و ستره، و قـد أسدف علینا اللّیل أی أظلم، و قال غیره: السّدف و السّدفه بقیّه من سواد اللّیل فی آخره مع الفجر. و قال الأصمعیّ: السّدف الظّلمه. قال العجّاج: و أقطع اللّیل إذا ما أسدفا. و السّدف: الضوء أیضا. قال أبو داود:

فلمّا أضاءت لنا سدفهو لاح مع الصّبح خیط أنارا

و قال الدّریـدی: کلّ العرب یسـمّی الظّلمه سـدفا إلّا هوازن فإنّها تقول: أسدفی لنا أی أسـرجی لنا، فکأن السّدفه عندهم اختلاط بیاض الصّبح بباقی سواد اللّیل و ذلک عند سائر العرب (الغطاط و الغبش) بقیه من سواد اللّیل فی آخره و الجمیع أغباش. قال ذو الرّمه:

أغباش لیل تمام کان طارقه تطخطخ حتّی ماله جوب

و یقال: غبش اللّیل و أغبش.

و یقال: غسا اللّیل غسوا و غسـی غسّا، و أغسی اللّیل أیضا إذا أظلم. و یقال لمن أراد السّفر اغس من اللّیل شیئا ثم ارتحل أی أقم ساعه.

و یقال للظّلمه و الآمر غیر الرّشـید عشوه و عشوه و عشوه و تعشّیتنی أوطأتنی عشوه، و أعشـینا دخلنا فی الظّلمه، و العشواء بمنزله الظّلماء، و یقال: هو فی عشواء من أمره.

و (الغطش) السّدف و قد أغطش اللّیل و غطش أیضا.

و أغسـینا: أمسـینا. قـال الأصـمعی: أغسـی اللّیـل و غسـی یغسـی و غسـا یغسـو، غسـوا، و هو مسـاؤه و اختلاـطه. و حکی أبو بکر الدّریدی عن الأصمعی قال: قلت لأبی عمرو أ تقول غس اللّیل یغسی؟ فقال: سمعت أعرابیا منذ ستین سنه ینشد:

کأنّ اللّیل لا یغسی علیه إذا زجر السّبنداه الأمونا

و هذا من غسى يغسى، و سمعت بعد ذلك لسنين منشدا ينشده شعرا:

فلمّا غسى ليلى و أيقنت أنّهاهى الأرباء جاءت بأمّ حبو كرا

فهذا من غسى يغسو. ثم سمعت رويتكم ينشد. (و مر أيام و ليل مغس) فهذا من غسى يغسى.

و يقال: ليل دامس: و هو الأسود الذى ألبس كلّ شى ء و قد دمست ليلتك تدمس دموسا. و أنشد:

لو كنت أمسيت طليحا ناعسالم يلق ذا روايه درابسا

يسقى عليها أغنما خوامسايحتاب موماه و ليلا دامسا

و شركا من الطّريق دارسايحمل سوطا أو وبيلا يابسا

(الوبيل): الهراوه و أصل (الدّمس): التّغطيه. و أنشد الفرّاء عن الكسائى شعرا:

إذا ذقت فاها قلت علق مدمس أريد به قيل فغودر فى سأب

أراد (بالعلق) الخمر و (المدمس) المغطى و (القيل) الملک و (السأب) الزّق.

و يقال: غلسنا الماء أى أتيناه قبل الصّبح بسواد من اللّيل و جنوح اللّيل إذا ذهب معارف الأرض لظلامه.

و جنون اللّيل إظلامه، و يقال: جنّ علينا اللّيل. النّضر يقال: تطخطخ اللّيل و أظلم فى غيم و غير غيم إذا لم يكن فيه قمر، فإن كان فيه قمر فجاء غيم و ذهب بضوئه فقد تطخطخ أيضا، و ليله طخياء، و قد طخطخ اللّيل على فلان بصره أى تركه لا يبصر من ظلمته، و تطخطخ بصر فلان: أى عمى.

و يقال: تدحرج اللّيل أيضا: و هو اختلاطه و ظلماؤه كان فيه غيم أو لم يكن و تدحرجت الظّلماء و أنشد:

حتى إذا ما ليله تدحرجاو انجاب لون الأفق البرندجا

و يقال: ليله غدره و مغدره: بيّنه الغدر إذا كانت شديده الظّلمه، و فى الحديث:

«المشى إلى المسجد فى اللّيله المغدره يوجب كذا و كذا».

و ليله دامجه و ليل دامج و خدارى قال يعقوب: الخداريه الظّلماء الشّديده السّواد البهيم، و يقال: ليلتک هذه خداريه قال العجّاج:

و خدر اللّيل فيجتاب الخدر

و يقال: غطا اللّيل يغطو إذا ألبس كل شى ء. و كل شى ء ارتفع فقد غطا. و كذلك: دجا اللّيل يدجو إذا ألبس كلّ شى ء، و تدجّى أيضا و أدجى. قال يعقوب: و ليس هو من الظّلمه إنّما هو من الاشتمال. و قال الأصمعى: و دجا شعر الماعزه: إذا ألبس بعضه بعضا.

و أنشدنى أعرابى أبى مذ دجا الإسلام لا يتجنّف. و قال: و تدجّى بعد نور، و اعتدل، و قال غيره: ليله داجيه سوداء. و أنشد فى أدجى شعرا:

إذا اللّيل أدجى و استقلّت نجومه و صاح من الإفراط هام جواثم

و قال نضر: الدّجى دجى الغيم و هو أن لا ترى قمرا و لا نجما، لأنّ السّحاب يواريه و لا يكون الدّجى إلا باللّيل، و هذه ليله دجى، و ما زلنا نسير فى دجى حتى أتيناكم أبو زيد غمى مثل كسلى إذا كان على السّماء غمى مثل رمى، و غمّ و هو أن يغمّ عليهم الهلال، و ليل دجوجى قال:

و ليل دجوجى تعسّفت هوله بلا صاحب إلا الحسام المذكّر

(غيره): ليله مدلهمه: مظلمه، و ديجور و ديجوج. و الطّرمساء الظّلمه. يقال: أطرمس اللّيل أى أظلم. و قال الدّريدى: الطّرمساء تراكب الظّلمه و الغبار. و منه طرمس اللّيل و طرسم. و يقال: الطّلمساء أيضا. و أنشد فى ليله طخياء طرمساء. و الطّرمسه و الطّلمسه و مرّ طرمساء من اللّيل: أى قطعه عظيمه. و حكى أبو حاتم طرفساء أيضا.

و الغيهب نحوه، و العلجوم الظّلمه و كل شى ء أسود. قال ذو الرّمه: ظلماء علجوم:

أى التى لا ترى معها من سوادها شيئا. و المسحنكك الأسود، و الملطخم مثله، الأموى ليله غاضيه شديده الظّلمه. يقال: ليل طيسل: مظلم، عن أبى عمرو ليل دحمس، قال أبو نخيله:

و ادّرعى جلباب ليل دحمس أسود داج مثل لون السّندس

(و الغردقه): إلباس اللّيل، يقال: غردقت سترها إذا أرسلته، و تأطم اللّيل ظلمته.

(و ليله مطلخمّه): و قد اطلخمّت علينا الظّلمه فما يبصر منها شيئا.

يقال: ليله بهيم لا يبصر فيها شى ء، و ليال بهم. و الحندس: اللّيل الشّديد الظّلمه.

يقال: حندس اللّيل و ليال حنادس قال شعرا:

و ليله من اللّيالى حندس لون حواشيها كلون السّندس

و يقال: ليله طخياء: بيّنه الطّخاء، و ذلک إذا کان السّحاب بعد قمر، فاشتدّت الظّلمه

فطخا اللّيل، و سرنا إليكم فى ليال طخى، قال الرّاجز:

و ليله طخياء ترمعل فيها على السّارى ندىّ مخضل

ترمعل: يسير يقال أرمعل دمعه: سال.

و يقال: ظلمه ابن جمير، و فحمه ابن جمير: للّيله التى لا يطلع فيها القمر.

قال: نهارهم ليل بهيم، فإن كان بدرا فحمه ابن جمير رماهم بالتلصّص و التّغيب بالنّهار، و قال ابن زهير:

و إن أغار فلم يحلى بطائلهفى ظلمه ابن جمير ساور القطما

قوله: لم يحلى: أتى بالفعل على التمام. و ذكر بعضهم أنّ ابن جمير: اللّيل المظلم لاجتماع النّاس إلى منازلهم. و ابن ثمير: اللّيل المقبل، لأنّه يثمر انبساط النّاس للحديث و غيره من التّصرف. قال: و هذا من قولهم: هذا جمير القوم أى مجتمعهم و شعر مجمر أى مضغور و مجمور، و أجمروا على الآلاء أى أجمعوا.

و ليله معلنكسه؛ أى مظلمه، و ليله ظلماء ديجور، و هى الدّياجير أى الظّلمه و ليل عظلم أى مظلم. قال:

و ليل عظلم عرّضت نفسى و كنت مشيّعا رحب الذّراع

و يقال: أغضن اللّيل و أغضى و أغضف و طلخم و ادلهمّ و روق.

و يقال: أرخى رواقيه و سجوفه و سدوله.

و غسق اللّيل: ظلمته، و منه قول عمر حين غسق اللّيل على الضّراب أى انصبّ.

و سجو اللّيل إذا غطّى اللّيل النّهار، و يقال: هو من التّسجيه، كقولك سجيه بالثّور.

قال:

يؤرّق أعلى صوتها كلّ فائح حزين إذا ليل التمام سجالها

و حكى قطرب الغبس بعد الفحمه. و قال الخليل: هو لون الذّئب، يقال: ذئب أغبس و ليل أغبس، و غبس اللّيل و أغبس. و عسعس اللّيل إذا أظلم و إذا أدبر.

قال قطرب: هى من الأضداد، و حقيقه ذلك أنّها طرفاه، فهذا ما ذهب عن معظمه.

و قال ابن عبّاس: و اللّيل إذا عسعس أى أدبر. و قال علقمه:

حتّى إذا الصّبح لنا تنفّساو انجاب عنها ليلها و عسعسا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق وفتيهفوارط فى أعجاز ليل معسعس

و قال آخر:

قوارب من غير دجن مسسامدّرعات اللّيل لمّا عسعسا

و الشّميط: بياض الصّبح فى سواد اللّيل و هو عندنا مشبّه بالشّيب، و قد قيل فى الثّلاث من آخر الشّهر الدّادى، ثم جعل دادى صفه لشدّه ظلمتهن كما قيل: حنادس ثم قالوا: أسود حندس.

و يقال: إنّ عليك ليلا أغضف، و هو الذى علا كل شى ء، و ألبسه، و قد تغضف علينا اللّيل أى ألبسنا و أظلم علينا.

و يقال: إنّ عليك ليلا مرجحنا، و هو المجلّل و الملبس و قد أرحجن اللّيل.

و ليل اثجل: أى واسع و ليله ثجلاء، و يوم اثجل.

و عكمس اللّيل: أظلم، و هو عكامس و عكمس متراكم الظّلمه كثيفها.

و أدلمس اللّيل: و ليل دلامس: مظلم.

و حكى الدّريدى: طرشم اللّيل و طرمش أظلم، و غطرش اللّيل بصره و غرطش: أظلم عليه.

و الغيطل: اختلاط ظلمه اللّيل و اختلاط أصوات النّاس و اشتقاقه من الغطل: و هو تغطيه الشى ء، يقال: غطلت السّماء يومنا و أغطلت إذا أطبق دجنها.

و يقال: أتانا حين وارى دمس دمسا و حين سد اللّيل كلّ خصاص و دارى كل جداد.

و أنشد:

و اللّيل غامر جدادها دجاحين قلت أخوك أم الذّئب

و يقال: ليل أدعج، و يقال: التفت غياطل اللّيل، و اسحنكك عساكره و تلاحزت المسالك به، و ذلك تراكم الظّلمه و معنى تلاحزت: تضايقت.

و شجيج لحز: أى ضيق. و الفتل إظلام الأرض من النّخل و الشّجر.

و يقال: غتل يغتل غتلا حكاه الدّريدى. و قال أبو مالك: السّديم الرّفيق من الضّباب.

و أنشد شعرا:

و قد حال ركن من أحيمر دونهم كأنّ ذراه جلّلت بسديم

و الجنان ذكر بعضهم فى أسماء اللّيل. و أنشد:

و سارى جنان مقفعل بناته رفعت بضوء ساطع فاهتدى ليا

يعنى رجلا أقوى فاستنيخ فأوقد له نارا ليهتدى بها، و قال غيره: جنان اللّيل ظلمته و أنشد:

و لو لا جنان اللّيل أدرك ركضنابذى الأثل و الأرطى عياض بن ناشب

و حكى عمرو عن أبيه قال: سمعت أعرابيا يقول: ما زلت أتعسف الهولول حتى سطع الفرقان، قلت: ما الهولول؟ قال: ظلمته. قلت: و ما الفرقان؟ قال: الصّبح.

و حكى سلمه عن الفرّاء عن الكسائى قال: لم يسمع فى الألوان فعلول إلّا هذا، و حلكوك، قال ثعلب: قلت: ذلك لابن الأعرابى فوافقه.

و يقال: أطم الدّجى و أقفل باب النّور بالظّلمه قال:

بدا لى كملتاح الجناحين و الدّجى مطم و باب النّور باللّيل مقفل

و قالوا: قسوره اللّيل: شدّته، و قسوره، و قال توبه بن الحمير: و قسوره اللّيل الذى بين نصفه و بين العشاء قد أذابت أسيرها، و قيل فى قوله تعالى: فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ [سوره المدّثّر، الآيه: ۵۱] إنّه الأسد، و قيل: أريد به الرّماه و أنشد:

و قسوره أكتافهم فى قسيّهم إذا ما مشوا لا يغمزون من النّساء

و يقال: دبر اللّيل دبورا و أدبر فدبر: ذهب و أدبر ولّى، و قيل: أدبر أخذ به فى النّقص، و كما قيل: دبر و أدبر بمعنى قبل قبل و أقبل. و قال ابن عباس: إنمّا هو و اللّيل إذا دبر. فأما أدبر: فإنما يقال: أدبر: ظهر البعير و قرأه زيد إذا أدبر، و يقال: دبرنى أى جاء من خلفى.

الباب السّابع و الأربعون فى صفه طول اللّيل و النّهار، و قصرهما و تشبيه النّجوم بها

و يقال: متح اللّيل و هو يمتح متحا إذا طال و كذلك النّهار.

و منه قولهم: بيننا و بينهم كذا فرسخا متحا أى مدّا و فرس متاح مداد.

و سرنا فى ليله عكامسه و عكمسه أى طويله، حكاه أبو حاتم قال: و يقال: عكر عكامس أى كثير من الإبل.

و يقال: يوم اثجل أى واسع و ليله ثجلاء، و منه الثجل فى الخاصره و ليل التّمام فى الشّتاء أطول ما يكون اللّيل، و يكون لكلّ نجم أى يطول اللّيل حتى تطلع النّجوم كلّها فى ليله واحده. قال: و سمعت أبا عمرو يقول: إذا كان اثنتى عشره ساعه فما زاد فهو ليل التّمام. و أنشد:

لقد طرقت دهماء و البعد دونهاو ليل كأثناء اللّقاع بهيم

على عجل و الصّبح تال كأنّه بأدعج من ليل التّمام بريم

فجعل ليل التمام للطّويل من اللّيالى خاصه آخر.

كأنّ شميط الصّبح فى أخرياته ملاء تجلى عن طيالسه خضر

تخال بقاياها التى أسأر الدّجى تمدّ و شيعا فوق أرديه الفجر

و يقال: أغضب و هو انثناؤه و طوله و اجتماعه و إقباله.

و حكى أنّ عليك ليلا أغضف، قال العجّاج: فانغضفت بمرحجن أغضفا.

(و المرحجن): الطّويل الثّقيل، و قال الدّريدى: ذكر أبو عبيده أنّ المتلهب و المتمهل مثل المسجهر و هو امتداد اللّيل و غيره. و حكى ثعلب عن رجاله قالوا: ليل التّمام فى الشّتاء أطول ما يكون لكل نجم طويل أى يطول اللّيل حتى تطلع النّجم كلّها و قال أبو عمرو

الشّيبانى وحده إذا كان ظلمته خالصه فهو الخيط الأسود، و إذا خلص ضوؤه فهو الخيط الأبيض. و البريم و الشّميط إذا اختلط، و فى القرآن: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۷].

و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى قال: ما كان من الأجسام و المعاين من الأشياء فهو التّمام بالكسر الفصيح العالى، و يجوز التّمام بالفتح و ما كان من الكلام و الأفعال و ما شاكلها فهو التّمام بالفتح لا يجوز غيره، يقال: ليل التّمام و التّمام و قمر التّمام و التّمام و ولدته للتمام و التمام. فإذا جئت إلى الأفعال و الكلام قلت: تمّ الكلام تماما، و تمّ الأمر تماما، و إذا أردت أنّ القمر تمّ فى نفسه قلت: تمّ تماما و تم النّهار تماما و تمّ اللّيل تماما. و قال الأصمعىّ: لا يكسر التاء منه إلا فى الحمل و اللّيل و ما يجرى مجرى المثل طال علىّ اللّيل و لا أسب له أى لا أكن كالتّسبّى فأستطيله يدعو لنفسه أن لا يبتلى بما يطيل اللّيل عليه.

الأصمعى شهر المليساء أطول الشّهور عليهم، و أتعبها لهم، و يكون على أثر الصّفريّه و هو نجمان السّماك و الغفر، فهم يشتغلون فى أيام المليساء بأنفسهم و مواشيهم و مسيرهم، لأنّهم يحتاجون إلى إعداد المثاوى و البيوت و مأوى الإبل و الغنم و العنز و الحظائر، و الضّرب فى الأرض استعدادا للشّتاء.

و حكى الدّريدى: اجرهد النّهار أو اللّيل طال، و اجرهد بالقوم السّير: إذا امتدّ بهم ظلام و شده. و أنشد:

و ليله داجيه طخياءحالكه الإهاب و الرّداء

يضرب بالذّاهب وجه الجائى ابن المعذل:

أقول و جنح الدّجى ملبّدو للّيل فى كلّ فجّ يد

و يقال: عجبت من سرع ذلك الوقت، و من سريحه فى اللّيل و النّهار جميعا قال:

فيقولون: أدرك يومك أو ليلتك بربغه أى: بجنه و حدثانه، و هذا كما يقال: اتق النّاقه بجن ضراسها أى بحدثان نتاجها و سوء خلقها، و يدخل فى هذا الباب قول الشّاعر:

يكون بها دليل القوم نجم كعين الكلب فى هبى قباع

يعنى أنّ الكوكب بالظّلام تعصّب و بالقتام انتقب، فليس يظهر منه إلّا شفا و شبهه بعين الكلب: لدوام إغضائه و اتّصال نعاسه. و الهبى جمع هاب و هو الذى حال دونه الهباء.

و القباع: الدّواخل فى الظّلام.

و يقال: قبع القنفذ إذا أدخل رأسه فى قرونه قبوعا، و على هذا يقولون: تخاوصت

النّجوم و تخازرت. أبو تمام:

إليك هتكنا جنح ليل كأنّه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

أبو نواس:

أبن لی کيف صرت إلى حريمی و نجم اللّيل مكتحل بغار

فأمّا تشبيه النّجوم فبابه واسع إلا أنا نذكر منه ما يستحسن من شعر القدماء أو يستغرب من ذلك قول مهلهل:

أ ليلتنا بذی جسم أنيری إذا أنت انقضيت فلا تحوری

فإن يک بالذّنائب طال ليلی فقد أبكی من اللّيل القصير

و أنقذنی بياض الصّبح منهالقد أنقذت من شرّ كبير

كأنّ كواكب الجوزاء عوذمعطفه على ربع كسير

كأنّ بنات نعش ثانيات و فرقدهنّ مجتنب الأسير

تتابع مشيه الإبل الزّهاری لتلحق كلّ تاليه غيور

و تحنو الشّعريان إلى سهيل يلوح كقمّه الجمل الغرير

كأنّ الغدرتين مكفّ ساع ألحّ على تمايله ضرير

كأنّ التابع المسكين شيخ يزجّی أعنزا خلف الوقير

كأنّ النّجم إذ ولّی سحيرافصال جلن فی يوم مطير

كأنّ الفرقدين يدا مغيض يكبّ على مقاسمه الجزور

كأنّ مجره النّسرين نهج لكل طريقه تحدی و غير

و عارضهنّ ناحيه سهيل عراض مجرّب شكس غيور

كأنّ الجدی جدی بنات نعش يكبّ على اليدين كمستدير

كأنّ المشترى حسنا ضياءبنيق قاهر من فوق قور

و قال مضرس بن لقيط:

و ليل يقول القوم من ظلماته سواء بصيرات العيون و عورها

كأنّ لنا منه بيوتا حصينهمسوحا أعاليها و ساجا كسورها

قال ابن هومه:

و بنات نعش يبتدرن كأنّهابقرات رمل خلفهنّ جاذر

و الفرقدان كصاحبين تعاقداتالله تبرح أو تزول عتائر

و الجدى كالرّجل الذى ما إن له عضد و ليس له حليف ناصر

و تزاور العيّوق عن مجداته كالثّور يضرب حين عاف الباقر

و ترفّع النّسران هذا باسطيهوى لسقطته و هذا كاسر

و النّطح يلمع و البظين كأنّه كبش يطرده لحتف ثائر

و الحوت يسبح فى السّماء كسبحه فى الماء و هو بكل سبح ماهر

و كواكب الجوزاء مثل عوائدتمرى لهنّ قوادم و أواخر

و كأنّ مرزمها على آثارهافحل على آثار شول هادر

و تعرضت هادى السّعود كأنّهاركب تأوّب بطن تبع مائر

و بدا سهيل كالشّهاب مشبه راع على شرف العرينه ساير

و بدت نجوم بين ذاك كأنّهادرّ تقطّع سلكه متناثر

و قال أبو الأشهب الأسدى:

و لاحت لساريها الثّريا كأنّهالدى الأفق الغربىّ قرط مسلسل

قال الهيثم بن عدى: قال لى صالح بن حسان: أنشدنى أحسن بيت قيل فى الثّريا، قال قلت: بيت عبد اللّه بن الزّبير الأسدى رضى اللّه عنهما:

و قد خرم الغرب الثّريا كأنّهابه رايه بيضاء تخفق للطّعن

قال: أريد أحسن من هذا، قلت بيت امرئ القيس:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

قال: أريد أحسن من هذا، قلت بيت ذى الرّمه:

وردت اعتسافا و الثّريا كأنّهاعلى قمه الرأس ابن ماء محلّق

قال: أريد أحسن من هذا، قلت: بيت يزيد بن الطّثريّه

إذا ما الثّريا فی السّماء كأنّهاجمان و هی من سلكه فتبدّدا

قال: أريد أحسن من هذا، قلت: قول أبی قيس بن الأسلت:

و قد لاح فی الصّبح الثّريا لمن يری كعنقود ملاحيه حين نوّرا

و قال الفرزدق:

كليل مهلهل ليلی إذا ماتمنّی اللّيل ذو الليل القصير

تهامی كأنّ شآميات جنحن لجانبيه إلی الغثور

كأنّ اللّيل يعطفه عليناضرارا أو يكرّ إلی نذور

كأنّ نجومه ليل تثنّى لأزهر فى مباركه عقير

و كيف بليله لا نوم فيهاو لا ضوء لساريها منير

و أنشد المبرّد:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت يراها الحديد العين سبعه أنجم

على كبد الجرباء و هى كأنّهاجبيره درّ ركبت فوق معصم

(الجبيره): الدستبنج العريض و شبه ابن الرّومى الثّريا فقال: و ذكر شعر امرأه:

يغشى غواشى قرونها قدمابيضاء للنّاظرين معتذره

مثل الثّريا إذا بدت سحرابعد غمام و حاسر حسره

فأخذه ابن المعتز فقال:

و أرى الثّريا فى السّماء كأنّهاقدم تبدّت من ثياب حداد

و قال كعب الغنوى فى الجوزاء:

و قد مالت الجوزاء حتّى كأنّهافساطيط ركب بالفلاه تزول

و لابن المعتز:

كأنّما الجوزاء فى أعلى الأفق أغصان نور أو وشاح من ورق

و له:

كأنّ نجوم اللّيل فى فحمه الدّجى رءوس مدار ركّبت فى معاجر

و له:

كأنّ سماءنا لمّا تجلّت خلال نجومها عند الصّباح

رياض بنفسج خضل نداه تفتّح بينها ورد الأقاحى

و له:

و رنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من نقاب أسود

و له:

تظلّ الشّمس ترمقنا بلحظمريض مدنف من خلف ستر

تحاول فتح غيم و هو يأبى كعنّين يحاول فضّ بكر

آخر:

ما ذقت طعم النّوم لو تدرى كأنّ جنبى على جمر

فى قمر مسترق نصفه كأنّه مجرفه العطر

و آخر:

و البدر يأخذه غيم و يتركه كأنّه سافر عن خدّ ملطوم

و قال امرؤ القيس:

نظرت إليها و النّجوم كأنّهامصابيح ركبان تشبّ لقفّال

و قال محمد بن يزيد بن مسلمه:

لمّا تراءى رخل ذات عشاء فمتع

و أخمس النّسرين شخص الرّدف بالحمل الذّرع

أطار نسرا واقعاو طائر النّسر يقع

فردا و وافى سيره و سار هذا اقشع

و عن سعد ذابح يتبعه سعد بلع

و سعد سعد بعده يسعد سعد ذو تبع

دافع ذا ذاک و ذادافع هذا فاندفع

أما مهار أم إذاأعرق فى فوق نزع

يتلو نعاما وارداو صادرا حيث سکع

يطير ما طردن فإن وقعن فى الأرض وقع

و عقرب يقدمهاكليلها حيث دسع

لها مصابيح دجى تحكى مصابيح البيع

يتلو الزّبانى فإذاجد بها السّير طلع

و وارن الكفّ التى فيها خضاب قد نصع

قال الدّليل عرّسوافليس فى صبح طمع

هذا ظلام راكدما للسّرى فيه نجع

و العيس فى دويّه تعمل فيها و تدع

ممتده أعناقهاللورد عن غبّ التّسع

فإنّها سفائن يولج فى الموج الدّفع

فقلت سدّد قصدهالا كنت من نكس ورع

أما ترى غفر الزّبانى ساجدا أو قد ركع

و قبل ذاک ما لحاضوء السّماک فخشع

و انتشرت عوّاؤه تناثر العقد انقطع

حتّى إذا الكبش ارتعى رغاؤه ثمّ نقع

تتابع الخيل جرت فيها مذک و جذع

يعيد فى خافاتهاهينمه ثم سطع

شعر:

كلمعه البرق اليمانى إذا البرق لمع

أو سلّه السّيف انتضى سلته القين الصّنع

فى نقبه ينسجهابيضاء ما فيها لمع

و انهزمت خيل الدّجى تركض من غير فزع

و الصّبح فى أعراصهايخبّ طورا و يضع

فقلت إذ طار الكرى عن العيون و انقشع

لمّا بدا فى رحله نشوان من غير جرع

ليس المذكّى سنهفى الحرب كالغمر الضّرع

قال أبو الحسن العلوى الأصبهانى:

كأنّ سهيلا و النجوم أمامه يعارضه راع و راع قطيع

إذ قام من ربائه قلت راهب أطال انتصابا بعد طول ركوع

قال آخر:

فإذا كانت الشّعرى العبور كأنّهامعلق قنديل عليه الكنائس

و لاح سهيل من بعيد كأنّه شهاب ينجيه عن الرّيح قابس

و قال آخر:

سريت على الجوزاء و هى كأنّهاشمائل رقاص تميل مناطقه

قال محمد بن عبد الملك:

كأنّ كواكب الجوزاء لمّاسئمت تعرضت بالمنكبين

أخو حرب تقلّد قوس رام و قلّد خصره بقلادتين

قال العلوى الأصبهانى فى النّسر شعرا:

و ركب ثلاث كالأثافى تعاورروادجى اللّيل حتّى أومضت سنه الفجر

إذا جمعوا سميتهم باسم واحدو إن فرّقوا لم يعرفوا آخر الدّهر

و قال أبو النّجم فى إصغاء الشّمس للمغيب:

صب عليه قانص لمّا عقل و الشّمس قد صارت كعين الأحول

و لابن الرّومى فى طلوع الشّمس من خلل السّحاب:

ظلّت تسترنا و قد بعثت ضوءا يلاحظنا بلا لهب

قال ذو الرّمه فى مثله و هو يصف امرأه:

تريك بياض لبّتها و وجهاكقرن الشّمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصه فبدا كليلاكلا و انفلّ سائره انفلالا

قال آخر فى داره الشّمس:

و الشّمس معرضه تمور كأنّهاترس يقلّبه كميّ رامح

و أنشد ثعلب:

كأنّ ابن مزنتها جانحافسيط لدى الأفق من خنصر

و قد تركنا تقصّى الباب لأنّ فى هذا القدر كفايه.

الباب الثامن و الأربعون فی ذکر السّراب، و لوامع البروق، و متخیّلات المناظر و وصف السّحاب

(السّراب): هو الذی یتلألأ نصف النهار کأنّه ماء، لازقا بالأرض و هو الآل و قیل الآل یکون ضحوه، و السّراب نصف النّهار. و فی القرآن: کَسَرابٍ بِقِیعَهٍ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّی إِذا جاءَهُ لَمْ یَجِدْهُ شَیْئاً [سوره النّور، الآیه: ۳۹] و قیل فی الفرق بینهما: إنّ الآل هو الذی یرفع کلّ شی ء، و سمّی الآل لأنّ الشخص هو الآل، فلما رفع الشّخص قیل هذا آل. قال الأعشی:

حتّی لحقناهم تعدی فوارسناکأنّنا رعن قف یرفع الآلا

و قیل: هـذا من المقلوب، أراد کأنّنا رعن قف یرفعه الآل، و الآل یرتفع عن وجه الأرض، و اللّعاب الذی یتساقط من السّـماء کأنّه زبد فی مرأی العین و یسمی ریق الشّمس.

قال:

یثرن الثّری حتّی یباشرن برده إذا الشّمس مجّت ریقها بالکلاکل

و یلمع اسم السّراب، و فی المثل: إنما أنت یلمع.

و یقال لبرق الخلّب: یلمع أیضا و لذلک قیل: أکذب من یلمع، و الیلامع من السّلاح:

ما برق نحو البیضه، و لا معا المفازه جانباها.

و یقال: ما بها لا مع أی أحد، و (الرّقراق) مثل السّراب و قیل رقراق السّراب ترقرقه.

قال الشّاعر:

یدوم رقراق السّراب برأسه کما دوّمت فی الأرض فلکه مغزل

و قـد صـحا السّـراب أی انکشف و مصح الآل و تسـعسع و الذی تراه فی الشّـمس کأنه خیط ممتد یقال له مخاط الشّـیطان. و قد کنّی عن السّراب بأبوال البغال قال شعرا:

و حمیر أبوال البغال بأنّنی تسدیت و هنا ذلک البینا

قال بشر يصف إبلا:

فقد جاوزن من غمدان أرضالأبوال البغال بها وقيع

يطان بها فروث مقصرات بقاياها الجماجم و الضّلوع

و إنّما قالوا ذلک لأنّ البغال لا تتناسل فلا ينتفع بأبوالها كما لا ينتفع بالسّراب.

و يقال: فلان كثير البول إذا كان كثير، و (الوقيع) الخضر تكون فى الأرض.

و قال ابن الأعرابى: البغال باليمن، فبيّن أنّ هذه الأرض تكون باليمن.

قوله بطان: يعنى قوائم النّاقه، و المراد بالأرواث كروش إبل قصرن عن السّير فتركت مخلفات فأكلهنّ السّباع.

و يقال للسّراب المسجهر الكذوب اللّون. و قال ذو الرّمه يصف الأظعان:

توارى و تبدو لى إذا ما تطاولت شخوص الضّحى و انشقّ عنها غديرها

(الشّخوص): تطاول فى وقت الضّحى لأن السّراب يرفعها يقول تبدو لى الأظعان فى ذلک الوقت إذا رفعها الآل و توارى إذا انشقّ عنها غديرها، يعنى السّراب، و هذا الذى يشير إليه لتخيل الشّخوص فى المناظر، لذلک قال ابن أحمر:

و ازدادت الأشباح أخيلهو تعلّل الحرباء بالثّغر

و قال جرير

و من دونه تيه كأنّ شخوصهايحلن بأمثال فهنّ شوافع

و قال ذو الرّمه فى بيان السّراب يصف فلاه:

بها غدر و ليس بها بلال و أشباح تحول و ما تريم

تموت قطا الفلاه بها أواماو يحسر فى مناكبها النّسيم

قوله: (أشباح تحول): أى تتحرّک و لا تبرح بل يخيّل ذلک إليک. و قال الشّماخ و ذكر ناقه:

إذا شرفات الآل زالت و نصفت تناطح ضبعاها به و يداهما

قوله: نصفت: صار السّراب إلى أنصافها، و قوله: و يداهما: جعل اليدين للضّبعين و قال:

و حومانه زرقاء يجرى سرابهابمنسجه الآباط حدب ظهورها

(حومانه): أرض غليظه، و (المنسجه): المنصبّه أى ليست بضيقه الفروج و قال الكميت:

إذا ما الآل أعرض لم يجمح إلىّ بأعين الخوف الغيوب

(يجمح): ينظر نظرا شديدا، و (الغيوب): جمع الغيب و هو المتخفّض. و قال ذو الرّمه:

ترى الريعه القوداء منه كأنّهامناد بأعلى صوته القوم لامع

الرّيعه: هضبه و هى الجبل الصّغير المفترش مع الأرض، أى كأنّها فى السّراب، (مناد): يلمع بثوبه، و قوله يصف قنه. قوداء طائقها فى الآل محزوم الطّائق حرف شاخص فى القنّه و قوله: كأنّما الأعلام فيها سير. أى كأنّها تسير فى السّراب. قال جران العود و ذكر أرضا:

ببلقعه كأنّ الأرض فيهاتجهز للتّحمل و البكور

يريد أنّ السّراب يطرد فيها فكأنها تجهز. و قال ابن الدّمينه:

برماحه الأنضاد فماصه الصّوى تداوى المطايا من مروح العجازف

(الأنضاد): جمع النّضد و هو ما تراكم من الجبل. و (الصّوى): الأعلام و تقصمها فى السّراب.

قال أبو النّجم:

بمهمه سابغه جلاله ينفض فى العين الضّحى أسماله

أراد ينفض الضّحى أسمال السّراب فيما ترى العين و قال:

حتى إذا الأكم طفت فى آلهامثل طفو الحمّ فى آهالها

و قال:

إذا السّراب استشخص الأجذالاو اطّردت دياسقا أسمالا

و استنسج الآرام و التّلالا الأجذال: أصول الشجر، (و اطّردت دياسقه): و هو السّراب الأبيض و شبهه بأسمال الثّياب. قال ابن مقبل:

و يوم يقسّم ريعانه رءوس الأكام يغشّين آلا

ترى البيد تهدج من حرّه كأنّ على حزم راء بغالا

بغالا عقارى تغشّينه و كلّ تحمل منه فزالا

جعلها (عقارى): لأنّها لا تلد، و (ريعانه): أوّله، (تهدج): تتحرك يعنى أنّ الآل يتحرّك فكأنّ (بغالا) على كل شرف توجف. و لأبى ذؤيب:

يستنّ فى عرض الصّحراء فائزه كأنّه سبط الأهداب مملوج

و أنشد:

و نسجت لوامع الحرورسبائيا كسرق الحرير

فالمراد به السّراب يستدل من هذا البيت على أنّ السّرق يقع على الحرير الأبيض دون غيره. قال ذو الرّمه:

إذا تنازع جالا مجهل قذف أطراف مطّرد بالحرّ منسوج

تلوى الشّنايا بأحقيها حواشيه لى الملأ بأطراف التّفاريج

جعل أطراف السّراب المنسوج بالحرّ يتنازعها جانبا المفازه، و قد بالغ فى الإبانه و التّصوير. و هذا كما قال الرّاعى:

و إذا ترقّصت المفازه غادرت زبدا يبغّل خلفها تبغيلا

و يعنى بالزّبد حادى الإبل، و ما أوردناه فى السّراب و وجوه تشبيه كاف فى هذا الموضع.

فأمّا البرق: فإنّ الأصمعىّ قال: أحسن ما قيل فى وصف البرق و الغيث قول عدى بن الرّفاع:

فقمت أخبره بالغيب لم يره و البرق إذانا محزون له أرق

قال أبو نصر: كذا رويناه عن الأصمعى، و هذا مما يعد من تصحيفه. و رواه أبو عمر و الشيبانى و ابن الأعرابى و أبو عبيده. و البرق إذانا محزوله أرق: أى مشترف مراقب.

و تصحيح روايه الأصمعى:

لا كلفته فيه و بعده مرن يسبح فى ريح شآميه

مكلل بعماء ألماه منتطق

معنى (يسبح): يعرض و روى يسبح أى الرّعد. و قال:

ألقى على ذات أحقاد كلاكله و شتّ نيرانه و انجاب يأتلق

نارا يعاود منها العود حدّته و النّار تسفع عيدانا فتحترق

و بات تجتلب الجوزاء درتهابنوءها حين هاجت مربع نعق

يبكى ليدرك محلا كان ضيّعه يريق منبسط منه و مندفق

جون المسارب رقراق تظلّ به شم المخارم و الأثناء تصطفق

يكاد يطلع ظلما ثم يغلبه عز الشّواهق و الوادى به شرق

و يقال فى البرق: يشرى- و يومض- و يعن- و يعترض- و يوبض- و يستطير- و يستطيل- و يلمع- و يتبوج- و يخطف- و يخفو- و يبرق- و يتألّق- و يتلألأ- و يستشرى- و ينيض- و يخرق- و يسلسل- و يشتن- و يبتسم- و يضحك- و يبعق- و ينشق- و يرتعص- و يقرى- و يهص- و يثقب- و يلوّح- و يتهلّل- و يتكلّل. و مما يستحسن فى وصف البرق و خفائه، و الرّعد فى حدائه، و الثّلج و لألائه- قول بعضهم:

ينبض نبض العرق فى استخفاءكأنّه فى البعد و الخفاء

شراره تطرف من قصباءأو طرف طيرهم باقتداء

حتى إذا امتدّت على السّواءو رجفت بزجل الحداء

و قعقعت بالرّعد ذى الضّوضاءكأنّ بين الأرض و السّماء

رجل جراد ثار فى عماءأو سرعانا من دبا غوغاء

و كرسفا ينذف فى الهواءتطيره الرّيح على قواء

أو حلبا ينطف من أطباءأو رغوه تنفش من غرلاء

أو كتفى الفضّه البيضاءأو كانتثار الدّر ذى اللّألاء

أو كانتظام الودع فى الإخفاءفأشمطت الأرض على فتاء

و استوفت الآكام بالضّواء

و قال آخر:

و أرض أنست بأهوائهاو غيث سريت له إذ سرى

و شمت بوارق أقطاره فبرق يلوح و برق خبا

و بات يعجّ عجيج القطاو باتت بجوالقها تمترى

و قد هدأ الصّوت من غيره و دارك بين البكا و الفنا

و قلت له حين أبصرته يراوح بين الخسا و الزّكا:

أ أنت القطار أم أنت البحار أم أنت قاسم المرتجى؟

فأنبت ما لم يكن نابتاو قلع من نبته ما عفا

و لم تلبث الأرض أن صرّحت عن النور و اخصر أعلى الضّفا

و صار على الأرض من وبله قناع السّيول و إزر الربى

شعر:

تأزّرت الأرض ثم ارتدت من النّور حليا كساها الحيا

و صار سواء إذا جبتهامفاوز بربّها و القرى

قال العتابى:

أرقت للبرق يخبو ثمّ يأتلق يخفيه طورا و يبديه لنا الأفق

كأنّها غرّه شهباء لامحهفى وجه دهماء ما فى جلدها يلق

أو ثغر زنجيه تغترّ ضاحكهتبدو مشافرها طورا و تنطبق

أو غرّه الصّبح عند الفجر حين بدت أو فى المساء إذا ما استعرض الشّفق

له بدائع حمر اللّون هائلهفيها سلائل بيض ما لها حلق

و الغيم كالثّوب فى الآفاق منتشرمن فوقه طبق من تحته طبق

تظنّه مصمتا لا فتق فيه فإن سالت عزاليه قلت الثّوب منفتق

إن قعقع الرّعد فيه قلت ينخرق أو لألأ البرق فيه قلت تحترق

تستكّ من رعده أذن السّميع كمايغشى إذا نظرت فى برقه الحدق

فالرّعد صهصلق و الرّيح مخترق و البرق موتلق و الماء منبعق

غيث أواخره تحدو أوائله أرب بالأرض حتى ماله لثق

قد حاك فوق الرّبى نورا له أرج كأنّه الوشى و الدّيباج و السّرق

فطار فى الأنف ريح طيب عبق و نار فى الطّرف لون مشرق أنق

من خضره نبتها حمراء قانيهأو أصفر فاقع أو أبيض يقق

و لبعض بنى مازنه:

إذا اللّه لم يسق إلّا الكرام فاسق ديار بنى حنبل

ملثا مربا له هيدب صخور الرّواعد و الأزمل

تكركره حصحصات الجنوب و تفرغه هزه الشّمال

كأنّ الرّباب دوين السّحاب نعام تعلق بالأرجل

كأنّ الركيه من فيضه إذا ما بدا فلكه المغزل

قال على بن الجهم فى السّحاب شعرا:

و ساريه ترتاد أرضا تجودهاشغلت بها عينا قليلا هجودها

أتتنا بها ريح الصّبا و كأنّهافتاه ترجيها عجوزا تقودها

تميس بها ميسا فلا هى إن دنت نهتها و لا إن أسرعت تستعيدها

تقاربها فی کلّ أمر تریده لیسرح فی أکنافها من یریدها

إذا فارقتها ساعه ولهت له کأمّ ولید غاب عنها ولیدها

فلمّا أضرّت بالعیون بروقهاو کادت تصمّ السّامعین رعودها

دعتها إلی حلّ النّطاق فأرعشت یداها و خرّت سمطها و عقودها

و کادت تمسّ الأرض إمّا تلهفاو إمّا حذارا أن یضیع فریدها

فلمّا رأت حرّ الثّری متعقدابما زلّ عنها و الرّبی تستزیدها

و أنّ أقالیم العراق فقیرهاإلیها أقامت بالعراق تجودها

فما برحت بغداد حتّی تفجّرت بأودیه ما تستفیق مدودها

و حتّی رأینا الطّیر فی جنباتهاتکاد أکفّ الغانیات تصیدها

و حتّی اکتست من کل نور کأنّهاعروس علیها وشیها و برودها

و دجله کالدّرع المضاعف نسجهالها حلق تبدو و تخفی حدیدها

فلمّا قضت حقّ العراق و أهله أتاها من الرّیح الشّمال یریدها

فمرّت تفوت الطّیر سبقا کأنّهاجنود عبید اللّه ولّت بنورها

الباب التّاسع و الأربعون فی تذکّر طبّ الزّمان- و التهلّف علیه- و الحنین إلی الألّاف- و الأوطان

کنا قد ذکرنا فیما صدّرنا به هذا الکتاب ما أنشأ اللّه علیه الخلیقه من حبّ الوطن و السّکن، و ما درج إلیه أولی النّحل السّلیمه- و العقد الصّحیحه من الولوع بحفظ متقادم أعصارهم، بما اتّفق من سیر و حکم نخبهم- و أنه حبّب إلیهم ما یأثره القرن بعد القرن، منهم لیظهر من جلائل صنعه- فی کل حین و فوائد منحه علی کلّ حال ما توافق فیه الرّواه- و تلاحق به المدد و الأوقات.

و ذکرنا أیضا شیئا صالحا من علّه الحنین إلی الألّاف و الأوطان، و ما تأسّس علیه أسباب التّنافس و التّحاسد بین الرّجال، إلی انکشاف الأحوال عن التّراضی بینهم بمختلفات الأقسام، و إنّ جمیع ذلک حکمه بالغه من اللّه جلّ جلاله فی الأنام، فأحببنا أن نجدد هنا ما یتأکّد به ما تقدّم، أنشد المبرد شعرا:

لعمری لئن جلیت عن منهل الصّبالقد کنت ورّاد المشربه العذب

لیالی أعدو بین بردین لاهیاأمیس کغصن البانه النّاعم الرّطب

سلام علی سیر القلاص مع الرّکب و وصل الغوانی و المدامه و الشّرب

سلام امرئ لم تبق منه بقیهسوی نظر العینین أو شهوه القلب

قال أبو تمام:

إذا لا صدوف و لا کنود اسماهماکالمعنیین و لا نوار نوار

إذ فی القتاده و هی أنجل أیکهنمر و إذ عود الزّمان نضار

قال درید بن عبد اللّه:

حننت إلی ریّا و نفسک باعدت مزارک من ریّا و شعباکما معا

و أذکر أیّام الحمی ثمّ أنثنی علی کبدی من خشیه أن تقطّعا

تلفّت نحو الحيّ حتّى وجدتنى وجعت من الإصغاء ليتا و أخدعا

و ليست عشيات الحمى برواجع عليك و لكن خلّ عينيك تدمعا

أنشد أبو صالح الآمدى عن الأخفش:

سقى اللّه أياما لنا ليس رجّعاإلينا و عصر العامريّه من عصر

ليالى أعطيت البطاله مقودى تمرّ اللّيالى و الشّهور و لا أدرى

مضى لى زمان لو أخيّر بينه و بين حياتى خالدا آخر الدّهر

لقلت دعونى ساعه و حديثهاعلى غفله الواشين ثم اقطعوا عمرى

و قال آخر:

أقول لصاحبى و العيس تهوى بنا بين المنيفه فالضّمار

تمتّع من شميم عرار نجدفما بعد العشيّه من عرار

ألا يا حبّذا نفحات نجدو ريّا روضه بعد القطار

و أهلك إذا يحلّ الحيّ نجداو أنت على زمانك غير زار

شهور ينقضين و ما شعرنابأنصاف لهنّ و لا سرار

قال ابن الرّومى:

بكيت فلم تترك لعينك مدمعازمانا طوى شرخ الشّباب فودّعا

سقى اللّه أوطارا لنا و مآرباتقطّع من أقرانها ما تقطّعا

ليالى ينسين اللّيالى حسابهابلهنيه أقضى بها الحول أجمعا

على غره لا أعرف اليوم باسمه و أعمل فيه اللهو مرأى و مسمعا

قال معن بن زائده:

تمطّى بنيسابور ليلى و ربّمايرى بجنوب الدّير و هو قصير

ليالى إذا كلّ الأحبه حاضرو ما كحضور من يحبّ سرور

فأصبحت أمّا من أحبّ فنازح و أمّا الألى أقليهم فحضور

و إذ لا أبالى أن يضيّع سائس و يشقى بما جرّت يداه وزير

يحنّ إلى الألّاف قلبى و قلبه إذا شاء عن ألّافه لصبور

أبيت أناجى النّفس حتى كأنّمايشير إليها بالبنان مشير

لعلّ الذى لا يجمع الشّمل غيره يدير رحى جمع الهوى فتدور

فتسكن أشجانا و تلفى أحبهو يورق غصن للشّباب نضير

أراعى نجوم اللّيل حتى كأنّنى بأيدى العداه الثّائرين أسير

و له:

باد الهوى و تقطّعت أسبابه و صبا فعاود قلبه أطرابه

ذكر النّميرىّ الغوانى بعد مانزل المشيب و بان منه شبابه

و تذكّر اللّهو القديم فساقه أن شطّ بعد تقارب أحبابه

غشى المنازل بالسّليل فهاجه ربع تبدّل غيره أربابه

بانوا و ما من بين حىّ راحل إلّا له أجل يلوح كتابه

و لقد نراه للقتول و أهلهاجارا تمسّ بيوتهم أطنابه

صافت بوج فى ظلال كرومه حتى شتا و تصرّمت أعنابه

و تذكّرت متربّعا من أرضه بردت شمائمه و جال سحابه

كم قد أربّ بجوّه من معذق متهزّم قرد يطير ربابه

فمحلّها منه رواء مبقل هزج إذا ارتفع النّهار ذبابه

حلّ به ثمد و محضر بهجهحرما و أمنا حوله أنصابه

يهوى إليها العالمون كأنّهم قطع القطا متواترا أسرابه

إنّ الذى يهوى فؤادك قربه قد سدّ بالبلد الحرام حجابه

أنّى ينال إذا انتمت فى مشرف دون السّماء حصينه أبوابه

لجّ المتيم فى البعاد سفاههو البين ينعب ظبيه و غرابه

حتى إذا احتمل الحبيب تبادرت عيناه دمعا دائما تسكابه

إنّ امرأ كلفا بذكرك موزعاحقّ عليكم وصله و ثوابه

قد طال ما انتظر النّوال لديكم حتى استملّ و لامه أصحابه

لو تنطق العيس اشتكت ما عالجت من حبسها عند القتول ركابه

قال ابن مياده:

ألا ليت شعرى هل ابيتنّ ليلهبحرّه ليلى حيث ربينى أهلى

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و قطّعن عنى حين أدركنى عقلى

قال ابن الرومى:

و لى وطن آليت ألّا أبيعه و ألّا أرى غيرى له الدّهر مالكا

عهدت بها شرخ الشّباب و نعمهكنعمه قوم أصبحوا فى ظلالكا

و قد ألفته النفس حتى كأنّه لها جسد إن غاب غودرت هالكا

و حبّب أوطان الرّجال إليهم مآرب قضّاها الشّباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم عهود الصّبا فيها فحنّوا لذلكا

اعتل رجل فى غربته فتذكّر أهله فقال:

لو أنّ سلمى أبصرت تحدّدى و دقه فى عظم ساقى و يدى

و بعد أهلى و جفاء عودى عضّت من الوجد بأطراف اليد

قال أبو عنيه:

ألا خبّروا إن كان عندكم خبرأ تقفل أم نثوى على الهمّ و الضّجر

شعر:

نفى النّوم عن عينى تعوّض رحلهلها الهمّ و استولى بها بعدها السّخر

فإن أشكُ من ليلى ليلى طوله فقد كنت أشكو منه بالبصره القصر

فيا حبّذا بطن الحزير و ظهره و يا حسن واديه إذا ماؤه ذخر

و يا حسن تلك الباسقات إذا غدت مع الماء تجرى مصعدات و محدر

و يا حبّذا نهر الأبله منظراإذا مدّ فى إبانه النّهر أو جزر

و فتيان صدق همّهم طلب العلى و سيماهم التّحجيل فى المجد و الغرر

لعمرى لقد فارقتهم غير طائع و لا طيب نفسا بذاک و لا مقر

و قائله ما ذا نآى بک عنهم فقلت لها لا علم لى فسلى القدر

فيا سفرا أووى بلهوى و أنثى و نغّصنى عيشى عدمتک من سفر

و قال آخر:

أعلى اليأس أنت أم أنت راج كلّ همّ مصيره لانفراج

ما تغنّى القمرىّ إلا شجانى و غناء القمرىّ للقلب شاج

فلنوح الحمام يهتاج قلبى يا لقوم لقلبى المهتاج

و خليل سرى إلىّ و دونى سير شهرين للبغال النّواج

عامدا ما تراه يقظان عينى و هو فى النّوم لى ضجيع مناج

جعلت نفسه لنفسى على البعدمزاجا أحبب به من مزاج

كم بجرجان ليت شعرى مقامى و متى من غمومها أنا ناج

إنّ أشهى إلى منها مقام بين دار المنجاب و الحجاج

فى فتو من كل أيلج يكفى وجهه فى الظّلام فقد السراج

ربّ فاحفظهم و ردّ إليهم غرابتى يا مؤلف الأزواج

و قال آخر:

ألا ما لعينك لا ترقدو ما لدموعک لا تجمد

و ما بال ليلك ليل السّليم ساوره الحيّه الأربد

و خلّاك صحبك فى زفرهو همّ عنك فى غفله هجّد

فما لك من وحشه مؤنس و ما لك عند البكا مسعد

فقاس الهوى و تقرد به فأنت الوحيد به المفرد

مللت بجرجان طول الثّوى و بالبصره الدار و المولد

و كم لى بها من أخ أصيدنماه لمجد أب أصيد

مصابيح ليل إذا أشرقت يفرج عنه الدّجى الأسود

إذا النّاس غمّتهم أزمهفلم يبق كهل و لا أمرد

يؤمّل أو يرتجى رفده يعود بخير و لا يرفد

و لم يدر حرّان ذو درّيهإلى من بكربته يقصد

سواء إذا ازدحم الواردون أقربهم فيه و الأبعد

إذا ما التقوا و ثقوا عنده بأن لن يزادوا و لن يطردوا

و يغشون فى الحرب حوماتهاإذا شبّ نيرانها الموقد

و أعرضت الخيل مزورهسرابيلها العلق المجسّد

إذا وعدوا أنجزوا وعدهم و إن أوعدوا حان من أوعدوا

مواريث آباء آبائهم يورثها سيّد أسيد

فلو كان يخلد أهل الندى و أهل المعالى إذا خلدوا

متى ألقهم بعد طول المغيب أجدهم على خير ما أعهد

ألا ربّما طاب لى مصدرى لديهم و طاب لى المورد

شعر:

و إن يقدر اللّه لى رجعهفجدّى بقربهم الأسعد

و إلّا فلا حزنى منقض و لا حرّ نيرانه يبرد

فيا ساده النّاس أنتم مناى على بعد دارى فلا تبعدوا

و أقسم ما طاب لى بعدكم مقام و لا طاب لى مقعد

يغور هواى إذا غرتم و إن تنجدوا فالهوى منجد

ألا ليتنى جاركم بالعراق ما جاور الفرقد الفرقد

ألا أيّها النّاس إنّى لكم على خالد مشهد فاشهدوا

بکی من عتاب توالت به قواف یردّدها المنشد

فکیف إذا ما استحرّ الهجاءإذا لا یقوم و لا یقعد

قال محمد بن عبد اللّه بن ظاهر:

یا جبل السّماق سقیا لکاما فعل الظّبی الذی حلکا

فارقت أوطانک لأنّه فارقک الخلّ و لا ملکا

فأیّ أوطانک أبکی دماماءک أو طینک أو ظلّکا

أو نفحات منک تأتی إذادمع الندی تحت الدّجی بلّکا

حدّث الزّیدی قال: أخبرنا الزّبیر بن بکار قال: کانت ظبیه تحت محمد بن أبی بکر بن مسور و کانت ذات مال و لا مال له، فخرج یطلب الرّزق فلمّا کان فی موضع یقال له:

بلکثه، انصرف راجعا فدخل إلیها فقالت: الخیر رجعت فقال شعرا:

بینما نحن بالبلاکث فالقاع سراعا و العیس تهوی هویّا

خطرت خطره علی القلب من ذکراک و هنا فما استطعت مضیّا

و لو أنّ ما أهدین لی کان شربهببطن اللّوی من وطب راع شفانیا

و أنشد أبو بکر بن درید قال: أنشدنی أبو عمر أنّ الکلابی لرجل من قومه قال شعرا:

یحنّ إلی الرّمل الیمانی صبابهو هذا لعمری لو رضیت کثیب

فأین الأراک الدّوح و السّدر و الغضاو مستنجز عما یحبّ قریب

هناک تغنّینا الحمام و یجتنی جنا اللّهو یحلو لی لنا و یطیب

قال أعرابی:

أیا أثلاث القاع من بین توضح حنینی إلی أظلالکنّ طویل

و يا أثلاث القاع قد ملّ صاحبى ثوائى فهل فى ظلّكن مقيل

و يا أثلاث القاع ظاهر ما بداعلى ما بقلبى شاهد و دليل

و يا أثلاث القاع قلبى موكّل بكنّ و جدوى خيركنّ قليل

ألا هل إلى شمّ الخزامى و نظرهإلى قرقرى حتى الممات سبيل

قال أعرابى:

ألا حبّذا و اللّه لو تعلمانه ظلالكما يا أيّها الطّللان

و ماء كما العذب الذى لو شربته و بى صالب الحمّى إذا لشفانى

و أنشد الأخفش على بن سليمان:

اقرأ على الوشل السّلام و قل له كلّ المشارب مذ هجرت ذميم

سقيا لظلّك بالعشىّ و بالضّحى و لبرد مائك و المياه حميم

لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما فى فلاتك ما حييت لئيم

قال الرّياشى أنشدنى أعرابى:

سلّم على قطن إن كنت تاركه سلام من يهوى مره قطنا

قلت لبيك إذ دعانى لك الشّوق و للحاد بين كرا المطيّا

ثم كرّوا صدور عيس عتاق مضمّرات طوين السّير طيّا

ذاك مما لقين من دلج اللّيل و قول الحداه باللّيل هيّا

فقالت: لا جرم و اللّه لأشاطرنك ملكى فشاطرته.

قال أبو تمام:

و ما سافرت فى الآفاق إلّاو من جدواك راحلتى و زادى

مقيم الظّنّ عندك و الأمانى و إن تلفت ركابى فى البلاد

معاد البعث معروف و لكن ندى كفّيك فى الدّنيا معادى

و أين تجور عن قصد لسانى و قلبى رائح برضاك غاد

و مما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

قال البحترىّ:

أملى فيكم و حقّى عليكم و رواحى إليكم و ابتكارى

و اضطرابى فى النّاس حتى إذا عدت إلى حاجه فأنتم قصارى

قال أبو تمام:

كلّ شعب كنتم به آل وهب فهو شعبی و شعب كلّ أديب

إنّ قلبی لكم لكالكبدالحرّی و قلبی لغيركم كالقلوب

أبو عبد اللّه بن الأعرابی قال: أنشدتنی امرأه من أهل اليمامه لنفسها و كانت مرضت بمصر شعرا:

تحاشد جاراتی فجئن عوائداقصار الخطی تجر البطون حواليا

و جئن برمان و تين و فرسک و بقل بساتين ليشفين دائيا

شعر:

أحبّه و الذى أرسى قواعده حبّا إذا ظهرت أعلامه بطنا

فليتنا لا نريم الدّهر ساحته و ليته حين سرنا غربه معنا

ما من غريب و إن أبدى تجلّده إلّا سيذكر عند الغربه الوطنا

قال أعرابى:

لا و الذى إن كذبت اليوم عاقبنى و إن صدقتكم ربّى فعافانى

ما قرّت العين بالأبدال بعدكم و لا وجدت لذيذ النّوم يغشانى

و من المستحسن فى هذا المعنى قوله:

شيب أيام الفراق بمفارقى و انشزن نفسى فوق حيث يكون

و قد لان أيام اللّوى ثم لم يكدمن العيش شى ء بعدهنّ يلين

يقولون: ما أبلاك و المال غانم عليك و ضاحى الجلد منك كثير

فقلت لهم: لا تعذلونى و انظرواإلى النّازع المقصور كيف يكون

يعنى بالنازع المقصور: بعير حنّ إلى وطنه فقيّد مخافه أن يهيم على وجهه و هذا فى الإبل معروف لذلك قال القائل:

لا تصبر الإبل الجلاد تفرّقت بعد الجميع و يصبر الإنسان

قال:

هبت و ما فى الأفق منه قزعهو ليس منه أحد على أمل

فأنشأته قطعا تمت مازال و ما زالت به حتى اتّصل

و طأطأت بالأرض من أكتافه و سدّدت منه الفروج و الخلل

حتى إذا كان بعيدا فدناو كان فى السّير خفيفا فثقل

و أسمع الأصمّ صوت رعده و وقر السّمع الصّحيح و أعل

و أبصر الأكمه ضوء برقه و خطف الطّرف الحديد و أكل

و صرّ حتى قيل هذا حاصب من السّماء و عذاب قد أظل

و نحن مصنوع لنا مدبرفيه و لكنّا خلقنا من عجل

حلّت عزاليه بسرّمن رأى فلم تزل تعلّها بعد النّهل

إذا تلكا هتف الرّعد به و أومضت فيه البروق فهطل

ليل التّمام و النّهار كله متّصلا مذ غدوه حتى الأصل

فما دنا حتّى اتّقى النّاس أذى إفراطه و قالت الأرض بجل

شرقت فيما ضرّ منه أهله و ما شركت فى السّرور و الجذل

و لا نقعت غله بمائه فى معشر قد نقعوا به الغلل

و لا أجلت الطّرف فى رياضه و لا أسمت السّرح فى الوادى البقل

و لا تحملت له صنيعهيشملنى مرفقها فيمن شمل

إلّا بتحميل السّلام سيله إلى مدينه السّلام إن حمل

إلى بلاد جلّ إخوانى بهاو من أعزّ من صديق و أجل

خرج عوف بن محلم مع عبد اللّه بن طاهر إلى متصيّد، فكان عبد اللّه يحدثه و سمعه يثقل عن الاستماع فانبرى يقول شعرا:

إنّ الثّمانين و بلّغتهاقد أحوجت سمعى إلى ترجمان

و أبدلتنى بشطاط الخناو كنت كالصّعده تحت السّنان

و عوّضتنى من زماع الّذى و همّه همّ الدثور الهدان

فتهت بالأوطان وجدا بهاو بالفوانى أين منى الفوان

و صرت ما فىّ لمستمتع إلّا لسانى و بحسبى لسان

أدعو به اللّه و أثنى به على الأمير المصعبى الهجان

و قرّبانى بأبى أنتمامن وطنى قبل اصفرار البنان

و قيل ينعانى إلى نسوهأوطانها حرّان فالرّقتان

سقى قصور الشّاذياخ الحيامن بعد عهدى و قصور الميان

الباب الخمسون فی ذکر أنواع الظّل و أسمائه و نعوته

و یقال: ظلّ و فی ء و تبع فجمع ظل ظلال و ظلول و جمع الفی ء أفیاء و فیوء.

تتبع أفیاء الظّلال عشیهعلی طرق کأنّهنّ سبوت

و قال آخر:

فسلام الإله یغدو علیهم و فیوء الفردوس ذات الظّلال

و إنما قال: أفیاء الظّلال، فأضاف الفی ء إلی الظّل، لأنّه لیس کلّ ظل فی ء و کلّ فی ء ظل و کان رؤبه یقول: الظّل ما نسخته الشّمس و هو أول، و الفی ء ما نسخته الشمس و هو آخر.

و قالوا: الظّل بالغداه و العشی، و الفی ء بالعشی. و قال أبو حاتم: الظّل یکون لیلا و نهارا، و لا یکون الفی ء إلّا بالنّهار، و هو ما نسخته الشّمس ففاء و کان من أوّل النّهار و لم تنسخه. قال الشاعر:

فلا الظّل من برد الضّحی نستطیعه و لا الفی ء من برد العشیّ نذوق

و قال:

لعمری لأنت البیت أکرم أهله و أقعد فی أفیائه بالأصائل

و التّبع: الظّل بالغداه و العشی. قال الشّاعر:

نرد المیاه حضیره و نفیضه ورد القطاه إذا استمال التّبع

و إذا کان الظّل تاما لم ینقص و لم تنسخه الشّمس قیل: ظل دوم و دائم. قال: شتّان هذا و العناق و النّوم و المشرب البارد و الظل الدّوم.

و هذا کقوله تعالی: إِنْ أَصْبَحَ ماؤُکُمْ غَوْراً [سوره الملک، الآیه: ۳۰] أی غائرا- و ظلّ

رفق و مسترفق، و جلس فى أرفق الظّل و ظلّ ممدود و مديد، و ظلّ واصب- و ظلّ ساكن.

و ظلّ راتب راسب و معتد و عتيد. و ظلّ أمم و عمم، فإذا كان كشيفا ثخينا لم تنسخه الشّمس أو نسخته و وفرته. قيل ظلّ قوى- و كشيف- و ثخين رصين- و سجس- و وارف- و وريف.

قال:

غدا تحت فينان من الظّل وارف

و ظل واف ضاف- و ظلّ سابغ- و ظلّ و حف نعف- و ظلّ- واعد- و صادق- و موثوق- و ظلّ- مظلّ- و ظليل و ظلّ فينان- و ذو فيون- و ظلّ مغطال- و مغطئل.

و إذا كان ضعيفا شفا قيل شف هف. و شفيف هفيف- و شفشف- و شفشاف- و هفهف- و هفهاف- و شعشع- و شعشاع- و خادع- و خداع- و خدوع و كاذب- و كذاب- و كذوب- و ظنون- و حتيفور- و ملذان- و ملاق- و خفاق.

فإذا أكلته الشّمس- و تحيفته قيل أخذ الظّل يتراجع- و يتراد- و يزحل و ينحلّ و يضهل- و يذبل- و ينحف- و يهرد و ينزل- و يأفل- و ينشل- و يشل- و يليح- و يلق- و يدق- و يموت- و يأزى- و يحسر- و يقصر- و يمصح- و يهرب- و يجنح- و يرزح- و ينفق- و يحول و يزول- و يصيف- و يضيف- و يقلص- و يضحى- و يكرى. قال ابن أحمر:

و تواهقت أخفافها طبقاو الظّل لم يفضل و لم يكثر

و يتأزّف- و يتجارف- و يتأزّى- و يتقاصر- و يسمئيل- و يضمحلّ- و يغيب- و ظلّ منقوص.

و إذا ضاق كلّ ضيق قيل: أخذ يضيق- و يقع- و يسقط- و ينصب- و كرب يغيب- و يرزأ- و يفى ء- و يبلى- و يموت- و قد عاد- و لاذ- و عاوذ- و لاوذ، و ألاذ- و استرق- و انحمق- و انغفق- و انسرب- و انبتر.

و الظلّ: ضيق- و ضيق- و زناء- و أحمق- و محمق- و ضهل- و واشل- ناشل- و شعى- و لقى- و هزيل- و نحيف- و حرض- و دنف- و هالك- و ساقط- و متكرس- و مترزب- و خانس كانس- و أعجف- و محيف مذيق- و صحصاح.

فإذا أسرع الزّوال- و تعجّل فى الانفتال- قيل ظلّ مستوفز- و مستقلص و مستطرد- و مالح- و راغش- و والق- و دالق.

فإذا أخذ يترجّح قيل يترجّح- و يميد- و يمور- و يتراد- و يتغيف- فإذا وقف قيل قد وقف- و صام- و قام- و مكد- و ركد- و مصد- و حار- و تحيّر- و دوم- و تلدد- و تبلد- و عقل- و اعتقل- و تخبس- و تصبّر- و ظلّ حيران ثابت لا يزول.

و يقال: وردته و الظّل عقال- و حذاء- و طباق- و طراق- قال الشّاعر:

و كان طرّاق الخف أو قل زائدا

و شعار و دثار- و رداء- و خف- و نعل- و جورب.

قال: و انتعل الظّل فصار جوربا. و ساق- و ظل مثارب من الأرومه و متجعش من الجعثنه و متجرثم من الجرثومه.

فإذا حوّل قيل حول- وفاء- و راع- و نسخ- و انتقل- و بدل- و اعتدب.

و يقال: يزل الظّل محولا و محولا و طاردا، و مطرودا- و ناسخا- و منسوخا و سارقا- و مسروقا- و لاحقا- و ملحوقا.

و يقال: له أول ما يظهر فى فيئه نبت الظلّ- و نجم- و نسم- و عسم- و بدا- و تولّد- و ظهر- و أنتج- و نبع- و نبغ- و انتعش- و انتقش- و أحنى- و طلع- و نسغ و جلس فى نسيغ الظّل و رسيغه. و موكده- و منتجه- و منبته- و مستنبته- و مستنبطه- و مستوشاه- و مستعلقه- و مستذاقه- و مستطعمه- و مسترفقه- و مستحلقه- و مستودقه- و مستمتعه- و مسترفده- و ملتقطه- و مستفاه- و مشتفه- و نفاشه- و جناه.

فإذا انبسط شيئا فى فيئه قيل: حى- و ربا- و نبت- و سعى- و مشى- و حبا- و ثار- و سار- و جسم- و سمن- و استطال- و فضل- و نمى.

و يقال: ظلّ شاب- و جذع- و قيان- و شارخ- و غض. قال قد صبحت و الظّل غض ما زجل- و ظلّ دوم و دائم- و روح- و رائح و ثمل- و هائل- و ظلال ثمل- و ثمله و ثوامل- و جاءنا فى ثميله الظّل- و ثامله- و مشتمله- و ثمله- و ثمده- و شجره مثمله و قد استبرد فى الظلّ- و استروح- و استدفأ- و ظلّ مدفئ- و دفى ء- على فعيل- و سخن- و ساخن- و سخاخين- و ظلّ بارد- و كريم- و أدفأت الشّجره بظلالها- و دفأت و أبردت- و أروحت- و أراحت- و أطابت- و أطيبت- و تفيأت الشّجره بظلها- و أفاءت ظلالها- و قد فاء الظّل بفى ء فاء و فيئا.

و يقال: ظل مومن- و مشمل- و موسر- و ميامن و مياسر- و قد أيمنت- و يامنت و أيسرت- و ياسرت- و أشملت- و وقع ذات اليمين- و ذات الشّمال- و إذا تحرّك خلال الشّجر قيل رمح الظلّ- و ركض و ارتكض- و صرخ- و رقص- و رنق.

و يقال: ركض الماء فى المجمر أيضا.

و يقال: ظل أبيض- و أشهب- و أسمر ليس بشديد السّواد- و العس- و أدعج و أظمأ-

و ألمى- و أحمر- و أحوى قال فى ظلّ أحوى الظّل رفاف الورق- و يحموم و أدهم- و أدلم شديد السّواد- و أتيته فى دلمه اللّيل و ظلمته أى فى شدّه سواده.

و يقال: ظل يقق- رقق- و ازغاز- و ناصب غائب- و منسرق منحمق- و مخنق مدنق- و حاسر- و قاصر- و عادل مائل- و زائل حائل- و ناحل ضاهل- و جانح- أو ماضح و منتقل- أو معتقل- و ماكد راكد- و مشفش- و ناسم- أو جاسم- و ساه واه و عائذ لايذ- و معاوذ- ملاوذ- و معافر- أو منافر- و مضمحل- و مسمئل- و والق دالق- و ملس محلس- و هفهف- شفشف- و هف شف- و هفهاف شفشاف- و هفهف أو رفرف و ساج داج- و متجارف متأزف- و صايم قائم- و ثخين رصين- و ناحل- أو زاحل و وحف- نغف- و أمم- أو عمم- و زائل آفل- و ناشل و اشل- و مكر مجن- و متبلّد و متلدّد- و نافق عافق و شارخ أو مالخ و خانس كانس و سقيط- أو لقيط- و راتب راسب- و منزب منسرب.

قال أبو عمرو ما يجرى مجرى التفسير و هو أكثر سماع من أبى العبّاس ثعلب.

يقال: سجس الظّل فهو سجس إذا دام و سكن. و منه سجس الماء علاه الطّحلب فواراه. و كذلك لا أفعله سجيس اللّيالى و هو باقيها و دائمها. و ظل ساج: أى ساكن. و قد سجا سجوا. و ظل داج ملبس. و قد دجا دجوا و هو من قولهم دجا الإسلام أى ظهر و انتشر.

قال شعرا:

و ما مثل عمرو غير أعتم فاجرأبى مذ دجا الإسلام لا يتجنّف

و يقال: دجت شعره الشّاه: ضفت و سبغت. و رفق الظّل ما تسترفق به منه.

و يقال: ماء رفق قليل للغشاء قريب الرّشاء. و ظل ماتع طويل. قال:

ماتعه رأد الضّحى أفياؤهاو قد متع الظّل و متع النّهار و متع النّبات

قال ابن مقبل: و عاد لويه بعد المتوع، و ظل وحف كشف- و شعر وحف و قد وحف وحوفه و وحافه. و لغف مثله. و قد ألغف قناعه، و أغدفه، و ظل واعد يعد بسكون، و دوام و سحاب واعد يعد يمطر، و فرس واعد يعد بجرى. قال:

حتى إذا أدرك الرّامى و قد عربت عنه الكلاب فأعطاها الذى يعد

يصف ثورا دافع كلبا بقرنه.

و ظلّ مظل- و ظليل- و قد أظلّ يومنا- و ظل مغطال و مغطئل- قال و أغطال شكيرها- و شف هف- من قولهم: شف الثّوب إذا أدى ما وراءه، و هف رقيق.

و يقال: سحاب هف رقيق- و شهده هف لا عسل فيه- و ثوب هفهف رقيق- و هفهاف كذلك.

و يقال: ظلّ مشعشع أى رقيق. و شعشع كذلك و هما غير الظّليل. قال الهذلى: و الظّل بين مشعشع و مظلّل. و شعشع الشّراب: أرقّه بالمزج.

و رجل شعشاع طويل دقيق إلى كلّ شعشاع و أبيض فادعم

و خادع و ظنون لا يوثق بدوامه.

و يقال: سنون خداعه لا ـ زكوه فيها، و كل شى ء لا دوام له و لا بقاء فهو خيتعور، و الدّنيا خيتعور، و حبّ المرأه خيتعور. قال شعرا:

كلّ أنثى و إن بدا لك منهاآيه الحبّ حبّها خيتعور

و الغول خيتعور و شى ء يظهر على وجه الأرض، فلا يثبت خيتعور و الملذان الكذوب.

و يقال: زحل الظّل أى سار. قال: و الظّل غض ما زحل. و ضهل قل: يقال ماء ضهل و ضاهل و ظل ضهل. و هرب الظلّ: غاب. قال: من هارب الوتد. و أفل غاب و أفلت الشّمس تأفل أفولا و أفلت السّحاب صحت، و أفل لبن النّاقه، قلّ، و الأفيل و الإفال صغار الإبل لأنّها تغيب فى جلتها و كبارها.

و يقال: نشل الظّل قل و يدنا شله نحيفه ضئيله، و وشل اللّبن و وشل حظ الرّجل و ولق يلق أسرع. قال: جاءت به عنس من الشّام تلق.

و ودق: دنا من السّقوط، و يقال: و دقت الأتان و أودقت و استودقت فهى وديق و مودق و مستودقه إذا اشتهت الفحل فدنت منه، و ودقت السّره تدلّت إلى الأرض، و الوديقه الهاجره لأنّ الشّمس تنزل إلى الأرض بحرّها.

و يقال: أزى الظّل يأزى أزيا و أزيا إذا قصر و صار نعلا، و تأزّى القوم فى حلتهم إذا تقاربوا، و فلان أزءمال يلازمه فلا يبرحه. و اسمأل الظّل لاذ بأصل الشّجر و اسمأل الثّوب أخلق، و كلّ ضعيف مسمئل و كلّ قوى مضمئل.

و يقال: قلص الظّل قلوصا و ضحى يضحى ضحوا. و مصح مصوحا، و جنح جنوحا، و رزخ رزوخا، و نضب الظّل و نضب الماء و نضب البرق. و أنشد أبو زيد فى عماء ناضب.

و زنا الظّل و هو زناء. قال شعرا:

و تدخل فى الظّل الزّناء رءوسهاو تحسبها هيما و هنّ صحائح

و عادنا الشّجر و جلست فى عوذ الظّل، و انسرق الظلّ.

و يقال: قواه منسرقه أى ضعيفه، و غزال منسرق، و انغفق: ضعف و كاد ينتقل.

و يقال: تغفق بظلّ الشجره. قال:

تغفّق بالأرطى لها و أرادهارجال فبذّت نبلهم و كليب

و انسرب: دخل فى السّرب و انزرب دخل فى الزرب و كنس و جنس و ظل لقا و ظلال القاء و ملخ الظّل أسرع ملخا. قال: تمير فى الباطل مرا مالخا. و داغش لاوذ و قد داغش الورد. قال عطشان داغش ثم عاد يلوب.

و قال: (أ ما تراهنّ يداغشن السّرى): و يروى يواغشن و عقل الظلّ.

قال شعبه السّاق إذا الظّل عقل، و الظل بالغداه محول و بالعشىّ محول. قال شعرا:

إذا حوّل الظّل العشى رأيته حنيفا و فى قرن الضّحى يتنصّر

و يقال: جلس فى نسيغ الظّل و رسيغه. قال: و فى نسيغ الظّل أو رسيغه. و ظلّ رقق و رقيق و نفق سريع الزّوال واز قصير و غاز و قد غزا و طنه فقصر.

و يقال: غزا الماء أوطانه: إذا لحق بقراره من الأرض و حسر عنه المدد.

و يقال: ساه راه و ظلال أرهاء. قال شعرا:

و استكن العصفور كرها مع الضّب و أوفى فى عوده الحرباء

فنفى الجندب الحصا بذراعيه و أودت بأهلها الإرهاء

و المعافر لم يفسر، و قالت امرأه لابنتها: لا تأتينى إلّا معافره أو منافره.

و يقال: شجر المى الظّل قال:

إلى شجر المى الظّلال كأنّه رواهب أحلى من الشّراب عذوب

يقال: أخذ الظّل يموت و قد مات و ماتت الرّيح، قال: إنى لأرجو أن تموت الرّيح، و أقعد اليوم و تستريح. و قوله مشتفه من قولهم: اشتف الشّراب: إذا أخذ يتجرعه و أشنف جوز الفرس الحزام إذا استوفاه، قال: و دفان يشتفان كل ظفان بمنزله الحرام.

الباب الحادى و الخمسون فى ذكر التّاريخ و ابتدائه و السّبب الموجب له، و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط آماد الحوادث و المواليد

اشاره

و هو فصلان:

فصل [فى أن تاريخ كل شى ء فى اللغه غايته و وقته الذى انتهى إليه]

تاريخ كل شى ء فى اللغه غايته و وقته الذى انتهى إليه. و منه قولهم: فلان تاريخ قومه فى الجود: يريدون الذى انتهى إليه ذلك، و سئل بعض أهل اللّغه ما معنى التاريخ؟ قال:

معنى التأخير. و قال آخر: بل هو إثبات الشى ء.

و يقال: و رخت الكتاب توريخا هو لغه بنى تميم و أرخته تأريخا لغه قيس و تأريخ و تاريخان و تواريخ.

و يقال: أرخ كتابك و ورّخه. قال أحمد: جميع ما ذكرنا فيه من اختلاف اللّغات و ما دارت عليه الكلمه فى التّصاريف يدل على أنّها جاريه مجرى ما أصله العربيه دون ما نقل إليه من العجميه، و لكل نبوه و مملكه تاريخ، فأمّا العرب فكانوا يؤرخون بالنّجوم قديما و هو أصل، و منه صار الكتّاب يقولون: نجمت على فلان كذا حتى يؤديه فى نجوم و يجمع النّجوم أنجمه.

و يقال: نجم له رأى أى ظهر، و اشتهر لفظه النّجم بالثّريا فأما قوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى [سوره النّجم، الآيه: ۱] كان الكلبى يقول: و القرآن إذا نزل نجوما أو شيئا بعد شى ء و قال غيره: النّجم هاهنا الثّريا أقسم اللّه تعالى به على المعنى الذى فسّرناه كأنه قال: و خلقى الذى لا يقدر أحد أن يخلق مثله، و على أقسامه بالطّور و التّين و ما أشبههما، و فسّروا قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۵] على النّجوم الطّوالع لقوله:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۷] و على نجوم القرآن أيضا، و قيل فى قوله:

وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۷] إنّ النّجم ما نجم من النّبات و لا ساق له و يقال لواحد: هذا النّجم نجمه. قال الحارث بن ظالم شعرا:

أحصى حمار بات يكدم نجمهأتوكل جيرانى و جارك سالم

صغّر أمره و شبّهه بحمار سوء، و كانت العرب تؤرّخ بكلّ عام ينفق فيه أمر جليل مشهور متعارف كتاريخهم بعام الفيل، و فيه ولد النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و كان ذلك فى السّنه الثامنه و الثّلاثين من ملك كسرى أنو شروان.

و روى لنا عن أبى العيناء فى إسناد يرفعه إلى أبى جعفر محمد بن على قال: ولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ليله الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، و كان الفيل فى النّصف من المحرّم بينه و بين مولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خمس و خمسون ليله. و بذلك الإسناد أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ماتت أمّه و له ستّ سنين.

و روى جبير بن مطعم أنه قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: أنا يومئذ ابن ثمان سنين.

و روى عن الزّهرى أنّ أبا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم توجّه إلى الحجاز ممتارا فمات و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حمل.

و روى أن آمنه أم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ماتت و تركت أم أيمن و هى أم أسامه بن زيد، فأرثها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان إذا رآها قال: بقيه أمىّ. فهكذا كان يجرى أمر التّاريخ، و كما أرّخوا قبله بعام الخنان(۱) لأنّهم تماوتوا فيه، و عظم أمره عليهم. قال النّابغه شعرا:

فمن يك سائلا عنّى فإنّى من الشّبان أيّام الخنان

مضت مائه لعام ولدت فيهاو عشر بعد ذاک و حجّتان

فقد أبقت صروف الدّهر منّى كما أبقت من السّيف اليمانى

و روى من غير وجه أنّه كان بعد النّبى صلى اللّه عليه و سلم كان الأقرع بن حابس يحكم العرب فى كلّ موسم، و كانت العرب تتيمّن و هو أول من حرّم القمار، فانقادوا له لذلک قال البعيث:

و عمّى الذى انقادت معد لحكمه فألقوا بأرسلان إلى حكم عدل

قوله: القوا بأرسلان: كما قيل: ألقيت إليک المقاليد، و ما أقل من أرّخ فى شعره على أنه يروى للمستوغر بن ربيعه و هو من المعمّرين:

و لقد سئمت من الحياه و طولهاو ازددت من عدد السّنين سنينا

مائه أتت من بعدها مائتان لى و أردت من عدد الشّهور مئينا

هل ما بقى إلّا كما قد فاتنايوم يكرّ و ليله تحدونا

١- فى القاموس الخنان كغراب داء يأخـذ الطّير فى حلوقها و فى العين و زكام الإبل. و زمن الخنان كان فى عهـد المنـذر بن ماء السماء ماتت الإبل منه- شريف.

قال أكثم بن صيفى:

إن امرأ قد سار تسعين حجّهاإلى مائه لم يسأم العيش جاهل

أتت مائتان غير عشر و فاءهاو ذلك من مرّ اللّيالى قلائل

أنشد المازنى:

هزئت زينب و إن رأت يرمى و إنّ الخنى ليقال من ظهرى

من بعد ما عهدت فأدلفنى يوم يجى ء و ليله تسرى

حتّى كأنّى خاتل قنصاو المرء بعد تمامه يجرى

لا تهزئى منّى زينب فمافى ذاك من عجب و لا سحر

أولم ترى لقمان أهلكه ما اقتأت من سنه و من شهر

و بقاء نسر فلمّا انقرضت أيامه عادت إلى نسر

ما طال من أبد على لبدرجعت محورته إلى قصر

و لقد حلبت الدّهر أشطره و علمت ما أتى من الأمر

و أرّخت العرب بموت هشام بن المغيره المخزومى لجلالته فيهم، و لذلك قال الشاعر:

و أصبح بطن مكّه مقشعرّاكأنّ الأرض ليس بها هشام

و مات زهير بن أبى سلمى قبل مبعث النّبى صلى اللّه عليه و سلم بسنه، و مات النّابغه قبله فقال زهير لبنيه: رأيت رؤيا و ليحدثنّ أمر عظيم و لست أدركه رأيت كأنّى أصعدت إلى السماء حتى إذا كدت أنا لها انقطع السبب، فهويت فمن أدركه منكم فليدخل فيه فأتى ابنه بحير(۱) النبى صلى اللّه عليه و سلم و كان زهير يكنى بحير فأسلم و أبى كعب أن يسلم حتى هاجر النّبى صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينه فقدم و أسلم، و مدح النّبى صلى اللّه عليه و سلم بقصيدته اللّاميه و اعتذر مما كان فيها.

و روى الزّهرى و الشّعبى أنّ بنى إسماعيل أرّخوا من نار إبراهيم إلى بنائه البيت حين بناه مع إسماعيل فإنّ بنى إسماعيل أرّخوا من بنيان البيت إلى تفرق معد، ثم أرّخوا بشى ء إلى موت كعب بن لؤى، ثم أرّخوا بعام الفيل إلى أن أرّخ عمر بن الخطاب من هجره النبى صلى اللّه عليه و سلم و كان سبب ذلك أنّ أبا موسى كتب إليه أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ،

فلا ندری علی أیّها نعمل.

۱- فی تجرید أسد الغابه بحیر بن زهیر بن أبی سلمی أخو کعب أسلم قبل أخیه و کلاهما شاعران مجیدان و أبوهما من فحول الشعراء. ۱۲ الحسن النعمانی.

و روى أنه قرأ صكا محلّه شعبان، فقال الشّعابين الماضى أم الآتى؟ فكان ذلك سبب التّاريخ من الهجره بعد أن أرادوا أن يؤرّخوا من المبعث، ثم اتّفق الرأى على الهجره، و قالوا: ما نجعل أوّل التّاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان و قال بعضهم: رجب، فإنّه شهر حرام، و العرب تعظّمه، ثم اجمعوا على المحرّم فقالوا: شهر حرام و هو منصرف النّاس عن الحج، و كان آخر الأشهر الحرم فصيّروه أوّلا- لأنّها عندهم ثلاثه سرد: ذو القعده و ذو الحجه و المحرم، و واحد فرد و هو رجب فكان الأربعه تقع فى سنتين. فلما صار المحرم أولا اجتمعت فى سنه، و التاريخ لغه قيس، و عليه استعمال النّاس و التّوريخ لغه تميم و ما استعمله كاتب قطّ، و إن كان التّكلم به كثيرا فى ألسنه العرب.

و قال بعض الكتّاب: التاريخ عمود اليقين- مبيد الشّكوك- به تثبت الحقوق- و تحفظ العهود.

قال أبو بكر الصّولى: و كان لا يقع التّاريخ فى شى ء من الكتب السّلطانيه من رئيس أو مرءوس إلّا فى أعجاز الكتب، و قد يؤرخ النّظر و التّابع ما خص من الكتب فى صدورها.

و قال إبراهيم بن العباس: الكتاب بلا تاريخ نكره بلا معرفه، و غفل بغير سمه.

قال أبو عبد اللّه: و كتب عمر بن الخطاب إلى الأمصار أن يبعث إليه من كلّ مصر برجله، فوفد عليه عتبه بن فرقد السّلمى من الكوفه- و مجاشع بن مسعود السّلمى من البصره- و أبو الأعور السّلمى من الشّام- و معن بن يزيد السّلمى من مصر فتوافوا عنده كلّهم من بنى سليم.

قال أبو الحسن على بن سليم: قال بعض الشعراء فى صاحب توفّى و كان يؤرّخ علم القرون فها هو اليوم أرخاء.

و ذكر الصّولى أنّه كاتب أبا خليفه الفضل بن الحباب القاضى فى أمور أرادها، قال:

فأغفلت التّاريخ، فكتب بعد نفوذ الثّانى: وصل كتابك مبهم الألوان مظلم البيان، فأدى جراما القرب فيه بأولى من البعد، فإذا كتبت أعزّك اللّه فلتكن كتبك موسومه بتاريخ لأعرف به أدنى آثارك، و أقرب أخبارك إن شاء اللّه قال: فكتبت إليه كتابا جعلت التّاريخ فى صدره و قلت معه: قد قبلنا دلائل البرهان- و اعترفنا بالبرّ و الإحسان- و جعلت التّاريخ بعد دعاء لائحا للعيون كالقنوان.

شعر:

حبّذا أنت من مفيد علوم وافدات بحكمه و بيان

هى أسنى ذكرا و أكثر نفعامن كنوز اللّجين و العقيان

فکتابی إلیک یا زینهالدّنیا لخمس خلون من شعبان

قال أبو العباس: آخر من مات بالکوفه من الصّحابه من الأنصار عبد اللّه بن أبی أوفی- و بالبصره أنس بن مالک، و بالشّام أبو أمامه الباهلی، و بالمدینه سهل بن سعد، و بمکه عبد اللّه بن عمر رضی اللّه عنهم، و ممن ذکر سنه فی شعره و أرّخه زهیر بن خباب الکلبی فی قوله:

و نادمت الملوک من آل عمروو بعدهم بنی ماء السّماء

و حقّ لمن أتت مائتان عاماعلیه أن یملّ من الشّواء

قال الصّولی: و کنّا یوما عند المغیره بن محمد المهلبی، فقال له رجل: کم کان سن یزید بن المهلّب یومئذ؟ فجعل جوابه إنشادا بمبلغه فقال: أنشدنی التّوجی لحمزه بن بیض الحنفی فیه یرثیه:

أغلق دون السّماح و النّجدهو المجد باب خروجه أشب

یان ثلاث و أربعین مضت لا صریح واهن و لا ثلب

لا بطر إن تتابعت نعم و صابر فی البلاء محتسب

برزت سبق الجواد فی مهل و قصرت دون سبقک العرب

فصل فی حکّام العرب فی الجاهلیّه

قال أبو عبد اللّه: حکّام العرب فی الجاهلیه عبد المطّلب بن هاشم- و أبو طالب بن عبد المطلب- و العاصی بن وائل- و العلاء بن حارثه الثّقفی. و حکام کنانه: یعمر بن الشّداخ و صفوان بن أمیه بن الحارث، و سلم بن نوفل أحد بنی الدّیک بن بکر. و من بنی أسد:

ربیعه بن حدار أحد بنی سعد بن ثعلبه بن دودان و له یقول الأعشی:

و إذا طلبت المجد أین محلّه فاعمد لبیت ربیعه بن حدار

یهب التّحیه و الجواد بسرجه و الأدم بین لواقح و عشار

و هو الذی حکم بین حاجب بن زراره و خالد بن مالک بن ربعی بن سلمی بن جندل فنفر حاجبا علی خالد.

و حکّام قیس: عامر بن الظرب و سنان بن أبی حارثه المرّی، و غیلان بن سلمه الثّقفی، و کانت له ثلاثه أیام: یوم ینشد النّاس

بشعره، و يوم يحكم فيه بين النّاس و يوم يقعد فيه

للنّاس فیزار و ینظر إلی سرره و جماله. و جاء الإسلام و عنده عشر نسوه فخیّره النبی صلی اللّه علیه و سلم فاختار منهن أربعا فصارت سنه. قال: و قتلت بنو أسد من الأشراف حجر بن عمرو بن الشّرید السّلمی، و ربیعه بن مالک الجعفری أبا لبید الشّاعر، و عتیبه بن الحارث بن شهاب الیربوعی. و زعموا أنّهم قتلوا شهابا جد عتیبه، و بدر بن عمرو بن جویه بن لوذان بن عیسی الفزاری و هو جد عیینه بن حصن بن حذیفه بن بدر.

فصل فی أوقات التواریخ

فی أوقات التّاریخ إنما غلّبت العرب اللّیالی علی الأیام فی التّاریخ، فقیل: کتبت لخمس بقین، و أنت فی الیوم لأنّ لیله الشّهر سبقت یومه، و لم یلدها و ولدته و لأنّ الأهلّه للّیالی دون الأیام، و فیها دخول الشّهر، و لذلک ما ذکرهما اللّه تعالی إلا و قدّم اللّیالی علی الأیام قال تعالی: سَبْعَ لَیالٍ وَ ثَمانِیَهَ أَیّامٍ حُسُوماً [سوره الحاقه، الآیه: ۷] و قال تعالی:

یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ* [سوره فاطر، الآیه: ۱۳] و قال تعالی: سِیرُوا فِیها لَیالِیَ وَ أَیّاماً آمِنِینَ [سوره سبأ، الآیه: ۱۸] و العرب تستعمل اللّیل فی الأشیاء التی یشارکها فیها النّهار دون النّهار، و إن کانت لا تتم إلا به قال تعالی: وَ واعَدْنا مُوسی ثَلاثِینَ لَیْلَهً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ [سوره الأعراف، الآیه: ۱۴۲] و قال الفرّاء: و لقد دعاهم تغلیب اللّیل علی الأیام إلی أن قالوا:

صمنا عشرا من الشّهر. قال: و قال أنو شروان: الیوم عشر من الشّهر و یقولون: عندی عشر من الإبل و إن کانت ذکورا، و عشر من الشّاء و إن کانت کباشا، و یقولون: أدرکنا اللّیل بموضع کذا لأنّه أوّل أ لا تری قول النّابغه:

فإنّک کاللّیل الذی هو مدرکی و إن خلت أنّ المنتأی عنک واسع

و لم یقل کالنّهار.

و حکی بعضهم أنّ العرب تقول فی اللّحم: ابن یومه، و فی الخبز ابن لیله، و فی النبیذ ابن سنه و أنشد:

و فتیان صدق لا تغبّ لحامهم إذا شبّه النّجم الصّوار المنفّرا

و مدح حمید الطّوسی علی بن جبله بمثل قول النابغه، فقرن إلی اللّیل النّهار فقال:

و ما لامرئ حاولته منک مهرب و لو رفعته فی السّماء الطّوالع

بل هارب لا یهتدی لمکانه ظلام و لا ضوء من الصّبح ساطع

و قال عبيد اللّه بن عبد اللّه فى معنى قول النابغه:

إنّى و إن حدّثت نفسى أنّنى أفوتک إنّ الرأى منّى لعاذب

لأنّک لى مثل المکان المحيط بى من الأرض أنّى استنهضتنى المذاهب

فجعل مکان اللّيل من قول النّابغه، لأنّک لى مثل المکان إذ کان لا بد للمخلوق من مکان و زمان، و قالوا: صمنا عشرا من رمضان، و أنشد أبو عبيده:

فصامت ثلاثا لا مخافه بينهاو لو مکثت خمسا هناک لصلّت

و الشّهور کلّها مذکّره سوى جماديين، و لا يذکّرون من شهر کذا إلا فى ثلاثه أشهر:

شهر رمضان و شهرا ربيع، لأنّ الربيع وقت من السّنه فخافوا إذا قالوا من ربيع أن يظن أنه من الرّبيع الذى قبل الخريف، و قال الرّاعى:

شهرى ربيع لا يذوق لبونهم إلّا حموضا وخمه و دويلا

الدّويل کسار الحلى ينبت مجتمعا، و کلّ ما يکسر من النّبات و أسود فهو دويل و لو کتب کاتب فى ربيع الأول و فى رمضان، و لم يذکر الشهر لجاز و ليس بالمختار کما قال:

جارته فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

و اعلم أنّه لا يکتب لليله مضت لأنّهم يعدون فى اللّيله، فإذا أصبحوا کتبوا لليله خلت، و يکتب أوّل يوم من کذا، و لا يکتب مهلّ کذا، و لا مستهل کذا لأنّ الهلال إنّما يرى باللّيل. و أنشد الأصمعى و الشّعر لنابغه بنى جعده، و عاش ثمانين و مائه سنه:

قالت أمامه کم عمرت زمانه و ربحت من عزّ على الأوثان

و لقد شهدت عکاظ قبل محلّهافيها و کنت أعد فى الفتيان

و المنذر بن محرّق فى ملکه و شهدت يوم هجا بن النّعمان

و عمرت حتّى جاء أحمد بالتّقى و قوارع يتلى من الفرقان

فلبست بالإسلام ثوبا واسعامن سيب لا حرد و لا منّان

و قال حين أتت عليه مائه و اثنتا عشره سنه:

مضت مائه لعام ولدت فيه و عشر بعد ذاك و حجّتان

و أبقى الدّهر و الأيام منّى كما أبقى من السّيف اليمانى

يصمّم و هو مأثور جرازإذا اجتمعت بقائمه اليدان

قال أبو عبد اللّه فتّاك الجاهليّه: الحارث بن ظالم المرّى- و البراض بن قيس الضّمرى- و تأبّط شرّا و اسمه جابر بن سفيان الفهمى- و حنظله بن فاتك أحد بنى عمرو بن أسد. و فتّاك

الإسـلام: مالك بن ريب المازنى- و عبيـد اللّه بن الحر الجعفى- و عبـد اللّه بن سبره الجرشـى- و عبد اللّه بن خازم السّلمى- و القتال الكلابى- و مرار بن يسار الفقعسى- و عتيبه بن هبيره الأسدى- و من باب التّاريخ قول الشّاعر:

ها أنا ذا أملّ الخلود و قدأدرك عمرى و مولدى حجرا

أيا امرأ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

و ما يجرى مجرى التّاريخ بما يتضـمّن من التّشبيه ما أنشـده ابن الأعرابى و أظن بعضه قـد مضـى، و إن كان يسـيرا، و أنشـد أبو هفان و زعم أنّه من أحسن أشعارهم شعرا:

منعمه لم تلق بؤسا و لم تسق بعيرا و لم تضمم وليدا إلى نحر

و لم تدر أى النّاس أعداء قومهاو تمضى اللّيالى و الشّهور و لا تدرى

سوى أن تصوم الشّهر فيمن يصومه و تسأل عن يوم العروبه و الفطر

فلو كنت ماء كنت صوب غمامهو لو كنت مزنا كنت ثره من بكر

و لو كنت لهوا كنت تعليل ساعهو لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

كلفت بها عمرى فلمّا تقطّعت و سائلنا ودّعت ما فات من عمرى

و أنشد نفطويه عن أبى العبّاس ثعلب:

فلو كنت ليلا كنت ليله صيف من المشرقات البيض فى وسط الشّهر

و لو كنت ظلّا كنت ظلّ غمامهو لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

و لو كنت يوما كنت يوم سعادهترى شمسه و المزن يهضب بالقطر

و فى هذه الطّريقه ما أنشد به أحمد بن لجأ و يروى للعين المنقرى:

فقيّم يا شرّ تميم محتدالو كنتم ماء لكنتم زبدا

أو كنتم ليلا لكنتم صرداأو كنتم شاء لكنتم نقدا

أو كنتم صوفا لكنتم فرداأو كنتم عيشا لكنتم جحدا

و أنشد:

لو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت نارا لم تحل فى عطب

أو كنت ماء لم تسع لشرب أو كنت سيفا لم تكن بعضب

و روى أبو عمر عنه أيضا قال: أنشدنى أبو عبد اللّه:

لو كنت من مال امرئ ذى نيقهلكنت خير ناقه مسوّقه

من ناقه خوّاره رقيقهترميهم ببكرات روقه

و حكى ابن الأعرابى قال: غزا خالد بن قيس بن المضلّل فيمن تبعه من بنى أسد فغنم و سبا فمرّت به جاريه أعجبته فقال لها: كيف كان أبوك يطبخ اللّباء؟ قالت: كان يهنيه و يمنيه حتى يستقر، و رضفه فيه، فأعرض عنها ثم دعا بأخرى فسألها عن مثل ذلك، فقالت: كان يهذره و يمذره، و يطعن الفارس فينثره، فاتّخذها لنفسه، فجاءت بعاصم بن خالد، و كان يقال له: البر من برّه بأبيه و له يقول أبوه شعرا:

أرى كلّ أمر إلى عاصم فما أنا لو كان لم يولد

فلو كنت شيئا من الأشربات لكنت من الأسوغ الأبرد

قول الأولى: يهنيه و يمنيه: أى يحسن علاجه و هذا مما يوصف بها الرّعاه.

و قول الثّانيه: (يهذره و يمذره): أى يفسده فإذا طعن الفارس أشرقه بدمه فأنثره، و يشبه هذا عندى قول الآخر:

إنّ عليها فارسا كعشرهإذا رأى فارس قوم أنثره

أورده منكفيا أو أشعره معنى أشعره: رماه بسهم جعله شعارا له، و هذا شبيه بقول الجعدى:

فتانا بطرير مرهف جفرهالمخرم منه فسعل يريد

لما جافه بالطعنه أشرقه بدمه فسعل به، و أنشدت عن نفطويه، قال: أنشدنى ثعلب عن ابن الأعرابى:

لو كنت ليلا من ليالى الشّهركنت من البيض تمام البدر

بيضاء لا يشقى به من يسرى أو كنت ماء كنت غير كدر

ماء سماء فى صفاتى صخرأظلّه اللّه بعيص الصّدر

فهو شفاء من غليل الصّدر و أنشدت عنه أيضا قول الآخر:

فلو كنت يوما كنت يوم تواصل و لو كنت ليلا كنت لى ليله القدر

و لو كنت عيثا كنت نعمه جنهو لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

و أنشده من غير هذا الوجه:

لو كنت من شی ء سوی بشرکنت المنوّر لیله البدر

و أنشد أبو العبّاس المبرّد فى الذّم و الإزراء:

لو كنت ماء لم تكن بعذب أو كنت عاما كنت عام خصب

أو كنت سيفا لم يكن بعضب أو كنت غيرا لم يكن بندب

أو كنت لحما كنت لحم كلب

و أنشد ابن الأعرابى:

لو كنت ماء كنت لاعذب المذاق و لا مسوسا

ملحا بعيد القعر قدفلّت حجارته الفئوسا

قال المسوس: كلّ ما شفى الغليل، لأنّه مسّ الغله و أصابها و أنشد:

يا حبذا ريقتك المسوس و أنت خود بادن شموس

و يقال: ماء قعاع، و زعاق و حراق و ليس بعد الحراق فى الملوحه شى ء لأنه إذا شربت الإبل أحرقت أكبادها.

و روى لنا أبو الحسن البديهى قال: سمعت أبا عبد اللّه إبراهيم بن محمد بن عرفه الأزدى يقول: سأل بعض أهل العلم أصحابه فقال: أ تعرفون رجلا من الصّحابه يروى عنه الحديث، و يقال له أسد بن عبد مناف بن شيبه بن عمرو بن المغيره بن زيد؟ قالوا: لا. قال:

على بن أبى طالب: سمّته أمّه فاطمه أسدا و هى بنت أسد باسم أبيها، و عبد مناف اسم أبى طالب، و شيبه اسم عبد المطلب و عمرو اسم هاشم، و المغيره اسم عبد مناف، و زيد اسم قصى.

و أخبر أنّ النّبى صلى اللّه عليه و سلم تولّى دفن فاطمه بنت أسد و كان أشعرها قميصا له، فسمع و هو يقول: ابنك، فسئل صلى اللّه عليه و سلم فقال: إنّها سئلت عن ربّها فأجابت، و عن نبيها فأجابت، و عن إمامها فلجلجت، فقلت: ابنك ابنك(۱).

۱- الظاهر أنّ هذه الروايه من كتب الشيعه الإماميه و اللّه أعلم.

الباب الثّانی و الخمسون فیما هو متعالم عند العرب، و من داناهم، و أدرکوها بالتفقّد و طول الدّربه و لم یدخل فی أسجاعهم

اشاره

قـال أبو حنیفه: یقولون إذا طلع فرغ الـدّلو المؤخّر، و ذلک أول الرّبیع اختال العشب، و أدرک الباقلی و الفاکهه المنکره بالعراق، و ظهرت الهوام.

و إذا طلع بطن الحوت حصد أوّل الشّعیر بالعراق، و زعموا أنّ النوء الذی فیه هو نوء السّماک قلّ ما یخلف.

و إذا طلع الشّرطان أکل فریک الحنطه.

و إذا طلع البطین: فرغ من حصـاد الشّـعیر، و ابتـدئ بحصاد الحنطه و القطابی و هی الجنوب، و کثرت الفاکهه بالعراق و الشّام، و قیل: إنّه قلّ ما یعدمه سحاب.

و إذا طلعت الثّریا عم الحنطه الحصاد، و أدرک التّفاح، و مدّ فی آخره النّیل.

و إذا طلع الدّبران: هبّت السّمائم و أسود العنب.

و إذا طلعت الجوزاء فیها الهقعه أدرک البطیخ و الفاکهه.

و إذا طلعت الهنعه: أدرک البسر و التّین، و فیه تنقص المیاه.

و إذا طلعت الذّراع و فیها الشّعری: أدرک الرّمان، و حصد القصیب النّبطی.

و إذا طلعت العـذره و فیهـا النّثره: قطف العنب بـالعراق، و أکـل الرّطب و بلـح النّخل بالحجاز. و أدرک جمیع الفاکهه بالعراق و الشّام.

و إذا طلع الطّرف کثر الثمر فی ذلـک الوقت، و اللّبن الـذی یسـتقضونه من الضّـروع، لفصال الأولاد عن الأمهات، و یطوف أهل مصر. و نوؤه ستّ لیال و ینسب فی الشّعر إلی الأسد.

و إذا طلعت الجبهه: كثر الرّطب و سقط الطّل.

و إذا طلعت الزّبره و طلع معها سهيل بالعراق: برد اللّيل و الماء و ولّى القيظ.

و إذا طلعت الصّرفه برد الليل و اختلفت الرياح و تحرّك أول الشّمال و قطعت العروق، و شربت الأوديه، و جدّ النّخل بالحجاز، و بكل غور و يشتار العسل.

و إذا طلعت العوّاء و طلع معها السّماك الرّامح: أخذ النّاس فى صرام النّخل و قطف الرّمان و السّفرجل، و فيه، ينتهى غور المياه و تهيج الصّبا.

و إذا طلع الغفر: زرع أول زرع الحنطه و زرع الرطاب و حصد القصب الفارسى وجد النخل و فى النوء الذى فيه و هو نوء الشرطين أول مطر ينتفع به.

و إذا طلعت الزّبانى دخل الناس البيوت، و يسقط الزّبل: و هو الورق الذى نبت فى دبر القيظ ببرد اللّيل.

فإذا طلع الإكليل لم يكد يخطئ النّوء الذى فيه و هو نوء الثّريا السّحاب و الغيوم، و قطعت الحداء و الخطاطيف و الرّخم إلى الغور.

و إذا طلع قلب العقرب: هبّت رياح الشّتاء البارده.

و إذا طلعت الشّوله سقط الورق كلّه و كثر الرّذاذ و المطر.

و إذا طلعت النّعائم و طلوعها لاثنين و عشرين ليله من كانون الأول و سقوطها لاثنين و عشرين يخلو من حزيران، يتشعّب الرّعاء و يتلاقى التمايم لأنّهم حينئذ يفرغون، و لا يشغلهم رعى فيلاقون و يدس بعضهم إلى بعض الأخبار.

و إذا طلعت البلده نقى البساتين و كرب الكروم.

و إذا طلع سعد الذّابح لم يكد يخطئ النّوء الذى فيه و هو نوء النّثره مطر و إن أخلف فريح.

و إذا طلع سعد بلع نقّت الضّفادع، و باضت الهداهد، و تزاوجت العصافير و هبّت الجنوب، و أعشبت الأرض.

و إذا طلع سعد السّعود و تحرّك أوّل العشب، و أورق الشّجر و زقا المكاء و جاءت الخطاطيف، و قلما يخطئ النّوء الذى فيه، و هو نوء الجبهه المطر الجود.

و إذا طلع سعد الأخبيه لم يكد يخطئ النّوء الذى فيه، و هو نوء الزّبره مطرا شديدا و قلّما أخلف المطر و فيه يورق الكرم.

و إذا طلع فرغ الدّلو المقدم: يسلم الناس من الحاسه فى النّوء الذى فيه و هو نوء

الصّيرفه فقد أمنت بإذن اللّه من الحواس إلى آخر السنه، و فيه يقول القائل: إذا دخل آذار أخياء و آبار، لما يتخوّف النّاس من الآفات فى هذا النوء و فيه يعقد اللّوز و التفاح، و هذا الذى ذكره أبو حنيفه خرّجه غيره على الشّهور الرّوميه، فقال زائدا عليه:

تشرين الأوّل

سلطان المرّه السّوداء و هو ثلاثون يوما آيته واحد، و هو بالفارسيه شهريرماه و آيته أربعه، و هو أوسط الخريف و له من البروج الميزان و هو هوائى مؤنّث نهارى شمالى. ربّه بالنّهار زحل و باللّيل عطارد، و الشّريک المشترى و هو بيت الزّهره، و شرف زحل هبوط الشّمس فيه. و الإقليم الروم إلى إفريقيه مصر، و له من المنازل الغفر و الزّبانى و ثلث الإكليل، و فى أوله يبتدئ أهل الحجاز بالزّراعه و فى عشر منه تزرع الحنطه و الشّعير و الرّطاب و يقوم سوق القادسان بسوق الأسواق أسبوعا. و فى خمس عشره منه يبرد الزّمان و تكثر الرّياح بإذن اللّه، و فى إحدى و عشرين يطلع الغفر و يسقط، و فيها يغلظ الشّجر و يكون أول مطر، فإن أخطأ فريح شديده، و تريح نيل مصر، و يقوم سوق حلب، و فى خمس و عشرين منه يطلع الزّبانى و يسقط البطين، و فيها يدخل النّاس البيوت و استقبل الوسمىّ و يقوم سوق ماسرجسان.

تشرين الآخر

سلطان المرّه السّوداء: ثلاثون يوما آيته أربعه، و هو بالفارسيه مهرماه آيته سته، و هو آخر شهور الخريف. و له من البروج العقرب، و هو من بروج الماء و هو بيت بهرام، و بهرام هو المرّيخ، و منزله فوق قلب العقرب و هبوط القمر فيه. ربّه باللّيل الزّهره و بالنّهار المريخ، و الشّريک القمر، و الإقليم مكه. و له من المنازل ثلثا الإكليل و القلب و ثلثا الشّوله، فى أول يوم تهبّ الجنوب و فى الثّانى يطلع الزبانيان و يسقط البطين و تقوم سوق عند كنيسه الرّقه و يبرد الماء و يبتدئ أهل الشّام بالزّراعه، و يذهب زمان المنّ و السلوى، و يلقط الزيتون و يدخل النّمل ذوات الأجنحه بالشّام و بكل أرض بارده جوف الأرض و يخرج الحداء و الرّخم من كل أرض بارده، و عند ذلک يعرف الشّتاء من الصّيف، و فى خمس عشره منه يطلع الإكليل و يسقط الثّريا و هو آخر الخريف و يكون المهرجان عيد المجوس، و فيها يبتدئ البرد و يرتج البحر و يجى ء شى ء من المطر، فإن لم يجى ء هاجت الرياح، و تهلک كلّ دابه ليس لها عظم، مثل الدود و الدّباء و الجراد و اليعاسيب، و يسقط ورق الشّجر، و ما قطع فيه من الخشب لم يقع فيه أرضه، و يقع الجليد فوق الأرض و تتحرک فحوله الغنم. و فى أربعه و عشرين منه يكون النّهار عشر ساعات، و اللّيل أربع عشره ساعه، و لخمس و عشرين منه تعلق البحر فلا يركبه أحد. و لثمان و عشرين منه يطلع القلب، و يسقط الدّبران و يطلع النّسر

الواقع و يشتدّ القر، و يختار النّاس ما يقل من الثّياب و يشتد موج البحر و يقل صيده و يعصر الزّيت و يلقط الجوز.

كانون الأوّل

سلطان البلغم، آيته واحد، و هو أوّل شهور الشّتاء و له من البروج القوس و هو من بروج النار ذو جسدين، و هو بيت المشترى. ربّه بالنّهار الشّمس و باللّيل المشترى و الشّريک زحل. الإقليم بابل و له من النّجوم ثلاثه، الشّوله و النّعائم و البلده. و فى أول يوم منه يقوم سوق دمشق، و لإحدى عشره منه يطلع الشّوله و هى ذنب العقرب، تسقط الهقعه و يجى ء مطر، و تهيج رياح و يخرج النّمل ذوات الأجنحه فتجى ء القوارى من الطيّر فتصطادها و تولد الضأن. و لاثنتى عشره منه يرى أول الطّلع، و لخمس و عشرين منه تطلع النّعائم و تسقط الهنعه و هو حميه الشّتاء، و فيه ميلاد المسيح عليه السلام و هى أطول ليله فى السّنه و أقصر يوم يكون يومه تسع ساعات، و ليله خمس عشره ساعه. و هو عيد النصارى، يكون الميلاد الدّهر كلّه فى خمس و عشرين من كانون الأول و تطلع البلده، و يسقط الذّراع، و ذلک أشد ما يكون من القر وقت السّحاب و المطر و يطلع النّسر الطّائر.

كانون الآخر

سلطان البلغم واحد و ثلاثون يوما، آيته اثنان، و هو بالفارسيه آذر ماه آيته ثلاثه، أوسط شهور الشّتاء، له من البروج الجدى، و هو برج منقلب من بروج الأرض و هو بيت زحل و شرف المرّيخ و هبوط المشترى. ربّه بالنّهار الزّهره و باللّيل المرّيخ، و الشّريک القمر.

و للجدى من النّجوم سعد الذّابح و سعد بلع و ثلث سعد السعود. و فى اليوم الثّانى منه عيد النصارى يقال له القليدس، و تهبّ فيه ريح عاصفه، و لستّ خلون منه تطلع البلده و يسقط الذّراع و هو ميلاد عيسى عليه السلام، الأخير يقال له الرّيح و هو حد الشّتاء يكون الرّيح الدّهر كلّه فى سبع من كانون الآخر. و فيه تفقأ عيون الحيات و تموت الذبان و يغمس النّصارى أولادهم فى الماء، يزعمون أنّ فى تلک اللّيله تعذب المياه المالحه و يطلع النّسر الطائر. و فيه يبدأ بكراب الكرم، و فى أربع عشره تكون الثّلوج و الأمطار و يكون آخر القر.

و فى تسع عشره منه يطلع سعد الذّابح و تسقط النثره و يشتدّ البرد، و هو حد الشّتاء، و فيه البرد و فيه يبتدئ أهل الرّوم بالكراب و غرس الأشجار، و ذلک وقت دوام المطر، و يجرى الماء فى فروع الشّجر، و فيه تقطع الزّره بتهامه و يزرع القطانى و البطيخ، و هو وقت رذاذ و طل و يكون معه الضّباب، و فى أربع و عشرين منه يطلع سعد بلع و يسقط الطّرف. و اللّيل أربع عشره ساعه، و النّهار عشر ساعات.

شباط

سلطان البلغم ثمانيه و عشرون يوما، آيته خمسه، و هو بالفارسيّه ديماه آيته خمسه، و هو آخر شهور الشّتاء و له من البروج الدّلو و هو برج الرّياح ثابت مذكر مغربى و هو بيت زحل، ربّه بالنّهار و بالليل عطارد، و الشّريك المشترى و الإقليم الشّام، و له من المنازل ثلثا سعد السّعود و سعد الأخبيه و ثلثا مقدّم الدّلو. و فى اليوم الأوّل منه يطلع سعد بلع و يسقط الطرف و ينكسر البرد، و يرى الحداء و الرّخم. و فيه ينسك النّصارى، و هو وقت كثره الأمطار. و فيه يورق الشّجر، و يخرج النّمل و ينبت العشب و تكثر الذّباب، و لسبع منه تهبّ الرّياح اللّواقح و تغرس الكروم. و اليوم العاشر و الحادى عشر و الثّانى عشر صوم قوم يونس عليه السلام حين صرف اللّه تعالى عنهم العذاب. و فى أربع عشره منه يطلع سعد السّعود و تسقط الجبهه، و فيه يسخن جوف الأرض و تؤكل الكمأه و الفطر و الهليون و تسقط الجمره الأولى، و يخرج النمل ذوات الأجنحه و الذّر و يجرى الماء فى العود، و تسقى الدروع و يخرج بقول الفرس، و الورد و الياسمين و تنشر دواب الأرض، و تزرع بقول الصّيف، و لتسع عشره منه أول يوم من أيام العجوز، و فى أربع و عشرين منه يكون النّهار إحدى عشره ساعه و اللّيل ثلاث عشره، و لسبع و عشرين منه يطلع سعد الأخبيه و يسقط الخرأتان، و تقع الجمره الوسطى، و لا يغرس فيه إلى أربع من آذار لا غرس و لا كرم، فإنّه يفسده السّوس و فيه: تتزاوج الطّيور و يتوالد الوحش.

آذار

سلطان البلغم أحد و ثلاثون يوما، آيته خمسه، و هو بالفارسيه بهمن ماه آيته سبعه، و هو أوّل شهور الصّيف، و له من البروج الحوت، و هو ذو جسدين مؤنث من بروج الماء، فيه هبوط عطارد و شرف الزّهره، و هو بيت المشترى، ربّه بالنّهار زحل، و باللّيل عطارد، و الشّريك المشترى، و الإقليم الصّين و له من النّجوم ثلاثه: الفرغ المقدّم و الفرغ المؤخّر و بطن الحوت. و فى أول يوم منه يطلع الدّلو و تسقط الصّرفه و هى الجمره الأخيره، و يلقى حرّ السماء و حر الأرض و تخرج كلّ دابه ليس فيها عظم، و فى اليوم الثّانى يزرع قصب السكر بالأهواز، و البطيخ و يلقح النخل. و فى اليوم الخامس يطلع الغفر، و هو وقت ذهاب الحواس و أول الصّيف و تختلف الرّياح، و تجرى السّفن فى البحر، و تفتح عيون الحيّات. و ذاك أنّها تغمضها فى الشّتاء، و فيها ترى معالم الصّيف و يستبل الزّرع. و فى أربع و عشرين منه يطلع مؤخّر الدّلو، و يسقط العواء و يستوى اللّيل و النّهار. و فى سبع و عشرين منه يسخب جنان، و تخرج الهوام و يكثر موج البحر و يبذر الأرز بالأهواز.

نیسان

سلطان الدّم ثلاثون یوما، آیته واحد، و هو بالفارسیه اسفندارمذماه، آیته اثنان، و له من البروج الحمل، و هو بیت المرّیخ، برج منقلب مذکّر من بروج النّار، و للحمل من النّجوم الشّرطان و البطین و ثلث الثّریا، و هو شرف الشّمس و هبوط زحل. ربّه باللّیل المشتری و بالنّهار الشّمس، و یشارکه باللّیل و النّهار زحل، و الإقلیم بابل، فی أوّل یوم منه قام یوحنا و هو غداه یوم الأحد بعد ثلاثه من نزول المریخ. و لستّ منه تأفل الثّریا، فلا تری أربعین لیله. و لسبع منه یطلع الحوت، و یسقط السّماک، و قلّما یخطئ المطر فیه بإذن اللّه تعالی، و یبدأ بحصاد الشّعیر، و تفیض العیون و الأنهار، و تقوم سوق الدّبر بأرض سوارت من سوق الأهواز سته أیام، و لعشر منه توفی آدم علیه السّلام، و فی ثلاث عشره منه یطلع الشّرطان و یسقط الغفر، و یظهر ما استخفی من الهوام، و هو فیهما ظل و غیوم و یمد الفرات المد الأعظم، و تهبّ الرّیاح الشّریفه کالصّبا، و فیها یفرّخ الطّیر. و فی ستّ بقین منه یطلع البطین، و یسقط الزّبانیان، و یقوم سوق کرو بفلسطین سبع لیال، و یکون النّهار فیه ثلاث عشره ساعه، و اللّیل إحدی عشره ساعه.

أیّار

سلطان الدّم واحد و ثلاثون یوما، آیته ثلاثه، و هو بالفارسیه فروردین ماه آیته واحده، و هو من شهور الصّیف و هو النّیروز رأس سنه القمر، و هو عید المجوس الأکبر ثمانیه أیام، له من البروج الثّور و هو برج أنثی من بروج الأرض و هو بیت الزّهره و شرف القمر، ربّه بالنّهار الزّهره و باللّیل القمر، و یشارکه باللّیل و النّهار المریخ، الإقلیم التّرک و الخزرج. و له من النّجوم ثلثا الثّریا و الدّبران و ثلثا الهقعه. و فی ثلث منه یطلع البطین و یسقط الزّبانیان.

و فی الیوم السّابع تطلع الغمیصاء، و یکون فیه ریح و مطر، و فی الیوم الرّابع عشر یجری الماء فی منتهی العیون، و فی سته عشر منه تطلع الثّریا و یسقط الإکلیل و هو أوّل یوم من الصّیف و آخر الربیع، و بطلوعها یطیب رکوب البحر، و یبدأ أول السّمائم و یفرک القمح و یبرد نیل مصر، و تغور المیاه، و یخرج الجراد و تهیج الصّبا. و فی أربع و عشرین منه یکون النّهار أربع عشره ساعه، و اللیل عشر ساعات، ینقص ساعه لتمام ثلاثین یوما. و تزرع الذّره و الدّخن بأرض تهامه و الیمن و أرض النّوبه. و فی سبع و عشرین منه یرتفع الطّاعون بإذن اللّه تعالی من کل أرض، و لتسع و عشرین منه یطلع الدّبران و یسقط القلب و تهیج فیها البوارح و السّمائم، و یسودّ أوّل العنب و تستبین زیاده نیل مصر و تهب الشّمال.

حزيران

سلطان المرّه الصّفراء ثلاثون يوما، آيته سته، و هو بالفارسيّه اردبهشت ماه، آيته ثلاثه و هو أوّل شهور القيظ، و له من البروج الجوزاء، و هو ذو جسدين و هو التوأمان من بروج الرّياح، برج مذكّر مغربى شرف رأس التّنين، ربّه بالنّهار زحل و باللّيل عطارد.

و يشاركه باللّيل و النّهار المشترى. الإقليم بربر و إفريقيه، و له من النّجوم ثلاثه: الهقعه- و الهنعه- و الذّراع- و فى إحدى عشره منه تطلع الهقعه و تسقط الشّوله، و فى أربع و عشرين منه تطلع الهنعه و يسقط النّعائم، و يرجع الشّهر، و يهبط من صعودها الأعلى، و هو أطول يوم فى السّنه، و هو اليوم الذى ولد فيه يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما زعموا و يزعم أهل العلم أنّ داود النّبى عليه السلام فيه افتتن، و فى ثلاثين منه يطلع الذّراع و يسقط البلده، و فيه تسكن الرّياح و يشتدّ الحر.

تموز

سلطان المره الصّفراء واحد و ثلاثون يوما، آيته واحده، و هو بالفارسيه خرداد، آيته خمسه، و هو أوسط القيظ، و له من البروج السّرطان برج منقلب أنثى من بروج الماء، و هو شرف المشترى و هبوط المرّيخ، ربّه بالنّهار المرّيخ و باللّيل الزّهره، و يشاركه باللّيل و النّهار القمر. و الإقليم الشّام و الجزيره و الرّوم، و له من النّجوم النّثره- و الطّرف- و ثلث الجبهه- و يشتدّ الحر فيه، و لسبع منه يطلع الذّراع و تسقط البلده. و يقوم سوق سليمه جمعتين، و يرتفع الطّاعون بإذن اللّه تعالى، و فيه يحرث ما يصلح فى تلك السّنه من الزّرع، و ما يفسد منه، و يؤخذ لوح قبل أن تطلع الشّعرى بتسع ليال، فيزرع عليه من كل صنف حتى إذا كان ليله تطلع الشّعرى وضع ذلك فوق بيت على مكان مرتفع لا يحول بينه و بين السّماء شى ء فما أصبح منه مخضرّا فإنه يصلح بإذن اللّه تعالى، و تطلع الشّعرى الغامضه فى خمس منه. و فى عشرين منه تطلع النّثره و يسقط سعد الذّابح، و فيه مولد السّنه أبدا، فاحفظ منه أعلام الشّتاء، و يزرع البطّيخ الشّتوى فى أرض اليمن.

آب

سلطان المره الصّفراء واحد و ثلاثون يوما، آيته أربعه، و هو بالفارسيه تير ماه، آيته سبعه، و هو آخر شهور القيظ. و له من البروج الأسد، و هو برج ثابت مذكّر مشرقى من بروج الملوك توافقا، و هو بيت الشّمس، ربّه بالنّهار الشّمس و باللّيل المشترى، و يشاركه باللّيل و النّهار زحل، الإقليم بابل. و للأسد من النّجوم ثلثا الجبهه- و الخراتان- و ثلثا الصّرفه- فى

یومین منه یطلع الطّرف و یسقط سعد بلع و یقوم سوق بیت جبرین(۱) و یطلع سهیل و لا یری بالعراق. و فی خمس عشره منه تطلع الجبهه، و یسقط سعد السّعود و فیها یبرد آخر اللّیل و یرتفع سهیل، حتی یری بالعراق و تطیب البوارح و إن تخلّلها السّمائم و یهیج الزّکام، و یکون فیه عید عسقلان، و هو عید کبیر جامع للنّصاری. و هو یوم ماتت مریم بنت عمران فیما یزعم أهل الکتاب. و یبرد جوف الأرض، و یرجی فیه المطر بالسّند. و فی أربع و عشرین یکون النّهار ثلاث عشره ساعه، و هو أول الشّتاء، و العرب تسمّی ذلک الزّمان الخریف. و فی ثمان و عشرین منه یطلع الخراتان، و یسقط سعد الأخبیه، و تهب الشّمال، و هو فیما یذکرون یوم قتل یحیی علیه السلام، و هو آخر یوم من القیظ، و فیه تسقط المنّ و السلوی بأرض الشّام و أرض بنی إسرائیل.

أیلول

سلطان المره السّوداء، ثلاثون یوما، آیته سبعه، و هو بالفارسیه مرداد ماه، آیته اثنان، و له من البروج السّنبله برج ذو جسدین أرضی أنثی، و هو بیت عطارد و شرفه و هبوط الزّهره، و ربّه بالنّهار الزّهره، و باللّیل القمر و یشارکه باللّیل و النّهار المرّیخ. الإقلیم الشّام و الجزیره، و له من النّجوم ثلث الصّرفه و العوّاء و السّماک. فی ثلث منه توقد النّار بآذربیجان و بکل أرض بارده. و یقوم سوق منیح بالجزیره، و سوق هرمردان بجند نیسابور. و هو رأس سنه الیهود، و تزرع فیه البقول الشّتویه، و یسقط النّدی، و تتحرک أول الشّمال. و لعشر منه یطلع الغفر و یسقط مقدّم الدّلو. و یزرع أهل مصر و الجزیره. و لثلاث عشره منه یکون عید الصّلیب و هو الصّوم الأکبر. و تجری فیه ریح شدیده الهبوب، یتّقی فیها علی السّفن، و لإحدی و عشرین یبنی النصاری فی کنائسهم، یریدون بذلک تقویم قبلتهم، و فیه یقوم سوق رحبه بالجزیره و سوق بردرایا بالسّوس، و یقوم سوق اسبایریار بتستر أسبوعا. و لأربع و عشرین تطلع العواء و یسقط مؤخّر الدّلو، و یستوی اللّیل و النّهار، و یجری الماء فی فروع الشجر، و هو آخر القیظ و أوّل الخریف و أوّل الصّرام بالبصره. و قال أبو عبد اللّه أول نجوم القیظ و البوارح الثّریا، و سهیل، و إذا مضی سهیل آخرها و إذا مضی سهیل طالت الأظماء، و برد اللّیل، فإذا طلعت الجبهه انکسر الحر و امتد الظّماء، و تباعدت الإبل فی مراعیها، و یکثر الکرش و یغلظ فیمسک الماء و یطول لذلک ظمؤها، و إذا قصر الظّماء رعت حول الماء، فإذا طلعت الصّرفه فهو انقطاع الحرّ و تحرّک ریح الشّتاء، ثم نجوم القر الشّدید و أوّلها سقوط الذّراع، فإذا سقطت الجبهه سخفت الأرض و لانت علی الماشی و أطلعت الأرض ذخائر وسمیّها من النّبات، و اختلفت الإبل فی مراعیها یعنی تباعد بعضها من بعض. و نظرت الأرض بإحدی عینیها فإن

۱- فی القاموس بیت جبرین بین غزّه و القدس- الحسن النعمانی.

کـان فی ذلـک الوقت کـان مخصـبا بإذن اللّه تعالی، و کان أنفع مما قبله و ما بعـده، و یقال: ما امتلأ واد من نوء الجبهه إلا امتلأ بقلا، و هی أنفع النّجوم للأرض إذا صدق نوؤها و هی من نجوم الشّـتاء و أنفع نجوم الوسـمی مطر الثّریا، فإن صدق نجمها حمد الوسـمی فی ذلک العام، فإن ولتها الجبهه فی وقتها کان عاما حیاء، و خیر بإذن اللّه تعالی، فإن ردفها السّماک فی الصّیف، و هو أحـد نجوم الصّیـیف فهو حیـاء تلک السّـنه، فإذا سـقطت الصّیـرفه نظرت الأرض بعینها و أخرجت کلّ ذخیرتها، و انصـرف القرّ و صفت فأوّل الصّیف العوّاء و آخرها سقوط الشّوله و طلوع الهنعه.

الباب الثالث و الخمسون فى انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها، و امتزاجها و الاستكمال و الامتحاق

و أزمان مقاطع النّجوم فى الفلك، و معرفه ساعات اللّيل من رؤيه الهلال، و مواقيت الزّوال على طريق الإجمال.

اعلم أنه قد تقدّم القول فى أنّه متى انتقلت الشّمس إلى أول نقطه الحمل اعتدل اللّيل و النّهار، و أخذ النّهار فى الزّياده على اللّيل، و ذهب برد الشّتاء، و رطب الهواء و مالت الشّمس إلى الشّمال، و فى الارتفاع إلى سمت الرءوس فى البلدان الشّماليه و مواضع العماره فى الصّعود إلى ذروه فلكه الخارج المركز و ابتداء النّشوء و النّمو فى النّبات و الحيوانات و المعادن و المياه و تورّقت الأشجار.

و إذا انتقلت إلى أوّل السّرطان صار النّهار فى نهايه الطّول و الزّياده على الاعتدال، و اشتدّ الحرّ و سلس الهواء، و أخذ النّهار فى النقصان.

و إذا انتقلت إلى أوّل الميزان اعتدل اللّيل و النّهار ثانيا، و أخذ اللّيل فى الزّياده على النّهار و يغلب اليبس على الهواء مع ابتداء البرد، و كل شى ء من أحواله يخالف أحوال الربيع، و تأخذ الشّمس فى الميل إلى الجنوب و تتباعد عن سمت الرءوس و يكون فى انحطاط من الارتفاع، و انحدار إلى حضيض فلكه الخارج المركز.

و إذا انقلب إلى أوّل الجدى يصير النّهار فى نهايه القصر، و اللّيل فى نهايه الزّياده و الطّول. و اللّيل فى النّقصان إلى أن تعود الشّمس إلى أوّل الحمل و قد بان بما و صفنا أنّ ابتداءهم بالحمل دون سائر البروج للأحوال التى ذكرنا.

و لكل فصل من هذه الفصول ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر. (فبروج الرّبيع):

الحمل- و الثّور- و الجوزاء. (و بروج الصيف): السّرطان- و الأسد و السّنبله. (و بروج الخريف): الميزان- و العقرب- و القوس. (و بروج الشّتاء): الجدى- و الدلو- و الحوت.

و لذلک سمّیت الحمل و السّرطان و المیزان، و الجدی منقلبه لأنّها متی نزلت الشّمس أوّل الحمل انقلب الزّمان من طبیعه فصل الشّتاء و أحواله إلی طبیعه فصل الرّبیع، و إذا نزلت السّرطان انقلب الزّمان من طبیعه فصل الرّبیع إلی طبیعه فصل الصّیف و أحواله. (و إذا نزلت) المیزان انقلب الزّمان من طبیعه فصل الصّیف و أحواله إلی طبیعه فصل الخریف و أحواله.

و إذا نزلت الجدی انقلب الزّمان من طبیعه فصل الخریف إلی طبیعه فصل الشّتاء و أحواله، و سمّیت الثّور و الأسد و العقرب و الدّلو ثابته لأنّه إذا نزلت الثّور ثبتت طبیعه فصل الرّبیع، و إذا نزلت الأسد ثبتت طبیعه فصل الصّیف، و إذا نزلت العقرب ثبتت طبیعه فصل الخریف، و إذا نزلت الدّلو ثبتت طبیعه فصل الشّتاء، و سمّیت الجوزاء و السّنبله و القوس و الحوت ذوات جسدین، لأنّه إذا صارت الشّمس فی النّصف من الجوزاء تمتزج طبیعه فصل الرّبیع و طبیعه فصل الصّیف، و إذا صارت فی النّصف من السّنبله تمتزج طبیعه فصل الصّیف بطبیعه فصل الخریف، و إذا صارت فی النّصف من القوس تمتزج طبیعه فصل الخریف بطبیعه فصل الشّتاء. و إذا صارت فی النّصف من الحوت تمتزج طبیعه فصل الشّتاء بطبیعه فصل الرّبیع.

و اعلم أن الشهر إذا تمّ فکان ثلاثین یوما طلع الهلال(۱) بعد ما تجاوز.

۱- قال فی کنز المدفون: یقال للهلال: هلال للیلتین من أول الشهر و للیلتین من آخره، و یسمّی ما بین ذلک قمرا، و قیل إنه خصّ کلّ ثلاث لیال باسم، فالثلاثه الأول یقال لها هلال، و الثّلاثه الثانیه یقال لها قمر، و الثّلاثه الثالثه یقال لها بهر، و الثّلاثه الرّابعه یقال لها زهر، و الثّلاثه الخامسه یقال لها: بیض، و الثّلاثه السّادسه یقال لها درع، و الثّلاثه السابعه یقال لها ظلم، و الثّلاثه الثامنه یقال لها حنادس، و الثلاثه التّاسعه یقال لها: دآدئ، و الثلاثه العاشره یقال للیلتین منها محاق و لیله و هی آخره سرار. و قیل: غیر هذه ثلاث غرر، و غره کل شی ء أوله، و قیل: شهب و ثلاث زهر و الزّهره البیاض، و قیل نفل و ثلاث تسع لأن آخر یوم منها هو التّاسع و ثلاث بهر لأنّه یبهر فیها الظّلام، و ثلاث بیض لأنّ لیالیها بیض بطلوع القمر من أوّلها إلی آخرها و ثلاث درع لأنّ أوّله یکون أسود و باقیته أبیض و ثلاث دهم، و فحم و ثلاث حنادس و ثلاث دآدئ و ثلاث محاق لانمحاق الشّهر، و قیل: إنّ العرب تسمّی اللّیله الثامنه و العشرین دعجاء و لیله تسع و عشرین دهماء، و لیله ثلاثین لیلاء(من کلام الشیخ کمال الدّین الدّمیری). قال شعرا: ثمّ لیالی الشّهر ما قد عرفواکلّ ثلاث الصّفات تعرف فغرر و تفل و تسع و بهر و البیض ثمّ الدّرع و ظلم حنادس دآدی ثم المحاق لانمحاق بادی القاضی محمد شریف الدّین المصحح عفا اللّه عنه.

الشّمس بمنزله و نصف و يرى عظيما فيدخل تلك المنزله فى مسيره حتى يستتر فى ثمان و عشرين و نصف، فيكون استتاره فى ذلك الشّهر يوما و نصفا و يطلع و هو خفى، و يكون ذلك الشّهر تسعه و عشرين يوما، و يكون استهلاله بعد ما تجاوز الشّمس بمنزله فإذا رؤى الهلال على رأس منزله من الشّهر كان أدق ما يكون و أخفاه لقربه من الشّمس، و يكون ذلك الشّهر ثلاثين يوما. و إذا رؤى على منزله و نصف من الشّهر كان أعظم ما يكون و أبينه لبعده من الشّمس، و يكون ذلك الشهر الذى يعظم فيه الهلال تسعه و عشرين يوما فأقلّ ما يستتر يومان.

و اعلم أنّك إذا رأيت الهلال لليله فإنه يمكث فى الشّتاء سته أسباع الساعه- و إذا كان لليلتين فإنّه يمكث ساعه و خمسه أسباع الساعه، و إذا كان لثلاث فإنّه يمكث ساعتين و أربعه أسباع السّاعه. و إذا كان لأربع فإنه يمكث ثلاث ساعات و ثلاثه أسباع السّاعه، و إذا كان لخمس فإنه يمكث أربع ساعات و سبعى السّاعه، و إذا كان لستّ فإنه يمكث خمس ساعات و سبع السّاعه، و إذا كان لسبع فإنه يمكث ستّ ساعات و إذا كان لثمان فإنه يمكث ست ساعات و سته أسباع الساعه، و إذا كان لتسع فإنه يمكث سبع ساعات و خمسه أسباع الساعه.

و إذا كان لعشر فإنّه يمكث ثمان ساعات و أربعه أسباع السّاعه، و إذا كان لإحدى عشره فإنّه يمكث تسع ساعات و ثلاثه أسباع السّاعه، و إذا كان لاثنتى عشره فإنّه يمكث عشر ساعات و سبعى السّاعه، و إذا كان لثلاث عشره فإنّه يمكث إحدى عشره ساعه، و سبع السّاعه و إذا كان لأربع عشره فإنّه يمكث اثنتى عشره ساعه، و ذلك ساعات اللّيل كلّه، و إذا كان لخمس عشره فإنّه يطلع بعد سته أسباع السّاعه. و إذا كان لست عشره ليله فإنّه يطلع بعد ساعه و خمسه أسباع السّاعه، و كذلك ينقص فى كل ليله سته أسباع السّاعه حتى يستتر تحت الشّعاع ليله ثمان و عشرين.

و اعلم أن الشّمس تقطع البروج الاثنى عشر التى هى جماع الفلك على ما ذكره بعض المتقدّمين فى ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و ست ساعات و خمسى السّاعه، و تسير فى كلّ برج ثلاثين يوما و عشر ساعات.

و يقطع القمر البروج فى ثمانيه و عشرين يوما، و يصير فى كل برج يومين و ثمان ساعات.

و يقطع زحل البروج فى ثمانيه و عشرين يوما، و يصير فى كل برج يومين و ثمان ساعات.

و يقطع زحل البروج كلّها فى ثلاثين سنه، و يصير فى كلّ برج خمسه و أربعين يوما.

و يقطع المشترى فى اثنتى عشره سنه، و يصير فى كل برج اثنى عشر شهرا.

و يقطع المرّيخ فى سبعه عشر شهرا يصير فى كلّ برج خمسه و أربعين يوما.

و تقطع الزّهره فی عشره أشهر و تصیر فی کل برج خمسه و عشرین یوما.

و یقطع عطارد البروج کلّها کما یقطع الشّمس سواء و یسیر فی کلّ برج کما تسیر الشّمس لأنّه معها لا یفارقها.

و تقطع الجوزاء البروج فی ثمانی عشره سنه و یصیر فی کلّ ثمان عشر شهرا.

فأمّا الکلام فی مواقیت الزّوال فی الشّتاء و الصّیف و نقصان ذلک و زیادته فی کلّ شهر من شهور الفارسیّه، و الدّاعی إلیه ضبط أوقات الصّلاه المفروضه و الاحتیاط فی إقامتها سننها و فی أوقاتها.

و لمّا کان یختلف فی السّنین و البلدان من أجل اختلاف العروض و السّماوات، عمدت إلی حلول الشّمس أوائل البروج و قسمت علیها أقدام الظلّ ببلدنا الذی هو أصبهان سنه ثلاث مائه و اثنتین و تسعین لیزدجرد إذ کان أبعد من الاختلاف و أقرب إلی الدّوام و الثّبات، و لئلا یجب أن یغیّر فی کلّ سنه عند تحوّلها، و علمت أنّ من یکمل للنّظر فی هذا الکتاب یکون متمرنا بمعرفه حلول الشّمس أول کل برج، و متدربا بعلم وقته و اللّه الموفّق.

فأوّل حلول الشّمس برج الحمل یکون الظلّ عند الزّوال أربعه أقدام و نصف العشر، و إذا سار عشر درجات منه یکون ثلاثه أقدام و ربع و خمس، و إذا سار عشرین درجه منه یکون قدمین و نصف و ثلث و عشر.

و أوّل حلولها برج الثّور یکون الظّل قدمین و ثلثی قدم و ثلثی عشر. و إذا سار عشر درجات یکون قدمین، و إذا سار عشرین درجه یکون قدما و ثلثی قدم.

و أوّل حلولها برج السّرطان یکون الظلّ ثلثی قدم و خمسا و عشرا و إذا سار عشر درجات یکون قدما و عشرا و نصف العشر.

و أوّل حلولها برج الأسد یکون الظّل قدمین و ربعا و سدسا. و إذا سار عشر درجات یکون الظلّ قدمین و ثلثین و ربعا. و إذا سار عشرین درجه یکون ثلاثه أقدام و نصف قدم.

و أوّل حلولها برج المیزان، یکون الظّل أربعه أقدام و عشرا، و إذا سار عشر درجات یکون أربعه أقدام و خمس و سدس و عشر قدم.

و أوّل حلولها برج العقرب یکون الظّل سته أقدام و سدس قدم. و إذا سار عشر درجات یکون سبعه أقدام، و إذا سار عشرین درجه یکون سبعه أقدام و نصف و ربع.

و أوّل حلولها برج القوس یکون الظّل ثمانیه أقدام و ربع و خمس قدم. و إذا سار عشر درجات یکون تسعه أقدام، و إذا سار عشرین درجه یکون تسعه أقدام و ربع و عشر قدم.

و أوّل حلولها برج الجدی یکون الظّل تسعه أقدام و نصف قدم. و إذا سار عشر درجات یکون تسعه أقدام و ثلث قدم، و إذا سار عشرین یکون ثمانیه أقدام و نصف و ثلث و عشر قدم.

و أوّل حلولها برج الدّلو یکون الظّل ثمانیه أقدام و ثلث قدم، و إذا سار عشر درجات یکون سبعه أقدام و نصف و خمس قدم، و إذا سار عشرین درجه یکون ستّه أقدام و نصف و ثلث و عشر قدم.

و أوّل حلولها برج الحوت یکون الظّل ستّه أقدام و سدس قدم و إذا سار عشر درجات یکون خمسه أقدام و ثلث و عشر قدم، و إذا سار عشرین درجه یکون أربعه أقدام و ثلثی و نصف عشر قدم.

الباب الرّابع و الخمسون فی اشتداد الزّمان بعوارض الجدب و امتداده بلواحق الخصب

یروی عن النبی صلی اللّه علیه و سلم أنّه قال فی دعائه علی الکفار: «اللهم اشدد وطأتک علی مضر، و اجعل علیهم سنین کسنی یوسف» فدعاهم جهد البلاء إلی أن أکلوا العلهز و هو المعجون من الوبر بدم القراد أعاذنا اللّه تعالی من السوء برحمته و من ذلک قول الشّاعر شعرا:

هلّا سألت بنی ذبیان ما حسبی إذا رعائی راحت قبل حطّابی

و ذلک إذا اشتدّ البرد فراح الرّاعی بإبله قبل الحطّاب، لقله المرعی و لأنّ المحتطبین یحتبسون مستکثرین من الحطب لشدّه البرد، و قال النابغه فی مثله:

هلّا سألت بنی ذبیان ما حسبی إذا الدّخان تغشّی الأشمط البرما

و یقال: أتانا فلان من الطّیخه إمّا فی فتنه و إمّا فی جدب و بلاء، و أنشد:

و کنا بها بعد ما طیخت عروضهم کالبهرقیه یبغی لیطها الدّسما

و المطیخ: الفاسد و قال ابن مقبل:

أ لم تعلمی أن لا یذم فجاءنی دخیلی إذا اغبرّ العضاه المجلّح

یرید أنّ الدّخیل لا یذمّه إذا غشیه فی وقت لم یکن مستعدا للاحتفال به و المجلّح الذی أکلته الإبل حتی ذهبت بغصونه، و صار کالرأس الأجلح، و مثله قول الأعشی:

و إنی لا یشتکینی الألوک إذا کان صحو السّحاب الضّریبا

أراد بالألوک ذو الألوک و هی الرساله، یرید لا أردّ صاحبها بغیر شی ء فیشکونی فی هذا الوقت البارد الجدب، و بیّن هذا المعنی لبید و بسطه فقال:

و غلام أرسلته أمّه بألوک فبذلنا ما سأل

أو نهته فأتاه رزقه فاشتوی لیله ریح و اجتمل

زاد على الأول لأنّه قال: تطلب إذا طلب و نبتدئه إذا أمسك، و قال الكميت يذكر سنه جدب:

و كأنّ السوف للقينات فوقاتعيش به و هنيت الرّقوب

و صار وقودهم للنّار أماو هان على المخبأه الشّحوب

قال أيضا:

و أنت ربيعنا فى كلّ محل إذا المهداء قيل لها العفير

(المهداء): الكثيره البر على الجيران، و العفير الذى لا يهدى من الجدب، و الأصل فى التّعفير أن يعلّل العظيم بالشّى ء ليستغنى به عن اللّبن و يشهد للمهداء قوله:

و إذ الجراد اغبررن من المحل و كانت مهداؤهنّ عفيرا

و قال لبيد:

يكبون العشار لمن أتاهم إذا لم تسكت المائه الوليدا

أى لا يوجد فى المائه من اللّبن ما يعلل به صبى إذا بكى و قال أوس فى مثله:

و ذات هدم عار نواشرهاتصمت بالماء تولبا جدعا

(الهدم): الخلق، (و التّولب): ولد الحمار، و استعاره للعظيم و الجدع السيئ الغذاء.

و قال الفرزدق: و عام تمشى بالفراع أرامله، الفراع: الجرب، و إنما يتمشّى بها تسأل الصّدقه و قال الهذلى:

و ليله يصطلى بالفرث جارزهايختص بالنّضرى المثرين داعيها

يريد أنّ الجارز لشدّه البرد يدخل يده فى الكرش ليدفأ و قال الفرزدق:

إذا السنه الشّهباء حلّ حرامها

أى: يأكلون فيها الميته و الدّم، و قال رؤبه جدباء فكّت أسر القعوس. و القعس:

الهودج أى فكّوها و أوقدوا بها من شدّه البرد، و قال الكميت:

فأىّ عماره كالحىّ بكرإذا اللّزيات لقيت السّنينا

أكرّ غداه أبساس و نقرو أكشف بالأصائل إذ عرينا

اللّزيات: الشدائد، و اللّزيه تلقب بالسّنه حتى بنى منه الفعل، فقيل: أسنت القوم أصابتهم السّنه، و التّاء فى أسنت قال أصحابنا: هى بدل من الواو الظاهره فى الجمع، إذا

قيل سنوات، و مثله التاء فى قولهم أخت.

و يقال هذا عام سنه و الأرض وراءنا سنه. و من ألقاب الجدب قولهم: كحل و تحوط.

قال: و الحافظ النّاس فى تحوط إذا لم يرسلوا تحت عائد ربعا. و يروى فى تحيط.

و يقال: أصابتهم لزيه- و حطمه- و أزمه- و لأواء- و لولاء- و قحمه- و حجره و شصاصاء و أكلتهم الضّبع و الفاشوره قال:

قوم إذا صرحت كحل بيوتهم عزّ الذّليل مأوى كلّ قرضوب

و أحجرنا عامنا و هى الحجره قال:

إذا الشّتاء أحجرت نجومه و اشتدّ فى غير ثرى أزومه

و السنه القاويه، و قد قوى المطر إذا قحط، و يقال: حقد المطر: إذا احتبس و قوله: إذا عرينا: يريد بردن، و يقال: ليله عريه و يوم عرى أى بارد، يقول: يكشفون تلك الأصائل بالإطعام و تفقّد الناس، و قال الكميت يصف زمن الجدب شعرا:

و جالت الرّيح من تلقاء مغربهاو ضنّ من قدره ذو القدر بالعقب

و كهكه المدلج المقرور فى يده و استدفأ الكلب فى الماسور ذى الذئب

(العقبه): شى ء كان يردّه مستعير القدر من المرق فى القدر و هو العافى. و (كهكه):

نفخ فى يده من شدّه البرد. و أنشد الأصمعى فى العافى:

إذا ردّ عافى القدر من يستعيرها

و قال الفرزدق:

و هتكت الأطناب كلّ ذفرهلها تامك من عاتق التى أعرف

(التامك): السّنام، و (الأعرف): الطّويل العرف، يقول: إذا أصابها البرد دخلت الخباء فقطّعت الأطناب. و قال الكميت:

فأىّ امرئ أنت أىّ امرئ إذا الزّجر لم يستدرّ الزّجورا

و لم يعط بالعصب منها العصوب لا النّهيت و إلا الطّخيرا

(النّهيت): الصّياح و الرّغاء، و (الطّخير): الضّرب بالرجلين و (الزّجور): التى لا تدر حتى تزجر، و هذا فى شده الزّمان. و قال أيضا:

بعام يقول له الموكفون هذا المعيم لنا المرجل

و كان سواء لنا تجين تمام الحوارين و المعجل

و المرجل أى جعلهم رجالاـ و قوله: و كان سواء أى ليس للأمهات لبن، فالتمام يموت أيضا، قال أبو عمر: و هما حواران أحدهما، (تمام): و الآخر. (معجل).

و حكى ابن الأعرابى: هذا عام صار الرّوم فيه علوقا، و الرّفود زجورا، فالرءوم العطوف على ولدها، و الرّفود التى تملأ رفدين فى حلبه أى قد حين و العلوق التى ترأم بأنفها و تمنع درّها و الزّجور التى لا تدر حتى تزجر، و كلّ ذلك الانقلاب للضّير و الشدّه و كلب الزّمان و قال ابن مقبل شعرا:

و لا اصطفى لحم السّنام ذخيرهإذا عزّ ريح المسک باللّيل قاتره

قاتره من القتار، عزّه غلب عليه، يقول فى زمان الجدب: يكون ريح القتار أطيب من ريح المسک و قال:

بلى إنّ الزّمان له صروف و كلّ من معاركه السّنين

فيسمن ذو العريكه بعد هزل و يغتر الهزيله بالسمين

العريكه من قولهم ناقه عروک إذا لم يكن فى سنامها إلا شى ء يسير، و المعنى إن صروف الدّهر تقلب: فيسمن المهزول و يهزل السّمين و الهزال من الشّحم و الهزل من الجدب و الموت و قال عروه شعرا:

أقيموا(۱) بنى أمّى صدور قناتكم

فإنّ منايا النّاس شرّ من القتل

و يقال عام: (مجرنمز) إذا كان المطر وسطه دون أوله، و المجداب الأرض لا تكاد تخصب، و الرّمد القحط و أرمد القويم هلكوا جدبا.

و يقال: سنه سنواء- و حصاء- و شهباء- و غبراء- و أرض بنى فلان جرز و الجمع أجراز و مجروزه، و أنشد ابن الأعرابى الأسودان أبردا عظامى. الأسودان الفث و الماء، و الفث حب يطحن و يخبز منه خبزا أسود، و هذا كما قيل فى التمر و الماء الأسودان و معنى: (أبردا عظامى) أى أذهبا مخى، و الفث يأكله الضّركاء. قال الطّرماح:

لم يأكل الفثّ و الدّعاع و لم يتعفّ هبيدا بجنبه مهتبده

(الهبيد): حب الحنظل، قال حسّان رضى اللّه عنه:

لم يعللن بالمغافير و الصّمغ و لا شرى حنظل الحظبان

١- أقيموا بنى أمىّ صدور مطيّكم فإنّى إلى قوم سواكم لأميل

المغافير: جمع المغفور و هو شی ء ینضجه التمام.

و یقال: عیس عزیر- و زمان عزیر: أی لا یفزع أهله و عام غیداق. و سیل غیداق، و ماء غدق. و یقال: زمن مخضم لا مقضم. و حکی الفراء عام أزب.

قال أبو عبیده: عیش حزم و هی عربیه و أنشد لأبی عیینه:

و جنه فاقت الجنان فماتبلغها قیمه و لا ثمن

ألفتها فاتّخذتها وطناإنّ فؤادی لأهلها وطن

زوج حیتانها الضّباب بهافهذه کنه و ذا ختن

و انظر تفکّر فیما یطوف به إنّ الأریب المفکّر الفطن

من سفن کالنّعام مقبلهو من نعام کأنها سفن

أخذ هذا من قول الخلیل بن أحمد شعرا:

زر وادی القصر نعم القصر و الوادی لا بدّ من زوره من غیر میعاد

یرفی بها السّفن و الظمآن واقفهو الضّب و النّون و الملاح و الحادی

و قال بعضهم: سقیا لزمن حضنتنی أحشاؤه- و أرضعتنی أحساؤه- فما هو فی الأزمان إذا قیس حاله- و اعتبر نشوه و نماؤه- أ لا أخ عرفت مذاهبه- و جزت خلائقه- فصح لک غیبه- و بعد عنک عیبه- فهو شقیق روحک- و باب الرّوح إلی روعک.

و قال بعض البلغاء: من أتی قصر أنس بن مالک ظهرا یری أعرابیا یحدو بزوملته- و رأی ملاحا یغنّی علی سکانه- و رأی صیادا قد طرح شبکته- و رأی غلاما عند جحر ضب یریغ صیده- ثم رأی أرضا کان ترابها الکافور- و لا تسفیه الرّیح لأنّها تربه- فمتی شئت رأیت بساطا موشیا- و متی شئت رأیت جنه و حریرا- و قال أبو عیینه شعرا:

تذکّرنی الفردوس طورا فأرعوی و طورا تواتینی علی القصب و الفتک

بغرس کأبکار الجواری و تربهکأنّ ثراها ماء ورد علی مسک

فیا حسن ذاک القصر قصرا و منظرابأفیح سهل غیر وعر و لا ضنک

كأنّ قصورا لقوم ينظرن حوله إلى ملك موف على منبر الملك

يدلّ عليها مستطيلا بحسنه و يضحك منها و هى مطرفه تبكى

و أنشد ابن أبى ناظره، قال أنشدنى الرّياشى عن الأصمعى:

إنمّا يتمّ الفؤاد غزال ذو دماليج يوم سال العقيق

مالئ الطّرف من بعيد عميم و مليح إذا دنوت عتيق

لو رآه رهبان مدين طارواو استخف المطران و الجاثليق

و لها مربع بطيبه لذّو لها بالحمى مبدى أنيق

سلوه العيش و النّدى فإذاما ودّعتها رواعد و بروق

سكنت دسكراتها و أطباهاظلّ عيش نضر العيون و ريق

فى رياض تحفّهنّ نخيل باسقات تعلى عليها الوسوق

و إذا أهل جنه حصّنوهاحين تعرو نوائب و خفوق

ثلموها لابن السّبيل و للعافى ففيها للمعتقين طريق

و من كلامهم: وقع فى الأهيغين: أى الطّعام و الشّراب. و سئل بعضهم ما أطيب العيش أو الأوقات؟ فقال: ما قلّ أذاه. و كثر جداه، أيام تربيع الحمى و قصيفه، و يريح من الهوى ظلّ المنى و ريفه.

و حكى الأصمعىّ: موت لا يجرّ إلى عار خير من عيش فى رماق: أى قدر ما يمسك الرّمق. و قال طرفه:

نحن فى المشتاه يدعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر

و يقال: فلان يدعو الجفلى و الأجفل إذا عمّ بدعائه، و فلان يدعو النّقرى إذا خصّ قوما دون قوم، و قال كلّ الطّعام يشتهى ربيعه: الخرس و النقيعه. (الخرس): للولاده.

(و الأعذار): للختان و (الوليمه) للعرس، و (النقيعه): طعام القادم من سفره و (المأدبه) كلّ طعام صنع و دعى إليه و (الوكيره) الطّعام يصنع عند بناء البيت و قال الشاعر:

فظللنا بنعمه و اتّكأناو شربنا الحلال من قلله

اتّكأنا طعمنا: و منه قوله تعالى: وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً [سوره يوسف، الآيه: ۳۱] أى طعاما (القلل) جمع قلّه، و قال حرمله بن حكيم:

يا كعب إنك لو قصرت على حسن النّدام و قلّه الجرم

و سماع مدجنه تعلّلناحتّى نئوب تناوم العجم

لصحوت و النّمرىّ يحسبهاعمّ السّماك و خاله النّجم

و يروى على شرب المدام (المدجنه) الدّاخله فى الدّجن و هو اليوم المطير، و أراد حتى نئوب نتناوم تناوم العجم، و كانوا لا ينامون إلّا على ضرب الأوتار و شرب الرّحيق.

و قال ابن الأعرابى: يقول لو أحسنت المنادمه لنادمتک حتى الصّبح إلى صياح الدّيکه.

قال: و النمرىّ: هو کعب نفسه، أى لصحوت و أنت تحسب هذه المسمعه. کذلک فى عظم

القدر، و هذا كقولك ما يحسبه إلا ابن ماء السماء و قال لبيد:

يثنى ثناء من كريم و قومه ألا انعم على حسن التّحيه و اشرب

قوله: يثنى ثناء أى يديم ما كان عليه من الثّناء. و قال آخر:

كرام إذا ناب البحار ألذّه مخاريق لا يزجون فى الخمر

و ألذه مخاريق أى يخرقون فى العطاء كما قال:

فتى إذ هو استغنى تخرّق فى الغنى و إنّ قلّ مالا لم يضع متنه الفقر

الباب الخامس و الخمسون فی حدّ ما یشتمل علی ذکر ما فی إعرابه نظر من حدیث الزّمان

قال ذو الرّمه شعرا:

فلمّا نصفن اللّیل أو حین نصبت له من خذی آذانها و هو جانح

یروی لبسن اللّیل یعنی الحمر، و نصبت للتّوجّه إلی الماء، و قال بعضهم حین فعل من الحینونه و المراد أو حین دنا اللّیل للنّصف فحذف و أنشد سیبویه:

أرواح مودّع أو بکورلک فاعمد لأیّ حال تصیر

و قیل: جعل الرّواح هو المودّع علی السّعه، و قیل: أراد ذو رواح أنت أم بکور فحذف.

و روی سیبویه: أنت فانظر و معناه انظر أنت، فانظر، و قال هذا یرتفع علی الحدّ الذی ینتصب به عبد اللّه إذا قلت عبد اللّه ضربته، و قال: أی حال و وجه الکلام أیه حال لکنّه حمله علی لفظه الحال. و قال ابن أحمر شعرا:

ألا فالبثا شهرین أو نصف ثالث إلی ذاکما ما غیّبتنی غیابیا

أراد شهرین أو شهرین أو شهرین و نصف ثالث، و قیل: أراد بل و أو یکون بمعنی بل و قیل: أو بمعنی الواو کأنه أراد و نصف ثالث، قوله: ما غیّبتنی غیابیا أراد بالغیاب الغیابه، لذلک أنّث کما قال تعالی: فِی غَیابَتِ الْجُبِّ* [سوره یوسف، الآیه: ۱۰] إنّه حذف الهاء مع الإضافه لأنّ المضاف إلیه کالعوض مثل: لیت شعری و هو أبو عذرها.

و یجوز أن یکون غیابه و غیاب مثل قتاده و قتاد، فحمله علی التّأنیث مثل نخل خاویه.

و قالت أمیه بنت عتیبه بن الحارث:

تروّحنا من اللّعباء قصراو أعجلنا الإلهه أن تئوبا

و یروی: و أعجلنا الحمائل أن تئوبا. یرید به الشّمس أی استعجلناها مخافه أن تئوب و لئلا تئوب و معنی تئوب: تغیب کما قال:

و لیس الّذی(۱) یتلو النّجوم بآئب

و یروی: و أعجلنا الإهه و قیل الإهه اسم للشّمس، لأنّه کانت تعبد. و قال الفرزدق:

فسد الزّمان و من تغیّر أهله حتی أمیه عن فزاره تنزع

أی و من تغیّر أهله فسـد، فحـذف و قیـل: و من تغیر أهله أمیه تنزع، و قیـل: بـل أراد أن یجعل حتی معلقه لا تعمل فی شـی ء، و یکون بمعنی الواو. سبب هذا الشّعر أنّ أمیه بن خالد بن أسد عزل عن عمله لعمر بن هبیره، و یشبه هذا قوله شعرا:

فیا عجبا حتّی کلیب تسبّنی کأنّ أباها نهشل أو عطارد(۲)

و قال عبد العزیز بن ودیعه المزنی:

نسأت القلوص علی لاحب و مرّ اللّیالی یزلن النّعیما

مرّ اللّیالی: هو اللیالی، لذلک قال یزلن و مثله لجریر:

رأت مرّ السّنین أخذن منّی کما أخذ السّرار من الهلال

و أنشد سیبویه فی مثله:

لمّا أتی خبر الزّبیر تواضعت سور المدینه و الجبال الخشّع

و قال الفرزدق:

علی حین ولّی الدّهر إلا أقلّه و کاد بقایا آخر العیش تذهب

جعل لآخر العیش بقایا، و البقایا من العیش لا من آخره، و المعنی کادت بقایا ذلک الأقل تذهب أیضا. و قال و عله الجرمی:

و لمّا رأیت الخیل تتری أتایجاعلمت بأنّ الیوم أحمس فاجر

یروی حاذر و حاذر، أی: محذور. و قال الفرزدق:

مثل النّعام یدینها تنقلهاإلی ابن لیلی بها التّهجّر و البکر

١- يرعى النّجوم. للنّابغه الذبيانی.

٢- أو مجاشع.

ارتفع التّهجر و البكر على أن يكون فاعل يدينها و انتصب تنقلها على البدل من المضمر فى يدينها. و قال حميد بن ثور:

تعلّلت ريعان الشّباب الذى مضى بخمسه أهلين الزّمان المذبذب

الزّمان: بدل من الشّباب، و جعله مذبذبا استقصارا لوقته، و قال أيضا شعرا:

فإمّا ترينى اليوم أمسكت بعد ماتردّيته برد الشّباب المجر

انتصب برد على البدل من المضمر فى تردّيته، يريد بعد ما لبست برد الشّباب أى استمتعت به. و قالت امرأه منهم شعرا:

صاح الغراب بدار هند سدفهصمّ الغراب و خرس ما ذا ينثر

دعت عليه بالصّم و الخرس.

و مرّ القول فى السّدفه. و أنشد ابن الأعرابى لبعض بنى أسد:

و لقد رأيتك بالقوادم مرّهو علىّ من سدف العشىّ رياح

أى أريحيه و خيلا من الشّباب. فقال رياح و أنشد سيبويه لعمر بن قميه:

لما رأت ساتيدما استعبرت للّه درّ اليوم من آلامها

فرّق بين المضاف و المضاف إليه بالظّرف كما يفرّق بينهما بالقسم. و قال عمر بن ربيعه:

أما الرحيل فدون بعد غدفمتى تقول الدّار تجمعنا

أجرى: تقول مجرى تظن فى الاستفهام، أعمله عمله.

و إذا كان كذلك فانتصاب الدّار على المفعول الأول، و تجمعنا مفعول ثان: المعنى متى تظنّ الدار جامعه لنا تقول. و أنشد سيبويه:

أ كلّ عام نعم تحوونه يلقحه قوم و تنتجونه

قوله: تحوونه صفه للنّعم كأنه قال: نعم محويه، فكونه صفه منع من أن يكون عاملا فيما قبله. و أنشد للهذلى:

حتّى شاءها كليل موهنا عمل بانت طرابا و بات اللّيل لم يتم

جعل سيبويه كليلا يتعدّى إلى موهن كما يتعدّى ضارب إلى مفعوله، و خالفه جمع

النّحويون كلّهم، و جعلوا موهنا ظرفا و قد تكلّمت له و عليهم فيما عملته من شعر هذيل و أنشد سيبويه لعدى بن زيد:

أرواح مودّع أم بكور؟أنت فانظر لأىّ حال تصير

قال: أراد ذو رواح أنت أم بكور فحـذف. و قال سيبويه: معناه: انظر أنت فانظر و قال هـذا يرتفع على الحد الذى ينتصب به على شى ء ما بعده تفسيره، و مثال ذلك المنصوب إذا قلت زيد أضربته لأنّ المعنى أهنت زيدا ضربته. و قال شعرا:

ذكرتك لمّا أتلعت من كناسهاو ذكرك سبات إلى عجيب

قال: إلى بمعنى عند و السبه القطعه من الدّهر. و قال آخر:

أرى كلّ يوم زرتها ذو بشاشهو لو كان حولا كلّ يوم أزورها

يقول: أراد و لو كانت زيارتى كلّ يوم حولا. قال:

على حين عاتبت المشيب على الصّبافقلت أ لمّا أصح و الشّيب وازع؟!

قوله: على حين بناه على الفتح أى فى حين و أراد عاتبنى المشيب فجعل الفاعل مفعولا. و قال الأصمعى فى قول سحيم بن وثيل:

و إنّى لا يعود إلىّ قرنى غداه الورد إلّا فى قرينى

أراد: مع قرين أى مع أسير آخر أقرنه إليه، و قال غير الأصمعى: أراد بالقرين الحبل.

و قال متمّم بن نويره:

فلمّا تفرّقنا كأنّى و مالكالطول اجتماع لم نبت ليله معا

قال: أراد مع طول اجتماع، و قيل: أراد كأن طول الاجتماع كان سبب التّفرق، لأنّ الشى ء إذا تناهى عاد ناقصا. و قال آخر:

إنّ الرّزيه لا رزيّه مثلهاأخواى إذ قتلا بيوم واحد

أى فى يوم واحد.

و من القلب و الإبدال قوله: كان لون أرضه سماؤه، أراد كان لون سمائه أرضه. قال الأعشى:

لقد كان فى حول ثواء ثويهتقضّى لبانات و يسأم سائم

أراد فی ثواء: حول ثویه، و قوله: و یسأم سائم: أراد سأمه سائم و قال:

مروان مروان أخو الیوم الیمی قـال: أراد الیوم الیوم فأخّر الواو و قـدّم المیم، ثم قلب الواو حین صار ظرفا کما یقال فی جمع دلو: آدل، و قیل: بل أراد أخو الیوم الیوم کما یقال فی الحرب عند التداعی الیوم الیوم، أی هو أخو هذا المقاله. و أنشد الأخفش بیت الفرزدق:

کم عمه لک یا جریر و خالهفدعاء قد حلبت علیّ عشاری

قـال: یجوز فی عمه الرفع و النصب و الخفض. قـال فرفعه علی الابتـداء و بجعل کم ظرفا و خاله، و نصـبه علی نیه التّنوین فی کم فشبّه بعشرین درهما و ما أشبهه، و الخفض علی الإضافه، کما یقول کم رجل قد رأیت لأنه أجری مجری عدد لا تنوین فیه، نحو ثلاثه أثواب. و قال عمرو بن معدیکرب و یروی لغیره:

و کلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبیک إلّا الفرقدان

ارتفع الفرقـدان عند أصـحابنا البصـریین علی أنّه بدل من قوله: کلّ أخ و الکوفیون یجعلون إلّا بمعنی الواو، کأنّه قال: و الفرقدان أیضا. و قال جریر شعرا:

لقد لمتنا یا أمّ غیلان فی السّری و نمت و ما لیل المطیّ بنائم

و مثل هذا کثیر.

قال سیبویه: جعل النّوم للّیل کما جعل النّابغه السّهر له فی قوله:

کتمتک سرّا یا لجومین ساهراو همین هما مستکنا و ظاهرا

و التّحقیق ما لیل المطیّ بذی نوم، و قال غیره: أراد لا ینام من قاساه، فحذف لأنّ المعنی معروف. و قال و عله الجرمی شعرا:

و لمّا رأیت الخیل تتری أتایجاعلمت بأنّ الیوم أحمس حاذر

قـالوا: أراد بالحـاذر المحـذور، و روی فـاجر أی سدیـد ذو فجور، و کـانوا یسـمّون من یغزو فی الأشـهر الحرم فـاجرا، قالت لیلی الأخیلیّه:

علی تقاها دائما و فجورها. و أنشد:

بنی أسد ما تعلمون بلاءناإذا کان یوم ذو کواکب أشنعا

جعل أشنعا حالا و لعنتره:

أ من سميّه دمع العين مذروف لو كان ذا منك قبل البين معروف

قال: أراد لو كان القصه، و قال الفرّاء: لو كان ذا فى موضع نصب. و قال أحمد بن يحيى فى الأمر و كان مجهول، و هذا يقارب طريقه أصحابنا. قال: و من العرب من يجعل العفل للصّيفه فيرفعه كما قال: قلت أحبى عاشقا يحبكم مكلف: أى هو مكلف. قال الأعشى:

أسرى و قصّر ليله ليزوداو مضى و أخلف من قتله موعدا

أخلف: أى وجده كذلك كما قال:

و أهيج الخلصاء من ذات البرق: أى وجده هائجه النّبت، و كقول العبّاس:

لعمره رسم أصبح اليوم دارساو أقفر منها رحرحان و راكسا

أى وجدهما قفرا. و قال جرير:

إذا خفت يوما أن يلجّ بك الهوى فإنّ الهوى يكفيكه مثله صبرا

أراد: فإنّ الهوى يكفيك هوى مثله، أى هوى آخر، و تمّ الكلام و نصب صبرا على معنى فاصبر صبرا. و قال آخر: أراد يكفيكه أن تصبر صبرا. و قال الأعشى:

هذا النهار بدا لها من همّهاما بالها باللّيل زال زوالها

نصب النّهار: أى فى النّهار و نصب، زوالها: كأنّه دعاء على اللّيل فقال: زال زوالها:

أى مع زوالها، فلا يكون ليل إذ زالت أتارق فيه و أسهر. قال أبو عبيده عن أبى عمرو بن العلاء: زال زوالها: كلمه تقال بالرّفع فتركها على حالها، و لم يلتفت إلى القافيه، و قال الأصمعى: لا أدرى ما هو. و قال الأخفش: أزلته عن مكانه و زلته لغه، فأراد أزال اللّه زوالها بزوال زال. قال أبو صخر الهذلى شعرا:

أ رائح أنت يوم اثنين أم غادو لم تسلّم على ريحانه الوادى

العرب تقول: هذا يوم اثنين بغير ألف و لام، و كان أبو زيد يقول: مضى الاثنان بما فيها، و مضت الجمعه بما فيها، و مضى الثّلاثاء بما فيهن. و قال جرير:

فالشّمس طالعه ليست بكاسفهتبكى عليك نجوم اللّيل و القمرا

أراد الشّمس طالعه و ليست بكاسفه نجوم اللّيل، و القمر، لأنّها طلعت لفقدك ضعيفه النّور. و قيل: انتصب القمر لأنّه مفعول معه أراد مع القمر. و روى: تبكى عليك نجوم اللّيل

على أن تكون نجوم اللّيل مفعول تبكى، يقال: باكيته فبكيته، أبكيه و يكون من أفعال المبالغه، كأنّ الشّمس تغالب فى البكاء النّجوم و القمر فتغلبها و أفعال المبالغه تجى ء فى الماضى على فاعلته أفعله بضم العين، يقول: طاولته فطلته أطوله، إلّا ما كان من بنات الياء، فإنّه يحامى على الياء منه لئلا يختلط بنات الياء ببنات الواو. هذا الباب المعتمد فيه على السّماع فاعلمه. و قال الطّرمّاح شعرا:

فإنى و إيّاكم و موعد بينناكيوم لبيد يوم فارق أربدا

يريد: أنّ يومنا و يومكم و يوم ميعاد بيننا كيوم لبيد، و الأجود فى تفسير البين أن يكون المصدر لا الظرف. و قوله: يوم فارق العامل فيه معنى الفعل الذى دلّ عليه قوله: يوم لبيد لأنّه يريد به الشّده و الصّعوبه. و أخبره أنّ السّبيل ثنيه صعودا ينادى كلّ كهل و أمردا، صعود فمن يعمل يلمع به اليوم بأنها، و من لا يلهى بالضّحاء فأوردا. أربد أخو لبيد مات فقال:

و أرى أربد قد فارقنى و من الأرزاء رزء ذو جلل

و المعنى؛ فجعت بكم و أنا أتبعكم فما الخلق فيما كتب من آجالهم إلّا سابق و لا حق، على ذلك نحن و من تقدّمنا فى تواعدنا، و السّبيل يريد به سبيل الموت و أنّ الاقدام تتساوى فيه فمن دعى أجاب، و قوله: فمن يلمع به الصّعود يأتها، يريد إذا أشارت إليه أولا، و هذا كما قال أوس: أشاربهم لمع الأصم. و قوله: ثنيه صعود يريد أنّها عقبه شاقه. و قوله: و من لا يلهى بالضّحاء، وضع الماضى موضع المستقبل أراد و من لا يلمع به فى أوّل النّهار يلمع به من بعد، و الضّحاء للإبل و هو وقت الغذاء للناس، يريد به قرب ما بين الأحياء و الأموات فى الموت و مثل قوله: و من لا يلهى به فى حذف الشّرط منه قول الآخر:

و الّا يقيموا صاغرين الرّؤسا. لأنّ المعنى: الّا تقيموا تقيموا كما أنّ التقدير فى هذا لا يلمع به يلهى. و قوله: فأوردا. فى موضع الجزم لأنّه معطوف على من لا يلهى. و المعنى من لم يتله فيورد و فيه وجه آخر. قال زهير:

إنّ الرّزيه لا رزيه مثلهاما يبتغى غطفان يوم أضلّت

(لا رزيه): مثلها فى موضع الصّفه للرّزيه و ما ينبغى فى موضع الخبر.

شعر:

إنّ الرّكاب ليبتغى ذا مرّهبجنوب نخل إذا الشّهور أحلّت

يعنى: إذا انقضت الأشهر الحرم. و قال آخر:

و باد الشّباب و لذّاته و ما كان للدّهر الأخلّا

أی أكلها أكل الحشيش و فی طريقته قوله: فلست خلاه لمن أوعدن. قال حميد بن ثور:

أ تنسى عدوّ إسار نحوك لم يزل ثمانين عاما قبض نفسك تطلب

و تذكر سرداحا من الوصل باقياطويل القرى أنضبته و هو أحدب

تقعّدته عصرا طويلا أروضه يلين و ينبو تاره حين أركب

أراد بالعدو الدّهر، و السّرداح الطّويل من الإبل، ضربه مثلا للعيش الذى قضاه قوله:

يلين و ينبو أی: يأتی مره بالبؤس و مره بالنّعم. قال آخر:

و صاحب المقدار و الرّديف أفنى ألوفا بعده ألوف

يعنی بالرّديف النّجوم التی تتعاقب، يقول: يعاقبها على مرّ الدّهور لا يبقى أحدا.

أنشد أبو العبّاس:

أجدّك لن ترى بثعيلبات و لا بيداء ناجيه ذمولا

و لا متدارك و الشّمس طفل ببعض جوانب الوادی حمولا

قال لک: إن تقول ما زيد قائما و لا قاعدا، و لا قائم و لا قاعد. من رفع توهّم أنّ الأول مرفوع. و كذلك الخفض، و لو خفض الأوّل جاز فی المنسوق عليه ثلاثه أوجه. و كذلك لو كانت صفه قلت ما زيد خلفك و لا محسن و لا محسنا و لا محسن، يتوهّم أنّ المقدّم فعل و يجوز ما زيد بقائم و لا بقاعد، و أنشد: بطعنه لا غس و لا بمعمر. و أنشد الكسائی: أما ترى حيث سهيل طالعا.

قال: رفع حيث و أضافها و خفض بها، و إذا خفض بها فينبغی أن ينصب و وجه الكلام عبد اللّه حيث زيد نصبت حيث، و أضفتها. و أنشد للنابغه شعرا:

تبدو كواكبها و الشّمس طالعهلا النور نور و لا الإظلام إظلام

قيل: أراد شدّه الأمر بقوله: تبدو كواكبه كما قال: و يريه النّجم يجرى بالظّهر. و كما يقال: لأرينك الكواكب، و قيل بل أراد لمعان السّيوف و بريق البيض ذهبا بظلمه الغبار.

و إنّ الغبار غطّى الشّعاع السّاطع منهما، فلذلك حال كلّ عن المعهود. و أنشد أبو الحسن عن يونس:

إذا أنا لم أو من عليك و لم يكن كلامك إلا من وراء وراء

وراء من أسماء الزّمان. قال الشّعر مرفوع. و قد جوّز فيه غير وجه منها الضّم فيها و يكون الثّانى بدلا من الأوّل، و قد جعل غايته و جوّز إلّا من وراء وراء يريد و رأى فحذف ياء

الإضـافه، و ترک الكسـره عليهـا، و تكـون الثـانيه بـدلا أو تكريرا و يكون من وراء وراء على أن يجعـل وراء معرفه فلا يصـرفها للتـأنيث و التّعريف، و تكون الثـانيه تكريرا و روى ابن حبيب عن أبى توبه إلا وراء وراء أضـاف وراء إلى وراء فجرّه للإضـافه و وراء المضـاف إليـه بنى على الضّـم مثـل تحت و دون و يجـوز إلّـا من وراء وراء تضـيف وراء الأـول إلى الثّـانى. و قـد جعلته لا ينصرف للتأنيث و التّعريف، و وراء الأوّل التّقدير فيه الإفراد كما يقدّر فى سائر ما يضاف.

قال زهير شعرا:

لعب الرّياح بها و غيّرهابعدى سوافى المور و القطر

القطر: لا يسفى. فقال الأخفش: هذا الباب يشير إلى مثل قوله:

متقلد أسفا و رمحاو علفتها تبنا و ماء باردا

و قول جرير شعرا:

تبيّن فى أنف الفرزدق لؤمه يقبّح ذاک الأنف أنفا و مشفرا

كلّه إنما جاز بإضمار فعل آخر كأنه قال: و حاملا رمحا و سوافى المور، و صوب القطر و قال:

ما كان مثلک يستخفّ لنظرهيوم المطىّ لغربه مر حول

و هذا مثل أتيتک زمن الحجّاج أمير. و قال حميد الأرقط:

فأصبحوا و النّوى عالى معرّسهم و ليس كلّ النّوى يلقى المساكين

قال سـيبويه: أضـمر القصّه أو الأمر و قـدم مفعول الخبر، و هـذا لا يجوز لو لم يكن فيه إضـمار كأنّه قال: و ليس الأمر كلّ النّوى يلقى المساكين، لأنّه لا يلى ليس و لا كان ما يعمل فيه فعل آخر، لا يجوز أن يقول: كانت زيـدا الحمى تأخـذ فيفرق بين كان و اسـمها بمفعول غيرها، و لو كان مفعولها لجاز كقولک: كان زيـد قائما لأنّ قائما مفعول كان. و أنشد سـيبويه لعمر بن أبى ربيعه شعرا:

معاوى إنّنا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحديدا

و قال: هذا مما يجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله لأنّ المعنى فلسـنا جبالا و لا حديدا. و قيل: إن سيبويه دسّ هذا البيت لأنّ القصيده مجروره، و فى هذا كلام. و قال آخر:

فأوّه لذكراها إذا ما ذكرتهاو من بعد أرض بيننا و سماء

من قولک: أوّه و أراد من بعد أرض، و من بعد سماء، فجعله للصّفتين و نحوه قول القطامى:

أ لم يحزنک أنّ جبال قيس و تغلب قد تباينت انقطاعا

يريد: و جبال تغلب. و قال النّابغه الجعدى شعرا:

غدا فتيا دهر و راحا عليهم نهار و ليل يكثران التّواليا

و إنّما يغدو واحد و يروح آخر، و يجوز على هذا أن يقول: غلامان قد طبخا خبزا و أحدهما طبخ و الآخر خبر. و قال آخر:

تعلمنّ و اللّه ما أبالى تعود عند آخر اللّيالى

أراد أن يقول: أخرى اللّيالى، و هو وجه الكلام. و قال جرير شعرا:

مطاعيم الشّتاء إذا استحنّت و فى عرواء كلّ صبا عقيم

قال ابن الأعرابى: استحنّت بفتح التاء بمعنى حنّت يعنى الشّمال، و قال عماره: بضم التاء، و قال: أراد استحنّ الشّتاء الشّمال أى هيّجها، و الشّمال: مستحنّه فلذلک روى استحنّت.

سبقنا العالمين بكلّ نجم و بالمستمطرات من النّجوم

و قوله: و ليست يعنى النّجوم و أضمر لأنّ فى الكلام دليلا عليه. و قال جرير شعرا:

يأوى إليک فلا منّ و لا جحدمن ساقت الضّبع الحصا و الذّئب

فاعل يأوى من ساقت، و أراد بالضّبع الحصا السّنه الجدبه لا نبت فيها، قوله: و الذّئب يريد أنّ الذئب تطمع فى الناس لضعفهم. و روى أنّه سئل السّنه: أى الجدب ما عوانک، فقال: الحرب و الذّئب. و قال الفرزدق شعرا:

يداک يد ربيع النّاس فيهاو فى الأخرى الشّهور من الحرام

أراد فى إحدى يديک ربيع النّاس، يعنى إنّه يغنيهم، و الأخرى كالأشهر الحرم يعنى عقد جوارح، فأخرج الكلام كما ترى. و أنشد ثعلب:

و لعلّ خيرا منک قرما ماجداضحّاک ساعات النّجوم سميدع

يعنى طلاقه وجهه فى الجدب إذا خوت النّجوم، و اللّفظ على ما يشاهد و فى طريقته قال شعرا:

قفار إذ العام المسمّى تزعزعت بشيفائه هوج الرّياح العقائم

قوله: المسمّى. يعنى المشتهر بصفاته. و أنشد للعجّاج أو رؤبه:

كأنّه لو لم يكن حمارابهنّ تالى النّجم حيث غارا

يجوز أن يكون المراد بقوله: بهنّ بطردهنّ فحذف المضاف، و يجوز أن يريد كأنّه باجتماعه معهنّ، و يكون فى الباء تقديران: أحدهما: أن يكون العامل فيه ما فى كان من معنى الفعل، أى يشبه العير تطرده الأتن تالى النّجم، و الآخر: أن تعلقه بكان أى لو لم يكن حمارا بطردهنّ أو بالاجتماع معهنّ، و المعنى أنّ كونه حمارا يمنعه أن يكون كتالى النّجم على الحقيقه، و إن كان كونه خلفها، يطردها ككون الدّبران خلف الثّريا و قال: مرّت على آثارها دبرانها. يشبه هذا ما أنشده أبو زيد. كونى بالمكارم ذكّرينى. قولهم زيدا ضربه، و زيد ليقم، فبالمكارم متعلّق بذكّرينى فكأنّه قال: أنت ذكرتنى فرفع أنت بالابتداء ثم دخل الفعل عليه، و يشبهه قول الجميح: إن الرّياضه لا ينصبك للشّيث. فإن قلت: بيت الجميح أحسن فى القياس أو ما أنشده أبو زيد، قيل: جهه قياسهما فى الارتفاع بالابتداء واحد. و قوله: لا ينصبك أحسن من كونى بالمكارم ذكرينى لأنّ قوله ذكرتنى يدل على كونى، و نظيره قولهم:

كان زيد قام، و قد أجازه النّحويون إجازه حسنه و زعموا أنّ أخوات كان ليس فى ذلک لكان و اللّه أعلم.

الباب السّادس و الخمسون فى ذكر الكواكب اليمانيه و الشّاميه و تميز بعضها عن بعض

و ذكر ما يجرى مجراه من تفسير الألقاب.

و اعلم أنّ القوم لمّا أرادوا تميز الكواكب قسموا الفلك قسمين، و سمّوا أحد النّصفين جنوبيّا، و هو الذى يلى الجنوب، و سمّوا النّصف الآخر شماليّا و هو الذى يلى الشّمال، و سمّوا كلّ ما وقع فى النّصف الجنوبى من البروج و الكواكب جنوبيّه، و سمّوا ما وقع فى النّصف الشّمالى من البروج و الكواكب شماليّه، و سمّت العرب تلك الشّماليه شاميّه، و الجنوبيه يمانيه، و المعنيان واحد، لأنّ مهبّ الشّمال عندهم من جهه الشّام، و مهبّ الجنوب من ناحيه اليمن و لذلك جعلوا ما بين رأس الحمل إلى رأس الميزان من البروج شاميّه. و جعلوا ما بين رأس الميزان إلى رأس الحمل من البروج يمانيه. و كذلك جعلوا ما بين الشّرطين من المنازل إلى السّماك شاميّه، و جعلوا ما بين الغفر إلى الرّشاء يمانيه. فكلّ كوكب مجراه ما بين القطب الشّمالى إلى ما بين مدار السماك الأعزل أو فويقه قليلا- فهو شاميّ، و كلّ كوكب مجراه دون الفلك إلى ما يلى القطب الجنوبى فهو يماني. و النّسران أحدهما الطّائر و الآخر الواقع و هما شاميّان. فأما الواقع فهو منير، و خلفه كوكبان منيران، يقولون: هما جناحاه، و قدّامه كواكب يقال لها: الأظفار. و أمّا الطّائر فهو إزاء الواقع، و بينهما المجرّه، و لا يستتر إلا خمس ليال. و أمّا قول ذى الرّمه شعرا:

يحبّ امرؤ القيس العلى أن ينالهاو تأبى مقاريها إذا طلع النّسر

فإنّما يذمّهم بأنهم لا يطعمون فى الشّتاء، و المقارى الجفان.

قال أبو حنيفه: و كذلك مدار الكوكب الذى تسميه العرب: الفرد و هو قريب من الفصل بين شاميّ الكواكب و يمانيّها. و قول عمر بن أبى ربيعه فى سهيل بن عبد الرّحمن:

و تزوّجه الثّريا العبليه من بنى أميّه، يضرب لهما كوكبى سهيل و الثريّا مثلا فقال:

أيّها المنكح الثّريا سهيلاعمرك اللّه كيف يلتقيان؟

هى شاميّه إذا ما استقلّت و سهيل إذا استقلّ يمان

و قال آخر فى نعت سهيل إذا طلع صباحا:

أراقب لمحا من سهيل كأنّه إذا ما بدا من آخر اللّيل يطرف

و قيل: هو كوكب ذكر نكاح، حريص عليه، و ربما طلع فى اللّيله الواحده مرّتين، و يغيب مرّتين. و يقال: غيبته بعد طلوعه لدنوّه من كوكبتيه و صاحبتيه.

و حكى عن بعض علماء العرب: النّظر إلى سهيل يشفى من البرسام، و لذلك يقول مالك بن الرّيب:

أقول لأصحابى ارفعونى فإنّنى يقرّ بعينى أن سهيل بدا ليا

و يقال: سهيل أشفق الكواكب على الغرباء و أبناء السبيل، و بين رؤيه سهيل بالحجاز و بين رؤيته بالعراق بضع عشره ليله، و قالت الهند: إذا نظر ناظر إلى سهيل عند نهيق الحمار و به صداع عوفى. من خرافات العرب: أنّ سهيلا طلع بأرض العراق و قابل الزّهره، فضحكت إليه و قالت: أ لست الذى يقال فيك إنّك كنت عشارا فمسخك اللّه شهابا، عقوبه لك؟ فأجابها و قال: ليس كلّ ما يقوله النّاس حقا، فقد قالوا فيك: إنّك كنت امرأه فاجره فمسخك اللّه كوكبا مضيئا يحكم فى خلقه.

فأمّا معرفه الشّرقىّ من الكواكب و الغربى فيجب أن تعلم أنّ الكواكب إذا كانت خلف الشّمس بخمس عشره درجه فهى شرقيه فى ذاتها إلى ما تباعدت. و إذا كانت قدّام الشّمس بخمس عشره درجه فهى غربيّه فى ذاتها إلى ما تباعدت. و الكوكب الشّمالى إذا جاز رأس جو زهره إلى أن يبلغ ذنبه، و الجنوبى إذا جاز ذنب جو زهره إلى أن يبلغ إلى رأسه.

و أمّا معنى اقتران الكوكبين فهو مسامته أحدهما الآخر، لأنّ أحدهما أعلى من صاحبه، و فلكه خلاف فلك الآخر، فيسامت أحدهما صاحبه فيحاذيان موضعا واحدا من ذلك البرج، و يتحرّكان على سمت واحد، فيراهما النّاظر مقترنين لبعدهما من الأرض، و بين أحدهما و صاحبه فى العلو بعد كثير فبهذه العلّه صار اقتران الكوكبين، و هذا كما يقال:

البروج المتصادفه إذا اتفقت فى جميع الجهات، كالبروج النّاريه مثل الحمل- و الأسد- و القوس- و الجوزاء- و الميزان- و الدّلو. و البروج المتعاديه: و هى المتضاده فى كل وجه كالحمل- و السّرطان- لأنّ أحدهما نارى و الآخر مائى. و من هذا النوع قولهم: البروج الجامعه إذا دلّت على صلاح الحال. و البروج المبدّده إذا دلّت على التّبديد و البروج

المعطیه: تدل علی الیسار و الإحسان. و البروج الآخذه تدل علی خلافه و مما یبیّن ما ذکرناه فی سهیل قوله:

إذا ما نجوم اللّیل آضت کأنّهاهجاین یطلعن الفلاه صوادر

شآمیه إلّا سهیلا کأنّه فنیق غدا عن شوله و هو جافر

أ لا تری أنّه جعل یمانیا إذ کان مداره فی شق الیمن. و جعل الثّریا شآمیه إذ کان مدارها فی شق الشّمال. و قال آخر فی سهیل:

فمنهنّ إدلاجی إلی کلّ کوکب له من عمانی النّجوم نظیر

فجعله عمانیا إذ کان مجراه فی ذلک الشّق، کما جعل الأول یمانیا و فی معنی قوله:

فنیق غدا عن شوله و هو جافر. یقول الآخر شعرا:

و قد لاح للسّاری سهیل کأنّه قریع هجان یتبع الشّول جافر

شبّه فی انفراده بفحل انقطع عن الضّراب فتنحّی عن الإبل و ترکها. و قال آخر:

إذا سهیل لاح کالوقودفردا کشاه البقر المطرود

فهذا یرید وبیصه و شعاعه و انفراده کما قال غیره یرید التّهیّج، قال شعرا:

حتی إذا لاح سهیل بسحرکعشوه القابس ترمی بالشّرر

و قال آخر یصف ثور وحش:

فبات عذوبا للسّماء کأنّه سهیل إذا ما أفردته الکواکب

العذوب: القائم الذی لا یطعم. و قال آخر فی انفراده:

من یک ذا مال یکاشر لماله و إن کان أنأی من سهیل الکواکب

یعارض عن مجری النّجوم و ینتحی و یسری إذا یسرین غیر مصاحب

و قال آخر یصف رفقاء تجمّعوا:

و فتیه غید من التّسهیدنبتهم من مهجع مورود

و النّجم بين الغمّ و التّعريدإذا سهيل لاح كالوقود

فردا كشاه البقر المطرودو لاحت الجوزاء كالعنقود

كأنّها من نظر ممدودبالأفق انظامان من فريد

الإنظام: القلائد ينظم فيها، و الفريد: الشّذر، و إذا نظرت إلى الجوزاء و هو على الأفق

فتأملت نظمها رأيتها أشبه شى ء بما وصف. و هذا من حسن التّشبيه، و هذا كما شبّهوا الكوكبين المتدانيين اللّذين على منطقه الجوزاء بالعذبه، و العذبه فى اللغه طرف السّوط، و ما أرسل من شراك النّعل، و كذلك عذبه العمامه و الغصن، و العذبه الطّراده أيضا. و كما قال بعضهم: رايه السّماك يعنى رمحه، و يسمى السّماك وحده حارس السّماء، لأنّه يرى أبدا لا يغيب تحت الشّعاع فلا طلوع له و لا غروب.

الباب السّابع و الخمسون فی ذکر الفجر– و الشّفق– و الزّوال و معرفه الاستدلال بالکواکب و تبیین القبله

اشاره

روی عن عدی بن حاتم قال: لما نزلت: وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۷] قال: عمدت إلی عقالین أحدهما أبیض، و الآخر أسود، فجعلتهما تحت و سادی، فلما تقارب مرّ اللّیل جعلت أنظر إلیهما فلم یتبیّن لی شی ء، فلمّا أصبحت غدوت إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فأخبرته، فضحک و قال:

«و سادتک إذن لعریض اللّیل و النّهار، إذن تحت و سادتک إنّما ذلک اللّیل و النّهار».

و روی عن علیّ رضی اللّه عنه أنّه صلّی الفجر رکعتین ثم جلس علی مجلس له ثم قال: هذا حین تبیّن لکم الخیط الأبیض من الخیط الأسود.

و اعلم أنّ الفجر فجران: أحدهما قبل الآخر: فالفجر الکاذب یستدقّ صاعدا فی غیر اعتراض، و یسمی ذنب السّرحان لدقته، و لا یحلّ شیئا و لا یحرّمه، و إنّما یؤذن بقرب النهار. و قال الخلیل: الفجر ضوء الصّباح و قد انفجر الصّبح، و الفجر المعروف منه. یقال:

ما أکثر فجره و فی التّنزیل: فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهَ عَیْناً [سوره البقره، الآیه: ۶۰] لأنّ الحجر کان یفجر منه الماء فی اثنی عشر موضعا عند نزولهم، فإذا ارتحلوا غارت میاهها.

و الفجر الثّانی: هو الصّادق و المصدّق، قال أبو ذؤیب یذکر الثّور و الکلاب شعرا:

شغف الکلاب له الضّاریات فؤاده فإذا یری الصّبح المصدّق یفزع

و إنما قال: یفزع لأنّه وقت القائض الفجر الثّانی هو المستطیر المنتشر الضّوء و مع طلوعه یتبیّن الخیط الأبیض من الخیط الأسود من الفجر. قال أبو داود:

فلمّا أضاءت لنا سدفهو لاح من الصّبح خیط أنارا

و قال آخر:

نمیت إلیها و النّجوم شوابک تدارکها قدّام صبح مصدّق

و الصّبح- و الصّباح- و الإصباح واحد. و فى التّنزيل: فالِقُ الْإِصْباحِ [سوره الأنعام، الآيه: ٩٦] و الصّبيح: الحسن الوجه. و كذلك الصّبحان، و قد صبح صباحه و الحق الصّابح البيّن، و قد صبح الحق يصبح صبحا. و المصباح السّراج و كما قيل: وجه صبيح قيل أيضا وجه مسرج. قال: و فاحما و مرسنا مسرجا.

و كذلك الشّفق شفقان: أحدهما قبل الآخر، و مثالهما من أول اللّيل مثال الفجرين من آخره، فالأول هو الأحمر و إذا غاب حلّت صلاه العشاء الآخره. و الثّانى: هو الأبيض و الصلاه جائزه إلى غروبه و هو يغرب فى نصف اللّيل و آخر أوقات العشاء الآخره نصف اللّيل.

و الزّوال: يشار به إلى ما دلّ اللّه تعالى عليه بقوله: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] و دلوك الشّمس: غروبها و زوالها، فدلّ بالدّلوك على صلاه الظّهر، و على صلاه المغرب، و دلّ بقوله: إلى غسق و هو الظّلام على صلاه العشاء الآخره. و قال تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [سوره البقره، الآيه: ٢٣٨] و هى العصر، و جعلها الوسطى لأنّها بين صلاتين فى النّهار و صلاتين فى اللّيل. و قال تعالى: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] فدلّ على صلاه الصّبح. و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يصلّى الظّهر إذا دحضت الشّمس. يراد إذا زالت، و أصل الدّحض الزّلق و ذاك أنها لا تزال ترتفع حتى فى جوّ السّماء فتراها تقف شيئا ثم تنحطّ، فحينئذ تزول و تحول الظّل من جانب إلى جانب، و يسمّى فيئا. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «أمّنى جبرائيل مرّتين فصلّى الظّهر حين مالت الشّمس قيد الشّراك، و صلّى العصر و ظلّه مثله، و صلّى المغرب حين رفعت الشّمس و صلّى العشاء حين غاب الشّفق، و صلى الصّبح حين طلع الفجر، فلما كان الغد صلّى الظّهر و ظلّه مثله، و صلّى العصر و ظلّه مثلاه، و صلّى المغرب حين رفعت الشّمس، و صلّى العشاء حين ذهب ثلث اللّيل، و صلّى الغداه فأسفر بها و قال: الوقت ما بين هذين». و يروى أنّه قال: إنّ الصلاه فيما بينهما. فقوله صلى اللّه عليه و سلم حين مالت الشّمس قيد الشّراك: يريد أنّها زالت، فصار للشخص فى ء يسير قدر الشّراك، و ليس يكون هذا فى كل بلد إنما يكون فى البلد الذى يتنقل فيه الظّل عند الزّوال، فلا يكون فى ء أصلا.

و قال الرّاجز:

إذا زقا الحادى المطىّ اللّغباو انتقل الظّل فصار جوربا

و قال ابن مقبل و ذكر فرسا:

يبنى على حامييه ظلّ حاركه يوم توقّده الجوزاء مسموم

و الحاميـان: جانبا حافره. و الحارک: فروع کتفيه و إذا قام ظلّ کل شـی ء تحته صار ظل الحارک على حاميى حافره، فالحجاز و ما يليه يتنقل فيه الظّل، فأما البلـد الذى تزول فيه الشّـمس، و للشّـخص ظلّ فإنّه يعرف به قدر الظّل الذى زالت عليه، فإذا زاد عليه مثل طول الشـخص فذاک آخر وقت الظّهر، و أوّل وقت العصـر، فإذا زاد عليه مثلا طول الشّـخص فذلک آخر وقت العصر، على ما روى فى الحديث. فأمّا قول الشّاعر:

إنى على أونى و انجرارى أؤمّ بالمنزل و الدّرارى

فالأون: الرّفق و الانجرار: سير الإبل و عليها أحمالها و هى ترعى و أؤم: يريد أقصد بمنازل القمر و کبار الکواکب فأهتدى. و قال ذو الرّمه و ذکر الإبل:

تياسرن عن جرى الفراقد فى السّرى و يا منّ شيئا عن يمين المغاور

يعنى: أنّهن قصـدن وسـطا فيمـا بين الفرقـدين و بين المغاور، و هى المغارب و ذلک أنّ ابتـداء المغارب قريب من منحـدر بنات النّعش و قال لناقه:

فقلت اجعلى ضوء الفراقد کلّهايمينا و مهوى النّسر من عن شمالک

فإنما يصف سـمت جهه و أجراها أنّه يريـد فى مسـيره ما بين منحـدر النّسـر للمغيب و بين الفرقدين، فإذا أردت الاهتداء بالنّجوم فاعرف البلد الذى تؤمّه و فى أى أفق هو، فإن کان فى ناحيه المشرق کخراسان و ما صاقبها، استقبلت منازل الشّمس و القمر، إن کان مسيرک ليلا و السّماء مضحيه و جعلت الجدى و بنات النعش على يسارک و الشّعريين و سهيلا عن يمينک، و إن کنت فى نـاحيه المغرب اسـتدبرت منـازل القمر و جعلت الجـدى، و بنات نعش وراءک و الشّـعريين و سـهيلا عن يسارک. و إن کان فى نـاحيه اليمن جعلت منـازل القمر على يمينـک و جعلت الجـدى و بنـات نعش أمامـک، و سـهيلا وراءک، فإذا أنت فعلت ذلک فأنت على سـمت الوجه الـذى تريـد إن کنت على الطّريق غير راجع و لا جائز و إن کان مسـيرک ليلا و السّـماء غائمه اسـتدللت أيضا بالمشـرق و المغرب، فإن اشـتبها عليک اسـتدللت على المشـرق بنسيم الصّبا و روحها، فإنّها تأتى من ناحيته و على المغرب بريح الدّبور و حرّها فى الصّيف.

و أمّـا القبلـه فالاسـتدلال عليهـا بالجـدى: و ذلـک أن تجعلـه حـذاء منکبـک الأـيمن، أو أخـدعک، و إن کـان مسـيرک نهـارا، فبالشّمس، فإنّ ما بين المشرق و المغرب قبله المسافر.

و قال محمد بن کناسه: إذا سـقط منزل من منازل القمر بالغداه عند نوئه فعدّ منها سـبعه أنجم على موالاه العدد، فالسّابع هو القبله إلى أن يسـقط العقرب. فإذا سـقطت العقرب فالنّعائم قبله. و البلـده بعد تلک السّاعه قليلا قبله. ثم يعود الحساب فإذا سـقط سـعد الذّابح فالحوت قبله و هو السّابع. و مثال ذلک أنّه إذا سقط الشّرطان کان السّابع منه الذّراع و هو

القبله. و إذا سـقط البطين فـالنّثره قبله. و إذا سـقطت الثّريـا فالطّرف قبله. و إذا سـقطت الـدّبران فالجبهه قبله. و إذا سـقطت الهقعه فالزّبره قبله، و إذا سـقطت النّثره فالسّـماك قبله، و إذا سـقط الطّرف فالغفر قبله، و إذا سـقطت الجبهه فالزّبانى قبله. و إذا سـقطت الزّبره فالإكليـل قبله، ثم يقـع الشّـك فى القبله عنـد سـقوط الصّـرفه- و العـوّاء- و السّـماك- و الغفر- و الزّبـانى- و الإكليـل- و القلب- و الشّوله- و النّعائم- و البلده.

و ذلک لأنّ العقرب تسـقط جميعا فلا يسـتقيم الحساب على سـبعه أنجم، غير أنّه إذا سـقطت العقرب كلّها كانت النّعائم قبله. ثم البلـده قبله و القبله قريب منها. ثم يسـقط سـعد الذّابح فيكون رأس الحوت قبله. و هو مذموم بالكف الخضـيب و يرجع الحساب إلى السّابع.

و قال ابن كناسه فى ذلک و ذكر طريق مكه، قال شعرا:

يوم النّجوم السّابعات من الّتى تأوّب إلا أن تأوّب عقرب

فإن هى آنت فالنّعائم آبهاو بلدتها ثم السّوابع أصوب

قال: و كواكب العقرب أربعه: منازل تطلع فى الأوقات التى بيّنت و تسقط كلّها فى وقت واحد.

فصل فى صرف القبله من بيت المقدس إلى الكعبه

ذكر الكلبى عن أبى صالـح عن ابن عبـاس رضـى اللّه عنهمـا فى قوله تعـالى: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [سوره البقره، الآيه: ۱۱۵] قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سريه فأتتهم ضبابه، فصلّوا لغير القبله، فسألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فلم يأمرهم بالإعاده، و كانوا يصلّون نحو بيت المقدس فنزلت: فأينما ولّوا فثم وجه اللّه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لجبرائيل: «وددت أنّ ربى جلّ جلاله صرفنى عن قبله اليهود إلى غيرها»، فقال جبرائيل:

إنما أنا عبد مثلک، فادع ربّک و سـله ثم ارتفع جبرائيل و جعل رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم يديم النظر إلى السّماء رجاء أن يـأتيه بالـذى سأل، فأنزل اللّه تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِي السَّماءِ [سوره البقره، الآيه: ۱۴۴] الآيه. قال: فنسـخت هذه الآيه ما كان من الصّلاه قبلها نحو بيت المقدس، قال: و كانوا يصلّون نحو صخره بيت المقدس سته عشر أو سبعه عشر شهرا، بعد أن قدم المدينه ثم حوّل إلى الكعبه إلى الميزاب قبل بدر بشهرين.

و روى عن ابن عبـاس قال: سـئل رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم عن الـذين ماتوا و هم يصـلّون إلى البيت المقـدس فأنزل اللّه تعـالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ [سوره البقره، الآيه: ۱۴۳] و ذكر سـعيد بن المسـيب أنّ قوله تعالى: وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ [سوره التوبه، الآيه: ۱۰۰] هم أهل القبلتين.

و اعلم أنّ الذى لا غنى لمؤمن عنه و لا يتم إيمانه إلا به هو: العلم بأنّ اللّه ليس بناسخ مديحه، و لا حسن الثناء عليه، و لا أسماءه الحسنى، و لا ما أضيف من الصّفات العلى إليه، و لا ينسخ شيئا من أخباره عمّا كان أو يكون، لأنّ نسخ المديح ذم و تقبح و نسخ الأسماء الحسنى إثبات الأسماء السوأى، و نسخ الصّفات العلى إيجاب للصّفات السّفلى، و نسخ الأخبار انصراف المخبر من الصّدق إلى الكذب و عن الحق إلى الهزل و اللّعب. و هذا من جوّزه على اللّه تعالى فيما مدح به نفسه، و أخبر به عباده الحد فى أسمائه و اللّه تعالى يقول:

وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۰] يقول أيضا: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۱۵] و هذا كاف، و الاقتصار عليه واجب، لأنّ الكتاب لم يوضع لذلك فاعلمه إن شاء اللّه تعالى.

الباب الثّامن و الخمسون فی معرفه أيام العرب فی الجاهليه و ما كانوا يحترفونه و يتعايشون منه

و ذكر ما انتقلوا إليه فی الإسلام على اختلاف طبقاتهم.

اعلم أنّ احتراف العرب فی الجاهليّه و قرب الإسلام علی وجوه خمسه: قود الكتائب- و جرّ الغارات- و شنّها على القبائل حين كان الزّمان من عزيز- و أخذ الرؤساء منهم المرباع- و ما يجری مجراه من الصّفيه و الفضول و النّشيطه، و صنوف الاحتكام منهم. ثم الوفادات على الملوك فی فكّ الأسری- و حقن الدّماء و حمل الدّيات- و إصلاح ذات البين و غيرها، ثم ترقيح(۱) العيش من ظهور الإبل و بطونها و نتاج الخيل، ثمّ غراس النّخل- لذلك روی عنه صلی اللّه عليه و سلم: «خير المال مهره مأموره أو سكه مأبوره».

و روی أيضا: الخير معقود بنواصی الخيل إلی يوم القيامه» إلی كثير تركناه لشهرته، كقوله صلی اللّه عليه و سلم: «ارتبطوا إناث الخيل، فإنّ ظهورها حرز و بطونها كنز». و كقوله صلی اللّه عليه و سلم: «الخيل تعدو بأحسابها فإذا كان يوم الرّهان عدت بحدود أربابها» و كقوله: «جعل رزقی فی أطراف الأسنه» يعنی من الغزو، ثم طبقه العسفاء و الجمّالين و هذه حرفه يرغب عنها كرامهم و صرحاؤهم فهذه وجوه مكاسبهم، و معالم حرفهم عليها تدور أزمنتهم قبل الإسلام و بها شافهت ما داناه.

ثم صارت فی الإسلام على أربع طبقات:

الأولی: مهاجرون يقبضون الدّواوين و يحفظ بهم البيضه فيغزون الثّغور و يقاتلون العدو. حكی عن جعفر بن محمد قال: قال علی رضی اللّه عنه، قال رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم: «الخير فی السّيف و الخير مع السّيف و الخير بالسّيف».

و الثانيه: مقيمون يعتملون سوارح الإبل و روائحها، و يتبعون مساقط الكلام، و مدافع المطر، و يكرّون عواملهم إلی الأمصار و الكور و يتواردون الأرياف و جوانبه الخضر.

۱- فی القاموس ترقيح المال صلاحه و القيام عليه. ۱۲ محمد شريف الدين.

و الثّالثه: طبقه مقیمه فی میاهها و محاضرها و مرابعها و مزالفها، راضیه من العیش بما یحفظ علیهم التّجمل و ینفی عنهم التقشّف و التّبدل، فیتّجرون فیما یعتنون جلبا، و ینقلون ما به یقضون أربا.

الرّابعه: العسفاء و الأجراء و یروی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أنه قال: «إن الخیل العراب تراث أبیکم إسماعیل فاقتنوها و ارکبوها، و کان أول من رکبها إسماعیل و بنوه، و کانوا اثنی عشر رجلا یسمّون الفوارس». قال أسد بن مدرکه منتمیا فی شعره إلی إسماعیل علیه السلام.

أبونا الذی لم یرکب الخیل قبله و لم یدر شیخ قبله کیف یرکب

و عوّدنا فیما مضی من رکوبهافصرنا علیها بعده نتلقّب

لعمرک ما عمّای شمر و یبهس و لکنّما عمّای بکر و تغلب

فإن یک أقوام أضاعوا آباءهم سفاها فما ضلّت ربیعه أکلب

و روی عن یحیی بن أبی کثیر قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إنّ هذه الخیل کانت وحشا فی الفلوات، لها أجنحه فی مواضع أکتافها» قال: و کان فی دور العجم مثل خلق الخیل صورا لها کالأجنحه فی مواضع أکتافها تسمّی بالفارسیه درواسف و تفسیرها بالعربیه ذو الأجنحه من الخیل، فلم أعرف معناه حتی سمعت هذا الحدیث، قال ثم ذللت لاسماعیل و کانت معه فی جرهم فلمّا توفّاه اللّه عادت و حوشا إلی مواضعها، حتی جاء زمن داود فذلّلت له ثم ورثها سلیمان، و کان یعجب بها و هی التی ذکرها اللّه تعالی فی قوله: إِذْ عُرِضَ عَلَیْهِ بِالْعَشِیِّ الصَّافِناتُ الْجِیادُ [سوره ص، الآیه: ۳۱] و کان أصحاب النّخل أکثر دعه و أرفع عیشا، و أندی جنابا و أحضر نفرا من أرباب الإبل، إذ کانت الإبل أشدّ امتهانا لأهلها و ابتذالا لمتخذیها مع ما یلحقها عند سقوط الغیث، و نبات البقل، و درور الألبان من الفاره و النّدود و الشّرود مع الکلف اللّاحقه من لوازم الرّعاء و التّحفظ من الحزابه و السّله و مع ما ینالها فی شهب السّنین من السّواف و سائر العاهات، و فی استقبال بارد الرّیاح من الأدواء المهلکه، و تلحقها من عدوه السّباع الضّاریه، حتی أنّ ربّها یمسی غنیا مکثرا و یصبح فقیرا مدقعا.

و الخیل ثلاثه أصناف: فمنها ملوک الخیل التی لا تجاری، و هی تسبق بعنقها و کرمها و حسبها مع حسنها و تمام خلقها و استوائها و هی الرّوابع. و الصّنف الثّانی المضامیر: و هی سباع الخیل المتعالیه اللّحوم، و خلقتها غیر خلقه الأولی لکنها أخفّ و أرقّ منها. و الصّنف الثّالث: ضباع الخیل قوّیه شدیده تحمل الزّاد و المزاد فی السّهل و الجبل، و هی الغلاظ الشّداد، مع جوده الأنفس، لأنّ الغلیظ أحوج إلی شدّه النّفس من غیره.

و قال أبو داود الإيادى يصف الجواد من الخيل بصفه جامعه يستغنى بها عن تخصيص المفردات بما يحمد منها:

و قد أغروا بطرف هيكل ذى ميعه سكب

ذو ميعه؛ أى جرى سائل، و كذلك السّكب، و يقال: فرس سكب و بحر و حت.

أسيل سلجم المقبل لا شخت و لا جأب السّلجم: الطويل و الشّخت: الدّقيق، و الجأب: الغليظ يريد أنه بين و صفين.

طويل طامح الطّرف إلى مفزعه الكلب يريد أنه يسمو بطرفه إلى حيث يفزعه الكلب من الصّيد إذا طلبه.

مسح لا يوارى العير منه عصر اللّهب اللّهب: شق فى الجبل أى من إشراقه يراه، و إن كان مستسرا فيه بشى ء.

مكر سبط العذره ذى عفو و ذى عقب العذره: شعر النّاصيه، و العقب: آخر الجرى.

كشخص الرّجل العريان فعم مدمج العصب العصب: إدماج الخلقه.

له ساقا ظليم خاضب فوحى بالرّعب الخاضب: الذى قد رعى الرّبيع.

و قصرى شبح الإنسان بناح من الشّعب الشّعب: الملتويه القرون.

و متنان خطانان كزحلوق من الهضب الزّحلوق: الأملس و كذلك الزّحلوف.

يهزّ العنق الأجرد فى مستأمق الشّعب الأجرد: يريد به المحكم الأمر.

من الحارك مخشوش بجنب مجفر رحب

أی أدخل: فی الجنب. و الجفر: الواسع.

تری فاه إذا أقبل مثل السّاق الجدب السّلق: الأرض المتجرّده من النّبات.

نبیل سلجم اللّحیین صافی اللّون کالقلب القلب: السّوار.

جواد الشّدّ و الإحضار و التّقریب و العقب عریض الخدّ و الجبهه و الصّهوه و الجنب یخد الأرض خدّ الصّمل سلط و أب الصّهوه: مقعد الفارس، و الصّمل: الشّدید من الحوافر، و الوأب: التّعب.

صحیح النّسر و الحافر مثل الغمر القعب له بین حوامیه نسور کنوی القسب القسب: التمر الرّدی ء.

و أرساغ کأعناق ضباع أربع غلب و المستفرغ: المیعه بعد النّزع. و الجذب: المیعه النّشاط.

یعنی الخاضب الأخرج فی ذی عمد صهب و عیر العانه القب الحماص النّحص الحقب یزین البیت مربوطا و یشفی قرم الرّکب فبهذه الصفات و ما یشبهها یختار جیاد الخیل. و قال مرار بن منقذ یفضّل النّخل علی سائر ما یحترف منه إذا أخرج الحقوق منها، قال شعرا:

کأیّن من فتی سوء تراه یعلک هجمه حمرا و جونا

یضنّ بحقها و یذمّ فیهاو یترکها لقوم آخرینا

و إنّک لن تری إبلا سواناو تصبح لا ترین لنا لبونا

فإنّ لنا حظائر ناعمات عطاء اللّه ربّ العالمینا

طلبن البحر بالأذناب حتّی شربن جمامه حتّی روینا

تطاول محزمی صددی أشتی بوائک لا یبالین السّنینا

کأنّ فروعها فی کلّ ریح جوار بالذّوائب ینتصینا

بنات الدّهر لا يحفلن محلّاإذا لم تبق سائمه يقينا

يسير الضّيف ثم يحلّ فيهامحلا مكرما حتى يبينا

فتلك لنا غنا و الأجر باق فغضّى بعض لومك يا ظعينا ب

نات بناتها و بنات أخرى صواد ما صحين و قد روينا

و لأحيحه بن الجلّاح فى مثله:

لقد لامنى فى اشتراء النّخيل قومى فكلّهم يعذل

و أهل الذى باع يلحونه كما عذل البائع الأوّل

هو الظلّ فى الصّيف حقّ الظّليل و المنظر الأحسن الأجمل

تغشى أسافلها بالجنوب و يأتى حلوبتها من عل

و تصبح حيث تبيت الرّعاءو إن ضيّعوها و إن أهملوا

و لا يصبحون يبغونهاخلال الملا كلّهم يسأل

فعمّ لعميكم نافع و طفل لطفلكم يؤمل

و قال كعب بن زهير يذمّ الغنم، و قد اتّخذ مالا و معيشه، شعرا:

يقول حيّان من عوف و من جشم يا كعب ويحك لم لا تشترى غنما

من لى منها إذا ما جلبه أزمت و من أويس إذا ما أنفه رذما

أخشى عليها كسوبا غير مدّخرعارى الأشاجع لا يشوى إذا ضغما

إذا تولّى بلحم الشّاه نبّذهاأشلاء برد و لم يجعل لها و ضما

إن يغد فى شيعه لا يثنه نهرو إن غدا واحدا لا يتّقى الظّلما

و إن أغار فلا يحلى بطائلهفى ليله ابن جمير ساور العظما

إذ لا يزال فريش أو مغيبهصيداء تنشج من دون الدّماغ دما

الكسوب: يعنى به الذّئب. لا يشوى: أى لا يصيب غير المقتل و قوله: لا يثنيه نهر:

أى نهار، يقال: ليله نهره أى مضيئه. و قوله: فى شيعه: يعنى أصحابه من الرّباب، و ابن جمير: أظلم ليله فى الشّهر، و هى التى لا يطلع القمر فيها من أولها إلى آخرها. و العظم:

السّخال التى قد فطمت. يقول: جاء يطلب الكبار فلما لم يجدهنّ ساور الصّغار. و المغيبه:

التى قد دنت من الموت، و فيه بقيه. و الصّيداء: التى قد التوت عنقها و تنشج: أى ما لها نشج و صوت من الدّم.

قد ذكر بما اقتصّ كيف كان أصل خيل العرب، فأمّا النبى صلى اللّه عليه و سلم فكان له خمسه أفراس:

الظّرب- و السّكب- و اللّزار- و اللّجاف- و المرتجز، سمّى به لحسن صهيله.

ثم خيل أصحابه كان لجعفر بن أبى طالب فرس أنثى يسمّى سبحه يقال اسمها سمحه، و كان عرقبها يوم استشهد و هو أول من عرقب الخيل فى الإسلام، كانت تحته يوم استشهد فى غزوه مؤته. و لحمزه بن عبد المطلب فرس من بنات العقال قال فيه شعرا:

ليس عندى إلّا السلاح و وردفارح من بنات ذى العقال

أتّقى دونه المنايا بنفسى و هو دونى تغشى صدور العوالى

و فى هذا ألمّ بقول الآخر:

أقيه بنفسى فى الحروب و تقى بها ديه إنّى للخليل وصول

و كان تحت الزّبير بن العوام يوم بدر فرس يسمّى اليعسوب. و تحت المقداد بن الأسود فيه فرس يقال له: ذو العنق، و لأبى ذر فرس يسمى الأجدل، و لمحمد بن مسلمه فرس يسمّى ذا الجناح، و لعبّاس بن مرداس فرس يسمّى العتيد، و لعكاشه بن محصن فرس يقال له: أطلال كانت تحته يوم القادسيّه، و تحدث أنّ النّاس أحجموا عن عبور نهرها أو خندقها، و كان عرضها أربعين ذراعا، فصاح بها فخلفته و ثبا، حتى قال أهل النظر: ذلك من معجزات النّبى صلى اللّه عليه و سلم.

و سبّاق: خيل العرب مشاهير. كأعوج الكبير، و أشقر مروان. و الزّعفران فرس بسطام بن قيس، و ثادف و اليحموم و زهدم و إنّما المراد التّنبيه على مكاسب صميم العرب و فضلائهم، و الإشاره إلى ما تنطوى عليه أيّامهم فى الجاهليه و قبيل الإسلام، و فيمن صحب النّبى صلى اللّه عليه و سلم.

و أما فرسان العجم فلم يذكر لهم خيل و لا فرس سابق إلا أدهم اسفنديار- و شبديز كسرى- و رخش رستم- و ذكروا عنها أحاديث ظريفه.

فأمّا الشجاعه و الصّبر على المجاهده فناهيك ما روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ما حكى عن قول القائل: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ما قاله عبد الملك بن مروان فى حديث عمرو بن ود. خرج عمرو يوم الخندق معجبا بخيلائه، فبرز له أبو الحسن فضربه ضربه سطحه بها، و كان لمثلها فعالا. و قيل لعلى: هل رأيت أحدا؟ قال: نعم الوليد بن عتبه كان حدثا، فضربته ضربه على رأسه فبدرت منه عيناه.

و ممّا يشهد لما آثرناه عن العرب من حسن تفقّدهم للخيل، و اشتغالهم بمصالحها و اشتراكهم فى إيثارهم إيّاها على أنفسهم، و التّوفر على مناقبها و مذامها لما يرجونه من جميل العقبى، منها: ما روى عن امرئ القيس و علقمه بن عبده العجلى. و ذكر أنهما تنازعا فى الشّعر و احتكما إلى أم جندب، امرأه امرئ القيس، و ادّعى كلّ منهما أنّه أشعر من

صاحبه، فقالت قولا شعرا فی صفه الخیل علی رویّ واحد، فقال امرؤ القیس فی قصیدته:

خلیلیّ مرّا بی علی أمّ جندب لتقضی حاجات الفؤاد المعذّب

للسّوط الهوب و للساق درهو للزّجر منه وقع أخرج متعب

و فی نقیضها قال علقمه:

فولّی علی آثارهنّ بحاصب و غیبه شؤبوب من الشّد ملهب

فأدرکهنّ ثانیا من عنانه تمرّ کمرّ الرائح المتحلّب

فحکمت لعلقمه علی امرئ القیس، و قالت: أما أنت فحمدت نفسک بسوطک و زجرک و مریک إیّاها بساقک. و أما هو فإنه أدرک فرسه الطّریده ثانیا من عنانه لم یمرّه بساق، و لم یضربه بسوط، و لم یزجره بنده، فقال امرؤ القیس: ما هو أشعر منی و لکنّک تعشقینه فطلّقها. و قال طفیل شعرا:

و للخیل أیام فمن یصطبر لهاو یعرف لها أیّامها الخیر یعقب

و قال مالک بن نویره شعرا:

جزائی دوائی ذو الخمار و صنعتی بما بات مطویّا بنی الأصاغر

رأی أننی لا بالقلیل أهوره و لا أنا عنه بالمواساه ظاهر

أهوره: أی لا أظنّ القلیل یکفیه، یقول: هو یهار بکذا و یهابه: أی یتّهم و یزن. قوله:

و لا أنا عنه ظاهر: من قولک: ظهرت لحاجه فلان إذا لم یعن بها. و قال عنتره لامرأه:

لا تذکری مهری و ما أبلیته فیکون جلدک مثل جلد الأجرب

یعنی: أنه إن آذته ضربها حتی یظهر علیها أثر الضّرب.

شعر:

إنّ الغبوق له و أنت مسوءهفتأوّهی ما شئت ثم تحوّبی

فذوقوا کما ذقنا غداه محجرمن الغیظ فی أکبادنا و التّحاوب

كذب العتيق و ماء شن باردإن كنت سائلتى غبوقا فاذهبى

إنّ الرجال لهم إليك وسيلهإن يأخذوك تكحّلى و تخضّبى

و يكون مركبك القعود و رجله و ابن النّعامه يوم ذلك مركبى

و أنا امرؤ إن يأخذونى عنوهأقرن إلى شر الرّكاب و أجنب

و قد قال بعض الرواه: لم يكن قوم أشد عجبا بالخيل، و لا أعلم بها، و لا أصنع لها

و لا أطول لها ارتباطا، و لا أهجى لمن لم يتّخذها، أو اتّخذها و أهزلها، و لا أمدح لمن اتّخذها و أكرمها منهم.

و كذلك أضيفت إليهم بكلّ لسان- و نسبت إليهم بكلّ مكان- و فى كلّ زمان- حتى قالوا: هذا فرس عربى، و لم يقولون: رومى، و لا هندى، و لا فارسى فحصنوها تحصين الحرم، و صانوها صون المهج، ليبذلوها يوم الرّوع و يأمنوا بها أوان الخوف، و ليجعلوها درّيه يوم اللّقاء، و وصله إلى درك الثّأر حتى قالوا: إنّ الحصون الخيل، لا مدر القرى، كما قال الآخر شعرا:

و لمّا نأت عنّا العشيره كلّهاأنخنا فخالفنا السّيوف على الدّهر

و كانوا يصبرون على مئونتها فى الجدب، و يغتبقون الماء القراح فى الأزل و يؤثرونها على العيال بالصّنيعه، ليكافئ عند الطلب، أو الهرب، و لذلك قال الأشعرى مالك الجعفى:

لكن قعيده بيننا محفوهباد جناجن صدرها و لها غنى

تقفى بعيشه أهلها و ثابهأو جرشع عبل المحازم و الشّوى

و قال خالد بن جعفر الكلابى:

أريغونى أراغتكم فإنّى و حذفه كالسّجى تحت الوريد

أسوّيها بنفسى أو بحرّو ألحفها ردائى فى الجليد

أمرت الرّاغبين ليؤثروهالها لبن الحلوبه و الصّعود

الباب التّاسع و الخمسون فى ذكر أفعال الرّياح لواقحها- و حوائلها- و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها

قال مؤرخ من خواص الجنوب: أنّها تثير البحر حتى يسودّ، و تظهر كلّ ندى كائن فى بطن الوادى حتى يلتصق الأرض، و إذا صادفت بناء بنى فى الشتاء و الأنداء أظهرت نداه و حسنه، حتى يتناثر و يطيل الثّوب القصير، و يضيق الخاتم فى الإصبع، و يسلس بالشّمال و الجنوب تسرى باللّيل. تقول العرب: إنّ الجنوب قالت للشمال: إنّ لى عليك فضلا أنا أسرى، و أنت لا تسرين. فقالت الشّمال: إنّ الحره لا تسرى و قال الهذلى:

قد حال دون دريسه ماويهمسع لها بعضاه الأرض تهزيز

الماويّه: التى تهبّ بالنّهار كلّه إلى اللّيل ثم تسكن، قال اللّه تعالى: يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ [سوره سبأ، الآيه: ۱۰] أى: سبّحى النّهار كلّه. و مسع الشّمال و الدّريس: الثّوب الخلق، و الشّمال تستذرى منها بأدنى شى ء، و يسترك منها رحلك، و ذرى الشّجره و الجنوب لا يستر منها شى ء، و ربما وقع الحريق بالباديه فى اليبيس، فإن كانت الرّيح جنوبا احترق أياما، و إن كانت شمالا فإنّما يكون خطأ لا يذهب عرضا. و للشّمال ذرى الشّجره، و ذلك أن يجتمع التّراب من قبلها فيستذرى بالشّجر، فإن كان الشّجر عظاما كانت لها جراثيم، و إن كانت صغارا ساوى التّراب غصونها، و لا ذرى للجنوب ترى ما يلى الجنوب منها عاريا مكشوفا. و الشّمال تذمّ بأنّها تقشع الغيم و تجى ء بالبرد، و تحمد بأنها تمسك الثرى، و تصاحب الضّباب، فتصبح عنها كأنّها ممطوره، و تصبح الغصون و تنظف و أكثر ما يكون عن غب المطر، فإذا ارتفعت الشّمس ذهب النّدى و تقطع الضّباب و انحسر، و ليس من الرّياح أدوم فى الشّتاء و الصيف من الشّمال، كما أنّه لا شى ء منها أكثر عجاجا و سحابا، لا مطر فيه و هى هيف، تقشر الأرض، و يحرق العود من النكباء التى بين الجنوب و الدّبور التى تهبّ من مغيب سهيل.

و قال أبو عبيده فى قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ [سوره الحجر، الآيه: ۲۲]

جمع ملقحه على لواقح. قال: و رأيت العرب تجعل الرّياح لقاحا للرّياح لأنها تنشئ السّحاب و تقلّبه و تصرفه و تحلّه. قال الطّرماح و ذكر بردا استظلّ به:

قلق لأفنان الرّياح للاقح منها و حائل

فاللاقح: الجنوب لأنّها تلقح السّحاب، و الحائل: الشّمال لأنّها لا تنشئ سحابا، و كما سمّوا الجنوب لاقحا سمّوا الشّمال عقيما، لأنّها عندهم لا تحمل كما تحمل الجنوب.

و قال كثير: و مرّ بسفساف التّراب عقيمها.

و قال أبو و جزه:

حتّى سلكن الشّوى منهنّ فى مسدمن نسل جوّابه الآفاق مهداج

يذكر حميرا وردت ماء يقول: أدخلت قوائمها فى الماء، و هذا الماء من نسل جوّابه الآفاق، أى ريح تجوب البلاد، أى هى أخرجته من الغيم و استدرّته، فجعل الماء لها نتاجا ولدا، فالرّياح على هذا هنّ اللّواقح.

و أكثر العرب تجعل الجنوب هى التى تنشئ السّحاب، و تسدّده و تصف بواقى الرّياح بقلّه المطر، و الهبوب فى سنى الجدب. قال أبو كثير الهذلى:

إذا كان عام مانع القطر ريحه صبا و شمال قره و دبور

فأخبر أنّ هذه الثّلاثه لا قطر معها، و أنّ القطر مع الجنوب.

و قال طرفه:

و أنت على الأدنى شمال عريهشآميّه تزوى الوجوه بليل

و أنت على الأقصى صبا غير قرّهتدأب منها مزرع و مسيل

فأخبر أنّها إذا لم تكن بارده كان معها القطر، و لعلّ الهذلى أراد مثل هذا فاكتفى بذكر الشّمال و وصفه. و قال آخر:

فسائل سبره الشّجعيّ عنّاغداه تحاليا نجوا جنيبا

و النّجو: السّحاب، و الجنيب: الذى أصابته جنوب، فشبه حفيفهم فى القتال بحفيف المطر، و قال المسحل:

حار و عقّت مزنه الرّيح و العاريه العرص و لم يشمل

حار: تحيّر و تردّد، و عقّت: قطعت، و لم يشمل: أى لم تصبه الشّمال فيقشعه.

و قال أبو كثير:

حتّى رأيتهم كأنّ سحابهصابت عليهم لم يشمل و دقها

و قال آخر من هذيل:

مرتها النّعامى و لم تعترف خلاف النّعامى من الشّام ريحا

النّعامى: الجنوب، و مرتها: استخرجت مطرها، و من الشّام: يريد الشّمال، فهذه كلّها تجعل العمل فى المطر للجنوب، و تجعل الشّمال يقشع السّحاب، و يسمّونها محوه، لأنّها تمحو السّحاب.

قال العجّاج:

سغر الشّمال الزّبرج المزبرجاقد بكرت محوه بالعجاج

فدمّرت بقيه الرّجاج

السّغر: القشر، و الزّبرج: السّحاب.

و كان الأصمعى يحكى عن العرب: أنّ ما كان من أرض الحجاز فالجنوب هى التى تمرى السّحاب فيه و الشّمال تقشعه. و ما كان من أرض العراق، فالشّمال تمرى فيه السّحاب و يؤلفه، و لم يقل إنّ الجنوب تقشعه، و لا أنّه لا عمل لها فيه. قال: و أحسبه أراد أنّ الشّمال و الجنوب تفعلان ذلك جميعا بأرض العراق دون الحجاز، و على هذا وجدت بعض الشّعراء. قال الكميت، و كان ينزل الكوفه:

مرته الجنوب فلمّا اكفهرّحلّت عزاليه الشّمال

فجعل الجنوب تستدرّه و الشّمال تحلّه. و قال عدى و كان ينزل الحيره و ينتقل فى أرض العراق: و جى ء بعد الهدو يزجيه شمال كما يزجى الكسير فاستدرّت به الجنوب على الحرير، فالجنوب سيره مقصور، يريد لثقله و جعل الشّمال تسوقه و الجنوب تستدرّه، لأنّ الجنوب عند أهل الحجاز و ما يليه هى التى تأتى بالغيث حتّى جعلوها مثلا للخير. قال حميد:

ليالى أبصار الغوانى و سيرهاإلىّ و إذ ريحى لهنّ جنوب

و على حسب تيمّنهم بالجنوب و تصييرهم إيّاها مثلا للخير، تشاؤمهم بالشّمال و تصييرهم إيّاها مثلا للشر. قال أبو و جزه يذكر امرأه:

مجنوبه الأنس مشمول مواعدها

جعلها لا تفی بوعدها كالشّمال لا تأتی بالغیث. قال زهیر شعرا:

جرت سحّا فقلت لها أجیزی نوی مشموله فمتی اللّقاء

و قال بعضهم: أراد جرت الطّیر بها من ناحیه الشّمال، و لذلک قیل: الیمن و الشّؤم، فالیمن من الیمن، و الشّؤم من الید الشّؤمی، قال: و قد یتشاءمون بها من جهه البرد، قیل لبعضهم: ما أشدّ البرد؟ فقال: ریح جربیاء فی أثر عماء، فی غب سماء. و الجربیاء:

الشّمال و العماء: السّحاب یرید شمالا هبّت بعد مطر، و قیل لآخر: أیّ الأیام أقرّ فقال:

الأحصّ الورد، و الأزب الهلوف.

قال أبو عمرو: الأحص الورد: یوم تطلع شمسه، و تصفو شماله، و یحمر فیه الأفق، و لا یجد لشمسه مسا. و الأحص: التی لا سحاب فیه كالرأس، و الأحص: الذی لا شعر علیه، قال و الهلوف: یوم تهبّ فیه النّكباء تسوق الجهام و الصراد لا تطلع شمسه، و الأزب:

من الإبل الكثیر الوبر.

یقال: لحیه هلوفیه إذا كانت كثیره الشّعر، و الیوم إذا كان بهذه الصفه كان ذا زمهریر، و كانوا یقولون مع هذا: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض و إذا ذخرت الأودیه بالماء كثرت الثّمر، و المؤتفكات: الرّیاح البوارح و هی شمال حارّه فی الصیف، و ذات عجاج، سمّیت لتقلّبها العجاج، مؤتفكات و لا أحسبهم أنّ لها عملا فی ذلک، و إنّما یریدون أنّ عضوفها، إذا اشتدّ و كثر كان ذلک إماره الزّكاء، و یجوز أن یكونوا أرادوا بالمؤتفكات الرّیاح كلّها إذا اشتدّت.

قال بعض الحكماء: الرّیاح علی ثلاثه أضرب: منها ما هی من الملائكه و صفتها أن تكسح من الأعلی إلی الأسفل، و تهبّ صافیه ثم تنقطع، و منها ما هی حركه الجو، و صفتها دوام هبوبها صافیه، و كدره سفلا و علوا.

و روی طاوس فی خبر یرفعه: لا تسبّوا الرّیاح و لا المطر و لا الرّعد و لا البرق، بعثن رحمه للمؤمنین و عذابا علی الكافرین. و فی حدیث آخر: لا تسبّوا الرّیح فإنّها من نفس الرّحمن. و فی آخر: ما هلک قوم و لا عاش آخرون إلا بهبوب الرّیاح و درور السّحاب.

و ذكر بعضهم أنّ الروم تسمّی الأمطار و الرّیاح نقالات الدّول. و عن سفیان الثّوری:

الدّعاء عند هبوب الرّیاح و تحت المطر لا یرد.

و قال بعضهم: النّسیم الطّیب صدیق الرّوح، قال: و الرخاء: ریح سلیمان و كانت تحمل عرشه، و قیل: النّسیم بدو كلّ ریح، یقال: نسمت الرّیح.

و یروی عن عبد اللّه بن عباس أنه قال: الرّیاح فی کتاب اللّه ثمان: أربع منها رحمه:

النّاشرات و المبشّرات و الذّاريات و المرسلات، و أربع منها عذاب: القاصف و العاصف و العقيم و الصّرصر.

و قال الحكماء: الجنوب ريح، ذكر سعد شرقى حار لاقح يقوّى السّحاب و يفجّر الأمطار، و يلقح الأشجار.

و قال؛ راح تمرّ به الصّبا ثم انتحى فيه شئوب جنوب، منفجر و يسمّى الأرنب و النّعامى.

و يروى عن جعفر بن محمد أنّه قال: إنّ الجنوب تخرج من الجنه و تمر بالنّار فيصيبها وهجها، فما فيها من حرّ فمن ذاك، و هى ريح بروج الرّبيع، كما أنّ الشّمال ريح بروج الصّيف، و هى أبرد الرّياح.

و يروى عن جعفر بن محمد الشّمال: تمر بالجنّه جنّه عدن فتأخذ من طيب عرفها، فتمرّ بها على أرواح الأبرار و الصّديقين. و الدّبور تهيج الرياح و تثيرها و هى أشد الرّياح على ركاب البحر، و لا تهب إلا عاصفا، و هى التى أرسلت على قوم عاد.

و روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «نصرت بالصّبا و أهلكت عاد بالدّبور»، و هى ريح بروج الخريف. و الصّبا لطيب نسيمها و هبوبها لقبت بريح العشّاق.

و قال ابن دميه:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجدفقد زادنى مسراك وجدا على وجد

و قال امرؤ القيس:

إذا قامتا يضوع المسك منهمانسيم الصبا جاءت بريح القرنفل

و قال آخر:

أريد لأنسى ذكرها فيهيجنى نسيم الصّبا من حيث ما يطلع الفجر

و روى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أنه قال فى قوله تعالى: فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها [سوره الأحزاب، الآيه: ۹] هى الصّبا. و قالت العرب: عصف الجنوب فى الخريف دليل النّقمه، و عصف الدّبور فى الرّبيع دليل العذاب، و عصف الشّمال فى الشّتاء دليل الوفاء، و عصف الصّبا فى الصّيف دليل البؤس. و قيل فى الدّبور: هى ريح بروج الشّتاء.

و قالت الحكماء: مهبّ الجنوب من مطلع الشّمس إلى زوالها، و مهبّ الشّمال من مطلع الشّمس إلى غروبها. و مهبّ الدّبور من مغرب الشّمس إلى شطر اللّيل. و مهبّ الصّبا من شطر اللّيل إلى طلوع الشّمس، لا تطلع هذه فى هذه و لا هذه فى هذه.

الباب السّتّون فی ذكر الأوقات المحموده للنّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما يتطيّر منه أو يستدفع الشّر به

اعلم أنّ العرب تحمد الولد إذا ولد فی الهلال، فإن حملته فی قبل الطّهر كان ذلک أعجب إليها، و لذلک قالت الفارعه أخت لقمان بن عاديا لإمرأه إنی امرأه نزور و زوجی رجل محمق، و أنا فی ليله طهری، فهی لی ليلتک، و اسمينی علی فراشک فإذا رجع لقمان من عند الشّرب ثملا، فوجدنی علی فراشک وقع علیّ، و هو رجل منجب فعسی أن ألد منه ابنا نجيبا، فأجابتها إلی ذلک، فوقع عليها لقمان فحبلت بلقيم بن لقمان. و لذلک قال النّمر بن تولب لقيم بن لقمان: فإنّ ولدته قبل النّهار كان ذلک الغايه. قال:

ولدت فی الهلال من قبل الطّهرو قد لاح للصّباح بشير

و قال الرّاعی:

و ما أمّ عبد اللّه إلّا عطيهمن اللّه أعطاها امرأ فهو شاكر

هی الشّمس وافاها الهلال فنسلهانجوم بآفاق السّماء نظائر

و المنجّمون يزعمون أنّ الهلال نحس، و نحن نجد عامه حاجات النّاس إنما تجزئ مع الأهله منها التاريخات كلّها، و محل الدّيون، و فراغ الصّناع و التّجار، و يوم الفطر، و آجال المستغلات، و قدوم الولاه، و زياده المد، و نقصان الجزر، ما بين الصّبيين إلی المزار، و المواعيد، و الإجارات، و أكثر الحيض الذی جعله اللّه مصحه أبدان النساء. ثم نزول الغيث الذی نشر اللّه به رحمته فأحيا به الأرض بعد موتها، و فی حياتها حياه من عليها و لأسد بن ناغضه جاهلی فی شأن عبيد بن الأبرص شعر:

غداه توخّی الملک يلتمس الحيافصادت نحسا كان كالدّبران

و للأسود بن يعفر يهجو رجلا:

ولدت بحادی النّجم يحدو قرينه و بالقلب قلب العقرب المتوفّر

و قال آخر جاهلی:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالنّحوس و بالسّعد

و قال آخر:

فإنّک قد بعثت عليک نحساشقيت به کواکبه ذکور

و قال آخر:

فإن يک کوکب الصّمعاء نحسابه ولدت و بالقمر المحاق

و قال الأصمعی: إذا کان المطر عندهم فی سرار الشّهر کان محمودا، و رجوا غزارته، و کثره الخيرات به. و أنشد للرّاعی:

تلقّی نوءهنّ سرار شهرو خير النّوء ما لقی السّرار

و قال الکميت:

هاجت له من جنوح اللّيل رائحهلا الضبّ ممتنع منها و لا الورل

فی ليله مطلع الجوزاء أوّلهادهماء لا قرح فيها و لا رجل

يريـد إنّ هذه الليله من السّـرار، فلا ضوء فی أوّلها، و هو القرح، و القرح: بياض وجه الدّابه. و قوله: مطلع الجوزاء أوّلها يريد أنّها من الشّتاء، و الجوزاء فی الشتاء يطلع أوّل اللّيل.

و قال الحطيئه:

باتت لها بکسيب حريه ليلهو طفاء بين جماديين درور

قوله: بين جمـاديين يريـد أنّهـا ليله لاـ يـدری أ هی آخر من الشّـهر الأول، أو أوّل ليله من الشّـهر الثانی. و أراد أنّ المطر کان فی السّرار أو فی الغرّه.

و إذا کان أيضا فی الغره کان محمودا.

قال الکميت:

و الغيث بالمتألّقات من الأهلّه فی النّواحر

النّواحر: جمع ناحره و هى اللّيله التى تنحر الشهر، أى تكون فى نحره.

و قال ابن أحمر:

و لا مكلله راج الشّمال بهافى ناحرات سرار بعد إهلال

و قد توافقوا كلّهم على هذا إلا أبا و جزه، فإنّه ذكر نصف الشّهر فقال:

فى ليله لتمام النّصف من رجب خواره المزن فى أقتارها طول

و ليس يحمدون المحاق إلّا فى المطر وحده، و قال جران العود، و ذكر امرأه تزوّجها فلم يستوفقها: قال شعرا:

أتونى بها قبل المحاق بليلهو كان محاقا كلّه ذلك الشّهر

و حكى المفضّل أنّ زبّان بن سيار خرج غازيا و معه النّابغه فرأى جرادا، فقال النّابغه:

جراده تجرد ذات ألوان. فانصرف متطيّرا، و مضى زبّان فغنم و سلم فلما قفل قال شعرا يخاطب به النّابغه من ذلك قوله شعرا:

شعر:

تعلّم أنّه لا طير إلّاعلى متطيّر و هو الثّبور

بلى شى ء يوافق بعض شى ءيفاجئنا و باطله كثير

و من يبرح به لا بدّ يومايجى ء به نعىّ أو بشير

و قال الكميت:

أ للورق الهواتف أم لباك عمّ عمّا يزنّ به غفول

الباكى: الغراب يقول: يزن بأنه ينعب بالفراق و هو غافل عن ذلك. و قال الكميت لجذام فى انتقالهم إلى اليمن شعرا:

و كان اسمكم لو يزجر الطير عائف لبينكم طيرا منبئه الفأل

أى اسمكم جذام، و الزّجر فيه الانجذام، و هو الانقطاع. و قال أيضا يمدح زيادا:

و اسم امرئ طيره لا الظبى معترضاو لا النّعيق من الشّحاجه النعب

فقال اسمه زياد، فالزّجر فيه الزّياده و الشّحاجه الغربان.

و قال آخر:

دعا صرد يوما على ظهر شوحطو صاح بذات البين منها غرابها

فقلت: أ تصريد و شحط و غربهفهذا لعمری نأيها و اغترابها

و قال فی مخالفته آخر:

و قالوا: قاب قلت: عقبی من النّوی دنت بعد هجر منهم و نزوح

فزجر فى العقاب الخير ثم قال:

و قالوا حمام قلت حمّ لقاؤهاو عادت لنا ريح الوصال تفوح

و قالوا تغنّى هدهد فوق ليلهفقلت هدى نغدو به و نروح

قال أبو العباس المبرّد: و لم أرهم زجروا فى الغراب شيئا من الخير لكنّى سمعت بيتين أنشدهما بعضهم فى المدح و التفاؤل به أحدهما:

نعب الغراب فرقّ بالمشتاق فدنا و صاح برؤيه و تلاق

لا سلّ ريشك إذا نعبت بقربهم و وقاك من ريب المنيّه واق

و الآخر:

نعب الغراب برؤيه الأحباب و لذاك صرت أحبّ كلّ غراب

لا سلّ ريشك إذ نعبت بقربهم و سقيت من نام صبيب سحاب

و سكنت بين حدائق فى جنهمحفوفه بالنّخل و الأعناب

و لم أسمع غير ذلك، و يقال للعائف الحازى، و كان أصل التّطير فى الطّير، و كذلك الزّجز بأصواتها و عددها و التغلّى و التّنسف، ثم صاروا إذا عاينوا الأعور و الأعضب و الأبتر زجروا و زجروا بالسّنوح و البروح. و قد تقدّم فيه كلام و قال رؤبه:

يشقى به الغيران حتّى أحسباسيدا مغيرا أو لياحا مغربا

اللّياح: الثّور الأبيض، و كانوا يتشاءمون بالمغرب و قال:

قد علم المرهتون الحمقى و من تجزى عاطسا أو طرقا

أ لا نبالى إذ بدرنا الشّرقاأ يوم نحس أم يكون طلقا

و قال:

و قد أغتدى قبل العطاس بهيكل سديد مسك الجنب فعم المنطق

و قال:

و خرق إذا وجّهت فيه لغزوهمضيت و لم يحسبك عنه الكوادس

الكـداس: العطاس و كانوا يتطيّرون منه. و كانوا إذا عطس العاطس قالوا: قـد أنجمنا أى منعنا. و قال ابن الأعرابى: يقال: عطسـت فلانا النّجم أى أصابه الهلاك الذى يتطيّر فمات، قال و النّجم أيضا دويبه صغيره. و قال ذو الرّمه:

و لا أبالى النّجم العواطسا

و قال طرفه:

لعمری لقد مرّت عواطس جمهو مرّ قبیل الصّبح ظبی مصمع

قال عواطس لأنّه رأی أشیاء مما یتشاءم بها، فجعل کلّ واحد کالعاطس و جعل الظّبی مصمعا: و هو الصّغیر الأذن استقباحا له. و قیل: المصمع: المسرع. قال:

و عجراء دفت بالجناح کأنّه مع الفجر شیخ فی بجاد مقنّع

فإن تمنعی رزقا لعبد یصیبه و لن تدفعی بؤسی و ما یتوقع

قال الفرزدق:

إذا وطنا لمغتنیه ابن مدرک فلقیت من طیر العراقیب أخیلا

و یقال: صبّحهم بأخیل: أی بشؤم. و یقال: بعیر مخیول: إذا وقع الأخیل علی عجزه فقطعه. و قال الأعشی:

انظر إلی کفّ و أسرارهاهل أنت إن أوعدتنی صابر

جعله مثلا لأنّهم کانوا ینظرون إلیها یستدلّون بها. و قال جریر فی طریقته:

و ما کان ذو شغب یمارس عیصنافینظر فی کفیه إلا تندّما

العیص: الأکمه شبّه حسبهم بها، و معنی ینظر فی کفیه أی إذا تعیف علم أنّه لاق شرا.

و قال المرقم السّدوسی مخالفا لهم شعرا:

و لقد غدوت و کنت لاأغدو علی واق و حاتم

فإذا الأشائم کالأیامن و الأیامن کالأشائم

الواق: الصّرد، و الحاتم: الغراب. و أنشد الجاحظ:

و لست بهیّاب إذا شدّ رحله یقول: عداتی الیوم واق و حاتم

و لکنّه یمضی علی ذاک مقدماإذا صدّ عن تلک الهنات الختارم

الختارم: المتطهّر من الرّجال.

قال الجاحظ: و لإيمان العرب بباب الطّيره و الفأل عقدوا التمائم و الرّتائم و عشّروا إذا دخلوا القرى كتعشير الحمار، و استعملوا فى القداح الآمره و النّاحيه و المتربّص، و هى غير قداح الإيسار و يشتقّون من اسم الشى ء المعاين أو المسموع ما يقيمون به العاده فى ذلك، فجعلوا الحمام مره من الحمام و مره من الحميم، و مره من الحمى. و جعلوا البان مرّه من البين، و مرّه من البيان.

و قال الحارث بن حلزه، و كان ينكر الطّيره: يا أيها المزمع ثم انثنى. الأبيات و قد مرّت فى باب العيافه و القيافه. و أنشد المفضّل شعرا:

تغتال عرض الرّويّه المذالهو لم ينطعها على غلاله

إلّا بحسن الخلق و النّباله آذن بالبين صريد الصّاله

فبات منه القلب فى البلبالهينزو كنز و الطّير فى الحباله

صريد: تصغير صرد، و أضاف إلى الصّاله، و هذا كما يقال: غراب البين.

و لقى النبى صلى اللّه عليه و سلم حضرمىّ بن عامر فى ناس من قومه فنسبهم النّبى صلى اللّه عليه و سلم و قال: «من أنتم؟» فقيل: نحن بنو الزّنيه فقال عليه السلام: «بل أنتم بنو الرّشده» فقالوا: لا نرغب عن اسم أبينا، و لا نكون مثل بنى محوله، يعنون بنى عبد اللّه بن غطفان. قال: «بل أنتم بنو عبد اللّه فسمّوا بنى محوله».

و ما ذكرناه فى هذا الباب كاف فى موضعه، و قد استقصيت الكلام فى فنونه و شعبه فى كتابى المعروف (بعنوان الأدب) و ذلك فى الباب الجامع لذكر الرّموز و العادات. و هو باب كثير الفوائد، غريب الموارد.

و فى الحديث: أنه كان يعجبه الفأل و يكره الطيره، و اعترض بعضهم عليه فقال: إذا كان الفأل لا يوجب إلّا مثل ما توجب الطّيره فيما يرجى أو يخاف، فلا فصل بينهما و ذاك أن قول القائل يا واجد و أنت باغ، لا يوجب أمرا بخلاف ما يوجبه قوله: يا مضلّ، لأنّ مطلوبك على ما كان عليه لا حقيقه تبدّله، و لا مجاز يغيّره، فيؤدّى الحالتين على طريقه واحده. قلت: إن تسمع كلمه فى نفسها مستحسنه و تكون قد أحدثت من قبل طمعا فى أمر من عند اللّه تعالى فيعجبك سماعك لها إذ كان الطّمع خلاف اليأس، و لأنّ الكلمه واقفته.

و مثاله أن تسمع و أنت خائف يا سالم، فالفأل لا يوجب السّلامه، و لكن كأنّه يبطل اليأس، و يدفع سوء الظّن، و الرّجاء بالله و حسن الظّن به محمود مندوب إليه، و إذا ظنّ أنّ المرجو من حيث وافق تلك الكلمه كالأقرن، ففرح بذلك فلا بأس عليه. و إذا كان الأمر على هذا فالطّيره بعيده من هذا، و كذلك المتطيّر فيما يأتيه أو يذره و هذا ظاهر.

و حكى الجاحظ عن الأصمعى، قال: هرب بعض البصريّين من بعض الطّواعين فركب حمارا و مضى بأهله نحو سفوان، فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه و يقول: لن يسبق اللّه على حمار، و لا على ذى ميعه مطار أن يأتى الحتف على مقدار، قد يصبح اللّه أمام السّارى، فلمّا سمع ذلك رجع بهم، و من أعجب ما لهم قول الشّاعر:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه و إن يفقد فحقّ له الفقود

و قول آخر:

فلم أرقه إن ينج منها و إن يمت فطعنه لا غس و لا بمغمر

لأنّ ظاهر هذا الكلام يقتضـى أنّهم كانوا إذا شـكوا سـلامه رميهم رقوا نبالهم برقيه، و نفثوا فيها نفث السّواحر فى عقد ما يبرمونه من سـحرها. و هذا كما اعتقد فى النّيران و هى كثيره ينسب بعضهم إلى العجم، و بعضهم إلى العرب و فى أثنائها نيران الدّيانات حتى عبـدت. و يـذكر هنـا مـا يأخـذ كتابنـا هـذا منه بحظ، فقـد استقصـى الجاحـظ القول فيهـا، و ذكر أحوال المعظمين لهـا و المسـتهينين بها و قـد قال اللّه تعالى فى ذكر الثّقلين: يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [سوره الرّحمن، الآيه: ۳۵- ۳۶] و ليس يريـد أنّ التعـذيب بالنّار نعمه يوم القيامه، و لكنّه أراد التّحذير بخلقه لها و الوعيد بها غير إدخـال النّاس فيها، و إحراقهم بها، و فى ذلك نعمه من اللّه مجـدّده، إذ كان حال من حـذر مخالفا بحال من أهمل و ترك و ما يختاره. و قال الشاعر يد الخصب شعرا:

فى حيث خالطت الخزامى عرفجايأتيك قابس أهله لم يقبس

و من أمثـالهم: فى كـلّ شـجر نـار، و اسـتمجد المرخ و العفار. و فى الجاهليه الأولى إذا تتابعت عليهم الأزمات، و ركـد البلاء، و اشـتدّ الجدب، و احتالوا إلى استمطار جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا فى أذنابها و بين عراقيبها السّلع و العشر ثم صعدوا بها فى جبل وعر و أشعلوا فيها النّار و ضجّوا بالدعاء و التّضرع، و كانوا يرون أنّ ذلك من أسباب السّقيا. لذلك قال أميه بن أبى الصّلت:

سنه أزمه تخيل بالنّاس ترى للعضاه فيها صريرا

سلع ما و مثله عشر ماعائل ما و عالت البيقورا

و يقـال: بقر و بـاقر و بيقر و بيقور و بقير. و قـال بعضـهم: تقرّبوا بـذلك، كمـا تفرّد بعضـهم بقربـان تأكله النّار فإنهم كانوا يأتون بـالقرابين و يوقـدون نـارا عظيمه و تـدنى تلـك القرابين فى لخلف منهـا و هم يطوفون حولها و يتضـرّعون، فإذا أكلت النّار و قد أشعلوها تلك القرابين عدّوا ذلك قبولا لها، و إسعافا بالمطالب منها. و أنشد القحذمى للورل الطّائى فى لاستمطار:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أ جاعل أنت بيقورا مسلعهذريعه لك بين اللّه و المطر

و على ذكر النّار فللعرب منها ما يـذكر فى الرّموز. و منها ما يجعل علامه لحوادث كحذر. و منها ما يضـرب بذكره مثل، أو يعقد به ديانه، أو يقام به تشبيه و سنّه، و الجاحظ قد

أثار الرّهج فى جمعها و وصفها، و الكلام عليها و على المتديّنين بعبادتها، و أنا أذكر منها هنا ما يكتفى به إن شاء اللّه تعالى.

قال الجاحظ: قال اللّه تعالى: الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [سوره يس، الآيه: ۸۰] النار من أكبر الماعون، و أعظم المرافق، و لو لم يكن فيها إلّا أنّ اللّه تعالى جعلها الزّاجره عن المعاصى، لكان فى ذلك ما يزيد فى قدرها و نباهه ذكرها و قال تعالى: نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۳] فالعاقل المعتبر إذا تأمل قوله تعالى: نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً تصوّر ما فيها من النّعم أولا و من النقم آخرا. و قد عذّب اللّه تعالى الأمم بأنواع العذاب و لم يبعث عليهم نارا لأنّه جعلها من عذاب الآخره.

قال: و من النّيران بعد ما ذكرها من أنّ العرب فى الجاهليّه كانت تستمطر بالنّار التى كانوا يوقدونها عند التّحالف، فلا يعقدون حلفهم إلّا عندها، و كانوا يقولون فى الحلف:

الدّم الدّم و الهدم الهدم لا يزيده طلوع الشّمس إلا شدّا، و طول اللّيالى إلا مدّا، و ما بلّ البحر صوفه، و ما أقام رضوى فى مكانه، إذ كان جبلهم رضوى أو ما أنفق من مشاهير بلادهم يؤكّدون العقود بمثل ذلك، و على هذا ما ورد فى الخبر أنّ النبى صلى اللّه عليه و سلم قال للأنصار لمّا أرادوا أن يبايعوه، فقال أبو الهيثم بن التّيهان: إنّ بيننا و بين القوم حبالا نحن قاطعوها و نخشى إن اللّه أعزّك و أظهرك أن ترجع إلى قومك، فتبسّم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم قال: «لا بل الدّم الدّم، و الهدم الهدم، و اللّدم اللّدم» أى حرمتى مع حرمتكم أطلب الدّم بطلبكم، و أعفو بعفوكم، فأجرى الكلام صلى اللّه عليه و سلم على ما كان يجرونه حينئذ عند التّحالف و قال الشّاعر:

ثم الحقى بهدمى و لدمى: أى أصلى و موضعى. و الهدم متحركا المهدوم. و قال أوس يصف عيرا:

إذا استقبلته الشّمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهول حالف

و كان قوم اختلفوا عند نار فغشوها حتّى محشتهم النّار، فسمّوا المحاش. لذلك قال النّابغه يخاطب رئيسهم.

جمع محاشك يا يزيد فإنّنى جمّعت يربوعا لكم و تميما

و نار أخرى: و هى التى كانوا يوقدونها خلف المسافر و الزائر الذى لا يريدون رجوعه.

لذلك قال بشار:

صحوت و أوقدت للجهل ناراو ردّ عليك الصّبىّ ما استعارا

و نار أخرى توقد لجمع النّاس للحرب، و توقّع جيش عظيم. قال عمرو بن كلثوم:

و نحن غداه أوقد فى خزازى رفدنا فوق رفد الرّافدينا

و نار أخرى: و هى نار الحرّتين و هى نار خالد بن سنان، و لم يكن فى بنى إسماعيل نبىّ قبله، و هو الذى أطفأ اللّه تعالى به نار الحرّتين، و كان حرّه ببلاد عبس، فإذا كان اللّيل فهى نار تسطع فى السّماء، و كانت طىّ ء ينفش بها إبلها من مسيره ثلاث، و ربّما ندرت منها العنق فتأتى على ما تقابله فتحرقه. و إذا كان النّهار فهى دخان يفور فبعث اللّه تعالى خالد بن سنان عليه السلام، فأطفأها و له قصه مرويّه.

و روى أنّ ابنته قدمت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فبسط لها رداءه و قال: «هذه ابنه نبىّ ضيّعه قومه» و أنشدوا شعرا:

كنار الحرّتين لها زفيرتصمّ مسامع الرّجل البصير

و نار أخرى و هى التى أطفأها خالد بن الوليد لمّا أرسله رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إليها، و كان السّادن احتال حتى رماه بشرر يوهمه أنّه لتعرّضه لها فقال: كفرانك لا سبحانك إنى رأيت اللّه قد أهانك، فكشف اللّه تعالى ذلك الغطاء برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

فأما نيران السّعالى و الجن و الغيلان فلها شأن آخر. و النّار التى توقد للظّباء و صيدها معلومه.

و من النّيران المذكوره نار أبى حباحب، و نار الحباحب أيضا، و قيل أبو حباحب رجل كان لا ينتفع به فى ماعون و لا فى موقد نار، فجعل ناره مثلا لكلّ نار تراها العين، و لا حقيقه لها عند التماسها و نسبت إليه. و قال القطامى:

ألا إنّها نيران قيس إذا شتوالطارق ليل مثل نار الحباحب

و يشبه نار الحباحب نار البرق.

و نار اليراعه، و اليراعه: طائر صغير يصير باللّيل كأنّها شهاب قذف أو مصباح يطير.

و كانوا ربّما أوقدوا نارا واحده و ربّما أوقدوا نيرانا عده، و ربّما أوقدوا نارين. فالواحده توقد للقرى، و يستدلّ بها الضّالّ و المتحيّر فى الظّلمه فى اللّيل البهيم. و المطعام يوقد اللّيل كلّه فى الشّتاء. و لذلك قال الشّاعر شعرا:

له نار تشبّ بكلّ وادإذا النيران ألبست القناعا

و ما أن كان أكثرهم سواماو لكن كان أرحبهم ذراعا

و قال مزرد:

و شبّت له ناران نار برهوهو نار بنى عبد المدان لدى الغمر

فامّا الإكثار من النيران فى مجمعهم فكما يكثرون من الذّبح فيه مخافه أن يجزرهم

جازر، فيستدل بقلّه الذّبح و النّيران على قلّه العدد و ضعف العدد، و هذا من مكائدهم.

و من أحسن ما قيل فى نار الضّيافه قول الأعشى:

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرهاإلى ضوء نار فى بقاع يحرق

تشبّ لمقرورين يصطليانهاو بات على النّار النّدى و المحلّق

رضيعى لبان ثدى أمّ تقاسمابأسحم داج عوض لا نفرق

و قول الحطيئه أحسن منه و هو:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و نار أخرى و هى نار الميسم: و يقال: ما نارك؟ فيقول: علاطه أو خباطه، أو كذا لذلك قال بعض الحزاب:

تساكنى الباعه أين دارهاإذ زعزعوها فسمت أبصارها

فكلّ دار لأناس دارهاو كلّ نار المسلمين نارها

قد و فرّنا قسط هذا الباب لفوائده، و قد أتى الجاحظ على ذكر نيران العرب و العجم و نيران الدّيانات، فبلغ الغايه، و لم يترك لمتتبّع مقاله، و إن كان أخلّ بذكر نارين، إحداهما:

نار الغدر، و هى التى أرادها زبير فى قوله شعرا:

و توقد ناركم شررا و يرفع لكم فى كلّ مجمعه أواء

و الثانيه: نار الوشاه: و هى التى أرادها أبو ذؤيب فى قوله:

أبى القلب إلا أمّ عمرو فأصبحت تحرّق نارى بالشّكاه و نارها

الباب الحادی و السّتون فی ذکر الاستدلال بالبرق، و الحمره فی الأفق، و غیرهما علی الغیث

قال أبو عمرو تقول العرب فی السّحابه: تنشأ إن تبهرت متنکبه و میضها ضعیف یخفی مرّه و یظهر أخری، فقد أخلفت و معنی تبهّرت: تقطّعت و البهر حفر تکون فی الأرض، و معنی تنکّبت: عدلت عن القصد، و منه النّکباء فی الرّیاح.

و حکی عن أبی عبیده قال: قلت لأعرابی: ما أسحّ الغیث؟ قال: ما ألقحته الجنوب و مرته الصّبا، و نتجه الشّمال، و إذا کان السّحاب أبیض یبرق بضوء فذاک دلیل مائه، و یقولون: إذا رأیت السّماء کأنه بطن أتان قمراء، فذلک الجود. قال الشّاعر:

و أضحی یحطّ المعصمات حزیرهو أصبح رجّاف الیمامه أقمرا

الرّجاف: ما رجف من السّحابه. و قال آخر: و هو المتنخّل الهذلی یذکر مطرا شعرا:

تمدّ له حوالب مشعلات تجلّلهنّ أقمر ذو انعطاط

قالوا: و إذا کانت السّحابه تبرق کأنها حولاء ناقه، و هو ما یخرج مع الولد فذلک من علامات.

و إذا کانت السّحابه نمره فهی خلیقه بالمطر لذلک قال قائلهم: أرینها نمره- أرکها مطره. و النّمره التی تری سحابها صغارا بتدانی بعضها من بعض، و یکون کلون النّمر، و إذا کان السّحاب بطیئا فی سیره، فذاک دلیل علی کثره مائه و لذلک قال الهذلی یصفه:

و أقبل مرّا إلی بحدل سباق المقید یمشی رسیفا

و قال عبید:

دان مسفّ فویق الأرض هیدبه یکاد یدفعه من قام بالرّاح

جعل له هدبا یتدلّی لثقله و دنوّه من الأرض.

شعر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكنّ كمن يمشى بقرواح

و مثله قول الآخر:

أسدف منشقّ عراه فذو الأدماث ما كان كذى الموئل

الأسدف: الأسود و جعل عراه ينشقّ بالماء و الدّمث: السّهل اللّين، و الموئل: المكان المرتفع الذى يئل النّاس إليه من السّيل.

و روى أن المعقّر البارقى سأل ابنته عن السّحابه و قد كفّ بصره، و إنّما سمع صوت رعده فقالت: أرى سحما عفاقه، كأنّها حولاء ناقه ذات هيدب دان و سير وان فقال: يا بنيه وائلى بى إلى جنب قفله، فإنها لا تنبت إلا بمنجاه من السّيل. القفل: ضرب من الشّجر لا ينبت إلا مرتفعا من السّيل و إذا كان السّحاب أصهب إلى البياض فذاك دليل على أنه لا ماء فيه و على الجدب. قال النابغه شعرا:

صهباء ظمّاء أبين البين عن عرض يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

و قال أميه بن أبى الصّلت يذكره شدّه الزّمان فى الشّتاء:

و شوّذت شمسهم إذا طلعت بالجلب هفا كأنّه الكتم

شوّذت: عليت و عمّمت، و يقال للعمامه المشوّذ و الجلب: سحاب لا ماء فيه، و الهف: الرّقيق. و ذلک من علامات الجدب.

و قد يعترض فى الأفق حمره بالغداه و العشىّ من غير سحاب فى الشّتاء فيستدلّ به على قلّه الخير و شدّه الزّمان. و قال النابغه شعرا:

لا يبرمون إذا ما الأفق جلّله صرّ الشّتاء من الإمحال كالآدم

يريد: لا يخلون فى هذا الوقت، و البرم: الذى لا يدخل مع القوم فى المسير. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبهالشيبان أو ملحان فاليوم أشهب

و قال الفرزدق:

يغضّون بأطراف العصىّ تلفّهم من الشّام حمر الضّحى و الأصائل

يريد حمر الآفاق: أوّل النّهار و آخره، فهذه الحمره التى بيّنتها و دللت عليها بشواهدها

من الشّعر و غيره هى التى تدلّ على الجدب.

و قد يستدلّ بالحمره إذا اشتدّت جدا فى السّحاب المخيّل و إنّما تكون من شعاع الشّمس عند الطّلوع و عند الغروب على المطر. و الفرق بينهما أنّ تلك تكون بغير سحاب أو تكون مع شى ء رقيق منه، و حمره الغيث تكون شديده عند الطّلوع و عند الغروب فى سحاب متكاثف مخيل. و الحمره التى يشير إليها إنما هى من قرص الشّمس لأنّك تراه فى المشرق و المغرب للغبار و البخار، و الضّباب المعترض بينك و بينها أحمر و أصفر للهواء الملابس لها، و قد توجد النّار تختلف على قدر اختلاف النعظ الأزرق و الأبيض و الأسود.

و ذلك كلّه يتغيّر فى مرأى العين بالعرض الذى يعرض للعين، و على قدر جفوف الحطب و رطوبته، و على قدر أجناس العيدان و الأدهان تجدها حمراء أو صفراء أو خضراء.

و لذلك يوجد برق السّحاب مختلفا فى الحمره و البياض على قدر المقابلات و الأعراض، و تجد السّحابه بيضاء، فإذا قابلت الشّمس بعض المقابله فإن كانت السّحابه غربيّه و الشّمس منحطه، رأيتها صفراء ثم حمراء ثم سوداء تعرض العين لبعض ما يدخل عليه، و قال الفلتان الفهمى فى النّار:

و يوقدها شقراء فى رأس هضبه

و قال مزرّد:

فأبصر نارى و هى شقراء أوقدت بعلياء يشز للعيون النّواظر

و قال الراعى و هو يريد أن يصف لون ذئب:

كدخان مرتجل بأعلى تلعهغرثان حزم عرفجاء ميلولا

المرتجل: الذى أصاب رجلا من جراد و هو يشويها و جعله غرثان لأنه لغرثه لا يميز الرّطب من اليابس، فهو يشويها بما حضره، و أدلّه هذا الكلام كلّه ليكون لون الدخان و لون الذئب الأطحل متّفقين، فأما شيم البروق فكانوا يقولون: إذا بلغت سبعون برقه انتقلوا و لم يبعثوا رائدا لثقتهم بالمطر، و إذا كان البرق عندهم و ليفا و ثقوا بالمطر. و الوليف: الذى يلمع لمعتين. قال الهذلى شعرا:

لشمّاء بعد أشتاب النّوى و قد بتّ أجنبت برقا و ليفا

و إذا تتابع لمعانه كان مخيلا للمطر.

و يقال: ارتعج البرق إذا كثر و تتابع. و قال الرّاجز شعرا:

سحّا أهاضيب و برقا مرعجايجاوب الرّعد إذا تبوّجا

و إذا تتابع بلمعتين لمعتين شبّه بلمع اليدين. قال امرؤ القيس شعرا:

أ صاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى حبىّ مكلّل

الحبى: السّحاب المشرف، مكلّل بعضه على بعض.

و يقال: مكلّل بالبرق و إذا كان خفوا كان دليلا على الغيث. و قال حميد بن ثور شعرا:

خفا كاقتذاء الطّير و هنا كأنّه سراج إذا ما يكشف اللّيل أظلما

و اقتذاء الطّير: تغميضها أعينها و فتحها إيّاها، كأنّها تلقى القذى منها، و كلّهم يجعل البرق يمانيا و لا يجعله أحد شاميا، لأنّ الشّامى أكثره خلّب عندهم، و هذا يدلّ على أنّ المطر للجنوب لأنّها يمانيه. و قال آخر شعرا:

ألا حبّذا البرق و حبّذاجنوب أتانا بالعشىّ نسيمها

و يقال: أوسم البرق إذا بدا و ألاح إذا أضاء ما حوله. و أنشد لأبى ذؤيب شعرا:

رأيت و أهلى بوادى الرّجيع من آل قيله برقا مليحا

و يقال: أوسمت المرأه؛ إذا بدا ثديها ينوء. قال أبو عبد اللّه و قال العقيلى: إذا رأيت السّماء قد اصحامت فكأنها بطن أتان قمراء. و رأيت السّحاب متدليا كأنه اللّحم الثنت، مستمسک منه و منهرت، فحينئذ الغياث. و قال أبو صالح الفزارى: كنا نقول: إذا رأيت البرق فى أعلى السّحابه أو فى جوانبها فهى بإذن اللّه ماطره غير مخلفه، و إذا رأيت البرق فى أسافلها فقد أخلفت.

الباب الثّانی و الستون فی الکواکب الخنّس و فی هلال شهر رمضان

قال اللّه تعالی: فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْکُنَّسِ [سوره التکویر، الآیه: ۱۵- ۱۶] و قد تقدّم القول فی أنّها خمسه: زحل- و المشتری- و المریخ- و الزهره- و عطارد. و أنّها سیّاره کالشّمس- و القمر. و قد یسمّی بعضها بغیر هذه الأسماء المریخ بهرام. و یسمّی المشتری البرجیس- و یسمّی الزّهره أناهید- و یسمّی زحل کیوان- و یسمّی القمر ماه- و تسمّی الشمس مهر- و یسمی عطارد نیر- و قال رؤبه:

أسقیه نضّاح الصّبا بجیساکافح بعد النّثره البرجیسا

البجیس: المتفجّر، و فی القرآن: فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهَ عَیْناً [سوره الأعراف، الآیه: ۱۶۰].

و یقال: هذه أرض تنبجس عیونا، و کافح: واجه. و النّثره: من ذوات الأنواء، و البرجیس: هو المشتری، و لا حظّ له فی المطر عندهم، و ظن رؤبه أنه من ذوات الأنواء، و هذا کما أنّ الکمیت قال و هو یصف ثورا بشدّه العدو شعرا:

ثم استمر و للأشباه تذکرهکأنّه الکواکب المریخ أو زحل

أراد أن یشبّهه بکوکب منقض، فظنّ أنّ المریخ و زحل ینقضّان، و قیل فی عذر رؤبه:

إنه کان سمع البرجیس و إنه اسم کوکب، و خفی علیه أنه اسم المشتری فی لسان غیرهم.

و قیل فی عذر الکمیت: إنّ انقضاض الکوکب إسلامی رجم به مسترقه السمع، و لم یعرف قبل الإسلام فلذلک خفی علیه أنّ المریخ و زحل لیسا من الرّجوم. و إنما سمّیت هذه الکواکب خنّسا لأنها تسیر فی الفلک ثم ترجع، بینا أحدها فی آخر البروج کرّ راجعا إلی أوّله، و لذلک لا تری الزّهره فی وسط السّماء أبدا، و إنّما تراها بین یدی الشّمس أو خلفها.

و ذلک أنّها أسرع من الشّمس، فتستقیم فی سیرها حتی تجاوز الشّمس فتصیر من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فی المغرب، فتری کذلک حینا ثم تکرّ راجعه نحو

الشّمس حتی تجاورها، فتصیر بین یدیها فتظهر حینئذ فی المشرق بالغداه، هکذا هی أبدا، فمتی ظهرت فی المغرب فهی مستقیمه و متی ظهرت فی المشرق فهی راجعه، و کل شی ء استمرّ ثم انقبض فقد خنس، و منه سمّی الشّیطان خناسا لأنه یوسوس فی القلب، فإذا ذکر اللّه خنس، و سمّیت کنّسا بالاستسرار کما تکنس الظّباء. و صفات الخنّس الزّهره أعظمها فی المنظر، و أشدّها بیاضا ثم المشتری فی مثل هیئتها. و فی زحل کموده. و فی المرّیخ حمره و فی عطارد صفره. و قد تقدّم القول فی استسرار القمر، و أنّه یقطع المنازل فی استسراره کما یقطع فی ظهوره. و أنهم یسمّون آخر لیله فی الشهر البراء لتبرّؤ القمر من الشّهر فیه. و أما قول الشّاعر شعرا:

یا عین بکّی عامرا و عبسایوما إذا کان البراء بخسا

فالمراد إذا لم یکن فیه مطر، لأنّ المطر یستحبّ فی سرار القمر.

فأمّا هلال شهر رمضان فقد قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «إذا غمّ علیکم فاکملوا العده». و هذه روایه ابن عباس رضی اللّه عنهما.

و فی حدیث آخر: «إذا غمّ علیکم فاقدروا له» روایه ابن عمر رضی اللّه عنهما. و معنی أقدروا له: قدّروا له المسیر و المنازل.

یقال: قدرت الشی ء و قدرته بمعنی، و التّقدیر له یکون إذا غمّ علی النّاس لیله ثلاثین فی آخر شعبان للیله و یعلم أنّه یمکث سته أسباع ساعه من أوّلها ثم یغیب و ذلک فی أدنی مفارقته للشّمس، و لا یزال یزید فی کلّ لیله علی مکثه فی اللّیله قبلها سته أسباع ساعه، فإذا کان فی اللّیله السّابعه غاب فی نصف اللّیل، و إذا کان فی لیله أربع عشره طلع مع غروب الشّمس، و غرب مع طلوعها ثم یتأخّر طلوعه عن أول لیله خمس عشره سته أسباع، و لا یزال یتأخر طلوعه لیله ثمان و عشرین مع الغداه فإن لم یر صبح ثمان و عشرین، علم أن الشّهر ناقص و عدته تسعه و عشرون یوما.

و إن رؤی علم أن الشّهر تام و عدّته ثلاثون، و قد یعرف أیضا بمکث الهلال فی لیالی النّصف الأوّل من الشّهر و مغیبه، و أوقات طلوعه لیالی النّصف الآخر من الشّهر، و تأخّره عن أوّل اللّیل، و یتعرّف من المنازل بأنّ الهلال إذا طلع فی أوّل لیله من شعبان فی الشّرطین، و کان شعبان تاما طلع فی أول لیله من شهر رمضان فی الثّریا، و إن کان شعبان ناقصا طلع فی البطین، و هذا أمر یضیق و یصعب علی الناس، و یکثر فیه التّنازع و الاختلاف، فنسخه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بقوله: «إذا غمّ علیکم فأکملوا العدّه ثلاثین» و لا یمکن أن یری الهلال بالغداه فی المشرق بین یدی الشّمس و بالعشی فی المغرب خلف الشّمس فی یوم واحد، و لکن یمکن ذلک فی یومین فهو حین یستسر لیله واحده، و إذا کان فی ثلاثه فهو حین یستسر لیلتین.

و أما ما روى من قوله صلى اللّه عليه و سلم: «صوموا لرؤيته و افطروا لرؤيته» فإن اللّام فيه بمعنى بعد و مثله قوله تعالى: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَ [سوره الطلاق، الآيه: ١] و اللّام لإضافه عدّه مواضع.

و قد ذكرتها أو أكثرها فى غير هذا الموضع، و قال بعض أهل النظر: المراد صوموا لما أقبل من رؤيته.

و كذلك طلّقوهنّ لما أقبل من عدّتهن. قال و قبل كلّ شى ء وجهه و أوّله، كما أنّ دبره آخره، و كلّما يوقّت فله أوّل و آخر، فما دام زائدا فهو مقبل، فإذا أخذ فى النّقصان فهو مدبر مثل النّهار فهو مقبل من الفجر إلى الاستواء لأنّه فى الزّياده ثم مدبر، لأنّه فى النّقصان إلى اللّيل، و لا يقال: هو مقبل و قد أقبل إلّا عند دخول وقته. و منه قوله صلى اللّه عليه و سلم: «إذا أقبل اللّيل و أدبر النّهار فقد أفطر الصائم». و لا يجوز أن يقال: أقبل اللّيل إلّا بعد مغيب الشّمس، لأنّ الصّائم لا يعود مفطرا إلا به لقوله: فقد أفطر الصّائم. أى انقضى صومه لذهاب وقته و دخول وقت آخر لا يكون الصّوم فيه و يؤيد هذا الّذى ذكرناه قول الرّاجز شعرا:

و قلّه الطّعم إذا الزّاد حضرو تركى الحسناء فى قبل الطّهر

لأنّ المراد أوّل طهرها لا ما قبله من الحيض، فمراد الشّاعر فيه مثل مراد الأخطل حين قال شعرا:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النّساء و لو باتت بإطهار

و قد بيّن غيره بأتمّ من هذا الذى قال:

أ فبعد مقتل مالك بن زهيرترجو النّساء عواقب الأطهار

و هذا ظاهر و لو جاز أن يكون إقبال شى ء فى إدبار غيره الذى هو ضدّه لكان الصّائم مفطرا قبل مغيب الشّمس، إذ اللّيل عنده يقبل فى إدبار النّهار، و قبل انقضائه كلّه و هذا لا يقوله أحد. و إذا كان الأمر على هذا فأذن اللّه تعالى فى الطّلاق بقوله: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَ [سوره الطلاق، الآيه: ١] لا يكون واقعا إلا بعد دخول وقت العدّه التى أذن اللّه فى الطّلاق له، و الطّهر و بعد انقضاء إدبار الوقت الذى منع من الطّلاق فيه و انتهائه و هو الحيض، فكذلك قوله صلى اللّه عليه و سلم: «صوموا لرؤيته و افطروا لرؤيته» يعنى الهلال و الصّوم لا يكون إلا بعده بساعات و وقت مديد، و من مواضع اللّام قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي [سوره طه، الآيه: ١۴] لأنّ المعنى أدم الصّلاه لتسبّحنى و تمجّدنى، و ذلك هو الذّكر إذ كان عله له و سببا، و هذا يخالف: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] لأنّ دلوك الشمس بيان وقت، و مثله قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآيه: ٢] فى أنه بيان وقت، أ لا ترى أنّ الحشر لم يكن عله لإخراجهم، بل كان عله إخراجهم كفرهم و إباؤهم الإسلام.

الباب الثالث و السّتون فی ذکر مشاهیر الکواکب التی تسمّی الثّابته و هذه التّسمیه علی الأغلب من أمرها

اشاره

إذ کانت حرکه مسیرها خافیه غیر محسوسه.

قال أبو حنیفه: اعلم أنّ سیر هذه الکواکب علی خفائه مستمر علی تألیف البروج الاثنی عشر لا یعرض لشی ء منها رجوع، فقد میّز قدماء العلماء کواکب السّماء علی وجه الدّهر و صنّفوها فجعلوها منزله فی منازل سبعه من الأقدار فجعلوا کبارها فی القدر الأول، و هی التی یسمّیها العرب الدّراری، و الواحد دری منسوب إلی الدرّ فی الصّفاء و الحسن، و فی التنزیل: کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ [سوره النّور، الآیه: ۳۵] و قال الرّاجز:

أنّی علی أونی و انجراری أؤم بالمنزل و الدّراری

الأون: الثقل، و الانجرار: أن یترک الإبل فی مسیرها و علیها الأحمال تری.

یقال: جرّ الإبل یجرّها جرّا و یعنی بالمنزل و الدّراری منازل القمر و دراری الکواکب، و هی مشبوباتها ذوات السّطوع و التّوقّد. قال الشّماخ:

و عنس کألوان الأران لضاتهاإذا قیل للمشبوبتین هماهما

لضاتها و نساتها بمعنی أی زجرتها و هیّجتها. و قیل: أراد بالمشبوبتین الشعریین. و قیل الزّهره و الشّعری العبور و هما أنور نجوم السّماء. فالذی أحصی العلماء من دراری النّجوم سوی الخمسه المتحیّره خمسه عشر کوکبا، و هی فی القدر الأوّل من العظم و هی الشّعریان- و سهیل- و المحنّث- العیّوق- و السّماکان- و الیدان- و قلب الأسد- و النّسر الواقع- و الصّرفه- و منکب الجوزاء- و رجلها و أضوأ کواکب الفرعین.

و الذی أحصوا مما هو دون هذه و هی فی القدر الثّانی من العظم خمسه و أربعون کوکبا: کالفرقدین و بنات نعش الکبری و قلب العقرب و الرّدف و النّسر الطائر، و رأس الغول- و العناق- و قلب الحوت- و أشباهها مما ترک ذکر سائرها للأقدار الباقیه لأنّ مواضعها غیر

كتابنا هـذا. و قـد ميّز أصـحاب الأحكام من المنجّمين من هـذه الكواكب السّتّين ثلاثين كوكبا و جعلوا لكلّ كوكب منها خراجا من طبائع الكواكب الخمسه المتحيّره و وضعوها أساسا للأقضيه التى يحلفونها و اللّه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

فـإن قيل: كيف تميّز للعلماء مواضع هـذه الكواكب و مقاديرها فى سيرها على خفائها و عجز الحس عن إدراكها؟ قلت: أدركوا ذلك فى الأزمنه المتعاقبه و الـدّهور المترادفه، فكان أحـدهم يقف فى عمره مع تفقّـده البليغ لها على بعض أحوالها، ثم يرسم ما يقف عليه لمن يخلف بعـده، و قـد شاركه فيما مضـى ثم قاس الأخلاف بعـدهم قرنا بعـد قرن، فوجدوها و قد تقدّمت عن تلك الأماكن الأول، و كذلك فعل الأخلاف للأخلاف، و قد ضبطوا تواريخ تلك الأزمنه معتبرين فوجدها تتحرك بأسرها معا حركه واحده، فتقطع فى كلّ مائه عام درجه واحده، حينئذ حكموا بما قالوا، فهذه حال هذه الكواكب المسمّاه ثوابت، إلّا كوكبا واحدا، فإنّه سيّار خلاف سيرها، و خلاف سير السّـيارات كلّها و هو الكوكب الذى سمّاه المنجّمون ذا الضفيره و ذا الذّؤابه و هو الذى تسمّيه العامّه كوكب الذّنب، و إنّما يظهر فى الزّمان بعد الزّمان و لأصحاب الملاحم فيه روايات.

فعلى هذا عرف العلماء مواضع هذه الكواكب من الفلك و حكموا بما حكموا فى كتبهم من شأنها.

و لما أرادوا تميّز كواكب السّـماء قسّـموا الفلك قسـمين، فسـموا أحد القسمين جنوبيا، و النّصف الآخر شماليا، و لذلك سمّوا ما وقع من البروج و الكواكب فيهمـا، و سـمّت العرب تلك الشّـماليه شآميه، و الجنوبيه يمانيه، و لا فرق بين المقصودين، و لـذلك جعلوا ما بين رأس الحمل إلى رأس الميزان من البروج شآميه، و ما بين رأس الميزان إلى رأس الحمل من البروج يمانيه.

و كذلك جعلوا ما بين الشّـرطين من المنازل إلى السّماك شآميه، و جعلوا ما بين الغفر إلى الرّشاء يمانيه، و جميع ذلك قد تقدم القول فيه، فـأقرب مشـاهير الكواكب إلى القطب بنـات النّعش الصّـغرى و هى شـآميه سـبعه كواكب فى نظم بنات نعش الكبرى، أربعه منها نعش و ثلاث بنات، و المنجّمون يسـمّونها ذنب الـدّب الأصـغر. فمن الأربعه الفرقـدان و هما المتقـدّمان المضـيئان، و الآـخران وراءهما خفيّان. و من البنات و هى ثلاث أوّلها: الكوكب الـذى يسـمّى الجـدى و هو الكوكب الـذى يتوخى النّاس بها القبله، لأنّه لا يزول و تسميه العرب جدى بنات نعش، يكبّ على اليدين فيستدير. و قال الأخطل و ذكر بنى سليم شعرا:

و لا يلاقون فراضا إلى نسب حتى يلاقى جدى الفرقد القمر

نسب الجدى إلى الفرقد كما نسبه الآخر فقال يذكر المطايا:

تياسرن عن جدى الفراقد فى السّرى و يا من شيئا عن يمين المغاور

و هذا الجدى ليس من البروج و لا منازل القمر فهو لا يلقى القمر أبدا، و كذلك بنات نعش، لذلك قال بعضهم و هو يهجو:

أولئك معشر كبنات نعش خوالف لا تسير مع النّجوم

خوالف: أى متخلّفه عن النّجوم، و الخالفه ما لا خير فيه فيقول: لا نفع عندهم و لا فائده من جهتهم.

و يروى: ضواجع و معناه: رواكد لا غناء عندهم، كما أنّ بنات نعش لا نوء لها و لا نسب شى ء إليها. و قال بشر بن أبى حازم فى دورانها حول القطب:

أراقب فى السّماء بنات نعش و قد دارت كما عطف الظّؤار

يريد أنّه سهر ليلته كلّها إلى أن دارت بنات نعش و هى تنقلب فى آخر اللّيل و خص بنات نعش لأنّها لا تغيب لذلك لا يجعلون الاهتداء بها و بالفرقدين. و قال الراعى شعرا:

لا يتّخذنّ إذا علونا مفازهإلّا بياض الفرقدين دليلا

قال أبو حنيفه: فالكواكب الثّلاثه التى هى البنات و كوكبان من النّعش فيهما أحد الفرقدين، هؤلاء الخمسه فى شطر فيهما واحد كقوس، و قد قابله شطر آخر مثله فيه كواكب خفيّه متناسقه، أخذت من الجدى إلى الفرقدين حتى صار هذان الشّطران شبهان بخلقه السّمكه، و النّاس يسمّونها بالفأس تشبها بفأس الرّحى التى القطب فى وسطها، يظنّون أنّ قطب الفلك فى وسط هذه الصّوره. قال: و ليس كذلك بل القطب بقرب الكوكب الذى يلى الجدى من هذا الشّطر الخفى الكواكب فوجدت هذه الكواكب أقرب كواكب السّماء كلّها من هذا القطب، لم أجد بينه و بين القطب إلّا أقلّ من درجه واحده. و ليس القطب بكوكب بل هو نقطه من الفلك.

و من الشآميه بنات نعش الكبرى، و هى أيضا سبعه كواكب على عدد الصّغرى و فى شبيه تنظمها ثلاث بنات و أربعه نعش، و العرب تسمّى الأوّل من البنات، و هو الذى فى الطّرف القائد: و تسمّى الأوسط العناق: و تسمّى الثّالث الذى يلى النّعش، الجون: و إلى جانب الكواكب الأوسط منها كويكب صغير جدا يكاد يلزق به و يسمّى السّهى و به جرى المثل فى قولهم: أريه السّهى و يرينى القمر، و يقال له: الصّيدق و يعيش و النّاس يمتحنون به أبصارهم فمن ضعف بصره لم يره.

و يروى أنّ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كانوا يفعلون ذلك، و تقول العرب لبنات نعش بنو نعش و آل نعش. قال:

تمزّزتها و الدّيك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا

و إنما قال: دنوا فتصوّبوا لأنّه لما أخبر عنها كما يخبر عن العاقلين جعل ضميرها ضمير العاقلين. و قال الشّاعر:

فنيت و أفنانى الزّمان و أصبحت لداى بنو نعش و زهر الفراقد

و قال آخر:

و هل حدّثت عن أخوين داماعلى الأيّام إلّا ابنى شمام

و إلّا الفرقدين و آل نعش خوالد ما تحدّث بانهدام

و قال آخر يذمّ قوما:

و أنتم كواكب مسحولهترى فى السّماء و لا تعلم

فهذا فى طريقه قوله:

أولئک معشر كبنات نعش

و المسحوله: المرذوله. و بالقرب من الفرقدين كوكبان مقترنان بينهما فى رأى العين بعد القامه، إذا اعترض الفرقدان انتصبا، و إذا انتصب الفرقدان اعترضا، يسمّيها العرب:

الحرّين و يسمّيان أيضا: الذّنبين، و يسمّيان أيضا: العوهقين.

و قال الرّاجز:

بحيث بارى العوهقين الفرقداعند مسدّ القطب حيث استوسقا

و قال أبو زيد الكلابى: الحرّان كوكبان أبيضان بين العوائذ، و الفرقدين بينهما قدر ثلاثه أذرع فى رأى العين، و يسمّيان الذّنبين، و قدّامهما كواكب صغار تسمّى: أظفار الذّئب، و هناک كوكبان أوسع من كوكبى الحرّين يقال لهما: كوكبا الفرق و عند الأعلى منهما كواكب صغار خفيّه مستديره تسمّى: القدر و القرحه كوكب أسفل من كوكبى الفرق كموضع قرحه الدّابه من الأذنين. و زعموا أنّ القرحه إذا طلعت استقبلت قبله الكوفه و فيما هنالك الهلبه:

و هى كواكب ملتفه يظنّ من لم يتثبّت من تأملها أنّها الثّريا، و العامه تسمّيها السّنبله و معنى الهلبه الخصله من الشّعر. و العرب تسمّى هلبه الأسد، و هى فيما بين البنات من بنات نعش الكبرى.

و أمّا الصرفه فهى الكوكب النّيّر المنفرد الذى على أثر الزبره، و العرب تقول:

ضرب الأسد بذنبه فنغزت الظّبأ، و نغزات الظبأ ثلاث: كلّ نغزه منها كوكبان متقاربان كأثر ظلفى الظّبى.

و يقال لها أيضا: النّوافز و الفقرات و يسمّى أيضا القرائن و أشعيلبات، و الظّبا كواكب خفيّه مستطيله مثل الحبل الممدود من عند الهلبه إلى العيّوق، و أولاد الظبأ كواكب صغار فيما بين الظبأ و الفقرات. و فيما هنالك الحوض و ليس بمتّصل الاستداره و العوائذ و هى كواكب أربعه مربعه غير متباعده فى وسطها كوكب كأنّه لطخه غيم يسمى الرّبع شبّههنّ بأنيق أربع، عطفن على ربع و هى من الشآميه عن يسار النّسر الواقع فيما بينه و بين بنات نعش.

و من الشآميه الفكه: و هى كواكب مستديره فيها مرجه، و العامّه تسميها قصعه المساكين من أجل الثّلمه التى فيها. و من كواكبها كوكب هو أنورها يقال له: منير الفكه و الأوائل من المنجمين سمّوا الفكه الإكليل الشّمالى و إذا توسّطت الفكّه السّماء أو قاربت فنظرت إليها رأيت السّماك الرّامح بين يديها، و رأيت رأيه السّماك خلفه بينه و بين الفكّه و هو كوكب منتبذ عنه، يعارضه كوكب بالقرب منه كأنه عذبه فى رمح. و لذلك قيل له: الرّامح و ذو السّلاح و قيل للسماك الآخر الأعزل.

و النّسقان: شطران ابتدأ أحدهما إلى قرب النّسر الواقع، و هو النّسق الشآمى، و الآخر إلى جهه النّعام الوارد حتّى شرع فى المجرّه و هو النّسق اليمانى.

و يقال لما بين النّسقين الرّوضه، و فى داخل الرّوضه كوكب أبيض منفرد يقال له الرّاعى. و بالقرب منه كواكب صغار، و يقولون هى غنمه يرعاها فى الرّوضه، و فى أضعاف تلك الكواكب كوكب و باض صغير، يقولون: هو كلبه و يقال للنّسق النّسيق أيضا.

و من الشآميه النّسر الواقع، و إليه ينتهى النّسق الشآمى و هو كوكب أزهر خلفه كوكبان منه كأنهما و إياه أثافى قدر، و كذلك تسمّيها العامّه، و إنّما قيل له: الواقع لأنّ الكوكبين اللّذين معه بمنزله جناحيه قد ضمّهما إليه، و لأنّ هناك نسرا آخر يقال له: الطائر، و سمّى القدماء من المنجمين النّسر الواقع الاوزه.

و بإزاء النّسر الواقع مما يلى الجنوب النّسر الطائر ثلاثه كواكب مصطفه و الأوسط منها هو أنورها، و هو النّسر و الآخران جناحاه، و قد بسطهما و لذلك قيل له الطّائر، و العامّه تسمّيه الميزان، لاستواء كواكبه فى اصطفافها و اعتدال الأوسط منها بين الآخرين.

و رواء النّسر الواقع كواكب أربعه على اختلاف قد قطعت المجرّه عرضا و يسمّيه العرب الفوارس، تشبيها بفوارس أربعه يتسايرون.

و وراءها بالقرب كوكب أزهر منفرد فى وسط المجرّه تسمّيه العرب الرّدف كأنّه ردف

الفوارس يتبعها، و المنجّمون يسمّون هذا الكوكب: ذنب الدّجاجه، و قد وضعوه فى الاصطرلاب للقياس به، و يسقط الفوارس و الرّدف مع طلوع النّثره و تطلع مع طلوع الشّوله.

و كذلك النّسران و هما من الكواكب الشآميه، و على أثر النّسر الطائر كواكب أربعه مصلّبه النّظم تسمّيها العامّه الصّليب، و تسمّيها العرب القعود و يسقط الصّليب مع طلوع سهيل، و تطلع مع سقوط الشّعرى.

و وراء الرّدف فى حومه المجرّه كفّ الثّريا الخضيب، و هى كواكب خمسه بيض مختلفه النّظام و هى أيضا سنام النّاقه، و النّاقه فى مثل خلقه النّجيب الضّامر الدّقيق الخطم، و خطمها فى جهه الجنوب، و عنقها كواكب تتابعت من عند الرّأس، فانحدرت انحدار العنق، ثم ارتفعت إلى سنامها، و هنالك لطخه سحابيّه فى مثل موضع الفخذ، يقولون: هى وسم النّاقه، و هذه اللّطخه هى معصم الثّريا و رأس الحوت فى لبّه النّاقه، و هو فى مثل صوره السّمكه غير أنّها عظيمه.

و فى جملتها كوكب هو أضوؤها يقال له: قلب الحوت. و فوق رأس النّاقه حوت آخر، و رأس النّاقه ذنبه و هو أقصر من الحوت الأسفل و أعرض.

و وراء الكفّ الخضيب العيّوق، و هو كوكب عظيم نيّر فى حاشيه المجرّه التى تلى الشّمال يقال له: عيّوق الثّريا، و ذلك كأنّهما يطلعان معا، و إذا توسّطا السّماء تدانيا فى رأى العين. قال الشاعر شعرا:

كأنّ صديا و الملامه ما سقى لكالنّجم و العيّوق ما طلعا معا

يقول: لا يتخلّف اللّوم عن صدى كما لا يتخلّف واحد من الثّريا و العيّوق عن صاحبه، و فى إضافه العيّوق إلى الثّريا قال الشاعر:

و عاذله هبّت بليل تلومنى و قد غاب عيّوق الثّريا فعرّدا

و لتدانيهما إذا توسّطا السّماء قال بشر:

و عاندت الثّريّا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

ظنّ أنّ الثّريا تركت طريقها و عاندت إلى العيّوق و ذلك من أجل البعد الّذى بينهما فى المطلع و القرب الذى بينهما فى وسط السّماء، و هو فيعول من العوق و العيق جميعا و العوق الذى لا حرّ فيه.

و يقال: العيق و هو من قولهم ما يعيق به حرّ و لا يليق. و وراء العيّوق غير بعيد كواكب

ثلاثه: زهر مصطفّه متقوّسه قد قطعت المجرّه عرضا و يسمّى: توابع العيوق. و يقال لها:

الأعلام أيضا. و يقال للذى تحته: رجل العيّوق.

و من أمثالهم فيما يبعد من الطمع: هو أبعد من العيّوق، كما يقولون: هو أبعد من الثّريا. و هناك سطر من كواكب امتدّت فى الشّمال على انعطاف تسمّى: الكفّ الجذماء لقصرها، و يقولون للثّريا: الرّأس فيما بين اليدين و فى اليمنى كواكب هى أنورها فيها العاتق و هو أقربها إلى الثّريا، ثم المنكب بعده، ثم المرفق كويكب صغير يقال له: إبره المرفق، و هنالك أيضا المابض.

أما ابره المرفق من الإنسان فهو طرف عظم السّاعد و هو الذى يذرع بذراع و الطرف الآخر الذى يثنى إذا قبضت ذراعك إليك يقال له: القبيح. حيث تلاقى الإبره القبيحا.

و يقال لما بين المرفق و المعصم الساعد و يصغّر فيقال: السّويعد. و يقال ما بعد المعصم و هى الكف، الخضيب كف الثّريا. و هناك كوكب نيّر قدر كوكبى المرفق و العضد فهو معهما فى صوره مثلّثه واسعه كلّ كوكب فى زاويه من زواياها و المنجّمون يسمّون هذا الكوكب: رأس الغول. و قريب منه كوكب نيّر فيما بين قلب الحوت و مرفق الثّريا يسمّى:

عناق الثريّا و هى غير العناق الذى فى بنات نعش.

روى ابن الأعرابى عن العرب: قال عند بنات نعش كوكب يقال له: رأس الحيه و رأس الحيه مثل رأس الخلخال، و التّنين فيما وصفه المنجّمون هناك عند رأسه.

و يوجد من بنات نعش كوكب أحمر يقال له: الذّبح. و هو ذكر الضّباع. و هناك كواكب صغار فيما بين القرحه و الجدى. و الرّاعى كوكب من كواكب الشاء. و كلب الراعى: كوكب صغير قريب منه.

و أسفل من بنات نعش كواكب كثيره مختلطه يقال لها الضباع.

و يوجد كواكب صغار عن يمين الضّباع بينها و بين بنات نعش. و الخباء كواكب فى مثل هيئه الخباء أسفل من أولاد الضّباع.

و خلف العاتق كوكبان بينه و بين العنق يسمّيان: المرجف و البرجس.

و قال عن يمين الكف الجذماء البقر أسفل من الكفّ الجذماء متّصله بالثّريا فهذه مشاهير الكواكب الشّاميه.

و نذكر الآن الكواكب اليمانيه فمنها: منكبا الجوزاء و هما أيضا يداها. و الأيمن منهما كوكب أحمر، و قد وضع فى الاصطرلاب، و العرب تسمّيه مرزم الجوزاء، و الهقعه بين

المنكبين و هى عند العرب رأس الجوزاء لأنّ الجوزاء فى المنظر شبيهه بصوره الإنسان.

و ربّما سمّوا المنكب الأيسر النّاجذ.

و أمّا الكواكب البيض المستعرضه فى وسط الجوزاء الوباضه فإنّ العرب تسمّيها النّظم و تسمّيها أيضا: نطاق الجوزاء و فقار الجوزاء. و يسمّون الكواكب الثلاثه المنحدره من عند هذه الأولى الجوارى و كأنّها فى موضع الرّجل من ظاهر الصّوره.

و هناك كوكب أبيض و باض فى مثل القدم يقال له: رجل الجوزاء اليسرى و قد وضعه المنجّمون للقياس، و رجلها اليمنى كوكب أبيض أصغر من الأول و قال الشّاعر:

فلمّا رأى الجوزاء أوّل صابح

و ضرتها الكواكب التى معها. و قال الآخر فيهما جميعا. و فتيه غيد من التّسهيد.

الأبيات. و قد مضت فى الباب السّادس و الخمسين، و من نظر إليها و هى على الأفق بان له حسنها.

و تحت كلّ واحده من رجل الجوزاء كواكب أربعه تسمّى كرسى الجوزاء، و أحد الكرسيين أبين من الآخر، و يسمّى كرسى الجوزاء النّهل.

و فوق رأس الجوزاء كواكب صغار كالعقد الموزج يسمّى تاج الجوزاء و يسمّيها العرب أيضا ذوائب الجوزاء.

و أسفل من الجوزاء على يسارك إذا نظرت إليها الشّعرى العبور، و هى الكوكب العظيم الوباض، و قد ذكرنا الأخرى فى منازل القمر، و إنّ المجرّه تمرّ بين الشّعريين و أسفل من كرسى الجوزاء.

و من الشّعرى العبور ثلاثه كواكب بيض مختلفه التّثليث تشبهها العرب عذره الجوزاء و قد يجعلها قوم خمسه كواكب. و هناك كواكب إن ضمّ بعضها إلى الثّلاثه صارت خمسه، و قد تسمّيها العرب: العذارى و هى فى حاشيه المجرّه الغربيّه.

و إذا انحطّت الجبهه عن كبد السّماء فنظرت رأيت بينها و بين الشّعرى الغميصا أربعه كواكب مربعه فيها استطاله كهيئه وجه الفرس، تسمّى رأس الحيّه، و قد امتدت من عنده كواكب متناسقه على تعريج، حتى قربت من عرش السّماك الأعزل، و هذه الكواكب هى بدن الحيّه، و فيها كوكب هو أضوأ كواكبها يسمّيها المنجّمون: عنق الحيّه، و منهم من يسمّيه فقار الحيه، لأنّه بعيد من الأوّل، و قد وضع هذا الكوكب فى الاصطرلاب، و العرب تسميه الفرد، و إيّاه عنى الشّاعر بقوله:

و قد مالت الجوزاء بالكوكب الفرد

و سمّى فردا لانفراده عن أشباهه.

و الخيل كواكب كثيره أكثر من العشره نيّره، و فيها ستّه كواكب فى ثلاثه أمكنه متفرقه فى كلّ مكان منها كوكبان. و فيما بين كواكب الخيل كواكب صغار تسمّى أفلاء الخيل، و هى كلّها بين يدى الشّوله فوق المجرّه و أسفل من الخيل.

و من شوله العقرب كواكب يقال لها: القبّه، و إذا رأيت الزّبانيين مرتفعتين عن أفق المشرق رأيت فيما بينهما و بين عرش السّماك أسفل منها كواكب مجتمعه نيّره مختلطه على غير نظم، تسمّى الشّماريخ، لأنّها كأنّها شماريخ كباسه.

و إذا توسّطت الشّعرى العبور السّماء ثم نظرت على سمتها قريبا من الأفق رأيت سهيلا قد توسّط مجراه أو قريبا و ذلك أرفع ما يكون فى السّماء و هو قليل العلو، قريب المجرى من الأفق، و هو عند المنجّمين طرف سكّان السّفينه، و هو كوكب منير عظيم أحمر منفرد عن الكواكب، و أقرب مجراه من الأفق تراه أبدا يضطرب، و لما يعرض لسهيل من ذلك و لانفراده قال الشّاعر:

أراقب لوحا من سهيل كأنّه إذا ما بدا من آخر اللّيل يطرف

يعارض عن مجرى النّجوم و ينتحى كما عارض الشّول البعير المؤلف

و لو بيضه و شعاعه و انفراده. قال الآخر يصف ثورا شعرا:

خبّأت عذوبا للسّماء كأنّه قريع هجان يتبع الشّول جافر

شبّهه فى انفراده بفحل انقطع عن الضّراب فتنحّى عن الإبل و لتوهّجه قال الآخر:

حتّى إذا شال سهيل بسحر كعشوه القابس ترمى بالشّرر

و طلوعه بالعراق لأربع ليال بقين من آب و ذلك مع طلوع الزّبره، و يطلع بالحجاز لأربع عشره ليله تمضى من آب مع طلوع الجبهه. قال الشّاعر شعرا:

إذا أهل الحجاز رأوا سهيلاو ذلك فى الحساب بشهر آب

و يسمّى سهيل كوكب الخرقاء. قال الشّاعر:

إذا كوكب خرقاء لاح بسحرهسهيل أذاعت غزلها فى القرائب

يريد أنّ الخرقاء لعبت صنعها، و ضيّعت وقتها، و لم تغزل، فلمّا طلع سهيل و جاء الشّتاء و ضاق الوقت استغزلت قرابها، و فى نحوه قال الآخر شعرا:

علّك أن تنسجی و تدأبی إذا سهیل فاق كلّ كوكب

فتعلّمی قرضك غیر معجب

و إذا طلع مغرب الشّمس استبدلت الإبل الأسنان قال:

إذا سهيل مغرب الشّمس طلع فابن اللّبون الحق و الحق جذع

و فى مجرى سهيل كوكبان يقال لهما: حضار و الوزن و هما يطلعان قبل سهيل و من كلامهم حضار و الوزن محفان.

و ذلك أنه إذا طلع أحدهما فرآه الرّائى قال لصاحبه: طلع سهيل فيقول صاحبه: ليس بسهيل فيتماريان حتى يحلفا، فلا بدّ من حنث أحدهما، و إذا كان الشى ء يعرض فيه الشّك كثيرا قيل: إنه لمحلف و محنث، و لذلك قيل كميت محلف قال:

كميت غير محلفه و لكن كلون الصّرف غلّ به الأديم

و هنالك أيضا الفرود و هى كواكب صغار عند حضار. قال الشّاعر:

أرى نار ليلى بالعقيق كأنّهاحضار إذا ما أعرضت و فرودها

و ذكر ابن الأعرابى أنّ فى مجرى قدمى سهيل من خلفهما كواكب زهر أ لا ترى بالعراق يسمّيها أهل تهامه الأعيار.

و بعد السّعود الأربعه المذكوره فى منازل القمر، سعود ستّه متناسقه فى جهه الدّلو كلّ سعد منها كوكبان، بينهما كنحو ما بين سعود المنازل، و هى أربعه، و هى كواكب خفيّه غير نيّره، فأوّلها سعد ناشره، و هو أسفل من سعد الأخبيه و هو يطالع الشّرطين أى يطلع مع طلوعه.

و على أثره سعد الملك ثم سعد البهام، و يقال له: مربق البهام، و أسفل منه كواكب صغار تسمّى: الرّبق، و الرّبق: حبل يمد بين و تدين يربق إليه البهم، و على إثره سعد البارع ثم سعد مطر.

و روى ابن الأعرابى عن العرب فى الكواكب اليمانيه أشياء، قال: سهيل اليمن و تحته سهيل بلقين و هو غير حضار و غير الوزن، و قال: فيما بين الفرد و بين زبانى العقرب الخباء.

قال أبو حنيفه: إن كان عنى بالخباء عرش السّماك فذاك، و إلّا فليس هناك خباء غيره، و قال: على أثر الخباء كواكب يقال لها: الشّراسيف و هى كواكب مستطيله مثل الحبل.

و قال: بين الشّراسيف و الخباء كواكب مستديره متبدّده على غير نظام يقال لها:

المعلف. قال: و بعد المعلف: الشّماريخ.

و وراء القبه الصّردان، أحدهما يجرى قريبا من الأفق و الآخر فوقه بحياله. قال:

و خلف الصّرد الأعلى اليمامتان: و بينهما و بين الصّردين فى رأى العين نحو من عشرين

ذراعا. قال: و هنالك: القطا، و هى كواكب متقاطره كتقاطر القطاء و هى كواكب غير نيّره إلّا كوكبان.

قال: و ثم الظّليمان فوق ذلك و هما كوكبان نيّران بينهما فى رأى العين إذا استويا فى السّماء قدر مائه ذراع و بينهما الرّال.

و قال السّفينه كواكب خفيّه متتابعه متقدمها عند سعود البهائم و مؤخّرها السّمكه.

و قال: فى مقدّمها الضّفدع الأوّل فى مؤخرها الضّفدع الآخر.

فهذا ما أردنا ذكره من مشاهير الكواكب.

تم الباب و بتمام هذا الباب تم الكتاب و للّه الحمد بلا عدد. و على المصطفى محمد، و آله و أزواجه و ذريّاته و أصهاره و أصحابه و أنصاره أبد الأبد صلوات و رضوان و سلام و غفران.

فرغت منه ضحوه يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخره سنه ثلاث و خمسين و أربع مائه، حامدا اللّه تعالى على نعمه و أياديه الظّاهره و الباطنه، و مصلّيا على أنبيائه و رسله و مسلما.

قال الشّيخ أبو على المرزوقى رحمه اللّه هذا الفصل خاتما به كتابه حرس اللّه ما خوّلك من الشّتات، و حفظ ما نوّلك من عارض الانبتات، و أعانك فى طلب الأدب على الازدياد. و وفقك فى سائر متصرّفاتك لصلاح البدء و المعاد.

قد سهّل اللّه تعالى و له المنّ ما تمنيت بلوغه من الفراغ من كتاب الأزمنه فجاء على حدّ من الكمال، طاب له العيش و خفّ على النّفس فيه التّعب، و ما أدّانى إلى ذلك إلا لطيف هدايه اللّه تعالى جدّه و كريم كفايته، فبهما اشتدّ أزرى و استبد ما اختلّ من خاطرى و ذهنى، فأمّا ما كنت أشكوه من قبل حتى استطيلت مده الانتظار فى عمله، فلما ألزم حواملى و جوارحى من الضّعف العارض و الوهن الحادث، و قد أبدل اللّه تعالى على كريم عادته به استجمام الأمل فى زواله و استحكام الطّمع فى انحسامه على تطوّل اللّه المعول فى تحقيق المرجو و هو حسبنا وحده و نعم الوكيل.

و اعلم أنّ هذا الكتاب ينقسم أقساما ثلاثه و هذا الحكم يتناول جماهير أبوابه و فصوله لا يختصّ به بعض دون بعض.

أحدها: التّنبيه على نعم اللّه جل جلاله فيما نصب للمكلّفين فى آناء اللّيل و النّهار من الأدلّه الواضحه و الحكم البالغه، و أفادهم فيما سخّره لهم و أعانهم به فى جوانب البر و البحر من النّعم الظّاهره و الباطنه قولا و فعلا و جملا و تفصيلا فى بداهه العقل، و على ألسنه الرّسل

فإنّ صله إحدى النّعمتين بالأخرى فيهما كصله الإبصار بالضّوء- و الأنفاس بالجو- و كما هدى إلى الاستدلال بالشّاهد على الغائب- و بالجلى على الخفى، و كثر ما أشرت إليه يمرّ عليه المارّون، و هم عنها معرضون.

و الثّانى: التّذكير بحكم العرب فى لغاتهم- و آدابهم- و عاداتهم- و مآربهم- مع تلاحق أقطارهم- و تضايق أوطانهم- و رضاهم بالعفو من مقاماتهم- و مآبهم على اختلاف أسبابهم- و طرقهم، و اقتنان هممهم- و وجههم- هذا إلى ما خصّوا به من الفضائل دون الأمم، و توحّدوا به من جلائل المنح و النّعم، و فوائد هذين القسمين فى الاتّساع كالشّمس فى ضيائها- و الرّيح فى هبوبها يتكافأ فى نيل الحظ منهما المحب و الكاره، و يعترف بهما إذا أنصف المسلم و المعاند.

و الثّالث يحوى لمعا من الأشعار- و غررا من النّوادر و الآثار- اقتضى ذكرها مناسبتها للأزمان التى هى من همّنا و فرضنا على أنفسنا الوقوف تحت ظلّها، و لو تقصّينا أبوابها لفنى العمر و بقى منه الكثير فتطرّفنا منها ما تطرّفنا إيذانا بأنّ الغفله لم تحل دونها و لئلا تخلو تضاعف الأبواب من بعضها فليعذر النّاظر فيه هذا الكتاب. إذا انتهى إلى المواضع التى أشرنا إليها متصوّرا حالنا، و ليحذر إلحاق الغائب بنا، ففى مستحسنه إن شاء اللّه ما يشغل عن مستهجنه، و الشّمس يطمس نورها- ما أحاط من الكواكب بها- و قد قيل: لكلّ حسناء ذامّ.

و اعلم أنّ من حقّ المصنّف إذا جمع الأصول بحقائقها- و استوفى الفروع بلواحقها- أن يمنع الخاطر من تجاوز الأنس بالميسور، إلى وحشه المعسور، و يدفع الهاجس من الخروج عن مساعده الألوف إلى مشامسه الثّغور، حرصا على بلوغ غايه شأوه لا يلحقها، و دفعا فى وجه ممكنه جهده لا يحيط إلا بها، لأنّ التّحفظ مع الإقلال أقرب- و هو مع الإكثار أبعد- و نصره الرّأى فى مجاذبه الهوى حصن من النّدامه- و أمن من الملامه، و لأنّ البليغ و إن كان مؤيدا فى خصله مسددا فى نقده، يصحب التّثبت و يجتنب التّجوّز لا يعجزه ما غاب- و لا يغلبه ما راب، فمن الواجب عليه أن يجتنب الاستبداد- عند الاستعداد- و يحاذر الملال- قبل حصول الكلال، لأنّ من عاف مصادر الغرور- لم يركن إلى موارد الحبور- فتراه يصافح المذموم بيد الاحتقار- متهاتفا فيطرحه، و يكافح المرذول بسيف القباحه متأنفا فيتنزّه عنه و ترك الشّر قبل الاختيار- أفضل من ملابسه على الاغترار و الأدب حبس العقول، و التأدّب اكتساب القلوب- و الاستنباط جوالب الأفكار، و البحث عن المكامن بأداه البصائر و الأبصار، و لكلّ منها أسباب مكرمه- و أعلام مرفعه- يسيره كاسب الجمال- و كثيره كاسى الجلال و لا غرو فإنّ السّجايا تدخلها المتاجره و المرابحه، فمنها ما هو أمحض من الكرم- و أنزه من الدّنس- و فى الثّناء الباقى الدّهر خلف من نفاد العمر.

تقریظ وجد آخر الأصل

بسم اللّه براعه الاستهلال، و التّخلص بالصّلاه علی محمد رسوله و الآل. ثم براعه الختام علیه و علی آله و صحبه السّلام، و بعد فمن قابل أبواب هذا الکتاب و سلک أرجاءه المطرزه بالآداب وجد حدیقه موشّحه ببدیع الطّریقه، مرصّعه بدراری البیان موشّعه بلوامع التّبیان، مرشحه بعقود اللآلئ، مدبّجه کالغزالی، منسجمه الألفاظ و المعانی، موزونه الأرکان و المبانی، مطیبه بأفواه البلاغه، مسوّره بلجین لا لجین الصّناعه، فکأنّ بانیها قد خطّها فی ذهنه الوقّاد قبل الشّروع، و مهّد أصولها لاستنباط الفروع ثم أسّسها بأساس التّحقیق، و رفعها بلبن التّدقیق، و زیّنها بمصابیح الفصاحه، و أنارها بثوابت السّماحه، حتی أتت جنه عالیه، قطوفها دانیه، فیها أعین فوائد جاریه، و حور خرائد لقلوب المدنفین فاریه، و موائد للمعانی و للمعانی قاریه، و غرائب لم تکن علی الأفئده طارئه، و طرائق للسّالکین واضحه کافیه، و دبارق لقلوب العاشقین فنون البلاغه شافیه، بید أنها جامعه للّغه الغریبه، و النّکت العجیبه و خرائد الأذهان الحصان، التی لم یطمثهن أنس قبله و لا جان، فبخّ له من لوذعی نحریر، و ألمعی تنقیح و تقریر، ما أرشق براعه استهلاله و تخلّصه، و ما أوفق حسن مقطعه و تربّصه، إلی أن حافظ علی براعه الختام، بأوقات الصّلاه بخیر اهتمام، و جعلها تذکره مده الأعوام و الأیام، و ها أنا أختم بالسّلام علی سیّدنا محمد خیر الأنام، و علی آله الأعلام و خیر صحبه الماسکین زمام الإسلام.

فهرس كتاب الأزمنه و الأمكنه

ص: ۵۶۱

الفهرس المقدمه ۳

مقدمه المصنف ۵

ذكر أبواب الأزمنه و الأمكنه، و فصولها ۱۵

الباب الأول ۱۹

فصل فى بيان النسى ء ۶۷

فصل فى تأويل أخبار مرويه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و الصحابه و بيان ما يحمد و يذم من معتقدات العرب فى الأنواء و البوارح ۶۹

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبه ۷۶

فصل فى تبيين المحكم و المتشابه ۸۱

فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب ۸۶

فصل فى أسماء اللّه و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفا، و الحروف كيف تصير كلاما) ۸۸

الباب الثاني: فى ذكر أسماء و معان للزمان و المكان، و متى تسمى ظروفا، و معنى قول النحويين الزمان ... و إبطال الفاسد منها و ما يتعلق بذلک و فصوله أربعه: ۱۰۱

فصل فى ماهيه الزمان ۱۰۳

الباب الثالث: و يشتمل على بيان الليل و النهار على فصول من الأعراب يتعلق بهما و هى ظروف الفصل الأول ۱۱۳

الباب الرابع: فى ذكر ابتداء الزمان و أقسامه و التنبيه على مبادئ السنه فى المذاهب كلها و ما يشاكل ذلک من تقسيمها على البروج ۱۲۰

الباب الخامس: فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها ۱۲۶

الباب السادس: فی ذکر الأنواء، و اختلاف العرب فیها، و منازل القمر، مقسمه الفصول علی السنه و أعداد کواکبها و تصویر مأخذها ضاره و نافعه ۱۳۲

فصل فی بیان الاختلاف الواقع بین العرب فی أوقات الأنواء و الکلام فی الضیقه ۱۴۶

الباب السابع: فی تحدید سنی العرب و الفرس و الروم و أوقات فصول السنه ۱۵۰

الباب الثامن: فی تقدیر أوقات التهجد التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه عن نبیه و الصحابه و یبین ما یتصل بها من ذکر حلول الشمس البروج الاثنی عشر ۱۵۴

الباب التاسع: فی ذکر البوارح و الأمطار، مقسمه علی الفصول و البروج، و فی ذکر المراقبه ۱۶۰

الباب العاشر: فی ذکر الأعیاد، و الأشهر الحرم، و الأیام المعلومات، و الأیام المعدودات، الصلاه الوسطی ۱۶۵

الباب الحادی عشر: فی ذکر- سحر- و عدوه- و بکره- و ما أشبهها، و الحین و القرن و الآن و إیان و أوان و الحقبه و الکلام فی إذ و إذا و هما للزمان و ما أشبهها ۱۷۲

فصل فی المحدود من الزمان و غیر المحدود ۱۷۵

الباب الثانی عشر: فی لفظ أمس- و غد- و الحول- و السنه- و العام- و ما یتلو تلوه، و لفظ حیث- و ما یتصل به- و الغایات- کقبل- و بعد- و ذکر أول- و حینئذ- و قط- و منذ و مذ و إذ المکانیه ۱۸۰

الباب الثالث عشر: فیما جاء مثنی من أسماء الزمان و اللیل و النهار، و من أسماء الکواکب و ترتیب الأوقات و تنزیلها ۱۸۹

فصل فی ترتیب الأوقات و تنزیلها ۱۹۳

الباب الرابع عشر: فی أسماء الأیام علی اختلاف اللغات و مناسبات اشتقاقها و تثنیتها و جمعها ۱۹۹

الباب الخامس عشر: فی أسماء الشهور علی اختلاف اللغات، و ذکر اشتقاقاتها، و ما یتصل بذلک من تثنیتها و جمعها و هو فصلان ۲۰۵

الباب السادس عشر: فی أسماء الدهر و أقطاعه، و ما یتصل بذلک و هو فصلان ۲۱۴

الباب السابع عشر: فی أقطاع الدهر و أطراف النهار و اللیل- و طوائفهما و ما یضارعهما من أسماء الأمکنه أو یداخلها من ذکر الحوادث فیها. و هو ثلاثه فصول ۲۲۱

الباب الثامن عشر: فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها، و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعه و هو فصلان ۲۳۰

فصل فى بيان الكواكب السبعه ۲۳۶

الباب التاسع عشر: فى أقطاع الليل- و طوائفه- و ما يتصل به و يجرى مجراه ۲۳۹

الباب العشرون: فی أقطاع النهار و طوائفه- و ما یتصل به و یجری مجراه ۲۴۷

الباب الحادی و العشرون فی أسماء السماء و الکواکب و الفلک و البروج و هو ثلاثه فصول ۲۵۵

فصل ۲۵۵

فصل ۲۵۸

فصل فی بیان امر المجره و شرح بعض أحوالها ۲۶۰

الباب الثانی و العشرون فی برد الأزمنه و وصف الأیام و اللیالی به ۲۶۳

فصل فیما وضع علی السنه البهائم ۲۶۹

الباب الثالث و العشرون فی حر الأزمنه و وصف اللیالی و الأیام به ۲۷۱

الباب الرابع و العشرون فی شده الأیام و رخائها و خصبها و جدبها و ما یتصل بها ۲۷۶

الباب الخامس و العشرون فی أسماء الشمس و صفاتها و ما یتعلق بها ۲۸۵

الباب السادس و العشرون فی أسماء القمر و صفاته و ما یتصل بها من أحواله ۲۹۴

فصل ۲۹۴

فصل فی أسماء لیال من أول الشهر ۳۰۰

الباب السابع و العشرون فی ذکر أسماء الهلال من أول الشهر إلی آخره و ما ورد عنهم فیها من الاسجاع و غیرها ۳۰۲

الباب الثامن و العشرون فی ذکر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فی اللیل و النهار و أسماء لأفعال مختصه بأوقات فی الفصول و الأزمان ۳۰۶

الباب التاسع و العشرون فی ذکر الریاح الأربع و تحدید مهابها و ما عدل عنها ۳۱۴

الفصل الأول ۳۱۴

الفصل الثانی فی تبیین ما ذکر من کلام الأوائل فی ذلک ۳۲۱

الباب الثلاثون فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه ۳۲۳

الفصل الأول ۳۲۳

الفصل الثانى فى عله ما ذكرنا من كلام الأوائل ۳۲۷

الباب الحادى و الثلاثون فى السحاب و أسمائه و تحليه بالمطر ۳۲۹

فصل ۳۲۹

فصل فى كلام الأوائل يتبين منه حال الأنديه و الأمطار و العيون و الانهار و غيرها ۳۳۴

الباب الثانى و الثلاثون فى الرعد و البرق و الصواعق و أسمائها و أحوالها ۳۳۶

فصل ۳۳۶

فصل فى الرعد و البرق و السحاب من كلام الأوائل ۳۳۹

الباب الثالث و الثلاثون فى قوس قزح و فى الدائره حول القمر ۳۴۱

فصل فى قوس قزح ۳۴۱

فصل فى كلام الأوائل فى البرد و الطل و الدمق ۳۴۳

فصل فى أسباب الطل ۳۴۴

الباب الرابع و الثلاثون فى ذكر المياه و النبات مما يحسن وقوعه فى هذا الباب ۳۴۵

فصل ۳۴۵

الباب الخامس و الثلاثون فى ذكر المراتع المخصبه و المجدبه و المحاضر و المبادى ۳۵۱

فصل ۳۵۱

فصل فى ذكر ما كانت العرب تفعله وقت إمساك القطر ۳۵۴

الباب السادس و الثلاثون فى ذكر أحوال البادين و الحاضرين ۳۵۵

الباب السابع و الثلاثون فى ذكر الرواد و حكاياتهم ۳۶۰

فصل ۳۶۰

فصل فى ذكر مواقعهم و مسارحهم ۳۶۴

الباب الثامن و الثلاثون فى ذكر الوراد و من جرى مجراهم من الوفود ۳۶۸

الباب التاسع و الثلاثون فى السير- و النعاس و الميح- و الاستسقاء و رد المياه ۳۷۶

الباب الأربعون فى أسواق العرب ۳۸۲

الباب الحادى و الأربعون فى ذكر مواقيت الضراب و النتاج و أحوال الفحول فى الإلقاح و الغرور و ما يتسبب من جميع ذلك حالا بعد حال بقدره اللّه و ارادته ۳۸۶

الباب الثانى و الأربعون فيما روى من اسجاع العرب عند تجدد الانواء- و الفصول- و تفسيرها ۳۹۵

فصل ۳۹۵

فصل ۴۰۱

الباب الثالث و الأربعون فی ذکر العیافه و القیافه و الکهانه ۴۰۲

فصل ۴۰۲

فصل ۴۰۲

فصل فی القیافه و العیافه ۴۱۲

الباب الرابع و الأربعون فی ذکر ما ابهم من الأوقات حتی لا یتبین للسامع حاله و ما شرح منها ۴۱۶

الباب الخامس و الأربعون فی الاهتداء بالنجوم و جوده استدلال العرب و اصابتهم فی

أمهم ۴۲۰

الباب السادس و الأربعون فی صفه ظلام اللیل و استحکامه و امتزاجه ۴۲۸

الباب السابع و الأربعون فی صفه طول اللیل و النهار و قصرهما و تشبیه النجوم بها ۴۳۴

الباب الثامن و الأربعون فی ذکر السراب و لوامع البروق و متخیلات المناظر و وصف السحاب ۴۴۲

الباب التاسع و الأربعون فی تذکر طب الزمان- و التلهف علیه و الحنین إلی الآلاف- و الأوطان ۴۴۹

الباب الخمسون فی ذکر أنواع الظل و أسمائه و نعوته ۴۵۸

الباب الحادی و الخمسون فی ذکر التاریخ و ابتدائه و السبب الموجب له و ما کانت العرب علیه لدی الحاجه إلیه فی ضبط آماد الحوادث و الموالید ۴۶۴

فصل ۴۶۴

فصل فی حکام العرب فی الجاهلیه ۴۶۸

فصل فی أوقات التاریخ ۴۶۹

الباب الثانی و الخمسون فیما هو متعالم عند العرب و من داناهم، و أدرکوها بالتفقد و طول الدریه و لم یدخل فی اسجاعهم ۴۷۴

الباب الثالث و الخمسون فی انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها و امتزاجها و الاستکمال و الامتحاق و ازمان مقاطع النجوم فی الفلک و معرفه ساعات اللیل من رؤیه الهلال و مواقیت الزوال علی طریق الاجمال ۴۸۳

الباب الرابع و الخمسون فی اشتداد الزمان بعوارض الجدب و امتداده بلواحق الخصب ۴۸۸

الباب الخامس و الخمسون فی حد ما یشتمل علی ذکر ما فی اعرابه نظر من حدیث الزمان ۴۹۵

الباب السادس و الخمسون فی ذکر الکواکب الیمانیه و الشامیه و تمیز بعضها عن بعض و ذکر ما یجری مجراه من تفسیر الألقاب ۵۰۶

الباب السابع و الخمسون فی ذکر الفجر- و الشفق- و الزوال- و معرفه الاستدلال بالکواکب و تبیین القبله ۵۱۰

فصل فى صرف القبله من بيت المقدس إلى الكعبه ۵۱۳

البـاب الثامن و الخمسون فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه و ما كانوا يحترفونه و يتعايشون منه. و ذكر ما انتقلوا إليه فى الإسـلام على اختلاف طبقاتهم ۵۱۵

الباب التاسع و الخمسون فى ذكر أفعال الرياح لواقحها- و حوائلها و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها ۵۲۳

الباب الستون فی ذکر الأوقات المحموده للنوء و المطر و سائر الأفعال و ذکر ما یتطیر منه أو یستدفع الشر به ۵۲۸

الباب الحادی و الستون فی ذکر الاستدلال بالبرق و الحمره فی الأفق و غیرهما علی الغیث ۵۳۸

الباب الثانی و الستون فی الکواکب الخنس و فی هلال شهر رمضان ۵۴۲

الباب الثالث و الستون فی ذکر مشاهیر الکواکب التی تسمی الثابته ۵۴۵

التقریظ المکتوبه علی الأصل ۵۵۷.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.